السِّرَاجُ الوَهَّاجُ

مِنْ كَشْفِ مَطَالِبِ
صَحِيحِ مُسْلِمِ بْنِ الحَجَّاجِ

تأليف

الشيخ العلامة أبي الطيب صديق بن حسن خان
الحسيني القنوجي البخاري

وهو شرح على مُلخّص صحيح مسلم للحافظ المنذري
تغمدهما الله بواسع رحمته ورضوانه

الجزء الحادي عشر والأخير

تحقيق
فضيلة الشيخ/عبد التوّاب هيكل

إصدار
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
إدارة الشؤون الإسلامية
دولة قطر

٢١٣ر٤
مسلم ،الامام ابو الحسين مسلم بن الحجاج بن الحجاج بن ورد ابن
كرشان القشيرى النيسابورى (٢٠٦-٢٦١هـ)
السراج الوهاج من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج ،وهو
شرح على ملخص صحيح مسلم للمنذرى/ تأليف صديق ابن حسن خان
الحسينى القنوجى ،تحقيق عبد التواب هيكل .ــ الدوحة : وزارة الاوقاف
والشئون الاسلامية ،١٩٩٧
ج : ١١ ،٢٧سم
ايداع : ١٩٩٧/٥٠
الرقم الدولى (ردمك) ٣ - ٥٨ -٢٣ - ٩٩٩٢١
أ. العنوان

يبدأ الجزء الحادي عشر

من كتاب السراج الوهاج

من كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج

بكتاب التوبة

كِتَابُ التَّوبَةِ وَقُبولِهَا، وَسَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَزَّ وَجَلَّ، وغيرِ ذَٰلِكَ

ولفظ النووي : (باب التوبة) .

قلت : وأصل التوبةِ في اللغةِ : الرجوع . يقال : تاب وثاب بالمثلثة ، وآب : بمعنى «رجع». والمراد هنا : الرجوع عن الذنب . ولها ثلاثة[1] أركان : الإقلاع ، والنّدم على فعل تلك المعصية ، والعزم على أن لا يعود إليها أبداً .

فإن كانت المعصية « لحق آدمي »، فلها ركن رابع : وهو التحلّل من صاحب ذلك الحق .

وأصلها : « الندم » وهو ركنها الأعظم .

واتفقوا : على أن التوبة – من جميع المعاصي – : واجبة ، وأنها على الفور . لا يجوز تأخيرها ، سواء كانت المعصية صغيرة ، أو كبيرة .

والتوبة : من مهمات الإسلام ، وقواعده المتأكدة .

ووجوبها – عند أهل السنة – : بالشرع . وعند المعتزلة : بالعقل .

ولا يجب على الله قبولها – إذا وجدت بشروطها – : عقلا ، عند أهل السنة . لكنه «سبحانه وتعالى» يقبلها : كرماً ، وفضلاً . وعرفنا قبولها : بالشرع والإجماع . خلافاً لهم[2] . وإذا تاب من ذنب ، ثم ذكره : هل يجب تجديد الندم ؟ فيه خلاف ؛ قال ابن الأنباري : يجب .

وقال إمام الحرمين : لا يجب .

---

(١) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٢) (خلافا لهم) أي : للمعتزلة ، فإن قبولها عندهم : عقلاً . المحقق .

وتصح التوبة : من ذنب ، وإن كان مصرًّا على ذنب آخر .

وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها ، ثم عاود ذلك الذنب : كتب عليه ذلك الذنب الثاني ، ولم تبطل توبته . هذا مذهب أهل السنة في المسألتين[1] .

وخالف المعتزلة فيهما .

قالت الشافعية : ولو تكررت التوبة ، ومعاودة الذنب : صحت .

ثم توبة الكافر ، من كفره : مقطوع بقبولها . وما سواها من أنواع التوبة : هل قبولها مقطوع به ، أم مظنون فيه ؟ خلاف لأهل السنة .

واختار إمام الحرمين : أنه مظنون . وهو الأصح . قلت : حديث «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ» : يدلّ على أنه مقطوع به . بل نصٌّ في محلّ النزاع . والأدلة الكثيرة - من الكتاب والسنة - : تؤيده .

«وسبقُ رحمة الله ، على غضبه» : أعظم دليل على ذلك . والله أعلم بما هنالك .

بَابٌ فِي الْأَمْرِ بِالتَّوْبَةِ

وقال النووي : (باب التوبة) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٣ ، ٢٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي بُرْدَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : سَمِعْتُ الْأَغَرَّ - وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - : يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ ؛ قَالَ :

(١) (المسألتين) . في الأصل : « المسئلتين » . المحقق .

قَال رَسُولُ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يَاأَيُّهاَ النَّاسُ ! تُوبُوا إِلَى اللَّهِ . فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ في الْيَوْمِ [١] : مِائَةَ مَرَّةٍ » .

(الشَّرح)

هذا الأمـر بالتوبة : موافق لقوله تعالى : « وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ »[٢] . وقوله تعالى : « يٰأَيُّها الَّذِين آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللّهِ تَوْبَةً نَّصوُحاً »[٣] .

وإذا ثبت توبته ، واستغفاره ، صلى الله عليه وآله وسلم : فنحن إلى الاستغفار ، والتوبة : أحوج ، وإليهما : أفقر .

قال النووي : «التوبة» أهمّ قواعد الإسلام . وهي أول مقامات سالكي طريق الآخـرة[٤] . قَال المحـاسبي : خوف الأنبياء ، والمـلائكة : خوف إعظام ، وإن كانوا آمنين عذاب الله تعالى . ومعنى حديث الباب : أَفْعَلُ ذلك الاستغفار : إظهاراً للعبودية ، وافتقاراً لكرم الربوبية .

أو تعليماً منه : لأمته . أو من : ترك الأولى[٥]

أو قاله : تواضعاً .

---

(١) (فإني أتوب إلى الله ، في اليوم) . في مصدر الحديث : « فإني أتوب في اليوم إليه » . المحقق .

(٢) (٣١) النور . وكلمة : « أيها » في هذا الموضع – من سورة النور – رسمت في المصحف : « أَيُّهَ » بدون ألف . المحقق .

(٣) الآية (٨) من سورة التحريم . المحقق .

(٤) قاله ، في (١٧/٢٥) المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) أي : أن ترك الأولى يعتبر في حقه ، صلى الله عليه وسلم : ذنباً ، يستوجب الاستغفار ، من باب حسنات الأبرار ، سيئات المقربين . المحقق .

أو أنـه صلى الله عليه وآله وسلم ، لما كان دائم التّرقي - في معارج القرب - كان كلما ارتقى درجة ، ورأى ما قبلها دونها : استغفر منها .

قال في الفتـح : إنَّ هذا مفـرّع ، على أن العـدد المـذكـور - في استغفـاره ، صلى الله عليه وآلـه وسلم - : كان مفـرّقـاً ، بحسب تعـدّد الأحوال . وظاهر ألفاظ الحديث : يخالف ذلك[1] .

وفي حديث أنس : « إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً »[2] .

قال : والتعبير « بالسبعين » قيل : هو على ظاهـره . وقيل : المـراد التكثير . والعرب تضع « السبع ، والسبعين ، والسبعمائة » : موضع الكثرة .

وفي حديث « أبي هريرة » عند البخاري : « أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً »[3] : وهو مبهم ، يحتمل أن يفسر بحديث الباب . والله أعلم بالصواب .

بَابُ الحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ

وأورده النووي ، في (كتاب التوبة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦٠ ، ٦١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنِ الْحَارِثِ بْنِ سُوَيدٍ ؛ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللّهِ ، أَعُودُهُ - وَهُوَ

(١) قاله « ابن حجر » ، في (الفتح ١١/١٠٢) : كتاب الدعوات . المحقق .

(٢) ذكره ابن حجر ، في الفتح (١١/١٠١) ، كتاب الدعوات ، باب (٣) . المحقق .

(٣) هذا الحديث مذكور في الفتح (١١/١٠١) ، كتاب الدعوات ، باب (٣) ، حديث رقم (٦٣٠٧) . ونصه : « سَمِعْتُ رَسُولَ الله ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « وَاللّهِ ! إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللّهَ ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ - : أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً » . المحقق .

مَرِيضٌ - ، فَحَدَّثَنَا بِحَدِيثَيْنِ : حَدِيثاً عَنْ نَفْسِهِ ، وَحَدِيثاً عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : يَقُولُ : « لَلّهُ أَشَدُّ فَرَحاً : بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ ، مِنْ رَجُلٍ ، فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلَكَةٍ . مَعَهُ رَاحِلَتُهُ ، عَلَيْهَا : طَعَامُهُ ، وَشَرَابُهُ . فَنَامَ ، فَاسْتَيْقَظَ ، وَقَدْ ذَهَبَتْ . فَطَلَبَهَا ، حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ . ثُمَّ قَالَ : أَرْجِعُ إِلَىٰ مَكَانِي ، الَّذِي كُنْتُ فِيهِ ، فَأَنَامُ حَتىٰ أَمُوتَ .

فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَىٰ سَاعِدِهِ ، لِيَمُوتَ ، فَاسْتَيْقَظَ - وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ ، وَعَلَيْهَا : زَادُهُ ، وَطَعَامُهُ ، وَشَرَابُهُ - .

فَاللّهُ أَشَدُّ فَرَحاً : بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ ، مِنْ هَـٰذَا : بِرَاحِلَتِهِ ، وَزَادِهِ ») .

(الشَّرح)

(عن الحارث بن سويد ؛ قال : دخلتُ على عبد الله ، أعوده - وهو مريض - ، فحدثنا بحديثين : حديثاً عن نفسه ، وحديثاً عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : لله) : بلام التأكيد ، المفتوحة .

(أشدّ فرحاً بتوبة عبده المؤمن ، من رجل في أرض دوّية) .

قال النووي : قال العلماء : « فرح الله تعالى » : هو رضاه . قال المازري : الفرح على وجوه ؛ منها : « السرور » . ويقاربه : الرضاء بالمسرور به . قال[1] : فالمراد هنا أن الله تعالى ، يرضىٰ توبة عبده ، أشدَّ

---

(١) (قال) أي المازري . كما حكاه النووي ، في (١٧/ ٦٠ ، ٦١) ، المصدر المتقدم . المحقق .

ممـا يرضى واجـد ضالتـه : بالفلاة . فعبّر عن الرضاء : بالفرح ، تأكيداً لمعنى الرضاء (في نفس السامع) ، ومبالغة في تقريره . « ودوية » : بفتح الدال ، وتشديد الواو والياء ، جميعاً . وفي رواية أخرى : « دَاوِيَّة »[1] بزيادة ألف . وهي بتشديد الياء أيضاً .

قال النووي : اتفق العلماء ، على أنها « دَوِّيَّة » . وكلاهما صحيح . قال أهــل اللغـة : « الـدَوّيّة » : الأرض القفـر ، والفـلاة:الخـالية . قال الخليل : هي المفازة .

قالوا : ويقال : « دوّيّة ، وداويّة » .

فأما « الدوّيّة » : فمنسوب إلى « الدوّ » بتشديد الواو . وهي « البريّة » التي لا نبات بها .

وأما « الداويّة » : فهي على إبدال إحدى الواوين : ألفا ، كما قيل في النسب إلى طيّ : « طائي »[2] .

(مهلكـة) : بفتـح الميم ، والـلام وكسـرها[3] . وهي موضع خوف الهلاك . ويقال لها : « مفازة » . كما يقال للّديغ : « سليم »[4] .

(معـه ، راحلته ، عليها : طعامه ، وشرابه . فنام ، فاستيقظ – وقد ذهبت – . فطلبهـا ، حتى أدركه العطش . ثم قال : أرجع إلى مكاني[5]

---

(١) هذه من رواية : « قطبة بن عبد العزيز » ، عن الأعمش . ونصّها : « مِنْ رَجُلٍ ، بِدَاوِيَّةٍ مِنَ الأَرْضِ » . وهي بص ٦٢ ، من المصدر المتقدم . وحديث الباب ؛ من رواية «جرير» عن الأعمش . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، بالمصدر المتقدم ، ص ٦١ . المحقق .

(٣) أي : فتح الميم فقط . أما اللام ففيها : الفتح ، والكسر . المحقق .

(٤) أي : على سبيل التفاؤل . المحقق .

(٥) أشار المؤلف – في الهامش – إلى ما يفيد أنه ، ورد في بعض النسخ : « المكان » بدل : « مكاني » . المحقق .

الذي كنت فيه ، فأنام حتى أموت . فوضع رأسه على ساعده ، ليموت . فاستيقظ) أي : من نومه . (وعنده راحلته : عليها[1] زاده ، وطعامه ، وشرابه . فالله أشدّ فرحاً : بتوبة العبد المؤمن ، من هذا : براحلته ، وزاده) .

وفي رواية أخرى ، عن « أنس بن مالك » عند مسلم ؛ يرفعه : « لَلّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ - حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ - ، مِنْ أَحَدِكُمْ ، كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ ، بِأَرْضٍ فَلَاةٍ ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ - وَعَلَيْهَا : طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ - فَأَيِسَ مِنْهَا . فَأَتَىٰ شَجَرَةً ، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا - قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ - فَبَيْنَا هُوَ كَذَٰلِكَ : إِذْ هُوَ بِهَا ، قَائِمَةً عِنْدَهُ . فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ، ثُمَّ قَالَ - مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ - : اللَّهُمَّ ! أَنْتَ عَبْدِي ، وَأَنَا رَبُّكَ . أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ »[2] .

وهذا الحديث : رواه مسلم ، والبخاري : بألفاظ .

قال عياض : إن مثل هذا صدر[3] في حال الدهشة والذهول ، لا يؤاخَذُ به الإنسان . وكذا حكايته عنه ، على وجه العلم أو الفائدة الشرعيّة ، لا على سبيل الهزء والعبث . انتهى[4] .

وأقول : حق العبارة : أن صدور مثل هذا الكلام ، في حال شدة الفرح : لا يؤخذ عليه قائله . وهذا هو الموافق بظاهر لفظ الحديث . ويقاس عليه : أحوال أخرى : من[5] شدة الحزن ، أو الخوف ، ونحوهما . فكل

(١) في مصدر الحديث : « وعليها » بزيادة الواو . المحقق .
(٢) مذكور في صحيح مسلم النووي (١٧/ ٦٣ ، ٦٤) . المصدر المتقدم . المحقق .
(٣) الصواب - كما في الإرشاد (٩/ ١٨٠) - : (إذا صدر) بزيادة : « إذا » . المحقق .
(٤) (انتهى) أي : كلام عياض ، كما حكاه القسطلاني ، في المصدر المتقدم . المحقق .
(٥) لعل المقصود (مثل) بدل : « من » . المحقق .

ذلك معفوّ. وهو فيه معذور لعدم اعتدال العقل ، والفهم : في هذه الحالات .

وفيه : أنّ نقل الكفر : ليس بكفر . وفي القرآن الكريم ، من أمثال هذا النقل كثير من أهل الكفر ، والشرك ، وعباد الأوثان ، ومن هو مثلهم[1] .

وفيه : فضيلة التّوبة ، وفرح الله سبحانه بها : من عباده .

اللّهم ! ارزقنا توبةً . و تب علينا . إنّك أنت التواب الرحيم .

وحديث الباب : ذكره الراوي مرفوعاً . ولم يذكر حديث عبد الله ، عن نفسه . وقد ذكر البخاري[2] (في صحيحه) ، والترمذي ، وغيرهما .

وهو قوله : « إنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَىٰ ذُنُوبَهُ : كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ ، يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ . وَالْفَاجِرُ[3] يَرَىٰ ذُنُوبَهُ : كَذُبَابٍ ، مَرَّ عَلَىٰ أَنْفِهِ ، فَقَالَ بِهِ - هٰكَذَا[4] - » .

معناه : يخاف المؤمن - لقوة إيمانه ، وشدة خوفه - فلا يأمن العقوبة : بسبب ذنوبه . والمؤمن : دائم الخوف ، والمراقبة . يستصغر عمله الصالح . ويخاف من صغير عمله .

والفاجر لا يبالي به ، لاعتقاده : عدم حصول كبير ضرر بسببه .

---

(١) مثل : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ : يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ » (٦٤) المائدة . ونحو : « وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ الله . وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ » (٣٠) التوبة . ومثل قول اليهود : « إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ » (١٨١) آل عمران . ونحو ذلك من أقوال المشركين . المحقق .

(٢) الصواب : « وقد ذكره البخاري » : بزيادة هاء الضمير ، بعد الفعل « ذكر » . أي : ذكر حديث عبد الله عن نفسه . أي : دون أن يرفعه إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كما رفع حديث الباب . المحقق .

(٣) في الفتح (١١/١٠٢) ، كتاب الدعوات ، باب (٤) ، حديث (٦٣٠٨) : « وَإِنَّ الْفَاجِرَ » بدل : « والفاجر » . المحقق .

(٤) زاد البخاري - في المصدر المتقدم - : قَالَ أَبُو شِهَابٍ بِيَدِهِ ، فَوْقَ أَنْفِهِ . ثم ذكر الحديث المرفوع ، وهو حديث الباب . ولكن دون أن يصرّح برفعه . المحقق .

والتعبير بالـذبـاب - لكونه أخفّ الطير ، وأحقره . ولأنه يُدفع بالأقل وبالأنف - : للمبالغة في اعتقاد خفة الذّنب ، عنده .

ودلّ التمثيل الأول : على غاية الخـوف ، والاحتـراز من الـذنوب .

والثاني : على نهاية قلة المبالاة والاحتفال بها .

بَابٌ فِي الصِّدْقِ بِالتَّوْبَةِ ، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا[1]

وقال النووي : (باب حديث توبة كعب بن مالك ، وصاحبيه) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم /النووي ، ص٨٧ - ٩٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ؛ قَالَ : ثُمَّ غَزَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ غَزْوَةَ تَبُوكَ . وَهُوَ يُرِيدُ : الرُّومَ ، وَنَصَارَى الْعَرَبِ : بِالشَّامِ .

قَالَ ابْنُ شِهَـابٍ : فَأَخْبَرَنِي « عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ » ؛ أَنَّ عَبْـدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ ، - كَانَ قَائِـدَ كَعْبٍ مِنْ بَنِيهِ ، حِينَ عَمِيَ - ؛ قَالَ : سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ ؛ يُحَدِّثُ حَدِيثَهُ - حِينَ تَخَلَّفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - قَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : لَمْ أَتَخَلَّفْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا ، قَطُّ . إِلَّا فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخَلَّفْتُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ . وَلَمْ يُعَاتِبْ أَحَداً ، تَخَلَّفَ عَنْهُ . إِنَّمَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَالْمُسْلِمُونَ - يُرِيدُونَ : عِيرَ قُرَيْشٍ - ، حَتَّىٰ جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّهِمْ : عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ .

---

(١) الآية (١١٨) من سورة التوبة . المحقق .

وَلَقَدْ شَهِدْتُ - مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم - لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَى الإِسْلَامِ . وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِهَا : مَشْهَدَ بَدْرٍ . وَإِنْ كَانَتْ بَدْرٌ أَذْكَرَ فِي النَّاسِ مِنْهَا .

وَكَانَ مِنْ خَبَرِي - حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ - أَنِّي لَمْ أَكُنْ - قَطُّ - أَقْوَىٰ ، وَلَا أَيْسَرَ ، مِنِّي ، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْهُ ، فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ . وَاللَّهِ ! مَا جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ ، قَطُّ : حَتَّىٰ جَمَعْتُهُمَا فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ .

فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي حَرٍّ شَدِيدٍ . وَاسْتَقْبَلَ : سَفَراً بَعِيداً ، وَمَفَازاً . وَاسْتَقْبَلَ : عَدُوًّا كَثِيراً ؛ فَجَلَا لِلْمُسْلِمِينَ : أَمْرَهُمْ ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ . فَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِمْ الَّذِي يُرِيدُ .

وَالْمُسْلِمُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : كَثِيرٌ . وَلَا يَجْمَعُهُمْ : كِتَابُ حَافِظٍ (يُرِيدُ بِذَلِكَ : الدِّيوَانَ) .

قَالَ كَعْبٌ : فَقَلَّ رَجُلٌ ، يُرِيدُ أَنْ يَتَغَيَّبَ : يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ سَيَخْفَىٰ لَهُ ، مَا لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ .

وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، تِلْكَ الْغَزْوَةَ ، حِينَ طَابَتِ الثِّمَارُ ، وَالظِّلَالُ . فَأَنَا إِلَيْهَا : أَصْعَرُ . فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ . وَطَفِقْتُ أَغْدُو ، لِكَيْ أَتَجَهَّزَ مَعَهُمْ ، فَأَرْجِعُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً . وَأَقُولُ - فِي نَفْسِي - : أَنَا قَادِرٌ عَلَىٰ ذَلِكَ ، إِذَا أَرَدْتُ . فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَىٰ بِي ، حَتَّى اسْتَمَرَّ بِالنَّاسِ : الْجِدُّ . فَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، غَادِياً - وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ - . وَلَمْ أَقْضِ مِنْ جَهَازِي : شَيْئاً . ثُمَّ غَدَوْتُ ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ شَيْئاً .

فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمَادَىٰ بِي ، حَتَّىٰ أَسْرَعُوا ، وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ . فَهَمَمْتُ : أَنْ أَرْتَحِـلَ ، فَأُدْرِكَهُمْ . - فَيَالَيْتَنِي فَعَلْتُ - . ثُمَّ لَمْ يُقَـدَّرْ ذَلِكَ : لِي . فَطَفِقْتُ ، إِذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ - بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم - : يَحْـزُنُنِي أَنِّي لاَ أَرَىٰ لِي أُسْـوَةً ، إِلَّا رَجُلاً مَغْمُوصاً عَلَيْهِ : فِي النِّفَاقِ ، أَوْ رَجُلاً مِمَّنْ عَذَرَ اللَّهُ : مِنَ الضُّعَفَاءِ . وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكاً . فَقَالَ - وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْقَوْمِ ، بِتَبُوكَ - : « مَافَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ ؟ » . قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! حَبَسَهُ : بُرْدَاهُ ، وَالنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ . فَقَالَ لَهُ « مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ » : بِئْسَ مَا قُلْتَ . وَاللَّهِ ! يَارَسُولَ اللَّهِ ! مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ : إِلَّا خَيْراً . فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَبَيْنَـا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ : رَأَىٰ رَجُلاً مُبَيِّضاً ، يَزُولُ بِهِ : السَّرَابُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ » . فَإِذَا هُوَ « أَبُو خَيْثَمَةَ الْأَنْصَارِيُّ » . وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ - حِينَ لَمَزَهُ الْمُنَافِقُونَ - .

فَقَالَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ : فَلَمَّا بَلَغَنِي : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلاً مِنْ تَبُوكَ : حَضَرَنِي بَثِّي . فَطَفِقْتُ أَتَذَكَّرُ الْكَذِبَ ، وَأَقُولُ : بِمَ أَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ ، غَداً ؟

وَأَسْتَعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ : كُلَّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أَهْلِي .

فَلَمَّا قِيلَ لِي : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قَدْ أَظَلَّ قَادِماً : زَاحَ عَنِّي الْبَاطِلُ ، حَتَّىٰ عَرَفْتُ : أَنِّي لَنْ أَنْجُوَ مِنْهُ بِشَيْءٍ أَبَداً . فَأَجْمَعْتُ صِدْقَهُ . وَصَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ، قَادِماً .

وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ : بَدَأَ بِالْمَسْجِدِ ، فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ .

فَلَمَّـا فَعَلَ ذَلِكَ : جَاءَهُ الْمُخَلَّفُونَ ، فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ ، وَيَحْلِفُونَ لَهُ - وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلاً - ؛ فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : عَلاَنِيَتَهُمْ ، وَبَايَعَهُمْ ، وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ . ووَكَلَ سَرَائِرَهُمْ : إِلَى اللَّهِ . حَتَّىٰ جِئْتُ ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ : تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ الْمُغْضَبِ ، ثُمَّ قَالَ : « تَعَالَ » . فَجِئْتُ أَمْشِي ، حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ . فَقَالَ لِي : « مَا خَلَّفَكَ ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ ؟ » . قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! إِنِّي ، وَاللَّهِ ! لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ ، مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا : لَرَأَيْتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ : بِعُذْرٍ . وَلَقَدْ أُعْـطِيتُ جَدَلاً . وَلَـٰكِنِّي ، وَاللَّهِ ! لَقَـدْ عَلِمْتُ ، لَئِنْ حَدَّثْتُـكَ - الْيَوْمَ - حَدِيثَ كَذِبٍ ، تَرْضَىٰ بِهِ عَنِّي : لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ ، أَنْ يُسْخِطَكَ عَلَيَّ .

وَلَئِنْ حَدَّثْتُـكَ حَدِيثَ صِدْقٍ ، تَجِـدُ عَلَيَّ فِيهِ : إِنِّي لأَرْجُوفِيهِ عُقْبَى اللَّهِ . وَاللَّهِ ! مَا كَانَ لِي عُذْرٌ . وَاللَّهِ ! مَاكُنْتُ قَطُّ ، أَقْـوَىٰ ، وَلاَ أَيْسَرَ : مِنِّي ، حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ .

قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَمَّا هَـٰذَا ، فَقَدْ صَدَقَ . فَقُمْ ، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللَّهُ فِيكَ » .

فَقُمْتُ . وَثَـارَ رِجَـالٌ - مِنْ بَنِي سَلِمَـةَ - ، فَاتَّبَعُـونِي ، فَقَالُوا لِي : وَاللَّهِ ! مَا عَلِمْنَـاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبـاً ، قَبْلَ هَـٰذَا . لَقَدْ عَجَزْتَ فِي أَنْ لاَ تَكُونَ اعْتَـذَرْتَ إِلَىٰ رَسُـولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بِمَـا اعْتَـذَرَ بِهِ إِلَيْهِ الْمُخَلَّفُونَ . فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ : اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، لَكَ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ ! مَا زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي ، حَتَّىٰ أَرَدْتُ : أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَأُكَذِّبَ نَفْسِي .

قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ : هَلْ لَقِيَ هَـٰذَا مَعِي ، مِنْ أَحَدٍ ؟ قَالُوا : نَعَمْ . لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلَانِ ، قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ ، فَقِيلَ لَهُمَا : مِثْلُ مَا قِيلَ لَكَ . قَالَ : قُلْتُ : مَنْ هُمَا ؟

قَالُـوا : مُرَارَةُ بْنُ رَبِيعَـةَ الْعَـامِرِيُّ ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ الْوَاقِفِيُّ . قَالَ : فَذَكَـرُوا لِي رَجُلَيْنِ ، صَالِحَيْنِ ، قَدْ شَهِـدَا بَدْراً ، فِيهِمَـا أُسْـوَةٌ . قَالَ : فَمَضَيْتُ ، حِينَ ذَكَرُوهُمَا لِي .

قَالَ : وَنَهَىٰ رَسُـــولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : الْمُسْلِمِينَ ، عَنْ كَلَامِنَا - أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ - مِنْ بَيْنِ مَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ .

قَالَ : فَاجْتَنَبَنَا النَّاسُ . وَقَالَ : تَغَيَّرُوا لَنَا ، حَتَّىٰ تَنَكَّرَتْ لِي - فِي نَفْسِيَ - الْأَرْضُ ؛ فَمَا هِيَ بِالْأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ . فَلَبِثْنَا عَلَىٰ ذَلِكَ : خَمْسِينَ لَيْلَةً .

فَأَمَّا صَاحِبَايَ . فَاسْتَكَانَا ، وَقَعَدَا فِي بُيُوتِهِمَا ، يَبْكِيَانِ .

وَأَمَّـا أَنَـا ، فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوْمِ ، وَأَجْلَدَهُمْ . فَكُنْتُ أَخْرُجُ ، فَأَشْهَدُ الصَّلَاةَ ، وَأَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَلَا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ . وَآتِي رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ - وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ - بَعْدَ الصَّلَاةِ ، فَأَقُولُ فِي نَفْسِي : هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلَامِ ، أَمْ لَا ؟

ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيباً مِنْهُ ، وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ . فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلَاتِي : نَظَرَ إِلَيَّ . وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْـوَهُ : أَعْـرَضَ عَنِّي . حَتَّىٰ إِذَا طَالَ ذَلِكَ عَلَيَّ ؛ مِنْ جَفْوَةِ الْمُسْلِمِينَ : مَشَيْتُ ، حَتَّىٰ تَسَـوَّرْتُ جِدَارَ حَائِطِ « أَبِي قَتَادَةَ » ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي ، وَأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ . فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، فَوَاللَّهِ ! مَارَدَّ عَلَيَّ السَّلَامَ .

فَقُلْتُ لَهُ : يَاأَبَا قَتَادَةَ ! أَنْشُدُكَ بِاللّهِ ! هَلْ تَعْلَمَنَّ : أَنِّي أُحِبُّ اللّهَ ، وَرَسُولَهُ ؟

قَالَ : فَسَكَتَ . فَعُدْتُ : فَنَاشَدْتُهُ ؛ فَسَكَتَ . فَعُدْتُ : فَنَاشَدْتُهُ ؛ فَقَالَ : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

فَفَاضَتْ عَيْنَايَ ، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ الْجِدَارَ .

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي – فِي سُوقِ الْمَدِينَةِ – إِذَا نَبَطِيٌّ مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ ، مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالْمَدِينَةِ ، يَقُولُ : مَنْ يَدُلُّ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ؟ قَالَ : فَطَفِقَ النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ ، إِلَيَّ . حَتَّىٰ جَاءَنِي ، فَدَفَعَ إِلَيَّ : كِتَاباً ، مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ – وَكُنْتُ كَاتِباً – فَقَرَأْتُهُ ، فَإِذَا فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا : أَنَّ صَاحِبَكَ ، قَدْ جَفَاكَ . وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللّهُ : بِدَارِ هَوَانٍ ، وَلاَ مَضْيَعَةٍ .

فَالْحَقْ بِنَا : نُوَاسِكَ .

قَالَ : فَقُلْتُ – حِينَ قَرَأْتُهَا – : وَهَـٰذِهِ ، أَيْضاً ، مِنَ الْبَلاَءِ . فَتَيَامَمْتُ بِهَا التَّنُّورَ ، فَسَجَرْتُهَا بِهَا .

حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الْخَمْسِينَ ، وَاسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ : إِذَا رَسُولُ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَأْتِينِي ، فَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَأْمُرُكَ : أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ . قَالَ : فَقُلْتُ : أُطَلِّقُهَا ؟ أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ ؟ قَالَ : لاَ . بَلِ اعْتَزِلْهَا ، فَلاَ تَقْرَبَنَّهَا .

قَالَ : فَأَرْسَلَ إِلَىٰ صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذَٰلِكَ . قَالَ : فَقُلْتُ لاِمْرَأَتِي : الْحَقِي بِأَهْلِكِ ، فَكُونِي عِنْدَهُمْ ، حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللّهُ ، فِي هَذَا الأَمْرِ .

قَالَ : فَجَاءَتِ امْـرَأَةُ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ : رَسُـولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالَتْ لَهُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ هِلاَلَ بْنَ أُمَيَّةَ ، شَيْخٌ ضَائِعٌ ، لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ . فَهَلْ تَكْرَهُ : أَنْ أَخْدُمَهُ ؟ قَالَ : « لاَ . وَلَـٰكِنْ لاَ يَقْرَبَنَّكِ » .

فَقَالَتْ : إِنَّهُ ، وَاللَّهِ ! مَا بِهِ حَرَكَةٌ إِلَىٰ شَيْءٍ . وَوَاللَّهِ ! مَازَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، إِلَىٰ يَوْمِهِ هَـٰذَا .

قَالَ : فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي : لَو اسْتَأْذَنْتَ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي امْرَأَتِكَ ؟ فَقَدْ أَذِنَ لاِمْرَأَةِ هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ : أَنْ تَخْدُمَهُ . قَالَ : فَقُلْتُ : لاَ أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

وَمَا يُدْرِينِي : مَاذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ فِيهَـا ، وَأَنَـا رَجُلٌ شَابٌّ ؟ قَـالَ : فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ : عَشْرَ لَيَـالٍ ، فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً ، مِنْ حِينِ نُهِيَ عَنْ كَلاَمِنَا .

قَالَ : ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلاَةَ الْفَجْـرِ - صَبَـاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً - . عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ ، مِنْ بُيُوتِنَا .

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ ، عَلَى الْحَالِ ، الَّتِي ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَّا ؛ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي ، وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ : سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ ، أَوْفَىٰ عَلَىٰ « سَلْعٍ » ، يَقُولُ - بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ - : يَاكَعْبُ بْنَ مَالِكٍ ! أَبْشِرْ . قَالَ : فَخَرَرْتُ سَاجِداً ، وَعَرَفْتُ : أَنْ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ .

قَالَ : فَآذَنَ رَسُـولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، النَّاسَ : بِتَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْنَا - حِينَ صَلَّىٰ صَلاَةَ الْفَجْرِ - ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا ؛

فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ : مُبَشِّرُونَ . وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ : فَرَساً . وَسَعَىٰ سَاعٍ ، مِنْ أَسْلَمَ : قِبَلِي ، وَأَوْفَى الْجَبَلَ ، فَكَانَ الصَّوْتُ : أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ .

فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي : فَنَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ ، فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ : بِبِشَارَتِهِ .

وَاللّهِ ! مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ . وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ ، فَلَبِسْتُهُمَا . فَانْطَلَقْتُ ، أَتَأَمَّمُ : رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَتَلَقَّانِي النَّاسُ : فَوْجاً فَوْجاً ، يُهَنِّئُونَنِي بِالتَّوْبَةِ ، وَيَقُولُونَ : لِتَهْنِئْكَ تَوْبَةُ اللّهِ عَلَيْكَ . حَتَّىٰ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَإِذَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ ، وَحَوْلَهُ النَّاسُ ، فَقَامَ « طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللّهِ » ، يُهَرْوِلُ ، حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي . وَاللّهِ ! مَا قَامَ رَجُلٌ - مِنَ الْمُهَاجِرِينَ - غَيْرُهُ .

قَالَ : فَكَانَ كَعْبٌ ، لَايَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ .

قَالَ كَعْبٌ : فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ - وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ ، مِنَ السُّرُورِ - وَيَقُولُ : « أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ ، مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ » .

قَالَ : فَقُلْتُ : أَمِنْ عِنْدِكَ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! أَمْ مِنْ عِنْدِ اللّهِ ؟

فَقَالَ : « لَا . بَلْ مِنْ عِنْدِ اللّهِ » .

وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ إِذَا سُرَّ : اسْتَنَارَ وَجْهُهُ ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ .

قَالَ : وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ .

قَالَ : فَلَمَّا جَلَسْتُ - بَيْنَ يَدَيْهِ - قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي : أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي ، صَدَقَــةً إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَىٰ رَسُـولِـهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » .

قَالَ : فَقُلْتُ : فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ .

قَالَ : وَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهَ ! إِنَّ اللَّهَ ، إِنَّمَا أَنْجَانِي بِالصِّدْقِ . وَإِنَّ مِنْ تَوْبَتِي : أَنْ لَا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقاً ، مَا بَقِيتُ .

قَالَ : فَوَاللَّهِ ! مَا عَلِمْتُ أَنَّ أَحداً ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ : أَبْلَاهُ اللَّهُ ، فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ - مُنْذُ ذَكَرْتُ ذَٰلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، إِلَىٰ يَوْمِي هَـٰذَا - : أَحْسَنَ مِمَّا أَبْلَانِي اللَّهُ بِهِ . وَاللَّهِ ! مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً ، مُنْذُ قُلْتُ ذَٰلِكَ : لِرَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، إِلَىٰ يَوْمِي هَـٰذَا . وَإِنِّي لَأَرْجُو : أَنْ يَحْفَظَنِي اللَّهُ ، فِيمَا بَقِيَ .

قَالَ : فَأَنْــزَلَ الـلَّهُ ، عَزَّ وَجَــلَّ : « لَقَــد تَّابَ الـلَّهُ عَلَى الـنَّبِيِّ ، وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَالأَنْصَارِ ، الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ ، مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ . ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّـهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَـٰثَـةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ، وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ » [٩/ التوبة / ١١٧ ، ١١٨] .

حَتَّىٰ بَلَغَ : « يٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » [٩/ التوبة / ١١٩] .

قَالَ كَعْبٌ : وَاللَّهِ ! مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ ، مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ - بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ ، لِلْإِسْلَامِ - : أَعْظَمَ فِي نَفْسِي : مِنْ صِدْقِي رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم . أَنْ لَا أَكُونَ كَذَبْتُهُ : فَأَهْلِكَ ، كَمَا هَلَكَ الَّذِينَ كَذَبُوا . إِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلَّذِينَ كَذَبُوا - حِينَ أَنْزَلَ الْوَحْيَ - ، شَرَّ مَا قَالَ لِأَحَدٍ . وَقَالَ اللَّهُ : « سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ ، فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ، وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ » . [٩/التوبة ٩٥ ، ٩٦] .

قَالَ كَعْبٌ : كُنَّا خُلِّفْنَا - أَيُّهَا الثَّلَاثَةُ - عَنْ أَمْرِ أُولَئِكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ - حِينَ حَلَفُوا لَهُ - ، فَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ . وَأَرْجَأَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : أَمْرَنَا ، حَتَّىٰ قَضَى اللَّهُ فِيهِ . فَبِذَٰلِكَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » . وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ مِمَّا خُلِّفْنَا : تَخَلُّفَنَا عَنِ الْغَزْوِ . وَإِنَّمَا هُوَ تَخْلِيفُهُ إِيَّانَا ، وَإِرْجَاؤُهُ أَمْرَنَا ، عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ : فَقَبِلَ مِنْهُ ») .

(الشَّرح)

(عن ابن شهاب ، قال : ثمّ غزا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ غزوة تبوك وهو يريد : الروم ، ونصارى العرب : بالشام . قال ابن شهاب : وأخبرني[1] « عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك » ؛ أنّ

(١) في مصدر الحديث : « فأخبرني » بالفاء بدل الواو . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده بالفاء في بعض النسخ . المحقق .

عبد الله بن كعب - وكان[1] قائد كعب من بنيه ، حين عمي - ؛ قال : سمعت كعب بن مالك ؛ يحدّث حديثه - حين تخلّف عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في غزوة تبوك - قال كعب بن مالك : لم أتخلّف عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في غزوة غزاها قط ، إلا في غزوة تبوك . غير أني قد تخلفت في غزوة بدر ، ولم يعاتب أحداً تخلف عنه . إنما خرج رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، والمسلمون ، يريدون : عير قريش ، حتى جمع الله بينهم وبين عدوّهم ، على غير ميعاد . ولقد شهدت مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : ليلة العقبة ، حين تواثقنا على الإسلام) أي : تبايعْنا عليه ، وتعاهدنا .

« وليلة العقبة » : هي الليلة التي بايع رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، الأنصار فيها : على الإسلام ، وأن يؤووه وينصروه . وهي العقبة ، التي في طرف منى ، التي يضاف إليها : « جمرة العقبة » .

وكانت « بيعة العقبة » مرتين ، في سنتين ؛

في السنة الأولى : كانوا اثني عشر .

وفي الثانية : سبعين . كلهم من الأنصار . رضي الله عنهم .

(وما أحبُّ أنّ لي بها : مشهد بدر . وإن كانت بدر أذكر[2] في الناس منها) أي : أشهر عند الناس بالفضيلة .

(١) في مصدر الحديث : « كان » بدون واو . وفي رواية البخاري : « وكان » كما في الأصل . وهو الأشبه . المحقق .

(٢) (أذكر) . أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد في بعض النسخ : « لأذكر » . بزيادة اللام في أوله . المحقق .

(وكان من خبري - حين تخلّفت عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم في غزوة تبوك - أني لم[1] أكن قط : أقوى ولا أيسر مني ، حين تخلّفت عنه ، في تلك الغزوة . والله ! ما جمعت قبلها راحلتين قط ، حتى جمعتهما في تلك الغزوة . فغزاها رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في حرّ شديد . واستقبل : سفراً بعيداً ومفازاً) أي : برية طويلة قليلة الماء ، يخاف فيها الهلاك . ويقال لها : « مفازة »[2] أيضاً .

قيل : إنه من قولهم : « فَوّز الرجل » إذا هلك[3] .

وقيل : على سبيل التفاؤل : بفوزه ، ونجاته[4] منها .

(واستقبل : عدوّاً كثيراً ، فجلا للمسلمين أمرهم) .

هو[5] بتخفيف اللام . أي : كشفه ، وبيّنه ، وأوضحه ، وعرّفهم ذلك على وجهه ، من غير تورية . يقال : « جلَوْت الشيء »[6] : كشفته .

(ليتأهبوا أهبة غزوهم) .

« الأهبة » : بضم الهمز ، وإسكان الهاء . أي : ليستعدّوا بما يحتاجون إليه ، في سفرهم ذلك .

(فأخبرهم : بوجههم ، الذي يريد) . أي : بمقصدهم .

(والمسلمون مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : كثير . ولا يجمعهم : كتاب حافظ . يريد بذلك : الديوان) بكسر الدال ، على المشهور . وحكي فتحها .

(١) (أنّي لم) . في الأصل : « أني الم » . وهو خطأ في النسخ . المحقق .
(٢) أي : يقال لها : « مفازاً » و « مفازة » . كلاهما سواء . المحقق .
(٣) وفي المعجم الوسيط : « فوّز الرجل » : دخل المفازة . ورحل . وهلك . المحقق .
(٤) وفي القاموس المحيط : « الفوز » : النجاة ، والظفر بالخير . والهلاك (ضد) . المحقق .
(٥) (هو) أي لفظ « جلا » . المحقق .
(٦) (الشيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

وهو فارسي معرّب . وقيل : عربي .

(قال كعب : فقلّ رجل يريد أن يتغيب : يظنّ أن ذلك سيخفىٰ له ، مالم ينزل فيه : وحي من الله عزوجل) .

قال عياض : هكذا هو في جميع نسخ مسلم . وصوابه : « إلاّ يظنّ أنّ ذلك سيخفىٰ له » بزيادة « إلاّ » ، وكذا رواه البخاري[1] .

(وغزا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، تلك الغزوة ، حين طابت الثمار والظلال . فأنا[2] إليها : أصعر) أي : أُمْيَل .

(فتجهّز رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، والمسلمون معه . وطفقتُ أغدو ، لكي أتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض شيئاً . وأقول - في نفسي - أنا قادر على ذلك ، إذا أردت . فلم يزل ذلك يتمادى بي ، حتى استمرّ بالناس : الجدّ) بكسر الجيم .

(فأصبح رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، غادياً ، والمسلمون معه . ولم أقض من جِهازي : شيئاً) بفتح الجيم ، وكسرها[3] أي : أهبة سفري .

(ثم غدوت ، فرجعت ولم أقض شيئاً . فلم يزل ذلك يتمادى بي ، حتى أسرعوا ، وتفارط الغزو) أي : تقدّم الغزاة ، وسبقوا ، وفاتوا .

(فهممت : أن أرتحل فأدركهم ، فياليتني[4] فعلت . ثم لم يقدّر ذلك

---

(١) أفاده النووي . في (١٧/٨٨) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد في بعض النسخ : « وأنا » بالواو بدل الفاء . المحقق .

(٣) أي كلمة « جهازي » . فيها لغتان : فتح الجيم ، وكسرها . المحقق .

(٤) (فياليتني) . أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده ، في بعض النسخ : « فليتني » بدل : « فياليتني » . المحقق .

لي . فطفقتُ إذا خرجت في النـاس - بعد خروج رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ـ : يحزنني أني لا أرى لي أسوة ، إلاّ رجلاً مغموصاً عليه : في النفاق). أي : متّهماً به . وهو بالغين المعجمة ، والصاد المهملة .

(أو رجلاً ممن عذر الله ، عز وجل[1] : من الضعفاء . ولم يذكرني[2] حتى بلغ تبوكاً) هكذا هو في أكثر النسخ : بالنصب[3] . وكذا هو في نسخ البخاري . وكأنه صرفها : لإرادة الموضع ، دون البقعة[4] .

(فقـال - وهـو جالس في القـوم ، بتبـوك - : « ما فعـل كعب بن مالك ؟ » قال رجل من بني سَلِمة : يارسول الله ! حبسه : برداه ، والنظر في عطفيه) أي : جانبيه . وهو إشارة إلى إعجابه : بنفسه ، ولباسه .

(فقال له « معاذ بن جبل » : بئس ما قلت) . هذا : دليل لردّ غيبة المسلم ، الـذي ليس بمنهمـك في الباطل . وهو من مهمات الآداب ، وحقوق الإسلام .

(والله ! يارسول الله ! ما علمنا عليه إلا خيراً . فسكت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . فبينا هو على ذلك : إذ رأى[5] رجلاً مبيضاً ، يزول به السراب) .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « عزوجل » . المحقق .

(٢) (ولم يذكرني) . في مصدر الحديث : بزيادة : « رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٣) (بالنصب) أي منوّناً . على أنه مصروف . المحقق .

(٤) أي : إذا أريد بلفظ « تبوك » ، إذا أريد به « البقعة » : منع من الصرف « أي من التنوين » ، لأنه يكون - حينئذ - علماً مؤنثاً .
أما إذا أريد به « الموضع » فإنه يصرف (أي ينوّن) . لأن لفظ « الموضع » مذكّر . المحقق .

(٥) (إذ رأى) : في مصدر الحديث : « رأى » بدون « إذ » . المحقق .

« المبيض » بكسر الياء : هو لابس البياض . ويقال : « هم المبيِّضة والمسوِّدة » بالكسر فيهما . أي : لابسو البياض والسواد .

ومعنى « يزول » : يتحرك ، وينهض . « والسراب » : هو ما يظهر للإنسان في الهواجر ، في البراري . كأنه ماء .

(فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : « كن أبا خيثمة ») .

قيل معناه : أنت « أبو خيثمة » . قال ثعلب : العرب تقول : « كن زيداً » . أي : أنت زيد . قال عياض : والأشبه عندي : أن « كن » هنا : للتحقق ، والوجود . أي : لتوجد ياهذا الشخص ! أبا خيثمة حقيقة . قال النووي : وهذا الذي قاله القاضي ، هو الصواب .

وهو معنى قول صاحب التحرير : تقديره : اللهم ! اجعله أبا خيثمة .

(فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري) اسمه : عبد الله بن خيثمة .

وقيل : مالك بن قيس .

قال بعض الحفاظ : وليس في الصحابة من يكنى « أبا خيثمة » ، إلا اثنان ؛ أحدهما : هذا . والثاني : عبد الرحمن بن سبرة ، الجعفي[1] .

(وهو الذي تصدّق بصاع التمر ، حين لمزه المنافقون) أي : عابوه ، واحتقروه .

(فقال كعب بن مالك : فلما بلغني : أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قد توجّه قافلاً) أي : راجعاً (من تبوك : حضرني بثّي) أي : أشدّ الحزن .

---

(١) قاله النووي ، في (١٧/٩٠) . المصدر المتقدم . المحقق .

(فطفقت أتذكّر الكذب ، وأقول : بما[1] أخرج من سخطته[2] غداً ؟ وأستعين على ذلـك : كل ذي رأي من أهلي . فلما قيل لي : إن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قد أظلّ قادماً : زاح[3] عني الباطل) . أي : أقبل ، ودنا قدومه[4] . كأنه ألقى عليّ ظله .

« وزاح » بمعنى : زال .

(حتى عرفت : أني لن أنجـو منه بشيء[5] أبداً . فأجمعتُ صدقه) أي : عزمت عليه . يقال : « أجمع أمره ، وعلى أمره . وعزم عليه » : بمعنى .

(وصبحّ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قادماً . وكان إذا قدم من سفر : بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس . فلما فعل ذلك : جاءه المخلَّفون ، فطفقوا يعتذرون إليه ، ويحلفون له . وكانوا بضعـة وثمـانين رجـلًا ، فقبـل منهم رسـول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : علانيتهم ، وبـايعهم ، واستغفـر لهم . ووكـل سرائرهم : إلى الله . حتى جئت . فلما سلّمت ، تبسم تبسُّم المغضَب) بفتح الضاد . أي : الغضبـان (ثم قال : « تعال » . فجئت أمشي ، حتى جلست بين يديه . فقال لي : « ما خلّفك ؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » قال : قلت :

---

(١) (بما) في مصدر الحديث : « بم » بدون ألف ، بعد الميم . المحقق .

(٢) (سخطته) . في مصدر الحديث : « سخطه » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - مايفيد أنه ورد في بعض النسخ : « سخطه » . المحقق .

(٣) (زاح) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد في بعض النسخ : « راح » بالراء بدل الزاي . المحقق .

(٤) (أي : أقبل ، ودنا قدومه) : تفسير لقوله : « أظلّ قادماً) . المحقق .

(٥) (بشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

يارسول الله ! إني ، والله ! لو جلستُ عند غيرك ، من أهل الدنيا : لرأيت أني سأخرج من سخطه : بعذر . لقد أُعطيتُ جدلاً) أي : فصاحة ، وقوة في الكلام ، وبراعة . بحيث أخرج عن عهدة ما ينسب إليّ ، إذا أردت .

(ولكني ، والله ! لقد علمت : لئن حدثتك اليوم حديث كذب ، يرضى[1] به عني ، ليوشكنّ الله أن يسخطك عليّ) بكسر الشين[2] . أي : ليسرعنّ .

(ولئن حدّثتك حديث صدق ، تجد عليّ فيه) بكسر الجيم ، وتخفيف الدال . أي : تغضب .

(إني لأرجو فيه : عقبى الله) أي : أن يعقبني خيراً ، وأن يثيبني عليه .

(والله ! ما كان لي عذر . والله ! ما كنتُ قطّ أقوى ولا أيسر منى : حين تخلفت عنك . قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « أما هذا ، فقد صدق . فقم ، حتى يقضي الله فيك » . فقمت . وثار رجال من بني سلمة ، فاتّبعوني ، فقالوا لي : والله ! ما علمناك أذنبت ذنباً قبل هذا ، لقد عجزت في أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بما اعتذر[3] إليه المخلفون . فقد كان كافيك ذنبك استغفارُ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، لك . قال : فوالله ! مازالوا يؤنبونني[4]) بهمز بعد الياء ، ثم نون ، موحدة . أي : يلومونني أشدّ اللوم

---

(١) في مصدر الحديث : « ترضى » بتاء الخطاب . وهو الصواب . المحقق .
(٢) (بكسر الشين) أي : كلمة : « ليوشكن » . المحقق .
(٣) في مصدر الحديث : « بما اعتذر به » بزيادة : « به » . المحقق .
(٤) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ، في بعض النسخ : « يؤنّبوني » ، بنون واحدة . المحقق .

(حتى أردت : أن أرجع[1] إلى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ فأكـذب نفسي . قال : ثم قلت لهم : هل لقي هذا معي ، من أحـد ؟ قالوا : نعم . لقيه معك رجلان ، قالا : مثل ما قلت . وقيل[2] لهما : مثل ما قيل لك . قال : قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن ربيعة) كذا وقع في « نسخ مسلم » . وكذا نقله عياض عن نسخه .

ووقع في البخاري : « ابن الربيع »[3] . قال ابن عبد البر : يقال « بالوجهين » .

« ومرارة » بضم الميم ، وتخفيف الراء المكررة (العامري) ، هكذا هو في جميع نسخ مسلم .

وأنكـره العلماء ، وقالوا : هو غلط . إنما صوابه : « العمري » بفتح العين ، وإسكـان الميم[4] من « بني عمـرو بن عوف » . وكـذا ذكـره البخاري . وكذا نسبه محمد بن إسحاق[5] ، وابن عبد البر ، وغيرهما من الأئمة .

قال عياض : هو الصواب . وإن كان القابسي قد قال : لا أعرفه إلا « العامري » . فالذي غيره[6] الجمهـور أصـح .

(وهـلال بن أمية الـواقفي) . وهـو بقـاف ، ثم فاء : منسـوب إلى

(١) أشار المؤلف ، إلى أنه في بعض النسخ : « أردت أرجع » بدون : « أن » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « فقيل » بالفاء ، بدل الواو . المحقق .

(٣) في رواية البخاري : « ابن الرَّبيع العَمْرِيّ . وهي في (الفتح ١١٣/٨) : كتاب المغازي ، باب (٧٩) ، حديث (٤٤١٨) . المحقق .

(٤) وهكذا هو في رواية البخاري ، كما ذكرنا . المحقق .

(٥) (إسحاق) . في الأصل : « إسحق » . المحقق .

(٦) هكذا في الأصل : « فالذي غيره . . » . كما هو في النووي (٩٢/١٧) كذلك . ويبدو لي أن الصواب : « فالذي ذكره » . المحقق .

« واقف » بطن من الأنصار . وهو « هلال بن أمية بن عامر بن قيس بن عبد الأعلى بن عامر بن كعب بن واقف» . واسم واقف : «مالك بن امرئ القيس ابن مالك بن الأوس الأنصاري » .

(قال : فذكروا لي رجلين ، صالحين قد شهدا بدراً ، فيهما أسوة . قال فمضيتُ حين ذكروهما لي . قال : ونهىٰ رسولُ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : المسلمين ، عن كلامنا - أيها الثلاثة -)[1] .

قال عياض : هو[2] بالرفع . وموضعه : نصب على الاختصاص . قال سيبويه - نقلاً عن العرب - : اللَّهم ! اغفر لنا ، أيتها العصابة . وبذا[3] مثله .

وفي هذا[4] : هجران أهل البدع ، والمعاصي .

(من بين من تخلف عنه . قال : فاجتنبنا الناس . وقال : تغيّروا لنا ، حتى تنكرتْ لي _ في نفسي _ الأرض ، فما هي بالأرض التي أعرف) .

معناه : تغيّر عليّ كل شيء[5] حتى الأرض ؛ فإنها توحّشتْ عليّ ، وصارت كأنها أرض لم أعرفها : لتوحّشها عليّ .

(فلبثنا على ذلك : خمسين ليلة . فأما صاحباي ، فاستكانا) . أي : خضعا (وقعدا في بيوتهما : يبكيان . وأما أنا ، فكنت : أشبَّ القوم ، وأجلدهم) . أي : أصغرهم سنّاً ، وأقواهم .

(١) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .
(٢) (هو).أي:لفظ : «أيها » مرفوع لفظا ، منصوب محلّا (على الاختصاص) ، كما ذكر . المحقق .
(٣) (وبذا) هكذا في الأصل . والصواب : « وهذا » ، تصحيحا من المصدر المتقدم . المحقق .
(٤) (وفي هذا) : أي وفي هذا المذكور : دليل على . . . إلخ . المحقق .
(٥) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(فكنت أخرج ، فأشهد الصلاة[1] ، وأطوف في الأسواق : ولا يكلّمني أحد . وآتي رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ فأسلم عليه - وهو في مجلسه - بعد الصلاة فأقول - في نفسي - : هل حرّك شفتيه بردّ السلام ، أم لا ؟ ثم أصلي قريباً منه ، وأسارقه النظر . فإذا أقبلتُ على صلاتي : نظر إليّ . وإذا التفتّ نحوه : أعرض عني . حتى إذا طال عليّ ذلك[2] ، من جفوة المسلمين : مشيت ، حتى تسورتُ جدار حائط أبي قتادة) أي : علوته ، وصعدت سوره . وهو أعلاه .

وفيه : دليل لجواز دخول الإنسان : بستان صديقه ، وقريبه : الذي يَدلّ عليه ، ويعرف أنه لا يكره له ذلك : بغير إذنه . بشرط أن يعلم : أنه ليس له هناك زوجة مكشوفة ، ونحو ذلك .

(وهو ابن عمي وأحبّ الناس إليّ ، فسلمت عليه . فوالله ! ماردّ عليّ السلام) : لعموم النّهي عن كلامهم .

وفيه : أنه لا يسلّم على المبتدعة ، ونحوهم .

وفيه : أن السلام كلام . وأن من حلف « لا يكلم إنساناً » ، فسلم عليه ، أو ردّ السلام عليه : حنث .

(فقلت له : ياأبا قتادة ! أنشدتك بالله)[3] : بفتح الهمزة ، وضم الشين . أي أسألك الله[4] . وهو من النشيد : وهو الصوت .

---

(١) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٢) (حتى إذا طال عليّ ذلك) . هكذا في الأصل ، وهكذا في رواية البخاري ، السالفة الذكر . أما في صحيح مسلم : فبتقديم : (ذلك) على « عليّ » : كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٣) (أنشدتك) هكذا في الأصل . وهي في مصدر الحديث ، وفي رواية البخاري : « أنشدك » . والمؤلف نفسه ، قال : بفتح الهمزة ، وضم الشين . وهذا لا يستقيم إلا على : « أنشدك » . لا « أنشدتك » كما ذكر . على أنه ذكر - في الهامش - ما يفيد أنه ورد في بعض النسخ : « أنشدك » . المحقق .

(٤) (أسألك الله) هكذا ، كما في النووي ، (٩٢/١٧) . وهو جائز . ولو قال : « بالله » لكان أوضح . المحقق .

(هل تعلمنّ : أني[1] أحب الله ورسوله ؟ قال : فسكتَ . فعُدت[2] فناشدته ، فسكت . فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم) .

قال عياض : لعل أبا قتادة ، لم يقصد بهذا : تكليمه . لأنه منهيّ عن كلامه . وإنما قال ذلك لنفسه ، لما ناشده الله ؛ فقال أبو قتادة : مظهراً لاعتقاده ، لا ليسمعه .

ولو حلف رجل : « لا يكلم رجلاً » ، فسأله عن شيء[3] ، فقال : « الله أعلم » يريد إسماعه وجوابه : حنث . انتهى[4] .

ولو قال لنفسه . وسمعه السائل : لم يكن يحنث ، إن شاء الله تعالى .

(ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار . فبينا أنا أمشي في سوق المدينة : إذا نبطيّ من نبط أهل الشام) .

يقال : « النّبَط ، والأنباط ، والنّبِيط » وهم فلاحو العجم (ممن قدم بالطعام ، يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدلّ على كعب بن مالك ؟ قال : فطفق الناس يشيرون له إليّ ، حتى جاءني ، فدفع إليّ كتاباً من ملك غسّان - وكنتُ كاتباً - فقرأته ، فإذا فيه : أما بعد ! فإنه قد بلغنا : أن صاحبك قد جفاك . ولم يجعلك الله : بدار هوان ، ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك) .

« المضيعة » فيها لغتان ؛ إحداهما : كسر الضاد ، وإسكان الياء .

---

(١) (هل تعلمنّ أني) . في رواية البخاري : « هل تعلمنّي » مكانه . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده في بعض النسخ كذلك . وفي بعضها : « هل تعلم » . المحقق .

(٢) (فعُدت) . في الأصل : « فعَدت » بضبط العين مفتوحة . وهو خطأ . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (انتهى) أي : كلام عياض ، وقد حكاه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

والثانية : إسكان الضاد ، وفتح الياء .

أي : في موضع وحال ، يضاع فيه حقك .

وفي بعض النسخ : « نواسيك » بزيادة ياء . وهو صحيح . أي : ونحن نواسيك . وقطعه عن جواب الأمر . ومعناه : نشاركك ، فيما عندنا .

(قال : فقلت – حين قرأتها – : وهذا أيضاً ، من البلاء . فتيامعت بها التنّور ، فسجرتها بها) .

هكذا هو في جميع نسخ بلاد النووي[1] . وهي لغة في « تيممت » . ومعناهما : قصدت .

ومعنى « سجرتها » : أحرقتها . وأنّث الضمير ، لأنه أراد : معنى الكتاب . وهو « الصحيفة » .

(حتى إذا مضت : أربعون من الخمسين ، واستلبث الوحي) . أي : أبطأ (إذا رسولُ رسولِ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يأتيني ، فقال : إن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يأمرك : أن تعتزل امرأتك . قال : فقلت : أطلقها ؟ أم ماذا أفعل ؟ قال : لا . بل اعتزلها ، فلا تقربنّها . قال : فأرسل إلى صاحبيّ بمثل[2] ذلك . قال : فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك ، فتكوني عندهم ، حتى يقضي الله في هذا الأمر) .

هذا دليل : على أن هذا اللفظ ، ليس صريحاً في الطلاق . وإنما هو كناية . ولم ينو به الطلاق ، فلم يقع .

---

(١) وفي رواية البخاري ، السالفة الذكر : « فَتَيَمَّمْتُ » ، مكان : « فتيامعت » . المحقق :

(٢) أثبت المؤلف – في الهامش – ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « مثل » بدون باء . المحقق .

(قال : فجاءت امرأة هلال بن أمية : رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقـالت له : يارسـول الله ! إنّ هلال بن أمية ، شيخ ضائـع . وليس[1] له خادم . فهل تكره : أن أخدمه ؟ قال : « لا . ولكن لا يقربنّك » فقالت : إنه ، والله ! ما به حركة إلى شيء[2] . ووالله ! مازال يبكي ، منذ كان من أمـره ما كان ، إلى يومـه هذا . قال : فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : في امرأتك ؟ فقد أذن لامـرأة هلال بن أمية : أن تخدمه . قال : فقلت : لا أستأذن فيها رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . وما يدريني : ماذا يقول رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شابّ ؟) .

يعني : إني قادر على خدمة نفسي . وأخاف أيضاً على نفسي ، من حدّة الشباب . إن أصبت امرأتي : وقد نهيت عنها .

(قال : فلبثت بذلك : عشر ليال ، فكمل لنا خمسون) بفتح الميم ، وضمها ، وكسرها[3] .

(ليلة ، من حين نهي عن كلامنا . قال : ثم صليت صلاة[4] الفجر - صباح خمسين ليلة - على ظهر بيت ، من بيوتنا . فبينا أنا جالس ، على الحال التي ذكرها الله عزوجل منا ؛ قد ضاقتْ عليّ نفسي ، وضاقت عليّ الأرض : بما رحبت) أي : بما اتسعتْ .

---

(١) (وليس) . في مصدر الحديث ، وفي رواية البخاري : « ليس » بدون واو . وقد وضع المؤلف إشارة فوق الكلمة : تفيد : أنه ورد في بعض النسخ بدون واو . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) أي : في كلمة « فكمل » . المحقق .

(٤) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .

ومعناه : ضاقت ، مع أنها متّسعة . « والرحب » : السَّعة .

(سمعت صوت صارخ ، أوفىٰ على سلع) أي : صعده وارتفع عليه .

« وسلع » بفتح السين ، وإسكان اللام . هو « جبل » بالمدينة ، معروف .

(يقـول بأعلى صوتـه - : ياكعب بن مالك ! أبشر . قال[1] فخررت ساجداً) أي : سجدة الشكر .

والظاهر : أنه سجد على غير وضوء . وسجدة الشكر : يجوز[2] بغيره .

قال النـووي رحمـه الله[3] : فيه دليل للشـافعي ، ومـوافقيه ، في استحباب سجود الشكر : بكل نعمة ظاهرة : حصلتْ ، أو نقمة ظاهرة : اندفعت[4] .

(وعرفت : أن قد جاء فرج . قال : فآذن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : الناس) أي : أعلمهم (بتوبة الله تعالى[5] علينا - حين صلى صلاة[6] الفجر - فذهب الناس يبشروننا) .

فيه : دليل لاستحبـاب التبشير ، والتهنية[7] : لمن تجـدّدتْ له نعمة ظاهرة ، أو اندفعتْ عنه كربة شديدة ، ونحو ذلك .

---

(١) (قال) هكذا في الأصل ، وفي صحيح مسلم ، وفي صحيح البخاري . وقد وضع المؤلف ، فوق الكلمة : ما يشير إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) لو قال : « تجوز » بالتاء مكان الياء : لكان أفضل . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل رمز إليها بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) ذكره النووي ، في (١٧/ ٩٥) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) لم يذكر لفظ « تعالى » في مصدر الحديث ، ولا في رواية البخاري ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .

(٧) لو قال : « والتهنئة » بالهمز بدل : « والتهنية » بالياء : لكان أفضل . المحقق .

قال النووي : وهذا الاستحباب عامّ ، في كل نعمة حصلت ، وكربة انكشفت ، سواء كانت من أمور الدين ، أو الدنيا . انتهى[1] .

وأقول : يارب ! إنك تعلم أني في هذه الأيام ، في كُرَب شديدة ، لا أجد إلى كشفها سبيلاً . وأنت أرحم الراحمين . فاكشف عني : هذه التي تدريها ، ولا يدريها أحد . كما قد كشفت - فيما مضى - . وإني لأرجو : أن تكشف عني ما هو الآن ، وما هو كائن في الآخرة . ياأكرم الأكرمين ![2] .

لك الحمد كم من كربة قد كشفتها
بنور من اللّطف الخفي فتجلّت .
لك الحمد ، فاكشف كربة الحشر إن ، دجت[3]
بلطف من الغفران والرحمة التيّ[4]

(فذهب قبل صاحبيّ ، مبشرون . وركض رجل إليّ فرسا . وسعى ساعٍ من أسلم : قبلي ؛ وأوفىٰ[5] على الجبل[6] فكان الصوت : أسرع من

---

(١) (انتهى) كلام النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف - بعد قوله : « ياأكر م الأكرمين » - العلامة (⌒) إشارة إلى ما يليها من الشعر . فحذفناها تصرفاً . المحقق .

(٣) (دجَتْ) أي : عمّتْ ظلمتها ، واشتدت . المحقق .

(٤) (التي) أي : التي وسعت كل شيء . من قوله تعالى ، في الآية (١٥٦) من سورة الأعراف : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ . . . » الآية . المحقق .

(٥) (وأوفى) هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث : (بالواو) . أما في رواية البخاري ، فهي : بالفاء . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض نسخ مسلم : بالفاء . المحقق .

(٦) (على الجبل) هكذا في الأصل ، وفي البخاري . أما في مصدر الحديث ؛ فبدون « على » . وقد وضع المؤلف إشارة فوق كلمة « على » تفيد : عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

الفرس . فلما جاءني الذي سمعت صوته ، يبشرني : نزعت[(١)] له ثوبيّ ، فكسوتهما إياه[(٢)] : ببشارته) .

فيه : استحباب إجازة البشير : بخلعة ، وإلا فبغيرها .

قال النووي : « والخلعة » أحسن . وهي المعتاد .

(والله ! ما أملك غيرهما - يومئذ - . واستعرت : ثوبين ، فلبستهما) .

فيه : جواز العارية ، وجواز إعارة الثوب ، للبس .

(فانطلقت أتأمم) أي أقصد : (رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يتلقاني[(٣)] الناس : فوجا ، فوجا) . « الفوج » : الجماعة .

(يهنوني[(٤)] بالتوبة ، ويقولون : لتهنك[(٥)] توبة الله عليك ، حتى دخلتُ المسجد ، فإذا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : جالس في المسجد ، وحوله الناس . فقام « طلحة بن عبيد الله » ، يهرول ، حتى صافحني وهنّاني[(٦)]) .

---

(١) (نزعت) هكذا في الأصل ، وفي فتح الباري . أما في مصدر الحديث فهي : « فنزعت » بالفاء . والأولى أشبه . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد ، في بعض النسخ : « فكسوته إياهما » . وهو كذلك في البخاري . أما في مصدر الحديث ، فهي كما ذكر في الأصل . المحقق .

(٣) عبارة البخاري - كما في الفتح (١١٦/٨) ، حديث (٤٤١٨) - : « وانطلقت » بالواو « إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » . هكذا . « فتلقاني » بالفاء « ... إلخ » . هذا ، وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد في بعض نسخ مسلم : « فتلقاني » . المحقق .

(٤) (يهنّوني) هكذا ، في الأصل ، وفي الفتح ، المصدر المتقدم . ولكنه في مصدر الحديث : « يهنئونني » وكلاهما صواب . المحقق .

(٥) (لتهنك) هكذا في الأصل ، وفي « فتح الباري » . أما في مصدر الحديث فهي : « لِتَهْنِئْك » . وكلاهما جائز . المحقق .

(٦) (وهناني) بدون همزة فوق الألف ؛ هكذا في الأصل ، وفي الفتح . أما في مصدر الحديث : فبهمزة فوق الألف . وكلاهما جائز . المحقق .

فيه : استحباب مصافحة القادم ، والقيام له : إكراماً ، والهرولة إلى لقائه : بشاشة ، وفرحاً[1] .

(والله ! ما قام) رجل[2] (من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب ، لا ينساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : قال[3] - وهو يبرق وجهه ، من السرور - يقول[4] : « أبشر بخير يوم ، مرّ عليك : منذ ولدتك أمك ») .

معناه : « سوى يوم إسلامك » . وإنما لم يستثنه : لأنه معلوم ، لابدّ منه .

(قال : فقلت : أمن عندك ؟ يارسول الله ! أم من عند الله ؟ فقال : « لا . بل من عند الله » . وكان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ إذا سرّ استنار وجهه[5] ، حتى كأنّ وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك) .

تأمّل في تشبيهه : « بقطعة القمر » دون نفسه[6] .

---

(١) صنيع المؤلف ، يوهم : أن كلمة : « وفرحاً » من صلب الحديث . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) (والله ! ما قام رجل) . صنيع المؤلف ، يوهم : أن كلمة : « رجل » ذكرت بياناً . وليست من صلب الحديث . وفي مصدر الحديث هي من صلبه . هذا ؛ وعبارة البخاري ، كما في « الفتح » : « والله ! ما قام إليَّ رجل » بزيادة كلمة : « إليّ » . وهو أوضح . المحقق .

(٣) في رواية البخاري - كما في الفتح - : « قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، بزيادة : « رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٤) (من السرور ، يقول) . في مصدر الحديث : « من السرور ، ويقول » بزياده واو . وفي رواية البخاري - كما في الفتح - : « من السرور : أبشر » . وما ذكره البخاري : أوضح . المحقق .

(٥) (استنـار وجهه) . هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث ، وفي (الفتح) . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد في بعض النسخ : « استبان في وجهه » بدل : « استنار وجهه » . المحقق .

(٦) قال ابن حجر (في الفتح ١٢٢/٨) ، في كتاب المغازي : ويسأل عن السرّ ، في التقييد « بالقطعة » ، - مع كثرة ماورد ، في كلام البلغاء : من تشبيه الوجه بالقمر ، بغير تقييد - قال : وقد تقدم في « صفة النبي ، صلى الله عليه وسلم » : تشبيههم له بالشمس طالعة ، وغير ذلك . وكان كعب بن مالك ، قائل هذا : من

(قال : فلما جلست - بين يديه - قلت : يارسول الله ! إنّ من توبتي : أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله ، وإلى رسوله[1] صلى الله عليه) وآله (وسلم . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم « أمسك عليك[2] : بعض مالك ، فهو خير لك ») .

معناه : أخرج منه ، وأتصدق[3] به .

قال النووي : فيه استحباب الصدقة ، شكراً للنّعم المتجددة ، لاسيما ما عظم منها .

وإنما أمره ، صلى الله عليه وآله وسلم : بالاقتصار على الصدقة ببعضه ، خوفاً : من تضرره بالفقر . وخوفاً على أن لا يصبر على الإضاقة[4] .

ولا يخالف هذا « صدقة أبي بكر ، رضي الله عنه » : بجميع ماله ، فإنه كان صابراً راضياً .

فإن قيل : كيف قال : « أنخلع من مالي » ، فأثبت له مالاً - مع قوله أولاً : نزعت ثوبيّ ، والله ! ما أملك غيرهما - ؟

شعراء الصحابة . وحاله في ذلك : مشهورة . فلا بدّ - في التقييد بذلك - من حكمة . وما قيل في ذلك : من الاحتراز ، من السواد الذي في القمر : ليس بقويّ ، لأن المراد : تشبيهه بما في القمر ، من الضياء والاستنارة . وهو في تمامه ، لا يكون فيها أقلّ مما في القطعة المجردة . وقد ذكرت في « صفة النبي ، صلى الله عليه وسلم » ، بذلك : توجيهات ؛

ومنها : أنه للإشارة إلى موضع الاستنارة (وهو الجبين) . وفيه يظهر السرور ، كما قالت عائشة : « مسروراً تبرق أسارير وجهه » . فكأن التشبيه وقع على بعض الوجه . فناسب ، أن يشبّه : ببعض القمر . اهـ . المحقق .

(١) هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث . وفي الفتح . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد وروده ، في بعض النسخ : « وإلى رسول الله » بدل : « وإلى رسوله » . المحقق .

(٢) هكذا في الأصل ، وفي (الفتح) . وفي مصدر الحديث : « أمسك » بدون ذكر « عليك » . وقد وضع المؤلف علامة فوق كلمة « عليك » ، تدل على : عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) هذا معنى قوله : « أن أنخلع من مالي . . » إلخ . المحقق .

(٤) (على الإضاقة) أي : الضيق الناشئ بسبب الفقر . المحقق .

فالجواب : أن المراد بقوله « أن أنخلع من مالي » : الأرض والعقار . ولهذا ؛ (قال : فقلت : فإني أمسك سهمي ، الذي بخيبر) .

وأما قوله : « ما أملك غيرهما » . فالمراد به : من الثياب . ونحوها مما يُخلع ، ويليق بالبشير .

قال النووي : وفيه دليل ، على تخصيص اليمين بالنيّة ، قال : وهو مذهبنا ؛

فإذا حلف : « لا مال له » ونوى نوعاً : لم يحنث بنوع آخر من المال . أو « لا يأكل » . ونوىٰ تمراً : لم يحنث بالخبز[1] .

قال : وقلت : يارسول الله ! إنّ الله ، إنما أنجاني بالصدق . وإن من توبتي : أن لا أحدّث ، إلا صدقاً ، ما بقيت . قال : فوالله ! ما علمت أن أحـداً من المسلمين : أبلاه الله في صدق الحديث - منذ ذكرت ذلك ، لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم[2] - أحسن مما أبلاني الله)[3] أي : أنعم عليه[4] .

« والبلاء والإبلاء » : يكون في الخير ، والشر . لكن إذا أطلق : كان للشر غالباً . فإذا أريد الخير : قيد . كما قيده هنا ، فقال : « أحسن مما أبلاني » .

---

(١) قاله النووي ، في (١٧/ ٩٧) المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث بزيادة : « إلى يومي هذا » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « مما أبلاني الله به » بزيادة كلمة : « به » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - . ما يفيد أنه ورد ، في بعض النسخ لفظ « عزوجل » بعد ذكر لفظ الجلالة . هذا ؛ وعبارة البخاري - كما في الفتح - : « ما أعلم » مكان : « ما علمت » . « أحداً » بدون « أنّ » . « أحسن مما أبلاني » بدون ذكر لفظ الجلالة . المحقق .

(٤) (أي : أنعم عليه) تفسير لقوله : « أبلاه الله » . المحقق .

(ووالله[1] ! ما تعمدت كذبة) بإسكان الذال ، وكسرها .

(منذ قلت ذلك : لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، إلى يومي هذا . وإني لأرجو : أن يحفظني الله ، فيما بقي .

قال : فأنزل الله ، عزوجل : « لَقَدْ تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ ، الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرةِ[2] » حتى بلغ[3] : « إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَـٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ » حتى بلغ) .

وتمامه : « وَظَنُّوا أن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ . (وكونوا مع الصادقين)[4] .

تفسير هذه الآيات : حررناه في « فتح البيان » ، فراجعه .

والمراد « بالصادقين » هنا : هؤلاء الثلاثة[5] الذين خلفوا . وصدقوا في قولهم ، ولم يعتذروا كذباً .

(قال كعب : والله ! ما أنعم الله عليّ من نعمة قط ، بعد إذ[6] هداني

---

(١) (ووالله !) في مصدر الحديث : « والله » بواو القسم فقط . هذا ؛ وعبارة البخاري - كما في الفتح - : « ما تعمدت » : - بدون قسم - « منذ ذكرت ذلك : لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، إلى يومي هذا : كذباً » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : ذكر النص القرآني ، إلى قوله : « وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ » . ثم قال : « حتى بلغ . . إلخ» . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « حتى بلغ : يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » . ولم يكرر قوله : « حتى بلغ » . كما ذكر في الأصل . المحقق .

(٤) الآيات : (١١٧ - ١١٩) سورة التوبة . المحقق .

(٥) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

(٦) (بعد إذ) هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث . وفي (الفتح) : « بعد أن » بدل : « إذ » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد في بعض نسخ مسلم : « أن » مكان : « إذ » . المحقق .

الله للإسلام : أعظم - في نفسي - من صدقي رسول الله [1] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا) هكذا هو « فأهلك » في جميع نسخ مسلم ، وكثير من روايات البخاري .

قال العلماء : لفظة « لا » في قوله « أن لا أكون » : زائدة . ومعناه : « أن أكون كذبته » . كقوله تعالى : « مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ »[2] .

وقوله : « فأهلك » بكسر اللام ، على الفصيح المشهور . وحكي « فتحها »[3] . وهو شاذ ضعيف .

(إن الله[4] قال للذين كذبوا - حين أنزل الوحي - شرّ ما قال لأحد . وقال الله عزوجل[5] : « سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ . يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ[6] » قال كعب كنّا خُلّفنا - أيها الثلاثة[7] - عن أمر أولئك ، الذين قبل منهم رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ - حين حلفوا له - فبايعهم ، واستغفر لهم . وأرجأ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أمرنا ،

(١) في (الفتح) : « صدقي لرسول الله » بزيادة اللام ، في « رسول » . المحقق .

(٢) الآية (١٢) من سورة الأعراف . المحقق .

(٣) على فتح اللام في المضارع : تكسر في الماضي ، فيقال : « هَلِك يَهْلَك » . وهو شاذ ، كما ذكر المؤلف . وعلى كسرها في المضارع : تفتح في الماضي ، فيقال : « هلَك يَهْلِك » . وهو الفصيح المشهور . المحقق .

(٤) في رواية البخاري - كما في الفتح - : « فَإِنَّ اللَّهَ » بزيادة فاء . هذا وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض نسخ مسلم : « إن الله عز وجل » ؛ بزيادة : « عز وجلّ » . المحقق .

(٥) في رواية البخاري ، كما في المصدر المتقدم : « فقال تبارك وتعالى » . هذا ؛ ولم يذكر في رواية مسلم - كما في مصدر الحديث - لفظ : « عزوجل » . المحقق .

(٦) الآيتان (٩٥ ، ٩٦) سورة التوبة . المحقق .

(٧) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

حتى قضى الله عزوجل[1] فيه . في ذلك[2] قال الله عز وجل : « وَعَلَى الثَّلَـٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ »[3] . وليس الذي ذكـر الله مما خلّفنا : تخلّفنا عن الغزو . وإنما هو تخليفه إيانا ، وإرجاؤه أمرنا) أي : تأخيره (عمّن حلف له ، واعتذر إليه : فقبل منه) .

هذا آخر هذا الحديث الطويل ، الذي ذكر له مسلم في صحيحه : طرقاً .

وفيه : فوائد كثيرة ؛

إحداها : إباحة الغنيمة ، لهذه الأمة . لقوله : « يريدون عِير قريش » .

الثانية : فضيلة أهل بدر ، وأهل العقبة .

والثالثة : جواز الحلف ، من غير استحلاف ، في غير الدعوى ، عند القاضي .

الرابعة : أنه ينبغي لأمير الجيش ، إذا أراد غزوة : أن يورّي بغيرها ، لئـلا يسبقـه الجواسيس ونحوهم : بالتحذير . إلا إذا كانت سفرة بعيدة ، فيستحبّ أن يعرفهم البعد ، ليتأهّبوا .

الخامسة : التأسف على مافات من الخير ، وتمني التأسف[4] أنه كان فعله . لقوله : « ياليتني فعلت » !

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث ، ولا في رواية البخاري – كما في الفتح – : لفظ « عز وجل » . المحقق .

(٢) (في ذلك) هكذا في الأصل . وهو في مصدر الحديث ، وفي فتح الباري : « فبذلك » . المحقق .

(٣) في كل من مصدر الحديث ، وفتح الباري : لم يذكر : « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » . المحقق .

(٤) (التأسف) . صوابه : « المتأسّف » . المحقق .

السادسة : ردّ غيبة المسلم . لقول معاذ : « بئس ما قلت » .

السابعة : فضيلة الصدق ، وملازمته . وإن كان فيه مشقّة ، فإن عاقبته : خير . وإن الصدق يهدي إلى البرّ ، والبرّ يهدي إلى الجنة . كما ثبت في الصحيح .

الثامنة : استحباب صلاة[1] القادم من سفر : ركعتين في مسجد محلّته ، أول قدومه ، قبل كل شيء[2] .

التاسعة : أنه يستحبّ للقادم من سفر - إذا كان مشهوراً ، يقصده الناس بسلام عليه - : أن يقعد لهم في مجلس بارز ، هيّن الوصول إليه .

العاشرة : الحكم بالظاهر ، والله يتولى السرائر . وقبول معاذير المنافقين ونحوهم ، مالم يترتب على ذلك مفسدة .

الحادية عشر[3] : استحباب هجران « أهل البدع ، والمعاصي الظاهرة » ، وترك السلام عليهم ، ومقاطعتهم : تحقيراً لهم ، وزجراً .

الثانية عشر[4] : استحبابُ بكائه على نفسه ، إذا وقعت منه معصية .

الثالثة عشر[5] : أنّ مسارقة النظر في الصلاة[6] ، والالتفات : لا يبطلها .

---

(١) (صلاة) . في الأصل : « صلوٰة » . المحقق .
(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .
(٣) الأفضل : « الحادية عشرة » . المحقق .
(٤) الأفضل : « الثانية عشرة » . المحقق .
(٥) الأفضل : « الثالثة عشرة » . وهكذا إلى : « التاسعة عشرة » : بتأنيث الجزأين . طبقاً للقاعدة النحوية ، في مثل هذا . المحقق .
(٦) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

الرابعة عشر : أن السلام ، يسمىً « كلاماً » . وكذلك ردّ السلام . وأن من حلف : « لا يكلم إنساناً » ، فسلّم عليه ، أوردّ عليه السلام : يحنث .

الخامسة عشر : وجوب إيثار طاعة الله ، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم : على مودّة الصديق ، والقريب ، وغيرهما . كما فعل « أبو قتادة » حين سلم عليه كعب ، فلم يردّ عليه - حين نهي عن كلامه - .

السادسة عشر : أنه إذا حلف : « لا يكلم إنساناً » ، فتكلّم . ولم يقصد كلامه ، بل قصد غيره ، فسمع المحلوف عليه : لم يحنث الحالف . لقوله : « الله أعلم » ؛ فإنه محمول على أنه : لم يقصد كلامه .

السابعة عشر : جواز إحراق ورقة ، فيها ذكر الله تعالى : لمصلحة . كما فعل عثمان ، والصحابة : « رضي الله عنهم » : بالمصاحف ، التي هي غير مصحفه ، الذي أجمعت الصحابة عليه . وكان ذلك صيانةً . فهي حاجة .

وموضع الدلالة ، من حديث كعب : أنه أحرق الورقة ، وفيها : « لم يجعلك الله : بدار هوان » .

الثامنة عشر : إخفاء ما يخاف من إظهاره : مفسدة ، وإتلاف[1] .

التاسعة عشر : أنّ قوله لامرأته : « الحقي بأهلك » : ليس بصريح طلاق ، ولا يقع به شيء[2] إذا لم ينو .

---

(١) (وإتلاف) هكذا في الأصل ، طبقا لما في النووي ، (١٧/١٠١) ، المصدر المتقدم . ولعل الصواب : « وإتلافه » بزيادة هاء الضمير . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

العشرون : جواز خدمة المرأة : زوجها ، برضاها . وذلك جائز له بالإجماع .

فأما إلزامها بذلك : فلا .

الحادية والعشرون : استحباب الكنايات ، في ألفاظ الاستمتاع بالنساء ، ونحوها .

الثانية والعشرون : الورع والاحتياط : بمجانبة ما يخاف منه : الوقوع في منهيّ عنه . لأنه لم يستأذن في خدمة امرأته له ، وعلّل : بأنه شابّ . . أي لا يأمن مواقعتها . وقد نهي عنها .

الثالثة والعشرون : استحباب سجود الشكر ، عند تجدّد نعمة ظاهرة ، أو اندفاع بليّة ظاهرة . وهو مذهب الشافعي ، وطائفة[1] .

وقال أبو حنيفة ، وطائفة : لا يشرع .

الرابعة والعشرون : استحباب التبشير بالخير .

الخامسة والعشرون : استحباب تهنية[2] من رزقه الله : خيراً ظاهراً ، أو صرف عنه شرّاً ظاهراً .

السادسة والعشرون : استحباب إكرام المبشِّر : بخلعة ، أو نحوها .

السابعة والعشرون : أنه يجوز تخصيص اليمين بالنيّة . فإذا حلف : « لا مال له » ونوى نوعاً : لم يحنث بنوع من المال غيره .

وإذا حلف : « لا يأكل » ، ونوى خبزاً : لم يحنث بأكل اللحم والتمر ، وسائر المأكولات ، ولا يحنث إلا بذلك النوع .

---

(١) قلت : وهو الأرجح . والاستدلال عليه بهذا الحديث ، وأحاديث أخرى : ظاهر . المحقق .

(٢) الأوضح : « تهنئة » بالهمز . المحقق .

وكـذلك لو حلف : « لا يكلم زيداً » ، ونوى كلاما مخصوصاً : لم يحنث بتكليمه إياه ، غير ذلك الكلام المخصوص .

وهـذا كله : متفق عليه ، عند الشافعية . ودليله من هذا الحديث : قولـه - في الثـوبين - : « والله ! ما أملك غيرهما » . ثم قال بعده - في ساعـة - : « إن من توبتي : أن أنخلع من مالي ، صدقـة » . ثم قال : « فإني أمسك سهمي ، الذي بخيبر » .

الثامنة والعشرون : جواز العارية .

التاسعة والعشرون : جواز استعارة الثوب ، للبس .

الثـلاثون[1] : استحباب اجتماع الناس ، عند إمامهم وكبيرهم : في الأمور المهمّة ؛ من بشارة ومشورة ، وغيرهما .

الحادية والثلاثون : استحباب القيام للوارد ، إكراماً . إذا كان من أهل الفضل : بأي نوع كان . وقد جاءت به أحاديث - جمعها النووي ، في جزء مستقل - : بالترخيص فيه ، والجواب عما يظنّ به مخالفاً لذلك ، ولكن ليست ظاهـرة في ما هو في صدد إثبـاته : من القيام للتعظيم . بل السنة الصحيحـة الصريحة . المرفوعة المحكمة ، الواردة في النّهي عن القيام التعـظيمي : تدفعـة دفعـاً واضحـاً . وكـل ما استـدلّ به - في معـرض الإثبات - : أجنبيّ من المقام ، كما هنا . فإن قيام « طلحة » : لم يكن لتعظيم كعب بن مالك . بل بادر إليه للمصافحة ، فرحاً بقبول توبته .

نعم ثبت القيام منه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، محبةً لبعض بناته . ومن فاطمة عليها السلام له ، محبة .

---

(١) (الثلاثون) . في الأصل : « الثلثون » . المحقق .

(المصافحة بيد واحدة)[1]

الثانية والثلاثون[2] : استحباب المصافحة عند التلاقي . وهي سنة بلا خلاف . ولكن بيد واحدة ، لا بيدين ، كما جرت به عادة أكثر الناس .

الثالثة والثلاثون : استحباب سرور الإمام ، وكبير القوم : بما يسر أصحابه ، وأتباعه .

الرابعة والثلاثون [2] : أنه يستحب لمن حصلت له نعمة ظاهرة ، أو اندفعت عنه كربة ظاهرة : أن يتصدّق بشيء[3] صالح ، من ماله ، شكراً لله تعالى ، على إحسانه . وقد ذكرت الشافعية : أنه يستحب له : سجود الشكر ، والصدقة ، جميعاً . وقد اجتمعا ، في هذا الحديث .

الخامسة والثلاثون[2] : أنه يستحبّ لمن خاف أن لا يصبر على الإضاقة : أن لا يتصدّق بجميع ماله ، بل ذلك مكروه له .

السادسة والثلاثون[2] : أنه يستحبّ لمن رأى من يريد أن يتصدق بكل ماله ، ويخاف عليه أن لا يصبر على الإضاقة والفقر والفاقة : أن ينهاه عن ذلك ، ويشير عليه ببعضه .

السابعة والثلاثون[2] : أنه يستحبّ لمن تاب بسبب من الخير : أن يحافظ على ذلك السبب ، فهو أبلغ في تعظيم حرمات الله . كما فعل كعب في الصدق .

---

(١) (المصافحة بيد واحدة) . هذا العنوان : أثبته المؤلف ، في الهامش : مرموزاً فوقه بالحرف (ف) . فحذفنا الرمز المذكور ، ونقلنا العنوان إلى الصلب تصرفاً . المحقق .

(٢) (والثلاثون) . في الأصل : « والثلثون » . المحقق .

(٣) (بشيء) . في الأصل : الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

هذا كلام النـووي[1] . وقـد سبق بعض هذه الفوائد : (في مطاوي فحاوي الأحاديث ، أيضاً) . والله أعلم .

بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِمَّنْ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ

وقال النووي : (باب قبول توبة القاتل ، وإن كثر قتله) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم/ النووي ، ص ٨٢ - ٨٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُـدْرِيِّ ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : « كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً . فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْـلِ الأَرْضِ ؟ فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ ، فَأَتَـاهُ ؛ فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْساً ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : لَا . فَقَتَلَهُ ، فَكَمَّلَ بِهِ : مِائَةً . ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأَرْضِ ؟ فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ ، فَقَالَ : إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ . وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ ؟

انْطَلِقْ إِلَىٰ أَرْضِ كَذَا ، وَكَذَا . فَإِنَّ بِهَا أُنَاساً ، يَعْبُدُونَ اللّهَ . فَاعْبُدِ اللّهَ مَعَهُمْ ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ .

فَانْـطَلَقَ ، حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ : أَتَاهُ الْمَوْتُ ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ : مَلَائِكَـةُ الرَّحْمَةِ ، وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ ؛ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ : جَاءَ تَائِباً ، مُقْبِلاً بِقَلْبِهِ : إِلَى اللّهِ .

---

(١) ذكره في (١٧/١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢) ، المصدر المتقدم . المحقق .

وَقَالَتْ مَلاَئِكَةُ الْعَذَابِ : إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً ، قَطُّ .

فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ - فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ - ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ : فَقَالَ : قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ ؛ فَإِلَىٰ أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَىٰ : فَهُوَ لَهُ .

فَقَاسُوهُ ، فَوَجَدُوهُ : أَدْنَىٰ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ . فَقَبَضَتْهُ مَلاَئِكَةُ الرَّحْمَةِ » .

قَالَ قَتَادَةُ : فَقَالَ الْحَسَنُ : ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ : نَاءَ بِصَدْرِهِ) .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه[1] ؛ أَنَّ رسول الله[2] ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قال : كان فيمن كان قبلكم : رجل قتل تسعة وتسعين نفساً . فسأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدلّ على راهب ، فأتاه ، فقـال : إنـه قتـل تسعة وتسعين نفساً ، فهل له[3] من توبة ؟ فقال : لا . فقتله ، فكمّل به : مائة . ثم سأل عن أعلم أهل الأرض ؟ فدُلّ على رجل عالم ، فقال ، إنه قتل مائة نفس ، فهل له من توبة ؟ فقال : نعم . ومن يحـول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا ، وكذا . فإن بها أناساً ، يعبـدون الله ، عز وجـل[4] . فاعبـد الله تعـالى[5] معهم . ولا ترجع إلى أرضك ، فإنها أرض سوء) .

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « نبي الله » ، بدل : « رسول الله » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - أنه في بعض النسخ : « نبي الله » . المحقق .

(٣) وضع المؤلف : علامة فوق كلمة : « له » : تدل على عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « عزوجل » . المحقق .

(٥) لم يذكر بمصدر الحديث : « تعالى » . المحقق .

قال العلماء : في هذا : استحباب مفارقة التائب : المواضع التي أصاب بها الذنوب ، والأخدان المساعدين له على ذلك . ومقاطعتهم ماداموا على حالهم .

وأن يستبدل بهم : صحبة أهل الخير والصلاح ، والعلماء ، والمتعبّدين الورعين ، ومن يقتدىٰ بهم وينتفع بصحبتهم . وتتأكد بذلك توبته .

(فانطلق ، حتى إذا نصف الطريق) أي بلغ نصفها .

(أتاه الموت ، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة ، وملائكة العذاب ؛ فقالت ملائكة الرحمة : جاء تائباً ، مقبلاً بقلبه : إلى الله عزوجل[1] .

وقالت ملائكة العذاب : إنه لم يعمل خيراً قط . فأتاهم ملك ، في صورة آدمي فجعلوه بينهم . فقال : قيسوا ما بين الأرضين . فإلى أيتهما كان أدنىٰ : فهو له . فقاسوا[2] ، فوجدوه : أدنى إلى الأرض التي أراد . فقبضته ملائكة الرحمة . قال قتادة[3] : فقال الحسن : ذكر لنا : أنه لما أتاه الموت ، نأىٰ[4] بصدره) أي : نهض .

ويجوز تقديم الألف : على الهمزة ، وعكسه[5] .

وأما قياس الملائكة : ما بين القريتين ، وحكم الملك الذي جعلوه بينهم بذلك ، فهذا محمول على أن الله تعالى : أمرهم - عند اشتباه أمره

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « عزوجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « فقاسوه » بدل : « فقاسوا » . المحقق .

(٣) (قتادة) هو أحد رجال السند ، في هذا الحديث . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « ناء » مكان : « نأى » . المحقق .

(٥) أي : فنقول : « ناء » و « نأى » . المحقق .

عليهم ، واختلافهم فيه - : أن يحكّموا رجلاً ممن يمرّ بهم . فمر الملك - في صورة رجل - ، فحكم بذلك .

وأما صحة توبته : فهو مذهب أهل العلم ، وإجماعهم على صحة توبة القاتل عمداً .

ولم يخالف أحد منهم ، إلا ابن عباس . وأما ما نقل عن بعض السلف : من خلاف هذا ؛ فمراد قائله : الزّجر عن سبب التوبة ، لا أنه يعتقد : بطلان توبته .

قال النووي : وهذا الحديث ظاهر فيه . وهو إن[1] كان شرعاً لمن قبلنا ، وفي الاحتجاج به خلاف . فليس موضع الخلاف .

وإنما موضعه : إذا لم يرد شرعنا بموافقته وتقريره . فإن ورد كان شرعاً لنا ، بلا شك . وهذا قد ورد شرعنا به ، وهو قوله تعالى : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ » إلى قوله : « إِلَّا مَنْ تَابَ » الآية[2] .

وأما قوله تعالى : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا »[3] فالصواب في معناها : أن جزاءه جهنم . وقد يجازى به . وقد يجازى بغيره . وقد لا يجازى ، بل يعفى عنه .

فإن قتل عمداً مستحلاً له، بغير حق ، ولا تأويل : فهو كافر مرتدّ ، يخلد به في جهنم : بالإجماع .

---

(١) الصواب : « وإن كان » بزيادة واو ، قبل : « إن » . المحقق .
(٢) الآيات (٦٨ - ٧٠) سورة الفرقان . المحقق .
(٣) الآية (٩٣) سورة النساء . المحقق .

وإن كان غير مستحلّ ، بل معتقداً تحريمه : فهو فاسق عاص ، مرتكب كبيرة ، جزاؤه جهنم خالداً فيها .

لكن بفضل الله تعالى[1] .

ثم أخبر أنه لا يخلّد – من مات موحداً – فيها . فلا يخلّد هذا ، ولكن قد يعفى عنه ، فلا يدخل النار أصلاً . وقد لا يعفى عنه ، بل يعذب كسائر العصاة الموحّدين . ثم يخرج معهم إلى الجنة ، ولا يخلد في النار .

قال[2] : فهذا هو الصواب في معنى الآية . ولا يلزم – من كونه : يستحق أن يجازى بعقوبة مخصوصة – أن يتحتم ذلك الجزاء . وليس في الآية إخبار بأنه يخلّد في جهنم . وإنما فيها : أنها جزاؤه . أي : يستحق أن يجازى بذلك .

وقيل : إن المراد : من قتل مستحلاًّ . وقيل : وردت الآية ، في رجل بعينه . وقيل : المراد بالخلود : طول المدة ، لا الدّوام .

وقيل : معناها : هذا جزاؤه ، إن جازاه .

وهذه الأقوال ، كلها ضعيفة أو فاسدة : لمخالفتها حقيقة لفظ الآية .

وأما هذا القول[3] ، فهو شائع على ألسنة كثير من الناس . وهو فاسد ، لأنه يقتضي أنه إذا عفي عنه : خرج عن كونها كانت[4] جزاء . وهي جزاء[5] . لكن ترك الله تعالى مجازاته : عفواً عنه ، وكرماً .

---

(١) أي لكن بفضل الله تعالى ، قد يُعفىٰ عنه . المحقق .

(٢) (قال) أي النووي ، في (١٧ / ٨٣) . المحقق .

(٣) (وأما هذا القول) . وهوأن معنى الآية : هذا جزاؤه ، إن جازاه . المحقق .

(٤) (كانت) . في الأصل : غير واضحة ، لتراكب حروفها . المحقق .

(٥) (جزاء) . في الأصل غير واضحة ، لتراكب حروفها . المحقق .

فالصواب : ما قدمناه . والله أعلم . انتهى[1] .

وبالجملة : هذا الحديث ، أرجى حديث ، في هذا الباب .

وفيه : دليل على قبول توبة كل مرتكب الكبائر ، إن أخلص النيّة وتاب.

بَابُ مَنْ تَابَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، تَابَ اللهُ عَلَيْهِ

وذكره النووي ، في:(باب التوبة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٥ ، جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[2] ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ[3] الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا : تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ ») .

قال أهل العلم : هذا حدّ لقبول التوبة .

(الشَّرح)

وقد جاء في الحديث الصحيح : « إِنَّ لِلتَّوْبَةِ بَاباً مَفْتُوحاً . فَلَا تَزَالُ مَقْبُولَةً حَتَّىٰ يُغْلَقَ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا : أُغْلِقَ ، وَامْتَنَعَتِ التَّوْبَةُ[4] ، عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَكُنْ تَابَ قَبْلَ ذَٰلِكَ[5] » .

---

(١) (انتهى) كلام النووي ، في (١٧/٨٢ ، ٨٣) . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « طلوع » مكان : « أن تطلع » . المحقق .

(٤) (التوبة) . في الأصل : « لتوبة » بدون ألف ، قبل اللام . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٥) ذكر هذا الحديث النووي ، في (١٧ / ٢٥) المصدر المتقدم . المحقق .

وهو معنى قوله تعالى : « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً »[١] .

ومعنى « تاب الله عليه » : قبل توبته ، ورضي بها .

قال النووي : وللتوبة[٢] شرط آخر . وهو أن يتوب « قبل الغرغرة » . كما جاء في الحديث الصحيح[٣] .

وأما في حالة الغرغرة - وهي حالة النزع - ، فلا تقبل توبته ، ولا غيرها . ولا تنفّذ وصيته ، ولا غيرها .

بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنْ مُسِيءِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

وأورده النووي ، في (باب قبول التوبة : من الذنوب ، وإن تكررت الذنوب والتوبة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٦ ، جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي مُوسَىٰ رضي الله عنه[٤] ، عَنِ النَّبِيِّ . صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ : لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ . وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ : لِيَتُوبَ مُسِيءُ[٥] اللَّيْلِ . حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » .

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة الأنعام . المحقق .

(٢) (وللتوبة) . في الأصل : « والتوبة » . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٣) قاله النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٥) (مسيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(الشَّرح)

أي : لا يختص قبولها بوقت .

قال النووي : « وبسط اليد » استعارة في قبول التوبة . قال المازري : المراد قبولها[1] .

وإنما ورد لفظ « بسط اليد » : لأن العرب ، - إذا رضي أحدهم الشيء[2] : بسط يده لقبوله . وإذا كرهه : قبضها عنه . فخوطبوا بأمر حسّيّ يفهمونه . وهو مجاز . فإن « يد الجارحة » : مستحيلة في حق الله تعالى انتهى[3] .

وأقول : لا ملجئ إلى جعل هذا البسط : استعارة ، ومجازاً . بل هو على حقيقته : بلا كيف ، ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه . وهذا الاعتقاد يكفي ، مع الإيمان : بقبول التوبة ، على ما وعد به الله تعالى ؛ في هذا الحديث ، وفي غيره . والله لا يخلف الميعاد .

وما أطول مدة قبولها ! وما أعظم غفلة الناس ، عن التوبة ! انظر إلى سعة رحمة الله تعالى ، ورأفته بعباده . قد أخّر قبول التوبة : إلى طلوع الشمس من المغرب . ولم يقيده : بوقت ، دون وقت من ليل ونهار ، بل كل وقت يتوب فيه : فالله يتوب عليه ، بفضله ومنّه وكرمه .

وهذا الحديث : يؤيد الحديث السابق ، ويشدّه[4] من عضده .

---

(١) عبارة النووي ، في (١٧ / ٧٦) : « المراد به قبولها » ، بزيادة « به » أي : ببسط اليد . المحقق .

(٢) (الشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام المازري ، وقد حكاه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) لو قال : « ويشدّ » بدون « هاء » لكان أولى . المحقق .

بَابٌ في غُفْرَانِ اللهِ الذُّنُوبَ

وقال النووي : (باب سقوط الذنوب بالاستغفار ، توبة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦٥ ، جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[١] ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا ، لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ : فَيَسْتَغْفِرُونَ فَيُغْفَرُ[٢] لَهُمْ » .

وفي حديث « أبي أيوب الأنصاري » ؛ أَنَّهُ قَالَ - حِينَ حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ -: كُنْتُ كَتَمْتُ عَنْكُمْ شَيْئاً ، سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ يَقُولُ : « لَوْلاَ أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ ، لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقاً يُذْنِبُونَ : يَغْفِرُ لَهُمْ »[٣] . رواه مسلم .

وفي رواية أخرى عنه ، عنده ، بلفظ : « لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ : ذُنُوبٌ يَغْفِرُ[٤] اللَّهُ لَكُمْ : لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا لَهُمْ » .

(الشَّرح)

قال النووي : وإنما كتمه أولاً : مخافة اتّكالهم على سعة رحمة الله ، وانهماكهم في المعاصي . وحدّث به ثانياً - عند وفاته - : لئلا يكون كاتماً للعلم . وربّما لم يكن أحد يحفظه غيره ، فتعيّن عليه أداؤه .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « فَيَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ » ، بالبناء للفاعل . المحقق .

(٣) ذكره النووي ، في (١٧ / ٦٤ ، ٦٥) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) في ص ٦٥ المصدر المتقدم : « يَغْفِرُهَا » بدل : « يغفر » . وهو الصواب . ولعل الذي في الأصل : **خطأ** في النسخ . المحقق .

وهو نحو قوله - في الحديث الآخر - : « فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ[1] -تَأَثُّماً - » . أي : خشية الإثم ، بكتمان العلم .

قال[2] : وقد سبق شرحه ، في كتاب الإيمان[3] .

وقد سئل شيخنا : الإمام العلامة « محمد بن علي الشوكاني » رضي الله عنه ، عن حديث الباب هذا : فأجاب بما لفظه (في الفتح الرباني) : هكذا أقول : إنّ وجه وقوع الإشكال ، في هذا الحديث - لجماعة من أهل العلم - : أنهم ظنوا ، أنه يدلّ على أن وقوع الذنوب من العصاة : مطلوب للشارع . وهذا تخيّل مختل ، وفهم فاسد معتل ؛ فإن الحديث لا يدل على ذلك لا بمطابقة ، ولا تضمن ، ولا التزام ؛

فإن قوله : « لو لم تذنبوا ، لذهب الله بكم ، ولجاء بقوم . . . إلخ » : لا يدلّ إلا على أن هذا النوع الإنساني - باعتبار مجموعه - : لا يخلو عن الذنب قط . ولو فرضنا أنه يخلو عنه : لم يكن إنساناً ، بل غير إنسان . لأن العصمة لجملة النوع : باطلة . وما استلزم الباطل : باطل . وقد قضى الله في سابق علمه - كما أخبرنا بذلك ، في كتابه ، وعلى لسان رسله - : أن فريقاً من هذا النوع « في الجنة » ، وفريقاً « في السعير » .

---

(١) حديث معاذ هذا ؛ في صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب (١٠) ، حديث (٥٣) ؛ ونصه : عَنْ قَتَادَةَ ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ؛ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم - وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ - قَالَ : « يَامُعَاذُ ! » . قَالَ : لَبَّيْكَ ، رَسُولَ اللَّهِ ! وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « يَامُعَاذُ ! » قَالَ : لَبَّيْكَ ، رَسُولَ اللَّهِ ! وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « يَامُعَاذُ ! » قَالَ : لَبَّيْكَ ، رَسُولَ اللَّهِ ! وَسَعْدَيْكَ . قَالَ : « مَامِنْ عَبْدٍ ، يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ : إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ » . قَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ ، فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ : « إِذاً يَتَّكِلُوا » . فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ : تَأَثُّماً . ورواه البخاري ، في كتاب العلم ، باب (٤٩) حديث (١٢٨) بألفاظ متقاربة ، إلا أنه زاد - بعد شهادة التوحيد - قوله : « صِدْقاً مِنْ قَلْبِهِ » . المحقق .

(٢) (قال) أي النووي . في (١٧/ ٦٥) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (في كتاب الإيمان) هذا آخر كلام النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

وأن منهم الشقي ، والسعيد . والبرّ والفاجر . والمسلم والكافر .

وأخبرنا أيضاً على لسان رسله - : أنه خلق الجنة ، وخلق لها أهلاً . وخلق النار ، وخلق لها أهلاً .

وأخبـرنا أيضاً : أنه الغفور الرحيم ، المنتقم الجبار شديد العقاب ، ونحو ذلك من الأسماء والصفات .

فلو فرضنا أن مجموع هذا النوع الإنساني ، لا يصدر منه ذنب أصلا : كانت هذه الإخبارات الإلهية باطلة . وما استلزم الباطل : باطل .

وبيان الملازمة : أنه إذا لم يوجد المذنب ، لم يوجد الشقيّ فيهم ، ولا الكـافـر ، ولا الفـاجر . ولا من هو من أهل النار . وأيضاً لم يوجد : من يستحق العفو عنه والرحمة به ، والانتقام منه والعقوبة له .

وأما بطلان اللازم : فظاهر متقرر . فظهر بهذا : أن الحديث مسوق لبيان أن العصمـة عن مجمـوع هذا النـوع الإنساني[1] منهم : المطيع . ومنهم : العاصي . ومنهم : من جمع بين الطاعة والمعصية .

وأنهم مظاهـر الأسمـاء الحسنى ، والصفـات : المتضمنـة للغضب والـرضاء ، والرحمة والعقوبة ، والنعيم والعذاب ، والعفو والعقاب . وأن منهم فريقاً « في الجنة » ، ومنهم فريق « في النار » .

فمن رام أن يكـونـوا - جميعـاً - معصـومين عن الـذنوب : فقد رام

(١) يبدو أنه سقط هنا - أثناء النسخ - كلمتان . - وكتاب الفتح الرباني ، للشوكاني ، ليس تحت يدي ، الآن - ولعـل العبـارة - كما يفهم من السياق - : « أن العصمة عن مجموع هذا النوع الإنساني : مرتفعة ، أو باطلة . وأن منهم المطيع . . . إلخ » . المحقق .

شططا ، وخالف الشرائع بأسرها ، كما خالف الواقع ونفس الأمر . ولم يبق على مازعمه : ثمرة لإنزال الكتب ، وبعثة الرسل .

قال[1] : هذا حاصل ما يظهر لي ، في معنى الحديث الصحيح .

ومن رام : الوقوف، على جميع ما قيل في ذلك، فليبحث مطولات شروح الحديث. وفي هذا المقدار كفاية، لمن له هداية. والله ولي التوفيق.

بَابٌ فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَأَنَّهَا تَغْلِبُ غَضَبَهُ

ومثله : في النووي

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦٨ ، جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[2] ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « لَمَّا قضَى اللَّهُ الْخَلْقَ ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ عَلَىٰ نَفْسِهِ - فَهُوَ مَوْضُوعٌ عِنْدَهُ - : إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي » .

وفي رواية أخرى : « لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ : كَتَبَ فِي كِتَابِهِ - فَهُوَ عِنْدَهُ ، فَوْقَ الْعَرْشِ [3] - إلخ » .

وفي أخرى : « قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزّ وَجَلَّ : سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي »)[4] .

(١) (قال) أي : الشوكاني ، في « الفتح الرباني » . المحقق .
(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .
(٣) هذه الرواية في المصدر المتقدم (١٧/ ٦٧ ، ٦٨) . المحقق .
(٤) هذا الحديث ، في المصدر المتقدم ، ص ٦٨ . المحقق .

(الشَّرح)

فيه : أن الله تعالى ، أوجب على نفسه : الرحمة من غير إيجاب أحد ، وكتبه في كتاب (هو عنده ، فوق العرش العظيم) . وهذا يدل : على العندية ، والعلوّ ، والفوقية . ونحن نؤمن به ، بلا كيف ولا تمثيل . ولا ننكره ، ولا نؤوله[1] : كأهل الكلام .

وهذا هو سبيل السلف : في مسائل الصفات .

وكذا لا نرضى بتأويل « الغضب » ، المسند إليه تعالى . بل نكله إليه سبحانه ، ونؤمن به كما جاء . وما لنا والخوض في معاني صفاته العليا ، وذاته المقدسة ؟ وإن كان تأويل بعضهم : يوافق - في علم الله - بما أراد الله . ولكن لم يوجب الله ، ولا رسوله ، علينا : أن نؤول[2] ماورد في هذا الباب .

ويكفينا - في نفي التشبيه ، والتمثيل - : الإيمان ، والاعتراف بقوله سبحانه : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[3] » « وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ »[4] .

وأما النووي « رحمه الله تعالى » ، فيسلك في ذلك : مسلك المتكلّمين ، ويمشي فيها مشي الخلَف المؤولين[5] . فيحرر مذهبهم « تحت كل حديث ، من أحاديث الصفات » ، ويطوّل ، ويؤيد ، ويقوي - عفا الله عنا وعنه : بمنه وكرمه - ومن هذا الوادي : ما قال هنا . وهو

---

(١) (نؤوله) . في الأصل : « نأوله » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٢) (نؤول) . في الأصل : « نأول » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) الآية : (١١) من سورة الشورى . المحقق .

(٤) الآية (٤)من سورة الإخلاص . المحقق .

(٥) (المؤولين) . في الأصل : « المأولين » . المحقق .

قوله : قال العلماء : « غضب الله ، ورضاه » يرجعان إلى معنى « الإرادة » .

فإرادته : الإثابة للمطيع ، ومنفعة العبد : تسمى « رضا ، ورحمة » وإرادته : عقاب العاصي ، وخذلانه : تسمى « غضباً » . وإرادته « سبحانه وتعالى » : صفة له قديمة ، يريد بها : جميع المرادات .

قال : قالوا : والمراد « بالسبق ، والغلبة هنا » : كثرة الرحمة ، وشمولها . كما يقال : « غلب على فلان : الكرم ، والشجاعة » : إذا كثرا منه . انتهى[1] .

والحديث : دليل على سبق الرحمة ، وغلبتها : على الغضب والسخط . وهذا هو اللائق بشأن أرحم الراحمين .

ولولا ذلك : لكنا جميعاً خاسرين هالكين .

نعوذ بالله : من غضب الله . ونتوب إليه : من سخطه . ونرجو : رحمته ، وكرمه ، وفضله ، ولطفه .

وما أحقّه بذلك ، كله !

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ رَحْمَةٍ . أَنْزَلَ مِنْهَا : رَحْمَةً وَاحِدَةً - بَيْنَ الْجِنِّ ، وَالْإِنْسِ ، وَالْبَهَائِمِ ،

(١) (انتهى) كلام النووي ، في (١٧/٦٨) ، المصدر المتقدم . المحقق .

وَالْهَوَامِّ ؛ فَبِهَا : يَتَعَاطَفُونَ . وَبِهَا : يَتَراحَمُونَ .

وَبِهَا : تَعْطِفُ الْوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا .

وَأَخَّرَ اللّٰهُ ، تِسْعاً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، يَرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[1] ، عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : إن لله مائة رحمة) .

« الرحمة » في الأصل بمعنى : « الرقة الطبيعية ، والميل الجبلّي » . وهذا من صفات الآدميين .

فهو من الباري تعالى : محمول على الإرادة ، فيكون من صفات الذات . أو على فعل الإكرام ، فيكون من صفات الأفعال[2] .

ومنهم : من يحملها ، على إرادة الخير .

ومنهم : من يحملها ، على فعل الخير . ثم بعد ذلك : يتعين أحد التأويلين ، في بعض السياقات ، لمانع يمنع من الآخر .

فهٰهنا يتعيّن تأويل الرحمة : « بفعل الخير » لتكون صفة فعل . فتكون حادثة (عند الأشعري) فيتسلط الخلق عليها .

ولا يصح هنا : تأويلها بالإرادة ، لأنها - إذ ذاك - من صفات الذات ، فتكون قديمة ، فيمتنع تعلّق الخلق بها .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) أرى المؤلف - هنا - كأنه تزحزح قليلاً عن منهجه ، نحو التأويل ، الذي دأب على رفضه بإلحاح . المحقق .

ويتعيّن تأويلها بالإرادة ، في قوله تعالى : « لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ »[1] .

لأنك لو حملتها على الفعل : لكانت العصمة بعينها . فيكون استثناء الشيء[2] من نفسه .

هكذا قالوا : والله أعلم بالصواب .

(أنزل منها : رحمة واحدة - بين الجن ، والإنس ، والبهائم ، والهوام - فبها : يتعاطفون . وبها : يتراحمون . وبها : تعطف الوحش على ولدها .

وأخّر الله : تسعاً وتسعين رحمة ، يرحم بها عباده ، يوم القيامة) .

وفي رواية أخرى ، يرفعه : « جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ : مِائَةَ جُزْءٍ ؛ فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ : تِسْعَةً وَتِسْعِينَ . وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ : جُزْءاً[3] وَاحِداً . فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ : يَتَرَاحَمُ[4] الْخَلَائِقُ ، حَتَّى تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا ، خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ »[5] .

وفي أخرى : « خَلَقَ اللَّهُ مِائَةَ رَحْمَةٍ : فَوَضَعَ وَاحِدَةً فِي[6] خَلْقِهِ ، وَخَبَّأَ عِنْدَهُ : مِائَةً إِلَّا وَاحِدَةً » .

وفي حديث « سلمان الفارسي » ، عند مسلم أيضاً ؛ يرفعه : « إِنَّ لِلَّهِ

---

(١) الآية (٤٣) من سورة هود . المحقق .

(٢) (الشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (جزءاً) . في الأصل : « جزء » بدون ألف . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٤) في صحيح مسلم النووي ، (١٧/ ٦٨) ، المطبعة المصرية : « تتراحم » بالتاء ، بدل الياء . المحقق .

(٥) الحديث بالمصدر المذكور . المحقق .

(٦) في ص ٦٩ المصدر المتقدم : « بَيْنَ » بدل : « في » . المحقق .

مِائَـةَ رَحْمَةٍ ؛ فَمِنْهَا رَحْمَةٌ بِهَا : يَتراحَمُ الْخَلْقُ بَيْنَهُمْ . وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ : لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ »[1] .

وفي حديثه ، عنده أيضاً ، مرفوعاً ، بلفظ : « إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ - يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰـوَاتِ وَالْأَرْضَ - : مِائَـةَ رَحْمَـةٍ ، كُلُّ رَحْمَـةٍ طِبَـاقَ مَا بَيْنَ السَّمَـاءِ وَالْأَرْضِ . فَجَعَلَ مِنْهَا فِي الْأَرْضِ : رَحْمَةً ، فَبِهَا : تَعْطِفُ الْوَالِدَةُ عَلَىٰ وَلَـدِهَـا ، وَالْـوَحْشُ والطَّيْرُ - بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ - . فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَكْمَلَهَا : بِهٰـذِهِ الرَّحْمَةِ »[2] .

قال النـووي « رحمه الله[3] » : هذه الأحاديث ، من أحاديث الرجاء والبشارة للمسلمين . قال العلماء : لأنه ، إذا حصل للإنسان ، من رحمة واحـدة - في هذه الـدار ، المبنية على الأكـدار - : الإسـلام والقـرآن ، والصلاة[4] ، والرحمة في قلبه ، وغير ذلك : مما أنعم الله تعالىٰ به . فكيف الظن بمائة رحمة ، في الدار الآخرة ، وهي دار القرار ، ودار الجزاء ؟

قال[5] : هكذا وقع في نسخ بلادنا جميعاً : « جَعَلَ اللّٰهُ الرَّحْمَةَ : مِائَةَ جُزْءٍ » .

وذكـر عياض : « جَعَـلَ اللّٰهُ الرُّحْمَ » : بضم الراء ، وحذف الهاء . قال : ورويناه : بضم الراء ، ويجوز فتحها . ومعناه « الرحمة ».انتهى[6] .

---

(١) هذا الحديث مذكور في المصدر المتقدم ، ص ٦٩ . المحقق .

(٢) الحديث مذكور بنفس المصدر . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل : رمز إليها بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) (والصلاة) . في الأصل : « والصلوٰة » . المحقق .

(٥) (قال) أي : النووي ، في ص ٦٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه النووي ، في ص ٦٩ ، ٧٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

بَابُ فِيمَا عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ: مِنَ الرَّحْمَةِ، وَالْعُقُوبَةِ

وهو في النووي ، في:(الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[١] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ[٢] مِنَ الْعُقُوبَةِ : مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ . وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ : مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ ») .

(الشَّرح)

بل يحصل له : الرجاء فيها . لأنه يعطي عليه : ما يعلمه من العذاب العظيم[٣] .

وعبر بالمضارع ، في قوله : « يعلم » ، دون الماضي : إشارة إلى أنه لم يقع له علم ، ولا يقع . لأنه إذا امتنع في المستقبل،كان ممتنعاً فيما مضى .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد زيادة « عزوجل » ، بعد لفظ الجلالة ، في بعض نسخ مسلم . المحقق .

(٣) تركيب العبارة ، هكذا : يدل على أن شيئاً سقط من الجملة ، أثناء النسخ ، فأفسد المعنى . ولعل الصواب ، أن قوله : « بل يحصل له : الرجاء فيها » عائد إلى الكافر ، وتفسير لعدم قنوطه من الجنة . ويكون بعد هذه الجملة المتقدمة كلام سقط ، تقديره - مثلاً - أما المؤمن ؛ فإنه لم يطمع بجنة الله ؛ « لأنه يغطّي » بالغين المعجمة ، مكان العين المهملة « عليه » أي على طمعه في الجنة « ما يعلمه » ويؤمن به : « من العذاب العظيم » الذي أعده الله يوم القيامة لمن سبقت عليهم الشقوة . والعياذ بالله . المحقق .

وقال الكرماني « لو » هنا : لانتفاء الثاني . انتهى .

قلت : فيه إثبات عقوبة الله تعالى ، وإثبات رحمته . وأن كلًّا منهما : لا يقادر قدره .

وقد ثبت بالأحاديث السابقة : أن رحمته سابقة غالبة على غضبه ، الذي هو عقوبته وسخطه . « ولا ييأس من رَوْحِ الله : إلّا القوم الكافرون »[1] .

وأما المؤمنون : فيخافون ، ويرجون . والله أرحم بهم من كل أحد : في الدنيا ، وفي الآخرة . إن شاء الله تعالى .

وقد اشتمل هذا الحديث : على الترهيب والترغيب معاً .

قال بعض أهل العلم : « المؤمن » يتردّد بين الخوف والرجاء ، - لخفاء السابقة - وذلك لأنه ينظر تارة : إلى عيوب نفسه ، فيخاف . وتارة : ينظر إلى كرم الله ، فيرجو .

وقيل : يجب أن يزيد خوف العالم ، على رجائه ؛ لأن خوفه يزجره : عن المناهي ، ويحمله : على الأوامر . ويجب أن يعتدل خوف العارف ورجاؤه ؛ لأن عينه ممتدّة إلى السابقة ، ورجاء المحبّ : يجب أن يزيد على خوفه ؛ لأنه بساط الجمال .

« والرجاء » بالمد « هو تعليق القلب بمحبوب » : من جلب نفع ، أو دفع ضر . وسيحصل في المستقبل ، وذلك بأن يغلب على القلب : الظن بحصوله ، في المستقبل . والله أعلم .

---

(١) مقتبس من الآية (٨٧) ، من سورة يوسف . المحقق .

بَابٌ: الله أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنَ الْوَالِدَةِ بِوَلَدِهَا

وهو في النووي ، في:(الباب الغابر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٠ جـ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ أَنَّهُ قَالَ : قَدِمَ عَلىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ بِسَبْيٍ . فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ ، تَبْتَغِي : إِذَا وَجَدَتْ صَبِياً فِي السَّبْيِ : أَخَذَتْهُ ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا ، وَأَرْضَعَتْهُ . فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَتَرَوْنَ[١] هَـٰذِهِ الْمَرْأَةَ ، طَارِحَةً وَلَدَهَا : فِي النَّارِ ؟ » .

قُلْنَا : لَا ، وَاللّهِ ! وَهِيَ تَقْدِرُ عَلىٰ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَلّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ : مِنْ هَـٰذِهِ بِوَلَدِهَا ») .

(الشَّرح)

(عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه[٢] ؛ أنه قال : قدم على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : سبي)[٣] أي : من « هوازن » . (فإذا امرأة من السبي) لم يعرف « ابن حجر » اسمها .

(تبتغي) هكذا هو في جميع نسخ صحيح مسلم ؛ « من الابتغاء » .

---

(١) (أترون) هكذا بفتح التاء ، في صحيح مسلم/ النووي (٧٠/١٧) المطبعة المصرية ، وصحيح مسلم (٢١٠٩/٤) تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي . أما صاحب الفتح ، وصاحب الإرشاد فكلاهما صرّح بضم التاء « أتُرون » أي : أتظنون . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « بسبي » ، دون أن يذكر فاعل : « قدم » . والذي ذكره المؤلف : أوضح ؛ لاحتياج الفعل المذكور إلى فاعل . وهو موافق لرواية البخاري ، في الفتح ، كتاب الأدب ، باب (١٨) ، حديث (٥٩٩٩) . المحقق .

وهو الطلب . قال عياض : وهذا وهم . والصواب : ما في البخاري : « تَسْعَى »[1] . من السعي .

قال النووي : قلت : كلاهما صواب ، لا وهم فيه . فهي ساعية ، وطالبة ، مبتغية : لابنها . والله أعلم[2] .

قلت : وهو في البخاري ، بلفظ : « تَحْلُبُ ثَدْيَهَا ، وَتَسْقِي »[3] .

(إذ[4] وجدت صبيًا في السبي : أخذته) أي : فأرضعته ، ليخف عنها اللبن ، لكونها تضررت باجتماعه . فوجدت ابنها[5] : فأخذته (فألصقته ببطنها ، وأرضعته) . لم يقف « الحافظ ابن حجر » : على اسم ولدها .

(فقال لنا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أترون هذه المرأة) أي : تظنون (طارحة ولدها في النار ؟ قلنا : لا) . أي : لا تطرحه (والله ! وهي تقدر على أن لا تطرحه) أي : تكرهه[6] أبداً (فقال رسول

---

(١) في بعض روايات البخاري : « تسعى » ، كما ذكر . وفي بعضها : « تَسْقِي » ، من السّقي . انظر (الفتح) : (١٠/٤٢٦ ، ٤٣٠) : تصحيح وتحقيق سماحة ابن باز . المحقق .

(٢) قاله النووي ، في (١٧/٧٠) المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في الفتح (١٠/٤٢٦) المصدر المتقدم ، حديث رقم (٥٩٩٩) : « تَحْلُبُ ثَدْيَهَا ، تَسْقِي » بدون واو قبل الفعل : « تسقي » . المحقق .

(٤) (إذ) في مصدر الحديث ، وكذلك ، في الفتح ، حديث (٥٩٩٩) المتقدم : « إذا » بدل : « إذ » . وهو الصواب فيما يبدو ، لأن الفعل قد تكرر منها . المحقق .

(٥) لم يصرح الحديث بأنها وجدت ابنها . وإنما كانت كلما وقع بصرها على صبي في السّبي أخذته ، فألصقته ببطنها ، وأرضعته . وأما عثورها على صبيها فيؤخذ من رواية الإسماعيلي ، وقد ذكرها صاحب الفتح (١٠/٤٣٠) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) (**أي:تكرهه أبداً**) هكذا في الأصل : تفسيراً لما قبله . وهي كما ترى عبارة لا معنى لها ، نتيجة لخطأ في **النسخ** . وعبارة القسطلاني ، في الإرشاد (٩/١٩) : « **أي : لا تطرحه مكرهة أبداً** » . ولعل هذا هو ما **قصده المؤلف** . وعبارة الفتح (١٠/٤٣١) : « أي : لا تطرحه طائعة أبداً » . وهي أوضح . المحقق .

الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : لله) اللام للتأكيد (أرحم بعباده) أي : المؤمنين (من هذه بولدها) .

هذا ؛ وحكى « الشيخ ابن أبي جمرة » : احتمال تعميمه ، حتى في الحيوانات .

والحديث أخرجه البخاري أيضاً ، في « باب رحمة الولد ، وتقبيله ، ومعانقته »[1] .

بَابٌ : لَنْ يُنَجِّيَ أَحَدًا عَمَلُهُ

وقال النووي : (باب : لن يدخل أحد الجنة ، بعمله . بل برحمة الله تعالى) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ - زَوْجِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم - ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « سَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحداً : عَمَلُهُ » .

قَالُوا : وَلاَ أَنْتَ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ !

قَالَ : « وَلاَ أَنَـا . إِلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ مِنْهُ : بِرَحْمَةٍ . وَاعْلَمُوا : أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللّهِ : أَدْوَمُهُ ، وَإِنْ قَلَّ ») .

---

(١) وهو في الفتح (١٠/٤٢٦) باب (١٨) ، في كتاب الآدب . حديث رقم (٥٩٩٩) . المحقق .

(الشَّرح)

(عن عائشة) رضي الله عنها ، زوج النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم[1] . (أنها كانت تقول : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : سددوا) أي : اطلبوا السداد ، واعملوا به .

« والسداد » : الصواب . وهو بين الإفراط والتفريط . فلا تَغْلُوا ولا تقصّروا .

قال القسطلاني : وهو[2] اتّباع السنة ، من الإخلاص وغيره[3] (وقاربوا) أي : إن عجزتم عن السداد ، فاقربوا منه .

وقال القسطلاني : أي : لا تُفْرِطوا ، فتجهدوا أنفسكم في العبادة ، لئلا يفضي بكم ذلك : إلى الملال ، فتتركوا العمل[4] .

قال ابن حزم : معنى الأمر بالسداد والمقاربة ، أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، أشار بذلك ؛ إلى أنه : بُعِثَ ميسّرا مسهلا ؛ فأمر أمّته : بأن يقصدوا في الأمور ، لأن ذلك يقتضي : الاستدامة ، عادة .

(وأبشروا) أي : بالجنة : (فإنه لن يُدخل الجَنَّة أحداً : عمله . قالوا : ولا أنت ؟ يارسول الله ! قال : ولا أنا . إلاّ أن يتغمدني الله منه : برحمة) أي : يلبسنيها ، ويغمدني ويسترني بها .

---

(١) صنيع المؤلف ، يوهم : أن لفظ : « زوج النبي صلى الله عليه وسلم » ، ليس من صلب الحديث ، حيث لم يضعه تحت الخط الذي يندرج تحته : ألفاظ الحديث . مع أنه من صلبه ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٢) (وهو) أي : السّداد . المحقق .

(٣) فسر القسطلاني ، في (١/١٢٤) . فسر السداد : بالتوسط في العمل . وفي (٩/٢٢٦) ، فسره : بالصواب . ثم قال - في خلال شرحه للحديث - : فاعملوا ، واقصدوا بعملكم : الصواب . وهو اتباع السنة ؛ من الإخلاص ، وغيره ، ليقبل عملكم ، فتتنزل عليكم الرحمة . المحقق .

(٤) قاله ، في الإرشاد (٩/٢٦٦) . المحقق .

ومنه : « أغمدت السيف وغمدته » : إذا جعلته في غمده ، وسترته[1] به .

وفي حديث « أبي هريرة » ، يرفعه : « لَنْ يُنْجِيَ أَحداً مِنْكُمْ : عَمَلُهُ » قَالَ رَجُـلٌ : وَلَا إِيَّاكَ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « وَلَا إِيَّايَ ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ[2] : بِرَحْمَةٍ . وَلٰكِنْ سَدِّدُوا » . وفي رواية : « بِرَحْمَةٍ مِنْهُ ، وَفَضْلٍ[3] » وفي رواية : « بِمَغْفِرَةٍ ، وَرَحْمَةٍ »[4] .

وفي رواية : « إِلَّا أَنْ يَتَدارَكَنِيَ اللّهُ مِنْهُ : بِرَحْمَةٍ »[5] .

وفي حديث « جابـر » عنـد مسلم ، يرفعـه : « لَا يُدْخِلُ أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ : الْجَنَّةَ ، وَلَا يُجِيرُهُ مِنَ النَّارِ . وَلَا أَنَا ، إِلَّا بِرَحْمَةِ اللّهِ »[6] .

قال الرافعي (في أماليه) : لما كان أجر النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، في الطاعة : أعظم ، وعمله في العبادة : أقوم . قيل له : « ولا أنت ؟ » أي : لا ينجيك عملك ، مع عظم قدرك . فقال : لا . إلاّ برحمة الله .

قال[7] : وفيه أن العامل ، لا ينبغي له : أن يتّكل على عمله ، في طلب النجـاة ، ونيل الـدرجـات . لأنـه ، إنمـا عمل : بتوفيق الله . وإنما ترك المعصية : بعصمة الله تعالى . فكل ذلك : بفضله ، ورحمته . انتهى .

---

(١) أفاده النووي في (١٧/١٦١ ، ١٦٢) . المحقق .

(٢) في صحيح مسلم / النووي ، (١٧/١٥٩) « أن يتغمدني الله منه » بزيادة كلمة « منه » . المحقق .

(٣) مذكور في ص ١٦٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) في ص ٥٩ نفس المصدر . المحقق .

(٥) ص ١٦٠ ، نفس المصدر . المحقق .

(٦) الحديث في ص ١٦١ ، المصدر نفسه ، إلا أنه قال : « برحمة من الله » ، بزيادة « من » . المحقق .

(٧) (قال) أي : الرافعي . المحقق .

قال النـووي : اعلم أن مذهب أهـل السنـة : أنه لا يثبت بالعقل : ثواب ، ولا عقـاب ، ولا إيجـاب ، ولا تحـريم . ولا غيرهمـا من أنـواع التكليف . ولا تثبت هذه كلها ، ولا غيرها : إلا بالشرع .

ومـذهب أهل السنة أيضاً : أن الله تعالى ، لا يجب عليه شيء[1] - تعالى الله - بل العالم ملكه ، والدنيا والآخرة في سلطانه ، يفعل فيهما : ما يشـاء . فلو عذّب المـطيعين والصالحين أجمعين ، وأدخلهم النار : كان عدلاً منه[2] .

وإذا أكرمهم . ونعّمهم ، وأدخلهم الجنة : فهو فضل منه . ولو نعّم الكافرين ، وأدخلهم الجنة : كان له ذلك . ولكنه أخبر - وخبره صـدق - : أنه لا يفعل هذا ، بل يغفر للمؤمنين ، ويدخلهم الجنة برحمته . ويعذب المنافقين ، ويخلدهم في النار : عدلا منه .

وأمـا المعتزلـة ؛ فيثبتـون الأحكـام : بالعقـل . ويوجبـون : ثواب الأعمال . ويوجبون : الأصلح . ويمنعون : خلاف هذا - في خبط طويل لهم - تعالى الله : عن اختراعاتهم الباطلة ، المنابذة لنصوص الشرع[3] .

وفي ظاهـر هذه الأحاديث : دلالة لأهل الحق : أنه لا يستحق أحد الثـواب والجنـة : بطاعتـه . وأمـا قولـه تعالى : « ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[4] ، « وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »[5] ، ونحوهما

---

(١) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) قلت : ولكنه سبحانه - تفضلاً منه - : حرّم الظلم على نفسه . المحقق .

(٣) قاله النووي ، في (١٧/ ١٥٩ ، ١٦٠) . المحقق .

(٤) الآية : (٣٢) من سورة النحل . المحقق .

(٥) الآية : (٧٢) من سورة الزخرف . المحقق .

من الآيات ، الدالة على أن الأعمال ، يُدْخَل بِهَا الجنة . فلا يعارض هذه الأحـاديث ،بـل معنى الآيات : أن دخـول الجنة ، بسبب الأعمال ، ثم التوفيق للأعمال ، والهداية للإخلاص فيها ، وقبولها : برحمة الله تعالى ، وفضله .

فيصحّ أنه لم يدخل : بمجرد العمل . وهو مراد الأحاديث . ويصحّ أنه دخل : بالأعمال . أي : بسببها . وهي من الرحمة . والله أعلم .

(واعلموا : أن أحبَّ العَمَل إلى الله : أدومه ، وإن قلّ) .

فيه : الحثّ على إدامة العمل .

والمراد « بالدوام » : المواظبة العرفية . وهي الإتيان بذلك - في كل شهر ، أو كل يوم - : بقدر ما يطلق عليه اسم « المداومة » عرفاً . لا شمول الأزمنة : إذ هو غير مقدور .

وفي حديث « عائشة » عند البخاري ؛ « قَالَتْ : كَانَ أَحَبُّ الْعَمَلِ إِلَىٰ رَسُـولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ »[1] . أي : يستمرّ عليه ، عامله .

بَابُ: مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَىٰ أَذًى، مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

وذكره النووي ، في : (باب الكفار) .

---

(١) هذا الحديث مذكور ، في الفتح (١١/٢٩٤) ، كتاب الرقاق ، باب (١٨) ، حديث رقم (٦٤٦٢) . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٦ ج ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ السُّلَمِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ قَيْسٍ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلىٰ أَذًى ، يَسْمَعُهُ : مِنَ اللّهِ تَعَالَىٰ ؛

إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ لَهُ : نِدّاً ، وَيَجْعَلُونَ لَهُ : وَلَداً ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ : يَرْزُقُهُمْ ، وَيُعَافِيهِمْ ، وَيُعْطِيهِمْ ») .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن قيس ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلــه (وسلم : ما أحــد أصبــر) : أفعـل تفضيل من « الصبر » . أي : أحلم .

و « الصبـر » : حبس النفس ، عن المجازاة ، وعلى المكروه . والله تعالى منزّه عن ذلك ؛ فالمراد لازمه : وهو ترك المعاجلة بالعقوبة .

قال النووي : قال العلماء : معناه : أن الله تعالى ؟ واسع الحلم ، حتى على الكافر الذي ينسبُ إليه : الولد والندّ .

قال المازري : « حقيقة الصبر » : منع النفس من الانتقام ، أو غيره . فالصبر نتيجته : الامتناع . فأطلق « اسم الصبر » : على الامتناع – في حق الله تعالى – ، لذلك .

(١) ذكرنـا من السنـد ، من أول : « عن أبي عبد الرحمن السلمي » من مصدر الحديث ، هذا ؛ ولم يذكر بالمصدر « رضي الله عنه » . المحقق .

قال عياض : « والصبور » من أسماء الله تعالى . وهو الذي لا يعاجل العصاة بالانتقام . وهو بمعنى : الحليم ؛ في أسمائه سبحانه وتعالى . « والحليم » هو الصفيح[1] ، مع القدرة على الانتقام . انتهى[2] .

(على أذى سمعه[3] ، من الله عز وجل[4] . إنهم يجعلون له : ندا ويجعلون له : ولدا . وهو مع ذلك يرزقهم) : صفة فعل من أفعاله .

(ويعافيهم) أي : في أنفسهم ؛ من العلل ، والبليات ، والمكروهات .

(ويعطيهم)[5] : ما ينتفعون به : من الأقوات وغيرها ، مقابلة للسيئات بالحسنات .

قال بعض أهل العلم : « الرازق » : خالق الأرزاق والأسباب ، التي يتمتع بها .

و « الرزق » هو : المنتفع به . وكل ما ينتفع به : فهو رزقه ، سواء كان مباحاً أو محظوراً . والرزق نوعان : محسوس ، ومعقول . ولذا قال بعض

---

(١) (الصفيح) عبارة النووي : « الصفوح » وهي أفضل وأبلغ . المحقق .

(٢) (انتهى) ما حكاه النووي ، في (١٤٦/١٧) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « يسمعه » ، بدل : « سمعه » . وإنما ورد « سمعه » ، في روايتي البخاري ؛
الأولى : روايته عن مسدد ، عن يحيى بن سعيد ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير .
والثانية : روايته عن عبدان ، عن أبي حمزة ، عن الأعمش ، عن سعيد .
والأولى في الفتح (٥١١/١٠) ، كتاب الأدب ، باب (٧١) ، حديث (٦٠٩٩) .
والثانية في نفس المصدر (٣٦٠/١٣) ، كتاب التوحيد ، باب (٣) ، حديث (٧٣٧٨) . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « من الله تعالى » . وفي روايتي البخاري : « من الله » دون ذكر « تعالى » أو « عزوجل » . المحقق .

(٥) في رواية البخاري الأولى : « إِنَّهُمْ لَيَدْعُونَ لَهُ : وَلَداً ، وَإِنَّهُ لَيُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ » .
وفي روايته الثانية : « يَدَّعُونَ لَهُ : الْوَلَدَ » دون ذكر « إنهم » . « ثُمَّ يُعَافِيهِمْ ، وَيَرْزُقُهُمْ » . دون ذكر : « ويعطيهم » في الروايتين . المحقق .

المحققين : « الـرزاق » : من رزق الأشبـاح ، فوائـد لطفه . والأرواح ، عوائد كشفه[1] .

قال القـرطبي : « الـرزق » في ألسنة المحدّثين : السماع . يقال : « رزق » . يعنون به : سماع الحديث . قال : وهو صحيح . انتهى[2] .

قال القشيري : « من عرف ، أن الله هو المعـطي الـرزاق » : أفرده بالقصد إليه ، وتقرب إليه : بدوام التوكل عليه .

أرسل الشبلي إلى غني : أن ابعث إلينا شيئاً من دنياك . فكتب إليه : سل دنياك ، من مولاك . فكتب إليه الشبلي : « الدنيا حقيرة ، وأنت حقير . وإنما أطلب الحقير : من الحقير . ولا أطلب من مولاي : غير مولاي » . فسمت همّته العلية : أن لا يطلب من الله تعالى : الأشياء الخسيسة[3] . والله أعلم .

بَابُ: مَا أَحَدٌ أَغْيَرَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

وقال النووي : (باب غيرة الله تعالى ، وتحريم الفواحش) .

---

(١) أفاده صاحب « إرشاد الساري » (١٠/٣٦٢) ، مطبعة بولاق الكبرى . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام القرطبي ، كما حكاه المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) أفاده المصدر المتقدم . وفي النفس شيء منه . ألم يقل النبي ، صلى الله عليه وسلم : « إذا سألت : فاسأل الله . وإذا استعنت : فاستعن بالله » إلخ . وألم يكن هو – أيضاً – صلى الله عليه وسلم ، يسأل الله تعالى : كل حاجاته . فالله تعالى ، هو المالك للدنيا والآخرة . المحقق .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْمَدْحُ : مِنَ اللّهِ ، عَزَّوَجَلَّ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ : مَدَحَ نَفْسَهُ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ أَغْيَرَ : مِنَ اللّهِ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ : حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ .

وَلَيْسَ أَحَدٌ ، أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ : مِنَ اللّهِ . مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ : أَنْزَلَ الْكِتَابَ ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ ») .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : ليس أحد أحبَّ إليه المدح : من الله ، عز وجل . من أجل ذلك : مدح نفسه) .

حقيقة هذا ، مصلحة للعباد . لأنهم يثنون عليه سبحانه وتعالى : فيثيبهم ، فينتفعون . وهو - سبحانه - غني عن العالمين . لا ينفعه مدحهم ، ولا يضره تركهم ذلك[2] .

وفيه : تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتعالى ، وتسبيحه ، وتهليله ، وتحميده ، وتكبيره ، وسائر الأذكار[3] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في (١٧/٧٧) . هذا ؛ وكلمة « العالمين » . رسمت في الأصل : « العلمين » . المحقق .

(٣) أفاده المصدر المتقدم . المحقق .

(وليس أحد أغير : من الله ، عز وجل)[1] .

وفي رواية : « لا شَيْءَ أَغْيرُ[2] إلخ » .

(من أجل[3] ذلك : حَرَّمَ الفواحش) .

« الغيرة » : بفتح الغين . وهي في حقنا الأنفة . وأما في حق الله تعالى ، فقد فسرها بما يأتي بعد هذا ، في حديث أبي هريرة[4] .

وفي رواية أخرى : « حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ : مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَمَا بَطَنَ »[5] .

« والفواحش » : جمع فاحشة . وهي كل خصلة قبيحة : من الأقوال ، والأفعال .

(وليس أحد أحبّ إليه العذر : من الله . من أجل ذلك : أنزلَ الكتاب ، وأرسل الرسل) .

قال عياض : يحتمل أن المراد : « الاعتذار » . أي : اعتذار العباد إليه سبحانه : من تقصير هم ، وتوبتهم : من معاصيهم ، فيغفر لهم . كما قال تعالى : « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ »[6] .

---

(١) في مصدر الحديث ، لم يذكر هنا : « عزّ وجلّ » . المحقق .

(٢) هذه رواية مسلم ، عن أسماء ، ترفعه . وهي في صحيح مسلم / النووي (١٧/ ٧٨) . المحقق .

(٣) (أجل) بالجيم . وهي في الأصل : بالحاء المهملة . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٤) أي في قوله ، صلى الله عليه وسلم : « وَغَيْرَةُ اللَّهِ : أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ : مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ » . كما سيأتي قريباً . المحقق .

(٥) وهي رواية شقيق عن عبد الله بن مسعود . وكذلك رواية أبي وائل عنه . انظر صحيح مسلم / النووي ، (١٧/ ٧٧) . المحقق .

(٦) حكاه النووي ، في (١٧/ ٧٨) . هذا ؛ والآية المذكورة رقم (٢٥) سورة الشورى . المحقق .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللّهَ يَغَارُ . وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ . وَغَيْرَةُ اللّهِ . أَنْ يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ : مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن الله يغار . وإن المؤمن يغار) .

وفي رواية : « الْمُؤْمِنُ يَغَارُ لِلْمُؤْمِنِ . وَاللّهُ أَشَدُّ غَيْراً »[2] .

(وغيرة الله[3] : أن يأتي المؤمن : ما حرم عليه) .

أي غيرته : منعه وتحريمه . « قاله النووي »[4] .

وعلى كل حال ، يجوز : إطلاق هذه اللفظة ، ولفظة « أغير » : على الله سبحانه ، بلا كيف ، ولا تأويل .

والحديث : نصّ في محل النزاع . والله أعلم بالصواب .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) الـذي وجدته ، في صحيح مسلم / النووي ، (١٧/٧٩) : « الْمُؤْمِنُ يَغَارُ . وَاللّهُ أَشَدُّ غَيْراً » . بدون ذكر : « للمؤمن » . المحقق .

(٣) (وغيرة الله) ، ذكر المؤلف – في الهامش – : ما يفيد أنه في بعض النسخ : بزيادة : « عز وجل » ، بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٤) قاله النووي ، في (١٧ / ٧٧) . المحقق .

بَابُ فِي النَّجْوَى ، وَتَقْرِيرِ الْعَبْدِ بِذُنُوبِهِ

وقال النووي : (باب سعة رحمة الله تعالى : على المؤمنين ، وفداء كل مسلم بكافر : من النار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٦ ، ٨٧ جـ ١٧ المطبعة المصرية

(عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ لِابْنِ عُمَرَ : كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ فِي النَّجْوَىٰ ؟ قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ : « يُدْنَى الْمُؤْمِنُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ، مِنْ رَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّىٰ يَضَعَ عَلَيْهِ : كَنَفَهُ ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ ؛ فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُ ؟ فَيَقُولُ : أَيْ رَبِّ ! أَعْرِفُ .

قَالَ : فَإِنِّي ، قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ - فِي الدُّنْيَا - وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ ، الْيَوْمَ .

فَيُعْطَىٰ : صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ .

وَأَمَّا الْكُفَّارُ ، وَالْمُنَافِقُونَ ؛ فَيُنَادَىٰ بِهِمْ - عَلَىٰ رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ - : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللّهِ ») .

(الشَّرح)

(عن صفــوان بن محــرز ؛ قال : قال رجـل لابـن عمـر رضي الله عنهما[1] : كيف سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يقول في النجوى ؟ قال : سمعته يقول : « يُدنى المؤمن - يوم القيامة - من ربّه ، حتى يضع عليه : كنفه) بفتح النون .

قال النووي : وهو[2] ستره وعفوه .

والمـراد « بالـدنـو » هنـا : دنو كرامة وإحسان ، لا دنو مسافة . والله تعالى : منزّه عن المسافة ، وقربها . انتهى[3] .

قلت : وهذا هو التأويل ، الذي لا يرضاه السلف . وصرف اللفظ الوارد على لســان رسـول الله ، صلى الله عليه - وآله وسلم - عن ظاهره ، بلا موجب يوجبه .

(فيقـره بذنـوبه ؛ فيقول : هل تعرف ؟ فيقول : رب[4] ! أعرف . قال : فإني قد سترتهـا عليك - في الـدنيا - وإني أغفرها لك ، اليوم . فيعطى صحيفة حسناته .

وأما الكفار ، والمنافقون ؛ فينادى بهم - على رؤوس الخلائق - هؤلاء الذين كذبوا على الله[5]) .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) (وهو) أي : « كنَفُ الله تعالى » . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، بص ٨٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « أي رب ! » بزيادة أداة النداء « أي » . المحقق .

(٥) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : بزيادة « عز وجل » ، بعد **لفظ الجلالة** . المحقق .

فيه : بشارة لعصاة الإسلام ، بمغفرة ذنوبهم ، بعد تقريرهم بآثامهم .

وفيه : نعيٌ على أهل الكفر ، والنفاق .

اللهم ! عبـدك هذا ، يقـرّ بجميع ذنوبه : الظاهر منها ، والباطن . والمستور منها ، والمكشوف .

فاغفر له وارحمه ، واعف عن سيئاته ، وبدلها بالحسنات . فليس ذلك عليك بعزيز .

بَابُ تَقْرِيرِ النِّعَمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَلَى الْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ

وأورده النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٣ ، ١٠٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالُوا : يَارَسُولَ اللّهِ ! هَلْ نَرَىٰ رَبَّنَا ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟

قَالَ : « هَلْ تُضَـارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ ، فِي الـظَّهِيرَةِ ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ ؟ » . قَالُوا : لَا .

قَالَ : « فَهَـلْ تُضَـارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْـقَمَـرِ ، لَيْلَةَ الْبَـدْرِ ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ ؟ » . قَالُوا : لَا .

قَالَ : « فَوَالَّـذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَا تُضَـارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ ، إِلَّا كَمَـا تُضَارُّونَ : فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا » .

قَالَ : « فَيَلْقَى الْعَبْدَ ، فَيَقُولُ : أَيْ فُلْ ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ : الْخَيْلَ ، وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ : تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَىٰ » .

قَالَ : « فَيَقُولُ : أَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ ، كَمَا نَسِيتَنِي . ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِي ، فَيَقُولُ : أَيْ : فُلْ ! أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وَأُسَوِّدْكَ ، وَأُزَوِّجْكَ ، وَأُسَخِّرْ لَكَ : الْخَيْلَ ، وَالْإِبِلَ ، وَأَذَرْكَ : تَرْأَسُ ، وَتَرْبَعُ ؟ فَيَقُولُ : بَلَىٰ . أَيْ رَبِّ !

فَيَقُولُ : أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فَيَقُولُ : لَا . فَيَقُولُ : فَإِنِّي أَنْسَاكَ ، كَمَا نَسِيتَنِي .

ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ ، فَيَقُولُ لَهُ : مِثْلَ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : يَارَبِّ ! آمَنْتُ بِكَ ، وَبِكِتَابِكَ ، وَبِرُسُلِكَ . وَصَلَّيْتُ ، وَصُمْتُ ، وَتَصَدَّقْتُ . وَيُثْنِي بِخَيْرٍ ، مَا اسْتَطَاعَ . فَيَقُولُ : هَـٰهُنَا ، إِذاً .

قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ . وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ : مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ ؟ فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ . وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ ، وَلَحْمِهِ ، وَعِظَامِهِ : انْطِقِي .

فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ ، وَلَحْمُهُ ، وَعِظَامُهُ : بِعَمَلِهِ . وَذَلِكَ ، لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ . وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ . وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قالوا : يارسول الله ! هل نرى ربنا ، يوم القيامة ؟ قال : هل تضارّون في رؤية الشمس ، في الظهيرة) .

وفي رواية أخرى في كتاب الإيمان : « تضامون »[2] : وروي « تضارون » .

بتشديد الراء ، وبتخفيفها ، والتاء مضمومة فيهما .

ومعنى المشدّد هل تضارّون غيركم في حالة الرؤية : بزحمة ، أو مخالفة في الرؤية وغيرها ، لخفائه ؟ كما تفعلون في الظهيرة[3] . (ليست في سحابة) .

ومعنى المخفف : هل يلحقكم في رؤيته ، ضير ؟ « وهو الضرر » .

وروي أيضاً : « تضامون » بتشديد الميم ، وتخفيفها ؛ فمن شدّدها : فتح التاء . ومن خففها : ضم التاء .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) ليس في كتاب الإيمان ، كما ذكر المؤلف ، وإنما في كتاب المساجد ، باب (٣٧) ، حديث رقم (٢١١) صحيح مسلم . المحقق .

(٣) (كما تفعلون في الظهيرة) هذه الجملة توهم أنهم – عند الظهيرة – : يضارون ، في رؤية الشمس وهذا باطل . فالواجب حذفها ليستقيم المعنى . هذا ؛

وعبارة ابن حجر ، في الفتح (١١ / ٤٤٦) ، كتاب الرقاق ، باب (٥٢) ، عند شرحه للحديث وهو برقم (٦٥٧٣) قال : « تضارون » بضم أوله ، وبالضاد المعجمة ، وتشديد الراء « بصيغة المفاعلة » : من الضرر .

وأصله : « تضاررون » : بكسر الراء الأولى ، وبفتحها .

أي : لا تضرّون أحداً ، ولا يضرّكم أحدٌ : بمنازعة ، ولا مجادلة ، ولا مضايقة اهـ . وهي أوضح ، وأظهر .

هذا ؛ وقد وجدت أن المؤلف نقل من النووي ، (٣ /١٨) . إلا أن النووي قال : « كما تفعلون ، أول ليلة من الشهر » . وهذا واضح . المحقق .

ومعنى المشدد : هل تتضامّون ، وتَتلطفون : في التوصل إلى رؤيته ؟

ومعنى المخفف : هل يلحقكم ضيم ؟ وهو المشقة ، والتعب[1] .

قال عياض : قال فيه « بعض أهل اللغة » : « تَضارون ، وتَضامون » بفتح التاء : وتشديد الراء ، والميم .

وأشار عياض بهذا : إلى أن غير هذا القائل ، يقولهما « بضم التاء » سواء شدّد ، أو خفف[2] . وكل هذا صحيح ، ظاهر المعنى .

وفي رواية للبخاري : « لا تضامون - أو لا تضارون[3] - » على الشك . ومعناه : لا يشتبه عليكم وترتابون فيه ؛ فيعارض بعضكم بعضاً : في رؤيته . والله أعلم .

(قالوا : لا . قال : « فهل تضارون في رؤية القمر - ليلة البدر - ليس في سحابة ؟ » قالوا : لا . قال : « فوالذي نفسي بيده ! لا تضارّون في رؤية ربكم ، عز وجل[4] : إلا كما تضارون : في رؤية أحدهما ») .

---

(١) في هامش ص ٤٣٩ من المجلد الأول ، لصحيح مسلم : تعليق ذكره « محمد فؤاد عبد الباقي » ، ونصه : (لا تضامون) : يجوز ضم التاء ، وفتحها (وهو بتشديد الميم) : من الضمّ . أي : لا ينضمّ بعضكم إلى بعض ، ولا يقول : أرنيه . بل كلٌ ينفرد برؤيته .

قال : وروي بتخفيف الميم (من الضيم) ، وهو الظلم . يعني : لا ينالكم ظلم (بأن يرى بعضكم ، دون بعض) ، بل تستوون كلكم : في رؤيته تعالى . المحقق .

(٢) أي : في كل من : « تضارون » ، و « تضامون » . المحقق .

(٣) الذي ذكره صاحب الفتح (١١ / ٤٦٦) ، كتاب الرقاق ، باب (٥٢) ، خلال شرحه للحديث وهو برقم (٦٥٧٣) ، قال مانصه : ووقع في رواية للبخاري : « لَا تُضَامون - أو لَا تُضَاهون - بالشك . وليس : « أولا تضارون » كما ذكر المؤلف .

قال ابن حجر : ومعنى الذي بالهاء - أي لا تضاهون - : لا يشتبه عليكم ، ولا ترتابون فيه ؛ فيعارض بعضكم بعضاً . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

وفي رواية أخرى[1] : « أَنَّ نَاساً ، قَالُوا لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : هَـلْ نَـرَىٰ رَبَّنَا[2] ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « هَلْ تُضَارُّونَ فِي ، الْقَمَرِ[3] ، لَيْلَةَ الْبَدْرِ ؟ » قَالُوا : لاَ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ » قَالُوا : لاَ[4] . قَالَ : : « فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذٰلِكَ[5] » .

قال النووي معناه : تشبيه الرؤية بالرؤية - ، في الوضوح ، وزوال : الشك والمشقة ، والاختلاف[6] - .

قال : وإن مذهب أهـل السنـة (بأجمعهم) : أن رؤية الله تعـالى ممكنة ، غير مستحيلة عقلا . وأجمعوا أيضاً : على وقوعها في الآخرة ، وأن المؤمنين يرون الله تعالى ، دون الكافرين[7] .

قال : وزعمت طائفة من أهل البدع (المعتزلة ، والخوارج ، وبعض المرجئة) أن الله تعالى لا يراه أحد من خلقه ، وأن رؤيته مستحيلة عقلاً . وهذا الذي قالوه : خطأ صريح ، وجهل قبيح . وقد تظاهرت أدلة الكتاب ، والسّنّة ، وإجماع الصحابة ، فمن بعدهم : من سلف الأمة : على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة ، للمؤمنين .

---

(١) هذه الرواية ، رواها مسلم في صحيحه ، عن عطاء بن يزيد الليثي ؛ أن أبا هريرة ، أخبره ؛ أَنَّ نَاساً . . الحديث .
في كتاب الإيمان ، باب « معرفة طريق الرؤية » ، حديث رقم (٢٩٩) . المحقق .

(٢) في المصدر المذكور : « يارسول الله ! هل نرى ربنا » . . . إلخ . المحقق .

(٣) في المصدر نفسه : « في رؤية القمر » بزيادة كلمة : « رؤية » . المحقق .

(٤) في المصدر المذكور بزيادة : « يارسول الله ! » . المحقق .

(٥) للحديث بقية طويلة ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) قاله النووي ، في (٣ / ١٨) المصدر المتقدم . المحقق .

(٧) قاله في ص ١٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

ورواها نحو عشرين صحابيّاً ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وآيات القرآن فيها : مشهورة .

واعتراضات « المبتدعة » عليها : لها أجوبة مشهورة ، في كتب المتكلمين من أهل السنة .

وكذلك باقي شبههم . وهي مستقصاة في كتب الكلام . وليس بنا ضرورة : إلى ذكرها هنا .

وأما رؤية الله (في الدنيا) ، فإنها ممكنة . ولكن الجمهور من السلف والخلف - من المتكلمين وغيرهم - ، قالوا : إنها لا تقع في الدنيا .

وحكى القشيري في رسالته - عن ابن فورك - أنه حكى فيها[1] : قولين لأبي الحسن الأشعري ؛

أحدهما : وقوعها .

والثاني : لا تقع .

ثم مذهب أهل الحق : أن « الرؤية » قوة ، يجعلها الله تعالى في خلقه . ولا يشترط فيها : اتصال الأشعة ، ولا مقابلة المرئي ، ولا غير ذلك .

لكن جرت العادة في رؤية بعضها[2] بعضاً : بوجود ذلك ، على جهة الاتفاق ، لا على سبيل الاشتراط .

وقد قرر أئمتنا المتكلمون : ذلك بدلائلهم الجليّة . ولا يلزم من رؤية

(١) (فيها) أي في وقوع رؤية الله تعالى ، في الدنيا . المحقق .

(٢) الصواب : « بعضنا » ، لا « بعضها » . المحقق .

الله تعالى[1] : إثبات جهة ، تعالى عن ذلك . بل يراه المؤمنون - لا في جهة - كما يعلمونه - لا في جهة - . والله أعلم ..

هذا آخر كلام النووي[2] . وهو صحيح ، موافق لمذهب أهل الحق - من أصحاب الكتاب ، والسنة - : في إثبات الرؤية للمؤمنين .

وقد حررنا هذه المسألة[3] ، في مؤلفات عديدة لنا ؛

مثل « مثير ساكن الغرام ، إلى روضات دار السلام » . و« يقظة أولي الاعتبار ، في ذكر النار وأصحاب النّار[4] ».و«الانتقاد الرجيح ، في شرح الاعتقاد الصحيح ».وغير ذلك .

وقد تكلّم عليها[5] : فحول العلماء ؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية ، وتلميذه الحافظ ابن القيم ، وغيرهما .

وكلام هذين الإمامين : أحسن وأدلّ على تحقيق الصواب .

وأما إنكار الجهة - من النووي ، رحمه الله - ؛ فقد قال به ، تبعاً للمتكلمين . وإلا ، فقد أثبت سبحانه وتعالى - لنفسه المقدسة - : الفوق ، والعلوّ . ونطق به حديث الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم : في غير حديث .

ولا يقدح ثبوت ذلك في تنزيهه سبحانه ، كما زعمت المتكلمة . بل « ليس كمثله شيء[6] وهو على كل شيء[6] قدير » .

---

(١) (رؤية الله) من إضافة المصدر إلى مفعوله . المحقق .

(٢) ذكره في ص ١٥ ، ١٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (المسألة) . في الأصل : « المسئلة » . المحقق .

(٤) (النار) في الأصل : (التار) بالتاء المثناة فوق . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٥) (عليها) أي : على إثبات رؤية الله تعالى ، للمؤمنين . المحقق .

(٦) (شيء) . في الأصل : الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

وإنما لنا : الأسماء فقط . وحقائقها : له سبحانه . ونحن نؤمن بجميع صفاته العليا ، وأسمائه الحسنى . كما وردت . ولا نقول : كيف ؟ ولا نعطلها . ولا نؤولها[1] . ولا نمثلها . بل نُمرّها على ما جاءت ، ونكل علمها إليه سبحانه .

وهذه هي الطريقة المثلى ، وعليها درج سلف الأمة وأئمتها ، ومذهبهم أسلم بالإجماع ، عند من يقول : بحجيته[2] .

والتأويل (الذي هو مذهب الخلف) : لم يدل دليل قط ، على إيجابه . فالقصر على مشرب السلف (الموافق لظاهر الكتاب والسنة) : أحق بالاتباع .

(قال : فيلقى العبدَ ، فيقول : أي فل !) بضم الفاء ، وإسكان اللام . معناه : يافلان ! وهو ترخيم ، على خلاف القياس .

وقيل : هي لغة بمعنى « فلان » . حكاه عياض .

(ألم أكرمك ، وأسودك) أي : أجعلك سيداً على غيرك .

(وأزوجك ، وأسخّر لك : الخيل ، والإبل . وأذرك : ترأس ، وتربع ؟) .

الأول[3] : بفتح التاء ، وبعدها همزة مفتوحة . ، ومعناه : « رئيس القوم ، وكبيرهم » .

---

(١) (نؤولها) . في الأصل : « نأولها » بالهمزة على ألف . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٢) (بحجيّته) أي : بحجية الإجماع . المحقق .

(٣) « الأول » وهو : « ترأس » . المحقق .

والثاني[1] : بفتح التاء ، والباء الموحّدة . هكذا رواه الجمهور .

وفي رواية « ابن ماهان » : « ترتع »[2] بالتاء ، بعد الراء .

ومعناه بالموحدة : تأخذ المرباع ، الذي كانتِ ملوك الجاهلية : تأخذه من الغنيمة . وهو « ربعها » . يقال : « ربعتهم » ، أي أخذت ربع أموالهم .

ومعناه : ألم أجعلك ، رئيساً مطاعاً[3] ؟

وقال عياض - بعد حكايته نحو ما ذكرته - : عندي ، أن معناه : تركتك مستريحاً ، لا تحتاج إلى مشقة وتعب . من قولهم : « ارْبَع على نفسك » . أي : ارفُقْ بها[4] .

ومعناه « بالمثناة »[5] : تتنعم . وقيل : تأكل . وقيل : تلهو . وقيل : تعيش في سعة .

(فيقول : بلى . أي ربِّ[6] ! قال : فيقول : أفظننت[7] أنك : ملاقيّ ؟ فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك ، كما نَسيتَني) أي : أمنعك الرحمة ، كما امتنعت من طاعتي .

(ثم يلقى الثاني ، فيقول : أي فل ! ألم أكرمك ، وأسودك ، وأزوجك ، وأسخر لك : الخيل ، والإبل . وأذرك : ترأس وتربع ؟ فيقول :

(١) (والثاني) وهو : « تربع » . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في (١٨/١٠٣ ، ١٠٤) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) مستفاد من نفس المصدر ، ص ١٠٤ . المحقق .

(٤) حكاه النووي ، في نفس المصدر . المحقق .

(٥) (بالمثناة) أي : « ترتع » . المحقق .

(٦) لم يذكر بمصدر الحديث - هنا - لفظ : « أي ربِّ ! » . هذا ؛ وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد في بعض النسخ : « يارب ! » بدل : « أي رب ! » . المحقق .

(٧) في مصدر الحديث - هنا - : « أظننت » بدون فاء . وفي التي بعدها : بالفاء . المحقق .

بلى . يارب[1] ! فيقـول : أفـظننت أنك ملاقيّ ؟ قال[2] : فيقول : لا .
فيقول : إني[3] أنساك ، كما نسيتني .

ثم يلقى الثالث ، فيقول له مثل ذلك . فيقول : يارب ! آمنت بك ، وبكتابك ، وبرسلك . وصليت ، وصمت ، وتصدقت . ويثني بخير ، ما استطاع . قال[4] : فيقول : هـٰهنا إذاً .

قال : ثم يقال له : الآن نبعث شاهدنا[5] عليك . ويتفكر[6] في نفسه : من ذا الـذي يشهـد عليّ ؟ فيختم على فيه . ويقـال لفخـذه ، ولحمه ، وعـظامه : انطقي . فتنطق فخذه ، ولحمه ، وعظامه : بعمله . وذلك ، ليعذر من نفسه .

وذلك المنافق . وذلك الذي يسخط الله عليه) .

وهذا موافق ، لقوله تعالى : « وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ ، فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا : شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدْتُّمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُو خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ[7] » .

---

(١) في مصيدر الحديث : « أي رب ! » بدل : « يارب ! » . المحقق .
(٢) في مصدر الحديث ، لم يذكر كلمة : « قال » . المحقق .
(٣) في مصدر الحديث : « فإني » بالفاء ، كسابقتها . المحقق .
(٤) لم يذكر في مصدر الحديث : « قال » . المحقق .
(٥) ذكر المؤلف – في الهامش – ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « شاهداً » ، بدل : « شاهدنا » . المحقق .
(٦) ذكر المؤلف علامة ، فوق الواو ، في : « ويتفكر » للإشارة بأنه في بعض النسخ : « يتفكر » بدون واو . المحقق .
(٧) الآيات (١٩ – ٢١) سورة فصلت . هذا ؛ وكلمة : « جاءوها » في الأصل : وضعت الهمزة فوق الواو . وكلمة : « شيء » في الأصل ! وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

بَابُ فِي شَهَادَةِ أَرْكَانِ الْعَبْدِ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَمَلِهِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٤ ، ١٠٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَضَحِكَ . فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ ؟ » . قَالَ : قُلْنَا : اللّهُ وَرَسُولُهُ ، أَعْلَمُ .

قَالَ : « مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ ، رَبَّهُ . يَقُولُ : يَارَبِّ ! أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ ؟ » .

قَالَ : « يَقُولُ : بَلَىٰ » . قَالَ : « فَيَقُولُ : فَإِنِّي ، لاَ أُجِيزُ عَلَىٰ نَفْسِي : إِلَّا شَاهِداً مِنِّي » .

قَالَ : « فَيَقُولُ : كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيداً ، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُوداً » .

قَالَ : « فَيُخْتَمُ عَلَىٰ فِيهِ ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ : انْطِقِي » .

قَالَ : « فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ » .

قَالَ : « ثُمَّ يُخَلَّىٰ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ » .

قَالَ : « فَيَقُولُ : بُعْداً لَكُنَّ ، وَسُحْقاً . فَعَنْكُنَّ ، كُنْتُ أُنَاضِلُ ») .

(الشَّـرح)

(عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : كنا عند رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، فضحـك . فقال : « هل تدرون مما [2] أضحـك ؟ » قال : قلنا : الله ورسوله ، أعلم . قال : من مخاطبة العبد ربـه ، فيقول[3] : ياربِّ ! ألم تجرني) يقال : « أجاره » : أنقذه . (من الظلم) لقوله تعالى : « وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً »[4] .

(قال : يقول : بلى . قال : فيقول : فإني لا أجيز) أي : لا أجوّز ، ولا أقبل (على نفسي : إلا شاهداً مني) أي : من جنسي .

طلب العبد : شاهداً من نفسه ، زاعماً أنه لا شاهد عليه من نفسه . لأنه لا يشهد أحد على نفسه . فهذا موضع غلطه . أو وقوعه فيما هرب عنه .

وهذا : الذي أضحك رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

(قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً . قال : فيختم على فيه ، فيقال لأركانه) أي : أعضائه (انطقي . قال : فتنطق بأعماله . قال : ثم يخلّى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بعداً لكن ، وسحقاً) أي : هلاكاً .

(أفعنكن[5] كنت أناضل ؟) أي : أجادل ، وأخاصم .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « مم » بدون ألف . وقد أشار المؤلف - في الهامش - : إلى ما يفيد وروده بدون ألف ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « يقول » بدون فاء . وقد وضع المؤلف علامة ، فوق : « فيقول » للدلالة على ورودها في بعض النسخ : بدون فاء ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٤) الآية : (٤٩) من سورة الكهف . المحقق .

(٥) (أفعنكنّ) . هكذا في الأصل : بهمزة الاستفهام . وفي مصدر الحديث : بدون الهمزة أي جملة خبرية . المحقق .

بَابٌ فِي خَشْيَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنْ عِقَابِهِ

وذكره النووي ، في : (باب سعة رحمة الله تعالى ، وأنها تغلب غضبه) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٠ ، ٧١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[١] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ ، لَمْ يَعْمَلْ حَسَنَةً قَطُّ ، لِأَهْلِهِ : إِذَا مَاتَ ، فَحَرِّقُوهُ ، ثُمَّ اذْرُوا نِصْفَهُ فِي الْبَرِّ ، وَنِصْفَهُ فِي الْبَحْرِ . فَوَاللّهِ ! لَئِنْ قَدَرَ اللّهُ عَلَيْهِ : لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً ، لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ . فَلَمَّا مَاتَ الرَّجُلُ ، فَعَلُوا مَا أَمَرَهُمْ[٢] . فَأَمَرَ اللّهُ الْبَرَّ : فَجَمَعَ مَا فِيهِ . وَأَمَرَ الْبَحْرَ : فَجَمَعَ مَا فِيهِ . ثُمَّ قَالَ : لِمَ فَعَلْتَ هَـٰذَا ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، يَارَبِّ ! وَأَنْتَ أَعْلَمُ . فَغَفَرَ اللّهُ لَهُ .

وفي رواية أخرى يرفعه ، بلفظ ، قال : « أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ . فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ : أَوْصَىٰ بَنِيهِ ؛ فَقَالَ : إِذَا أَنَا مُتُّ ، فَأَحْرِقُونِي ، ثُمَّ اسْحَقُونِي ، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ[٣] . فَوَاللّهِ ! لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي ، لَيُعَذِّبَنِّي عَذَاباً ، مَا عَذَّبَهُ[٤] أَحَداً » . قَالَ : « فَفَعَلُوا ذَٰلِكَ بِهِ . فَقَالَ لِلْأَرْضِ : أَدِّي مَا أَخَذْتِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ . فَقَالَ لَهُ : مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : خَشْيَتُكَ ، يَارَبِّ ! - أَوْ قَالَ : مَخَافَتُكَ - فَغَفَرَ لَهُ بِذَٰلِكَ ») .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (ما أمرهم) . ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « كما أمرهم » بزيادة كاف ، في أوله . المحقق .

(٣) (في الريح) . في مصدر الحديث : ص ٧٢ ، بزيادة : « فِي الْبَحْرِ » . المحقق .

(٤) (ما عذبه) في هذه الرواية - كما في المصدر المتقدم - ، بزيادة : « بِهِ » . المحقق .

(الشَّرح)

فيه : أن خشية الله سبحانه ، سبب قويّ من أسباب المغفرة . وأن رحمته : سابقة على غضبه . وعفوه : غالب على سخطه .

وقد قال تعالى : « قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ »[1] .

وهذا الرجل ، كان قد أسرف على نفسه . أي : بالغ وعلا[2] في المعاصي . « والسرف » : مجاوزة الحدّ .

قال النووي : اختلف العلماء ، في تأويل هذا الحديث ؛ فقالت طائفة : لا يصحّ حمل هذا على أنه أراد : نَفْيَ قدرة الله . فإن الشاكّ في قدرة الله ، كافر . وقد قال في آخر الحديث : « إنه إنما فعل هذا ، من خشية الله » . والكافر لا يخشى الله تعالى ، ولا يغفر له . قال هؤلاء : فيكون له تأويلان ؛

أحدهما ، أن معناه : « لئن قَدّرَ عليّ العذابَ » . أي : قضاه . يقال منه « قدر » : بالتخفيف . وقدّر : بالتشديد . بمعنى واحد .

والثاني : أن « قدر » هنا ، بمعنى ضيّق عليّ . قال الله تعالى : « فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ »[3] . وهو أحد الأقوال في قوله تعالى : « فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْه »[4] .

---

(١) الآية : (٥٣) من سورة الزمر . المحقق .

(٢) (وعلا) هكذا في الأصل ، طبقا لما في النووي (بالعين المهملة) ولعل الصواب : « وغلا » بالغين المعجمة ، من « الغلوّ » بمعنى : مجاوزة الحدّ . المحقق .

(٣) الآية : (١٦) من سورة الفجر . المحقق .

(٤) الآية : (٨٧) من سورة الأنبياء . المحقق .

وقالت طائفة : اللفظ على ظاهره . ولكن قاله هذا الرجل ، وهو غير ضابط لكلامه ، ولا قاصد لحقيقة معناه ومعتقدٍ لها . بل قاله في حالة غلب عليه فيها : الدّهش والخوف ، وشدة الجزع . بحيث ذهب تيقظه وتدبّر ما يقوله ، فصار في معنى الغافل والناسي .

وهذه الحالة : لا يؤاخذ فيها . وهو نحو قول القائل الآخر ، الذي غلب عليه الفرح - حين وجد راحلته - : « أنت عبدي ، وأنا ربك » . فلم يكفره بذلك الدّهش ، والغلبة ، والسهو .

وقد جاء في هذا الحديث ، في غير مسلم : « فَلَعَلِّي أَضِلُّ اللّهَ »[1] أي : أغيب عنه . وهذا يدلّ على أن قوله : « لئن قدر الله عليّ » على ظاهره[2] .

وقالت طائفة : هذا من مجاز كلام العرب ، وبديع استعمالها . يسمونه : مزج[3] الشك باليقين . كقوله تعالى : « وَإِنَّا[4] أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى » . فصورته : صورة شك . والمراد به : اليقين .

وقالت طائفة : هذا الرجل ، جهل صفةً من صفات الله تعالى . وقد اختلف العلماء : في تكفير جاهل الصفة .

قال عياض : وممن كفّره بذلك : ابن جرير الطبري . وقاله أبو الحسن الأشعري أولاً .

---

(١) ذكره النووي ، في (٧١/١٧) . المحقق .

(٢) (على ظاهره) كلمة « على » غير مذكورة في الأصل . وقد أثبتناها ليصح المعنى . المحقق .

(٣) (مزج) . في الأصل : غير واضحة . المحقق .

(٤) (وَإِنَّا) في الأصل : « إنا » بدون واو . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحا من كتاب الله ، الآية (٢٤) سورة سبأ . ونصّها : « وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ » . المحقق .

وقال آخرون : لا يكفر بجهل الصفة ، ولا يخرج به عن اسم الإيمان ، بخلاف جحدها . وإليه رجع الأشعري . وعليه استقرّ قوله . لأنه لم يعتقد ذلك ، اعتقاداً يقطع بصوابه ، ويراه ديناً وشرعاً . وإنما يكفر من اعتقد أن مقالته حق .

قال هؤلاء : ولو سئل الناس عن الصفات ، لوجد العالم بها قليلاً .

وقـالت طائفـة : كان هذا الرجل (في زمن فترة) ، حين ينفع مجرد التوحيد . ولا تكليف قبل ورود الشرع ، على المذهب الصحيح . لقوله تعالى : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً » [1] .

وقالت طائفة : يجوز أنه كان في زمن ، « شرعهم فيه » : جواز العفو عن الكافر ، بخلاف شرعنا . وذلك من مجوزات العقول ، عند أهل السنة .

وإنما منعناه في شرعنا : بالشرع . وهو قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ[2] » . وغير ذلك من الأدلة . والله أعلم .

وقيل : إنما وصّى بذلك ، تحقيراً لنفسه ، وعقوبة لها : لعصيانها ، وإسرافها ، رجاء أن يرحمه الله تعالى . انتهى[3] .

(١) الآية : (١٥) من سورة الإسراء . المحقق .

(٢) الآية : (١١٦) من سورة النساء . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، في (١٧ / ٧١ ، ٧٢) ، المصدر المتقدم . المحقق .

بَابُ فِيمَنْ أَذْنَبَ، ثُمَّ اسْتَغْفَرَ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وقال النووي : (باب قبول التوبة من الذنوب ، وإن تكررت الذنوب والتوبة)

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٥ ، ٧٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[١] ؛ عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ - ؛ قَالَ : « أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً ، قَالَ[٢] : اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً ، عَلِمَ[٣] أَنَّ لَهُ رَبّاً يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ . فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : عَبْدِي أَذَنَبَ[٤] ذَنْباً ، فَعَلِمَ : أَنَّ لَهُ رَبّاً ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ . فَقَالَ : أَيْ رَبِّ ! اغْفِرْ لِي ذَنْبِي . فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً ، فَعَلِمَ : أَنَّ لَهُ رَبّاً ، يَغْفِرُ الذَّنْبَ ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ . اعْمَلْ مَا شِئْتَ ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ .

قَالَ عَبْدُ الْأَعْلَىٰ[٥] : لَا أَدْرِي . أَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ ، أَوِ الرَّابِعَةِ : اعْمَلْ مَا شِئْتَ ») .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « فقال » بالفاء . وهو أوضح . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « فعلم » بالفاء . وهو أوضح . المحقق .

(٤) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد ، في بعض النسخ : « أذنب عبدي » بتقديم الفعل . المحقق .

(٥) (عبد الأعلى) هو شيخ مسلم ، في هذا الحديث . المحقق .

(الشَّرح)

هذا هو الحديث القدسي . ومعناه : مادمت تذنب ثم تتوب ، غفرت لك . وفيه : بيان سعة رحمة الله تعالى ، على عباده المذنبين الآثمين . وبيان كمال فضله عليهم : بقبول توبتهم ، وجعلهم من المغفورين المعفوين[1] .

قال النووي : هذه الأحاديث ، ظاهرة في الدلالة للتوبة . وأنه لو تكرر الذنب مائة مرة ، أو ألف مرة ، أو أكثر . وتاب في كل مرة : قبلت توبته ، وسقطت ذنوبه . ولو تاب عن الجميع ، توبة واحدة بعد جميعها : صحت توبته . انتهى[2] .

بَابُ فِيمَنْ أَصَابَ ذَنبًا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَصَلَّى الْمَكْتُوبَةَ

وذكره النووي ، في : (باب قوله تعالى : « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ[3] ») .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨١ ، ٨٢ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، رضي الله عنه[4] ، قَالَ : بَيْنَمَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، فِي الْمَسْجِـدِ ، وَنَحْنُ قُعُـودٌ مَعَهُ : إِذْ جَاءَ رَجُلٌ ،

(١) لو قال : « من المغفور لهم ، المعفوِّ عنهم » : لكان أوضح . المحقق .

(٢) (انتهى) أي : كلام النووي ، في (١٧ / ٧٥) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) جزء من الآية (١١٤) سورة هود . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

فَقَـالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً ، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ . فَسَكَتَ عَنْهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . ثُمَّ أَعَادَ ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً ، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ . فَسَكَتَ عَنْهُ . وَقَالَ ثَالِثَةً ، فَأُقِيمَتِ الصَّلاٰةُ[1] . فَلَمَّـا انْصَـرَفَ نَبِيُّ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قَالَ أَبُو أُمَامَةَ : فَاتَّبَعَ[2] الرَّجُلُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - حِينَ انْصَرَفَ - وَاتَّبَعْتُ رَسُـولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : أَنْظُرُ مَا[3] يَرُدُّ عَلَى الـرَّجُـلِ . فَلَحِقَ الـرَّجُلُ رَسُولَ[4] اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنِّي أَصَبْتُ حَدّاً ، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ . فَقَالَ أَبُو أُمَامَةَ[5] : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « أَرَأَيْتَ - حِينَ خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِكَ - أَلَيْسَ قَدْ تَوَضَّأْتَ ، فَأَحْسَنْتَ الْوُضُوءَ ؟ » قَالَ : بَلَىٰ . يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « ثُمَّ شَهِدْتَ الصَّلاٰةَ[6] مَعَنَا ؟ » قَالَ : نَعَمْ[7] . يَارَسُولَ اللّهِ ! فَقَالَ[8] لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « فَإِنَّ اللّهَ ، قَدْ غَفَرَ لَكَ : حَدَّكَ - أَوْ قَالَ : ذَنْبَكَ - ») .

---

(١) (وقال ثالثة ، فأقيمت الصلاة) . في مصدر الحديث - بعد قوله : فسكت عنه - : « وأقيمت الصلاة » . دون ذكر : « وقال ثالثة » . هذا ؛ وكلمة « الصلاة » ، رسمت في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ، في بعض النسخ : « وَتَبِعَ » بدل : « فَاتَّبَعَ » . المحقق .

(٣) (ما) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « ماذا » ، بدل « ما » . المحقق .

(٤) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « برسول » ، بدل : « رسول » . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث : « قال أبو أمامة » ، « قال » بدون فاء . وهو أوضح . المحقق .

(٦) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٧) (قال : نعم) . في مصدر الحديث : « فقال » بزيادة فاء . المحقق .

(٨) في مصدر الحديث : « قال : فقال » ، بزيادة : « قال » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه ورد في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(الشَّرح)

هذا تصريح : بأن الحسنات ، تكفّر السيئات .

قال النـووي : هذا « الحـدّ » معناه : معصية من المعاصي الموجبة للتعزير . وهي هنا من الصغائر . لأنها كفرتها الصلاة[1] . ولو كانت كبيرة موجبة لحدّ أو غير موجبة له : لم تسقط بالصلاة [1] ؛

فقد أجمع العلماء : على أن المعاصي الموجبة للحدود ، لا تسقط حدودها بالصلاة[1] .

قال[2] : هذا هو الصحيح ، في تفسير هذا الحديث .

وحكى عياض عن بعضهم ، أن المـراد بالحدّ : المعروف . قال : وإنما لم يحدّه لأنه لم يفسّر موجبَ الحَدّ ، ولم يستفسره النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم عنه : إيثاراً للستر . بل استحبّ : تلقين الرجوع عن الإقرار بموجب الحدّ صريحاً . انتهى[3] .

قلت : وفي حديث « عبـد الله » ، عند مسلم : ما يوضّح المراد من حديث الباب . ولذا صدّر مسلم الباب به . ولفظه عنه ، رضي الله عنه ؛ قَالَ : جَاءَ رَجُـلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً - في أَقْصَى الْمَدِينَةِ - وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا : مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا . فَأَنَا هَذَا ، فَاقْضِ فِيَّ ما شِئْتَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَقَدْ سَتَرَكَ اللّهُ ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ . قَالَ : فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : شَيْئاً .

(١) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٢) (قال) أي : النووي ، في (١٧ / ٨١) . المحقق .

(٣) (انتهى) ماحكاه النووي ، عن عياض ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

فَقَامَ الرَّجُلُ ، فَانْطَلَقَ ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : رَجُلًا ، دَعَاهُ ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَـٰذِهِ الآيَةَ : « أَقِم[1] الصَّلَـٰوةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَـاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَـاتِ ذَلِـكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ » . فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَانَبِيَّ اللّهِ ! هَـٰذَا لَهُ خَاصَّةً ؟ قَالَ : « بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً[2] » .

« المسّ » : الجماع . ومعناه : استمتعت بها : بالقبلة ، والمعانقة ، وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع ، إلا الجماع . واختلفوا في المراد « بالحسنات » هنا ؛

فنقل الثعلبي « رحمه الله »[3] : أنّ أكثر المفسّرين ، على أنها الصلوات الخمس . واختاره « ابن جرير » ، وغيره من الأئمة .

وقال مجاهد : هي قول العبد : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

ويحتمل أن المراد : الحسنات مطلقاً . ويدخل في « صلاة[4] طرفي النهار » : الصبح ، والظهر ، والعصر .

وفي « زلفاً من الليل » : المغرب ، والعشاء .

وبالجملة « مفهوم هذين الحديثين » : تكفير الذنوب الصغائر : بالصلاة[5] ، ونحوها من الحسنات .

---

(١) (أقم) هكذا ، في الأصل ، وكذلك ، في صحيح مسلم / النووي ، (١٧ / ٨٠) . وهي في الآية (١١٤) من سورة هود : « وأقم » بالواو . المحقق .

(٢) الحديث ، بص ٨٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (رحمه الله) رمز إليها في الأصل بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .

(٥) (بالصلاة) . في الأصل : « بالصلوة » . المحقق .

وأما الكبائر : فتغفر بالتوبة بلا شك . وإن لم يتب : فهو في مشيئة الله سبحانه ؛ إن شاء غفرها ، وإن شاء عذب عليها . هذا في حقوق الله تعالى .

وأما حقوق العباد فقالت شرذمة قليلة : يهدمها الحج ، والإسلام ، والهجرة ، ونحوها .

وقال الأكثرون : هي تتوقّف على عفو صاحب الحق .

وأما المعاصي التي لها حدود ؛ فالمستور منها : يحتمل أن يغفره الله سبحانه . بعميم فضله ، وشمول كرمه . لأنه تعالى ستره عليه في الدنيا ، فيستره في الآخرة .

وأما المكشوف منها : فيجب عليه الحدّ ، ولا يعفىٰ بعفو صاحب الحق ، إلا ماورد به الدليل . هذا خلاصة القول في هذا الباب . والله أعلم بالصواب .

بَابُ يُجْعَلُ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِدَاءُهُ مِنَ النَّارِ ، مِنَ الْكُفَّارِ

وقال النووي : (باب سعة رحمة الله تعالى على المؤمنين ، وفداء كل مسلم ، بكافر : من النار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم/النووي ، ص ٨٤ ، ٨٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيامَــةِ ، دَفَــعَ اللّهُ عَزَّ وَجَــلَّ ، إِلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ : يَهُــودِيّاً ، أَوْ نَصْرَانِيّاً ، فَيَقُولُ : هَـٰذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي موسى) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « إذا كان يوم القيامة ، دفع الله[1] إلى كل مسلم : يهوديّاً أو نصرانيّاً . فيقول : هذا فَكاكك من النار ») .

وفي رواية : « لَا يَمُـوتُ رَجُـلٌ مُسْلِمٌ ، إِلَّا أَدْخَـلَ اللّهُ مَكَانَهُ النَّارَ : يَهُودِيّاً ، أَوْ نَصْرَانِيّاً »[2] .

وفي رواية : « يَجِيءُ[3] يَوْمَ الْقِيَامَـةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ : بِذُنُوبٍ ، أَمْثَالِ الْجِبَالِ ، فَيَغْفِرُهَا اللّهُ لَهُمْ ، يَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ ، وَالنَّصَارَىٰ » . فِيمَا أَحْسِبُ[4].

« والفكاك » : بفتح الفاء وكسرها . والفتح : أفصح ، وأشهر . وهو « الخلاص والفداء » .

---

(١) في مصدر الحديث بزيادة : « عز وجل » . المحقق .

(٢) هذا الحديث في صحيح مسلم / النووي ، (٨٥/١٧) . المحقق .

(٣) (يجيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « فيما أحسب أنا » : بزيادة : « أنا » . المحقق .

ومعنى هذا الحـــديث : ما جاء في حديث « أبي هريرة » : « لِكُـلِّ أَحَدٍ : مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ . فَالْمُؤْمِنُ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ : خَلَفَهُ الْكَافِرُ فِي النَّارِ » ، لاستحقاقه ذلك بكفره[1] .

ومعنى « فكـاكك من النار » : أنك كنت معرّضاً لدخول النار . وهذا فكاكك . لأن الله تعالى : قدر لها عدداً يملؤها[2] .

فإذا دخلها الكفار : بكفرهم وذنوبهم ، صاروا في معنى الفكاك للمسلمين .

وأمـا رواية : « يجيء[3] يوم القيامة ناس من المسلمين : بذنوب » ، فمعنـاه : أن الله يغفر تلك الذنوب للمسلمين ، ويسقطها عنهم . ويضع على اليهـود والنصـارى : مثلها ، بكفرهم ، وذنوبهم ، فيدخلهم النار : بأعمالهم ، لا بذنوب المسلمين .

ولا بدّ من هذا التأويل ، لقوله تعالى : « وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ »[4] .

وقوله « ويضعها » : مجاز . والمراد : « يضع عليهم مثلها ، بذنوبهم » ، كما ذكرنا .

لكن لما أسقط سبحانه وتعالى - عن المسلمين - : سيئاتهم ، وأبقى على الكفـار : سيئـاتهم . صاروا في معنى من حمـل إثم الفـريقين ، لكونهم : حملوا الإثم الباقي ، وهو إثمهم .

---

(١) ذكره النووي ، ص ٨٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .
(٢) (يملؤها) . في الأصل : « يملأها » . المحقق .
(٣) (يجيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .
(٤) الآية : (١٨) من سورة فاطر . المحقق .

ويحتمل أن يكون المراد : آثاماً كان الكفار سبباً فيها ، بأن سَنُّوها[1] ، فتسقط عن المسلمين:[2] بعفو الله تعالى . ويوضع على الكفار : مثلها ، لكونهم سَنُّوها[1] .

ومن سَنَّ سنة سيئة : كان عليه مثل وزر كل من يعمل بها . والله أعلم[3] .

كتاب المنافقين

باب في قوله تعالى: "إذا جاءك المنافقون" إلى قوله "حتى ينفضوا"[4]

وذكره النووي ، في : (الكتاب المتقدم) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٠ ، ١٢١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ ؛ يَقُولُ : خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي سَفَرٍ ، أَصَابَ النَّاسَ فِيهِ : شِدَّةٌ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ لِأَصْحَابِهِ : « لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِهِ » . قَالَ زُهَيْرٌ : وَهِيَ قِرَاءَةُ : مَنْ خَفَضَ : « حَوْلَهُ » .

---

(١) « سنُّوها » . في الأصل : « سنَّوها » بفتح النون المشددة . وهو خطأ . المحقق .

(٢) (المسلمين) . في الأصل : السين صاد . المحقق .

(٣) ذكره النووي . بص ٨٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) الآيات (١-٧) ، المنافقون . المحقق .

وَقَالَ : « لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا : الأَذَلَّ » .

قَالَ : فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَأَخْبَرْتُهُ بِذَلِكَ .

فَأَرْسَلَ إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ، فَسَأَلَهُ ؟ فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ : مَا فَعَلَ ؛ فَقَالَ : كَذَبَ زَيْدٌ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

قَالَ : فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ : شِدَّةٌ ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللَّهُ : تَصْدِيقِي : « إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ » .

قَالَ : ثُمَّ دَعَاهُمُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ . قَالَ : فَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ .

وَقَوْلُهُ : « كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ » . وَقَالَ : كَانُوا رِجَالاً ، أَجْمَلَ شَيْءٍ) .

(الشَّرح)

(عن زين بن أرقم)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : خرجنا مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في سفر أصاب الناسَ فيه : شدة . فقال عبد الله بن أبيّ لأصحابه : « لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ، حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا »)[2] أي : ينفردوا (من حوله . قال زهير[3] : وهي في قراءة عبد الله)[4] .

(١) ذكرنا من السند ، من أول « أبي إسحاق » . المحقق .

(٢) الآية : (٧) من سورة المنافقون . المحقق .

(٣) (زهير) هو زهير بن معاوية ، الذي روىٰ هذا الحديث ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « وهي قراءة من خفض : حِوله » بدل : « وهي في قراءة عبد الله » . المحقق .

أي : قراءة من يقـرأ « مِنْ حَوْلِـه » : بكسـر ميم[1] . ويجرّ « حوله » به [2] . واحترز به : عن القراءة الشاذّة « مَنْ حوله » بالفتح [3] .

(وقال : « لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا : الْأَذَلَّ »[4] .

قال : فأتيت النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، . فأخبرته بذلك . فأرسـل إلى عبد الله بن أبيّ ، فسأله ؟ فاجتهد يمينه : ما فعل ؛ فقال : كذب زيدٌ رسولَ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . قال : فوقع في نفسي ممـا قالـوه : شدة ، حتى أنـزل الله عز وجل[5] : تصديقي : « إذا جاءك المنـافقـون » . قال ثم دعـاهم النبي ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : ليستغفر لهم . قال : فلووا رؤوسهم[6]) .

قرئَ في السبع : بتشديد الواو ، وتخفيفها .

(وقـوله : « كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ »[7]) بضم الشين[8] ، وإسكانها ، والضم للأكثرين .

(وقال[9] : كانوا رجالاً ، أجمل شيء [10]) .

---

(١) الصواب : « بكسر ميم مِنْ » . ويبدو أن كلمة « من » : سقطت أثناء النسخ . المحقق .

(٢) (به) أي : بحرف الجر « من » . المحقق .

(٣) أي : بفتح ميم « من » ، وفتح لام « حوله » . هذا ؛ والقراءة المشهورة المعروفة ، المتواترة ، لم يذكر فيها لفظ : « من حوله » . المحقق .

(٤) الآية : (٨) من سورة المنافقون . المحقق .

(٥) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(٦) (رؤوسهم) . في الأصل : « رؤسهم » . المحقق .

(٧) جزء من الآية (٤) سورة المنافقون . المحقق .

(٨) (بضم الشين) أي : كلمة : « خشب » . المحقق .

(٩) (وقال) وضع المؤلف علامة ، فوق الواو ، للإشارة بأنه في بعض النسخ : « قال » بدون واو . المحقق .

(١٠) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

قال النووي : وفي هذا ؛ أنه ينبغي لمن سمع أمراً يتعلّق بالإمام ، أو نحوه من كبار ولاة الأمور . ويخاف ضرره على المسلمين : أن يبلّغه إياه ، ليحترز منه .

وفيه : منقبة لزيد[1] .

بَابٌ فِي إِعْرَاضِ الْمُنَافِقِينَ عَنِ اسْتِغْفَارِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وهو في النووي ، في:(الكتاب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ « مَنْ يَصْعَدُ الثَّنِيَّةَ : ثَنِيَّةَ الْمُرَارِ ، فَإِنَّهُ يُحَطُّ عَنْهُ : مَا حُطَّ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ » .

قَالَ : فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ صَعِدَهَا خَيْلُنَا : خَيْلُ بَنِي الْخَزْرَجِ . ثُمَّ تَتَامَّ النَّاسُ . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « وَكُلُّكُمْ مَغْفُورٌ لَهُ ، إِلاَّ صَاحِبَ الْجَمَلِ الأَحْمَرِ » . فَأَتَيْنَاهُ ، فَقُلْنَا لَهُ : تَعَالَ ، يَسْتَغْفِرْ لَكَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ : وَاللّهِ ! لأَنْ أَجِدَ ضَالَّتِي : أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِي صَاحِبُكُمْ .

قَالَ : وَكَانَ رَجُلٌ يَنْشُدُ ضَالَّةً لَهُ) .

---

(١) ذكره النووي ، في ص ١٢٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(الشَّرح)

(عن جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : من يصعد الثنية : ثنية المرار) هكذا هو هنا : بضم الميم ، وتخفيف الراء .

وفي الرواية الثانية : « المُرار - أو المَرار - » بضم الميم ، أو فتحها : على الشك[1] .

وفي بعض النسخ : بضمها ، أو كسرها . والله أعلم .

« والمرار » : شجر مرّ . وأصل الثنيّة : الطريق بين الجبلين . وهذه الثنية عند الحديبية .

قال الحازمي : قال ابن إسحاق[2]: هي مهبط الحديبية .

(فإنه يحطّ عنه : ما حط عن بني إسرائيل .

قال : فكـان أول من صعِـدهـا خيلنا : خيل بني الخزرج . ثم تتامّ الناسُ . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « وكلكم مغفور له ، إلا صاحب الجمل الأحمر » . فأتيناه ، فقلنا[3] : تعال ، يستغفر لك رسـول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم . فقـال : والله ! لأن أجـد ضالتي : أحبّ إليّ من أن يستغفر لي صاحبكم .

---

(١) هذه الـرواية ، في صحيح مسلم (٤/٢١٤٥) حديث رقم (١٣) ، تحقيق محمـد فؤاد عبد الباقي ، وقد ضبطت (المرار) الثانية : بضم الميم ، وكسرها ، وفتحها . المحقق .

(٢) (إسحاق) . في الأصل : « إسحق » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « فقلنا له » : بزيادة : « له » . المحقق .

قال : وكان الرجل[1] ينشد) : بفتح الياء ، وضم الشين . (ضالة له) .

أي : يسأل عنها .

قال عياض : قيل : هذا الرجل ، هو « الجَدّ بن قيس » ، المنافق[2] .

بابٌ في ذِكرِ المُنَافِقِينَ، وَعلامَتِهِمْ

وهو في النووي ، في (الكتاب الغابر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٤ ، ١٢٥ جـ ١٧ ، المطبعةالمصرية

(عَنْ قَيْسِ بْنِ عَبَّادٍ ، قَالَ : قُلْنَا لِعَمَّارٍ : أَرَأَيْتَ قِتَالَكُمْ ، أَرَأْياً رَأَيْتُمُوهُ ؟ - فَإِنَّ الرَّأْيَ يُخْطِئُ ، وَيُصِيبُ - ، أَوْعَهْداً ، عَهِدَهُ إِلَيْكُمْ : رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؟

فَقَالَ : مَاعَهِدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : شَيْئاً ، لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً .

وَقَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : « إِنَّ فِي أُمَّتِي » . قَالَ شُعْبَةُ : وَأَحْسِبُهُ قَالَ : حَدَّثَنِي حُذَيْفَةُ .

(١) (الرجل) هكذا ، في الأصل . وفي مصدر الحديث : « رجل » بالتنكير . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : وروده ، في بعض النسخ : « رجلاً » بالتنكير والنصب ، خبراً للفعل : « كان » . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، بص ١٢٦ ، ١٢٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية . المحقق .

وَقَالَ غُنْدَرُ : أُرَاهُ قَالَ : « فِي أُمَّتِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً ، لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ، وَلاَ يَجِدُونَ رِيحَهَا ، حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ .

ثَمَانِيَةٌ مِنْهُمْ : تَكْفِيكَهُمُ الدُّبَيْلَةُ : - سِرَاجٌ مِنَ النَّارِ يَظْهَرُ فِي أَكْتَافِهِمْ - ، حَتَّىٰ يَنْجُمَ مِنْ صُدُورِهِمْ ») .

(الشَّرح)

(عن قيس بن عباد ، قال : قلت[1] لعمار : أرأيت قتالكم ، أرأياً[2] رأيتموه ؟ فإن الرأي يخطي[3] ويصيب . أو عهداً عهده إليكم : رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؟ فقال : ما عهد إلينا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : شيئاً ، لم يعهده إلى الناس كافة .

وقال : إن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قال : « إن في أمتي » . قال شعبة[4] : وأحسبه قال : حدثني حذيفة . وقال غندر : أُراه قال : في أمتي اثنا عشر منافقاً) .

وفي رواية أخرى : « في أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقاً ؛ فِيهِمْ ثمانية[5]» .

---

(١) في مصدر الحديث : « قلنا » ، بدل : « قلت » . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « أرأيٌ » بالرفع . المحقق .

(٣) (يخطي) هكذا في الأصل . والأولى - كما في مصدر الحديث - : « يخطئ » . من الخطأ . المحقق .

(٤) (شعبة) هو شيخ « محمد بن جعفر » . ومحمد بن جعفر شيخ شيخي مسلم - في هذا الحديث - وهما : محمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار . المحقق .

(٥) هي من رواية مسلم ، عن ابن أبي شيبة ، عن شعبة ، عن قتادة . وهي في ص ١٢٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(لا يدخلون الجنة ، ولا يجدون ريحها ، حتى يلج الجمل في سم الخياط) : بفتح السين ، وضمها ، وكسرها . والفتح أشهر . وبه قرأ القراء السبعة . وهو ثقب الإبرة .

والمعنى : لا يدخلون الجنة أبداً . كما لا يدخل الجمل في ثقب الإبرة أبداً .

(ثمانية منهم : تكفيكهم الدّبيلة) : بدال ، ثم موحدة . وقد فسرها في الحديث ، بقوله (سراج من النار ، يظهر في أكتافهم . حتى ينجم) أي : يظهر ، ويعلو . وهو[1] بضم الجيم.(من صدورهم) .

زاد في رواية أخرى : « وَأَرْبَعَةٌ ، لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ[2] » .

وروي : « تَكْفِيهِمُ الدُّبَيْلَةُ » بحذف الكاف الثانية[3] .

وروي:« تَكْفِتُهُمْ » بتاء بعد الفاء : من « الكَفْت » وهو الجمع والستر . أي : تجمعهم في قبورهم ، وتسترهم[4] .

بَابٌ فِي الْمُنَافِقِينَ لَيْلَةَ الْعَقَبَةِ ، وَعَدَدِهِمْ

وذكره النووي،في:(الكتاب الماضي) .

(١) (وهو) أي لفظ : « ينجم » . المحقق .
(٢) هي الرواية المشار إليها . في الهامش رقم (٥) في الصفحة السابقة . المحقق .
(٣) ذكره النووي ، في ص ١٢٥ المصدر المتقدم . المحقق .
(٤) ذكره في نفس المصدر . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٥ ، ١٢٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ ؛ قَالَ : كَانَ بَيْنَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْعَقَبَةِ ، وَبَيْنَ حُذَيْفَةَ : بَعْضُ مَا يَكُونُ بَيْنَ النَّاس .

فَقَالَ : أَنْشُدُكَ بِاللّهِ ! كَمْ كَانَ أَصْحَابُ الْعَقَبَةِ ؟ قَالَ : فَقَالَ لَهُ الْقَوْمُ : أَخْبِرْهُ ، إِذْ سَأَلَكَ .

قَالَ : كُنَّا نُخْبَرُ : أَنَّهُمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ . فَإِنْ كُنْتَ مِنْهُمْ : فَقَدْ كَانَ الْقَوْمُ خَمْسَةَ عَشَرَ .

وَأَشْهَدُ بِالله ! أَنَّ اثْنَيْ عَشَرَ مِنْهُمْ : حَرْبٌ لِلَّهِ ، وَلِرَسُولِهِ : فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ .

وَعَذَرَ ثَلاثَةً ، قَالُوا : مَا سَمِعْنَا مُنَادِيَ رَسُولِ الله ، صلى الله عليه وسلم . وَلاَ عَلِمْنَا بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ .

وَقَدْ كَانَ فِي حَرَّةٍ ، فَمَشَىٰ فَقَالَ : « إِنَّ الْمَاءَ قَلِيلٌ . فَلاَ يَسْبِقُنِي إِلَيْهِ أَحَدٌ » .

فَوَجَدَ قَوْماً قَدْ سَبَقُوهُ ، فَلَعَنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) .

(الشَّرح)

(عن أبي الطفيل ، قال : كان بين رجل من أهل العقبة ، وبين حذيفة : بعض ما يكون بين الناس . فقال : أنشدك بالله[1] ! كم كان أصحاب العقبة ؟ قال : فقال له القوم : أخبره ، إذا[2] سألك .

---

(١) ذكر المؤلف – في الهامش – ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « أنشدك الله » بدون باء في لفظ الجلالة . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « إذ » بدل : « إذا » . المحقق .

قال كنا نخبر : أنهم أربعة عشر . فإن كنت منهم[1] فقد كان القوم : خمسة عشر .

وأشهد بالله ! أن اثني عشر منهم : حرب لله ، ولرسوله : في الحياة الدنيا ، ويوم يقوم الأشهاد : وعذر ثلاثة[2] ، قالوا : ما سمعنا منادي رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . ولا علمنا . بما أراد[3] القوم . وقد كان في حرة ، فمشى فقال : « إن الماء قليل ، فلا يسبقني إليه أحد » . فوجد قوماً قد سبقوه ، فلعنهم يومئذ) .

قال النووي : هذه العقبة ، ليست العقبة المشهورة « بمنى » ، التي كانت بها « بيعة الأنصار » رضي الله عنهم ، أجمعين .

وإنما هذه عقبة ، على طريق تبوك ، اجتمع المنافقون فيها : للغدر برسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، في « غزوة تبوك » . فعصمه الله منهم[4] .

بَابُ: مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَالشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ

وأورده النووي ، في : (كتاب صفات المنافقين ، و أحكامهم) .

---

(١) ذكر المؤلف – في الهامش – ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « فيهم » بدل : « منهم » . المحقق .

(٢) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) صنيع المؤلف ، يوهم : أن لفظ « بمـا أراد » : ليس من صلب الحديث ، حيث لم يضعه تحت الخط المعتاد . ولعل هذا خطأ غير مقصود . المحقق .

(٤) قاله النووي ، في ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عُمَـرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « مَثَـلُ الْمُنَافِقِ ، كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ ، بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ : تَعِيرُ إِلَىٰ هَذهِ مَرَّةً ، وَإِلَىٰ هَـٰذِهِ مَرَّةً ») .

(الشَّرح)

(عن ابن عمر) رضي الله عنهما ، (عن النبي ، صلى الله عليه) وآله وسلم : « مثل[1] المنافق ، كمثل الشاة العائرة) أي : المترددة ، الحائرة (بين الغنمين) . لا تدري ، لأيهما تتبع .

(تَعير إلى هذه مرة ، وإلى هذه مرة) أي : تَردد ، وتذهب .

وفي رواية أخـرى : « تَكِرُّفِي هَـٰذِهِ مَرَّةً ، وَفِي هَذِهِ مَرَّةً »[2] . أي : تعطف . وهو[3] بكسر الكاف ، وهو نحو : « تَعير » . قاله النووي[4] . وقد كثـرت هذه الشياه العـائـرات ، في زمـاننا هذا . وعسر النجاة ، وأشكل الخلاص من فتنها . ونعوذ بالله من المنافقين .

بَابُ بَعْثِ الرِّيحِ الشَّدِيدَةِ، لِمَوْتِ المُنَافِـقِ

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم)

---

(١) في مصدر الحديث : « قال : مثل » بزيادة كلمة : « قال » . المحقق .
(٢) هذه الرواية ، مذكورة في ص ١٢٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .
(٣) (وهو) أي ، لفظ : « تكر » . المحقق .
(٤) قاله ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ .

فَلَمَّا كَانَ قُرْبَ الْمَدِينَةِ : هَاجَتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ ، تَكَادُ أَنْ تَدْفِنَ الرَّاكِبَ .

فَزَعَمَ : أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « بُعِثَتْ هَـٰذِهِ الرِّيحُ ، لِمَوْتِ مُنَافِقٍ » .

فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ : فَإِذَا مُنَافِقٌ عَظِيمٌ ، مِنَ الْمُنَافِقِينَ : قَدْ مَاتَ) .

(الشَّرح)

(عن جابر) رضي الله عنه ؛ (أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قدم من سفر . فلما كان قرب المدينة : هاجت ريح شديدة ، تكـاد أن تدفنَ الـراكب) هكذا هو في جميع النسخ : « تدفن » بالفاء ، والنون . أي : تغيبه عن الناس ، وتذهب به ، لشدتها .

(فزعم : أن رسـول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قال : « بعثت هذه الريح . لموت منافق ») . أي : عقوبة له . وعلامة لموته ، وراحة العباد والبلاد به .

(فلما قدم المدينة : فإذا منافق عظيم ، من المنافقين : قد مات) .

فيه : جواز هبّ الريح ، لموت أهل النفاق.. عصمنا الله من ذلك . وهذه علامة : سوء خاتمتهم .

بَابُ شِدَّةِ عَذَابِ الْمُنَافِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وذكره النووي ، في:(الكتاب الماضي) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عِكْرِمَةَ ؛ حَدَّثَنَا إِيَاسٌ ؛ حَدَّثَنِي أَبِي ؛ قَالَ : عُدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : رَجُلًا مَوْعُوكاً . قَالَ : فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَيْهِ ، فَقُلْتُ : وَاللَّهِ ! مَا رَأَيْتُ - كَالْيَوْمِ - رَجُلًا : أَشَدَّ حَرّاً .

فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ : بِأَشَدَّ حَرّاً مِنْهُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ هَـٰذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ ، الرَّاكِبَيْنِ ، الْمُقَفِّيَيْنِ » . لِرَجُلَيْنِ حِينَئِذٍ مِنْ أَصْحَابِهِ) .

(الشَّرح)

(عن سلمة بن الأكوع)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : عدنا - مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - : رجلا موعوكاً . قال : فوضعت يدي عليه ، فقلت : والله ! ما رأيت كاليوم : رجلًا أشدّ حرّاً . فقال نبيّ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ألا أخبركم : بأشدّ حرّ[2] منه يومَ القيامة ؟ هـٰذينك الرجلين ، الراكبين ، المقفّيين) أي : الموليين : أقفيتهما ، منصرفين .

---

(١) في مصدر الحديث : « حدثنا إياس ، حدثني أبي » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « بأشد حرّاً » . بنصب « حرّاً » على التمييز . المحقق .

(لرجلين حينئذ ، من أصحابه) . سماهما من أصحابه : لإظهارهما الإسلام ، والصحبة . لا أنهما : ممن نالته فضيلة الصحبة[1] .

بَابٌ فِي نَبْذِ الأَرْضِ الْمُنَافِقَ الْمُرْتَدَّ، وَتَرْكِهِ مَنْبُوذًا

وأورده النووي ، في:(الكتاب المشار إليه) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ؛ قَالَ : كَانَ مِنَّا رَجُلٌ - مِنْ بَنِي النَّجَّارِ - قَدْ قَرَأَ : الْبَقَرَةَ ، وَآلَ عِمْرَانَ . وَكَانَ يَكْتُبُ لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَانْطَلَقَ هَارِباً ، حَتَّىٰ لَحِقَ بِأَهْلِ الْكِتَابِ . قَالَ : فَرَفَعُوهُ . قَالُوا : هَـٰذَا قَدْ كَانَ يَكْتُبُ لِمُحَمَّدٍ . فَأُعْجِبُوا بِهِ . فَمَا لَبِثَ : أَنْ قَصَمَ اللّهُ عُنُقَهُ فِيهِمْ . فَحَفَرُوا لَهُ ، فَوَارَوْهُ . فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ ، قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِهَا . ثُمَّ عَادُوا ، فَحَفَرُوا لَهُ ، فَوَارَوْهُ . فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ ، قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِهَا . ثُمَّ عَادُوا ، فَحَفَرُوا لَهُ ، فَوَارَوْهُ . فَأَصْبَحَتِ الأَرْضُ ، قَدْ نَبَذَتْهُ عَلَىٰ وَجْهِهَا . فَتَرَكُوهُ مَنْبُوذاً) .

(الشَّرح)

(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ؛ (قال : كان منا رجل - من بني النجار - قد قرأ : البقرة ، وآل عمران . وكان يكتب لرسول الله ، صلى الله

(١) أفاده النووي ، في ص ١٢٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

عليه) وآلـه (وسلم . فانـطلق هارباً ، حتى لحق بأهل الكتاب . قال : فرفعـوه . قالـوا : هذا قد[1] كان يكتب لمحمـد ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم[2] . فأعجبـوا به . فمـا لبث : أن قصم الله عنقـه) : أي أهلكه (فيهم . فحفروا له ، فواروه . فأصبحت الأرض ، قد نبذته على وجهها . ثم عادوا ، فحفـروا له ، فواروه . فأصبحت الأرض ، قد نبـذتـه على وجهها)[3] أي : طرحته . (فتركوه منبوذاً) مطروحاً ، ولم يدفنوه مرة أخرى .

والحديث : دل على عظم إثم النفاق . وعلى سوء خاتمة المنافقين . وعلى أن الله قد يظهر حال آخرتهم في الدنيا : عبرة للناظرين .

كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ

وقال النووي : (باب صفة القيامة ، والجنة والنار) .

بَابُ: يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم) .

---

(١) (قد كان) وضع المؤلف : علامة فوق كلمة : « قد » : إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث جملة : « صلى الله عليه وسلم » . وهذا هو الأشبه ، لأن أهل الكتاب لا يقولونها . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : تكرر : « ثم عادوا . . . إلخ » مرتين . لا مرة واحدة ، كما ذكر المؤلف . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ؛ أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَطْوِي اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ : السَّمَاوَاتِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - . ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَىٰ . ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟

ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ») .

(الشَّرح)

(عن ابن عمر ، رضي الله عنهما[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يطوي الله عز وجل . السموات ، يوم القيامة . ثم يأخذهنّ بيده اليمنى . ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرض[2] بشماله ، ثم يقول : أنا الملك . أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟) .

وفي رواية ؛ أَنَّ ابْنَ مِقْسَمٍ : نَظَرَ إِلَى ابْنِ عُمَرَ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولَ

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول « عن سالم بن عبد الله » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « الأرضين » بالجمع . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد بالجمع ، في بعض النسخ . المحقق .

اللّهِ ، صلى الله عليه وآلــه وسلم؛ قَالَ : « يَأْخُــذُ اللّهُ[1] : سَمَـوَاتِــهِ ، وَأَرْضَهُ[2] : بِيَدَيْهِ ، وَيَقُولُ[3] : أَنَا اللّهُ » - وَيَقْبِضُ أَصَابِعَهُ وَيَبْسُطُهَا - « أَنَا الْمَلِكُ » حَتَّىٰ نَظَرْتُ إِلَى المِنْبَرِ : يَتَحَرَّكُ مِنْ أَسْفَلِ شَيْءٍ[4] مِنْهُ[5] .

قال : النــووي : قال العلمــاء : المـراد بقوله: « يقبض أصـابعـه ويبسـطهـا » : النبي ، صلى الله عليه وآلـه وسلم . ولهذا قال : إنّ « ابن مِقْسَمٍ ، نظر إلى ابن عمر ، كيف يحكي رسول الله .. الخ » .

وأما إطلاق اليدين لله تعالى : فمتأوّل على « القدرة » .

وكنى عن ذلك باليدين : لأن أفعالنا تقع بهما . فخوطبنا بما نفهمه ، ليكون أوضح وأوكد في النفوس .

وذكـر اليمين والشمـال ، حتى يتم المثـال . لأنـا نتنـاول باليمين : ما نكرمه . وبالشمال : مادونه . ولأن اليمين في حقنا : تقوى لما لا يقوى له الشمال .

ومعلوم : أن السموات : أعظم من الأرض ، فأضافها إلى اليمين . والأرضين : إلى الشمـال ، ليظهـر التقريب في الاستعارة . وإن كان الله

(١) هذه رواية مسلم ، عن سعيد بن منصور عن يعقوب بن عبد الرحمن ، عن أبي حازم ، عن عبيد الله بن مقْسَم . وهي في صحيح مسلم / النووي (١٧/١٣٢) . وقد ورد بها : (نظر إلى عبد الله بن عمر) بزيادة « عبد الله » . وكذلك : زيادة : « عز وجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٢) في المصدر المذكور : « وَأَرَضِيهِ » بالجمع . المحقق .

(٣) في المصدر المتقدم : « فيقول » بالفاء بدل الواو . المحقق .

(٤) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) بقية الحديث : حَتَّىٰ إِنِّي لأَقُولُ : أَسَاقِطٌ هُوَ بِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؟.المحقق .

سبحانه وتعالى ، لا يوصف : بأن شيئاً أخفّ عليه من شيء[1]، ولا أثقل من شيء[1]. هذا مختصر كلام المازري في هذا[2] .

قال عياض : وفي هذا الحديث ثلاثة[3] ألفاظ : « يقبض ، ويطوي ، ويأخذ » كله بمعنى الجمع ؛ لأن السموات : مبسوطة ، والأرضين : مدحوة ، وممدودة . ثم يرجع ذلك إلى معنى : الرفع ، والإزالة ، وتبديل الأرض غير الأرض ، والسموات . فعاد كله إلى : ضم بعضها إلى بعض ، ورفعها ، وتبديلها بغيرها .

قال[4] : وقبض النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أصابعه كلها ، وبسطها : تمثيل لقبض هذه المخلوقات ، وجمعها بعد بسطها . وحكاية للمبسوط والمقبوض ، وهو السموات والأرضون . لا إشارة إلى القبض والبسط ، الذي هو صفة القابض والباسط ، سبحانه وتعالى . ولا تمثيل لصفة الله تعالى السمعية ، المسماة « باليد » التّي ليست بجارحة . انتهى كلام النووي ، الذي حكاه عن المازري ، والقاضي .

وقد ذهب هؤلاء الثلاثة[5] الكرام : إلى تأويل حديث الباب . ووافقوا فيه : المعتزلة المؤولين[6] لليد : بالقدرة . وخالفوا : جمهور السلف عن آخرهم ؛ في إجراء هذه الصفة ، و ما في معناها ، « التي تظاهرت بها

(١) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، في ص ١٣٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٤) (قال) أي عياض ، كما حكاه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . والمقصود بهم : النووي ، وعياض ، والمازري . المحقق .

(٦) (المؤولين) . في الأصل : « المأولين » . المحقق .

الكتاب العزيز والسنة المطهرة : على ظاهرها » مع إقرارهم ، وإقرار جميع المتكلمين المؤولين[1] لأحـاديث الصفـات ، وآياتها : بأن طريقة السلف « أسلم » فيالله العجب ! من تركهم : الطريق التي هي أسلم ، وإيثارهم : طريقة الخلف ، التي هي ليست على قاعدة سلف هذه الأمة وأئمتها . فلا تغتـر أيهـا[2] البشر بما يمرّ بك : من تأويلاتهم الرادة لظواهر النصوص ، الصارفة لها عن معانيها الواضحة ، بلا برهان منصوص ، وتبيان من دليل مرصـوص . ولـولا أن (كتـاب الجوائز والصلات) ، قد قضى الوطر عن مسائل هذا الباب : لطولنا البحث في إثبات مذاهب السلف ، وردّ طرائق الخلف . وهذا القدر من الإحالة على الكتاب المذكور : يغنيك - إن شاء الله تعالى - عند رجوعك إليه ، وتعويلك بقلب صادق عليه .

ونحن ، والله ! لا نرضىٰ أبـداً ، ولم يرض أحد من الأئمة الماضين المحدّثين والمجتهدين قطّ : بتأويل شيء[3] من هذه الألفاظ المنورة : من القبض ، والبسط ، والطي ، واليد ، والأخذ باليمين والشمال . ولم يتحاش أحد منهم : من إطلاقها على الله عزوجل ، الذي نطق بها في كتابه . ونطق بها رسوله في سنته . وهما طافحان بهذه الألفاظ ، ونحوها ، من الصفات . ومـا لنا والخوض في ذلك ، مع ورود المنع من الخوض في أمثال هذا ؟ عافانا الله تعالى من أن نكيّف صفاته ، ونمثل سماته ، ونؤول[4] نعوته . كما

(١) (المؤولين) . في الأصل : « المأولين » . المحقق .
(٢) أفرد الضمير مراعاة للفظ . المحقق .
(٣) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .
(٤) (ونؤول) . في الأصل : « ونأول » . المحقق .

عافىٰ سلفنا الصالح عن هذا . ووفقنا بالإيمان الصادق : بما جاء عنه سبحانه ، وعن رسوله الصادق المصدوق ، الأمين المأمون .

ومن زعم : أن إطلاق « ما أطلقه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم على الله عزوجل ، في مجالسه الشريفة ، ومجامعه المنيفة » : ممنوع لنا ، ومنهيّ عنه ؛ فقد أتى باباً كبيراً ، من أبواب إساءة الأدب بالله وبرسوله . ولم يكن الله ولا رسوله ، قط : عاجزين عن أن لا يأتيا بهذه الألفاظ الموهمة : للتجسيم والتشبيه . بل قالا ما يكون صريحاً في التنزيه والتقديس .

فهذا الزعم - من أهل التأويل ، والكلام - : من أبطل الباطلات ، وأنكر المنكرات .

ونحن إذا تلونا : قوله سبحانه « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ[1] » « وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ » : تلاشت شُبُه[2] التمثيل والتكييف ، بحذافيرها . ولم يبق لشيء[3] من التجسيم والتشبيه : مساغ .

فنحن نسبّحه ونقدّسه : عن جميع سمات النقص ، والزوال . ونثبت له : ما أثبته لنفسه المقدّسة ، ووصف[4] به رسوله - فيما صح عنه ، رواية -

وهذا هو مختار جمهور السلف ، ومشرب الصالحين من الخلف . ومن خالف ذلك : فقد خالف هذه الشريعة ، بل الشرائع كلها . والمُهديّ : من هداه الله . والتوفيق بيده سبحانه .

---

(١) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) (شُبُه) هكذا في الأصل : بضم الباء . والصواب : « شُبَه » بفتحها جمع « شبهة » . ولو قال « شُبُهات » بدل « شُبُه » لكان أوضح . المحقق .

(٣) (لشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) الأوضح والأولىٰ : « ووصفه » . المحقق .

وحديث الباب ، يوافقه قوله تعالى : « لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ »[1] .

رواه مسلم في صحيحه ، بطرق وألفاظ ؛

منهـا : حديث عبـد الله ؛ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، إِلَىٰ رَسُـولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فَقَالَ : ياأَبَا الْقَاسِمِ ! إِنَّ اللّهَ يُمْسِـكُ السَّمَـٰوَاتِ : عَلَىٰ إِصْبَـعٍ ، وَالأَرَضِينَ : عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، والشَّجَرَ وَالثَّرَىٰ : عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْخَلاَئِقَ : عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . أَنَا الْمَلِكُ .

قَالَ : فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : ضَحِكَ ، حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِـذُهُ ، ثُمَّ قَالَ : « وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ[2] » . زاد في حديث جرير : « تَصْدِيقاً لَهُ ، تَعَجُّباً لِمَا قَالَ[3] » .

ومنها : حديث « أبي هريرة » كَانَ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « يَقْبِضُ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الأَرْضَ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ . وَيَطْوِي السَّمَاءَ : بِيَمِينِهِ . ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ[4] ؟ » .

إلى غير ذلك : من أحاديث صحيحة ، كثيرة محكمة .

وهي في الصحيحين وغيرهما ، من كتب السنن . والله أعلم .

---

(١) الآية : (١٦) من سورة غافر . المحقق .

(٢) الحديث ، في صحيح مسلم / النووي ، (١٧ / ١٣٠ ، ١٣١) . وقد ورد به : « النَّبِيَّ » بدل : « رسول الله » . المحقق .

(٣) حديث « جرير » هذا ، في ص ١٣٠ ، المصدر المتقدم . ولكنه ورد به – بعد قوله : « بدت نواجذه » – : « تَعَجُّباً لِمَا قَالَ ، تَصْدِيقاً لَهُ » بهذا الترتيب ، وهو عكس ما ذكره المؤلف . المحقق .

(٤) هذا الحديث في المصدر المتقدم ، ص ١٣١ . المحقق .

بَابٌ فِي صِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وهو في النووي ، في (الباب المشار إليه)[1] .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يُحْشَرُ النَّاسُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - عَلَىٰ أَرْضٍ بَيْضَاءَ ، عَفْراءَ : كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ ، لَيْسَ فِيهَا عَلَمٌ لِأَحَدٍ ») .

(الشَّرح)

(عن سهل بن سعد) رضي الله عنه ، (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يحشر الناسُ - يوم القيامة - على أرض بيضاء ، عفراء : كقرصة النقي ، ليس فيها علم لأحد ») .

« العفراء » بالعين المهملة ، والمد : بيضاء إلى حمرة .

« والنقي » بفتح النون ، وكسر القاف ، وتشديد الياء : هو الدقيق الحوري . وهو « الدرمك » . وهو الأرض الجيّدة .

قال عياض : كأنّ النار غيّرت بياض وجه الأرض ، إلى الحمرة[2]

---

(١) اسم الباب ، في النووي (١٧ / ١٣٤) : (باب في البعث والنشور ، وصفة الأرض ، يوم القيامة) . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، ص ١٣٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

« وعلم » : بفتح العين واللام . أي ليس بها : علامة سكنى ، أو بناء . ولا أثر . وفي حديث « أبي سعيد الخدري » رضي الله عنه ، عند مسلم ؛ يرفعه : قَالَ : « تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : خُبْزَةً وَاحِدَةً ، يَكْفَؤُهَا[1] الْجَبَّارُ بِيَدِهِ - كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ - : نُزُلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ »[2] الحديث .

وفيه : إثبات اليد له سبحانه . ولا ينبغي : أن تؤوّل[3] . بل تُجرىٰ على ظاهرها ، بلا كيف . مع نفي التشبيه ، والتمثيل ، والتعطيل ، والتأويل . وبالله التوفيق . وبيده التحقيق .

بَابُ : يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَىٰ مَا مَاتَ عَلَيْهِ

وأورده النووي ، في : (باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى ، عند الموت) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ٢١٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرٍ) رضي الله عنه ، (قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ الله[4] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يَقُولُ : « يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ ، عَلَىٰ مَامَاتَ عَلَيْهِ ») .

---

(١) (يكفؤها) . في الأصل : « يكفأها » . المحقق .

(٢) مذكور في ص ١٣٥ ، نفس المصدر . المحقق .

(٣) (تؤول) . في الأصل : « تأول » . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « النبي » بدل : « رسول الله » . المحقق .

(الشَّرح)

أي يبعث على الحالة ، التي مات عليها . ومثله : الحديث الآتي بعد هذا .

بَابُ الْبَعْثِ عَلَى الأَعْمَالِ

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم قريباً) .

(حَديثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢١٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) رضي الله عنهما ؛ (قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يَقُولُ : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً : أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ ») .

(الشَّرح)

أي نياتهم . إن كانت خيراً فخيراً ، وإن كانت شرّاً[1] ، فشراً .

عقب مسلم : هذا الحديث ، وما قبله : بحديث جابر ، يرفعه ، بلفظ لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ ، إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ »[2] .

---

(١) الصواب الذي أراه : « إن كانت خيراً ، فخيرٌ ، وإن كانت شرّاً ، فشرٌّ » برفع كل من : « فخير » و« فشرّ » . أي إن كانت أعمالهم خيراً ، فالجزاء خير . وإن كانت شرّاً ، فالجزاء شرٌّ . المحقق .

(٢) هذا الحديث مذكور قبل الحديثين . اللذين أشار إليهما المؤلف . وليس بعدهما ، كما يفيده قوله : (عقب مسلم .. إلخ) . هذا ؛ وقد زاد صحيح مسلم / النووي ، ص ٢٠٩ زاد بعد لفظ الجلالة قوله : « عز وجل » . المحقق .

وقد سبق حديث : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي » .

فإذا أحسن الظن بربّه ، ومات عليه : يبعث عليه - أيضاً - إن شاء الله تعالى .

اللهم ! إنا أحسنّا ظنّنا بك ، في هذه الحياة[1] الدنيا . فوفقنا له عند الممات ، وابعثنا على نيتنا هذه ، وعملنا هذا : برحمتك ، ياأرحم الراحمين !

بَابُ يُحْشَرُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً

وقال النووي : (باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « يُحْشَرُ النَّاسُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - : حُفَاةً ، عُرَاةً ، غُرْلاً » . قُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ ، جَمِيعاً ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ؟

قَالَ صلى الله عليه وسلم : « يَاعَائِشَةُ ! الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ : إِلَىٰ بَعْضٍ ») .

---

(١) (الحياة) . في الأصل : « الحيوة » . المحقق .

(الشَّرح)

(عن عائشة ، رضي الله عنها)[1] ؛ قالت : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : يحشر الناس يوم القيامة ، حفاة) : جمع « حافٍ » .

(عراة):جمع « عارٍ »[2] .

(غرلا) : بضم الغين ، وإسكان الراء . معناه : غير مَخْتونِين . جمع : « أغرل » .

وهو الذي لم يختن ، وبقيت معه غرلته ، وهي قلفته . وهي الجلدة التي تقطع في الختان .

قال الأزهري وغيره : « هو الأغرل ، والأرغل ، والأغلف » بالغين في الثلاثة[3] . « والأقلف ، والأعرم بالعين » .

وجمعه:« غرل ، ورغل ، وغلف . وقلف ، وعرم » .

والمقصود : أنهم يحشرون كما خلقوا ، لا شيء[4] معهم ولا يفقد منهم شيء[4]، حتى الغرلة تكون معهم .

(قلت : يارسول الله ! الرجال والنساء جميعاً ، ينظر بعضهم إلى

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٢) (عارٍ) وكذلك (حافٍ) . أصلهما : « عاريُ » و « حافيُ » . فحدث بهما إعلال صرفي . وهو أن الضمة استثقلت على الياء ، فحذفت الضمة . فصارت « عَارِينْ » و « حافِينْ » . ثم حذفت الياء من كل منهما ، كراهة التقاء الساكنين . فصارتا : « عارٍ » و « حافٍ » . المحقق .

(٣) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

(٤) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

بعض ؟ قالت : فقال : « ياعائشة[1] ! الأمر أشدّ من أن ينظر بعضهم إلى بعض ») .

فيه : أن « يوم القيامة » يوم ثقيل ،هائل شديد .

لا يمكّن أحداً : أن ينظر إلى عورة أحد .

بَابُ: يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ طَرَائِقَ

وذكره النووي ، في:(الباب الغابر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم/النووي، ص ١٩٤، ١٩٥، جـ ١٧، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَىٰ ثَلَاثِ[2] طَرَائِقَ : رَاغِبِينَ رَاهِبِينَ ، وَاثْنَانِ عَلَىٰ بَعِيرٍ . وَثَلَاثَةٌ[3] عَلَىٰ بَعِيرٍ . وَأَرْبَعَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ . وَعَشَرَةٌ عَلَىٰ بَعِيرٍ . وَتَحْشُرُ بَقِيَّتَهُمُ النَّارُ ، تَبِيتُ مَعَهُمْ حَيْثُ بَاتُوا . وَتَقِيلُ مَعَهُمْ حَيْثُ قَالُوا . وَتُصْبِحُ مَعَهُمْ حَيْثُ أَصْبَحُوا . وَتُمْسِي مَعَهُمْ حَيْثُ أَمْسَوْا ») .

(الشَّرح)

قال النووي : قال العلماء : وهذا الحشر ، في آخر الدنيا . قبيل

(١) في مصدر الحديث : (قال صلى الله عليه وسلم : ياعائشة !) . مكان : « قالت : فقال : ياعائشة ! » . المحقق .

(٢) (ثلاث) : في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٣) (وثلاثة) . في الأصل : « وثلثة » . المحقق .

القيامة ، وقبيل النفخ في الصور . بدليل قوله : « تحشر بقيتهم النارُ »[1] . قال[2] : وهـذا آخـر أشراط الساعة . كما ذكر مسلم بعد هذا ، في آيات الساعة . قال[3] : وآخرُ ذَلِكَ : « نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ ، تَرْحَلُ النَّاسَ » .

وفي رواية : « تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِم[4] » .

والمراد بثلاث[5] طرائق : ثلاث[5] فرق . ومنه قوله تعالى - إخباراً عن الجن - : « كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً »[6] أي : فرقاً مختلفة الأهواء . انتهى[7] .

وفي كتابنا : (حجج الكرامة ، والإذاعة) : تفصيل لهذا الإجمال . فراجعهما .

بَابُ حَشْرِ الْكَافِرِ عَلَىٰ وَجْهِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وهــو في النــووي ، في:(باب مثـل المؤمن : كالـزرع . والمنـافق والكافر[8] : كالأَرْزَة) .

---

(١) زاد النـووي (في ص ١٩٥) : « تبيت معهم ، وتقيل ، وتصبح ، وتمسي » . اهـ . قلت : وهنا يظهر الدليل . المحقق .

(٢) (قال) أي : النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (قال) أي : مسلم ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . هذا ؛ ونص عبارة مسلم (٤/٢٢٢٦) ط دار الفكر ، تحقيق وتصحيح « محمد فؤاد عبد الباقي » ، - في هامش الصفحة - : (وآخر ذلك : نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم . وفي رواية : « تخرج من قُعْرَةِ عَدَنٍ ») هذا كلام مسلم . وعقب عليه النووي ، فقال : هكذا هو في الأصول . ومعناه : « من أقصى قعر أرض عدن » . و« عدن » : مدينة معروفة ، مشهورة : باليمن . اهـ . المحقق .

(٤) هذه الرواية ، هي حديث الباب رقم (١٣) ، كتاب الفتن ، ص ٢٢٢٥ ، المصدر المتقدم . حديث رقم (٣٩) . أما رواية : « وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ » إلخ . هكذا « من قُعْرَةِ » . وليس : « من قعر » كما ذكر المؤلف . أقول : هذه الرواية في المصدر المتقدم ، ص ٢٢٢٦ حديث رقم (٤٠) . المحقق .

(٥) (ثلاث) . في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٦) الآية : (١١) من سورة الجن . المحقق .

(٧) (انتهى) كلام النووي ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٨) ليس كما ذكر المؤلف . وإنما هو في النووي ، في (باب طلب الكافر ، الفداء : بملء الأرض ذهباً) وهو قبل الباب الذي ذكره المؤلف : بباب . انظر (١٧ / ١٤٧) المطبعة المصرية . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَجُلاً قَالَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ يُحْشَرُ الْكَافِرُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : « أَلَيْسَ الَّذِي أَمْشَاهُ عَلَىٰ رِجْلَيْهِ - فِي الدُّنْيَا - قَادِراً عَلَىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ » قَالَ قَتَادَةُ : بَلَىٰ . وَعِزَّةِ رَبِّنَا !) .

(الشَّرح)

أي : هو قادر على ذلك . والحديث على ظاهره .

بَابُ دُنُوِّ الشَّمْسِ مِنَ الْخَلْقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وذكره النووي، في : (باب[1] صفة يوم القيامة . أعاننا الله على أهواله) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ١٩٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ ، رضي الله عنه[2] ؛ قَالَ : حَدَّثَنِي الْمِقْدَادُ بْنُ الأَسْوَدِ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يَقُولُ :

---

(١) زاد النووي كلمة : « في » ، بعد كلمة : « باب » . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . كما يوهم صنيع المؤلف . المحقق .

« تُدْنَى الشَّمْسُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - مِنَ الْخَلْقِ ، حَتّى تَكُونَ مِنْهُمْ : كَمِقْدَارِ مِيلٍ » .

قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ : فَوَاللّهِ ! مَا أَدْرِي : مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ ؟ أَمَسَافَةَ الأَرْضِ ، أَوِ[1] الْمِيلَ الَّذِي تُكْحَلُ[2] بِهِ الْعَيْنُ .

قَالَ : « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ : إِلَىٰ كَعْبَيْهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ : إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ : إِلَىٰ حِقْوَيْهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَاماً » .

قَالَ : وَأَشَارَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بِيَدِهِ[3] إِلَى فِيهِ) .

(الشرح)

قال عياض : يحتمل أن المراد « عرق نفسه ، وعرق غيره » .

ويحتمل : عرق نفسه خاصة . انتهى[4].

باب في كثرة العرق يوم القيامة

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(١) (أو) في مصدر الحديث : « أم » . وهو الأفضل . المحقق .
(٢) في مصدر الحديث : « تُكْتَحَل » بدل : « تكحل » . المحقق .
(٣) وضع المؤلف علامة ، فوق كلمة : « بيده » ، إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .
(٤) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه النووي ، بص ١٩٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ ثَوْرٍ ، عَنْ أَبِي الْغَيْثِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ الْعَرَقَ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ : لَيَذْهَبُ فِي الْأَرْضِ ، سَبْعِينَ بَاعاً . وَإِنَّهُ لَيَبْلُغُ إِلَىٰ أَفْوَاهِ النَّاسِ » - أَوْ إِلَىٰ آذَانِهِمْ - يَشُكُّ ثَوْرٌ : أَيُّهُمَا قَالَ) .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[1] ، أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « إن العرق ، يوم القيامة : ليذهب في الأرض ، سبعين باعا . وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس » - أو إلى آذانهم - يشك ثور : أيهما قال) .

وفي حديث « ابن عمر » يرفعه : « يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، حَتَّىٰ يَقُومَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ ، إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ »[2] .

وفي رواية : « حَتَّىٰ يَغِيبَ أَحَدُهُمْ »[3] إلخ .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن ثور » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في رواية زهير بن حرب ، وعبيد الله بن سعيد : « يَوْمَ يَقُوم . . إلخ » . وفي رواية « محمد بن المثنى » : « يَقُومُ : . إلخ » بدون ذكر « يوم » . وبقية الحديث ؛ قَالَ : « يَقُومُ أَحَدُهُمْ ، فِي رَشْحِهِ : إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ » ، باب (١٥) حديث (٦٠) . (٢١٩٥/٤) . تحقيق وتصحيح « محمد فؤاد عبد الباقي » . المحقق .

(٣) هذه رواية « موسى بن عقبة ، وصالح » ، عن نافع ، عن ابن عمر . (٢١٩٦/٤) ، نفس المصدر المتقدم . المحقق .

قال عياض : وسبب كثرة العرق : تراكم الأهوال ، ودنوّ الشمس من رؤوسهم ، وزحمة بعضهم بعضاً[1] .

بَابُ طَلَبِ الْكَافِرِ الْفِدَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وهو في النووي ، في :(باب الكفار)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) رضي الله عنه ؛ (عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً : لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا . أَكُنْتَ مُفْتَدِياً بِهَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيَقُولُ : قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَـٰذَا - وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ : أَنْ لَا تُشْرِكَ - أَحْسِبُهُ قَالَ - وَلَا أُدْخِلَكَ النَّارَ . فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ » . وفي رواية ؛ « فَيُقَالُ : قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ »[3] .

وفي رواية : « فَيُقَالُ : كَذَبْتَ ، قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ »[4]) .

---

(١) حكاه عنه النووي ، في (١٧/١٩٥) المطبعة المصرية . هذا ؛ وكلمة « رؤوسهم » . في الأصل : « رؤسهم » . المحقق .

(٢) عبارة النووي ، في (١٧/١٤٦) ؛ (باب في الكفار) بزيادة : « في » . المحقق .

(٣) هي رواية هشام ، عن قتادة ، عن أنس ، وهي في باب (١٠) . حديث رقم (٥٢) ، (٤/٢١٦١) ، تصحيح وتحقيق « محمد فؤاد عبد الباقي » . وقد ورد بها : « فيقال له » بزيادة كلمة : « له » . المحقق .

(٤) هي رواية « سعيد بن أبي عَرُوبة ، عن قتادة ، عن أنس » وهي في المصدر المتقدم . حديث رقم (٥٣) . وقد ورد به كسابقه : « فيقال له » بزيادة « له » . المحقق .

(الشَّرح)

قال النووي : المراد « بأَرَدْتُ » في الرواية الأولى : « طلبت منك ، وأمرتك » .

وقد أوضحه ، في الروايتين الأخيرتين ، بقوله : « قد سئلت أيسر » . فيتعين تأويل « أردت » على ذلك ، جمعاً بين الروايات . لأنه يستحيل - عند أهل الحق - أن يريد الله تعالى شيئاً ، فلا يقع . قال : ومذهب أهل الحق ، أن الله مريد لجميع الكائنات : خيرها وشرها . ومنها « الإيمان ، والكفر » . فهو سبحانه وتعالى : مريد لإيمان المؤمن ، ومريد لكفر الكافر ، خلافاً للمعتزلة ، في قولهم : إنه أراد إيمان الكافر ، ولم يرد كفره . تعالى الله عن قولهم الباطل . فإنه يلزم من قولهم : « إثبات العجز في حقه سبحانه » ، وأنه وقع في ملكه : مالم يرده .

وأما هذا الحديث ، فقد بيّنا تأويله .

وأما قوله : « فيقال له : كذبت » . فالظاهر أن معناه ، أن يقال له : « لو رددناك إلى الدنيا ، وكانت لك كلها . أكنت تفتدي بها ؟ » فيقول : نعم . فيقال له : كذبت . قد سئلت أيسر من ذلك ، فأبيت .

ويكون هذا ، من معنى قوله تعالى : « وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ »[1] . قال[2] : ولا بدّ من هذا التأويل ، ليجمع بينه وبين قوله تعالى : « وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ

---

(١) الآية : (٢٨) من سورة الأنعام . المحقق .

(٢) (قال) أي النووي ، في (١٤٨/١٧) المطبعة المصرية . المحقق

الْقِيَامَةِ »[1] . أي : لو كان لهم - يوم القيامة - ما في الأرض جميعاً ، ومثله معه . وأمكنهم الافتداء : لافتدوا .

قال : وفي الحديث دليل ، على أنه يجوز أن يقول الإنسان : « الله يقول » . وقد أنكره بعض السلف . وقال : يكره هذا . وإنما يقال : « قال الله » . وقد تقدّم فساد هذا المذهب . وتقدم أن الصواب : جوازه . وبه قال عامة العلماء : من السلف ، والخلف .

وبه جاء القرآن العزيز ، في قوله تعالى : « وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ »[2] . وفي الصحيحين : أحـاديث كثيرة ، مثـل هذا . والله أعلم . هذا آخـر كلام النووي رحمه الله[3] . وكما في الحديث - دلالة ، على طلب الكافر الفداء في الآخرة - دليل أيضاً : على أن الشرك من موجبات دخول النار ، وأن من لم يشرك بالله : عسى أن يغفر الله سائر ذنوبه بالتوبة ، وبغيرها- إن شاء - .

ويدل لهذا قوله سبحانه : « إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »[4] .

ومن هنـا يقال : إن التوحيد : رأس الطاعات . وإن الاتباع : ملاك الأمر كله . ومن جمع بينهما : فقد فاز فوزاً عظيماً . وبالله التوفيق .

---

(١) الآية : (٤٧) من سورة الزمر . المحقق .

(٢) الآية : (٤) من سورة الأحزاب . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل رمز إلى هذه الجملة ، بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) الآية : (١١٦) من سورة النساء . المحقق .

كِتَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ

وقال النووي : (كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها) .

وأقول : ألف الحافظ ابن القيم ، رحمه الله[1] : كتاباً في أحوال الجنة . وسماه : « حادي الأرواح ، إلى بلاد الأفراح » ، جمع فيه : كل ما جاء في هذا الباب ، من القرآن والحديث . وهو كتاب شريف لطيف ، جامع . لم يسبق إليه في ملة الإسلام . احتوى على علم كثير . وقد لخّصته في مجلد وسيط . وسميته : « مثير ساكن الغرام ، إلى روضات دار السلام » وهو تلوه في إفادة جميع ما فيه .

فإن كنت ممن يريد : الاطلاع على حال الجنة وأهلها ، فعليك به . ولا مندوحة لك منه .

وحيث بسطنا الكلام هناك ، على الأدلة الواردة فيها : اختصرنا هٰهنا ، في تشريح أحاديث هذا الكتاب إحالة عليه ، وتركاً للإطالة .

بَابُ فِي أَوَّلِ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ

وأورده النووي ، في (الكتاب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٠ ، ١٧١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُحَمَّدٍ ؛ قَالَ : إِمَّا تَفَاخَرُوا - وَإِمَّا تَذَاكَرُوا - : الرِّجَالُ فِي الْجَنَّةِ أَكْثَرُ ، أَمِ النِّسَاءُ ؟

(١) (رحمه الله) . في الأصل رمز إلى هذه الجملة ، بالحرفين : « رح » . المحقق .

فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَوَ لَمْ يَقُلْ أَبُو الْقَاسِمِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ ، تَدْخُلُ الْجَنَّةَ : عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ ، لَيْلَةَ الْبَدْرِ . وَالَّتِي تَلِيهَا : عَلَىٰ أَضْوَإِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ ، فِي السَّمَاءِ .

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ : زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ . يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا : مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ . وَمَا فِي الْجَنَّةِ أَعْزَبُ ؟ ») .

(الشرح)

(عن محمد) ، يعني : ابن سيرين . (قال : إما تفاخروا - وإما تذاكروا - : الرجال في الجنة أكثر[1] ، أم النساء ؟ فقال أبو هريرة : أو لم يقل أبو القاسم) : محمد رسول الله ، (صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إن أول زمرة ، تدخل الجنة : على صورة القمر ، ليلة البدر . والتي تليها : على أضوإ[2] كوكب دريّ في السماء .

لكلّ امرئ منهم : زوجتان اثنتان . يرى مخّ سوقهما : من وراء اللحم . وما في الجنة أعزب ؟ ») .

« الزمرة » : الجماعة .

« والدريّ » : فيه ثلاث[3] لغات ، قرئ بهنّ في السبع ، الأكثرون : « دُرّيّ » ، بضم الدال ، وتشديد الياء ، بلا همز .

---

(١) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « أكثر في الجنة » ، بدل : « في الجنة أكثر » . المحقق .

(٢) (أضوأ) . في الأصل : « أضوء » بهمزة مفردة . المحقق .

(٣) (ثلاث) . في الأصل : « ثلث » . المحقق .

والثانية : بضم الدال ؛ مهموز ، ممدود .

والثالثة : بكسر الدال ، مهموز ، ممدود .

وهو « الكوكب العظيم » .

قيل : سمي « دريًّا » : لبياضه ، كالدر . وقيل : لشبهه « بالدرّ » ، في كونه : أرفع من باقي النجوم . كالدرّ أرفع الجواهر[1] .

وقوله : « زوجتان » . هكذا في الروايات : « بالتاء » . وهي لغة متكررة في الأحاديث ، وكلام العرب . والأشهر : حذفها . وبه : جاء القرآن[2] ، وأكثر الأحاديث .

« وأعزب » بالألف . هكذا في جميع نسخ بلاد النووي . وهي لغة .

والمشهور في اللغة : « عزب » بغير ألف .

قال عياض : إن جميع رواتهم ، رووه : بغير ألف ، إلا « العذري » ، فرواه بالألف . قال[3] : وليس بشيء .

« والعزب » : من لا زوجة له . والعُزوب : البعد . وسمي « عزباً » لبعده عن النساء .

قال عياض : ظاهر هذا الحديث ، أن النساء أكثر أهل الجنة . وفي الحديث الآخر : « أنهن أكثر أهل النار » .

قال : فيخرج من مجموع هذا ، أن النساء أكثر ولد آدم .

---

(١) ذكره النووي ، في (١٧/١٦٨) . وزاد : وقيل : لإضاءته . المحقق .

(٢) في مثل قوله تعالى ، في الآية (٩٠) الأنبياء : « وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ » . وفي الآية (٣٧) الأحزاب : « أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ » . المحقق .

(٣) (قال) أي : عياض ، كما حكاه عنه النووي ، في (١٧/١٧٢) . هذا ؛ وكلمة « بشيء » . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

قال : وهذا كله في الآدميات . وإلا ، فقد جاء : « لِلْواحِدِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، مِنَ الْحُورِ : الْعَدَدُ الْكَثِيرُ » . انتهى كلام النووي ، رحمه الله[1] .

وقال ابن القيم ، في (حادي الأرواح) : إن كنّ من نساء الدنيا ، فالنساء في الدنيا أكثر من الرجال . وإن كنّ من الحور العين : لم يلزم أن يكنّ في الدنيا أكثر . والظاهر : أنهنّ من الحور العين ، لما رواه أحمد ، عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : « لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ : زَوْجَتَانِ ، مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدَةٍ حُلَّةٌ . يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهَا : مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ » .

وأما حديث جابر ، المتفق على صحته ، يرفعه : « إِنَّ مِنْكُنَّ فِي الْجَنَّةِ لَيَسِيرٌ » فَقَالَتِ امْرَأَةٌ : يَارَسُولَ اللّهِ ! لِمَ ؟ قَالَ : « إِنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ » .

وفي الحديث الآخر : « أَقَلُّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ : النِّسَاءُ » .

قيل : فهذا يدلّ على أنهن ، إنما يكنّ في الجنة بالحور العين ، اللاتي خلقهنّ في الجنة . وأقل ساكنيها نساء الدنيا . فنساء الدنيا : أقل أهل الجنة ، وأكثر أهل النار .

وأما كونهن أكثر أهل النار : فلحديث « عمران » عند البخاري ، وحديث « ابن عباس » عند مسلم ، وحديث « أبي هريرة » عند أحمد : بإسناد صحيح ، وحديث « ابن عَمْرٍو » أيضاً ، في المسند : « اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : النِّسَاءَ » .

---

(١) (رحمه الله) هذه الجملة ، مرموز إليها ، في الأصل بالحرفين : « رح » . المحقق .

وفي حديث « ابن عمر » في الصحيح : « رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » .

وأما كونهن : أقل أهل الجنة ، ففي أفراد مسلم ، عن « عمران » ؛ يرفعه : « إِنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ : النِّسَاءُ » .

وأما رواية « أبي يعلى الموصلي » عن « أبي هريرة » في حديث طويل ؛ يرفعه : « فَيَدْخُلُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ زَوْجَةً ، مما يُنْشِئُ اللَّهُ ، وَاثْنَتَيْنِ مِنْ وَلَدِ آدَمَ » : ففيه مقال .

وإذا روي مثل هذا ، مما يخالف الأحاديث الصحيحة : لم يلتفت إلى روايته . انتهى[1] .

قلت : وفي حديث الباب ، المرويّ من طريق أخرى ، عن « أبي هريرة » . وهو متفق عليه . بلفظ : « وَلِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ ، مِنَ الْحُورِ الْعِينِ » الحديث[2] .

قال في (اللمعات ، شرح المشكاة)[3] : المراد أن لكل امرئ زوجتين ، بهذه الصفة . يعني : حوراء ، عيناء . ولا ينافي ذلك : أن يكون له زوجات أُخَر .

---

(١) (انتهى) كلام ابن القيم ، في (حادي الأرواح) . المحقق .

(٢) وجدت عند مسلم - في كتاب الإيمان ، باب (٨٤) - : حديثاً رقمه (٣١١) عن أدنى أهل الجنة منزلةً فيها .
وفي آخر هذا الحديث قال : « ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، فَتَقُولَانِ : الْحَمْدُ للهِ ، الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا ، وَأَحْيَانَا لَكَ . . . إلخ » . ولكن هذا الحديث ليس عن « أبي هريرة » ، بل عن « أبي سعيد الخدري » ، رفعه .
ووجدت عند البخاري كتاب بدء الخلق ، باب رقم (٨) : في الفتح (٦/ ٣٢٠) : حديثاً عن أبي هريرة ، يرفعه . وهو رقم (٣٢٥٤) . ونصه : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ : عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ .
وَالَّذِينَ عَلَى آثَارِهِمْ : كَأَحْسَنِ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ ، فِي السَّمَاءِ : إِضَاءَةً .
قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ ؛ لَا تَبَاغُضَ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تَحَاسُدَ . لِكُلِّ امْرِئٍ : زَوْجَتَانِ ، مِنَ الْحُورِ الْعِينِ .
يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِنَّ : مِنْ وَرَاءِ الْعَظْمِ وَاللَّحْمِ » . المحقق .

(٣) (المشكاة) . في الأصل : « المشكوة » . المحقق .

وقيل : المراد « بالتثنية »[1] : التكثير . انتهى[2] .

ولعل أخذ الزيادة على الاثنتين : من رواية « أبي يعلى »[3] المذكورة قريباً . وقد عرفت أن فيه مقالاً ، لا يصلح للاحتجاج بسببه .

والذي خطر بالبال - حين تحرير هذا المقال - : أن الله سبحانه ، أباح لكل رجل من هذه الأمة : أربع زوجات . فإن غفرهنّ[4] كلهنّ : لا بدّ أن يكنّ عنده في الجنة . فيزيد العدد : على الاثنتين .

ولا منافاة بين هذا . وبين حديث الباب . فإن الاثنتين تكونان من الحور العين ، وسائرهنّ : من نساء الدنيا . والله أعلم .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (كتاب الجنة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٢ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ - مِنْ أُمَّتِي - : عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ ، لَيْلَةَ الْبَدْرِ . ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ : عَلَىٰ أَشَدِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ، إِضَاءَةً .

(١) (بالتثنية) أي في قوله : « زوجتان » . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام صاحب (اللمعات) . المحقق .

(٣) (أبو يعلى) الموصلي ، رواية عن أبي هريرة . تقدم ذكرها قريباً ، والتي فيها : « فيدخل الرجل منهم ، على اثنتين وسبعين زوجة . . إلخ » . المحقق .

(٤) (فإن غفرهنّ كلهنّ) هكذا . المحقق .

ثُمَّ هُمْ - بَعْدَ ذَلِكَ - مَنَازِلُ .
لَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَبْزُقُونَ .
أَمْشَاطُهُمُ : الذَّهَبُ . وَمَجَامِرُهُمُ : الْأَلُوَّةُ . وَرَشْحُهُمُ : الْمِسْكُ .
أَخْلَاقُهُمْ : عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ . عَلَىٰ طُولِ أَبِيهِمْ آدَمَ : « سِتُّونَ ذِرَاعاً » .
قَالَ « ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ » : « عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ » . وَقَالَ « أَبُو كُرَيْبٍ » : « عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ » .
وَقَالَ « ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ » : « عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أول زمرة) أي : جماعة (تدخل الجنة - من أمتي - : على صورة القمر ، ليلة البدر . ثم الذين يلونهم : على) صورة (أشدّ نجم في السماء ، إضاءة .
ثم هم - بعد ذلك - منازل .
لا يتغوطون ، ولا يبولون ، ولا يمتخطون ، ولا يبزقون) .
وفي رواية : « لَا يَبْصُقُونَ »[1] .
وفي أخرى : « لَا يَتْفِلُونَ »[2] بكسر الفاء ، وضمها .

(١) هذه الرواية ، في صحيح مسلم ، باب (٧) ، كتاب الجنة ، حديث رقم (١٧) ، (٤/٢١٨٠) . المحقق .
(٢) في نفس المصدر ، حديث رقم (١٨) . المحقق .

حكاهما الجوهري وغيره . وكلها بمعنى .

(أمشاطهم : الذهب . ومجامرهم : الألوة) : بفتح الهمزة وضمها ، وضم اللام ، وتشديد الواو : « عود يتبخر به » .

وهـذا بخـلاف مجامر الدنيا ، فإن وقودها : قطع الحطب . ومجامر الجنة ، وقودها : العود الذي يتبخّر به .

وقال النووي « الألوة » : العود الهندي .

(ورشحهم : المسك) أي : عرقهم .

(أخلاقهم : على خلق رجل واحد) .

قد ذكـر مسلم في الكتـاب : اختـلاف « ابن أبي شيبـة » ، « وأبي كريب » : في ضبـطه ؛ فالأول : يرويه بضم الخـاء ، والـلام . والآخر : بفتح الخاء ، وإسكان اللام .

قال النووي : وكلاهما صحيح .

وقد اختلف فيه « رواة صحيح البخاري » . ويرجح « الضم »[1] بقوله في الحديث الآخر : « لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ » ، قُلُوبُهُمْ : « قَلْبٌ وَاحِدٌ »[2] .

وقـد يرجح « الفتح »[3] بقوله ، صلى الله عليه وآله وسلم - في تمام الحديث - : عَلَىٰ « صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ » . أو على طوله . انتهى[4] .

(١) (ويرجح الضم) أي : ضم الخاء واللام ، في كلمة : « خلق » . المحقق .

(٢) هو الحديث رقم (١٧) : كما ذكرنا في الهامش رقم (١)بالصفحة السابقة . المحقق .

(٣) أي : فتح الخاء ، مع إسكان اللام . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، في (١٧/ ١٧٢) المطبعة المصرية . المحقق .

قال (في المرقاة) : بضم الخاء ، واللام وتسكن[1] .

والمعنى - على فتح الأول[2] - :أنهم أتراب ، في سن واحدة . وهي ثلاثون[3] ، أو ثلاث وثلاثون[4] سنة . انتهى[5] .

(على طول أبيهم آدم : « ستون ذراعاً » .

قال « ابن أبي شيبة » : على خُلُق رجل . وقال « أبو كريب » : على خَلْق رجل) تقدم الكلام ، على هذا الاختلاف .

(وقال « ابن أبي شيبة » : على صورة أبيهم) - موضع « طول أبيهم » - .

قال في (حادي الأرواح) : روى أحمد ، عن أبي هريرة ، يرفعه : « خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ : عَلَىٰ صُورَتِهِ . طُولُهُ : سِتُّونَ ذِرَاعاً » إلى قوله : « فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ : عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ ، طُولُهُ : سِتُّونَ ذِرَاعاً » .

قال[6] : متفق على صحته .

وروى أحمد أيضاً عنه[7] ، مرفوعاً . « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : الْجَنَّةَ » إلى قولـه : « أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِين[8] : وَهُمْ عَلَىٰ خَلْقِ آدَمَ : سِتُّونَ ذِرَاعاً ، فِي عَرْضِ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ » . قيل : تفرّد به : حماد ، عن علي بن زيد .

---

(١) أي : « الخُلُق ، وَالْخُلْق » . المحقق .

(٢) أي : فتح الخاء ، وإسكان اللام . المحقق .

(٣) (ثلاثون) . في الأصل : « ثلثون » . المحقق .

(٤) (ثلاث وثلاثون) . في الأصل : « ثلث وثلثون » . المحقق .

(٥) (انتهى) أي : كلام « صاحب المرقاة » . المحقق .

(٦) (قال) أي « ابن القيم » ، في كتابه « حادي الأرواح » . المحقق .

(٧) أي : عن « أبي هريرة » . المحقق .

(٨) (ثلاث وثلاثين) . في الأصل : « ثلث وثلثين » . المحقق .

وروى الترمذي ، - واستغربه - عن « معاذ بن جبل » ، مرفوعاً ، بلفظ : « بَنِي ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ »[1] . وروى أبو بكر بن داود ، عن « أنس بن مالك » ، يرفعه : « يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ ، فِي مِيلَادِ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ »[1] . الحديث .

وفي حديث « أبي سعيد الخدري » ؛ يرفعه : « بَنِي ثَلَاثِينَ[2] سَنَةً ، فِي الْجَنَّةِ . لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أبداً . وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ » رواه الترمذي .

قال[3] : فإن كان هذا محفوظاً : لم يناقض ما قبله ؛

فإن العرب : إذا قدّرت بعدد له نيّف . فإن لهم طريقين ؛

تارة : يذكرون النيّف للتحزير . وتارة : يحذفونه .

وهذا معروف في كلامهم ، وخطاب غيرهم من الأمم .

وروى « ابن أبي[4] الدنيا » عن أنس ، مرفوعاً : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : الْجَنَّـةَ ، عَلَىٰ طُولِ آدَمَ : سِتِّينَ ذِرَاعـاً ، بِذِرَاعِ الْمَلَكِ ، عَلَىٰ حُسْنِ يُوسُفَ ، وَعَلَىٰ مِيلَادِ عِيسَىٰ : ثَلَاثاً وَثَلَاثِينَ[5] سَنَةً ، وَعَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ » .

وأما الأخلاق ، فقد قال تعالى : « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ »[6] .

---

(١) (ثلاث وثلاثين) . في الأصل : « ثلث وثلثين » . المحقق .

(٢) (ثلاثين) . في الأصل : « ثلثين » . المحقق .

(٣) (قال) أي « ابن القيم » ، في كتابه « حادي الأرواح » . المحقق .

(٤) (أبي) . في الأصل : رسمت الباء لاما . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٥) (ثلاثا وثلاثين) . في الأصل : « ثلثا وثلثين » . المحقق .

(٦) الآية : (٤٧) من سورة الحجر . المحقق .

قال[1] : والأخلاق - كما تكون جمعاً : « للخلق » بالضم - فهي جمع : « الخلق » بالفتح .

والمراد : تساويهم (في الطول ، والعرض ، والسن)،وإن تفاوتوا(في الحسن ، والجمال) . ولهذا فسره بقوله : « على صورة أبيهم آدم : ستون ذراعاً في السماء » .

قال[1]: وكذا ، وصف سبحانه نساءهم : « بأنهن أتراب »[2] أي : في سن واحدة . ليس فيهنّ : العجائز ، والشوابّ .

وفي هذا الطول ، والعرض ، والسّنّ : من الحكمة ، مالا يخفى . فإنه أبلغ وأكمل ، في استيفاء اللذة ؛ لأنه أكمل سنّ القوة ، مع عظم آلات اللذة .

وباجتماع الأمرين : يكون اللذة وقوتها ، بحيث يصل في اليوم الواحد : إلى مائة عذراء .

قال : ولا يخفى التناسب ، الذي بين هذا الطول والعرض . وأنه لوزاد أحدهما على الآخر : لفات الاعتدال ، وتناسب الخلقة . ويصير طولاً : مع دقة ، أوغلظا : مع قصر . وكلاهما غير مناسب . انتهى[3] .

قلت:وورد في أكثر هذه الأحاديث ؛ بلفظ : « يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : الْجَنَّةَ جُرْداً ، مُرْداً ، بِيضاً ، جِعَاداً ، مُكْحَلِينَ ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ[4] .

---

(١) (قال) أي « ابن القيم » ، في كتابه « حادي الأرواح » . المحقق .

(٢) أي : في قوله تعالى ، في سورة الواقعة - في الآيات (٣٥ - ٣٧) - : « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً . فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً . عُرُباً أَتْرَاباً » . المحقق .

(٣) (انتهى) أي كلام « ابن القيم » في (حادي الأرواح) . المحقق .

(٤) (ثلاث وثلاثين) . في الأصل : « ثلث وثلثين » . المحقق .

وَهُمْ عَلَىٰ خَلْقِ آدَم » الحديث : رواه أحمد ، عن « أبي[1]هريرة » ، مرفوعاً .

وهذا يدلّك ، على أن آدم : كان كذلك ، في جميع هذه الصفات . أي : لم يكن له شعر : على جسد ، ولا لحية . إلى غير ذلك . والله أعلم .

بَابُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ

وهو في النووي ، في (الكتاب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ؛ قَالَ : هَـٰذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ : أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَذَكَرَ أَحَادِيثَ ؛

مِنْهَـا : وَقَـالَ رَسُـولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « خَلَقَ اللّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : آدَمَ ، عَلَىٰ صُورَتِهِ ؛ طُولُهُ : سِتُّونَ ذِرَاعاً .

فَلَمَّـا خَلَقَهُ ، قَالَ : اذْهَبْ ، فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ - وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ ، جُلُوسٌ - ، فَاسْتَمِعْ : مَا يُجِيبُونَكَ . فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ » .

قَالَ : « فَذَهَبَ ، فَقَـالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالُوا : السَّلَامُ عَلَيْكَ ، وَرَحْمَةُ اللّهِ » .

---

(١) (أبي) . في الأصل : رسمت الباء لاما . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

قَالَ : « فَزَادُوهُ : وَرَحْمَةُ اللّهِ » .

قَالَ : « فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ : عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ ، وَطُولُهُ : سِتُّونَ ذِرَاعاً . فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ ، حَتَّى الْآنَ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة)[1] رضي الله عنه ، (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : خلق الله ، عز وجل : آدم على صورته ، طوله : ستون ذراعاً) .

هذا الحديث : سبق شرحه ، وبيان تأويله .

وهذه الرواية ، ظاهرة في أن الضمير في صورته : عائد إلى آدم . وأن المراد : أنه خلق في أول نشأته ، على صورته التي كان عليها في الأرض ، وتوفيّ عليها . وهي « طوله : ستون ذراعاً » . ولم ينتقل أطواراً كذريته .

وكانت صورته في الجنة : هي صورته في الأرض ، لم تتغير .

قاله النووي[2] . وهو الصحيح الراجح ، الذي قال به الفحول من علماء الإسلام ؛

منهم « الشـوكـاني » رحمه الله[3] . الإمام . ولأهل العلم في معناه : أقوال ثمانية ، بل أزيد . هذا : أصحّها ، وأرجحها .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن هملم بن منبه . . إلخ » . المحقق .

(٢) قاله في (١٧/١٧٨) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل : رمز إلى هذه الجملة بالحرفين : « رح » . المحقق .

(فلما خلقه ، قال : اذهب ، فسلّم على أولئك النفر - وهم نفر من الملائكة ، جلوس - فاستمع : ما يحيونك به[1] . فإنها تحيتك ، وتحية ذريتك . فذهب[2] ، فقال : السلام عليكم . فقالوا : السلام عليك ، ورحمة الله) .

فيه : أن الوارد على جلوس[3] : يسلم عليهم ، وأن الأفضل : أن يقول : « السلام عليكم » بالألف واللام . ولو قال : « سلام عليك »[4] : كفاه . وأنّ ردّ السلام ، يستحب أن يكون زيادة على الابتداء .

وأنه يجوز في الرد ، أن يقول : « السلام علكيم » . ولا يشترط ، أن يقول : « وعليكم السلام » .

(قال : فزادوه[5] : « ورحمة الله » . قال : فكل من يدخل الجنة : على صورة آدم عليه السلام[6] ، وطوله : ستون ذراعاً . فلم يزل الخلق ينقص بعده ، حتى الآن) .

والظاهر : أنه ينقص بعد هذا الآن أيضاً ، إلى أن يأتي أمر الله تعالى . والله أعلم .

---

(١) كلمة (به) . وضع المؤلف فوقها علامة ، تدلّ على أنها لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « قال : فذهب » ، بزيادة كلمة : « قال » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : زيادتها في بعض النسخ . المحقق .

(٣) (الوارد على جلوس) أي : القادم ، على قوم جالسين . المحقق .

(٤) (سلام عليك) هكذا ، كما في النووي ، ص ١٧٨ . والصواب : « عليكم » بالجمع ، لأن فرض المسألة ، أنه قادم على قوم جلوس ، لا على فرد واحد . المحقق .

(٥) (فزادوه) . في الأصل : « فزادُه » هكذا . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٦) لم يذكر في مصدر الحديث : « عليه السلام » . المحقق .

بَابُ: يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ

وهو في النووي ، في : (كتاب صفة الجنة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٦ ، ١٧٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ ، أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ ») .

(الشَّرح)

قال النووي : قيل : مثلها في رقتها وضعفها . كالحديث الآخر : « أَهْلُ الْيَمَنِ : أَرَقُّ قُلُوباً ؛ وَأَضْعَفُ أَفْئِدَةً »[1] .

وقيل : في الخوف والهيبة[2] . والطير أكثر الحيوان : خوفاً ، وفزعاً . كما قال تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ : الْعُلَمَاءُ[3] » .

---

(١) لفظ مسلم ، عن أبي هريرة ، يرفعه ، في كتاب الإيمان ، باب (٢١) ، حديث رقم (٨٩) . صحيح مسلم (١/٧٣) : « هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَضْعَفُ قُلُوباً » . عكس ترتيب ما ذكره المؤلف .

وفي نفس المصدر ص ٧١ ، حديث (٨٢) عن أبي هريرة أيضاً ، رفعه : « هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً » . ولم يذكر القلوب .

وفيه أيضاً ص ٧٢ ، عنه ، رفعه ، حديث (٨٤) بلفظ : « هم أَضْعَفُ قُلُوباً ، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً » .

وفيه أيضاً ، في ص ٧٣ عنه ، رفعه ، حديث (٩٠) ، بلفظ : « هُمْ أَلْيَنُ قُلُوباً ، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً » .

وعند البخاري ، في كتاب المغازي ، باب (٧٤) (الفتح ٨/٩٨) ، حديث رقم (٤٣٨٨) ، عنه أيضاً ، رفعه ، بلفظ : « هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً ، وَأَلْيَنُ قُلُوباً » . المحقق

(٢) أي : أفئدتهم مثل أفئدة الطير : في الخوف ، والهيبة . المحقق .

(٣) الآية : (٢٨) من سورة فاطر . المحقق .

وكأنّ[1] المراد : قوم غلب عليهم الخوف ، ، كما جاء عن جماعات من السلف ، في شدة خوفهم .

وقيل : المراد : « متوكلون » . والله أعلم . انتهى[2] .

بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ

وذكره النووي ، في : (الكتاب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) رضي الله عنه ، (أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ[3] ، يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! فَيَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا ! وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ . فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيتُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَىٰ ؟ يَارَبِّ ! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا : مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ . فَيَقُولُ : أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُونَ : يَارَبِّ : أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ ، أَبَداً ») .

---

(١) (وكأنّ) . في الأصل – كما في النووى ، ص ١٧٧ – : « وكان » بدون همزة فوق الألف . المحقق .

(٢) (انتهى) ما ذكره النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) لم يذكر في مصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(الشرح)

قال عياض (في المشارق) : معنى « أحله عليكم » : أنزله بكم .

« والرضوان » بكسر الراء ، وضمها ، قرئ بهما في السبع[1] .

قال ابن الملك : في الحديث دلالة ، على أن رضوان الله تعالى على العبد : هو إدخاله إياه في الجنة .

والظاهر : أن « الرضوان » سوى الدخول .

بَابُ تَرَائِي أَهْلِ الْجَنَّةِ : أَهْلَ الْغُرَفِ

وذكره النووي ، في : (الكتاب السابق) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، لَيَتَرَاءَوْنَ : أَهْلَ الْغُرَفِ ، مِنْ فَوْقِهِمْ ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ : الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ ، الْغَابِرَ مِنَ الأُفُقِ - مِنَ الْمَشْرِقِ ، أَوِ الْمغرِبِ - ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ » .

قَالُوا : يَارَسُولَ اللّهِ ! تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ ، لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ ؟

قَالَ : « بَلَىٰ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! رِجَالٌ آمَنُوا بِاللّهِ ، وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ ») .

---

(١) حكاه النووي ، في (١٧/١٦٨) . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه ؛ (أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : إنّ أهل الجنة ، ليتراءون[1]) أي : يرى بعضهم بعضاً .

(أهل الغرف) : بضم الغين ، وفتح الراء . جمع « غُرْفة » بالضم ، والسكون . وهو[2] « القصر الرفيع » .

وقيل : الجنة طبقات . أعاليها : للسابقين . وأوساطها : للمقتصدين . وأسافلها : للمخلطين .

(من فوقهم ، كما يتراءون[3] : الكوكب الدري ، الغابر من الأفق – من المشرق ، أو[4] المغرب – لتفاضل ما بينهم) .

هكذا هو في عامة النسخ : « من الأفق » . وقال عياض : لفظة « من » لابتداء الغاية .

ووقع في رواية البخاري: « في الأُفُقِ »[5] قال بعضهم : وهو الصواب[6] .

---

(١) ذكر المؤلف – في الهامش – ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « ليترايون » ولعله يقصد : « ليتراءيون » ، كما ورد في رواية للبخاري : مكان : « ليتراءون » . المحقق .

(٢) لو قال : « وهي » بالتأنيث ، لكان أوضح . لعود الضمير إلى الغرفة . المحقق .

(٣) في الأصل : « يتراؤن » بهمزة فوق الواو . فكأنه يضم الهمزة . وهو خطأ . والصواب : « يتراءون » كما أثبتناه . هذا ؛ وفي مصدر الحديث : « تتراءون » بتاء الخطاب . المحقق .

(٤) وضع المؤلف علامة ، فوق الألف ، من « أو » : للدلالة على أنه في بعض النسخ : « الواو » مكان « أو » . المحقق .

(٥) هذه الرواية ، في الفتح (٦/٣٢٠) بدء الخلق ، باب (٨) ، حديث رقم (٣٢٥٦) . المحقق .

(٦) (قال بعضهم : وهو الصواب) هذا ؛ من مقول « عياض » ، كما حكاه النووي ، في (١٧/١٦٩) . المحقق .

قال « ابن القيم » : وهو أبين . قال : وفي التمثيل به - دون الكوكب المسامت للرأس ، وهو أعلى - : فائدتان ؛

إحداهما[1] : بعده عن العيون .

والثانية : أن الجنة درجات ، بعضها أعلى من بعض . وإن لم تسامت العليا : السفلى . كالبساتين الممتدة : من رأس الجبل ، إلى ذيله . والله أعلم . انتهى[2] .

وذكر بعضهم : أن « من » في رواية « مسلم » : لانتهاء الغاية . وقد جاءت كذلك ، كقولهم : « رأيت الهلال ، من خلل السحاب » . قال[3] : وهذا صحيح . ولكن حملهم لفظة « من » هنا ، على « انتهاء الغاية » : غير مسلّم . بل هي على بابها .

أي كان ابتداء رؤيته إياه : رؤيته من خلل السحاب ، ومن الأفق .

قال[3] : وقد جاء في رواية ، عن ابن ماهان ؛ « عَلَى الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ »[4] .

ومعنى « الغـابر » : الذاهب ، الماشي . أي الذي تدلّى للغروب ، وبَعُد عن العيون .

قال السيد : « الغـابر » بالباء ، من « الغبور » . أي : الباقي ، عند انتشـار ضوء الفجـر . فإنمـا يستنير عند ذلك الوقت : الكوكب الدري .

---

(١) (إحداهما) . في الأصل : « أحدهما » بالتذكير . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام « ابن القيم » . المحقق .

(٣) (قال) أي : القاضي عياض ، كما حكاه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) قاله القاضي ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

ويروى : « الغائر »[1] بالهمز . من « الغور » أي : الذاهب في الأفق البعيد .

وقيل : هذه الرواية تصحيف ، بلا شك.انتهى[2] .

وروي في غير صحيح مسلم : « الغارب »[3] بتقديم الراء . وهو بمعنى ما ذكرناه .

وروي « العازب » بالعين ، والزاي[4] . ومعناه : البعيد في الأفق .

وكلها راجعة إلى معنى واحد . قاله النووي[5] .

وكلمة « أو »[6] هي الموجودة : في كتاب مسلم ، وفي شرح السنة ، وجامع الأصول ، ورياض الصالحين . قال السيد : وهو الأولى .

وفي نسخ المصابيح : « مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ » .

وإنما ذكر « المشرق أو المغرب » دون السماء ، لأن المقصود : البعد ، والإنارة ، معاً .

(قالوا : يارسول الله ! تلك منازل الأنبياء،لا يبلغها غيرهم ؟ قال : « بلى . والذي نفسي بيده ! رجال آمنوا بالله ، وصَدَّقوا المرسلين ») .

وهذا الحديث متفق عليه .

---

(١) (الغائر) هكذا في « الموطأ » . قال القسطلاني في الإرشاد (٥/٢٨٦) : يريد انحطاطه من الجانب الغربي . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام السيد . وحكى القسطلاني ، في المصدر المتقدم ، قول « التوربشتي » أيضاً بأنه تصحيف المحقق .

(٣) قال صاحب الإرشاد ، في نفس المصدر : وفي الترمذي : « الْغَارِب » . المحقق .

(٤) (والزاي) في الأصل : بهمزة فوق الألف . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٥) قاله في (١٧/١٦٩ ، ١٧٠) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٦)(وكلمة « أو »)أي : في قوله : « من المشرق أو المغرب » . المحقق .

وفي الباب أحاديث ، ذكرها « ابن القيم » في « الحادي »[1] .

وفي المسند ، من حديث « أبي سعيد » يرفعه : « إِنَّ الْمُتَحَابِّينَ لَتُرَىٰ غُرَفُهُمْ ، فِي الْجَنَّةِ ، كَالْكَوْكَبِ الطَّالِعِ ؛ الشَّرْقِيِّ أَوِ الْغَرْبِيِّ . فَيُقَالُ : مَنْ هَـٰؤُلَاءِ ؟ فَيُقَالُ : هَـٰؤُلَاءِ الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ » .

بَابُ أَكْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِيهَا

وهو في النووي ، في:(الكتاب المذكور) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ ؛ أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ : أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَأْكُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فِيهَا ، وَيَشْرَبُونَ . وَلَا يَتَغَوَّطُونَ ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ ، وَلَا يَبُولُونَ . وَلَـٰكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ : جُشَاءٌ ، كَرَشْحِ الْمِسْكِ . يُلْهَمُونَ : التَّسْبِيحَ ، وَالْحَمْدَ ؛ كَمَا تُلْهَمُونَ : النَّفَسَ ») .

(الشرح)

(عن جابر بن عبد الله)[2] رضي الله عنهما ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يأكل أهل الجنة فيها ، ويشربون . ولا

---

(١) أي : في (حادي الأرواح) . المحقق .

(٢) ذكرنا من السند ، من أول : « عن ابن جريج » حرصاً على نصّ ألفاظ السند . المحقق .

يتغوطون ، ولا يمتخطون ، ولا يبولون . ولكن طعامهم ذلك : جشاء) ، بضم الجيم : تنفّس المعدة ، من الامتلاء . وهو بالفارسية : آروغ (كرشح المسك) أي : عرقه .

(يلهمون : التسبيح والتحميد[1] . كما تلهمون : النفس) .

معناه : لا يتعبون منهما ، كما لا تتعبون أنتم من النفس . ولا يشغلهم شيء[2] من ذلك ، كما لا يمنعكم من النفس . كالملائكة .

أو يريد : أنها يصير[3] صفة لازمة ، لا ينفكون عنها : كالنفس اللازم للحيوان .

قال النووي : مذهب أهل السنة ، وعامة المسلمين : أن أهل الجنة يأكلون فيها ، ويشربون . (يتنعمون بذلك ، وبغيره ، من ملاذّ وأنواع نعيمها : تنعما دائماً ، لا آخر له ، ولا انقطاع أبداً) .

وأن تنعمهم بذلك : على هيئة أهل الدنيا ، إلا مابينهما : من التفاضل في اللذة والنفاسة ، التي لا يشارك نعيم الدنيا ، إلا في التسمية ، وأصل الهيئة . وإلا في أنهم : لا يبولون ، ولا يتغوطون ، ولا يتمخّطون ، ولا يبصقون .

وقد دلت دلائل القرآن والسنة ، في هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره : أن نعيم الجنة دائم ، لا انقطاع له أبداً . انتهى[4] .

---

(١) في مصدر الحديث : « والحمد » بدل : « والتحميد » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) الصواب : « تصير » بالتاء . لأن الضمير ، إذا عاد إلى مؤنث ، وجب تأنيثه . ولو كان المؤنث مجازياً . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، في (١٧/١٧٣ ، ١٧٤) ، المطبعة المصرية . المحقق .

وفي المسند ، والنسائي : بسند صحيح على شرط الصحيح ، عن « زيد بن أرقم » ؛ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فَقَالَ : يَاأَبَا الْقَاسِمِ ! تَزْعُمُ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَأْكُلُونَ ، وَيَشْرَبُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ . وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ! إِنَّ أَحَدَهُمْ لَيُعْطَىٰ : قُوَّةَ مِائَةِ رَجُلٍ ، فِي الأَكْلِ ، وَالشُّرْبِ ، وَالْجِمَاعِ ، وَالشَّهْوَةِ » . قَالَ : فَإِنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ، يَكُونُ لَهُ الْحَاجَةُ . وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ أَذًى . قَالَ : « يَكُونُ حَاجَةُ أَحَدِهِمْ : رَشْحاً يَفِيضُ مِنْ جُلُودِهِمْ ، كَرَشْحِ الْمِسْكِ ، فَيَضْمُرُ بَطْنُهُ » . رواه الحاكم في صحيحه ، بنحوه .

وتمام هذا الكلام ، في (حادي الأرواح) .

بَابُ تُحْفَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في (باب بيان صفة منيّ الرجل والمرأة ، وأن الولد مخلوق من مائهما) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٢٦ - ٢٢٨ جـ ٣ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ ، الرَّحَبِيِّ ؛ أَنَّ ثَوْبَانَ – مَوْلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم – ؛ حَدَّثَهُ : قَالَ : كُنْتُ قَائِماً – عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم – ؛ فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ .

يَامُحَمَّدُ ! فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً ، كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا . فَقَالَ : لِمَ تَدْفَعُنِي ؟

فَقُلْتُ : أَلَا تَقُولُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : إِنَّماَ نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ ، الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ : أَهْلُهُ .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اسْمِي : مُحَمَّدٌ ، الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي » .

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : جِئْتُ أَسْأَلُكَ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ ، إِنْ حَدَّثْتُكَ ؟ » . قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ .

فَنَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بِعُودٍ مَعَهُ ، فَقَالَ : « سَلْ » .

فَقَالَ الْيَهُودِيُّ : أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ ، يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ، وَالسَّمٰوٰتُ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « هُمْ فِي الظُّلْمَةِ ، دُونَ الْجِسْرِ » .

قَالَ : فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً ؟

قَالَ : « فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ » .

قَالَ الْيَهُودِيُّ : فَمَا تُحْفَتُهُمْ ، حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ؟

قَالَ : « زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ » .

قَالَ : فَمَا غِذَاؤُهُمْ ، عَلَىٰ إِثْرِهَا ؟

قَالَ : « يُنْحَرُ لَهُمْ : ثَوْرُ الْجَنَّةِ ، الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا » .

قَالَ : فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ ؟

قَالَ : « مِنْ عَيْنٍ فِيهَا ، تُسَمَّىٰ : سَلْسَبِيلاً » . قَالَ : صَدَقْتَ .

قَالَ : وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ ، لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ، إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ رَجُلٌ ، أَوْ رَجُلَانِ .

قَالَ : « يَنْفَعُكَ ، إِنْ حَدَّثْتُكَ ؟ » . قَالَ : أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ .

قَالَ : جِئْتُ ، أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ ؟

قَالَ : « مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ . وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ . فَإِذَا اجْتَمَعَا ، فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ ، مَنِيَّ الْمَرْأَةِ : أَذْكَرَا ، بِإِذْنِ اللَّهِ . وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ ، مَنِيَّ الرَّجُلِ : آنَثَا ، بِإِذْنِ اللَّهِ » .

قَالَ الْيَهُودِيُّ : لَقَدْ صَدَقْتَ . وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ . ثُمَّ انْصَرَفَ ، فَذَهَبَ .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ سَأَلَنِي هَـٰذَا : عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ ، وَمَالِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، حَتَّىٰ أَتَانِيَ اللَّهُ بِهِ ») .

(الشَّرح)

(عن ثوبان[1] - مولى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - ، قال : كنت قائماً - عند رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - ، فجاء حبر) : بفتح الحاء . وكسرها . لغتان مشهورتان . وهو العالم (من أحبار اليهود ، فقال : السلام عليك ، يامحمد ! فدفعته دفعة ، كاد يصرع منها . فقال : لم تدفعني ؟ فقلت : ألا تقول : يارسول الله !

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « أبي أسماء » ، محافظة على نص ألفاظ السند . المحقق .

فقال اليهودي : إنما ندعوه باسمه . الذي سماه به : أهله .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إن اسمي محمد ، الذي سماني به أهلي » .

فقال اليهودي : جئت ، أسألك . فقال له رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « أينفعـك شيء[1]. إن حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذنيَّ . فنكت) : بفتح النون ، والكاف ، والتاء . معناه: يخط[2] (رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : بعـود معه) أي : في الأرض ، ويؤثّر به فيها . وهذا يفعله المتفكر .

وفي هذا دليل : على جواز فعل مثل هذا . وأنه ، ليس مخلاًّ بالمروءة .

(فقـال : « سل » . فقـال اليهـودي : أين يكون الناس ، يوم تبدل الأرض غير الأرض ، والسموات ؟

فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « هم في الظلمة ، دون الجسـر ») : بفتح الجيم ، وكسرها . لغتان مشهورتان . والمراد به هنا : « الصراط » .

(قال : فمن أول الناس : إجازة ؟) : بكسر الهمزة . أي : جوازاً ، وعبوراً .

(فقـال : « فقـراء المهاجرين » . قال اليهودي : فما تحفتهم ؟) : بإسكان الحاء ، وفتحها . لغتان .

---

(١) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) لو قال : « خطّ » بدل : « يخط » ، لكان أوضح . المحقق .

وهي ما يهدى إلى الرجل ، ويخصُّ به ويلاطف . وقال إبراهيم الحلبي : هي طرف الفاكهة[١] .

(حين يدخلون الجنة ؟ قال : « زيادة كبد النون ») هو « النون » بنونين ، الأولى مضمومة . وهو « الحوت » وجمعه : « نِينَان »[٢] .

وفي الرواية الأخرى : « زَائِدَةُ كَبِدِ النُّونِ »[٣] .

و« الزيادة ، والزائد » : شيء[٤] واحد . وهو « طرف الكبد » . وهو أطيبها .

(قال : فما غذاؤهم ؟) روي على وجهين ؛ أحدهما : بكسر الغين ، وبالذال المعجمة .

والثاني : بفتح الغين ، وبالدال المهملة . قال عياض : هذا الثاني ، هو الصحيح . وهو رواية الأكثرين .

قال : والأول : ليس بشيء[٥] .

قال النووي : قلت : وله وجه . وتقديره : « ما غذاؤهم ، في ذلك الوقت ؟ » وليس المراد : السؤال عن غذائهم ، دائماً[٦] .

---

(١) حكاه النووي ، في (٣/٢٢٧) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (نينان) . أي « نون ونينان » ، كحوت وحيتان . المحقق .

(٣) قال الإمام مسلم - بعد أن ذكر حديث الباب ، بسنده - : حدثنا معاوية بن سلّام - في هذا الإسناد - بمثله ، غير أنه قال : « كُنْتُ قَاعِداً ، عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . وقال : « زَائِدَةُ كَبِدِ النُّونِ » . وقال : « أُذْكَر ، وَآنَثَ » . بدل : « أذكرا ، وآنثا » . المحقق .

(٤) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) (بشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٦) قاله النووي ، ص ٢٢٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(على إثرها) : بكسر الهمزة ، مع إسكان الثاء . وبفتحها[1] جميعاً . لغتان مشهورتان .

(قال : « ينحر لهم : ثور الجنة ، الذي كان يأكل من أطرافها » . قال : فما شرابهم عليه ؟ قال : « من عين فيها[2] : تسمى سلسبيلا ») .

قال جماعة من أهل اللغة ، والمفسرين : « السلسبيل » اسم للعين .

وقال مجاهد ، وغيره : هي شديدة الجري . وقيل : هي السلسلة اللّيّنة .

(قال : صدقت . قال : وجئت أسألك عن شيء[3] ، لا يعلمه أحد من أهل الأرض . إلا نبيّ ، أو رجل ، أو رجلان .

قال : « ينفعك ، إن حدثتك ؟ » قال : أسمع بأذنيّ . قال : جئت أسألك عن الولد ؟

قال : « ماء الرجل أبيض . وماء المرأة أصفر . فإذا اجتمعا ، فعلا منيّ الرجل ، منيّ المرأة : أذكرا ، بإذن الله) أي : كان الولد ذكراً .

(وإذا علا منيّ المرأة ، منيّ الرجل : آنثا) أي : كان الولد أنثى .

وقوله : « آنثا » بالمدّ في أوله ، وتخفيف النون . وقد روي : « بالقصر ، وتشديد النون »[4] .

(بإذن الله . قال اليهودي : لقد صدقت . وإنك لنبيّ . ثم

---

(١) الصواب : « وبفتحهما » أي الهمزة ، والثاء . المحقق .

(٢) وضع المؤلف علامة ، فوق كلمة : « فيها » : إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) أفاده النووي ، في (٣/٢٢٨) المطبعة المصرية . والذي وجدته : « آنث » بالمد في أوله ، مع الإفراد ، كما وضحته بالهامش رقم (٣) بالصفحة المتقدمة . المحقق .

انصـرف[1] ، فذهب . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « لقد سألني هذا : عن الذي سألني[2] ومالي علم بشيء[3] منه ، حتى أتاني الله به ») .

أي أعلمني : جواب سؤاله ، في هذا الوقت . وهذا علم من أعلام النبوة .

وأورد « ابن القيم » حديث الباب هذا مختصراً ، من رواية مسلم ، في (الحادي)[4] ، في فصل « تحفة أهل الجنة ، إذا دخلوها » .

وقـال[5] : وفي البخاري ، عن « أنس » - في ذكر سؤال عبد الله بن سلام - ، قَالَ صلى الله عليه وآلـه وسلم : « وَأَمَّـا أَوَّلُ طَعَـامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : فَزِيَادَةُ كَبِدِ الْحُوتِ » .

وفي الصحيحين ، عن أبي سعيد الخدري ؛ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وآلــه وسلم : « يَكُـونُ الْأَرْضُ - يَوْمَ الْقِيَامَـةِ - خُبْـزَةً وَاحِـدَةً ، يَتَكَفَّأُها[6] الْجَبَّارُ : بِيَدِهِ - كَمَا يَتَكَفَّأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ - نُزُلاً لِأَهْلِ الْجَنَّةِ » .

وفيه ؛ قَالَ : (إِدَامُهُمْ : « ثَوْرٌ ، وَنُـونٌ » ، يَأْكُلُ مِنْ زِيَادَةِ كَبِدِهِمَا : سَبْعُونَ أَلْفاً » .

---

(١) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه ، في بعض النسخ « فانصرف » بالفاء ، بدل « ثم » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « عن الذي سألني عنه » بزيادة كلمة : « عنه » . المحقق .

(٣) (بشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) أي في كتابه المسمى : « حادي الأرواح » . المحقق .

(٥) (وقال) أي « ابن القيم » ، في المصدر المذكور . المحقق .

(٦) الصواب : « يتكفؤها » ، بوضع الهمزة ، فوق الواو . المحقق .

وروى « ابن المبارك » ، عن كعب ؛ أَنَّهُ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : ادْخُلُوهَا : إِنَّ لِكُلِّ ضَيْفٍ جَزُوراً . وَإِنِّي أَجْزُرُكُمُ الْيَوْمَ . فَيُؤْتَىٰ بِثَوْرٍ ، وَحُوتٍ ، فَيُنْحَرُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ ») انتهى[1] .

بَابٌ فِي دَوَامِ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ

وهو في النووي ، في (الكتاب المذكور[2]) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ : يَنْعَمُ ، لَا يَبْأَسُ ؛ لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ . وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ ») .

(الشَّرح)

(عن ابي هريرة) رضي الله عنه ، (عن النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : من يدخل الجنة : ينعم ، لا يبأس[3]) . أي : لا يفقر ، ولا يهتم ، ولا يصيبه بأس ، « وهو شدّة الحال » .

« والبأس ، والبؤس ، والبأساء ، والبؤساء » : بمعنى .

---

(١) (انتهى) كلام « ابن القيم » ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) قول المؤلف : (في الكتاب المذكور) : يوهم أنه في « كتاب الحيض » ، الذي ذكر به « الباب السابق » . وإنما هو في (كتاب الجنة ، وصفة نعيمها ، وأهلها) . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « لا ييؤس » ، بدل : « لا يبأس » . فالأول ، من باب « فعَل » بفتح العين « يفعُل » بضمها . والثاني من باب : « فعل » بكسر العين ، « يفعَل » بفتحها . المحقق .

« وينعم ، وتنعم » بفتح أوله والعين . أي « يدوم لكم النعيم »[1] .

« لا تبلى ثيابـه . ولا يفنى شبـابـه») أي : ليس في الجنة : بؤس ، ومشقة ، وتغير ، ولا بلاء ، ولا فساد .

وفي حديث آخـر ، عن أبي سعيد ، وأبي هريرة ، مرفوعاً ؛ بلفظ ؛ قال : « يُنَادِي مُنَادٍ : إنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا ؛ فَلَا تَسْقَمُوا أَبداً . وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا ، فَلَا تَمُوتُوا أَبداً . وإِنَّ لَكُمْ أَنْ تشِبُّوا ، فَلَا تَهْرَمُوا أَبَداً . وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا ، فَلا تَبْأَسُوا أَبداً » . رواه مسلم[2]، أيضاً .

بَابُ: فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، لَا يَقْطَعُهَا

وهو في النووي ، في (الكتاب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَشَجَرَةً ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا : مِائَةَ عَامٍ ، لَا يَقْطَعُهَا » .

---

(١) (يدوم لكم) هكـذا في الأصـل - كمـا في النووي ، ص ١٧٤ - والأولى : « يدوم لهم » ، ليتّسق مع السياق . المحقق .

(٢) هذا الحـديث ، في صحيح مسلم / النـووي (١٧/١٧٥) ، المـطبعـة المصـرية . إلا أنه قال : « فَلَا تَبْتَئِسُوا » . بدل : « فلا تبأسوا » . وبقية الحديث : « فَذَلِكَ قَوْلُهُ : عَزَّوَجَلَّ : وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ » اهـ . الآية (٤٣) الأعراف . المحقق .

قَالَ أَبُـو حَازِمٍ : فَحَـدَّثْتُ بِهِ « النُّعْمَـانَ بْنَ أَبِي عَيَّاشٍ الزُّرَقِيِّ » ، فَقَالَ : حَدَّثَنِي « أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ » ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ : الْجَوَادُ ، الْمُضَمَّرُ ، السَّرِيعُ : مِائَةَ عَامٍ ، مَا يَقْطَعُهَا ») .

(الشَّرح)

(عن سهـل بن سعـد[1] ، عن رسـول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قال : « إن في الجنـة لشجـرة ، يسير الراكب في ظلها : مائة عام ، لا يقطعها ») .

قال النووي : المراد بظلها : كنفها ، وذراها . وهو ما يستر أغصانها . انتهى[2] .

وإنما فسره « بالكنف » : لأن الظل - في العرف - : ما يقي من حرّ الشمس . وليس الشمس في الجنة[3] . كذا قيل .

ولكن لا يبعد : وجود الظل ، من دون شمس . كما ورد « ظل الله » ، و « ظل العرش » .

قال ابن الجوزي : ويقال لهذه الشجرة : « طوبىٰ » .

قال الحافظ : وشاهدُ ذلك : عند أحمد ، والطبراني ، وابن حبان .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن أبي حازم » لورود ذكره ، في متن الحديث . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام النووي ، في ص ١٦٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) لو قال : « وليس في الجنة شمس » ، لكان أوضح . المحقق .

وهذا الحديث متفق عليه . وزاد البخاري - بعد قوله : لا يقطعها - : « وَلَقَابُ قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ : خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، أَوْ تَغْرُبُ »[1] « والقاب » : المقدار . كالقيب .

(قال أبو حازم : فحدّثت به « النعمان بن أبي عياش الزرقي » ، فقال : حدّثني أبو سعيد الخدري ، عن النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « إنَّ في الجنة شجرةً ، يسير الراكب ، الجواد ، المضمَّر ، السريع : مائة عام ، ما[2]يقطعها ») .

« المضمّر » بفتح الضاد ، والميم المشدّدة : الذي ضمّر ، ليشتدّ جَرْيُه .

قال عياض : ورواه بعضهم : « المضمِّر » بكسر الميم الثانية . صفة للراكب ، المضمِّر لفرسه . والمعروف : هو الأول . انتهى[3].

وفي الباب : أحاديث ، ذكرها « ابن القيم » رحمه الله[4]، في (الحادي) .

وفي بعضها : « أَنَّ اللّهَ غَرَسَهَا بِيَدِهِ » .

---

(١) هذا اللفظ ، وجدته بنصه ، في البخاري ، بدء الخلق ، باب (٨) . وهو في (الفتح ٦/٣٢٠) ، حديث رقم (٣٢٥٣) . تصحيح وتحقيق سماحة ابن باز . ووجدت حديثاً آخر ، في المصدر المذكور (١٣/٦) كتاب الجهاد ، باب (٥) حديث رقم (٢٧٩٣) ونصّه : « لَقَابُ قَوْسٍ فِي الْجَنَّةِ : خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ ، وَتَغْرُبُ » . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « لا » بدل : « ما » . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه النووي ، بص ١٦٧ ، ١٦٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (رحمه الله) رمز إليها ، في الأصل بالحرفين : « رح » . المحقق .

بَابُ فِي صِفَةِ خِيَامِ الْجَنَّةِ

وهو في النووي ، في : (الكتاب السابق) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي مُوسَىٰ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ[1] فِي الجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُجَوَّفَةٍ ، عَرْضُهَا : سِتُّونَ مِيلاً .

فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا : أَهْلٌ لاَيَرَوْنَ[2] الآخَرِينَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ ») .

(الشرح)

« الخيمة » : بيت مربّع ، من بيوت الأعراب . « ومجوفة » بالفاء . هكذا هو في عامة النسخ .

قال عياض : وفي رواية السمرقندي : « مُجَوَّبَةٍ » بالباء . وهي المثقوبة . وهي بمعنى المجوّفة .

« والزاوية » : الجانب ، والناحية .

---

(١) في مصدر الحديث : « في الجنة » بدون : « إنّ » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « مايرون » بدل : « لا يرون » . وقد ذكر المؤلف – في الهامش – ما يفيد أنه في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

وفي رواية : « طُولُهَا فِي السَّمَاءِ : سِتُّونَ مِيلاً[1] » .

ولا معارضة بينهما ؛ فعرضها - في مساحة أرضها - ، وطولها في العلو : متساويان .

والحديث : له ألفاظ ؛ منها : « إِنَّ لِلْمُؤمِنِ فِي الْجَنَّةِ : لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ . طُولُهَا : سِتُّونَ مِيلاً . لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا : أَهْلُونَ ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنُ ، فَلاَ يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضاً » . رواه مسلم ، عنه[2] ، رضي الله عنه .

وأصل الحديث متفق عليه . وفيه زيادة .

وللبخاري وحده ، في لفظ : « طُولُهَا ثَلاَثُونَ[3] مِيلاً » .

قال ابن القيم : وهذه الخيام : غير الغرف ، والقصور . هي خيام في البساتين ، على شواطئ الأنهار .

بَابٌ فِي سُوقِ الْجَنَّةِ

وهو في النووي ، في : (الكتاب الماضي) .

---

(١) هذه الرواية ، في صحيح مسلم (٤/٢١٨٢ ، ٢١٨٣) . كتاب الجنة ، باب (٩) ، حديث رقم (٢٥) .
ونصها : « الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ ، طُولُهَا - فِي السَّمَاءِ - : سِتُّونَ مِيلاً . فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا : أَهْلٌ لِلْمُؤْمِنِ ، لاَ يَرَاهُمُ الآخَرُونَ » . المحقق .

(٢) (عنه) أي : عن « أبي موسى » . وهذا الحديث ، في المصدر المتقدم ، حديث رقم (٢٣) . وهو حديث الباب ، في صحيح مسلم . المحقق .

(٣) لفظ البخاري ، في كتاب بدء الخلق ، باب (٨) - كما في الفتح (٦/٣١٨) - حديث رقم (٣٢٤٣) : أنّ النبي ، صلى الله عليه وسلم قال : « الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ . طُولُهَا - فِي السَّمَاءِ - : ثَلاَثُونَ مِيلاً . فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ : أَهْلٌ ، لاَ يَرَاهُمُ الآخَرُونَ » .
وعقب البخاري ؛ فقال : قال أبو عبد الصمد ، والحارث بن عبيد ؛ عن « أبي عمران » : « سِتُّونَ مِيلاً » .
هذا ؛ ولفظ « ثلاثون » رسم في الأصل - كالمعتاد - : « ثلثون » . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قَالَ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقاً ، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ . فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ ، فَيَزْدَادُونَ حُسْناً وَجَمالاً ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ ، وَقَدِ ازْدَادُوا : حُسْناً ، وَجَمَالاً . فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ : وَاللّهِ ! لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا : حُسْناً ، وَجَمَالاً . فَيَقُولُونَ : وَأَنْتُمْ ، وَاللّهِ ! لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا : حُسْناً وَجَمَالاً ») .

(الشَّرح)

قال النووي : المراد بالسوق : « مجمع لهم » ، يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا ، في السوق .

ومعنى « كل جمعة » : مقدارها . أي : أسبوع . وليس هناك « حقيقة أسبوع » ، لفقد الشمس ، والليل ، والنهار .

« والسوق » : يذكّر ، ويؤنث وهو أفصح(١) .

« وريح الشمال » : بفتح الشين والميم ، بغير همز . هكذا الرواية .

قال « صاحب العين » : هي الشّمال ، والشّمْأل : بإسكان الميم مهموز . والشأملة : بهمزة قبل الميم والشّمَل : بفتح الميم بغير ألف . والشَّمُول : بفتح الشين ، وضم الميم . وهي التي تأتي من دبر القبلة .

---

(١) أي التأنيث « أفصح » . المحقق .

قال عياض : وخص « ريح الجنة » بالشمال : لأنها ريح المطر عند العـرب . كانت تهبّ من جهـة الشام . وبها يأتي سحاب المطر . وكانوا يرجون السحابة الشاميّة .

وجـاءت في الحـديث ، تسـمية هذه الـريح : « الْمُثِيرَة » أي : المحرّكة ، لأنها تثير في وجوههم : ماثيره[1] من مسك أرض الجنة ، وغيره من نعيمها . انتهى[2] .

وحـديث البـاب هذا ، رواه أحمـد أيضـاً : عن حمـاد بن سلمـة ، مختصـراً . وقـال : فِيهَا - أي في السوق - كُثْبَانُ الْمِسْكِ . فَإِذَا خَرَجُوا إِلَيْهَا : هَبَّتِ الرِّيحُ » . وفي الباب : أخبار ، وآثار ، ذكرها « ابن القيم » في (الحادي) ، في باب مستقل .

بَابُ : مَا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ

وهو في النووي ، في : (كتاب صفة الجنة) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « سَيْحَانُ ، وَجَيْحَانُ ، وَالْفُرَاتُ ، وَالنِّيلُ . كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ ») .

(١) الصواب : « ما تثيره » . فالمذكور في الأصل : خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام عياض ، وقد حكاه عنه النووي في (١٧/ ١٧١) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(الشرح)

قال النووي : اعلم أن « سيحان وجيحان » ، غير « سيحون وجيحون » . فأما المذكوران في هذا الحديث[1] ، اللذان هما من أنهار الجنة : في بلاد الأرمن[2] . « فجيحان » : نهر المصيصة . « وسيحان » : نهر إذنة . وهما نهران عظيمان جدّا ، أكبرهما : « جيحان » .

قال[3] : فهذا هو الصواب في موضعهما .

وأما قول الجوهري (في صحاحه) : « جيحان » نهر بالشام : فغلط .

أو أنه أراد المجاز[4] ، من حيث أنه ببلاد الأرمن . وهي مجاورة للشام .

قال الحازمي : « سيحان » نهر عند المصيصة . قال : وهو غير « سيحون » .

وقال صاحب نهاية الغريب : « سيحان ، وجيحان » نهران بالعواصم - عند المصيصة ، وطرطوس - واتفقوا كلهم ، على أن « جيحون » بالواو : نهر وراء خراسان ، عند بلخ . واتفقوا : على أنه غير « جيحان » . وكذلك « سيحون » ، غير سيحان .

وأما قول عياض : هذه الأنهار الأربعة ، أكبر أنهار بلاد الإسلام ؛ فالنيل : بمصر . والفرات : بالعراق . « وسيحان وجيحان » ، ويقال « سيحون وجيحون » : ببلاد خراسان . ففي كلامه إنكار من أوجه ؛

(١) وهما « سيحان ، وجيحان » . المحقق .

(٢) أي : فهما في بلاد الأرمن . المحقق .

(٣) (قال) أي : النووي ، في ص ١٧٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) في الأصل : « الجاز » . وهو خطأ في النسخ . والصواب : « المجاز » كما أثبتناه . المحقق .

أحدها : قوله « والفرات بالعراق » . وليس بالعراق . بل هو فاصل بين الشام والجزيرة .

والثاني : قوله « ويقال لهما : سيحون وجيحون » فجعل الأسماء مترادفة ، وليس كذلك . بل هما غيرهما ، باتفاق الناس ، كما سبق .

الثالث : أنهما[1] : ببلاد خراسان . « وسيحان وجيحان » ببلاد الأرمن ، بقرب الشام . والله أعلم .

قال[2] : وأما كون هذه الأنهار ، من ماء الجنة ؛ ففيه تأويلان ، ذكرهما عياض ؛ أحدهما : أن « الإيمان » عم بلادها . أو الأجسام المتغذّية بمائها : صائرة إلى الجنة .

والثاني - وهو الأصح - أنها على ظاهرها . وأن لها مادة من الجنة . والجنة مخلوقة ، موجودة اليوم ـ عند أهل السنة ـ .

وقد ذكر مسلم - في كتاب الإيمان ، في حديث الإسراء - : أن « الفرات ، والنيل » يخرجان من الجنة . وفي البخاري : « من أصل سدرة المنتهى » . انتهى كلام النووي[3] .

وقال (في معالم التنزيل) : إنّ الله أبرز هذه[4] ، من الجنة . واستودعها الجبال ، وأجراها في الأرض . انتهى .

---

(١) (أنهما) . في الأصل : « أنه » نقلا حرفياً من النووي ، ص ١٧٧ . والصواب : ما أثبتناه ، لعود الضمير على : نهري « سيحون وجيحون » . المحقق .

(٢) (قال) أي : النووي ، وليس « صاحب نهاية الغريب » ، كما يوهم صنيع المؤلف . انظر النووي (١٧٧/١٧) . المحقق .

(٣) وهو في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) أي : هذه الأنهار الأربعة . المحقق .

وللعلامة « الشوكاني » كلام بسيط : على تحقيق هذه الأنهار الأربعة ، حرره في جواب سؤال بعض الأعلام . وكان قد سبك السؤال في قالب من النظم ، بديع الأسلوب ، غزير الشؤبوب[1] . فرأيت أن أذكره - تماما - ههنا : للإفادة . وأسطره ، ترغيباً للطالبين إلى الاستفادة . ولعلك لا تجد مثله ، في غير هذا الكتاب .

قال رضي الله عنه ، في (الفتح الرباني) : قال المجد - في القاموس ، ما لفظه - : « سيحان » نهر بالشام ، وآخر بالبصرة . ويقال فيه : « ساحين » . وقرية بالبلقاء ، بها قبر « موسى ، عليه السلام » . و« سيحون » : نهر بما وراء النهر ، ونهر بالهند . انتهى .

فأفاد هذا : أن « سيحان » نهران : أحدهما بالشام ، والآخر بالبصرة .

وأن « سيحون » نهران : أحدهما بما وراء النهر ، والآخر بالهند .

وهذا يقتضي : تغاير مسمى سيحان ، ومسمّى سيحون : لاختلاف الأمكنه المذكورة .

فإن الشام ، والبصرة : غير ماوراء النهر ، والهند . لاشكّ في ذلك .

وقال ياقوت بن عبد الله الرومي ، - في كتابه المشترك وضعا ، المختلف صقعاً - ما لفظه : باب « سيحان ، وسيحون » ، وسيحان[2] : بسين مفتوحة ، وياء ساكنة ، وحاء مهملة ، وألف ونون . الأول : « نهر

(١) (الشؤبوب) : الدّفعة من المطر . والشدّة من كل شيء . « وشؤبوب الشمس » . شدّة حرّها . « وشؤبوب الفرس » : شدّه عَدْوه . وجمع شؤبوب : « شآبيب » . المعجم الوسيط .
والمعنى المقصود هنا : هو الأول . المحقق .

(٢) (وسيحان) : في الأصل : « وسحان » بدون ياء . وهو خطأ من الناسخ . المحقق .

كبير جرّار » من نواحي المصيصة ، بالثغر . وهو نهر إذنة - بين أنطاكية والروم - وبالقرب منه : نهر يقال له : « جيحان » .

فبالثغر إذاً : سيحان ، وجيحان .

وبخراسان : سيحون ، وجيحون .

الثاني : « سيحان » ماء لبني تميم ، بالبادية .

الثالث : « سيحان » نهر بالبصرة ، ذكرته شعراء الأعراب . قال البلادري : حفره البرامكة . وسموه بهذا الاسم . انتهى .

فأفاد هذا : أن « سيحان » اسم لثلاثة[1] أنهار ؛

الأول : « النهر الكبير » الذي بالشام . لأن المصيصة ، بلد بالشام .

والثاني : « ماء لبني تميم » .

والثالث : بالبصرة .

وأفاد : أن « سيحون » نهر بخراسان . فوافق كلام القاموس (في سيحان) . وزاد عليه : أنه يطلق على « ماء لبني تميم » . ووافقه ، في مغايرة سيحان : « سيحون » . وإن خالفه ، في قصره على أنه[2] اسم لمسمى واحد ، لا لاثنين .

وأفاد أيضاً : أن « جيحان » ، غير « جيحون » . وسيأتي الكلام عليهما ، بعد الفراغ : من الكلام على هذين .

---

(١) (لثلاثة) . في الأصل : « لثلثة » . المحقق .

(٢) (أنه) هذه الكلمة غير واضحة ، في الأصل . المحقق .

وقـال (صاحب النهاية) في مادة « س ي ح » ، ما لفظه : وفيه ذكر « سيحان » هو نهر بالعواصم ، من أرض المصيصة . وقريباً من طرطوس . ويذكر مع « جيحان » . انتهى .

وقال في مادة « ج ي ح » ، ما لفظه : ذكر فيه « سيحان ، وجيحان » . وهما نهران بالعواصم ، عند أرض المصيصة ، وطرطوس . انتهى .

فأفـاد هذا : أن « سيحـان » نهـر واحـد ، بالشام . و« جيحان » نهر واحد ، بالشام أيضاً .

وهـذا لا يعـارض : ما تقـدم من القـاموس ، وكتاب المشترك . لأن « صاحب النهاية » : إنما تعرض لتفسير ما ورد في الحديث ، الثابت في الصحيح : أن « سيحان وجيحان ، من أنهار الجنة » .

فتلخص من مجموع ما ذكرناه ؛

أنَّ « سيحان » اسم لأربعة مسميات : (نهر بالشام ، وآخر بالبصرة) : باتفاق صاحب « المشترك ، والمختلف »،وصاحب « القاموس » .

(وماء لبني تميم) . كما أفاده ياقوت . ولا يقدح في ذلك : إهمال صاحب القاموس له .

(وقرية بالبلقاء) . كما أفاده صاحب القاموس . ولا يقدح في ذلك : إهمال ياقوت لها .

وأن « سيحـون » اسم لنهـر ، بمـا وراء النهـر : باتفـاق « ياقـوت ، والمجد » . ونهر بالهند ، كما أفاده صاحب القاموس . ولا يقدح في ذلك : إهمال « ياقوت » له .

ويتعيّن أن « سيحـان » الـذي هو نهـر من أنهـار الجنة . هو الكائن بالشـام ، كما بيَّنه « صاحب النهاية » . وفسَّره بعض شراح الحديث . لا غيره ، ممـا بيّنـه صاحب القـامـوس ، وياقـوت . لأنهمـا بصـدد بيان المسميات : بهذا الاسم ، من غير نظر إلى تخصيص : ما ورد عن صاحب الشرع .

فلم يبق إشكال فيما نقله « المجد » : لا باعتبار تعدّد المسميات ، ولا باعتبار أن « سيحان » غير سيحون . لأن غاية ما أورده في قاموسه : هو أن « سيحان » : اسم لنهرين ، وقرية ، و « سيحون » : اسم لنهرين .

ولـم يقل : إن النهر ، الذي وصفه النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : بأنـه من أنهار الجنة . هو كذا منها . ولا قائل[1] بالاشتراك « بين سيحان وسيحون » . بل فسّر كل واحد منهما : بتفسير يميزه عن غيره ؛

فقال : « سيحان » نهر بالشام ، وآخر بالبصرة . ولا شكّ : أن الشام ، يتميز عن البصرة . لأن البصرة من أرض العراق . فكذلك يتميّز كل واحد من النهرين ، عن الآخر .

ثم قال : « وقرية بالبلقاء » بها قبر موسى ، عليه السلام . فبين أنها : من أرض البلقاء . ثم بينها ببيان آخر . وهو أن قبر موسى عليه السلام ، فيها .

ثم قال : « وسيحون » نهر بما وراء النهر ، ونهر بالهند . فميّز كل واحد منهما ، عن الآخر . وتضمن ذلك : المغايرة بين « سيحان ، وسيحون » .

---

(١) لعل الصواب : « ولا قال » بدل : « ولا قائل » . المحقق .

وغاية ما يقال عليه : أنه لم يبيّن أنها نهر الجنة . وعذره في ذلك واضح . لأنه بصدد بيان : المفهومات اللغوية .

وقد بيّنه : من هو بصدد : بيان ماورد في كلام الشارع ، كما عرفت .

وأما كون هذه الأسماء : حقائق لمسمياتها ، أو مجازات ، أو مختلطة . فقد عرف - من صنع « المجد » ومثله « صاحب الصحاح » - : عدم التعرض لتمييز ذلك . وهو - وإن كان مقللا للفائدة - لكنه ، لايختصّ الكلام عليه ، بهذه المادة . بل جميع ما في الكتابين كذلك .

وأما « جيحان ، وجيحون » ، فقال في القاموس ما لفظه : « وجيحون » نهر خوارزم . و « جيحان » نهر بين الشام والروم ، « معرب جهان[1] » انتهى .

فأفاد : المغايرة بين « جيحان ، وجيحون » . وأن كل واحد منهما : اسم لمسمى واحد . « فجيحون » نهر خوارزم . و « جيحان » : نهر بين الشام والروم .

وقد تقدم في كلام ياقوت في (كتاب المشترك) : أن « جيحان » : بالقرب من « سيحان » ، الذي هو بالشام ، بين أنطاكية والروم . وأن « جيحون » : بخراسان . فوافق كلام « صاحب القاموس » فيهما .

وفي (شمس العلوم) : « جيحو ن » اسم نهر بلخ ، مطابق ما في القاموس . لأن « خوارزم ، وبلخ » : من خراسان .

---

(١) لعل صوابه : « كَيهان » . لأن الكاف الفارسي ، تبدل جيماً ، في التعريب « ١٢ منه » . عفا الله عنه .
هكذا نقلنا هذا الهامش نقلاً حرفياً . وهو للمؤلف ، مرقماً برقم (١) . المحقق .

وقال في (كتاب المسالك ، والممالك) : « جيحون » نهر بلخ . « وبلخ » من خراسان ، مالم يخرج من بلاد خراسان . ويجري بين بلاد خوارزم ، حتى يصبّ في بحيرتها .

ثم قال : « وجيحان » بالألف : نهر يخرج من حدود الروم ، ويمتدّ إلى قرب حدود الشام . هكذا قال . فوافق (صاحب القاموس) فيهما .

وقال ياقوت في (معجم البلدان) : إن « جيحان » بالفتح ، ثم السكون ، والحاء المهملة ، وألف ، ونون[1] : نهر بالمصيصة ، بالثغر الشامي . ومخرجه : من بلاد الروم . ويمرّ حتى يصبّ بمدينة تعرف : بكفر سامات المصيصة ، وينفذ منها ، فيمتدّ أربعة أميال ، ثم يصبّ في بحر خراسان . ثم ذكر قول المتنبي[2] :

مريب إلى جيحان من أرض آمد ملايا لقد أعياك ركضاً وأبعدَا

ثم ذكر أبيات « العدي بن الرقاع ، الآملي » : فيها ذِكرُ « جيحان » .

ثم قال : « جيحون » بالفتح : اسم عجمي . وقد تعسّف بعضهم ، فقال : هو من : « جاحه » إذا استأصله . ومنه : « الخطوب الجوائح » . سمي بذلك : لاجتياحه الأرضين .

قال حمزة : أصل اسم جيحون (بالفارسيّة) : « هارون » . وهو وادي خراسان . وعلى وسطه « مدينة » ، يقال لها : « جيحان » . فنسبه الناس إليها ، وقالوا : « جيحون » ، على عادتهم : في تغيير الألفاظ .

---

(١) (ونون) غير واضحة في الأصل . المحقق .

(٢) بعد كلمة (المتنبي) ، ذكر العلامة (ـــ) للدلالة على أن ما بعدها : شعر . فحذفناها ، تصرفاً ، لعدم الحاجة إليها . المحقق .

قال ابـن الفقيه : يجيء[1] « جيحـون » من موضـع ، يقـال له : « ربـوساران » . وهو جبل يتّصل بناحية : السند ، والهند ، وكابل . ومنه « عين » تخرج من موضع ، يقال له : « عنذمين » .

وقـال الإصـطخري - بعد أن أطال الكلام ، وذكر أنه : تنصبّ إليه خمسة أنهار ، وذكر أسماءها وأمكنتها ، ثم ذكر أن أصل مخرجه : من بلاد التـرك . ثم ذكـر مواضـع يمـرّ بهـا ، حتى يمـرّ في حدود « بلخ » إلى « الترمذ » ، ثم « آمل » ، ثم « درعان » : أول أرض « خوارزم » ، ثم مدينة خوارزم - قال : ولا ينتفع بهذا النهر - من هذه البلاد التي يمرّ بها - : إلا « خوارزم » . ثم ينحـدر من خوارزم ، حتى ينصبّ في بحيرة ، تعرف : ببحيرة خوارزم . وهي بحيرة ، بينهـا وبين خوارزم : ستة أيام . وهي في موضع ، أعرض من « دجلة » . قال ياقوت : وقد شاهدته ، وركبت فيه . ثم ذكر جموده ، إذا اشتدّ البرد .

ثم قال : وهو يسمَّى « نهر بلخ » مجازاً ، لأنه يمرّ بأعمالها .

فأمـا « مدينـة بلخ » ، فإن أقرب موضع منه إليها : مسيرة اثني عشر فرسخاً . انتهى .

فقد وافق - ما رواه « صاحب المعجم » عن نفسه ، وعن غيره - : ما ذكـره « صاحب القـامـوس » ، في جيحان وجيحون . وإنما خصص نهر جيحون : بخوارزم ، لما عرفت من أنه لا ينتفع[2] إلا خوارزم .

(١) (يجيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) الصواب أن يقول : « لا ينتفع به » ، بزيادة كلمة « به » . المحقق .

وبالجملة ؛ فما ذكره « صاحب القاموس » ، هو ما ذكره مَنْ قبله : من هؤلاء الأئمة . فإن حاصل ما يستفاد من كلامهم : المغايرة بين « جيحان وجيحون » . وأن كل واحد منهما : بالمكان الذي ذكره .

وأما تعيين النهر الذي هو من الجنة منهما : فقد عيّنه المفسرون ، لما وقع في كلام النبوة . وأنه « جيحان » ، لا جيحون . كما تقدم عن صاحب النهاية وغيره .

وعُـذْر صاحبِ القـامـوس (في عدم تعيين النهـر ، الـذي من الجنة منهما) : هو ما قدمنا في « سيحان وجيحان » ؛ فالنهران اللذان من الجنة ، هما « سيحان وجيحان » ، لا سيحون وجيحون . كما تقدم بيانه . وهو ثابت في الصحيح بلفظ : « سيحان وجيحان » .

وأمـا من زعم المعـارضـة : بين قولـه صلى الله عليه وآلـه وسلم : « سيحان ، وجيحان ، والنيل ، والفرات : من أنهار الجنة » ، وبين قوله صلى الله عليه وآلـه وسلم « وَإِذَا أَرْبَعَـةُ أَنْهَـارٍ : نَهْـرَانِ ظَاهِرَانِ ، وَنَهْرَانِ بَاطِنَـانِ ؛ أَمَّـا الـظَّاهِـرَانِ : فَالنِّيلُ والْفُـرَاتُ . وَأَمَّا الْبَاطِنَانِ : فَسَيْحَانُ ، وَجَيْحَانُ » . ثم صار إلى الجمع : بأنه لم يثبت في « سيحان وجيحان » أنهما من الجنة .

فهذا ليس بجمع ، بل إهدار لما وقع في الحديثين جميعاً : من ذكر « سيحان وجيحان » . والأمر أقرب من ذلك . ومعنى كلام النبوة أوضح .

فإن غاية ما يستلزمه - كون سيحان وجيحان باطنين - : أن لا يظهر انصبابهما من نفس الجنة . بأن يجريا من باطنها ، إلى باطن الأرض . ثم

يظهران حيث ظهرا . ويظهر انصباب النيل والفرات : من ظاهر الجنة ، إلى ظاهر الأرض ، ثم يتّصل ظهورهما وجريهما بالمواضع المعروفة الآن .

وهكـذا جَمْـعُ من جَمـع : بعدم ظهور سيحان وجيحان ، على وجه الأرض . وإن كانا من أنهار الجنة . نظراً منه إلى ما وقع من توصيفهما : بكونهما باطنين . فإنه ليس في هذا الوصف : ما يستلزم أنهما لا يظهران أبداً . إذ صدقه يوجد بما ذكرناه .

ولـو كان الأمـر كمـا قال هذا : لم يكن لإخبـاره صلى الله عليه وآله وسلم ، للأمة ، بأن الأربعة الأنهار ، من أنهار الجنة : كثير فائدة . بعد تسميتـه لها بأسمائها المعروفة ، عند أهل الدنيا . مع اعتقادهم : لوجود مسمّياتها ، في بقاع الأرض .

وليس ذلـك من قبيل الإخبار : بما في الجنة . كما وقع في الكتاب العـزيز ، من إخبـار الله عزَّوجـل : بمـا فيها من أنهار الماء ، والعسل ، والخمـر ، واللّبن . بل من باب الإخبـار بمـا صار في الـدنيا ، من أنهار الجنة . كما تفيده ألفاظ الأحاديث ، وسياقاتها .

فتقرر بمجموع ما ذكر : صحة ما قاله صاحب القاموس : في « سيحان وجيحان ، وسيحون وجيحون » .

وتبـيَّن : ما هو منها من أنهار الجنة ، وما ليس منها .

وظهر : تعيين مواضع : ما هو من الجنة . وتعيين مواضع : ما ليس منها .

ولم يبق في الكلام على هذا التقرير : إشكال .

هذا آخر كلام الإمام اليماني ، العلامة الشوكاني ، في الفتح الرباني .

بَابُ: حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ

وقال النووي : (كتاب الجنة ، وصفة نعيمها ، وأهلها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ . وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ ») .

(الشَّرح)

هكذا رواه مسلم : « حُفَّتْ » . ووقع في البخاري : « حُفَّتْ » وأيضاً « حُجِبَتْ » . وكلاهما صحيح .

قال العلماء : هذا من بديع الكلام ، وفصيحه ، وجوامعه التي أوتيها ، صلى الله عليه وآله وسلم : من التمثيل الحسن .

ومعناه : لا يُوصل إلى الجنة، إلا بارتكاب المكاره . والنار، إلا بالشهوات .

وكذلك هما محجوبتان بهما . فمن هتك الحجاب : وصل إلى المحجوب ؛

فَهَتْكُ حجابِ الجنةِ : باقتحام المكاره . وهَتْكُ حجابِ النار : بارتكاب الشهوات .

فأمـا المكـاره ، فيدخـل فيهـا : الاجتهـاد في العبادات ، والمواظبة عليها ، والصبر على مشاقها ، وكظم الغيظ ، والعفو ، والحلم والصدقة ، والإحسان إلى المسيء[1] ، والصبر عن الشهوات ، ونحو ذلك .

وأمـا الشهـوات ، التي النـار محفـوفـة بهـا ، فالظاهر أنها الشهوات المحـرّمـة : كالخمر ، والزنا ، والنظر إلى الأجنبية ، والغيبة ، واستعمال الملاهي ، ونحو ذلك .

وأمـا الشهـوات المباحة ، فلا تدخل في هذه . لكن يكره : الإكثار منهـا ، مخـافـة أن يجـرّ إلى المحرمة ، أو يُقْسِي القلب ، أو يشغل عن الطاعات ، أو يُحْوِج إلى الاعتناء بتحصيل الدنيا : للصرف فيها ، ونحو ذلك .

بَابُ : أَقَلُّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ النِّسَاءُ

وقـال النووي : (باب أكثر أهل الجنة : الفقراء ، وأكثر أهل النار : النساء . وبيان الفتنة بالنساء) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي التَّيَّاحِ ؛ قَالَ : كَانَ لِمُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللّٰهِ امْرَأَتَانَ . فَجاءَ مِنْ عِنْدِ إِحْدَاهُمَا ، فَقَالَتِ الأُخْرَىٰ : جِئْتَ مِنْ عِنْدِ فُلَانَةَ ؟ فَقَالَ : جِئْتُ مِنْ عِنْدِ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ .

---

(١) (المسىء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

فَحَدَّثَنَا : أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « إنَّ أَقَلَّ سَاكِنِي الْجَنَّةِ : النِّسَاءُ » .

(الشَّرح)

قد تقدم الكلام على معنى هذا الحديث ، قريباً . وإذا ثبت أنهن أقلّ ساكني الجنة : ثبت أيضاً : أنهنّ أكثر أهل النار . ويدلّ له : أحاديث أخرى ، وردت في هذا المعنى .

قال « ابن القيم » : أما كونهن أكثرَ أهل النار ، فلما روى البخاري ، عن عمران بن الحصين ، رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ : « اطَّلَعْتُ فِي النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : النِّسَاءَ . وَاطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : الْفُقَرَاءَ »[1] . ونحوه في مسلم ، عن ابن عباس . وعند أحمد : بإسناد صحيح ، عن أبي هريرة : نحوه أيضاً .

وفي المسند ، عن « ابن عمر » أيضا ، يرفعه : « اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : الْفُقَرَاءَ . وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : الْأَغْنِيَاءَ ، وَالنِّسَاءَ » . وعنده[2] ، عن « عمرو بن العاص » ؛ قَالَ : كُنَّا مَعَ

(١) حديث عمران بن حصين ، بنفس اللفظ مرفوعاً (عند البخاري) في بدء الخلق باب (٨) ، (الفتح ٣١٨/٦) ، حديث (٣٢٤١) . وفي النكاح ، باب (٨٨) ، الفتح (٢٩٨/٩) ، حديث رقم (٥١٩٨) . وفي الرقاق ، باب (١٦) ، الفتح (٢٧٣/١١) ، حديث رقم (٦٤٤٩) . وفي نفس المصدر ، باب (٥١) ص ٤١٥ ، حديث رقم (٦٥٤٦) .
وبنفس اللفظ أيضاً ، عن ابن عباس ، (عند مسلم) كتاب الرقاق ، باب (٢٦) حديث رقم (٩٤) . المحقق .

(٢) (وعنده) أي : وعند أحمد . المحقق .

رَسُــولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآلــه وسلم ، فِي هَـٰذَا الْمَكَـانِ - أي : مر الظهران - فَإِذَا نَحْنُ بِغِرْبانٍ كَثِيرَةٍ ، فِيهَا غُرَابٌ أَعْصَمُ ، أَحْمَرُ الْمِنْقَارِ وَالرِّجْلَيْنِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنَ النِّسَاءِ : إِلَّا مِثْلُ هَذَا الْغُرَابِ ، فِي هَـٰذِهِ الْغِرْبَانِ » .

« والأعصم » : الذي في جناحه : ريشة بيضاء .

أراد صلى الله عليه وآله وسلم : قلة من يدخل الجنة من النساء ، لأن هذا الصنف في الغربان ، قليل .

وفي حديث آخر : « الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ : مِثْلُ الْغُرَابِ الْأَعْصَمِ » .

وفي حديث آخـر : « عَائِشَـةُ فِي النِّسَـاءِ : كَالْغُرَابِ الْأَعْصَمِ ، فِي الْغِربَانِ » . والله أعلم .

وفي حديث « أسامة بن زيد » يرفعه ، عند مسلم : « قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ النَّارِ ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا : النِّسَاءُ » .

وهـذه الأحـاديث : دلت دلالة واضحة ، على قلّة دخول النساء في الجنة ، وكثرة ولوجهنّ في النار . عافانا الله ونساءنا : عن ذلك ، برحمته .

بَابٌ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ، وَعَلَامَاتِهِمْ فِي الدُّنْيَا

وذكره النووي ، في : (باب جهنم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مَعْبَـدِ بْنِ خَالِدٍ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ : بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » . قَالُوا : بَلَىٰ .

قَالَ صلى الله عليه وسـلم : « كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ . لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ : لَأَبَرَّهُ » .

ثُمَّ قَالَ : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ : بِأَهْلِ النَّارِ ؟ » . قَالُوا : بَلَىٰ .

قَالَ : « كُلُّ عُتُلٍّ ، جَوَّاظٍ ، مُسْتَكْبِرٍ ») .

(الشَّرح)

(عن حارثـة بن وهب[1] ؛ سمـع[2] النبيّ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قال : « ألا أخبركم : بأهل الجنة ؟ » قالوا : بلى .

قال[3] : كل ضعيف متضعّف) : بفتح العين ، وكسرها . والمشهور : الفتح . ولم يذكر الأكثرون غيره .

ومعنـاه : يستضعفه الناس ، ويحتقرونه ، ويتجبّرون عليه : لضعف حاله في الدنيا . يقال : تضعّفه ، واستضعفه .

وأما رواية « الكسر »[4] ، فمعناها : متواضع ، متذلّل ، خامل ، واضع من نفسه .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن معبد بن خالد » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « أنه سمع » بزيادة : « أنه » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « قال صلى الله عليه وسلم » . بزيادة : « صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٤) (الكسر) أي : كسر العين المشددة ، في « متضعّف » . المحقق .

قال عياض : وقد يكون الضّعف هنا : رقّة القلوب ، ولينها ، وإخباتها للإيمان .

والمراد ، أن أغلب أهل الجنة : هؤلاء . كما أن معظم أهل النار : القسم الآخر الآتي .

وليس المراد . الاستيعاب ، في الطرفين[1] .

(لو أقسم على الله : لأبرّه) أي : لو حلف يميناً ، طمعاً في كرم الله تعالى : بإبراره ، لأبرّه .

وقيل : لو دعاه ، لأجابه .

يقال : أبررت قسمه ، وبررته . والأول : هو المشهور .

(ثم قال : « ألا أخبركم : بأهل النار ؟ » قالوا : بلى . قال : كل عتل) : بضم العين ، والتاء . وهو الجافي ، الشديد الخصومة بالباطل .

وقيل : الجافي الفظّ الغليظ .

(جواظ) : بفتح الجيم ، وتشديد الواو . وبالظاء المعجمة : هو الجموع ، المنوع[2] .

وقيل : كثير اللحم ، المختال في مشيته .

وقيل : القصير ، البطين .

وقيل : « الفاخر » بالخاء .

---

(١) حكاه النووي ، في (١٨٧/١٧) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (الجموع ، المنوع) صيغة مبالغة : من الجمع ، والمنع . أي كثير الجمع لحطام الدنيا ، شديد المنع والبخل بها . المحقق .

(مستكبر) أي : صاحب الكبر . وهو[1] « بطر الحق ، وغمط الناس » .

وفي رواية أخرى : « كُلُّ جَوَّاظٍ زَنِيمٍ ، مُتَكَبِّرٍ »[2] .

« والـزنيم » : هو الدعيّ في النّسب ، الملصق بالقوم وليس منهم . شبه : « بزنمة الشاة » .

والمتكبر بمعنى : « المستكبر » .

(بَابُ مِنْـهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

وفي (باب فضل الضعفاء والخاملين أيضاً)[3]

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « رُبَّ أَشْعَثَ ، مَدْفُوعٍ بِالأَبْوَابِ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللّهِ : لَأَبَرَّهُ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : ربّ أشعث ، مدفوع بالأبواب) .

---

(١) (وهو) أي الكبر . المحقق .

(٢) هذه الرواية في صحيح مسلم (٤/ ٢١٩٠) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، وأهلها . (باب ١٣) ، حديث رقم (٤٦) . المحقق .

(٣) (باب فضـل الضعفـاء ، والخاملين) ذكره النووي ، في (١٦/ ١٧٤) المطبعة المصرية ، (كتاب البر والصلة والآداب) . المحقق .

« الأشعث » : الملبّـد الشعـر ، المغبّر : غير مدهون ، ولا مرجّل . أي : لا قدر له عنـد الناس ، فهم يدفعونه عن أبوابهم ، ويطردونه عنهم احتقاراً له .

(لو أقسم على الله : لأبرّه) أي : لو حلف على وقوع شيء[1] : أوقعه الله ، إكراماً له : بإجابة سؤاله ، وصيانته من الحنث في يمينه .

وهذا لعظم منزلته عند الله تعالى ، وإن كان حقيراً عند الناس .

وقيل : « معنى القسم هنا » : الدعاء . وإبراره : إجابته . قاله النووي[2] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب الصفات ، التي يعرف بها في الدنيا : أهل الجنة ، وأهل النار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٧ - ١٩٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ - ذَاتَ يَوْمٍ - فِي خُطْبَتِهِ : « أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي : أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَـٰذَا ؛

(١) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) قاله في (١٧/١٨٧) ، المطبعة المصرية . المحقق .

كُلُّ مَال ٍ نَحَلْتُهُ عَبْداً : حَلاَلٌ . وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي : حُنَفَاءَ ، كُلَّهُمْ . وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ . وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ : مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ . وَأَمَرَتْهُمْ ، أَنْ يُشْرِكُوا بِي : مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَاناً . وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَىٰ أَهْلِ الأَرْضِ ، فَمَقَتَهُمْ : عَرَبَهُمْ ، وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .

وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتُكَ ؛ لِأَبْتَلِيَكَ ، وَأَبْتَلِيَ بِكَ . وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ : كِتَاباً ، لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ .

تَقْرَؤُهُ : نَائِماً ، وَيَقْظَانَ .

وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي : أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشاً . فَقُلْتُ : رَبِّ ! إِذاً يَثْلَغُوا رَأْسِي ، فَيَدَعُوهُ : خُبْزَةً .

قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ ، كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ . وَاغْزُهُمْ ، نُغْزِكَ . وَأَنْفِقْ ، فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ .

وَابْعَثْ جَيْشاً ، نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ . وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ : مَنْ عَصَاكَ .

قَالَ : وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ ؛

ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ ، مُتَصَدِّقٌ ، مُوَفَّقٌ .

وَرَجُلٌ رَحِيمٌ ، رَقِيقُ الْقَلْبِ : لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ ، وَمُسْلِمٍ .

وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ، ذُو عِيَالٍ .

قَالَ : وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ ؛

الضَّعِيفُ ، الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعاً ، لاَ يَتْبَعُونَ : أَهْلاً ، وَلاَ مَالاً .

وَالْخَائِنُ ، الَّذِي لاَ يَخْفَىٰ لَهُ طَمَعٌ - وَإِنْ دَقَّ - إِلَّا خَانَهُ .

وَرَجُلٌ ، لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي : إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ ، وَمَالِكَ » .

وَذَكَرَ الْبُخْلَ - أَوِ الْكَذِبَ -

« وَالشِّنْظِيرُ ، الْفَحَّاشُ » .

وَلَمْ يَذْكُرْ « أَبُو غَسَّانَ » - فِي حَدِيثِهِ - : « وَأَنْفِقْ ، فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ ») .

(الشرح)

(عن عياض بن حمار المجاشعيّ ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قال - ذات يوم - في خطبتـه : « ألا إنّ ربي أمرني : أن أعلّمكم ما جهلتم ، مما علمني يومي هذا ؛ كلّ مال نحلته عبداً : حلال) .

وفي هذا الكلام حذف أي : قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبداً من عبادي ، فهو له حلال .

والمـراد : إنكـار ما حرّموا على أنفسهم : من السائبة ، والوصيلة ، والبحيرة ، والحامي ، وغير ذلك . وأنها لم : تصِرْ حراماً ، بتحريمهم . وكل مال ملكه العبد : فهو حلال له ، حتى يتعلق به حقّ .

وفي هذا : إشارة إلى أن الأصل في الأشياء : إباحة[1] ، حتى ينقله الدليل[2] .

---

(١) لو قال ؛ « الإباحة » بالتعريف ، لكان أولى . المحقق .

(٢) أي : ينقله من الإباحة ، إلى الحرمة . المحقق .

(وإني خلقت عبادي : حنفاء ، كلَّهم) أي : مسلمين .

وقيل : طاهرين من المعاصي .

وقيل : مستقيمين ، متهيّئين لقبول الهداية .

وقيل : المراد حين أخذ عليهم العهد في الذّر ، وقال « أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ »[1]. والأول : أولى :

(وإنهم أتتهم الشياطين ، فاجتالتهم عن دينهم) .

هكذا هو في نسخ بلاد النووي : بالجيم[2] .

وكذا نقله عياض : عن رواية الأكثرين .

وفي رواية « أبي علي الغسّاني » : « فاختالتهم » بالخاء .

قال[3] : والأول : أصحّ وأوضح .

أي : استخفوهم ؛ فذهبوا بهم ، وأزالوهم عما كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل . كذا فسّره الهَرَويّ[4]، وآخرون .

وقال شمّر : اجتال الرجل الشيءَ[5] : ذهب به .

واجتال أموالهم : ساقها ، وذهب بها .

قال عياض : ومعنى « فاختالوهم » بالخاء : يحبسونهم عن دينهم ، ويصدّونهم عنه[6] .

---

(١) الآية : (١٧٢) من سورة الأعراف . المحقق .

(٢) (بالجيم) أي : كلمة : « اجتالتهم » . المحقق .

(٣) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، في (١٩٧/١٧) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) محرّكة (١٢ق) . هذا الهامش للمؤلف . وقد أثبته في الصلب تحت كلمة : « الهَرَوِيّ » . فنقلناه إلى الهامش ، تصرفاً . المحقق .

(٥) (الشيء) الهمزة - في الأصل - وضعت فوق الياء . المحقق .

(٦) حكاه النووي ، في المصدر المتقدم ، قريباً . المحقق .

(وحرّمتْ عليهم : ما أحللتُ لهم .

وأمرَتْهم : أن يشركوا بي : مالم أنزل به سلطاناً .

وإنّ الله عزّ وجل[1] ، نظر إلى أهل الأرض ، فمقتهم) .

« المقت » : أشدّ البغض .

(عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب) .

المراد بهم : الباقون على التمسّك بدينهم الحق ، من غير تبديل .

(وقال : إنما بعثتك . لأبتليك) أي : أمتحنك بما يظهر منك ، من قيامك بما أمرتك به : من تبليغ الرسالة . وغير ذلك ؛ من الجهاد في الله حق جهاده ، والصّبر في الله تعالى ، وغير ذلك .

(وأبتليَ بك) من : أرسلتك إليهم ؛

فمنهم : من يظهر إيمانه ، ويخلص في طاعاته .

ومن[2] يتخلف ، ويتأبد : بالعداوة ، والكفر .

ومن[2] ينافق .

والمراد : أن يمتحنه ، ليصير ذلك واقعاً بارزاً . فإن الله تعالى ، إنما يعاقب العباد : على ما وقع منهم ، لا على ما يعلمه قبل وقوعه . وإلا فهو سبحانه عالم بجميع الأشياء ، قبل وقوعها .

وهـذا نحـو قولـه تعـالى : « وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ

(١) في مصدر الحديث : لم يذكر : « عز وجل » ، بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٢) أي : ومنهم مَنْ . . . إلخ . المحقق .

وَالصَّابِرِينَ »[1]أي : نعلمهم فاعلين ذلك ، متّصفين به .

(وأنزلت عليك كتاباً ، لا يغسله الماء) . أي : محفوظ في الصدور ، لا يتطرق إليه الذّهاب ، بل يبقى على ممر الأزمان .

(تقرؤه[2] نائماً ويقظان[3]) .

قال أهل العلم : معناه : يكون محفوظاً لك ، في حالتي النوم واليقظة .

وقيل تقرؤه[2] في يسر وسهولة . والأول : أولى .

(وإنّ الله أمرني : أن أحرّق قريشاً . فقلت : ربِّ ! إذاً يثْلَغوا رأسي ، فيَدَعوه خبزة) أي : يشدخوه ويشجّوه ، كما يُشدخ الخبز . أي : يُكْسَر .

(فقال : استخرجهم ، كما أخرجوك[4] . واغزهم ، نُغزك) : بضم النون . أي : نعينك .

(وأنفق ، فسننفقَ عليك . وابعث جيشاً ، نبعث خمسة مثله . وقاتل بمن أطاعك : من عصاك .

قال : وأهل الجنة ثلاثة[5]) هذا موضع ترجمة الباب :

(ذو سلطان مقسط) أي : عادل ، (متصدق ، موفّق .

---

(١) الآية : (٣١) من سورة محمد . المحقق .

(٢) (تقرؤه) . في الأصل : الهمزة فوق ألف ، لا فوق واو . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) (ويقظانَ) . أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده ، في بعض النسخ : « ويقظاناً » . والصواب الأول ، لأنه ممنوع من الصرف : لزيادة الألف ، والنون . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « استخرجوك » ، بدل : « أخرجوك » . المحقق .

(٥) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

ورجل رحيم ، رقيق القلب : لكل ذي قربىٰ ، ومسلم) مجرور[1] ، معطوف على « ذي قربى » .

(وعفيف متعفّف ذو عيال) : لا يسأل الناس إلحافاً .

(قال : وأهل النار خمسة ؛

الضعيف ، الذي لا زبر له) : بفتح الزاي وإسكان الباء . أي : لا عقل له ، يزبره ويمنعه : مما لا ينبغي .

وقيل : هو الذي لا مال له .

وقيل : الذي ليس عنده ، ما يعتمده .

(الذين هم فيكم تبعاً ، لا يتبعون) بالعين المهملة . مخفف ومشدد : من الاتباع .

وفي بعض النسخ : « يبتغون » بالباء ، والغين المعجمة . أي لا يطلبون (أهلا ، ولا مالاً .

والخائن ، الذي لا يخفىٰ له طمع - وإن دق - إلا خانه) .

قال أهل اللغة : يقال : « خفيت الشيء »[2] : إذا أظهرته . « وأخفيته » : إذا سترته ، وكتمته . هذا هو المشهور .

وقيل : هما لغتان ، فيهما جميعاً .

فمعنى « لا يخفى » : لا يظهر .

(ورجل لا يصبح ولا يمسي : إلا وهو يخادعك عن أهلك ، ومالك) .

---

(١) (مجرور) أي : كلمة : « مسلم » . لعطفها على مجرور . المحقق .

(٢) (الشيء) الهمزة - في الأصل - وضعت فوق الياء . المحقق .

وذكر البخل والكذب[1]) هي في أكثر النسخ : « أو الكذب » بأو .

وفي بعضها بالواو . والأول : هو المشهور في نسخ بلاد النووي .

وقال عياض : روايتنا عن جميع شيوخنا « بالواو »، إلا« ابن أبي جعفر » عن الطبري ، فبأو . وقال بعض الشيوخ : ولعله الصواب ، وبه تكون المذكورات خمسة .

(والشِّنظير) : بكسر الشين والظاء ، المعجمتين . وإسكان النون بينهما . وفسره في الحديث ، بقوله : (الفحاش) . وهو السيء الخلق .

ولم يذكر « أبو غسان »[2] في حديثه : « وأنفق ، فسننفق عليك » .

وقد اشتمل هذا الحديث ، على فوائد كثيرة ؛

منها : فضل العلم ، والتعليم .

وإباحة الأموال ، كلها[3] .

واجتيال الشياطين : المسلمين[4] عن دينهم .

وذم الشّرك بالله .

وكون « قليل من أهل الكتاب » : غير ممقوت .

وفيه : أن بعثته . صلى الله عليه وآله وسلم ، إلى الناس : للابتلاء .

وفيه : وصف الكتاب العزيز .

---

(١) في مصدر الحديث : « أو الكذب » بـ « أو » التي للشك . بدل الواو . وهذا هو الصواب . وإلا يرتفع العدد إلى ستّة . والحديث حصره في خمسة . المحقق .

(٢) (أبو غسّان) هو أحد شيوخ مسلم ، الثلاثة ، في هذا الحديث . والآخران هما : محمد بن المثنّى ، ومحمد بن بشار بن عثمان . ولفظ الحديث : لأبي غسّان ، وابن المثنّىٰ . المحقق .

(٣) إلا ماورد نصّ شرعيّ : بتحريمه . المحقق .

(٤) الأولىٰ أن يقال : واجتيال الشياطين : الناس ، عن دين الفطرة التي فطر الله الناس عليها . وهذا هو المنصوص عليه في الحديث . وليس المسلمين خاصة . المحقق .

وفيه : الأمر بقتال قريش ، وإخراجهم ، وإعانة الله له صلى الله عليه وآله وسلم : على ذلك .

وفيه : فضل النفقة ، في سبيل الله .

وفيه : بيان صفات أهل الجنة ، وأهل النار : التي يعرفون بها . وهو المقصود هٰهنا . اللهم ! إنا نسألك : الجنة ، ونعوذ بك : من النار .

بَابُ خُلُودِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ فِيمَا هُمْ فِيهِ

وأورده النووي ، في : (باب جهنم ، أعاذنا الله منها) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ) ، رضي الله عنهما[١] (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « إِذَا صَارَ أَهْلُ الْجَنَّةِ : إِلَى الْجَنَّةِ ، وَصَارَ أَهْلُ النَّارِ : إِلَى النَّارِ : أُتِيَ بِالْمَوْتِ ، حَتَّىٰ يُجْعَلَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، ثُمَّ يُذْبَحُ ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! لاَ مَوْتَ . يَاأَهْلَ[٢] النَّارِ ! لاَ مَوْتَ . فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً ، إِلَىٰ فَرَحِهِمْ . وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً ، إِلَىٰ حُزْنِهِمْ ») .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . كما يوهم صنيع المؤلف . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « ويا أهل النار » بزيادة الواو . المحقق .

(الشـرح)

وفي رواية أخرى مرفوعةٍ « يُجاءُ بالْمَوْتِ - يَوْمَ الْقِيامَةِ - كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا ؟ فَيَشْـرَئِبُّـونَ ، وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ . هَـٰذَا الْمَوْتُ . ثُمَّ يُقَالُ : يَاأَهْلَ النَّارِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ ، وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ . هَـٰذَا الْمَوْتُ .

قَالَ : فَيُؤمَرُ بِهِ ، فَيُذْبَحُ . قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! خُلُودٌ ، فَلاَ مَوْتَ . وَيَاأَهْلَ النَّارِ ! خُلُودٌ ، فَلاَ مَوْتَ » .

قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْـرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْـرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ » - وأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا - رواه مسلم ، عن أبي سعيد الخدري[1] .

وروي أيضـاً ، عن عبـد الله ؛ مرفـوعاً : « يُدْخِلُ اللّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ : الْجَنَّةَ . وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ : النَّارَ . ثُمَّ يَقُومُ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ ، فَيَقُولُ : يَاأَهْلَ ، الْجَنَّةِ ! لاَ مَوْتَ . وَيَاأَهْلَ النَّارِ ! لاَ مَوْتَ . كُلٌّ خَالِدٌ ، فِيمَا هُوَ فِيهِ »[2] .

قال ابن القيم : وهذا الأذان[3] . وإن كان بين الجنة والنار ، فهو يبلغ جميع أهل الجنة ، والنار . انتهى .

(١) شيخا مسلم ، في هذا الحديث هما : أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو كريب . وقوله : « فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ ، والنَّارِ » زاده « أبو كريب » . واتفقا في باقي الحديث - كما قال مسلم - انظر صحيح مسلم (٤/٢١٨٨) باب (١٣) حديث (٤٠) . إلا أنه في مصدر الحديث : « قال : ويقال : يأهل النار ! » . مكان : « ثم يقال : يأهل النار ! » .

و « قال : فيشرئبون » بزيادة : « قال » . في الموضع الثاني ، دون الأول . هذا ؛

والآية المذكورة في آخر الحديث : رقم (٣٩) سورة مريم . المحقق .

(٢) هذا الحديث بنفس المصدر ، ص ٢١٨٩ ، حديث رقم (٤٢) . المحقق .

(٣) (الأذان) في الأصل : (الاذن) بدون همزة فوق الألف ، وبدون ألف بين الذال والنون . المحقق .

وهذا الحديث : قد جمع من التبشير ، والإنذار : مالا يقادر قدره .

وفي الباب : أحاديث ، في الصحاح والسنن . فيها : ذكر الكبش ، والإضجاع ، والذّبح ، ومعاينة الفريقين .

قال في (حادي الأرواح) : وذلك حقيقة ، لا خيال ، ولا تمثيل . كما أخطأ فيه بعض الناس : خطأ قبيحاً ؛ وقال : « الموت » ، عرض . والعرض : لا يتجسّم ، فضلاً عن أن يذبح . وهذا لا يصحّ .

فإن الله سبحانه ينشئ من الموت : صورة كبش ، يذبح[1] . كما ينشئ من الأعمال : صورا معاينة ، يثاب بها ويعاقب .

والله تعالى : ينشئ من الأعراض : أجساماً ، يكون الأعراض مادةً لها . وينشئ من الأجسام : أعراضاً ، كما ينشئ سبحانه ، من الأعراض : أعراضاً ، ومن الأجسام : أجساماً ؛

فالأقسام الأربعة : ممكنة مقدورة : للرّب تعالى ، وتبارك . ولا يستلزم : جمعاً بين النقيضين ، ولا شيئاً من المحال .

ولا حاجة إلى تكلّف من قال : إن الذّبح لملك الموت . فهذا كله من الاستدراك الفاسد : على الله ورسوله . والتأويل الباطل ، الذي لا يوجبه : عقل ، ولا نقل .

وسببه : قلّة الفهم لمراد الله ، ومراد الرسول من كلامه .

فظنّ هذا القائل : أن لفظ الحديث ، دلّ على أن « نفس العرض » : يذبح .

---

(١) (يذبح) بياء مثناة ، من تحت . وهو في الأصل : بباء موحدة . وهو لاشك خطأ في النسخ . المحقق .

وظن غالطٌ آخر : أن العرض يُعدم[1] ويزول ، ويصير مكانه « جسم » يُذبح . ولم يهتد الفريقان : إلى هذا القول الذي ذكرناه . وأن الله سبحانه : ينشئ من الأعراض : أجساماً ، يجعلها مادة لها . كما في الصحاح عنه ، صلى الله عليه وآله وسلم « تَجِيءُ[2] الْبَقَرَةُ ، وَآلُ عِمْرَانَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ » الحديث .

فهذه هي القراءة ، التي ينشئها[3] الله سبحانه : غمامتين .

وكذلك قوله في الحديث الآخر : « إِنَّ مَا تَذْكُرُونَ مِنْ جَلَالِ اللَّهِ : مِنْ تَسْبِيحَةٍ ، وَتَحْمِيدَةٍ ، وَتَهْلِيلَةٍ : يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ : يُذَكِّرْنَ بِصَاحِبِهِنَّ » ذكره أحمد .

وكذلك قوله - في حديث عذاب القبر ونعيمه - للصورة التي يراها ، « فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ » ، و« أَنَا عَمَلُكَ السَّيِّءُ » . وهذا حقيقة ، لا خيال .

ولكن الله ، أنشأ له - من عمله : - صورة حسنه ، وصورة قبيحة . انتهى كلامه ، رحمه الله تعالى .

هذا آخر كتاب الجنة .

وفي مسلم : أحاديث في وصفها : غير ما ذكر في هذه الأبواب .

وكلام الإمام « ابن القيم » في كتابه (الحادي) . وقصيدته النونية : في صفتها ، وصفة أهلها : بسيط[4] جدّاً ، لا يحصيه هذا الشرح .

---

(١) (يعدم) بالياء المثناة ، تحت . وهو في الأصل : بالباء الموحدة . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) (تجيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (ينشئها) . في الأصل : « ينشأها » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٤) (بسيط) أي : واسع ، ومفصّل . المحقق .

(أوصاف الجنة : مما ورد في الكتاب والسنّة[1]) .

ولكن استحسن عندي : أن أختم هذا المقال : بذكر أن الجنة ، فوق ما يخطر بالبال ، أو يدور في الخيال . « رزقنا الله : سكناها ، خالدة مخلدة » .

فأقول : قال الله تعالى : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »[2] .

وقال رسول الله ، ، صلى الله عليه وآله وسلم : « قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ : مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ » . مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ » الآية[2] . أخرجه الشيخان[3] .

وفي مسلم : نحوه ، من حديث « سهل بن سعد الساعدي »[4] .

وعنه في البخاري مرفوعاً : « مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ : خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا[5] » .

والأحاديث في هذا الباب : كثيرة ، طيّبة جدّاً .

---

(١) (أوصاف الجنة : مما ورد في الكتاب والسنة) . هذا العنوان ، ذكره المؤلف - في الهامش - مرموزا فوقه بالحرف (ف) فحذفنا الرمز . ونقلنا العنوان إلى الصلب ، في وسط السطر ، تصرفا . المحقق .

(٢) الآية : (١٧) من سورة السجدة . المحقق .

(٣) (أخرجه الشيخان) عن أبي هريرة : (البخاري) ، في بدء الخلق ، باب (٨) . الفتح (٣١٨/٦) ، حديث رقم (٣٢٤٤) . وفي تفسير سورة السجدة (الفتح ٥١٥/٨) ، حديث رقم (٤٧٧٩) ، وحديث رقم (٤٧٨٠) . وفي التوحيد باب (٣٥) ، الفتح (٤٦٥/١٣) حديث رقم (٧٤٩٨) . و (مسلم) (٢١٧٤/٤) كتاب الجنة ، حديث رقم (٢-٢٨٢٤) و ص ٢١٧٥ نفس المصدر حديث (٤) . المحقق .

(٤) حديث « سهل بن سعد الساعدي » ، عند مسلم ، يَقُولُ : شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : مَجْلِساً ، وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ ، حَتَّى انْتَهَىٰ . ثُمَّ قَالَ صلى الله عليه وسلم - في آخِرِ حَدِيثِهِ - : « فِيهَا مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ » . الحديث صحيح مسلم (٢١٧٥/٤) - كتاب الجنة - حديث (٢٨٢٥/٥) . المحقق .

(٥) حديث سهل بن سعد ، المذكور ، في (الفتح ٣١٩/٦) كتاب بدء الخلق ، باب (٨) ، حديث رقم (٣٢٥٠) . المحقق .

قال « ابن القيم » ، رحمه الله[1] : وكيف يقدر قدر دار ، غرسها الله تعالى : بيده الكريمة ، وجعلها مقرّاً لأحبائه ، وملأها : من كرامته ، ورحمته ، ورضوانه ، ووصف نعيمها : بالفوز العظيم ، وملكها : بالملك الكبير ، وأودعها : جميع الخير بحذافيره ، وطهرها : عن كل عيب ، وآفة ، ونقص[2] ؟ .

فإن سألت : عن أرضها وتربتها ؟ فهي المسك ، والزعفران[3] .

وإن سألت : عن سقفها ؟ فهو عرش الرحمن[4] .

وإن سألت عن مِلاطِها[5] ؟ فهو المسك الأذفر[6] .

---

(١) (رحمه الله) في الأصل : « رح » . المحقق .

(٢) يدل له حديث أنس / عند البيهقي ، رفعه : « إِنَّ اللَّهَ بَنَى الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ » إلخ الحديث . وقد ضعّفه السيوطي ، في (الجامع الصغير) ١/٦٨ ولكن يعضده أحاديث كثيرة ، ذكرها ابن القيم في (حادي الأرواح) ؛ منها : حديث أنس / عند أبي الدنيا ، يرفعه : « خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ : لَبِنَةٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضَاءَ . وَلَبِنَةٌ مِنْ يَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ زَبَرْجَدَةٍ خَضْرَاءَ . مِلاَطُهَا : الْمِسْكُ ، وَحَصْبَاؤُهَا : اللُّؤْلُؤُ ، وَحَشِيشُهَا : الزَّعْفَرانُ » . . الحديث . ثم توّج ذلك : بحديث « سعيد » عند مسلم رفعه بلفظ : « سأل مُوسَىٰ رَبَّهُ : مَا أَدْنىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً ؟ . . . الحديث إلى أن قال في أعلاهم منزلة : « أُولَئِكَ الَّذِينَ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي ، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا : فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبٍ » . المحقق .

(٣) يدل له حديث « أبي هريرة » عند أحمد . وورد به : قُلْنَا : يَارَسُولَ اللَّهِ ! حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ : مَا بِنَاؤُهَا ؟ قَالَ : « لَبِنَةُ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ . وَمِلاَطُهَا : الْمِسْكُ . وَحَصْبَاؤهَا : اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ . وَتُرَابُهَا : الزَّعْفَرانُ . مَنْ يَدْخُلُهَا : يَنْعَمُ . لا يَبْأَسُ . وَيَخْلُدُ ، لاَيَمُوتُ . لاَتَبْلَىٰ ثِيَابُهُ . وَلاَ يَفْنَىٰ شَبَابُهُ . » . إلخ الحديث . ذكره ابن القيم في (الحادي) . المحقق .

(٤) ذكر ابن القيم في (الحادي) قول صالح بن عبد الكريم : قال لنا فضيل بن عياض : أتدْرون : لم حسنت الجنة ؟ لأن عرش ربِّ العالمين : سَقْفُها . وذكر ابن القيم أحاديث تشير إلى ما قاله فضيل . فارجع إليه إن شئت . المحقق .

(٥) (الملاط) بكسر الميم . هو ما يُطلىٰ به الحائط ، من الطين ونحوه . المحقق .

(٦) يدل له حديث « ابن عمر » عند (ابن مردويه) ؛ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ عَنِ الْجَنَّةِ ؟ . . . إلى أن قال : قِيلَ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ بِنَاؤُهَا ؟ قَالَ : « لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ . وَمِلاَطُهَا : مِسْكٌ أَذْفَرُ . وَحَصْبَاؤُهَا : اللُّؤْلُؤُ ، وَالْيَاقُوتُ . وَتُرَابُهَا : الزَّعْفَرَانُ » وفي رواية أخرى بزيادة « وَطِينُهَا : الْمِسْكُ » . ذكره ابن القيم ، في المصدر المتقدم . ومعنى « أذفر » : جيّد للغاية . أو « الذي لا خلط له » كما جاء مفسّراً في بعض الروايات . المحقق .

وإن سألت عن حصبائها ؟ فهي اللؤلؤ والجوهر[١] .

وإن سألت عن بنائها ؟ فلبنة من فضة ، ولبنة من ذهب[٢] .

وإن سألت عن أشجارها ؟ فما فيها شجرة ، إلا وساقها من ذهب ، أو فضة . لا من الحطب والخشب[٣] .

وإن سألت عن ثمرها ؟ فأمثال القِلال ، ألين من الزّبد ، وأحلى من العسل[٤] .

وإن سألت عن ورقها ؟ فأحسن ما يكون ، من رقاق الحلل[٥] .

وإن سألت عن أنهارها ؟ « فَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ ، لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَنْهارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى »[٦] .

وإن سألت عن طعامهم ؟ « فَفَاكِهَةٌ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ . وَلَحْمُ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ »[٧] .

وإن سألت عن شرابهم ؟ « فَالتَّسْنِيمُ ، وَالزَّنْجَبِيلُ ، وَالْكَافُورُ »[٨] .

وإن سألت عن آنيتهم ؟ فآنية الذّهب والفضة ، في صفاء القوارير[٩] .

---

(١) يدلّ له : الحديث المتقدم . المحقق .

(٢) يدل له نفس الحديث المتقدم . المحقق .

(٣) يدل له حديث « أبي هريرة » عند الترمذي . ذكره ابن القيم في (الحادي) . المحقق .

(٤) (القِـلال) بكسر القاف : خُشُبٌ ، تُرفع بها الكروم ، من الأرض . المعجم الوسيط . ويدل له حديث ابن عباس ، رواه ابن المبارك بلفظ : « وَثَمَرُهَا : أَمْثَالُ الْقِلَالِ ، وَالدِّلَاءِ . إلخ » . ذكره « ابن القيم » في المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) لم أعثر على دليل : من الكتاب أو السنة : ينص على هذا . المحقق .

(٦) مقتبس من الآية (١٥) سورة محمد . المحقق .

(٧) مقتبس من الآيتين (٢٠ ، ٢١) سورة الواقعة . المحقق .

(٨) مقتبس من الآيات (٢٥-٢٧) سورة المطففين ، و (٥ ، ١٧ ، ١٨) سورة الدهر . المحقق .

(٩) مقتبس من الآيتين (١٥ ، ١٦) سورة الدهر . المحقق .

وإن سألت عن سعة أبوابها ؟ فبين المصراعين : مسيرة أربعين من الأعوام . وليأتينّ عليه يوم ، وهو كظيظ من الزحام[1] .

وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها ؟ فإنها تستفزّ بالطرب لمن يسمعها[2] .

وإن سألت عن ظلها ؟ ففيها شجرة واحدة ، يسير الراكب المجدّ السريع : في ظلها « مائة عام » ، لا يقطعها[3] .

وإن سألت عن سعتها ؟ فَأَدْنَىٰ أَهْلِهَا : يَسِيرُ فِي مِلْكِهِ وَسُرُرِهِ وَقُصُورِهِ.

---

(١) مقتبس من خطبة لعتبة بن غزوان ، وهي في صحيح مسلم (٤/٢٢٧٨) ، كتاب الزهد ، حديث رقم (١٤) وإليكم نصها : عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ ؛ قَالَ : خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ؛ فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ! فَإِنَّ الدُّنْيَا ، قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ . وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا : إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ ، يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا . وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا : إِلَىٰ دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا . فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ . فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا : أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ ، فَيَهْوِي فِيهَا : سَبْعِينَ عَاماً ، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً . وَوَاللَّهِ ! لَتُمْلَأَنَّ . أَفَعَجِبْتُمْ ؟

وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا : أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ ، مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ : مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ ، وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ .

وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي : سَابِعَ سَبْعَةٍ ، مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ مَا لَنَا طَعَامٌ ، إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ . حَتَّىٰ قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا . فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً ، فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا .

فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ : إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً ، عَلَىٰ مِصْرٍ مِنَ الْأَمْصَارِ .

وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ : أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي : عَظِيماً ، وَعِنْدَ اللَّهِ : صَغِيراً .

وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ ، إِلَّا تَنَاسَخَتْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا : مُلْكاً . فَسَتَخْبُرُونَ ، وَتُجَرِّبُونَ : الْأُمَرَاءَ بَعْدَنَا . هذا نص الخطبة . آثرت إثباتها هنا بكاملها ، لما تتضمنه : من عظات بالغة ، وإرشادات حكيمة غالية . المحقق .

(٢) في الأصل : (تستقر بالطرب لم تسمعها) ، والتصحيح من (الحادي) ص ٣٢٢ ، تحقيق الدكتور السيد الجميلي ، نشر دار الكتاب العربي . المحقق .

(٣) مقتبس من حديث « أبي سعيد الخدري » رفعه ، عند مسلم (٤/٢١٧٦) ، كتاب الجنة ، باب (١) ، حديث (٢٨٢٨) : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً ، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادُ ، الْمُضَمَّرُ ، السَّرِيعُ : مِائَةَ عَامٍ ، مَا يَقْطَعُهَا » . ونحوه في البخاري وغيره . المحقق .

وَبَسَاتِينِهِ : مَسِيرَةَ أَلْفَيْ عَامٍ[١] .

وإن سألتَ عن خيامها ، وقبابها ؟ فالخيمة الواحدة : من درّة مجوّفة ، طولها : ستون ميلا ، من تلك الخيام[٢] .

وإن سألت : عن علاليها ، وجواسقها ؟ فهي غرف مبنية ، تجري من تحتها الأنهار[٣] .

وإن سألت : عن ارتفاعها ؟ فانظر إلى الكوكب الطالع ، والغارب في الأفق ، الذي لا يكاد تناله[٤] الأبصار .

---

(١) دليله ما رواه أحمد ، عن « ابن عمر » ، رفعه : « إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً : لَيَنْظُرُ فِي مِلْكِهِ ، أَلْفَيْ سَنَةً » ، يرىٰ أَقْصَاهُ ، كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ . يَنْظُرُ فِي أَزْوَاجِهِ ، وَخَدَمِهِ . وَإِنَّ أَفْضَلَهُمْ لَيَنْظُرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ تَعَالَىٰ ، كُلَّ يَوْمٍ : مَرَّتَيْنِ » .

« مسند أحمد » جـ ٢ ص ١٣ . وقريب منه في اللفظ ، عند الترمذي ، في الجنة ، باب (١٧) ، حديث رقم (٢٥٥٣) . إلا أنه قال : « ألف سنة » بدل « ألفين » . المحقق .

(٢) في حديث « أبي عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس الأشعري ؛ عن أبيه ، رفعه / عند البخاري ، في الفتح (٣١٨/٦) ، كتاب بدء الخلق ، باب (٨) ، حديث (٣٢٤٣) : « الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ مُجَوَّفَةٌ ، طُولُهَا - فِي السَّمَاءِ - : ثَلاثُونَ مِيلاً . فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ مِنْهَا لِلْمُؤْمِنِ : أَهْلٌ ، لَا يَرَاهُمُ الآخَرُونَ » .

قال البخاري : قال أبو عبد الصمد ، والحارث بن عُبيد (عن أبي عمران) : « سِتُّونَ مِيلاً » .

وفي حديثه أيضاً ، عند البخاري ، في الفتح (٦٢٤/٨) ، كتاب التفسير . باب « حور مقصورات » حديث رقم (٤٨٧٩) بنحو الحديث المتقدم ، إلا أنه قال : « من لؤلؤة » بدل « من دُرّة » . وقال : « عَرْضُها سِتُّونَ مِيلًا » بدل : « طولها » الخ .

وعنه / عند مسلم ؛ (٢١٨٢/٤) كتاب الجنة ، باب (٩) ، حديث (٢٣-٢٨٣٨) : بنحو الحديث الثاني ، للبخاري ، إلا أنه قال : « طولها » بدل : « عرضها » .

وحديث آخر رقم (٢٤) . قال فيه : « عرضها » .

وحديث رقم (٢٥) بص ٢١٨٣ ، لفظه : « الْخَيْمَةُ دُرَّةٌ ، طُولُهَا - فِي السَّمَاءِ - : سِتُّونَ مِيلاً . . الحديث » . المحقق .

(٣) مقتبس من الآية (٢٠) من سورة الزمر . المحقق .

(٤) مقتبس من حديث « أبي سعيد الخدري » المتفق عليه . وهو في البخاري (٢٣٣/٦ ، ٢٣٤) . وفي مسلم (١١-٢٨٣١) . وفي رياض الصالحين (١٨٨٧/٨) . المحقق .

وإن سألت : عن لباس أهلها ؟ فهو الحرير ، والذهب[1] .

وإن سألت : عن فرشهم ؟ فَبَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ »[2] ومفروشة في أعلى الرتب .

وإن سألت : عن أرائكها ؟ فهي الأسرّة ، عليها البشخانات (. وهي الحجال) : زُرّت بأزرار الذّهب ، فما لهن من فروج ولا خلال[3] .

وإن سألت : عن وجوه أهلها ، وحسنهم ؟ فعلى صورة القمر[4] .

وإن سألت : عن أسنانهم ؟ فأبناء ثلاث وثلاثين ، على صورة آدم . أبي البشر[5] .

وإن سألت : عن سماعهم ؟ فغناء أزواجهم ، من الحور العين[6] .

---

(١) مقتبس من قوله تعالى : « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ » (٢٣) . الحج . المحقق .

(٢) مقتبس من الآية (٥٤) سورة الرحمن . المحقق .

(٣) مقتبس من قوله تعالى في سورة الواقعة ، الآية (١٥) : « عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ » ، ومن نصوص أخرى . المحقق .

(٤) مقتبس من حديث « أبي هريرة » ، في الصحيحين : البخـاري ، كتاب بدء الخلق ، باب (٨) ، الفتح (٣١٨/٦ ، ٣١٩) حديث رقم (٣٢٤٥) ، (٣٢٤٦) ، (٣٢٤٧) .
ومسلم ، عنه (٢١٧٨/٤) كتاب الجنة ، باب (٦) ، حديث (١٤-٢٨٣٤) ، حديث (١٥) ، (١٦) . المحقق .

(٥) مقتبس من أحاديث كثيرة صحيحة ، منها : حديث (أبي داود) ، عن أنس ، رفعه ، بلفظ : « يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ ، عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ ، فِي مِيلَادِ عِيسَىٰ : ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ، جُرْداً ، مُرْداً ، مُكَحَّلِينَ . ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ : إِلَىٰ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا . لَاتَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ » . الحديث ذكره ابن كثير ، عند تفسير قوله تعالى ، في سورة الواقعة . « عُرُباً أَتْرَاباً لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ » . هذا ؛ وكلمة « ثلاث وثلاثين » . في الأصل بدون ألف . المحقق .

(٦) مقتبس من حديث « أبي يعلى » ، عن أنس ، رفعه : « إِنَّ الْحُورَ الْعِينَ ، لَيُغَنِّينَ في الْجَنَّةِ ، يَقُلْنَ : نَحْنُ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ، خُبِّئْنَا لِأَزْوَاجٍ كِرَامٍ » ذكره ابن كثير ، وصححه (عند تفسير قوله تعالى ، في سورة الواقعة « عُرُباً أَتْرَاباً »). قال : وقد روى هذا الحديث : الإمام عبد الرحيم بن إبراهيم الملقب بدحيم . . . ووصل السند إلى أنس ، رفعه بلفظ : « إِنَّ الْحُورَ الْعِينَ يُغَنِّينَ فِي الْجَنَّةِ : نَحْنُ الْحُورُ الْحِسَانُ ، خُلِقْنَا لِأَزْوَاجٍ =

وأعلى منه : سماع أصوات الملائكة[1] . وأعلى منها : سماع خطاب ربّ العالمين[2] .

وإن سألت : عن مطاياهم التي يتزاورون عليها ؟ فنجائب ، أنشأها الله مما يشاء ، ، تسير بهم حيث شاءوا من الجنان[3] .

وإن سألت عن حُليّهم ؟ فأساور الذّهب ، واللؤلؤ . وعلى الرؤوس :

= كِرَامٍ » . وورد أنهن يقلن أيضاً : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ ، فَلاَ نَبِيدُ . وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ ، فَلاَ نَبْأَسُ . . وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ ، فَلاَ نَسْخَطُ . طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ لَنَا ، وَكُنَّا لَهُ » .

الحديث عند الترمذي ، في كتاب الجنة . وعند أحمد في (١٥٦،١) وذكره ابن كثير في نفس المصدر عن الترمذي . ثم حكى قوله : هذا حديث غريب . المحقق .

(١) (أصوات الملائكة) مقتبس من قوله تعالى : « وَالْمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ . سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » (٢٣ ، ٢٤) الرعد . المحقق .

(٢) مقتبس من حديث « أبي سعيد الخدري » ، المتفق عليه . وهو في البخاري (١١ / ٣٦٣ ، ٣٦٤) . وفي مسلم (٤/٢١٧٦) كتاب الجنة ، باب (٢) ، حديث (٩/٢٨٢٩) . وفي رياض الصالحين ، حديث (١٥-١٨٩٤) .

وكذلك من تسليم الله على أهل الجنة « سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَّحِيمٍ » . كما في حديث جابر ، في الرؤية ، وأنه تعالى : يُشْرِفُ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَيَقُولُ : سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ . يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! فَيَرَوْنَهُ عَيَاناً » . وفي هذا : إثبات الرؤية ، والتكليم ، والعلو . ومقتبس أيضاً ، من حديث « أبي هريرة » ، في سوق الجنة ، وقول النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : « وَلاَ يَبْقَىٰ أَحَدٌ - فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ - إِلَّا حَاضَرَهُ اللَّهُ مُحَاضَرَةً ؛ فَيَقُولُ : يَافُلاَنُ ! أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا ؟ » . . الحديث . ومن حديث « عدي بن حاتم » : « مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . ومن حديث « أبي هريرة » الذي فيه : « يَقُولُ الرَّبُّ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ : أَلَمْ أُكْرِمْكَ وَأُسَوِّدْكَ ؟ » . . الحديث . وحديث « أنس » ، في يوم المزيد ومخاطبته سبحانه ، فِيهِ لأَهْلِ الْجَنَّةِ ، مِرَاراً » . قال ابن القيم ، في (الحادي) : وبالجملة ؛ فتأمل أحاديث الرؤية : تجد في أكثرها : ذكر التكليم . قال البخاري - في صحيحه - (باب كلام الرب ، تبارك وتعالى : مع أهل الجنة) . وساق فيه عدة أحاديث . فأفضل نعيم أهل الجنة : رؤية وجهه تباركُ وتعالى ، وتكليمه لهم اهـ . المحقق .

(٣) دليله ما ذكره (القرطبي) ، في « التذكرة » ، ص ٥٦٥ ؛ قال : ذكر ابن المبارك ، عن شقي بن ماتع ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ مِنْ نَعِيمِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : أَنَّهُمْ لَيَتَزَاوَرُونَ عَلَى الْمَطَايَا ، وَالنُّجُبِ . وَأَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ - فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ - : بِخَيْلٍ مُسْرَجَةٍ ، وَمُلْجَمَةٍ ، لاَ تَرُوثُ ، وَلاَ تَبُولُ . يَرْكَبُونَهَا ، حَتَّىٰ يَنْتَهُوا حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ » . المحقق .

ملابس التيجان(١) .

وإن سألت عن غلمانهم ؟ فولدان مخلّدون ، كأنهم لؤلؤ مكنون(٢) .

وإن سألت عن أنسهم(٣) ، وأزواجهم ؟ فهنّ الكواعب الأتراب(٤) ، اللاتي جرىٰ في أعضائهن ماء الشباب .

فَلِلَوْنِ ، التّفاح : ما أُلْبِسَتْه الخدود(٥) . وللرمان : ما تضمنته النهود(٦) .

وللؤلؤ المنظوم : ما حوته الثغور(٧) .

وللدقة ، واللطافة : مادارت عليه الخصور(٨) .

تجري الشمس في محاسن وجهها ، إذا برزتْ(٩) .

ويضيء البرق من ثناياها ، إذا تبسّمتْ(١٠) .

---

(١) مقتبس من حديث « أبي هريرة » عن « أبي أمامة » يرفعه ، عند ابن أبي حاتم . ولفظه - كما في تفسير ابن كثير (٥٥٧/٣) ، عند تفسير قوله تعالى : « يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً » سورة فاطر :« مُسَوَّرُونَ : بالذَّهَبِ ، وَالْفِضَّةِ ، مُكَلَّلَةً بالدُّرِّ . وَعَلَيْهِمْ : أَكَالِيلُ مِنْ دُرٍّ ، وَيَاقُوتٍ ، مُتَوَاصِلَةً . وَعَلَيْهِمْ تَاجٌ ، كَتَاجِ الْمُلُوكِ . شَبَابٌ جُرْدٌ ، مُكْحُولُونَ » . المحقق .

(٢) مقتبس من الآية (١٩) من سورة الدّهر . المحقق .

(٣) في (حادي الأرواح) ، وهو الصواب : « عن عرائسهم » ، بدل : « عن أنسهم » . المحقق .

(٤) مقتبس من الآية (٣٣) سورة النبأ . المحقق .

(٥) وذلك لما يشوب بياض خدودهن ، من حمرة وردية تشبه حمرة التفاح . المحقق .

(٦) وذلك تفسير لوصفهنّ بالكواعب . جمع (كاعب) . قال الكلبي : « هنّ الفَلِكات » ، اللواتي تكعّب ثُدِيُّهنَّ ، وتفلّكتْ - يعني : استدارت - قال : وأصل اللفظة ، من الاستدارة . والمراد : أن ثُدِيَّهُنَّ نواهد ، كالرّمان . ليست متدلية إلى أسفل . ويسمَّيْن : « نواهد وكواعب » اهـ مستفاد من (الحادي) . المحقق .

(٧) أي ما حوته أفواههنّ من أسنان ، صغيرة ، ناصعة البياض ، تشبه اللؤلؤ المنظوم ، في سلك ونحوه . المحقق .

(٨) (الخصور) جمع : « خصر » . وخصر الإنسان : وسطه . والمراد : دقّة وسطها وضموره ولطافته . المحقق .

(٩) أي أنها إذا ظهرت - من خبائها - كان لوجهها نور يتلألأ ، من شدة حسنه وجماله . المحقق .

(١٠) دليله حديث « ابن مسعود » ، عند أبي نعيم ، رفعه ؛ بلفظ : « يَسْطَعُ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءَ ، ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا » . هذا ؛ وكلمة : « يضيء » . في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

إذا قابَلْتَ وجهها : فقل ما شئت ، في تقابل النيّرين[1] .

وإن حادَثْتها : فما ظنك بمحادثة الحبيبين[1] ؟

وإن ضممتها إليك : فما ظنّك بتعانق الغصنين[1] ؟

يرى وجهها[2] في صحن خدّها ، كما يرى في المرآة التي جلّاها صَيْقَلها[2] .

ويرى مخ ساقها : من وراء اللحم . ولا يستر[3] جلدها ولا عظمها ولا حللها[3] .

لو اطلعت على الدنيا ، لملأت ما بين السماء والأرض[4] ريحاً .

---

(١) المقصود بالنيّرين ، والحبيبين ، والغصنين : الزوج والزوجة ، من أهل الجنة . المحقق .

(٢) أي أن خدّها كالمرآة المجلوّة الصافية . بحيث يرى زوجها وجهه فيه ، كما يرى الصّيقل الذي يجلو المرآة : وجهه فيها ، وهو يجلوها . هذا ، والصواب : « يرى وجهه » . وليس : « يرى وجهها » كما في الأصل . المحقق .

(٣) الصواب : « ولا يستره » . أي : لا يستر جلدها ، ولا عظمها ، ولا حللها : مخّ ساقها . بل يرى زوجها مخ ساقها من وراء كل هذه الحوائل . ويدل له ، ما ذكره ابن كثير ، عند تفسير قوله تعالى ، في سورة الرحمن : « كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ » ، فذكر حديث « ابن مسعود » ، عند « ابن أبي حاتم » ، رفعه ؛ بلفظ : « إنَّ الْمَرْأَةَ مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ : لَيُرَىٰ بَيَاضُ سَاقِهَا ، مِنْ وَرَاءِ سَبْعِينَ حُلَّةً مِنْ حَرِيرٍ ، حَتَّىٰ يُرَىٰ مُخُّهَا . وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ : « كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ . . . » الحديث . وهكذا رواه الترمذي . ورواه أيضاً موقوفاً . وقال : وهو أصح . وذكر ابن كثير ، حديث « أبي هريرة » ، عند أحمد ، رفعه ؛ بلفظ : « لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ : زَوْجَتَانِ ، مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، عَلَىٰ كُلِّ وَاحِدَةٍ : سَبْعُونَ حُلَّةً ، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهَا ، مِنْ وَرَاءِ الثِّيَابِ » . وذكر أيضاً حديثاً لمسلم ، قد سبق ذكره . (وهو معضّد لما ذكر) ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنَّ أَوَّلَ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ » . . إلى أن قال : « لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ : زَوْجَتَانِ اثْنَتَانِ ، يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ . . » الحديث . المحقق .

(٤) دليله ما ورد في البخاري ، وفي مسند أحمد ، عن أنس ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَوْ رَوْحَةٌ : خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا » إلى أن قال : « وَلَو اطَّلَعَتِ امْرَأَةٌ ، مِنْ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، إِلَى الْأَرْضِ : لَمَلأَتْ مَا بَيْنَهُمَا رِيحاً . وَلَطَابت مَا بَيْنَهُمَا » . هكذا في ابن كثير (٤/ ٢٧٨) . وفي (حادي الأرواح) لابن القيم : « وَلَأَضَاءَتْ مَا بَيْنَهُمَا » . « وَلَنَصِيفُهَا عَلَىٰ رَأْسِهَا : خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا ، وَمَا فِيهَا » . المحقق .

ولا ستنطقت أفواه الخلائق : تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً[1] .

ولتزخرف لها : ما بين الخافقين .

ولأغمضت عن غيرها : كل عين . ولطمست ضوء الشمس ، كما تطمس الشمس : ضوء النجوم [2] .

ولآمن من على ظهرها ، بالله الحيّ القيوم .

نصيفها على رأسها : خير من الدنيا، وما فيها [3] .

ووصالها أشهى إليه : من جميع أمانيها[4]. لا تزداد على تطاول الأحقاب : إلّا حسنا وجمالاً .

ولا تزداد لها - على طول المدى - : إلا محبة ووصالا . مبرأة : من الحمل والولادة ، والحيض والنفاس[5] .

مطهرة : من المخاط ، والبصاق ، والبول ، والغائط ، وسائر الأدناس[6] .

---

(١) أي : من شدّة انبهارهم وإعجابهم . المحقق .

(٢) وذلك من شدة نور وجهها . ودليله : ما ذكره « ابن أبي الدنيا » ، عن « سعيد بن جبير » ؛ قَالَ : سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، يَقُولُ : « لَوْ أَنَّ حَوْرَاءَ أَخْرَجَتْ كَفَّهَا - بَيْنَ السَّمَاءِ ، وَالأَرْضِ - : لَافْتَتَنَ الْخَلَائِقُ بِحُسْنِهَا . وَلَوْ أَخْرَجَتْ نَصِيفَهَا ، لَكَانَتِ الشَّمْسُ عِنْدَ حُسْنِهَا : مِثْلَ الْفَتِيلَةِ فِي الشَّمْسِ لَا ضَوْءَ لَهَا . وَلَوْ أَخْرَجَتْ وَجْهَهَا ، لأَضَاءَ حُسْنُهَا : مَابَيْنَ السَّمَاءِ ، وَالأَرْضِ » . مستفاد من (الحادي) لابن القيم . المحقق .

(٣) دليله الحديث الذي تقدم ذكره آنفا . وهو في ابن كثير ، والحادي . كما تقدم . هذا ؛ ومعنى « النصيف » : نصف الشيء . وكلّ ما غطّى الرأس : من خمار ، أو عمامة . وجمعه : « أنصفة » . أفاده المعجم الوسيط . المحقق .

(٤) هكذا في الأصل ، وفي (الحادي) : « من جميع أمانيها » . والصواب - فيما أرى - : « من جميع أمانيه » . أي أن وصالها أحبّ إليه ، وألذّ وأشهى : من كل ما يتمناه في الجنة . هذا طبعاً ؛ ما عدا رؤية الله تعالى وتكليمه . المحقق .

(٥) دليله : ما روي عن مجاهد ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، موقوفاً عليهم . مستفاد من تفسير ابن كثير (٦٣/١) ، والحادي . المحقق .

(٦) دليله ما تقدم . وأيضاً ما رواه « أبو سعيد » عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ . قال : « مِنَ الْحَيْضِ ، وَالْغَائِطِ ، وَالنُّخَامَةِ ، وَالْبُصَاقِ » . انظر (الحادي) ص ٢٥٨ . المحقق .

لا يفنىٰ شبابها . ولا تبلى ثيابها[1] . ولا يَخْلَقُ ثوب جمالها . ولا يُملّ طيب وصالها[2] ؛

فقد قصرت طرفها على زوجها ، فلا تطمح إلى أحد سواه . وقصرت طرفه عليها ، فهي غاية أمنيته وهواه[3] .

إن نظر إليها : سرّته . وإن أمرها : أطاعته . وإن غاب عنها : حفظته . فهو معها في غاية الأماني ، والأمان .

هذا ، ولم يطمثها إنس قبلهم ، ولاجانّ[4] .

كلما نظر إليها : ملأتْ قلبه سروراً . وكلما حدّثته : ملأت أذنه لؤلؤاً[5] منظوماً منثوراً .

وإن برزت : ملأت القصر والغرفة ، نورا .

وإن سألت عن السن ؟ فأتراب ، في أعدل سنّ من الشباب[6] .

وإن سألت عن الحسن ؟ فهل رأيت : الشمس والقمر ؟

---

(١) دليله ما ذكره « ابن كثير » ، عند تفسير آية الواقعة : « إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً . . إلخ » ، عن أنس ، رفعه ؛ بلفظ : « يُبْعَثُ أَهْلُ الْجَنَّةِ : عَلَىٰ صُورَةِ آدَمَ ، فِي مِيلَادِ عِيسَىٰ - ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ - جُرْداً ، مُرْداً ، مُكْحَلِينَ . ثُمَّ يُذْهَبُ بِهِمْ إِلَىٰ شَجَرَةٍ فِي الْجَنَّةِ ، فَيُكْسَوْنَ مِنْهَا ، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُمْ ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُمْ » . تفسير ابن كثير (٢٩٣/٤) ، مطبعة الحلبي بالقاهرة . المحقق .

(٢) مستنبط من عدة أحاديث ، تضمنها (حديث الصور) الطويل ، الذي قال عنه (أبو الحجاج الحافظ) : هذا الحديث : مجموع من عدة أحاديث ، ساقه إسماعيل ، أو غيره ، هذه السياقة . وشرحه « الوليد بن مسلم » في كتاب مفرد . وماتضمنه : معروف في الأحاديث . ذكره صاحب (الحادي) . المحقق .

(٣) مقتبس من قوله تعالى : « قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ » . ومن قوله ، صلى الله عليه وسلم : « نِسَاءُ الْجَنَّةِ مَقْصُورَاتٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ ، لَا يَبْغِينَ بِهِمْ بَدَلاً » . ومن نصوص أخرى . هذا ؛ وكلمة : « أمنيته » كتبت في الأصل : « امنية » . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٤) مقتبس من الآية (٥٦) سورة الرحمن . المحقق .

(٥) (لؤلؤا) . في الأصل : « لؤلؤ » بدون ألف . والصواب : ما أثبتناه ، لأنه مفعول به منصوب . المحقق .

(٦) وهو « الثالثة والثلاثون » ، كما تقدم ، في بعض الأحاديث . المحقق .

وإن سألت عن الحَدَق ؟ فأحسن سواد ، في أصفى بياض ، في أحسن حوَر[1]؟ .

وإن سألت عن القدود ؟ فهل رأيت : أحسن الأغصان[2] .

وإن سألت عن النهود ؟ فهي الكواعب ، نهودهنّ كألطف الرمان[3] .

وإن سألت عن اللون ؟ فكأنهنّ الياقوت والمرجان[4] .

وإن سألت عن حسن الخلق ؟ فهنّ الخيرات الحسان ، اللاتي جُمِعَ لهُنَّ بين الحسن والإحسان ، فأعطين جمال الباطن والظاهر . فهن أفراح النفوس ، وقرة[5] النواظر .

وإن سألت عن حسن العشرة ، ولذّة ما هناك ؟ فهن العُرُب المتحبّبات إلى الأزواج : بلطافة التعبل[6] ، التي تمتزج بالروح أيّ امتزاج[7] .

فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها : أضاءت الجنة من ضحكها[8] ؟

---

(١) وهو تفسير للحوَر ، في قوله تعالى : « حُورٌعينٌ » . المحقق .

(٢) (القدّ) هو القامة والاعتدال . أي أنها في اعتدال قامتها ورشاقة قوامها : كأحسن الأغصان . المحقق .

(٣) أي أن أثداءهنّ مرتفعة بارزة مستديرة ، كاستدارة الرّمان اللطيف . وهو تفسير لقوله تعالى : « وكواعب » أي : نواهد . المحقق .

(٤) مقتبس من الآية (٥٨) . من سورة الرحمـٰن . المحقق .

(٥) وهذا الذي ذكره ، تفسير لقوله تعالى : « خيْرات » على أن الياء هنا « مخففّة » من الياء المشدّدة . وأصلها : « خيرّات » كسيّدات . جمع « خيِّرة » كسيّدة . المحقق .

(٦) الصواب : (التّبعُّل) . وليس « التعبل » . وهو لا شك من الخطأ في النسخ . والذي ذكره المؤلف هو تفسير لكلمة « عُرُب » بضم العين والراء . جمع « عَروب » بفتح العين . (والعُرب) : هنّ العواشق لأزواجهّن . وأزواجهنّ لهنّ عاشقون . كما نقله ابن كثير عن ابن عباس ، عند تفسيره لقوله تعالى : في سورة الواقعة « عُرُباً أَتْرَاباً » . المحقق .

(٧) أي أنها لذة جسدية وروحية معاً . المحقق .

(٨) يدل له : ماروّاه « أبو نعيم » عن ابن مسعود ، رفعه ، بلفظ : « يَسْطَعُ نُورٌ فِي الْجَنَّةِ ، فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ ، فَإِذَا هُوَ مِنْ ثَغْرِ حَوْرَاءَ ، ضَحِكَتْ فِي وَجْهِ زَوْجِهَا » . ذكره « ابن القيم » ، في (الحادي) . المحقق .

وإذا انتقلت من قصر إلى قصر ، قلت : هذه الشمس ، متنقّلة في بروج فلكها .

وإذا حاضرت زوجها : فياحسن تلك المحاضرة[1] ! وإن خاصَرته : فيالذّة تلك المعانقة ، والمخاصرة[1] !

حديثها[2] السحر الحلال لو انّه ... لم يَجْن قَتْلَ المسلم المتحرز

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ... ودّ المحدث أنها لم توجز

إن غنت ، فيالذّة الأبصار والأسماع[3] ! وإن آنستْ وأمتعتْ : فياحبذا تلك المؤانسة ، والإمتاع !

وإن قبّلتْ : فلا أشهىٰ من ذلك التقبيل .

وإن نوّلتْ : فلا ألذّ ولا أطيب ، من ذلك التنويل .

هذا ؛ وإن سألت عن يوم المزيد ، وزيارة العزيز الحميد ، ورؤية الوجه (المنزه عن التمثيل ، والتشبيه) كما ترى الشمس في الظهيرة ، والقمر ليلة البدر - كما تواتر عن الصادق المصدوق : النقل فيه - وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد : من رواية جرير ، وصهيب ،

---

(١) (المحاضرة) . المجالسة ، والمحادثة . (والمخاصرة) بالخاء المعجمة : أن يضع كل منهما يده على خاصرة صاحبه (أي وسطه) ، أثناء مشيهما . وهذا يدل على قمة الانسجام بينهما . ثم انظر إلى حسن الجناس بين (حاضرته ، وخاصرته) ، وبين (المحاضرة ، والمخاصرة) . المحقق .

(٢) الصواب : (وحديثها) بزيادة واو ، مراعاة للوزن ، لأنه شعر . هذا ؛ وقد حذفنا العلامة المذكورة في الأصل ، للدلالة على أن ما بعدها : شعر . المحقق .

(٣) دليله مارواه الترمذي ، عن علي ، رفعه ؛ بلفظ : « إنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمُجْتَمَعاً لِلْحُورِ الْعِينِ ، يَرْفَعْنَ بِأَصْوَاتٍ ، لَمْ تَسْمَعِ الْخَلَائِقُ بِمِثْلِهَا ؛ يَقُلْنَ : نَحْنُ الْخَالِدَاتُ ، فَلَا نَبِيدُ . وَنَحْنُ النَّاعِمَاتُ ، فَلَا نَبْأَسُ . وَنَحْنُ الرَّاضِيَاتُ ، فَلَا نَسْخَطُ . طُوبَىٰ لِمَنْ كَانَ لَنَا ، وَكُنَّا لَهُ » . ذكره صاحب (الحادي) . وفي هذا لذة الأسماع بأصواتهن ، ولذة الأبصار برؤيتهنَّ . ويؤيده قوله تعالى ، في سورة الروم : « فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ » فإن (الحبرة) تعم النعيم : بلذة الأسماع والأبصار ، كما يرى « ابن كثير » . المحقق .

وأنس ، وأبـي هريرة ، وأبي موسى ، وأبي سعيد ؟ فاستمـع يوم ينـادي المنادي : « يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! إِنَّ رَبَّكُمْ تَبارَكَ وَتَعَالَىٰ يَسْتَزِيرُكُمْ[(١)] فَحَيَّ عَلَىٰ زِيَارَتِهِ[(٢)] . فَيَقُولُونَ : سَمْعاً وَطَاعَةً . وَيَنْهَضُونَ إِلَى الزِّيَارَةِ ، مُبَادِرِينَ ، فَإِذَا بِالنَّجَائِبِ ، قَدْ أُعِدَّتْ لَهُمْ ، فَيَسْتَوُونَ عَلَىٰ ظُهُورِهَا ، مُسْرِعِينَ ، حَتَّىٰ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى الْوَادِي الْأَفْيَحِ[(٣)] الَّذِي جُعِلَ لَهُمْ مَوْعِداً . وَجُمِعُوا هُنَالِكَ ، فَلَمْ يُغَادِرِ الدَّاعِي مِنْهُمْ أَحَداً : أَمَرَ الرَّبُّ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى : بِكُرْسِيِّهِ ، فَنُصِبَ هُنَاكَ ثُمَّ نُصِبَتْ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ . وَجَلَسَ أَدْنَاهُمْ - وَحَاشَاهُمْ مِنَ الدَّنَاءَةِ[(٤)] - عَلَىٰ كُثْبَانِ الْمِسْكِ ، مَايَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِيِّ : فَوْقَهُمْ فِي الْعَطَايَا . حَتَّىٰ إِذَا اسْتَقَرَّتْ بِهِمْ مَجَالِسُهُمْ ، وَاطْمَأَنَّتْ بِهِمْ أَمَاكِنُهُمْ : نَادَىٰ مُنَادٍ يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللّهِ مَوْعِداً ، يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ . فَيَقُولُونَ : مَا هُوَ ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ، وَيُثْقِلْ مَوَازِينَنَا ، وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ، وَيُزَحْزِحْنَا عَنِ النَّارِ ؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ أَشْرَقَتْ[(٥)] لَهُ الْجَنَّةُ . فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ[(٦)] ، فَإِذَا الْجَبَّارُ ، جَلَّ جَلاَلُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ . قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ، وَقَالَ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ » فَلاَ تُرَدُّ هَـٰذِهِ التَّحِيَّةُ بِأَحْسَنَ مِنْ قَوْلِهِمْ : اللَّهُمَّ ! أَنْتَ السَّلاَمُ ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ : تَبَارَكْتَ ، يَاذَا الْجَلاَلِ

---

(١) (يستزيركم) في الأصل : « يستزيدكم » بالدال المهملة . والصواب : بالراء كما أثبتنا . المحقق .

(٢) (حيّ على زيارته) أي : أقبلوا وعجّلوا . المحقق .

(٣) (الأفيح) أي الواسع جداً . وكذلك « الفيحاء » أي : الواسعة جداً . المحقق .

(٤) في (الحادي) ص ٣٢٤ : « وَحَاشَاهُمْ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ : دَنِيءٌ » . المحقق .

(٥) (أشرقت) . في الأصل : « أشرفت » بالفاء بدل القاف . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٦) (رؤوسهم) . في الأصل : « رؤسهم » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

وَالإِكْرَام ! فيَتجلّىٰ لَهُمُ الرَّبُّ تَبارَكَ ، وَتَعالَى ، يَضْحَكُ إِلَيْهِمْ ، وَيقُولُ : يَاأَهْـلَ الْجَنَّـةِ ! فَيكُـونُ أَوَّلَ مَايَسْمَعُـونَ مِنْـهُ ، تَعالَىٰ : أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ أَطَاعُونِي بِالْغَيْبِ ، وَلَمْ يَرَوْنِي ، فَهَذَا يَوْمُ الْمَزِيدِ ؟ فَيَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ : أَنْ قَدْ رَضِينَا . فَارْضَ عَنَّا . فَيَقُولُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! لَوْ[1] لَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ:لَمْ أُسْكِنْكُمْ جَنَّتِي.هَـٰذَا يَوْمُ الْمَـزِيدِ ، فَاسْأَلُونِي . فَيَجْتَمِعُونَ عَلَىٰ كَلِمَـةٍ وَاحِـدَةٍ : أَرِنَـا وَجْهَكَ ، نَنْظُرْ إِلَيْهِ . فَيَكْشِفُ الرَّبُّ ، جَلَّ جَلاَلُهُ : الْحُجُبَ وَيَتَجَلَّىٰ لَهُمْ ، فَيَغْشَاهُمْ مِنْ نُورِهِ : مَا لَوْلاَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ ، قَضَىٰ أَنْ لاَ يَحْتَرِقُوا : لاَحْتَرَقُوا .

وَلاَ يَبْقَىٰ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَـدٌ ، إِلاَّ حَاضَـرَهُ رَبُّـهُ[2] تَعَـالَى « مُحَـاضَـرَةً ، حَتَّىٰ إِنَّـهُ يَقُـولُ : يَافُلاَنُ ! أَتَذْكُرُ يَوْمَ فَعَلْتَ كَذَا ، وَكَذَا ، وَكَذَا ، وَكَذَا[3]. يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ فِي الدُّنْيَا . فَيَقُولُ : يَارَبِّ ! أَلَمْ تَغْفِرْ لِي ؟ فَيَقُـولُ : بَلَىٰ . بِمَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَـٰذِهِ »[4]: فَيَالَذَّةَ الأَسْمَاعِ بِتِلْكَ الْمُحَاضَرَةِ ! وَيَاقُرَّةَ عيونِ الأبرار : بالنظر إلى وجهه الكريم ، في الدار الآخرة ! ويَاذِلَّة الراجعين بالصفقة الخاسرة : « وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ . وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ »[5] .

---

(١) في (الحادي) ، ص ٣٢٥ : « إِنِّي لَوْلَمْ أَرْضَ عَنْكُمْ » بزيادة : « إني » . المحقق .

(٢) (حاضره ربُّه) . في الأصل : « حاضر ربَّه » . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحا من الحادي ص ٣٢٥ . المحقق .

(٣) في (الحادي) ص ٣٢٥ : كلمة : « كذا » ذكرت مرتين فقط ، لا أربعاً . المحقق .

(٤) ذكره « ابن القيم » في (حادي الأرواح) ص ٣٢٤ ، ٣٢٥ . المحقق .

(٥) الآيات (٢٢ - ٢٥) من سورة القيامة . المحقق .

فحيّ[1] على جنات عَدْنٍ، فإنها منازلك الأولى وفيها المخيَّمُ
ولكنَّنا سَبْيُ العدوِّ[2] فهل ترى نعود إلى أوطاننا ونسلّمُ ؟

هذا خلاصة أبواب (حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح) . وكلها مأخوذ من كتب السنة المطهرة .

وهذا الإجمال : له تفصيل لطيف ، في الكتاب المذكور . وفيما ذكرناه هنا : مقنع وبلاغ لقوم يعلمون .

نسأل الله تعالى : الجنة ، في عفو وعافية ، وحسن خاتمة . ونعوذ به : من النار الحاطمة .

كتاب صفة النّار

وقال النووي : (باب جهنم ، أعاذنا الله منها) .

قلت : ولنا كتاب في حالها ، مبسوط . سميته : (يقظة أولي الاعتبار ، مما ورد في ذكر النار ، وأصحاب النّار) .

وهو أحسن كتاب جمع في هذا الباب ، غير مسبوق لأحد من أولي الألباب ؛

فقد وجدت لابن القيم « رحمه الله »[3]: كتاب الحادي ، في حال

---

(١) هذا والذي بعده : بيتان من الشعر . وقد حذفنا العلامة ، المذكورة في الأصل للدلالة على أن ما بعدها شعر . حذفناها تصرفاً . المحقق .

(٢) (العدوّ) المراد به هنا الشيطان . أي إنّ أصل وطننا الجنة التي كان يسكنها أبوانا : آدم وحواء ، فأخرجهما الشيطان بإغوائه إياهما . فكأنه سبانا ، فنحن في أَسْره ، حتى نتخلص منه باللجوء إلى الله تعالى ، والسّير على منهاجه : فنعود بفضل الله ، إلى الجنة التي أخرجنا منها الشيطان يوم أخرج منها أبوينا . فالعودة إلى الوطن - إذن - سبيلها : العودة إلى الله تعالى . المحقق .

(٣) « رحمه الله » . في الأصل رمز إلى هذه الجملة بالحرفين : (رح) . المحقق .

الجنـة : مستقلًّا ، جامعاً لجميع أحوالها . ولم أجد لأحدٍ كتاباً في حال النار ، جامعاً مستقلًّا ، فألّفْت (اليقظة) ، ثم وقفت على كتاب مختصر ، لابن رجب الحنبلي ، وكلام للقرطبي في تذكرته : في بيان النار ، وماجرياتها[1] .

ووازنت بين كتـابي ذلـك ، وبينهما : فوجدت كتابي أسهل تناولاً ، وأحسن ترتيباً ، وأجمع فصولاً لها[2] . ولله الحمد .

بَابٌ فِي ذِكْرِ أَزِمَّةِ النَّارِ

وهو في النووي ، في : (باب جهنم ، عافانا الله عنها)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، رضي الله عنه[4] . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِـذٍ ، لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ : سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، يَجُرُّونَهَا ») .

---

(١) الصواب : « ومجرياتها » بدون ألف ، بعد الميم . المحقق .

(٢) الضمير في « لها » عائد إلى النار . أعاذنا الله منها . المحقق .

(٣) لو قال « منها » بدل : « عنها » ، لكان أفضل . هذا ؛ ولفظ النووي : « أعاذنا الله منها » ، بدل « عافانا الله عنها » . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . هذا ؛ والمذكور بالمصدر : « عن عبد الله » ، دون ذكر « ابن مسعود » . وإذا أطلق « عبد الله » ، فالمراد به : « ابن مسعود » . المحقق .

(الشَّرح)

فيه : عظم شأن النـار ، وأن لهـا أزمّـة . « والـزمـام » : ما يزّم به الشَي‌ء[1] أي : يشدّ ويربط .

وهذه الأزمّة التي تساق بها « جهنم » ، تمنع من خروجها على أرض المحشر . فلا تخرج منها إلا الأعناق ، التي أمرتْ أن تأخذ : من شاء الله تعالى أَخْذَه .

وهذا الحديث ، رواه الطبراني أيضاً عنه[2] ، مرفوعاً بلفظ : « يُجَاءُ ، بِجَهَنَّمَ تُقَـادُ بِسَبْعِينَ أَلْفَ زِمَـامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَـامٍ : سَبْعُـونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، يَجُـرُّونَهـا » . قال في (مجمع الزوائد) : ورجاله رجال الصحيح ، غير « حفص بن عمر بن الصباح » ، وقد وثّقه ابن حبّان . انتهى .

قال النووي : هذا الحديث ، مما استدركه الدار قطني على مسلم . وقال : « رَفْعُهُ وَهْمٌ » . رواه الثوري ، ومروان ، وغيرهما : عن « العلاء ابن خالـد » ، موقـوفـاً . قلت[3] : وحفصٌ « ثقـة ، حافظ ، إمام » . فزيادته « الرفع » : مقبولة ، كما سبق نقله عن الأكثرين ، والمحققين . انتهى .

ولم يتكلم النووي « رحمه الله »[4] . على هذا الحديث : بشرح .

---

(١) (الشيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) (عنه) أي : عن « عبد الله بن مسعود » . المحقق .

(٣) (قلت) الكلام للنووي ، وهو مذكور في (١٧/١٧٨ ، ١٧٩) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) (رحمه الله) . في الأصل رمز إلى هذه الجملة : بالحرفين « رح » كالمعتاد . المحقق .

بَابُ فِي شِدَّةِ حَرِّ جَهَنَّمَ

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[١] ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه) وآله وسلم ؛ قَالَ : « نَارُكُمْ هَـٰذِهِ ، الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ : جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً[٢] ، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ » قَالُوا : وَاللّٰهِ ! إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً ، يَارَسُولَ اللّٰهِ ! قَالَ : « فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ[٣] جُزْءاً . كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا ») .

(الشَّرح)

وفي حديث « أنس بن مالك » ؛ يرفعه : « إِنَّ نَارَكُمْ هَـٰذِهِ : جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً[٢] مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ ، لَوْلَا أَنَّهَا أُطْفِئَتْ بِالْمَاءِ مَرَّتَيْنِ ، مَا انْتَفَعْتُمْ بِهَا . وَإِنَّهَا لَتَدْعُو اللّٰهَ أَنْ لَا يُعِيدَهَا فِيهَا » رواه ابن ماجه[٤] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (جزءاً) في الأصل : « جزء » بدون ألف في آخرها . والصواب : ما أثبتناه ، لأنها تمييز منصوب . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « وَسِتِّينَ » بدل : « وتسعين » . وكذلك في رواية البخاري ، حديث (٣٢٦٥) ، الفتح (٦/٣٣٠) ، كتاب « بدء الخلق » . وقد أثبت المؤلف ، في الهامش : ما يفيد أنها في بعض النسخ : « وستين » ، كما في مصدر الحديث . وكما في صحيح البخاري . المحقق .

(٤) أشار إليه القسطلاني في (الإرشاد) ٥/٢٨٩ المطبعة الأميرية ببولاق / مصر . المحقق .

قال ولـدي « أبـو الخير » عافـاه الله تعـالى - في هامش اليقظة - : يعني ، أنـه لو جمـع كل ما في الوجود ، من النار التي يوقدها ابن آدم : لكانت جُزْءاً من نار جهنم[1] المذكورة .

وبيانه : أنه لو جمع « حطب الدنيا » ، فأوقد كله ، حتى صار ناراً ، لكان الجزءُ الواحد ، من أجزاء نار جهنم ، الذي هو من « سبعين جزءاً[2] : أشدَّ[3] من حرّ « نار الدنيا » ، كما بينه في آخر الحديث . انتهى .

وفي الباب أحاديث ، ذكرتها في (اليقظة) .

ولم يشرح النووي : هذا الحديث بشيء .

بَابٌ فِي بُعْدِ قَعْرِ جَهَنَّمَ

أجارنا الله تعالى منه .

وذكره النووي ، في (باب جهنم ، أعاذنا الله منها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : « تَدْرُونَ مَا هَـٰذَا ؟» .

(١) هنا ألفاظ سقطت من الناسخ . وأصل العبارة : « لكانت جزءاً ، من سبعين جزءاً ، من نار جهنم » . هذا ؛ وكلمة « جزءاً » . في الأصل بدون ألف في آخرها . والصواب : ما أثبتناه ، لأنها خبر « كان » منصوبة . المحقق .

(٢) (جزءاً) في الأصل : « جزء » بدون ألف في آخرها . والصواب : ما أثبتناه ، لأنها تمييز منصوب . المحقق .

(٣) (أشدَّ) خبر كان . والتقدير : لكان الجزء الواحد من أجزاء نار جهنّم : أشدَّ من حرّ نار الدنيا . المحقق .

قَالَ : قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : هَـٰذَا حَجَرٌ ، رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ ـ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفاً ـ فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ ، حَتَّى انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا ») .

الشرح

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، إذ سمع وجبة) : بفتح الواو ، وإسكان الجيم . وهي « السقطة » .

(فقال النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « أتدرون[2] ما هذا ؟ » قلنا[3] : الله ورسوله أعلم . قال : « هذا حجر ، رمي به في النار - منذ سبعين خريفاً - ، فهويهوي في النار الآنَ ، حتى[4] انتهى إلى قعرها ») .

وفي رواية أخرى ؛ قَالَ : « هَـٰذَا وَقَعَ فِي أَسْفَلِهَا ، فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا[5] » .

قال القرطبي : « الوجبة » : الهَدَّة . وهي صوتُ وَقْعِ الشيء[6] الثقيل . انتهى .

وفي الباب أحاديث كثيرة ، في (اليقظة) ، مذكورة .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « تدرون » بحذف همزة الاستفهام . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « قال : قلنا » . بزيادة : « قال » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - بأنه في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٤) (حتى) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « حين » بدل « حتى » . المحقق .

(٥) هي رواية مسلم عن « مروان » ، عن « يزيد بن كيسان » . أما حديث الباب ، فهو من روايته عن « خلف ابن خليفة » ، عن « يزيد بن كيسان » . هذا ؛ والوارد في رواية « مروان » : « وقال » بزيادة الواو ، قبل « قال » . المحقق .

(٦) (الشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

بَابُ فِي أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في (باب شفاعة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : لأبي طالب ، والتّخفيف عنه بسببه) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٦ جـ ٣ ، المطبعة المصرية

(عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَهْـوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً : مَنْ لَهُ نَعْلاَنِ ، وَشِرَاكَانِ : مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا يَغْلِي الْمِرْجَلُ . مَايَرَىٰ أَنَّ أَحَداً : أَشَدُّ مِنْهُ عَذَاباً . وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَاباً ») .

(الشَّرح)

(عن النعمـان بن بشير ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : إن أهون أهل النار عذاباً : من له نعلان وشراكان) : بكسر الشين . وهو أحد سيور النعل . وهو الذي يكون على وجهها ، وعلى ظهر القدم .

(من نار ، يغلي منهمـا دماغه) . « الغليان » : معروف . وهو شدّة اضطراب الماء ونحوه ، على النار ، لشدة اتّقادها .

يقال : « غلت القدر ، تغلي ، غَلْياً وغلياناً . وأَغْلَيْتُها أنا .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(كما يغلي المرجل) : بكسر الميم ، وفتح الجيم . وهو « قدر معروف » : سواء كان من حديد ، أو نحاس ، أو حجارة ، أو خذف . هذا هو الأصح .

وقال « صاحب المطالع » : وقيل : هو القدر من النحاس ، يعني خاصة . والأول أعرف .

والميم فيه[1] : زائدة .

(ما يرى أن أحداً : أشدّ منه عذاباً . وإنه لأهونهم عذاباً) .

وفي هذا الحديث وما[2] أشبهه : تصريح بتفاوت عذاب أهل النار ، كما أن نعيم أهل الجنة : متفاوت .

وفي حديث « أبي سعيد » ؛ يرفعه : « إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً : رَجُلٌ مُتَنَعِّلٌ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ فِي النَّارِ إِلَىٰ صَدْرِهِ ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ فِي النَّارِ إِلَىٰ تَرْقُوَتِهِ ، مَعَ أَجْزَاءِ الْعَذَابِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ قَدِ انْغَمَسَ فِيهَا » .

رواه البزار[3] . ورجاله : رجال الصحيح .

بَابُ: مَا تَأْخُذُ النَّارُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ

وهو في النووي ، في (باب جهنم ، أعاذنا الله منها)

---

(١) (فيه) أي في « المرجل » ؛ فهو على وزن « مِفْعل » . المحقق .

(٢) (وما) . في الأصل : « واما » بدل : « وما » . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٣) وعنه أيضاً ، عند مسلم ، كتاب الإيمان ، باب (٩١) ، حديث رقم (٣٦١ - ٢١٢) ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ أَدْنَىٰ أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً : يَنْتَعِلُ بِنَعْلَيْنِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي دِمَاغُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ » . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سَمُـرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ :

« مِنْهُمْ : مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ ، إِلَىٰ كَعْبَيْهِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ ، إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ ، إِلَىٰ حُجْزَتِهِ .

وَمِنْهُمْ : مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ ، إِلَىٰ تَرْقُوَتِهِ ») .

(الشَّرح)

(عن سمرة بن جندب ، رضي الله عنه[١] ؛ أن نبي الله[٢] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : منهم مَنْ تأخذه النار . إلى كعبيه. ومنهم: من تأخذه النار ، إلى ركبتيه . ومنهم : من تأخذه النار ، إلى حجزته) : بضم الحاء ، وإسكان الجيم . وهي « معقد الإزار والسراويل » .

(ومنهم : من تأخذه[٣] إلى ترقوته) : بفتح التاء ، وضم القاف . وهي « العظم الذي بين ثغرة النحر ، والعاتق » .

وفي رواية « حِقْوَيْهِ »[٤] بفتح الحاء وكسرها . وهما معقد الإزار .

والمراد هنا : ما يحاذي ذلك الموضع ، من جنبيه .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « أن النبيّ » . بدل : « أنّ نبي الله » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « من تأخذه النار » ، على نسق ما تقدم . ولعل كلمة « النار » هنا : سقطت من الناسخ . المحقق .

(٤) (حِقْوَيْهِ) أي بدل : « حجزته » . وهما بمعنى واحد . وهذه الرواية في صحيح مسلم / النووي (١٧ / ١٨٠) ، المصدر المتقدم . المحقق .

وفي أخرى : « إِلَىٰ عُنُقِهِ »[1] .

وفي حديث « أبي سعيد المتقدم »[2] : ما يتعلّق بهذا الباب .

بَابٌ: النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ، وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ

وهو في النووي ، في (الباب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ هَمَّـام ِ بْنِ مُنَبِّهٍ ؛ قَالَ : هَـٰذا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ؛

مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ ، وَالنَّارُ ؛

فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ .

وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَالِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ ، وَسَقَطُهُمْ ، وَغِرَّتُهُمْ ؟

قَالَ اللّهُ لِلْجَنَّةِ : إِنَّمَا أَنْتِ رَحْمَتِي ، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي .

وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّما أَنْتِ عَذَابِي ، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي . وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا : مِلْؤُهَا .

فَأَمَّا النَّارُ ؛ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّىٰ يَضَعَ اللّهُ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : رِجْلَهُ ، تَقُولُ : قَطْ قَطْ قَطْ .

---

(١) (عنقه) أي بدل : « ترقوته » . وهذه الرواية ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (حديث أبي سعيد) تقدم ذكره ، في الباب الذي قبل هذا . المحقق .

فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ ، وَيُزْوَىٰ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ . وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ : أَحَداً .

وَأَمَّا الْجَنَّةُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُ لَهَا : خَلْقاً ») .

الشرح

(عن أبي هريرة)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : قال[2] رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : تحاجّت الجنة والنار) .

قال النووي : هذا الحديث على ظاهره . وأن الله تعالى : جعل في النار والجنة تمييزاً ، تدركان به ، فتحاجّتا . ولا يلزم من هذا : أن يكون ذلك التمييز فيهما ، دائماً[3] .

(فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين ، والمتجبرين .

وقالت الجنة : فمالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس ، وسقطهم) : بفتح السين ، والقاف . أي : ضعفاؤهم ، والمتحقّرون[4] منهم .

(وغـرثهم)[5] روي على ثلاثـة[6] أوجه ، وهي موجودة في النسخ ؛

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن همّام بن منبه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « وقال » بالواو . المحقق .

(٣) مذكور في (١٨/١٧) . المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (والمتحقّرون) أي : المبالغ في احتقارهم . المحقق .

(٥) (وغـرثهم) . في مصدر الحديث : « وغِرَّتُهُمْ » بالتاء المثناة ، وليس بالثاء المثلثة . هذا ؛ والصواب : « وغَرْثَاهُمْ » بدل « وغَرْثهم » أي : أهل الحاجة والجوع ، كما فسّر في الأصل . يقال : « قوم غَرْثىٰ » ، ورجل غَرْثان . كجوعىٰ وجوعان . انظر الصحاح . المحقق .

(٦) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

إحداها : « غرثهم » بغين معجمة ، وثاء مثلثة . قال عياض : هذه رواية الأكثرين من شيوخنا . ومعناها : أهل الحاجة ، والفاقة ، والجوع . « والغرث »[1]: الجوع .

والثاني : « عَجَزَتُهُمْ » بعين مهملة مفتوحة ، وجيم ، وزاي ، وتاء . جمع : « عاجز » .

والثالث : « غِرَّتُهُمْ » بغين معجمة مكسورة ، وراء مشدّدة ، وتاء[2]. (هكذا هو الأشهر ، في نسخ بلاد النووي . أي : البله الغافلون ، الذين ليس بهم : فتك وحِذْق[3] ، في أمور الدنيا .

وهو نحو الحديث الآخر : « أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ : الْبُلْهُ »[4] .

قال عياض : معناه : سواد الناس ، وعامّتهم : من أهل الإيمان ، الذين لا يفطنون للسنّة فيدخل عليهم الفتنة ، أو يدخلهم في البدعة أو غيرها . فهم ثابتو الإيمان ، وصحيحو العقائد . وهم أكثر المؤمنين . وهم أكثر أهل الجنة .

وأما العارفون ، والعلماء العاملون ، والصالحون المتعبدون : فهم قليلون . وهم أصحاب الدرجات .

قال : وقيل : معنى الضعفاء (هنا ، وفي الحديث الآخر : « كُلُّ

---

(١) (والْغَرَث) بفتح الغين المعجمة ، والراء . المحقق .

(٢) يقال : « رجل غِرٌّ ، وَغرِيرٌ» أي : أبله . غافل . غير مجرّب . والجمع : « أغرار » . المحقق .

(٣) (فتك وحِذق) أي : مهارة وذكاء ، وحسن تصرف . المحقق .

(٤) ذكره النووي ، (١٧/ ١٨١) ، المطبعة المصرية . المحقق .

ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ[1] ») : أنه الخاضع لله تعالى ، المذلّ نفسه له سبحانه وتعالى . ضد المتجبر المتكبر . قاله النووي .

وقال الحاكم (في علوم الحديث) : سئل « ابن خزيمة » عن هذا الحديث ؛ مَن الضعيف ؟ قال الذي يبرئ نفسه من الحول[2] والقوة[3] - يعني في اليوم والليلة - : عشرين مرة ، أو خمسين مرة .

قال القرطبي : ومثل هذا ، لا يقال من جهة الرأي . فهو مرفوع . والله أعلم . انتهى .

وما أحسن ما قيل :

إذا أردت[4] شريف الناس كلّهم

فانظر إلى ملك في زِيّ مسكينِ .

ذاك الذي عظُمتْ في الله رغبتهُ

وذاك يصلح للدنيا وللدّينِ .

اللهم ! أحيني مسكيناً ، وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين والضعفاء ، المرحومين .

(فقال الله عز وجل[5] للجنة : إنما أنت رحمتي ، أرحم بك : من أشاء من عبادي . وقال للنار : إنما أنت عذابي ، أعذّب بك : من أشاء من

(١) هو حديث « حارثة بن وهب الخزاعي » ، عند مسلم ، باب (١٣) ، حديث رقم (٤٦) و (٤٧) وفيهما : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ » قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : « كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ : لَأَبَرَّهُ » . المحقق .

(٢) (الحول) . في الأصل : « الحرل » بالراء . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٣) أي : بقوله : « لا حول ولا قوة ، إلا بالله » . المحقق .

(٤) في الأصل ، قبل قوله : « إذا أردت » علامة دالة على أن ما بعدها : شعر . فحذفناها تصرفا . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث : « قال الله » بدون فاء . وبدون لفظ : « عزوجل » . المحقق .

عبادي . ولكل واحدة منكما : ملؤها .

فأما النار ؛ فلا تمتلئ حتى يضع الله ، تبارك وتعالى : رجله ، تقول : قط قط[1]) .

ومعنى « قط » : حسبي . أي : يكفيني هذا . وفيه ثلاث[2] لغات ؛ « قطْ قطْ » بإسكان الطاء فيهما ، وبكسرها : منونة ، وغير منونة .

(فهناك[3] تمتلئ ، ويزوى) ، أي : يضمّ (بعضها إلى بعض) : فتجتمع ، فتلتقي على من فيها .

(فلا[4] يظلم الله من خلقه : أحدا) . قد سبق مرات : بيان أن الظلم مستحيل في حق الله تعالى .

فمن عذّبه بذنب ، أو بلا ذنب : فذلك عدل[5] منه .

ومن لم يعذبه على ذنب ، وعفا عنه : فذلك فضل منه ، سبحانه وتعالى .

(وأما الجنة ، فإن الله[6] ينشئ لها : خلقاً) .

هذا دليل لأهل السنة : على أن الثواب ، ليس متوقّفاً على الأعمال ؛ فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ، ويعطون في الجنة ما يعطون ، بغير عمل .

---

(١) ذكرت كلمة « قط » ، في مصدر الحديث : ثلاث مرات . وليس مرتين . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنها ذكرت ثلاث مرات ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (ثلاث) في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « فهنالك » ، مكان : « فهناك » . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « ولا يظلم » بالواو ، لا بالفاء . المحقق .

(٥) ولكنه سبحانه ، لا يعذّب أحداً من خلقه ، بلا ذنب . المحقق .

(٦) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ زيادة « عزوجل » ، بعد لفظ الجلالة . المحقق .

ومثله : أمر الأطفال والمجانين ، الذين لم يعملوا طاعة قط . فكلهم في الجنة : برحمة الله تعالى ، وفضله .

وفي هذا الحديث : دليل على عظم سعة الجنة ؛

فقد جاء في الصحيح : « أَنَّ لِلْوَاحِدِ فِيهَا : مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا » . ثُمَّ يَبْقَىٰ فِيهَا شيء لخلق ينشئهم الله تعالى . قاله النووي[1] .

قلت : وفي رواية أخرى : « وَلاَ يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ ، حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا : خَلْقاً ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ »[2] .

وفي حديث أنس ، يرفعه : « يَبْقَىٰ مِنَ الْجَنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَىٰ . ثُمَّ يُنْشِئُ اللَّهُ لَهَا : خَلْقاً ، مِمَّا يَشَاءُ »[3] .

وحديث الباب هذا ، له ألفاظ وطرق ، عند مسلم .

وفي بعضها : « فَيَضَعُ قَدَمَهُ عَلَيْهَا »[4] .

وفي بعضها : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ قَدَمَهُ »[5] .

---

(١) قاله في (١٧/١٨٣ ، ١٨٤) المطبعة المصرية . ودليله ، حديث « المغيرة بن شعبة » ، عند مسلم (١/١٧٦) ، كتاب الإيمان ، (باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها) حديث رقم (٣١٢) ، مرفوعاً إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وفيه : « فَيُقَالُ لَهُ - أي لأدنىٰ أهل الجنة منزلة - : أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا ؟ فَيَقُولُ : رَضِيتُ ، رَبِّ ! فَيَقُولُ : لَكَ ذَلِكَ ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ ، وَمِثْلُهُ . فَقَالَ - فِي الْخَامِسَةِ - : رَضِيتُ ، رَبِّ ! فَيَقُولُ : هَـٰذَا لَكَ ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ . وَلَكَ : مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ وَلَذَّتْ عَيْنُكَ . . .» الحديث . ثم ذكر في نهايته : نعيم أعلىٰ أهل الجنة منزلة . هذا ؛ وكلمة « شيء » في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) هذه الرواية في صحيح مسلم ، كتاب الجنة . باب (١٣) ، حديث رقم (٣٨) . المحقق .

(٣) هذا الحديث ، في نفس المصدر المتقدم ، رقم (٣٩) . المحقق .

(٤) في المصدر المتقدم ، حديث رقم (٣٥) . المحقق .

(٥) نفسه ، حديث رقم (٣٧) . المحقق .

قال النووي : هذا الحديث ، من مشاهير أحاديث الصفات . وقد سبق مرات : بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين ؛

أحدهما - وهو قول جمهور السلف ، وطائفة من المتكلمين ـ : أنه لا تتكلم[1] في تأويلها . بل نؤمن أنها حق ، على ما أراد الله . ولها معنى يليق بها . وظاهرها غير مراد .

والثاني - وهو قول جمهور المتكلمين - : أنها تتأول ، بحسب ما يليق بها .

فعلى هذا ، اختلفوا في تأويل هذا الحديث ؛

فقيل : المراد « بالقدم » هنا : « المتقدَّم » . وهو شائع في اللغة . ومعناه : « حتى يضع الله تعالى فيها : من قدّمه لها ، من أهل العذاب » . قال المازري ، والقاضي : هذا تأويل « النضر بن شميل » ونحوه ، عن ابن الأعرابي .

والثاني : أن المراد : « قدم بعض المخلوقين » . فيعود الضمير في « قدمه » : إلى ذلك المخلوق المعلوم .

والثالث : أنه يحتمل أنّ في المخلوقات : ما يسمىٰ بهذه التّسمية .

وأما رواية « الرِّجل » ، فقد زعم « ابن فورك » : أنها غير ثابتة ، عند أهل النقل . ولكن قد رواها : مسلم ، وغيره . فهي صحيحة . وتأويلها : كما سبق في « القَدَم » .

---

(١) الصواب : « لا يُتكلم » بالياء المثناة ، تحت ، لا بالتاء المثناة ، فوق . المحقق .

ويجوز أيضاً : أن يراد بالرجل : « الجماعة من الناس » ، كما يقال : « رِجْل من جراد » . أي : قطعة منه .

قال عياض : أظهر التأويلات : أنهم قوم استحقوها ، وخلقوا لها .

قالوا : ولا بدّ من صرفه عن ظاهره ، لقيام الدليل القطعي العقلي : على استحالة الجارحة على الله تعالى ، انتهى[1] .

وأقول : هذه التأويلات كلها ، مردودة على قائليها . لكونها : خلاف ظاهر أحاديث هذا الباب .

وقد سبق مراراً : أن الصفات ، التي وصف الله سبحانه نفسه بها . أو وصفه رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بها : يجب الإيمان بظاهرها ، كما جاءت : بلا كيف ، ولا تمثيل ، ولا تشبيه .

فيالله العجَبُ ! من هذا الاقتحام ، في بيان تأويلها الذي لم يرد به حرف واحد ، لا في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا خاض فيه أحد من جمهور السلف : باعتراف المؤولين[2] .

ومن لا يسعه ما وسعهم : فلا وسّع الله عليه .

وفي هذه التأويلات : تكذيبات ، وتقولات على الله ، وعلى الرسول ، وعلى حديثه .

وقد وردت آيات ، وأحاديث صحيحة محكمة كثيرة : في إثبات « القدم ، والرجل ، واليد ، والعين ، والإصبع ، واليمين ، والشمال ، والساق » ، وغير ذلك من الصفات .

---

(١) (انتهى) أي كلام عياض ، كما حكاه النووي ، (١٧/١٨٣) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (المؤولين) . في الأصل : « المأولين » بالهمزة على الألف . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

ولا ملجئ : إلى ردّها ، وتأويلها . ومن ردّ شيئاً منها : فقد ردّ القرآن ، والحديث . ونعوذ بالله من ذلك .

وقد قلنا - مرات ، وكرات - : إن كل ما يلزم في نظر القاصرين من المتكلمين (من التشبيه ، والتمثيل) عند إجراء الصفات على ظاهرها : فهو معالج بكلمة إجمالية : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ[1] » . « وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُؤاً أَحَدٌ »[2] .

وقد جاءنا بهذا كله : من جاءنا بكتاب الله سبحانه[3] .

وإذا جاء نهر الله ، بطل نهر معقل .

وقد قال بعض الراسخين في العلم : إن الرأي في الشريعة : تحريف . وفي القضاء : مكرمة .

ولا شكّ . أنّ صرف النصوص الصريحة الصحيحة المحكمة ، عن ظاهرها : تحريف للشرع ، وتكذيب لدين الإسلام . من حيث لا يشعرون . أو يشعرون ، ولكن لا يهتدون . والله أعلم .

بَابُ عَذَابِ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ : فِي النَّارِ

وهو في النووي ، في (باب جهنم) . اللهم ! أجرني منها .

---

(١) الآية (١١) من سورة الشورى . هذا ؛ وكلمة « شيء » . في الأصل : الهمزة فوق الياء كالمعتاد . المحقق .

(٢) الآية الأخيرة . من سورة الإخلاص . و« كفؤا » بالهمزة : قراءة سبعية غير قراءة حفص المشهورة . هذا ؛ وفي الأصل : « أحداً » بألف بعد الدال . وهو خطأ . والتصحيح من كتاب الله تعالى . المحقق .

(٣) وهو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ١٨٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْـنِ شِهَـابٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُـولُ : إِنَّ الْبَحِيرَةَ : الَّتِي يُمْنَعُ دَرُّهَا لِلطَّوَاغِيتِ ، فَلَا يَحْتَلِبُها[1] أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ .

وَأَمَّا السَّائِبَةُ : الَّتِي كَانُوا يُسَيِّبُونَهَا لِآلِهَتِهِمْ ، فَلَا يُحْمَلُ عَلَيْهَا شَيْءٌ .

وَقَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ عَامِرٍ الْخُزَاعِيَّ،يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوائِبَ[2] » .

وفي رواية أخرى : « رَأَيْتُ عَمْرَو بْنَ لُحَيِّ بْنِ قَمْعَةَ بْنِ خِنْدِفَ ، أَبَا بَنِي كَعْبٍ[3] . يَجُرُّ قُصْبَهُ فِي النَّارِ ») .

(الشَّرح)

« القصب » : بضم القاف ، وإسكان الصاد . قال الأكثرون : يعني : أمعاءَه .

وقال أبو عبيد : الأمعاء ، واحدها : « قُصُب » .

وأما « عمرو بن عامر الخزاعيّ » ؛ فقال عياض : المعروف « عمرو بن لحيّ بن قمعة » ، كما في الرواية الثانية .

---

(١) في مصدر الحديث : « يَحْلُبُهَا » بدل : « يحتلبها » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « السُّيُوبَ » بدل : « السوائب » . المحقق .

(٣) في صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب (١٣) حديث رقم (٥٠) : « أَبَا بَنِي كَعْبٍ هَـٰؤُلَاءِ » بزيادة كلمة : « هؤلاء » . وفي صحيح مسلم/ النووي (١٨٨/١٧) المطبعة المصرية : « أَخَا » مكان : « أَبَا » . المحقق .

وإنما عامر : عم أبيه « ابن أبي قمعة »[1] . وهو مدركة بن إلياس . هذا قول نسّاب الحجازيين .

ومنهم من يقـول : إنهم من اليمن ، من ولد « عمرو بن عامر »، وأنه « عمرو بن لحي » . واسمه : « ربيعة » . والله أعلم . انتهى[2] .

والحديث : دليل واضح على تحريم البَحِيرة ، والسائبة . وأن المباشر لهذه الأفعال : يستحقّ النار .

بَابُ عِظَمِ ضِرسِ الكَافِرِ فِي النَّارِ

وهو في النووي ، في (الباب الغابر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُـولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « ضِرْسُ الْكَافِرِ - أَوْ نَابُ الْكَافِرِ - : مِثْلُ أُحُدٍ . وَغِلَظُ جِلْدِهِ : مَسِيرَةُ ثَلَاثٍ ») .

---

(١) في النووي ، (١٧ / ١٨٩) المطبعة المصرية : « عم أبيه أبي قمعة » بدون كلمة « ابن » . هذا ؛ ونص عبارة عياض - كما في المصدر المذكور - : « وهو قمعة بن إلياس بن مضر . وإنما « عامر » : عم أبيه « أبي قمعة » وهو مدركة بن إلياس . . الخ . المحقق .

(٢) بقية كلام عياض ، في المصدر المتقدم : واسمه « ربيعة بن حارثة » . وقد يحتج قائله بهذه الرواية (يقصد : حديث الباب) . المحقق .

(الشرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ضرس الكافر - أو ناب الكافر[1] : مثل أحد . وغلظ جلده : مسيرة ثلاث »)[2] .

قال النووي : هذا كله لكونه أبلغ في إيلامه . وكل هذا مقدور لله تعالى ، يجب الإيمان به ، لإخبار الصادق به . انتهى[3] .

(باب منه)

وهو في النووي ، في (الباب الماضي)

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوَكِيعِيُّ ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، يَرْفَعُهُ ؛ قَالَ : « مَا بَيْنَ مَنْكِبَيِ الْكَافِرِ - فِي النَّارِ - : مَسِيرَةُ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ ، لِلرَّاكِبِ الْمُسْرِعِ » .

وَلَمْ يَذْكُرِ الْوَكِيعِيُّ : « فِي النَّارِ ») .

---

(١) (الكافر) . في الأصل : « للكافر » . ويبدو أنه خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) (ثلاث) . في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٣) (انتهى) أي كلام النووي ، وهو في (١٧/١٨٦) ، المطبعة المصرية . المحقق .

الشرح

(عن أبي هريرة)[1] رضي الله عنـه ، (يرفعه قال : « ما بين مَنْكِبي الكافر – في النار – : مسيرة ثلاثة[2] أيام للراكب ») المسرع[3] .

وفي الباب : أحاديث كثيرة ، ذكرتها في « اليقظة » .

وفي بعضها : « أَنَّ جِلْدَ الْكَافِرِ : اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ ذِرَاعاً . وَأَنَّ ضِرْسَهُ : مِثْـلُ أُحُـدٍ . وَأَنَّ مَجْلِسَـهُ مِنْ جَهَنَّمَ : كَمَـا بَيْنَ مَكَّـةَ وَالْمَـدِينَةِ » . رواه « الترمذي » ، من حديث الأعمش. وقال : حسن صحيح غريب[4] .

وفي حديث « ابن عمر » يرفعه : « يَعْظُمُ أَهْلُ النَّارِ ، فِي النَّارِ ، حَتَّىٰ إِنَّ بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِ أَحَدِهِمْ إِلَىٰ عَاتِقِهِ : مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ » الحديث . رواه الطبراني (في الكبير ، والأوسط) . وفي سنده « أبو يحيى القتات » . وهو ضعيف ، وفيه خلاف . وبقية رجاله : أوثق منه . قاله في « مجمع الزوائد » .

بَابُ عَذَابِ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ

وهو في النووي ، في:(الباب السابق)

---

(١) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله بآخر الحديث ، كما سيأتي . المحقق .

(٢) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » ـ كالمعتاد ـ . المحقق .

(٣) صنيع المؤلف يوهم : أن كلمة « المسرع » ، ليست من صلب الحديث . مع أنها من « صلبه » ، كما في صحيح مسلم . هذا ؛ وعبارة : (ولم يذكر الوكيعي : « في النار »). لم تذكر في الأصل ، في حديث الباب . وقد أثبتناها ، إتماما للفائدة . المحقق .

(٤) ذكره الترمذي ، في (جهنم) ، «٣» . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[١] . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا : قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ . وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ ، مُمِيلَاتٌ مائِلَاتٌ . رُؤُوسُهُنَّ[٢] كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ[٣] . لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ؛ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا . وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ[٤] مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا ، وَكَذَا ») .

(الشَّرح)

هذا الحديث ، من معجزات النبوة . فقد وقع ما أخبر به ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وأكثر الناس ابتلاء بهذا : ولاة الأمور ، ونساؤهم .

قال النووي : أما أصحاب السياط ، فهم « غلمان والي الشرطة » .

وأما « الكاسيات »،ففيه أوجه ؛

أحدها : كاسيات من نعمة الله ، عاريات من شكرها .

الثاني : كاسيات من الثياب ، عاريات : من فعل الخير ، والاهتمام لآخرتهنّ ، والاعتناء بالطاعات .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (رؤوسهن) . في الأصل : « رؤسهن » . المحقق .

(٣) ذكر المؤلف – في الهامش – : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « الماثلة » بالثاء المثلثة . بدل « المائلة » بالهمزة . المحقق .

(٤) (ليوجد) . في صحيح مسلم (٢١٩٣/٤) ، كتاب الجنة ، باب (١٣) ، حديث (٥٢) . ضبطت هذه الكلمة بالياء ، والتاء معا ، هكذا « لتيوجد » . المحقق .

الثالث : تكشف شيئاً منْ بدنها ، إظهاراً لجمالها . فهنّ كاسيات عاريات .

الـرابع : يلبسن ثياباً رقاقا ، تصف ما تحتها . كاسيات عاريات في المعنى . انتهى[1] .

قلت : ولا مانع من إرادة الجميع . فقد رأينا منهن : من تجمع تلك كلها .

قال[2] : وأما مائلات مميلات[3] ؛

فقيل : زائغات عن طاعة الله تعالى ، وما يلزمهنّ : من حفظ الفروج ، وغيرها . ومميلات : يُعلّمن غيرهن ، مثل فعلهنّ .

وقيل : مائلات : متبخترات في مشيتهنّ ، مميلات أكتافهنّ .

وقيل : « مائلات » : يتمشّطن المِشْطة الميلاء . وهي مِشْطة البغايا ، معروفة لهنّ . مميلات : يُمشّطن غيرهنّ تلك المِشْطة .

وقيل : مائلات إلى الرجال ، مميلات لهم : بما يُبْدِين من زينتهنّ ، وغيرها . انتهى .

وأقول : كل ما يصدق عليه أنه « ميل ، وإمالة » : فهو يدخل تحت هذا الحديث .

قال : وأمــا « رؤوسهن[4] كأسنمـة البخت » ، فمعنـاه : يعـظمن

---

(١) (انتهى) أي كلام النووي . وهو مذكور في (١٧/ ١٩٠ ، ١٩١) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (قال) أي : النووي . وهو في ص ١٩١ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) نص الحديث - كما في صحيح مسلم -: « مميلات مائلات » بتقديم : « مميلات » . المحقق .

(٤) (رؤوسهن) . في الأصل : « رؤسهن » . المحقق .

رؤوسهنّ[1] : بالخُمـر والعمائم ، وغيرها : مما يلفّ على الرأس ، حتى تشبه أسنمة الإبل البخت . هذا هو المشهور في تفسيره .

قال المـازري : ويجوز أن يكون معناه : يطمحن إلى الرجال ، ولا يغضضن عنهم ، ولا يُنَكِّسْنَ رؤوسهنّ[1] .

واختار عياض : أن « المائلات » : يمشطن المشطة الميلاء . قال : وهي ضَفْر الغدائر ، وشدّها إلى فوق ، وجَمْعُها في وسط الرأس ، فتصير كأسنمة البخت[2] .

قال : وهـذا يدلّ على أن المـراد بالتشبيه بهـا[3] : إنمـا هو ارتفـاع الغدائر ، فوق رؤوسهنّ[1] ، وجَمْع عقائصها هناك ، وتكثّرها بما يضفرنه : حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس ، كما يميل السنام .

قال « ابن دريد » : يقال : ناقة ميلاء ، إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها . انتهى[4] .

قلت : وقد رأيت هذه[5] النساء كثيراً ، في بعض بلاد الهند . ورآهن غيري في غير هذا الإقليم ، من بلاد أخـرى . وهنّ جامعـات : لهـذه الماجريات[6] كلها .

وفيه : تصديق النبيّ[7] ، صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) (رؤوسهن) . في الأصل : « رؤسهن » . المحقق .

(٢) قلت : وأرى أن قوله : « كأسنمة البخت » ينطبق تمام الانطباق على تلك القبّعة من الشعر المستعار ، التي يضعها بعض النساء ، فوق رؤوسهنّ . والتي يسمونها : « الباروكة » . المحقق .

(٣) (بها) أي : بأسنمة البخت . المحقق .

(٤) (انتهى) أي : كلام عياض ، كما حكاه النووي ، وهو في (١٧/١٩١) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) لو قال « هؤلاء » بدل « هذه » : لكان أفضل . المحقق .

(٦) (الماجريات) هكذا في الأصل . والصواب : « المجريات » بدون ألف ، بعد الميم . المحقق .

(٧) (تصديق) لو قال بدله : « تحقّق صِدْقِ النبي » ، لكان أوضح . المحقق .

وأمـا « عدم دخـولهنّ الجنـة » ، فقـال النـووي : يتأوّل التأويلين ، السابقين في نظائره ؛

أحدهما : أنه محمول ، على من استحلّتْ حراماً من ذلك ، مع علمها بتحريمه . فتكون كافرة مخلّدة في النار ، ولا تدخل الجنة أبداً .

والثاني : يحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر ، مع الفائزين . انتهى[1] .

(بَابُ مِنْـهُ)

وهو في النووي ، في (الباب المشار إليه) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يَقُولُ : « إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ : أَوْشَكَ[2] : أَنْ تَرَىٰ قَوْماً ، يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ ، وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَتِهِ . فِي أَيْدِيهِمْ : مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ » .

وفي رواية أخرى ؛ بلفظ : « يُوشِكُ - إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ - : أَنْ تَرَىٰ قَوماً فِي أَيْدِيهِمْ : مِثْلُ أَذْنَابِ الْبَقَرِ ، يَغْدُونَ فِي غَضَبِ اللَّهِ ، وَيَرُوحُونَ فِي سَخَطِ اللَّهِ »)[3] .

(١) (انتهى) كلام النووي ، وهو في ص ١٩١ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « أوشكتَ » بتاء الخطاب . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - : ما يفيد وروده كذلك . في بعض النسخ . المحقق .

(٣) هذه الرواية ، في صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب (١٣) ، حديث رقم (٥٣) . بينما حديث الباب رقم (٥٤) . المحقق .

الشرح

وليس بعد هذا الوعيد : وعيد ، عند من يدرك الشرائع ، ويصل إلى مداركها .

وقد وجد هذا القوم[1] منذ مئات[2] من السنين . ومحلهم : أبواب الولاة والسلاطين ، الذين هم في الحقيقة في هذا الزمان : شياطين .

وقـد وقـع ما أخبر به « الصادق ، المصدوق ، الأمين » ، فكان هذا معجزةً له ، صلى الله عليه وآله وسلم .

بَابُ صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ، وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ

وقال النووي : (باب مثل المؤمن : كالزرع . والمنافق ، والكافر : كالأَرْزَة)[3] .

حَدِيثُ البَابِ

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ) ، رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ،

---

(١) (هذا القوم) هكذا في الأصل . وياحبذا لو قال : « هؤلاء القوم » . المحقق .

(٢) (مئات) . في الأصل : « مأت » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) في صحيح مسلم (٤ / ٢١٦٢) ط دار الفكر / بيروت . الطبعة الثانية ، تحقيق وتصحيح « محمد فؤاد عبد الباقي » : ذكر نفس العنوان الذي ذكره المؤلف تقريباً . وفي صحيح مسلم / بشرح النووي (١٧ / ١٤٩) المطبعة المصرية ، قال النووي : (باب جزاء المؤمن بحسناته : في الدنيا والآخرة . وتعجيل حسنات الكافر ، في الدنيا). أما اسم الباب الذي ذكره المؤلف ، فلم يذكره النووي ، في هذا الباب ، وإنما ذكره في الباب الذي يليه . المحقق .

صلى الله عليه وسلم[1] : « يُؤتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ : فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً . ثُمَّ يُقَالُ : يَاابْنَ آدَمَ ! هَلْ رَأَيْتَ خَيْراً ، قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ . وَاللَّهِ ! يَارَبِّ !

وَيُؤتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤساً ، فِي الدُّنْيَا ، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ . فَيُقَالُ لَهُ : يَاابْنَ آدَمَ ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤساً قَطُّ ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ ؟ فَيَقُولُ : لاَ . وَاللَّهِ ! يَارَبِّ ! مَامَرَّ بِي مِنْ بُؤسٍ[2] قَطُّ ، وَلاَ رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ ») .

(الشرح)

قال النووي : « الصَّبغة » بفتح الصاد . أي : « يُغمس غَمْسة » . « والبؤس » : بالهمز . هو الشدة . انتهى .

وفي الحديث : دلالة على كون النار ، غاية في العذاب . وكون الجنة ، نهاية في النعيم والثواب . وأنه لا شيء[3] فوقهما في هذه المعاني ، بلا ارتياب . والله أعلم بالصواب .

كتاب الفتن

وزاد النووي : (وأشراط الساعة) .

قال أهل اللغة : أصل « الفتنة » في كلام العرب : الابتلاء ، والامتحان ، والاختبار .

---

(١) في الأصل : « صلى الله عليه » ، ولم يذكر : « وسلم » . ويبدو أنه سقط أثناء النسخ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « بؤس » بدون كلمة : « من » . المحقق .

(٣) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

قال عياض : ثم صارت (في عرف الكلام) : لكل أمر كشفه الاختبار : عن سوء .

قال أبو زيد : « فتن الرجل ، يفتن فتوناً : إذا وقع في الفتنة ، وتحول من حال حسنة ، إلى سيئة . انتهى[1] .

ولنا فيها : كتابان ؛ أحدهما : مطول يسمى : (حجج الكرامة) . وهو أجمع ما جمع فيه .

والآخر : مختصر يسمى : (الإذاعة) . والأول فارسي ، والثاني بلغة العرب . وهما فريدان في بابيهما ، لا تكاد تجد مثلهما : في كتب المتأخرين ، إن شاء الله تعالى ، في تصحيح الروايات ، وتنقيح الدرايات .

بَابٌ فِي اقْتِرَابِ الْفِتَنِ وَالْهَلَاكِ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ

وهو في النووي ، في (كتاب الفتن ، وأشراط الساعة) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢ ، ٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا عَمْرٌو النَّاقِدُ . حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ ، عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ اسْتَيْقَظَ مِنْ نَوْمِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . وَيْلٌ لِلْعَرَبِ ، مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ .

(١) (انتهى) كلام عياض ، وقد حكاه عنه النووي في (٢/١٧١)، المطبعة المصرية . المحقق .

فُتحَ - الْيَوْمَ - مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ : مِثْلُ هَـٰذِهِ » . وَعَقَدَ سُفْيَانُ بِيَدِهِ : عَشَرَةً .

قُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ . إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ ») .

الشرح

(عن زينب بنت جحش)[1] رضي الله عنها ؛ (أَنَّ النَّبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ استيقظ من نومه ، وهو يقول : « لا إله إلا الله . ويل للعرب ، من شرّ قد اقترب .

فتح اليوم : من ردم يأجوج ومأجوج ، مثل هذه . وعقد سفيان بيده : عشرة) . هكذا وقع هنا .

ووقع في رواية أخرى : « وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الإِبْهَامِ ؛ وَالَّتِي تَلِيهَا »[2] .

وفي أخرى - عن أبي هريرة - : « وَعَقَدَ وُهَيْبٌ بِيَدِهِ : تِسْعِينَ »[3] .

والأولتان[4] متفقتان في المعنى .

والثالثة[5] : مخالفة لهما ، لأن عقد التسعين : أضيق من العشرة .

---

(١) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله ، بمتن الحديث . المحقق .

(٢) (وحلق بإصبعه . . إلخ) أي مكان : (وعقد سفيان بيده عشرة) . والأولى ، بصحيح مسلم ، (٢٢٠٨/٤) كتاب الفتن ؛ باب (١) ، حديث رقم (٢) . أما حديث الباب - في المصدر المذكور - فهو رقم (١) . المحقق .

(٣) (وهيب) هو الراوي - في هذه الرواية - عن عبد الله بن طاووس عن أبيه ، عن أبي هريرة . وهذه الرواية بالمصدر المتقدم ، حديث رقم (٣) . المحقق .

(٤) الصواب : « والأوليان » بالياء . مثنّى « أولىٰ » . وليس بالتاء ، كما ذكر المؤلف . هذا ؛ والمقصود بالأوليين : حديث الباب ، والرواية التي بعده . المحقق .

(٥) (والثالثة) وهي « رواية وهيب » . المحقق .

قال عياض : لعل حديث « أبي هريرة »[1] متقدم ، فزاد قدر الفتح ، بعد هذا القدر[2] .

قال[3] : أو يكون المراد : التقريب بالتمثيل ، لا حقيقة التحديد .

(ويأجوج ومأجوج) : غير مهموزين ، ومهموزان[4] . قرئ في السبع بالوجهين . والجمهور : بترك الهمزة .

(قلت : يارسـول الله ! أنهلك) بكسر اللام ، على اللغة الفصيحة المشهورة . وحكي فتحها[5] . وهو ضعيف ، أو فاسد .

(وفينا الصالحون ؟ قال : « نعم . إذا كثر الخبث ») : بفتح الخاء والباء . وفسره الجمهور : « بالفسوق ، والفجور » .

وقيل : المراد : الزنا خاصة .

وقيل : أولاد الزنا[6] .

والظاهر : أنه المعاصي مطلقاً .

والمعنى : أن « الخبث » إذا كثر ، فقد يحصل الهلاك العام ، وإن كان هناك صالحون .

ويوضحه حديث « ابن عمر » عند مسلم ؛ يرفعه : « إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَاباً : أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ »[7] . أي :

---

(١) (حديث أبي هريرة) وهو الرواية الثالثة ، التي ذكر بها « وهيب » . المحقق .

(٢) (هذا القدر) أي : المفهوم ، من الروايتين الأوليين . المحقق .

(٣) (قال) أي عياض ، كما حكاه النووي ، في (١٨/٣) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) وقد وردا في الأصل : غير مهموزين ، وفي مصدر الحديث وردا مهموزين . المحقق .

(٥) (وحكي فتحها) أي : في المضارع ، مع كسرها في الماضي . من باب (فعِل يفعَل) . المحقق .

(٦) أي : أن المراد بالخبث هنا : أولاد الزنا . المحقق .

(٧) هذا الحديث بصحيح مسلم (٢٢٠٦/٤) . كتاب الجنة ، باب (١٩) ، حديث رقم (٨٤) . المحقق .

يبعث على الحالة التي مات عليها . ومثله الحديث الآخر : « ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ »[1] .

والحاصل : أن « الصالحين » يهلكون مع الطّالحين : في عموم عذاب الدنيا وفتنها . ثمَّ يبعثون على أعمالهم ، ونياتهم[2] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (الكتاب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ، (عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « فُتِحَ الْيَوْمَ ، مِنْ رَدْمِ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ[3] : مِثْلُ هَـٰذِهِ » وَعَقَدَ وُهَيْبٌ بِيَدِهِ تِسْعِينَ) .

(الشَّرح)

تقدم : الجمع بين هذا الحديث ، وبين الحديث السابق . وخروجهم من الأشراط العظيمة ، التي دلت عليها : نصوص القرآن ، والحديث ، والإجماع ؛

---

(١) هذا آخر الحديث رقم (٨) بصحيح مسلم (٤/ ٢٢١٠ ، ٢٢١١) ، كتاب الفتن ، باب (٢) . ونص اللفظ : « وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّىٰ . يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ » . المحقق .

(٢) (نياتهم) . في الأصل : التاء نون . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٣) (ياجوج وماجوج) هكذا في الأصل : غير مهموزين . وفي مصدر الحديث وردا مهموزين . المحقق .

أما الكتاب : فقال تعالى : « يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَاجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ »[1] .

وقال تعالى : (حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَاجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ »[2] .

وأما السنة ؛ فمنها : حديث الباب هذا .

وحديث : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى تَكُونَ عَشْرُ آياتٍ » الحديث . وفيه ذكر « ياجوج ، وماجوج »[3] .

والكلام فيهم[4] : يطول جدّاً .

وجملة القول في ذلك : أنهم من بني آدم ، ثم من بني يافث بن نوح . وذكر ابن عبد البر : الإجماع عليه .

وقيل : من التّرك .

وقيل : من الديلم .

قال الحافظ (في الفتح) : والأول ، هو المعتمد .

وفي خروجهم ، وفتنتهم : حديث « النواس » ، عند مسلم ، بروايات وألفاظ[5] .

---

(١) الآية (٩٤) من سورة الكهف . وقد ورد اللفظان غير مهموزين ، كما تقدم . وهو لأكثر القراء . وقرأ عاصم بالهمزة الساكنة فيهما . أفاده صاحب الفتح (١٠٦/١٣) ، تصحيح وتحقيق الشيخ ابن باز . المحقق .

(٢) الآية (٩٦) من سورة الأنبياء . وأيضاً الكلمتان في الأصل غير مهموزتين . وفي قراءة حفص مهموزتان . المحقق .

(٣) الحديث أخرجه « أبو داود » ، في (الملاحم) (١٢) ، وابن ماجه ، في (الفتن) ٢٨ ، ٦٥ كلاهما بلفظ : « لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَكُونَ قَبْلَهَا : عَشْرُ آيَاتٍ . . . » الحديث . المحقق .

(٤) (فيهم) أي : في « يأجوج ، ومأجوج » . المحقق .

(٥) حديث « النواس بن سمعان » ، حديث طويل ، تناول الدجال ، وياجوج وماجوج . وهو في صحيح مسلم (٢٢٥٠/٤ - ٢٢٥٥) ، كتاب الفتن باب (٢٠) ، حديث رقم (١١٠ - ٢٩٣٧) . المحقق .

ولم يأت في مدّة مكثهم في الأرض ، وقدر أعمارهم : شيء[1] . بل ظاهـر الأحـاديث : بمجرد أن يتوسطوا الأرض ، ويقربوا بيت المقدس : يقتلهم الله بالنّغف ، أي الدود الذي يدخل آنافهم . ثم بعد ذلك : يموت عيسى ، عليه السلام . وهو من جملة الأشراط ، التي اشتملت عليها قصة عيسى ، عليه السلام .

بَابُ فِي نُزُولِ الْفِتَنِ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ

وهو في النووي ، في:(الكتاب المذكور) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أُسَامَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم : أَشْرَفَ عَلَىٰ أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ ، ثُمَّ قَالَ : « هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَىٰ ؟ إِنِّي لَأَرَىٰ مَوَاقِعَ الْفِتَنِ ، خِلَالَ بُيُوتِكُمْ : كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ ») .

(الشَّرح)

(عن أسامة بن زيد) رضي الله عنه ، (أن النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أشرف على أطم من آطام المدينة) .

---

(١) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء ،ـكالمعتادـ المحقق .

(الأطم) : بضم الهمزة ، والطاء . هو القصر ، والحصن . وجمعه : « آطام » .

ومعنى « أشرف » : علاو ارتفع . (ثم قال : « هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن ، خلال بيوتكم كمواقع القطر ») .

قال النووي : التشبيه « بمواقع القطر » في الكثرة والعموم . أي : إنها كثيرة ، وتعمّ الناس : لا تختص بها طائفة .

قال[1] : وهـذا إشارة إلى الحروب الجارية بينهم : كوقعة الجمل ، وصفين ، والحرّة ، ومقتل عثمان ، ومقتل الحسين ، « رضي الله عنهما » . وغير ذلك .

وفيه : معجزة ظاهرة له ، صلى الله عليه وآله وسلم .

بَابُ عَرْضِ الْفِتَنِ عَلَى الْقُلُوبِ وَنَكْتِهَا فِيهَا

وقال النووي - في الجزء الأول - : (باب رفع الأمانة والإيمان ، من بعض القلوب ، وعرض الفتن على القلوب) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ١٧٠ - ١٧٤ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(وَحَـدَّثَنَـا مُحَمَّـدُ بْنُ عَبْـدِ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ ، حَدَّثَنَا أَبُو خَالِدٍ - يَعْنِي : سُلَيْمَانَ بْنَ حَيَّانَ - عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ ، عَنْ رِبْعِيٍّ ، عَنْ حُذَيْفَةَ ؛ قَالَ :

---

(١) (قال) أي : النووي ، وهو في (١٨/٨) المطبعة المصرية . المحقق .

كُنَّا عِنْدَ عُمَرَ . فَقَالَ : أَيُّكُمْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَذْكُرُ الْفِتَنَ ؟

فَقَالَ قَوْمٌ : نَحْنُ سَمِعْنَاهُ .

فَقَالَ : لَعَلَّكُمْ تَعْنُونَ فِتْنَةَ الرَّجُلِ ، فِي أَهْلِهِ وَجَارِهِ ؟ قَالُوا : أَجَلْ .

قَالَ : تِلْكَ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ ، وَالصِّيَامُ ، وَالصَّدَقَةُ . وَلَـٰكِنْ أَيُّكُمْ سَمِعَ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، يَذْكُرُ الْفِتَنَ ، الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ ؟

قَالَ حُذَيْفَةُ : فَأَسْكَتَ الْقَوْمُ . فَقُلْتُ : أَنَا . قَالَ : أَنْتَ ، لِلَّهِ أَبُوكَ !

قَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ : « تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ : عُوداً عُوداً . فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا : نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ . وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا : نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ ؛ عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا . فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ ، مَادَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ .

وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادّاً ، كَالْكُوزِ مُجَخِّياً ؛ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفاً ، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَراً . إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ » .

قَالَ حُذَيْفَةُ : وَحَدَّثْتُهُ : أَنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَاباً مُغْلَقاً ، يُوشِكُ أَنْ يُكْسَرَ .

قَالَ عُمَرُ : أَكَسْراً ؟ لَا أَبَالَكَ ! فَلَوْ أَنَّهُ فُتِحَ : لَعَلَّهُ كَانَ يُعَادُ .

قُلْتُ : لَا . بَلْ يُكْسَرُ .

وَحَدَّثْتُهُ : أَنَّ ذَلِكَ الْبَابَ : رَجُلٌ يُقْتَلُ ، أَوْ يَمُوتُ : حَدِيثاً لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ .

قَالَ أَبُو خَالِدٍ : فَقُلْتُ لِسَعْدٍ : يَا أَبَا مَالِكٍ ! مَا أَسْوَدُ مُرْبَادّاً ؟ قَالَ : شِدَّةُ الْبَيَاضِ ، فِي سَوَادٍ .

قَالَ : قُلْتُ : فَمَا الْكُوزُ مُجَخِّياً ؟ قَالَ : مَنْكُوساً) .

الشَّرح

(عن حذيفة رضي الله عنه[1] ؛ قال : كنا عند عمر . فقال : أيكم سمع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يذكر الفتن ؟ فقال قوم : نحن سمعناه .

فقال : لعلكم تعنون فتنة الرجل ، في أهله وماله[2] ، وجاره) .

وفتنة الرجل في هذه[3] : ضروب من فرط محبته لهم ، وشحّه عليهم ، وشغله بهم : عن كثير من الخير . كما قال تعالى : « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ »[4] .

أو لتفريطه : بما يلزم من القيام بحقوقهم ، وتأديبهم ، وتعليمهم . فإنه راعٍ لهم ، ومسئول عن رعيته .

وكذلك فتنة الرجل في جاره : من هذا . فهذه كلها : فتن تقتضي المحاسبة .

---

(١) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله ، بمتن الحديث . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) لم يذكر في مصدر الحديث : « وماله » . وقد وضع المؤلف علامة ، فوق هذه الكلمة : إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) (في هذه) أي المذكورات . المحقق .

(٤) الآية (١٥) من سورة التغابن . المحقق .

ومنها ذنوب ، يرجى تكفيرها بالحسنات . كما قال تعالى : « إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ »[1] .

(قالوا : أجل . قال : تلك تكفّرها الصلوة[2] ، والصيام ، والصدقة . ولكن أيّكم سمع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يذكر التي[3] تموج موج البحر ؟) أي : تضطرب ، ويدفع بعضها بعضاً .

وشبّهها (بموج البحر) : لشدّة عظمها ، وكثرة شيوعها .

(قال حذيفة : فأسكت القوم) : بقطع الهمزة المفتوحة .

قال جمهور أهل اللغة : « سكت ، وأسكت » لغتان ، بمعنى : « صمت » .

وقال الأصمعي : « سكت » : صمت ، « وأسكت » : أطرق .

وإنما سكت القوم : لأنهم لم يكونوا يحفظون هذا النوع ، من الفتنة . وإنما حفظوا النوع الأول .

فقلت : أنا . قال : أنت ، لله أبوك !) كلمة مدح ، تعتاد العرب الثناء بها . فإن الإضافة إلى العظيم : تشريف . ولهذا ، يقال : « بيت الله ، وناقة الله » .

قال صاحب التحرير : فإذا وجد من الولد ما يُحمد ، قيل له : « لله أبوك ! » حيث أتى بمثلك .

---

(١) جزء من الآية (١١٤) من سورة هود . المحقق .

(٢) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « يذكر الفتن التي . . إلخ » . فلعل كلمة « الفتن » سقطت من الناسخ . المحقق .

(قال حذيفة : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يقـول : تعـرض الفتن على القلوب) أي : تلصق (كالحصير) ، يلصق بجنب النائم ، ويؤثّر فيه : شدةُ التصاقها (عوداً عوداً) . هذان الحرفان ، مما اختلف في ضبطه ، على ثلاثة[1] أوجه ؛

أظهرها وأشهرها : بضم العين ، وبالدال .

والثاني : بفتح العين ، وبالدال[2] .

والثالث : بفتح العين ، وبالذال المعجمة .

ولم يذكـر صاحب التحـرير : غير الأول . وأمـا عياض ؛ فذكر هذه الأوجه الثلاثة[3] ، عن أئمتهم . واختار الأول أيضاً .

قال[4] : واختار شيخنا « ابن سراج » : فتح العين والدال[5] .

قال[4] : ومعناه[6] : تعاد وتكرر ، شيئاً بعد شيء[7] .

قال « ابن سراج »[8] : ومعناه بالذال المعجمة : سؤال الاستعاذة منها . كما يقال : غَفْراً غَفْراً ، وغُفْرَانَكَ . أي : نسألك أن تعيذنا من ذلك ، وأن تغفر لنا .

---

(١) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » كالمعتاد . المحقق .

(٢) أي : بالدال المهملة . المحقق .

(٣) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

(٤) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، في (٢/١٧١) المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) (فتح العين والدال) أي : المهملتين . المحقق .

(٦) (ومعناه) أي : ومعنى « عَوْداً » بفتح العين والدال . المحقق .

(٧) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء ، كالمعتاد . المحقق .

(٨) أي : وكل من رواه بالذال المعجمة . المحقق .

وقال الأستاذ « ابن سليمان »[1] : معناه : تظهر على القلوب . أي : تظهر لها فتنة بعد أخرى .

وقوله : « كالحصير » أي : كما يُنسج الحصير « عوداً عوداً » ، وشطبة بعد أخرى .

قال عياض : وعلى هذا يترجّح رواية : « ضم العين » . وذلك أن ناسج الحصير - عند العرب - كلّما صنع عوداً : أخذ آخر ، ونسجه .

فشبّه « عرض الفتن على القلوب » واحدة ، بعد أخرى : « بعرض قضبان الحصير ، على صانعها » واحداً بعد واحد .

قال عياض : وهذا معنى الحديث ، عندي . وهو الذي يدلّ عليه : سياق لفظه ، وصحة تشبيهه . والله أعلم[2] .

(فأي قلب أشربها : نكت[3] فيه نكتة سوداء . وأي قلب أنكرها : نكت[3] فيه نكتة بيضاء) .

معنى « أشربها » : دخلتْ فيه دخولاً تامًّا ، وألزمها ، وحلّت منه : محلّ الشراب . ومنه قوله تعالى : « وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ »[4] أي : حب العجل .

ومنه قولهم : « ثوب مشرب بحمرة »أي : خالطته الحمرة ، مخالطة لا انفكاك لها .

---

(١) في النووي (٢/١٧٢) : « الأستاذ أبو عبد الله ابن سليمان » . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، في (٢/١٧٢) . المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « نكتت » بدل « نكت » . المحقق .

(٤) جزء من الآية (٩٣) من سورة البقرة . المحقق .

ومعنى « نكت نكتة » : نقط نقطة .

قال « ابن دريد » ، وغيره : كل نقطة في شيء[1] بخلاف لونه : فهو نكت .

ومعنى أنكرها : ردّها .

(حتى يصير[2] على قلبين ؛

على[3] أبيض مثلِ الصَّفَا . فلا تضره فتنة ، مادامت السمٰوات والأرض .

والآخر أسود مربادّاً[4] كالكوز مجخّياً ، لا يعرف معروفاً ، ولا ينكر منكراً . إلّا ما أشرب من هواه) .

قال عياض : ليس تشبيهه بالصفا : بياناً لبياضه . لكن صفة أخرى ، لشدّته على عقد الإيمان ، وسلامته من الخلل . وأن الفتن : لم تلصق به ، ولم تؤثر فيه ، كالصفا . وهو الحجر الأملس ، الذي لا يعلق به شيء[1] .

« ومربادّاً » كذا هو في الرواية ، وأصول بلاد النووي . وهو منصوب على الحال .

وذكر عياض : خلافاً في ضبطه ؛ وأنّ منهم : من ضبطه كما ذكرناه .

ومنهم : من رواه : « مُرْبَئِدٌّ » بهمزة مكسورة ، بعد الباء . قال عياض : وهذه رواية أكثر شيوخنا . وأصله : أن لا يهمز . ويكون « مُرْبَدّ »

(١) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء ، ـ كالمعتاد ـ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « تصير » بالتاء ، لا بالياء . المحقق .

(٣) وضع المؤلف علامة فوق كلمة « على » ، إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٤) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ، في بعض النسخ : « مرباد » بالرفع . المحقق .

مثل مسودّ ، ومحمرّ . وكذا ذكره أبو عبيد ، والهروي ، وصححه بعض شيوخنا ، عن « مروان بن سراج » . لأنه من « أربد » . إلا على لغة من قال : « احمأرّ »[1] بهمزة بعد الميم ، لالتقاء الساكنين . فيقال : « ارْبَأدّ ومُرْبَئِدّ »[2] . والدال مشدّدة على القولين . وسيأتي تفسيره .

وأما قوله : « مجخّيا » : فهو بميم مضمومة ، ثم جيم مفتوحة ، ثم خاء معجمة مكسورة[3] . معناه : مائلاً . كذا ، قاله الهروي ، وغيره .

وفسره الراوي[4] – في الكتاب – بقوله : « منكوساً » . وهو قريب من معنى « المائل » .

قال عياض : قال لي « ابن سراج » : ليس قوله « كالكوز مجخّيا » : تشبيهاً لما تقدم من سواده . بل هو وصف آخر من أوصافه : بأنه قلب نكس[5] ، حتى لا يعلق به خير ، ولا حكمة . ومثّله بالكوز المجخِّي . وبينه بقوله : « لا يعرف » إلخ .

قال عياض : شبّه القلب الذي لا يعي خيراً : بالكوز المنحرف ، الذي لا يثبت الماء فيه .

وقال « صاحب التحرير » : معنى الحديث : أن الرجل إذا تبع هواه ، أو ارتكب المعاصي : دخل قلبه « بكل معصية يتعاطاها » : ظلمةٌ . وإذا

---

(١) (احْمَأرّ) في الأصل : لم يضع همزة فوق الألف . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٢) (ارْبَأدّ ومُرْبَئِدّ) . في الأصل : « ارابدّ ومرابدّ » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) أي : مع التشديد . المحقق .

(٤) وهو « سعد بن طارق » ، شيخ « أبي خالد » ، في هذا الحديث . المحقق .

(٥) في النووي ، (٢/١٧٣) المطبعة المصرية ، وكذلك في هامش صحيح مسلم (١/١٢٩) ط دار الفكر ببيروت : « قُلِب ونُكِس » . وهذا هو الصواب . ويبدو أن الواو سقطت من الناسخ . المحقق .

صار كذلـك افتتن ، وزال عنـه نور الإسـلام . والقلب مثل الكوز ، فإذا انكبّ : انصبّ ما فيه . ولم يدخله شيء[1] بعد ذلك .

(قال حذيفة : وحدثته أن بينك و بينها : باباً مغلقاً ، يوشك أن يكسر .

قال عمر : أكسراً ، لا أبالك ؟ فلو أنه فتح : لعله كان يعاد . قال : لا . بل يكسر)[2] .

أي : أيكسر كسراً ؟ فإن المكسورَ لا يمكن إعادته ، بخلاف المفتوح . ولأن الكسر : لا يكون غالباً ، إلا عن إكراه وغلبة ، وخلاف عادة .

وقـولـه : « لا أبـالـك ! » قال صاحب التحـرير : هذه كلمة تذكرها العرب : للحثّ على الشيء[3] .

ومعناها : إن الإنسان إذا كان له أب ، وحزبه أمر ، ووقع في شدّة : عاونه أبوه ، ورفع عنه بعض الكَلّ ، فلا يحتاج من الجِدّ والاهتمام : إلى ما يحتاج إليه حالة الانفراد ، وعدم الأب المعاون .

فإذا قيل : « لا أبالك » . فمعناه . جِدَّ في هذا الأمر وشمِّر ، وتأهّب تأهّب من ليس له معاون[4] . والله أعلم .

(وحدثته : أن ذلك الباب : رجل يقتل ، أو يموتُ : حديثاً ليس بالأغاليط) .

---

(١) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء ، كالمعتاد . المحقق .

(٢) قولـه : (فلو أنـه . .) إلى آخر الحديث : وضع المؤلف فوقه علامة ، تدل على أنه لم يذكر في بعض النسخ . هذا ؛ وفي مصدر الحديث : « قلت : لا » . بدل : « قال : لا » . المحقق .

(٣) (الشيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) ذكره النووي ، في (٢/ ١٧٤) ، المطبعة المصرية . المحقق .

أمـا الرجل الذي يُقتل ، فقد جاء مبيّناً في الصحيح : أنه « عمر بن الخطاب » ، رضي الله عنه .

وقوله : « أو يموتُ»[1] يحتمل : أن يكون « حذيفة » رضي الله عنه ؛ سمعـه من النبيّ ، صلى الله عليه وآلـه وسلم : (هكذا على الشك) . فالمراد به : الإبهام على حذيفة ، وغيره .

ويحتمل أن يكون « حذيفة » علم : أنه يقتل . ولكنه كره : أن يخاطب عمـر بالقتـل . فإن عمـر ، كان يعلم أنـه هو البـاب . كما جاء مبيّنا في الصحيح : (أَنَّ عُمَــرَ كَانَ يَعْلَمُ مَنِ الْبَــابُ ، كَمَــا يَعْلَمُ أَنَّ قَبْــلَ غَدٍ اللَّيْلَةَ)[2] . فأتى حذيفة بكلام ، يحصل منه الغرض . مع أنه ليس إخباراً لعمر ، بأنه يُقتل .

وأمـا « الأغـاليط » : فجمـع « أغلوطـة » . وهي التي يغـالط بهـا . فمعناه : حدثته حديثاً صدقاً محقّقاً ، ليس هو من صحف الكتابين ، ولا من اجتهاد ذي رأي . بل من حديث النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم .

والحـاصـل : أن الحائل بين الفتن والإسلام : « عمر » ، رضي الله عنه . وهو الباب . فمادام حيّاً ، لا تدخل الفتن .

فإذا مات : دخلت الفتن . وكذا كان . والله أعلم .

(قال أبـو خالـد : فقلت لسعيد : ياأبـا مالـك ! ما أسـود مربـادًّا ؟

---

(١) (أويمـوتُ) . في الأصـل : « أو يمـوتَ » بفتـح التاء . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحاً ، من مصدر الحديث . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، في ص ١٧٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

فقال[١] : شدّة البياض ، في سواد) .

قال عياض : كان بعض شيوخنا ، يقول : إنه[٢] تصحيف . وهو قول القاضي « أبي الوليد الكناني » .

قال[٣] : أرى أن صوابه : « شية[٤] البياض ، في سواد » . وذلك : أن شدة البياض في سواد : لا يسمى « ربدة » . وإنما يقال لها : « بَلَق » ، إذا كان في الجسم . وحوَراً[٥] : إذا كان في العين .

« والربدة إنما هو شيء[٦] من بياضٍ يسيرٍ ، يخالط السواد ، كلون أكثر النّعام .

ومنه : قيل للنعامة : رَبْدا[٧] .

فصوابه : شية البياض ، لا شدة البياض[٨] .

---

(١) في مصدر الحديث : « قال » ، بدون فاء . وقد وضع المؤلف علامة ، فوق الفاء : إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (إنه).أي:« شدّة البياض ، في سواد » . المحقق .

(٣) (قال).أي:« أبو الوليد الكناني » . المحقق .

(٤) الصواب « شِبْه » بالباء الموحدة والهاء ، لا « شية » : كما في الأصل . المحقق .

(٥) (وحوراً).هكذا في الأصل ، كما في النووي ، (٢/١٧٣) . المطبعة المصرية . وصوابه : « وحورٌ » بالرفع . أي : ويقال له : « حورٌ » . المحقق .

(٦) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . كما اعتاد المؤلف . المحقق .

(٧) صوابه : « رَبْدَاء » بالمدّ ، وللمذكّر : « أُرْبَد » . المحقق .

(٨) في صحيح مسلم / النووي (٢/١٧٣) ، المطبعة المصرية . وكذلك في صحيح مسلم (١/١٣٠) ط دار الفكر ببيروت : « فصوابه : شبه البياض » . « شِبْه » بدل : « شية » . والشّية - كما في المعجم الوسيط - هي « العلامة » . و« سواد في بياض ، أو بياض في سواد » . وكل ما خالف اللون : في جميع الجسد ، وفي جميع الدواب .
وهذا المعنى وإن كان قريباً ، من المعنى المقصود ، إلا أن الأول - وهو كلمة « شِبْه » - : أشبه . المحقق .

قال أبو عبيد عن أبي عمرٍو[1] : « والرّبدة » : لون بين السواد والغبرة .

وقال « ابن دريد » : الرّبدة : لون أكدر . وقال غيره : هي أن يختلط السواد بكدرة .

وقال الحربي : لون النعام[2] : بعضه أسود ، وبعضه أبيض . ومنه : « اربدّ لونه » ، إذا تغيرّ ، ودخله سواد .

وقال « نفطويه » : المربدّ : الملمع بسواد وبياض . ومنه : « تربّد لونه » . أي : تلوّن . والله أعلم[3] .

(قال : قلت : فما الكوز مجخّياً ؟ قال : منكوساً) تقدم الكلام على ذلك قريباً . فراجعه .

وحديث الباب هذا ، رواه مسلم أيضاً : مختصراً ، في آخر الصحيح . وأورده النووي ، في (كتاب الفتن ، وأشراط الساعة) فليعلم . والله أعلم .

بَابُ بَعْثِ الشَّيْطَانِ سَرَايَاهُ ، يَفْتِنُونَ النَّاسَ

وقال النووي : (باب تحريش الشيطان ، وبعثه سراياه : لفتنة الناس . وأنّ مع كل إنسان : قريناً) .

---

(١) في المصدر المتقدم : « عن أبي عمرو ، وغيره » ، بزيادة كلمة : « وغيره » . المحقق .

(٢) (لون النعام) : تفسير للربدة ، عند الحربي . المحقق .

(٣) حكاه النووي ، في ص ١٧٣ ، ١٧٤ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ . ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ . فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً : أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً .

يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ؛ فَيَقُولُ : فَعَلْتُ كَذَا ، وَكَذَا . فَيَقُولُ : مَا صَنَعْتَ شَيْئاً .

قَالَ : ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ ؛ فَيَقُولُ : مَا تَرَكْتُهُ ، حَتَّىٰ فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ .

قَالَ : فَيُدْنِيهِ مِنْهُ ، وَهُوَ يَقُولُ : نِعْمَ أَنْتَ ! » .

قَالَ الْأَعْمَشُ[1] : أُرَاهُ قَالَ : « فَيَلْتَزِمُهُ ») .

(الشَّرح)

(عن جابر) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن إبليس يضع عرشه على الماء . ثم يبعث سراياه) .

« العرش » : هو سرير الملك . ومعناه : أن مركزه البحر . ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض .

(فأدناهم منه منزلة : أعظمهم فتنة . يجيء[2] أحدهم ؛ فيقول : فعلت كذا وكذا . فيقول : ما صنعت شيئاً .

---

(١) (الأعمش):هو أحد رجال سند هذا الحديث . وهو راويه عن أبي سفيان ؛ عن جابر . المحقق .

(٢) (يجيء) . في الأصل : وضعت الهمزة – كالمعتاد – فوق الياء . المحقق .

قال ثم يجيء[1] أحدهم ؛ فيقول : ما تركته ، حتى فرقتُ بينه وبين امرأته . قال : فيدنيه منه ، ويقول : نعم) : بكسر النون ، وإسكان العين . وهي « نعم » الموضوعة للمدح . فيمدحه . لإعجابه بصنعه ، وبلوغه الغاية التي أرادها .

(أنت ! قال الأعمش[2] : أراه[3] قال : فيلتزمه) أي : يضمه إلى نفسه ، ويعانقه .

وفيه : أن الفُرقة بين الزوجين : تكون - غالباً - من إغواء سرايا إبليس . وأنها : من الفتن العظيمة ، لأنها تؤدي إلى خراب البيت ، وتدبير[4] المنزل ، وضياع الأهل والأولاد والمال ، ونحو هذا .

والقرآن الكريم ، أشار إلى ذلك ؛ بقوله : « يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ »[5] .

بَابٌ فِي الْفِتَنِ وَصِفَاتِهَا

وهو في النووي ، في (كتاب الفتن ، وأشراط الساعة)[6].

---

(١) (يجيء) . في الأصل : وضعت الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٢) (الأعمش) هو أحد رجال سند هذا الحديث . وهو راويه عن أبي سفيان ؛ عن جابر . المحقق .

(٣) (أُراه):بضم الهمزة . أي : أظنه ، أو أحسبه . المحقق .

(٤) (وتدبير) هكذا في الأصل . والصواب : « وتدمير » بالميم بدل الباء . المحقق .

(٥) الصواب : « فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُما ما يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ » الآية (١٠٢) من سورة البقرة . المحقق .

(٦) وهو في صحيح مسلم (٢٢١٦/٤) . في الكتاب المذكور ، باب (٦) . واسم هذا الباب : (باب إخبار النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : فيما يكون ، إلى قيام الساعة) . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ[١] الْخَـوْلاَنِيِّ كَانَ يَقُـولُ : قَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ : وَاللّٰهِ ! إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ ، هِيَ كَائِنَةٌ[٢] - فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ - وَمَابِي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أَسَرَّ إِلَيَّ فِي ذٰلِكَ شَيْئاً ، لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي . وَلٰكِنْ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ - وَهُـوَ يُحَدِّثُ مَجْلِساً ، أَنَا فِيهِ : عَنِ الْفِتَنِ - فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه) وآلــه (وسلم - وَهُــوَ يَعُـدُّ الْفِتَنَ - : « مِنْهُنَّ : ثَلاَثٌ[٣] ، لاَ يَكَــدْنَ يَذَرْنَ شَيْئـاً . وَمِنْهُنَّ : فِتَنٌ كَرِيَاحِ الصَّيْفِ ؛ مِنْهَـا صِغَارٌ ، وَمِنْهَا كِبَارٌ » .

قَالَ حُذَيْفَةُ . فَذَهَبَ أُولٰئِكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ ، غَيْرِي) .

(الشَّرح)

« الرهط » : عشيرة الرجل . وهو من الرجال : ما دون العشرة . وقيل : إلى الأربعين .

ولا يكون فيهم : امرأة . ولا واحد له من « لفظه » . ويُجمعُ على : « أَرْهُط ، وأَرْهَاطٍ » . « وَأَرَاهِط » : جمع الجمع .

لم يشرح النووي هذا الحديث بشيء[٤] .

---

(١) في سند الحديث ، كما في مصدره : (عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ؛ أَنَّ أَبَا إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِيَّ . . . إلخ) . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « قائمة » مكان : « كائنة » . المحقق .

(٣) (ثلاث) . في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٤) (بشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء - كالمعتاد - . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في:(الكتاب المتقدم)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُذَيْفَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : مَقاماً ، مَا تَرَكَ شَيْئاً يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ - إِلَىٰ قِيَامِ السَّـاعَـةِ - ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ . حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ . قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَـٰؤُلَاءِ .

وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ[2] . قَدْ نَسِيتُهُ ، فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ ، كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ ، إِذَا غَابَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ) .

(الشَّرح)

لم يشرحه النووي بشيء[2] .

وفيه : عَلَم من أعلام النبوة ، حيث أخبر بجميع الفتن ، الكائنة إلى يوم القيامة : صغيرة ، كانت أو كبيرة .

والحديث : متّفق عليه . ويوضحه حديث حذيفة ، عند « أبي داود » (قَالَ : وَاللَّهِ ! مَا أَدْرِي : أَنَسِيَ أَصْحَابِي ، أَمْ تَنَاسَوْا ؟ وَاللَّهِ ! مَا تَرَكَ رَسُولُ

---

(١) وهو في الباب المتقدم أيضاً . المحقق .

(٢) (الشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَىٰ أَنْ تَنْقَضِيَ إِلَيْنَا[1] ، يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاثَمِائَةٍ فَصَاعِداً ، إِلَّا قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ ، وَاسْمِ أَبِيهِ ، وَاسْمِ قَبِيلَتِهِ) .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في:(الكتاب المذكور) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُذَيْفَةَ ، رضي الله عنه[2] ؛ قَالَ : أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ . فَمَا مِنْهُ شَيْءٌ[3] إِلَّا قَدْ سَأَلْتُهُ ، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَسْأَلْهُ : مَا يُخْرِجُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمَدِينَةِ ؟) .

(الشَّرح)

لم يشرحه النووي ، رحمه الله .

---

(١) (إلى أن تنقضي إلينا) هكذا في الأصل . والذي وجدته ، في (سنن أبي داود) كتاب الفتن ، باب ذكر الفتن ودلائلها ، حديث رقم (٤٢٤٣) . هو « إلى أن تنقضي الدّنيا » . « الدنيا » . وليس : « إلينا » كما في الأصل . هذا ؛ وكلمة « ثلاثمائة » . في الأصل : « ثلثمائة » . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » .المحقق .

(٣) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وذكره النووي ، في:(الكتاب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبي زَيْدٍ)[١] رضي الله عنه ؛ (قَالَ : صَلَّىٰ بِنَا رَسُولُ اللّٰهِ . صلى الله عليه) وآله (وسلم : الْفَجْرَ . وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا ، حَتَّىٰ حضَرَتِ الظُّهْرُ ، فَنَزَلَ فَصَلَّىٰ . ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا ، حَتَّىٰ حَضَرَتِ الْعَصْرُ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى . ثُمَّ صَعِدَ المِنْبَرَ ، فَخَطَبَنَا ، حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ . فَأَخْبَرَنَا[٢] بِمَا كَانَ ، وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ . فَأَعْلَمُنَا : أَحْفَظُنَا) .

(الشَّرح)

المراد « بما كان ، وما هو كائن » : الفتن الماضية ، والكائنة إلى يوم القيامة : صغيرة كانت ، أو كبيرة . لا جميع الحوادث : من الفتن وغيرها . ويؤيده : ما قال « حذيفة » رضي الله عنه ، في الحديث السابق : « وَاللّٰهِ ! إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسِ بِكُلِّ فِتْنَةٍ ، هِيَ كَائِنَةٌ . فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ » .

لم يشرحه النووي بشيء[٣] .

---

(١) (أبو زيد):هو « عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ » ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٢) وضع المؤلف علامة ، فوق حرف « نا » من كلمة « فأخبرنا » : إشارة إلى أنه في بعض النسخ : « فأخبر » بدون « نا » . المحقق .

(٣) (بشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

بَابُ فِي الْفِتَنِ، وَمَنْ كَانَ يَحْفَظُهَا

وأورده النووي ، في:(كتاب الفتن[1] المذكور) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧ ، ١٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُحَمَّدٍ ؛ قَالَ : قَالَ جُنْدُبٌ : جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ . فَقُلْتُ : لَيُهَرَاقَنَّ - الْيَوْمَ هَـٰهُنَا - : دِمَاءٌ . فَقَالَ ذَلِكَ الرَّجُلُ : كَلَّا . وَاللَّهِ !

قُلْتُ : بَلَىٰ . وَاللَّهِ ! قَالَ : كَلَّا . وَاللَّهِ !

قُلْتُ : بَلَىٰ . وَاللَّهِ ! قَالَ : كَلَّا . وَاللَّهِ ! إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ حَدَّثَنِيهِ .

قُلْتُ : بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ ، مُنْذُ الْيَوْمِ ؛

تَسْمَعُنِي أُخَالِفُكَ ، وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَلَا تَنْهَانِي ؟

ثُمَّ قُلْتُ : مَا هَـٰذَا الْغَضَبُ ؟ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ ، وَأَسْأَلُهُ . فَإِذَا الرَّجُلُ « حُذَيْفَةُ ») .

(الشَّرح)

(عن محمد ؛ قال : قال جندُب : جئت يوم الجرَعة) : بفتح

(١) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢١٨) ، في الكتاب المذكور . في (باب في الفتنة التي تموج ، كموج البحر) . المحقق .

الجيم ، وفتح الراء وإسكانها . والفتح : أشهر ، وأجود . وهي[1] « موضع بقرب الكوفة » ، على طريق الحيرة .

« ويوم الجرعة » : يوم خرج فيه أهل الكوفة ، يتلقّون والياً ولاه عليهم عثمان . فردّوه ، وسألوا عثمان : أن يولي عليهم « أبا موسى الأشعري » ، فولّاه .

(فإذا رجل جالس . فقلت : لتهراقنّ[2] اليوم ، ههنا : دماء . فقال ذاك[3] الرجل : كلا . والله !

قلت : بلى . والله ! قال : كلا . والله !

قلت : بلى . والله ! قال : كلا . والله ! إنه لحديث رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، حدثنيه .

قلت : بئس الجَليس لي أنت - منذ اليوم - تسمعني أخالفك) بالخاء المعجمة . هكذا وقع في جميع نسخ بلاد النووي المعتمدة .

وقال عياض : رواية شيوخنا كافّة : « بالحاء المهملة » . من الحلف ، الذي هو اليمين .

قال[4] ورواه بعضهم : بالمعجمة . وكلاهما صحيح .

---

(١) (وهي) أي : « الجرَعة » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « ليهراقنّ » بالياء المثناة تحت ، بدل « التاء » المثناة فوق . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده بالياء في بعض النسخ . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « ذلك » بدل « ذاك » . وقد ورد « ذلك » في بعض النسخ ، كما أشار المؤلف ، في الهامش . المحقق .

(٤) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، في (١٨/١٨) المطبعة المصرية . المحقق .

قال[1] : لكن المهملة أظهر ، لتكرر الأَيمان بينهما .

(وقـد سمعتَـه من رسـول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، فلاتنهاني ؟ ثم قلت : ما هذا الغضب ؟ فأقبلت عليه ، وأسأله . فإذا الرجل « حذيفة ») .

بَابُ: الْفِتْنَةُ نَحْوَ الْمَشْرِقِ

وذكره النووي ، في : (كتاب الفتن[2]) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ أَبَانَ ، وَوَاصِلُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَىٰ ، وَأَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ الْوَكِيعِيُّ ؛ - وَاللَّفْظُ لاِبْنِ أَبَانَ - ؛ قَالُوا : حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ سَالِمَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَرَ يَقُولُ : ياأَهْلَ الْعِرَاقِ ! مَاأَسْأَلَكُمْ عَنِ الصَّغِيرَةِ ، وَأَرْكَبَكُمْ لِلْكَبِيرَةِ ! سَمِعْتُ أَبِي - عَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ - يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « إِنَّ الْفِتْنَةَ تَجِيءُ مِنْ هٰهُنَا » - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ ، نَحْوَ الْمَشْرِقِ - ، « مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنَا الشَّيْطَانِ » . وَأَنْتُمْ يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ . وَإِنَّمَا قَتَلَ مُوسَى :

---

(١) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، في (١٨/١٨) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) واسم البـاب ، في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٨) : بنحـو ماذكـر المؤلف مع زيادة : (من حيث يطلع قرنا الشيطان) . المحقق .

الَّذِي قَتَلَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ، خَطَأً . فَقَالَ اللَّهُ ، عَزَّوَجَلَّ ، لَهُ : « وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً »[1] .

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ عُمَرَ - فِي رِوَايَتِهِ عَنْ سَالِمٍ - : لَمْ يَقُلْ : سَمِعْتُ)[2] .

الشرح

(عن سالم بن عبد الله بن عمر)[3] رضي الله عنه ؛ (قال[4] : ياأهل العراق ! ما أسألكم عن الصغيرة ، وأركبَكم للكبيرة ! سمعت أبي - عبد الله بن عمر - يقول : سمعتُ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يقول : « إن الفتنة تجيء[5] من هٰهنا » وَأَومىٰ[6] بيده نحو المشرق، « من حيث يطلع قرنا الشيطان ») .

زاد في - (كتاب الإيمان) في حديث : أبي مسعود : « فِي رَبِيعَةَ وَمُضَرَ »[7]- : « وقرناه » : جانبا رأسه .

وقيل : هما جمعاه اللذان يغريهما : بإضلال الناس .

وقيل : شيعتاه من الكفار .

---

(١) جزء من الآية (٤٠) من سورة طه . المحقق .

(٢) (قال أحمد بن عمر . . . إلخ) لم يذكر في الأصل . وقد أثبتناه ، من مصدر الحديث ، زيادة للفائدة . المحقق .

(٣) ذكرنا السند كاملاً ، لارتباط أوله : بآخر الحديث . وهو الزيادة التي أشرنا إليها آنفا . المحقق .

(٤) هو في مصدر الحديث : « يقول » . تبعاً للسياق الذي قدمناه في السند . المحقق .

(٥) (تجيء) في مصدر الحديث : الهمزة فوق الياء - كالمعتاد - . المحقق .

(٦) في مصدر الحديث : (وأومأ) بهمزة فوق الألف ، بدل : « وأومىٰ » . المحقق .

(٧) حديث « أبي مسعود » . الذي فيه الزيادة المذكورة ، تجده في (صحيح مسلم ١/٧١) ، كتاب الإيمان باب (٢١) ، حديث رقم (٨١-٥١) . المحقق .

والمراد بذلك : اختصاص المشرق ، بمزيد من تسلّط الشيطان ، ومن الكفر . كما قال في الحديث الآخر : « رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ »[١] .

قال النووي : وكان ذلك في عهده ، صلى الله عليه وآله وسلم ، حين قال ذلك . ويكون حين يخرج الدجّال من المشرق . وهو فيما بين ذلك : منشأ الفتن العظيمة ، ومثار الكفرة الترك ، الغاشمة العاتية ، الشديدة البأس . انتهى .[٢] .

وللحديث : ألفاظ وطرق عند مسلم ؛

منها : (عن ابْنِ عُمَرَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَامَ عِنْدَ بَابِ « حَفْصَةَ » ، فَقَالَ - بِيَدِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ - : « الْفِتْنَةُ هٰهُنَا ، مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » . قَالَهَا مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثاً)[٣] .

وفي رواية : « قَامَ عِنْدَ بَابِ عَائِشَةَ »[٤] .

وفي أخرى ، بلفظ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ - وَهُوَ مُسْتَقْبِلُ الْمَشْرِقِ - : « هَا.إِنَّ الْفِتْنَةَ هَـٰهُنَا . هَا.إِنَّ الْفِتْنَةَ هَـٰهُنَا ، هَا.إِنَّ الْفِتْنَةَ هَـٰهُنَا : مِنْ حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ »)[٥].

وفي رواية ؛ (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : مِنْ بَيْتِ

(١) ذكره النووي ، في (٢/ ٣٤) ، المطبعة المصرية . (باب تفاضل أهل الإيمان) . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام النووي ، في المصدر المذكور . المحقق .

(٣) الحديث المذكور تجده في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٢٩) ، كتاب الفتن ، باب (١٦) ، حديث رقم (٤٦) . المحقق .

(٤) هي رواية « عبيد الله بن سعيد » . أما الحديث السابق ، فهو من رواية : عبيد الله بن عمر القواريري ، ومحمد بن المثنى . وكلهم عن « يحيى القطّان » . انظر نفس الحديث بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٥) هذه الرواية ، في المصدر المتقدم ، حديث رقم (٤٧) . المحقق .

عَائِشَةَ ؛ فَقَالَ : « رَأْسُ الْكُفْرِ مِنْ هَـٰهُنَا . مِنْ حَيْثُ يَطْلعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ » . يَعْنِي : الْمَشْرِقَ)[١] .

وفي أخـرى ؛ (يُشِيرُ بِيَدِهِ نَحْـوَ الْمَشْـرِقِ ، وَيَقُـولُ : « هَا إِنَّ الْفِتْنَةَ هَـٰهُنَا » - ثَلاثاً - حَيْثُ يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيْطَانِ[٢] ») .

(وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض . وإنما قتل موسى صلى الله عليه وسلم[٣] : الذي قتل من آل فرعون ، خطأ . فقال الله ، عزّ وجل له[٤] : « وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ ، وَفَتَنَّاكَ فُتُوناً »[٥]) .

فيه : أن قَتْـلَ موسى عليه السـلام : له[٦] كان خطأ ، وقتلكم : قَتْل عمْدٍ . وهو في الإثم : أشدّ ، وأفْظع .

بَابٌ : لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ ، فِي سَبِيلِ اللّٰهِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[٧] .

(١) نفس المصدر ، حديث رقم (٤٨) . المحقق .

(٢) نفس المصدر المتقدم ، حديث رقم (٤٩) . هذا ؛ وكلمة : « ثلاثا » . في الأصل : « ثلثا » . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٤) وضع المؤلف علامة ، فوق كلمة : « له » ، للدلالة على عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) جزء من الآية (٤٠) من سورة طه . المحقق .

(٦) الضمير في (له) عائد إلى الشخص الذي من آل فرعون ، الذي قتله موسى ، عليه السلام . المحقق .

(٧) وفي (باب : لا تقـوم السـاعـة ، حتى يمـرّ الرجل بقبر الرّجل ، فيتمنّى : أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . كما في صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « قَدْ مَاتَ كِسْرَىٰ ، فَلَا كِسْرَىٰ بَعْدَهُ . وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ ، فَلَا قَيْصَرَ بَعْدَهُ . وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُمَا . فِي سَبِيلِ اللَّهِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ، (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : قد مات كسرى ، فلا كسرى بعده) بفتح الكاف ، وكسرها . لغتان مشهورتان[1] .

(وإذا هلك قيصر ، فلا قيصر بعده) .

قال الشافعي ، وسائر العلماء : معناه لا يكون « كسرى » بالعراق ، ولا « قيصر » بالشام ، كما كان في زمنه ، صلى الله عليه وآله وسلم . فعلّمنا « صلى الله عليه وآله وسلم » : بانقطاع ملكهما ، في هـٰذين الإقليمين ، فكان كما قال .

فأمـا « كسـرى فانقـطع ملكـه ، وزال بالكلية : من جميع الأرض ، وتمزّق ملكه كلّ ممزّق ، واضمحلّ : بدعوة[2] رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) قلت : والأشهر : الكسر . أي : في لفظ : « كسرى » . المحقق .

(٢) أي : بدعائه ، صلى الله عليه وسلم ، بزوال ملك الأكاسرة . المحقق .

وأما « قيصر » : فانهزم من الشام ، ودخل أقاصي بلاده ، فافتتح المسلمون بلادهما ، واستقرت للمسلمين . ولله الحمد . قاله النووي[1] .

(والذي نفسي بيده ! لتنفقنّ كنوزهما ، في سبيل الله) .

قال النووي : أنفق المسلمون كنوزهما ، في سبيل الله ، كما أخبر صلى الله عليه وآله وسلم . وهذه معجزات ظاهرة .

وفي رواية ، بلفظ : « هَلَكَ كِسْرَىٰ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ كِسْرَىٰ بَعْدَهُ . وَقَيْصَرُ لَيَهْلِكَنَّ ، ثُمَّ لَا يَكُونُ قَيْصَرُ بَعْدَهُ . وَلَتُقْسَمَنَّ كُنُوزُهُمَا ، فِي سَبِيلِ اللَّهِ »[2] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الكتاب المذكور)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « لَتَفْتَحَنَّ عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - : كَنْزَ آلِ كِسْرَىٰ ، الَّذِي فِي الْأَبْيَضِ » .

قَالَ قُتَيْبَةُ : « مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . وَلَمْ يَشُكَّ) .

---

(١) قاله في (١٨/٤٢) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) هذه الرواية ، تجدها في صحيح مسلم (٤/٢٢٣٧) ط دار الفكر ببيروت ، الباب المتقدم . حديث رقم (٧٦) . المحقق .

(٣) وفي الباب المتقدم ، بنفس المصدر . المحقق .

(الشرح)

(عن جابر بن سمرة) رضي الله عنه ؛ (قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : « لتفتحنّ عصابة من المسلمين – أو من المؤمنين – : كنز آل كسرى ، الذي في الأبيض ») . أي الذي في قصره الأبيض ، أو قصوره ودوره البيض .

(قال قتيبة[1] « من المسلمين » . ولم يشك) .

فيه : معجزة ظاهرة له ، صلى الله عليه وآله وسلم . وقد وقع كما قال . ولله الحمد .

باب: هلاك هذه الأمة، بعضهم ببعض

وهو في النووي ، في : (الكتاب السابق)[2] .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣ ، ١٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ ثَوْبَانَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ زَوَىٰ لِيَ الأَرْضَ ؛ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا ، وَمَغَارِبَهَا .

وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا : مَازُوِيَ لِي مِنْهَا .

وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ : الأَحْمَرَ ، وَالأَبْيَضَ .

---

(١) (قتيبة) هو « قتيبة بن سعيد » ، أحد شيخي مسلم ، في هذا الحديث . والآخر الذي شكّ ، هو « أبو كامل الجحدريّ » . شكّ هل قال الرسول ، صلى الله عليه وسلم : « من المؤمنين » ؟ أو قال : « من المسلمين ؟ » . المحقق .

(٢) واسم الباب بنحو ما ذكر المؤلف ، في صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٥) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي : أَنْ لا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ . وَأَنْ لا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا ، مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ .

وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَامُحَمَّدُ ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً ، فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ . وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ ، لِأُمَّتِكَ : أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ : بِسَنَةٍ عَامَّةٍ . وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ : عَدُوّاً ، مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ : يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ . وَلَـو اجْتَمَـعَ عَلَيْهِمْ : مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ : مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً ، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ : بَعْضاً ») .

(الشرح)

(عن ثوبـان ، رضي الله عنـه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسـلم : إنّ الله زوى) أي:جمـع (لي الأرض ؛ فرأيتُ مشارقها ، ومغاربها . وإن أمتي سيبلغ ملكها : مازوي لي منها .

وأعطيت الكنزين : الأحمر ، والأبيض) أي : الذهب والفضة .

والمراد : كنزي كسرى ، وقيصر ، ملكي العراق والشام .

قال النووي : فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة ، يكون معظم امتداده : في جهتي المشرق ، والمغرب[2] .

قال : وهكذا وقع .

وأما في جهتي الجنوب والشمال : فقليل ، بالنسبة إليهما[3] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) قاله ، في (١٨/١٣) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) (إليهما). أي : إلى « المشرق ، والمغرب » . ولو أظهر لكان أوضح . المحقق .

قال[1] : وصلوات الله ، وسلامه : على رسوله ، الصادق الذي لا ينطق عن الهوى « إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »[2] .

(وإني سألت ربّي لأمتي : أن لا يهلكها[3] بسنة عامّة) أي : بقحط يعمهم . بل إن وقع قحط ، فيكون في ناحية يسيرة ، بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام .

(وأن لا يسلّط عليهم : عدُوّاً من سوى أنفسهم ، فيستبيحَ بيضتهم) أي : جماعتهم ، وأصلهم .

« والبيضة » أيضاً : العزّ ، والملك .

(وإن ربّي ، قال : يامحمد ! إني إذا قضيت قضاءً ، فإنه لا يردّ . وإني أعطيتك ، لأمتك : أن لا أهلكهم : بِسنَةٍ عامّة ، ولا أسلّط[4] عليهم : عدوّا من سوى أنفسهم : يستبيح بيضتهم . ولو اجتمع عليهم - من[5] باقطارها[6] - أو قال : مَنْ بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يُهلك بعضاً . ويسبي بعضهم : بعضا) .

قال النووي : هذا الحديث ، فيه معجزات ظاهرات . وقد وقعت

---

(١) (قال) أي : النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) الآية (٤) من سورة النجم . المحقق .

(٣) (يهلكها) . في الأصل : « يهلكنا » . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحاً من مصدر الحديث . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « وأنْ لا أسلط » بزيادة : « أنْ » . المحقق .

(٥) (مَنْ) في الأصل ضبطت الميم بالكسرة ، والنون بالفتحة . وهذا خطأ . والصواب : فتح الميم ، وإسكان النون . المحقق .

(٦) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد في بعض النسخ : « أقطارها » بدون باء قبلها . وعليه يكون : « اجتمع » مبني للمجهول . وتكون « مِنْ » الجارة . المحقق .

كلها ، بحمد الله تعالى ، كما أخبر به ، صلى الله عليه وآله وسلم . فلله الحمد والشكر : على جميع نعمه . انتهى .

قلت : وفيه بشارة عظمى ، لغرباء هذه الأمة المرحومة . في بقائها إلى آخر الدّهر ، وعدم فنائها ، بكلها : على أيدي الظلمة الكفرة الفجرة ، من أي موضع كانوا ، وعلى أي قطر من أقطار الإسلام حملوا ، وأرادوا استيصال[1] المسلمين .

ويؤيد هذا الحديث : حديث آخر ، في الصحيحين : « لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي : أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ ، وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ[2] » متفق عليه ، من حديث « معاوية » .

وفي رواية عنه ، عند الترمذي ؛ يرفعه : « إِذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّامِ : فَلَا خَيْرَ فِيكُمْ . وَلَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِينَ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ »[3] .

---

(١) (استيصال) . لو قال : « استئصال » بالهمز : لكان أوضح . وإن كان يجوز التسهيل أيضاً . المحقق .

(٢) رواية البخاري ، كتاب العلم ، باب (١٣) بفتح الباري (١/١٦٤) ، حديث رقم (٧١) ؛ عن حميد بن عبد الرحمن : سَمِعْتُ مُعاوِيَةَ خَطِيباً ، يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « مَنْ يُرِدِ اللّهُ بِهِ خَيْراً : يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » إلى قوله : « وَلَنْ تَزَالَ هَـٰذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَىٰ أَمْرِ اللّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ » .

ورواية مسلم (٣/١٥٢٤) ، كتاب الإمارة ، باب (٥٣) ، حديث رقم (١٧٤ - ١٠٣٧) من طريق عمير بن هانئ عن معاوية ، رفعه ؛ بلفظ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي : قَائِمَةً بِأَمْرِ اللّهِ ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ، أَوْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّهِ ، وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ » . المحقق .

(٣) هذا الحديث تجده ، في (سنن الترمذي) ، المجلد الرابع ص ٤٨٥ ، كتاب الفتن ، (باب ما جاء في الشام) ، حديث رقم (٢١٩٢) ؛ عن معاوية بن قرّة ، عن أبيه ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . . . الحـديث بنحو ما ذكره المؤلف . وهو كما تقدم : عن معاوية بن قرة ، عن أبيه . وليس عن « معاوية بن أبي سفيان » ، كما يوهم قول المؤلف : (وفي رواية عنه) فإن الضمير هنا : عائد إلى « معاوية بن أبي سفيان » الذي روى عنه الشيخان : الحديث الذي قبل هذا . المحقق .

معنى « خذلهم » : ترك نصرهم .

قال « ابن المديني » : هم أصحاب الحديث . قلت : وهذا علمٌ من أعلام النبوة . فإني رأيت كثيراً « بعينيّ » وسمعت غزيرا « بأذنيّ » : خَذْل أهـل الـرأي وغيرهم : أَهْـلَ الحـديث وجهدهم : في اضمحلال طريقة هؤلاء . ولكن لا تزال طائفة من العلماء بالسنة : ظاهرة على من يخالفهم ، في كل عصر من الأعصار . وفي كل قطر من الأقطار .

وهذا مشاهد ، وعليه من كتب طبقات المحدّثين : شاهد .

والحديث المذكور ، قال الترمذي : حسن صحيح .

ويحتمل أن يكون المراد بهذه الأمة ، القائمة بأمر الله ، وهذه الطائفة المنصـورة : العمـوم . فيدخـل فيهـا : السـلاطين العـادلـون ، والأئمـة المجاهدون ، وكل من نَفْعُه في الإسلام ظاهر : من علماء الدّين وغيرهم .

ويدخل أهل الحديث فيها : دخولاً أوّليّاً . والله أعلم .

(بَابُ مِنْـهُ)

وهو في النووي ، في : (الكتاب الماضي)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤ ، ١٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ أَقْبَلَ - ذَاتَ يَوْمٍ - مِنَ الْعَالِيَةِ ، حَتَّىٰ إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ : دَخَلَ ،

(١) وفي نفس الباب ، بنفس المصدر المتقدم . المحقق .

فَرَكَـعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ .. وَصَلَّيْنَا مَعَهُ . وَدَعَا رَبَّهُ ، طَوِيلاً . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا ، فَقَـالَ ، صلى الله عليه وسلم : « سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثاً ؛ فَأَعْطَانِي : ثِنْتَيْنِ . وَمَنَعَنِي : وَاحِدَةً ؛

سَأَلْتُ رَبِّي : أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ ، فَأَعْطَانِيهَا .

وَسَأَلْتُهُ : أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ ، فَأَعْطَانِيهَا .

وَسَأَلْتُهُ : أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ : فَمَنَعَنِيهَا ») .

(الشَّرح)

(عن عامر بن سعد عن أبيه ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ أقبل - ذات يوم - من العالية ، حتى إذا مرّ بمسجد بني معاوية : دخل ، فركع فيه ركعتين . وصلّينا معه . ودعا ربه ، طويلاً . ثم انصرف إلينا ، فقال[١] سألت ربي ثـلاثـاً[٢] ؛ فأعطـانـي : اثنين[٣] . ومنعـني : واحِداً[٤] ؛

سألت ربّي : أن لا يهلك أمتي بالسّنة) أي : بالقحط العام ، (فأعطانيها .

وسألته[٥] : أن لا يهلك أمتي بالغرق ، فأعطانيها .

---

(١) (فقال) في مصدر الحديث بزيادة : « صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٢) (ثلاثاً) . في الأصل : « ثلثاً » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « ثِنْتَيْنِ » ، بدل : « اثنين » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد في بعض النسخ : « اثنتين » . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « واحدة » بدل : « واحداً » . وقد ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « واحدة » . كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٥) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « وسألت ربي » بدل : « وسألته » . المحقق .

وسألته : أن لا يجعل بأسهم بينهم : فمنعنيها) .

قال النووي : هذا أيضاً ، من المعجزات الظاهرة . انتهى[1] .

قلت : ويعلم ظهورها : بالرجوع إلى (كتاب الإذاعة : لما كان وما يكون بين يدي الساعة) ، فإنه قد اشتمل على فتن مضت وانقضت ، وكانت غالبها بأساً بينهم . وعلى أشراط تأتي وتظهر ، يوما فيوما .

وفيه : أن هذه الأمة ، لا تهلك على يد عدوّها من أهل الكتابين وغيرهم : من عبدة غير الله أبداً . وإن زعم زاعم منهم : أنها ستهلك : بتدابيرهم التي اعتمدوا عليها ، والعدّة التي حشدوها لإهلاكهم : من المدافع والبنادق العظيمة ، العجيبة الأفعال ، الغريبة الأحوال ، وما في معناها من آلات الحرب والضرب ، وأدوات القتال والجدال ، والأسلحة الجديدة الأوضاع ، والأسلاك ، والعجلات النارية ، وغير ذلك . « وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ »[2] « وَكَانَ حَقّاً عَلَيْهِ نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ »[3] « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْهُ قِيلاً »[4] .

فهذا الحديث : علم من أعلام النبوة . وقد وقع كما أخبر . وسيكون ما أخبر به ، إن شاء الله تعالى ، إلى يوم القيامة . لا يتخلّف خبر من أخباره الصادقة أبداً .

---

(١) قاله في (١٨/١٦) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) الآية (٢١) من سورة يوسف . المحقق .

(٣) الآية (٤٧) من سورة الروم . ولكن النص : « عَلَيْنَا » . وليس « عليه » . فالمؤلف هنا يقتبس من الآية الكريمة ، دون التقيد بنصها . المحقق .

(٤) مقتبس من الآية (١٢٢) من سورة النساء . المحقق .

ومن شكّ في شيء[1] منها ، ثابت على الوجه الصحيح ، في دواوين السنة المطهرة : فقل له : يغسل يده من الإيمان ، وليقع في أية فتنة شاء ، من أنواع الافتتان .

والله هو الهادي ، والمستعان .

بَابُ : لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ

وأورده النووي ، في : (باب النهي عن اتّباع متشابه القرآن ، والتّحذير من متّبعيه ، والنّهي عن الاختلاف في القرآن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ٢١٩ ، ٢٢٠ جـ ١٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ : شِبْراً بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ . حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ ، لَا تَّبَعْتُمُوهُمْ » . قُلْنَا : يَارَسُولَ اللّهِ ! آلْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ؟ قَالَ : « فَمَنْ ؟ ») .

(الشّرح)

« السَّنَن » : بفتح السين والنون ، وهو الطريق .

والمراد : « بالشّبر ، والذراع ، وجحر الضبّ » : التمثيل بشدّة الموافقة لهم .

---

(١) (شيء).في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

والمراد : الموافقة في المعاصي ، والمخالفات ، لا في الكفر .

وفي هذا : معجزة ظاهرة ، لرسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . فقد وقع ما أخبر به ، صلى الله عليه وآله وسلم .

بَابُ : يُهْلِكُ أُمَّتِي قُرَيْشٌ ، وَالأَمْرُ بِاعْتِزَالِهِمْ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ، (عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « يُهْلِكُ أُمَّتِي : هَـٰذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ » . قَالُوا : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ قَالَ : « لَوْ أَنَّ النَّاسَ اعْتَزَلُوهُمْ ؟ » .

وفي رواية البخاري : « هَلَاكُ أُمَّتِي عَلَىٰ يَدِ أُغَيْلِمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ »)[2] .

---

(١) وفي صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) ط دار الفكر ببيروت : اسم الباب : (باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . المحقق .

(٢) نصّ رواية « أبي هريرة » ، عند البخاري ، كما في الفتح (٦/٦١٢) ، كتاب المناقب ، باب (٢٥) ، حديث رقم (٣٦٠٥) . وكذلك الفتح (١٣/٩) ، كتاب (الفتن) باب قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « هلاك أمتي على يَدَي أغيلمة سفهاء » ؛ نص الحديث : قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : سَمِعْتُ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ، يَقُولُ : « هَلَاكُ » . - وفي الثاني : « هَلَكَةُ - أُمَّتِي ، عَلَىٰ يَدَيْ غِلْمَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ » فَقَالَ مَرْوَانُ : غِلْمَة ؟ » . - وفي الثاني : « لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ! غِلْمَةً - قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَمِّيَهُمْ بَنِي فُلَانٍ ، وَبَنِي فُلَانٍ » . - وفي الثاني : « لَوْ شِئْتَ أَنْ أَقُولَ : بَنِي فُلَانٍ ، بَنِي فُلَانٍ » - بدون واو العطف . وبزيادة : « لَفَعَلْتُ » . المحقق .

(الشرح)

هذه الرواية ، تبيّن أن المراد برواية مسلم : طائفة من قريش .

وهذا الحديث : من المعجزات . وقد وقع ما أخبر به . صلى الله عليه وآله وسلم .

بَابُ : تكونُ فِتَنٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ

وهو في النووي ، في:(الكتاب المذكور)[1] .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩ ، ١٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُثْمَانَ الشَّحَّامِ ؛ قَالَ : انْطَلَقْتُ أَنَا وَفَرْقَدُ السَّبَخِيُّ ، إِلَىٰ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ -وَهُوَ فِي أَرْضِهِ - فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ ، فَقُلْنَا : هَلْ سَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ فِي الْفِتَنِ حَدِيثاً ؟ قَالَ : نَعَمْ . سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يُحَدِّثُ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتَنٌ . أَلَا ، ثُمَّ تَكُونُ فِتْنَةٌ ، الْقَاعِدُ فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا . وَالْمَاشِي فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا .

أَلَا ، فَإِذَا نَزَلَتْ - أَوْ وَقَعَتْ - فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ : فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ .

وَمَنْ كَانَتْ لَهُ غَنَمٌ : فَلْيَلْحَقْ بِغَنَمِهِ .

وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ : فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ .

---

(١) واسم الباب ، كما في صحيح مسلم ، (٢١١/٤) ط دار الفكر ببيروت : (باب نزول الفتن ، كمواقع القطر) . المحقق .

قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللّهِ ! أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ ، وَلاَ غَنَمٌ ، وَلاَ أَرْضٌ ؟

قَالَ : « يَعْمِدُ إِلَىٰ سَيْفِهِ ، فَيَدُقُّ عَلَىٰ حَدِّهِ : بِحَجَرٍ . ثُمَّ لْيَنْجُ إِنِ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ .

اللَّهُمَّ ! هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ ! هَلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ ! هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » .

قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللّهِ : أَرَأَيْتَ إِنْ أُكْرِهْتُ ، حَتَّىٰ يُنْطَلَقَ بِي إِلَىٰ أَحَدِ الصَّفَّيْنِ ، أَوْ إِحْدَى الْفِئَتَيْنِ ، فَضَرَبَنِي رَجُلٌ بِسَيْفِهِ . أَوْ يَجِيءُ سَهْمٌ ، فَيَقْتُلُنِي ؟

قَالَ : « يَبُوءُ بِإِثْمِهِ ، وَإِثْمِكَ ، وَيَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ») .

الشرح

(عن أبي بكرة)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : إنها ستكون فتن . ألا ، ثُمَّ تكون فتن . ألا ، ثُمَّ تكون فتن[2] : القاعد فيها : خير من الماشي[3] . والماشي فيها : خير من الساعي إليها .

ألا ، فإذا نزلت - أو وقعت - فمن كان له إبل : فليلحق بإبله . ومن كانت له غنم : فليلحق بغنمه . ومن كانت له أرض : فليلحق بأرضه .

---

(١) أثبتنا من السند ، من أول : « عن عثمان الشحام » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : (ألا ، ثم تكون فتنة) بتوحيد « فتنة » . وعدم تكرير الجملة التي قبلها . وقد وضع المؤلف علامة ، فوق الجملة الثانية المكررة ، للدلالة على أنها لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث بزيادة : « فيها » . المحقق .

قال : فقـال رجل : يارسول الله ! أرأيت من لم تكن[1] له إبل ، ولا غنم ، ولا أرض ؟ قال : « يعمد إلى سيفه ، فيدقّ على حدّه بحجر) .

المراد : كسر السيف حقيقة ، على ظاهر الحديث : ليسدّ على نفسه باب هذا القتال .

وقيل : هو مجاز . والمراد : ترك القتال . والأول أصحّ .

(ثم لينج ، إن استطاع النجا[2] . اللهم ! هل بلغت ؟ اللهم ! هل بلغت ؟ اللّهم ! هل بلغت ؟

قال : فقال رجل : يارسول الله ! أرأيت إن أكرهْتُ ، حتى يُنطلق بي إلى أحد الصفين ، أو إحدى الفئتين ، فضربني رجل بسيفه . أو يجيء[3] سهم ، فيقتلني ؟

قال : « يبوء بإثمه وإثمك ، ويكون[4] من أصحاب النار ») .

معنى « يبوء به » : يلزمه ، ويرجع[5] ، ويحتمله .

أي : يبوء الذي أكرهك : بإثمه في إكراهك ، وفي دخوله في الفتنة ، وبإثمك في قتلك غيره[6] ، ويكون مستحقًا للنار .

وفي هذا الحديث : رفع الإثم عن المكره[7] على الحضور هناك .

---

(١) في مصدر الحديث : « يكن » بالياء المثناة تحت . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « النجاء » بالألف الممدودة . المحقق .

(٣) (يجيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يدل على أنه في بعض النسخ : « فيكون » بالفاء ، لا بالواو . المحقق .

(٥) أي : « ويرجع به » . المحقق .

(٦) (في قتلك غيره) هكذا في الأصل ، ولعل الصواب أن يقال : « في قتل غيره إياك » لأن فرض السؤال أنه هو المقتول ، لا القاتل . المحقق .

(٧) (المكره) . في الأصل : الراء واو . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

وأما القتل فلا يباح بالإكراه . بل يأثم المكره على المأمور[1] به : بالإجماع .

وقد نقل « عياض ، وغيره » فيه : الإجماع .

قال الشافعية : وكذا الإكراه على الزنا ، لا يرفع الإثم فيه .

هذا إذا أكرهت المرأة[2] ، حتى مكّنتْ من نفسها .

فأما إذا رُبطت ، ولم يمكنها مدافعته : فلا إثم . والله أعلم .

وفي الباب : أحاديث ، عند مسلم ؛ منها ؛ بلفظ : « سَتَكُونُ فِتَنٌ ؛ الْقَاعِدُ فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ . وَالْقَائِمُ فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي . وَالْمَاشِي فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي . مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا : تَسْتَشْرِفُهُ . وَمَنْ وَجَدَ فِيهَا مَلْجَأً : فَلْيَعُذْ بِهِ »[3] .

وفي رواية : « تَكُونُ فِتْنَةٌ ، النَّائِمُ فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ . وَالْيَقْظَانُ فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ . وَالْقَائِمُ فِيهَا : خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي . فَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً ، أَوْ مَعَاذاً : فَلْيَسْتَعِذْ »[4] .

روي « تَشَرَّفَ » : بفتح التاء ، والشين ، والراء .

و « يُشْرِف » : بضم الياء ، وإسكان الشين ، وكسر الراء . من « الإشراف للشيء[5] . وهو الانتصاب والتطلّع إليه ، والتعرّض له .

(١) أي : على الفعل المأمور به . وهو هنا : القتل . المحقق .

(٢) قلت : وكذلك ، إذا أكره على الزنا : فإنه لا يرفع الإثم عنه ؛ لأن انتشاره ، لا يتحقق إلا بالرّغبة . المحقق .

(٣) هذا الحديث تجده في صحيح مسلم (٤/٢٢١٢) ، المصدر المتقدم . في الفتن ، باب (٣) . حديث رقم (١٠ - ٢٨٨٦) . المحقق .

(٤) نفس المصدر ، حديث رقم (١٢) . المحقق .

(٥) (للشيء).الهمزة فوق الياء ـ كالمعتاد ـ . المحقق .

ومعنى « تستشرفه » : تقلبه وتصرعه .

وقيل : هو من الإشراف . بمعنى « الإشفاء على الهلاك » .

ومنه : « أشفى المريض على الموت ، وأشرف » .

و « ملجأً » : أي : عاصماً ، وموضعاً يلتجئ إليه ، ويعتزل .

ومعنى « فَلْيَعُذْبِهِ » : أي : فليعتزل فيه .

وفي هذه الأحاديث : بيان عَظيمِ خطرها[1] .

والحثّ : على تجنّبها ، والهرب منها ، ومن التشبّث بشيء[2] .

وأن شرها وفتنتهَا ؛ يكون على حسب التعلّق بها .

وهذه الأحاديث ، مما يحتجّ به من لا يرى القتال في الفتنة ، بكل حال .

وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة ؛

فقالت طائفة : لا يقاتل في فتن المسلمين ، وإن دخلوا عليه بيته وطلبوا قتله : فلا يجوز له المدافعة عن نفسه ، لأن الطالب متأول . وهذا : مذهب « أبي بكرة » الصحابي ، رضي الله عنه ، وغيره .

وقال ابن عمر ، وعمران بن الحصين ، وغيرهما : لا يدخل فيها . لكن إن قُصد : دفع عن نفسه .

قال النووي : فهذان المذهبان ، متّفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام .

---

(١) أي : عظيم خطر الفتنة . المحقق .

(٢) (ومن التشبّث بشيء) هكذا في الأصل . وفي هذا اللفظ إبهام . فهل المقصود : والهرب من التشبث بشيء منها ؟ أي من الفتنة . أو أن غرض المؤلف : والتشبث بشيء ، هرباً من الفتنة ؟ وعليه يجب حذف : « ومن » . المحقق .

وقال معظم الصحابة ، والتابعين ، وعامة علماء الإسلام : يجب نصر المحقّ في الفتن ، والقيام معه : بمقاتلة الباغين . كما قال تعالى : « فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي » الآية[1] .

قال النووي : وهذا هو الصحيح . وتتأوّل الأحاديث : على من لم يظهر له الحق ، أو على طائفتين ظالمتين ، لا تأويل لواحدة منهما .

ولو كان كما قال الأولون : لظهر الفساد ، واستطال أهل البغي المبطلون . والله أعلم . انتهى .

وأقول : الراجح هو مذهب « أبي بكرة » ، لتظاهر الأحاديث الصحيحة به[2] . وقد مرج العهود ، وفسد العقود ، منذ زمن طويل ، وعسر معرفة المحق من المبطل .

وأنّىٰ لنا : من يقاتل على الوجه المطلوب للشارع المحمود ، على لسانه المرغّب فيه منه ، وغالب الفتن فسادات كبيرة ، الحامل عليها : حبّ الدنيا ، وحب الرياسة والجاه ، دون إعلاء كلمة الله تعالى ، الذي هو القتال في سبيل الله ؟

وحيث قعد السّلف الصالح : من الصحابة والتابعين ، وتجنّبوا عن

---

(١) جزء من الآية (٩) من سورة الحجرات . المحقق .

(٢) وأنا أقول : بل الراجح هو ما ذهب إليه النووي . وأنه يجب على من ظهر له الحق : أن ينصر صاحبه ضد المبطلين : عملاً بقوله تعالى : « فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ . . » الآية رقم (٩) من سورة الحجرات .
وأما من عمّي عليه الحق ، فهو الذي يعتزل القتال ، ويحطّم سيفه ، عملاً بالأحاديث التي مرّ ذكرها . والله أعلم . المحقق .

الدّخول في فتن المسلمين الأولين[1] . فكيف بفتن هذا الزمان الآخر ؟

ومن يضمن لنا على الدّخول فيها : المغفرة والشهادة ؟

فالذي يترجّح « بأدلة السنة المطهرة » : هو تَرْكُ القتالِ والجدالِ مع إحدى الطائفتين ، ولزوم البيت والقعود فيه ، وإن قُتِل . والمدافعة جائزة ، والتَّرك أفضل وأولى وأوفق : بظاهر الحديث . والله أعلم .

بَابُ : إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ

وذكره النووي ، في : (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠ ، ١١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ ؛ قَالَ : خَرَجْتُ ، وَأَنَا أُرِيدُ هَـٰذَا الرَّجُلَ . فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ ، فَقَالَ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ يَاأَحْنَفُ !

قَالَ : قُلْتُ : أُرِيدُ نَصْرَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . - يَعْنِي : عَلِيًّا - .

---

(١) ألم يشترك جمع كبير من الصحابة ، في معركة الجمل ، وصفّين ؛ منهم : من كان في صفّ عليّ ، ومنهم : من كان في الصف المقابل ، كلّ بحسب ما ترجّح له ؟ وكلهم مغفور لهم - إن شاء الله - وسيكونون جميعاً في الجنة إخوانا متحابّين ، ينطبق عليهم قول الحق سبحانه في الآية (٤٧) من سورة الحجر : « وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ » . المحقق .

(٢) في (باب:إذا تواجه المسلمان بسيفيهما) ، كذا في صحيح مسلم (٢٢١٣/٤) ، المصدر المتقدم . المحقق .

قَالَ : فَقَالَ لِي : يَاأَحْنَفُ ! ارْجِعْ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « إِذَا تَوَاجَهَ الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا : فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » .

قَالَ : فَقُلْتُ - أَوْ قِيلَ - : يَارَسُولَ اللّهِ ! هَـٰذَا الْقَاتِلُ . فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟

قَالَ : « إِنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ ») .

(الشرح)

(عن الأحنف بن قيس ؛ قال : خرجت ، وأنـا أريد هذا الـرَّجـل . فلقيني أبو بكرة ، فقال : أين تريد ؟ ياأحنف ! قال : قلت : أريد نصر ابن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - يعني : عليّا ، رضي الله عنه[1] .

قال : فقال لي : ياأحنف ! ارجع . فإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول إذا تواجه المسلمان بسيفيهما) أي : ضرب كل واحد وجه صاحبه . أي : ذاته وجملته : (فالقاتل والمقتول في النار) .

قال النـووي : هذا محمـول على من لا تأويل له . ويكـون قتالهما عصبيّة ، ونحوها .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . وقد وضع المؤلف علامة ، فوق هذا اللفظ ، للدلالة على أنه لم يرد في بعض النسخ . المحقق .

ثم « كونـه في النار » معناه : مستحقّ لها . وقد يجازى بذلك ، وقد يعفو الله تعالى عنه .

قال : هذا مذهب أهل الحق . وقد سبق تأويله مرات[١] . وعلى هذا يتأول : كل ما جاء من نظائره .

قال[٢] : واعلم : أن الـدّمـاء التي جرت بين الصحـابـة ، رضي الله عنهم : ليست بداخلة في هذا الـوعيد ، ومـذهب أهل السنة ، والحق : إحســان الـظنّ بهم ، والإمساك عما شجر بينهم ، وتأويل قتالهم . وأنهم مجتهدون متأوّلون . لم يقصدوا معصية ، ولا محض الدنيا . بل اعتقد كل فريق : أنـه المحق ، ومخالفه باغٍ . فوجب عليه قتاله ، ليرجع إلى أمر الله . وكان بعضهم مصيباً ، وبعضهم مخطيا[٣] ، معذوراً في الخطأ ، لأنه لاجتهاد .

والمجتهد ، إذا أخطأ : لا إثم عليه .

وكان عليّ رضي الله عنه ، هو المحقّ المصيب في تلك الحروب ، هذا مذهب أهل السنة .

وكانت القضايا مشتبهة ، حتى إنّ جماعة من الصحابة : تحيرّوا فيها ، فاعتـزلـوا الـطائفتين ، ولم يقـاتلوا . ولـو تيقّنـوا الصواب : لم يتأخر عن مساعدته : أحدُ منهم[٤]. انتهى[٥] .

(١) قاله في (١٨ / ١١) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (قال) أي النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (مخطياً) هكذا في الأصل . ولو قال : « مخطئاً » لكان أفضل . المحقق .

(٤) (لم يتأخر عن مساعدته : أحد منهم) . في الأصل : « لم يتأخروا عن مساعدته منهم » . ويبدو أنه خطأ غير مقصود . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٥) (انتهى) كلام النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(قال : فقلت - أو قيل - : يارسول الله ! هذا القاتل . فما بال المقتول ؟ قال : « إنه قد أراد قَتْل صاحبه ») .

قال النووي : فيه دلالة للمذهب الصحيح ، الذي عليه الجمهور ؛ أنّ مَنْ نوى المعصيةَ ، وأصَرَّ على النيّة : يكون آثما ، وإن لم يفعلها ، ولا تكلم[1] .

وقد سبقت المسألة[2] واضحة ، في كتاب الإيمان . انتهى[3] .

والحديث دليل على التجنّب من الفتنة .

بَابُ : تَقْتُلَ عَمَّارًا الْفِئَةَ الْبَاغِيَةُ

وهو في النووي ، في : (الكتاب الماضي)[4] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ) رضي الله عنها ؛ (قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « تَقْتُلُ عَمَّاراً الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » .

وفي رواية ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه[5]) وآله (وسلم ؛ قَالَ لِعَمَّارٍ : « تَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ »)[6] .

---

(١) قاله في المصدر المتقدم ، ص ١٢ . المحقق .

(٢) (المسألة) . في الأصل : « المسئلة » . المحقق .

(٣) « انتهى » كلام النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) في : (باب لا تقوم الساعة ، حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى : أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . كذا في صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(٥) في الأصل : سقط من الناسخ لفظ : « صلى الله » . المحقق .

(٦) هذه الرواية ، تجدها في صحيح مسلم (٤/٢٢٣٦) ط دار الفكر ببيروت . في الباب المتقدم . حديث رقم (٧٢ - ٢٩١٦) . المحقق .

الشرح

ويوضح ذلك : حديث « أبي سعيد الخدريّ » عند مسلم ؛ قَالَ : أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ لِعَمَّارٍ - حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ ، جَعَلَ[1] يَمْسَحُ رَأْسَهُ ، وَيَقُولُ - : « بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ . تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ » .

وفي رواية : « وَيْسَ » . أو : « يَاوَيْسَ ! »[2] .

و « البؤس والبأساء » : المكروه ، والشدّة .

والمعنى : يابؤسه ! ما أشدّه وأعظمه !

و « وَيْس » : بفتح الواو ، وإسكان الياء .

وفي رواية البخاري : « وَيْحَ »[3] كلمة ترحّم : « وويس » تصغيرها ، أي : : أقلّ منها في ذلك[4] .

قال الهروي : « ويح » يقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها ، فيُترحّم بها عليه ، ويُرثىٰ له[5] . و « ويل » : لمن يستحقها[6] .

---

(١) هذا الحديث ، في المصدر المتقدم ، ص ٢٢٣٥ ، حديث رقم (٧٠ - ٢٩١٥) إلا أنه قال : « وجعل يمسح » بزيادة واو . المحقق .

(٢) هذه الرواية ، في نفس المصدر ، حديث رقم (٧١) . ونصّ لفظ مسلم : في حديث خالد : وَيَقُولُ : « وَيْسَ » أَوْ يَقُولُ : « يَاوَيْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ » . المحقق .

(٣) هذه الرواية تجدها في (الفتح) (١ / ٥٤١) ، كتاب الصلاة : باب (٦٣) ، حديث (٤٤٧) . في قصة بناء المسجد . وفيه : (كُنَّا نَحْمِلُ : لَبِنَةً لَبِنَةً ، وَعَمَّارٌ : لَبِنَتَيْنِ ، لَبِنَتَيْنِ . فَرَآهُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ ، وَيَقُولُ : وَيْحَ عَمَّارٍ ! تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ . . » الحديث . المحقق .

(٤) أفاده النووي ، في (١٨ / ٤٠) ،المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) (رثى له).أي : رحمه ورقّ له . المحقق .

(٦) أفاده النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

وقال الفراء : « ويح ، وويس » بمعنى : « ويل »[1] .

وعن علي رضي الله عنه : « ويح » : باب رحمة . وويل : باب عذاب .

وقال[2] : « ويح » كلمة زجر ، لمن أشرف على الهلكة . و « ويل » : لمن وقع فيها . والله أعلم .

« والفئة » : الطائفة ، والفرقة .

قال أهل العلم : هذا الحديث حجة ظاهرة ، في أنّ عليًّا كرم الله وجهه ، كان محقّاً مصيباً . والطائفة الأخرى : بغاة . لكنهم مجتهدون ، فلا إثم عليهم لذلك . كما تقدم في مواضع ؛ منها : هذا الباب .

وفيه : معجزة ظاهرة ، لرسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ من أوجه ؛

منها : أن « عماراً » وهو ابن ياسر : يموت قتيلاً . وأنه : يقتله مسلمون . وأنهم : بغاة .

وأن الصحابة : يقاتلون .

وأنهم يكونون فرقتين : باغية ، وغيرها .

وكلّ هذا ، قد وقع . مثل فلق الصبح . صلى الله على رسوله ، الذي لا ينطق عن الهوى . « إنْ هُوَ إلَّا وَحْيٌ يُوحَى »[3] . قاله النووي .

---

(١) نفسه . المحقق .

(٢) (وقال) أي : الفراء . كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) الآية (٤) من سورة النجم . المحقق .

قلت : وحديث الباب هذا : أدل دليل على بَغْي من خالف عليًّا ، بل نصّ في محل النزاع . لكن لا يَخْرج المسلم بمثل هذا البغي : عن دائرة الإسلام .

وإنما حكمه : حكم الآثم العاصي الخاطئ .

ولا ينبغي لأحد من المسلمين : أن يخوض في مشاجرات الصحابة ، رضي الله عنهم .

فإن الخوض فيها : يفضي إلى شكوك ، وأوهام مهلكة له ، ومفسدة لإيمانه .

بل الأولى : أن يفوّض هذا الأمر ، إلى من قدّره عليهم ، وقضاه . وهو الله سبحانه .

وتلك أمة ؛ قد طهر الله أيدينا عن دمائها . فلنطهّر قلوبنا وألسنتنا[1] عنها . ولا ندخل في: كيف ؟ ولِمَ ؟ هذا هو المذهب الحق المختار .

وقد سئل شيخنا : الإمام العلامة « محمد بن علي الشوكاني » ، رضي الله عنه : عن المذهب الحق ، في شأن ما شجر بين الصحابة ، في الخلافة وما يترتب عليها ؟

فأجاب في « الفتح الرباني » ، بما نصه ؛ أقول : إن كان هذا السائل ، طالبا للنجاة ، مستفهما عن أقرب الأقوال إلى مطابقة مراد مولاه ، كما يشعر بذلك تصرّفه في سؤاله : فليدع الاشتغال بهذا الأمر ، ويترك

---

(١) (وألسنتنا) . في الأصل : النون الأولىٰ تاء . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

المرور في هذا المضيق الذي تاهتْ فيه الأفكار ، وتحيّرتْ عنده أبصار أهل الأبصار .

فإنّ هؤلاء ، الـذين يبحث عن حوادثهم ، ويتـطلّع لمعـرفة ما شجر بينهم : قد صاروا تحت أطبـاق الثّـرىٰ ،ولَقُوا رَبَّهُمْ في المائة الأولى من البعثـة . وهـا نحن الآن في المائة الثالثة عشر . فمالنا ، والاشتغالَ بهذا الشأن ، الذي لا يعنينا ؟

ومن حسن إسلام المرء : تَرْكُه مالا يعنيه .

وأيّ فائدة لنا ، في الدّخول في الأمور التي فيها ريبة ؟ وقد أرشدنا[1] إلى أن ندع ما يريبنا : إلى مالا يريبنا .

و يكفينـا من تلك القـلاقل والزلازل : أنْ نعتقد أنهم خير القرون ، وأفضل الناس . وأنّ الخارجين على أمير المؤمنين « عليّ » رضي الله عنه ، المحاربين له ، المصرّين على ذلك ، الذين لم تصحّ توبتهم : بغاة . وأنه المحقّ ، وهم المبطلون .

ومازاد على هذا المقدار : فمن الفُضول ، الذي يشتغل به من لا يبالي بدينه .

وقد تلاعب الشيطان : بكثير من الناس ، فأوقعهم في الإختلاف في خير القرون ، الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شأنهم –

---

(١) أي : النبي ، صلى الله عليه وسلم . وذلك فيما رواه عنه علي / عند الترمذي . وقال الترمذي : حديث حسن صحيح . ورقمه (٢٥٢٠) . وأخرجه أحمد بإسناد صحيح ، وصححه ابن حبان . المحقق .

لبعض من هو من جملتهم ، لكنه تأخّر إسلامه عنهم - : « لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُ كُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً : مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ »[1] .

فإذا كان « مثلُ أحدٍ ذهباً » من المتأخّرين من الصحابة ، المخاطبين بهـذا الخطاب : لا يبلغ مُدَّ أحَدِ متقدّميهم ، ولا نصيفه ، فما أظنّه يبلغ « مثلُ أحُدٍ ذهباً » منّا : مقدار حبّةٍ من أحَدِهم ، ولا نصيفَها[2] .

فرحم الله امرءاً[3] يشتغل بالقيام : بما أوجبه الله عليه ، وطلبه منه . وتَـرْكِ : مالا يعود عليه بنفع ، لا في دنيا ولا في آخرة ، بل يعود عليه : بالضرّ . لو لم يكن من الضرّ ، إلا مجرد مخالفة ما أرشدنا إليه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ بقوله : « مِنْ حُسْنِ إِسْلاَمِ الْمَرْءِ : تَرْكُهُ مَالاَ يَعْنِيهِ »[4] . فهذا ، والله ! مما لا يعنينا .

ومن ظنّ خلاف هذا : فهو مغرور ، مخدوع ، قاصر الباع عن إدراك الحقائق ، ومعرفة الحق على وجهه : كائناً من كان .

والله ! لو جاء أحـــدهم[5] - يوم القيامـــة - : بمـــا يمـــلأ الـــدنيا من

(١) نص رواية البخاري ، عن « أبي سعيد الخدري » ، كما في الفتح (٧/٢١) فضائل الصحابة ، باب (٥) ، حديث (٣٦٧٣) : « لاَ تَسُبـوُّا أَصْحَابِي ، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً : مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ » . وله متابعات . ونصّ رواية مسلم ، عن « أبي هريرة » ، كما في صحيح مسلم (١٩٦٧/٤) ط دار الفكـر ببيروت ، كتـاب فضـائـل الصحـابـة ، باب (٥٤) ، حديث (٢٢١ - ٢٥٤٠) : « لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي . لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي . فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً : مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ ، وَلاَ نَصِيفَهُ » . المحقق .

(٢) أي : ولا نصيف حبّة . المحقق .

(٣) (امرءاً) . في الأصل : « امرأ » . المحقق .

(٤) رواه الترمذي ، في (الزهد) «١١» ، وابن ماجه ، في « الفتن » «١٢» . والموطأ ، في « حسن الخلق » «٣» . وأخرجه أحمد ، في (مسنده) . المحقق .

(٥) الضمير في « أحدهم » عائد إلى الصحابة ، رضوان الله عليهم . المحقق .

الحسنات : ما كان لنا من ذلك شيء[1] .

ولو جاء أحدهم - وصانهم الله[2]- : بما يملأ الدنيا من السيئات : ما كان علينا من ذلك شيء[1]. ففيم التعب ؟ وعلامَ تضييع الأوقات ، في هذه الترّهات ؟

هذا آخر كلامه[3] ، رحمه الله تعالى . وله من الصدق : حلاوة . وعليه من نور الحق : طلاوة . وإن أعلاه لمغدق ، وإن أسفله لمثمر .

وبالجملة : الجواب عن هذه المسألة[4] : أن الإمساك عن الكلام فيها : أولىٰ ، وسَدّ هذا الباب الذي لا يستفاد من فتحه إلا مالم يتعبّد الله به عباده - : أسلم وأحرىٰ .

وكلام الطوائف في ذلك : معروف . وكل حزب بمالديهم : فرحون .

والحق : مابين المقصّر ، و الغالي . والصواب : في التوسّط بين جانبي الإفراط والتفريط .

كلا جانبي قَصْدِ الأمور ذميم[5] .

وحديث الباب ، الثابت في الصحيح : أن عمّاراً تقتله الفئة الباغية ، قد دلّ أكمل دلالة ، على من بيده الحق . ومن هو مقابله .

أنك حقّ وهم الباطل[6] .

---

(١) (شيء) في الأصل الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٢) (وصانهم الله) جملة اعتراضية دعائية . أي : وحفظهم الله من أن يكونوا كذلك . المحقق .

(٣) أي آخر كلام الشوكاني ، في (الفتح الرباني) . المحقق .

(٤) (المسألة ؛ . في الأصل : « المسئلة » . المحقق .

(٥) (كلا جانبي قصد الأمور ذميم) هذا شطر بيت . وقد ذكر المؤلف قبله الحرف (ع) رمزاً لكلمة « مصراع » أي : شطر بيت . فحذفنا هذا الحرف ، تصرفاً . المحقق .

(٦) وهذا أيضاً : شطر بيت ، رمز قبله بالحرف (ع) . وقد حذفنا هذا الحرف ، تصرفاً . المحقق .

وما ورد في قتال الخوارج ؛ أَنَّهَا تَقْتُلُهُمْ أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ »[1] : واضح الدلالة على المراد .

وقد كان بايع عليًّا ، رضي الله عنه : من بايع أبا بكر وعمر ، رضي الله عنهما . وشذّ عن بيعته : من شذّ ، بلا حجة شرعية . وطلبوا أن يمكّنهم : من قَتَلةِ عثمان ، رضي الله عنه ؛ فقال : إن الحكم فيهم إلى الإمام – وهو إذ ذاك : الإمام – .

وقد ثبت في الصحيح ؛ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ لِلْحَسَنِ : « إِنَّ ابْنِي هَـٰذَا سَيِّدٌ . وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ : بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ »[2]

وبالجملة : فلا يأتي التطويل في مثل هذا : بفائدة ، ولا يعود بعائدة .

وقد قَدِمُوا على ما قَدَّموا . « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ »[3] . ولم يكلفنا الله : بشيء[4] من هذا . بل أرشدنا إلى ما قصه علينا في كتابه العزيز ؛ بقوله : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ

---

(١) روى مسلم ، في صحيحه ، عن « أبي سعيد الخدريّ » : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « تَمْرُقُ مَارِقَةٌ ، فِي فُرْقَةٍ ، مِنَ النَّاسِ ، فَيَلِي قَتْلَهُمْ : أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ » . (٧٤٦/٢) ط دار الفكر ببيروت . كتاب الزكاة ، باب (٤٧) . حديث رقم (١٥٢) . المحقق .

(٢) هذا الحديث تجده في « فتح الباري » (٣٠٦/٥) ، كتاب الصلح ، باب (٩) . حديث (٢٧٠٤) . وقد ورد به : فَقَالَ الْحَسَنُ : وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ يَقُولُ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ عَلَى الْمِنْبَرِ – وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ إِلَىٰ جَنْبِهِ – وَهُوَ يُقْبِلُ على النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَىٰ ، وَيَقُولُ : « إِنَّ ابْنِي هَـٰذَا سَيِّدٌ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ : بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ ، مِنَ الْمُسْلِمِينَ » . المحقق .

(٣) الآية الكريمة نصّها : « تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَّا كَسَبْتُمْ » وهي رقم (١٣٤) ، (١٤١) البقرة . وفي آخر آية في البقرة : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ ، وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ » . المحقق .

(٤) (بشيء).في الأصل:الهمزة – كالمعتاد – فوق الياء . المحقق .

لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا »[1] الآية .

فرحم الله امرءاً قال خيراً ، أو صمَت . وأقمى[2] من زاد على هذا وتعدّى .

ويكفي في كفر الرافضة ، قوله تعالى : « لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ[3] » ، وورود الخبر عن سيّد البشر بقتلهم ، وأنهم مشركون .

وكذلك الخوارج ، فإنهم « كلاب النار » .

وليست « الفرقة النّاجية » ، إلا التي هي على ما كان عليه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وأصحابه الذين هم خير القرون . وهذا منصوص السنة الصحيحة ، وليس بعد بيان الله وبيان رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم : بيان . ولا قرية بعد « عبادان » .

وإنْ كان كلّ فرقة من الفرق الضالّة المضلّة : تزعم أنها ناجية ، وأنها على الحق . ولكن لا يساعد كلامُ النبوة ، إلا للمتّبعين بالكتاب والسنة .

وكلٌّ يدّعي وصلاً لليلىٰ ... وليلىٰ لا تُقِرّ لهم بذاكا[4]

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ[5] » .

---

(١) الآية (١٠) من سورة الحشر . هذا ؛ وكلمةُ (جاءوا) في الأصل : « جاؤا » . المحقق .

(٢) (وأقمى) هكذا في الأصل . والصواب : « وأَقْمأ » أي : أذَلَّ ، وصَغَّر . « والقميء » : الذليل ، والصغير ، والحقير . وجمعه : قِماء ، بكسر القاف ، وضمها . مستفاد من المعجم الوسيط . المحقق .

(٣) جزء من الآية الأخيرة ، من سورة الفتح . المحقق .

(٤) (وكل يدّعي . . . إلخ) هذا بيت من الشعر . وقد ذكر المؤلف ، قبله علامة اعتاد ذكرها قبل الشعر . وقد حذفناها ، تصرفاً . المحقق .

(٥) آخر الآية في سورة الشعراء . المحقق .

اللهمّ ! « لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَّدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ »[1] .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ : دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ

وذكره النووي ، في : (الكتاب الماضي)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢ ، ١٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ هَمَّـام بْنِ مُنَبِّهٍ ؛ قَالَ : هَـٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَذَكَرَ أَحَادِيثَ ؛

مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ ، وَتَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ . وَدَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[3] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « لا تقـوم السـاعـة ، حتى تقتتل فئتان عظيمتان

---

(١) نص الآية رقم (٨) ، من سورة آل عمران : « رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا . . . » إلخ . المحقق .

(٢) ولكنه ليس في نفس الباب الماضي ، وإنما في (باب : إذا تواجه المسلمان بسيفيهما) ، كما في صحيح مسلم (٤/٢٢١٣) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . هذا ؛ وقد ذكرنا من السند ، من أول « عن همام بن منبه » . المحقق .

تكـون[1] بينهمـا مقتلة عظيمـة . ودعـواهما واحدة ») . أي : كل واحدة منهما ، يدّعي الإسلام .

قال النووي : هذا من المعجزات . وقد جرى هذا في العصر الأول . انتهى[2] .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي مَكَانَهُ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُــولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يَمُرَّ الرَّجُلُ عَلَى الْقَبْرِ ، فَيَتَمَرَّغُ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ : يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَكَانَ صَاحِبِ هَـٰذَا الْقَبْرِ . وَلَيْسَ بِهِ الدِّينُ ، إِلَّا الْبَلَاءُ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[4]، قال : قال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم : والذي نفسي بيده ! لا تذهب الدنيا ، حتى يمرّ الرجل

---

(١) في مصدر الحديث : « وتكون » بزيادة واو . المحقق .

(٢) (انتهى).أي : كلام النووي . وهو مذكور في (١٨/ ١٣)،المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) وفي (باب : لا تقوم الساعة ، حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . كذا في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٣١) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

على القبر ، فيتمرغ عليه ، ويقول : ياليتني كنت[1] مكان صاحب هذا القبر) أي : حتى لا أرى الفتنة .

(وليس به الدّين ، إلا البلاء) .

وفي رواية : « فَيَقُولُ : يَالَيْتَنِي مَكَانَهُ »[2] .

هذا الحديث لم يشرحه النووي .

قيل : أراد بالدّين : « العادة » . أي : ليس التمرغ ، وتمنّي الموت : من عادته . وإنما حمله عليه البلاء ، أو المشقة .

وقيل : محمول على معناه . أي : ليس ذلك التمرّغ لأمر أصابه من جهة الدّين . لكن من جهة الدنيا ومشاقّها . والله أعلم بالصواب .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَكْثُرَ الْهَرْجُ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن ، وأشراط الساعة)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

هو بصحيح مسلم / النووي ، ص١٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[4] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه)

---

(١) وضع المؤلف علامة فوق كلمة : « كنت » ، إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . وقد حذفنا هذه العلامة ، تصرفا . المحقق .

(٢) هذه الرواية ، تجدها في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٣١) ط دار الفكر ببيروت ، في (الفتن) ، في نفس الباب قبل حديث الباب مباشرة . حديث رقم (٥٣ - ١٥٧) . المحقق .

(٣) وهو في الباب ، الذي قبل الباب السابق ، كما في نفس المصدر . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . هذا ؛ وقد ذكرنا من السند ، من أول « عن همام بن منبه » . المحقق .

وآله (وسلم ؛ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَكْثُرَ الْهَرْجُ » . قَالُوا : وَمَا الْهَرْجُ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « الْقَتْلُ . الْقَتْلُ ») .

(الشَّرح)

لم يتكلم النووي : على هذا الحديث بشيء[1] .

وظاهره : أن كثرة القتل ، من أمارات قرب الساعة . وقد وقع كما أخبر . فهذا عَلَم ، من أعلام نبوته ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد رأيتَ أيها الإنسان ! ما وقع من هذا الهرج ، في هذا الزمان اليسير . فإنه وقع أولاً : حرب « بين الروم والروس » . وقُتِل عَالَم كبير ، من عالَمي هذا العصر .

ثم وقعت الحرب بين النصاري وبين أمير كابل ، فأفنتْ خلقا كثيراً ، وأضاعت أموالا غزيرة .

ثم قامت الفتنة « بين مصر وحكومة لندرة » ، وذهب فيها أموال لا تحصى ، وهلكت نفوس لا تستقصى .

وهي الآن حين تحرير هذا المقام ، في صدر ، وورد : من العساكر .

وقد كفى الله مؤمني الهند : القتال ، في هذا الزلزال . « والفتنة أشدّ مِنَ القتل »[2] .

وقد تقدم حكم الدخول ، والإشراف ، والتطلع إليها . فتذكّر ، وكن من الطائفتين بمعزل . وبالله التوفيق .

---

(١) (بشيء) . في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٢) مقتبس من الآية (٢١٧) من سورة البقرة ، إلا أن النص في الآية : « وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ » . « أكبر » بدل : « أشدّ » . المحقق .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَا[1] قَتَلَ ؟

وهو في النووي ، في (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا ، حَتَّىٰ يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ ، لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ » .

فَقِيلَ : كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ ؟ قَالَ : « الْهَرْجُ . الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ ») .

(الشَّرح)

أما القاتل : فظاهر . وأما المقتول : فلكونه حريصاً عازماً : على قتل صاحبه .

ولم يشرحه النووي . ومعناه : واضح .

وهـذا معجـزة ظاهـرة له ، صلى الله عليه وآلـه وسلم . فقـد شوهد ويشـاهـد : ما أخبـر به الصـادق المصـدوق ، عنـد المرج والهرج ، في الأقطار ، وكثرة القتل ، والسفك : في الأمصار .

---

(١) الأفضل : « فيم قتل ؟ » بدون ألف . وليطابق لفظ الحديث . المحقق .

(٢) في (باب : لا تقوم الساعة ، حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . المحقق .

بَابُ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَىٰ ») .

(الشَّرح)

« بصرى » : بلد خوران[2] ، بينها وبين دمشق « مراحل »[3] .

وقد تواتر أنها خرجت : سنة « أربع وخمسين وستمائة » . وقد استضاء بها : هضبات بُصرى . وهي المسماة : « بأعناق الإبل » .

و « الهضبة » : الجبل المنبسط ، على وجه الأرض .

وفي حديث « حذيفة »[4] ، عند مسلم : « تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ »[5] .

---

(١) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٧) ، في نفس الباب ، الذي ذكره المؤلف . المحقق .

(٢) في النووي (١٨/٣٠) المطبعة المصرية . وكذلك في صحيح مسلم ، المصدر المتقدم : « وهي مدينة حوران » بالحاء المهملة ، لا بالخاء المعجمة.المحقق .

(٣) في المصدرين المتقدمين : « بينها وبين دمشق : نحو ثلاث مراحل » . المحقق .

(٤) هو « حذيفة بن أَسِيدٍ الغفاريّ » . المحقق .

(٥) هذا الحديث تجده في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٥ ، ٢٢٢٦) ، ط دار الفكر ببيروت . (في الفتن) ، (باب : في الآيات ، التي تكون قبل الساعة) . حديث (٣٩ - ٢٩٠١) . ونصه ؛ قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ ،

قال[1] : وفي رواية : « نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنٍ »[2] .

وهذه النار الخارجة من قعر عدن ، هي الحَاشرة للناس . كما صرّح به في الحديث .

قال النـووي : جعـل عياض « النـار الخارجة من أرض الحجاز » : حاشرة . قال عياض : ولعلهما ناران تجتمعان ، لحشر الناس .

قال[3] : أو يكون ابتداء خروجهما من اليمن . ويكون ظهورهما وكثرة قوتهما : بالحجاز[4] . انتهى[5] .

قال النووي : وليس في الحديث : أن « نار الحجاز » متعلقة بالحشر . بل هي آية من أشـراط السـاعـة ، مستقلّة . وقـد خرجت في زماننا : نار بالمدينة ، سنة أربع وخمسين وستمائة - وكانت ناراً عظيمة جدّاً - : من جنب المـدينـة الشرقي ، وراء الحرة . تواتر العلم بها ، عند جميع أهل

= صلى الله عليه وسلم : عَلَيْنَا - وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ - ، فَقَالَ : « مَا تَذَاكَرُونَ ؟ » . قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ . قَالَ : « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ ، حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا : عَشْرَ آياتٍ » ؛ فَذَكَرَ : الدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْـرِبهَـا ، وَنُـزُولَ عِيسىَ بْن مَرْيَمَ ، صلى الله عليه وسلم ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلاثَةَ خُسُوفٍ : (خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ . وَآخِرُ ذَلِكَ : نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ » . المحقق .

(١) (قال) أي : مسلم . المحقق .

(٢) في المصـدر المتقدم - في الهامش - : « وفي رواية : « تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ » . هكذا « من قُعْرَةِ » ، بدل : « من قعر » . المحقق .

(٣) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، في (١٨ / ٢٨) المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) في المصدر المتقدم : « ابتداء خروجها » . « ظهورها » . « قوتها » كله : بإفراد الضمير . وهو الصواب . المحقق .

(٥) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

الشام ، وسائر البلدان . وأخبرني من حضرها : من أهل المدينة . انتهى[1] .

قلت : الصحيح : أن هذين ناران ؛ أحدهما : من أشراط القيامة الماضية . وهي ما في حديث الباب .

وأما النار الأخرى التي تخرج من اليمن ، فهي - وإن كانت أيضاً من آيات الساعة - لكنها تخرج بقرب من قيام الساعة جدّاً .

وقصة « نار المدينة » : صحيحة ، ثابتة لا ريب فيها : باتفاق أهل العلم ، من أصحاب السير والتواريخ المعتَبرة ، المعتمدة عليها .

وقد ذكرناها في (حجج الكرامة) ، مفصّلة واضحة . وأشرنا إليها في (الإذاعة) في مطاوي ذكر « الفتن » الغابرة الماضية الخالية . وأيضاً : قصتها محررة في (الإشاعة ، لأشراط الساعة) .

قال « الشيخ أبو الفلاح » في كتابه : (شذرات الذهب ، في أخبار من ذهب) : قيل : بقيت هذه النار ثلاثة[2] أشهر . وكان نساء المدينة : يغزلْن على ضوئها . وظنّ أهل المدينة : أنها القيامة . انتهى .

وذكرها القسطلاني ، وغيره من المؤرخين : مفصّلة ، ومجملة .

وهي غير النار التي تخرج في آخر الزمان ، تحشر الناس إلى محشرهم : بإذن الرحمن . والله أعلم .

---

(١) (انتهى) كلام النووي ، بنفس المصدر المتقدم . المحقق .
(٢) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

بَابٌ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تَعْبُدَ دَوْسٌ ذَا الْخُلَصَةِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٢ ، ٣٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تَضْطَرِبَ أَلَيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ ، حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ » .

وَكَانَتْ صَنَماً ، تَعْبُدُهَا دَوْسٌ - فِي الْجَاهِلِيَّةِ - ، بِتَبَالَةَ) .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا تقوم الساعة ، حتى تضطرب أَلَيَاتُ نساء دوس) بفتح الهمزة واللام[2] . معناه : « أعجازهنّ » . جمع « أَلْيَة » كجَفْنة وجَفَنات .

وهو في الأصل : اللحمة تكون في أصل العضو . وقيل : هي اللحمة المشرفة : على الظهر ، والفخذ . وهي « لحم المقعد » .

والمراد حتى يرتدُّوا ، فيضطربْن : من الطواف (حول ذي الخلصة) : بفتح الخاء واللام . هذا هو المشهور .

وحكى عياض : في الشرح ، والمشارق : ثلاثة[3] أوجه ؛

---

(١) في نفس الباب ، الذي ذكره المؤلف ، كما في صحيح مسلم (٤ / ٢٢٣٠) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(٢) (بفتح الهمزة ، واللام) . أي كلمة : « أليات » . المحقق .

(٣) (ثلاثة) . في الأصل - كالمعتاد - : « ثلثة » . المحقق .

أحدها : هذا[1] .

والثاني : بضم الخاء[2] .

والثالث : بفتحها ، وإسكان اللام .

(وكانت صنماً ، تعبدها دوس - في الجاهلية - ، بتبالة) : بفتح التاء ، ثم باء مخففة . هي موضع « باليمن » .

وليست « تبالة » التي يضرب بها المثل ، ويقال : « أهون على الحجاج من تبالة ، لأن تلك[3] : بالطائف .

قال النووي : قالوا : وهو « بيت صنم » ، ببلاد « دوس » . وزاد في النهاية : « وخثعم ، وبجيلة » ، وغيرهم .

وقيل : « ذو الخَلَصة » : الكعبة اليمانية ، التي كانت باليمن . فأنفذ إليها رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : « جرير بن عبد الله » ، فخرّبها .

وقيل : « ذو الخلصة » : اسم الصنم نفسه . ويخدشه : اختصاص « ذو » : باسم الجنس .

وأصل الحديث : متفق عليه ، ولفظه[4] .

وذو « الخلصة » : طاغية دوس ، التي كانوا يعبدونها في الجاهلية .

---

(١) أي : فتح الخاء واللام . المحقق .

(٢) (بضم الخاء) أي : مع فتح اللام . المحقق .

(٣) أي : التي يضرب بها المثل . المحقق .

(٤) صنيع المؤلف يوهم : أن الواو في كلمة : « ولفظه » للاستئناف . وأن قوله : « وذو الخلصة » إلخ . هو لفظ الحديث . وليس كذلك . وإنما الواو هنا للعطف : والمعنى أن أصل الحديث ولفظه : متفق عليه . المحقق .

والمعنى : يكفرون ، ويرجعون إلى عبادة الأصنام وتعظيمها . انتهى[1] .

ولعل هذا أيضاً : وقع . لكن يحتاج إلى كشف حقيقة الحال . فإن كان لم يقع إلى الآن : فسيقع في مستقبل الزمان ، كما أخبر به سيد الإنس والجانّ . وهو لا ينطق بالهوى . إن هو إلا وحيٌ يُوحى . صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّىٰ تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ » .

فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ - حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ : هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[3] - : أَنَّ ذَٰلِكَ تَامّاً .

---

(١) (انتهى).أي:كلام النووي ، في (النهاية) . المحقق .

(٢) وفي نفس الباب المتقدم ، كما في المصدر السابق . المحقق .

(٣) الأية (٣٣) من سورة التوبة . ، والآية (٩) من سورة الصف . المحقق .

قَالَ : « إِنَّـهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ : مَا شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ : رِيحاً طَيِّبَةً ، فَتَوَفَّىٰ : كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ ، مِنْ إِيمَانٍ . فَيَبْقَىٰ : مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ ، فَيَرْجِعُونَ إِلَىٰ دِينِ آبَائِهِمْ ») .

(الشرح)

(عن عائشة) رضي الله عنها ؛ (قالت : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ يقـول : لا يذهب الليل والنهـار ، حتى تُعبـد اللاتُ) : صنم لثقيف . (والعزّى) : صنم لغطفان .

(فقلت : يارسول الله ! إن كنت لأظن - حين أنزل الله[1] : هُوَ الَّذِي أَرْسَـلَ رَسُـولَـهُ بِالْهُـدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِـرَهُ عَلَى الـدِّينِ كُلِّهِ وَلَـوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ[2] . أَن ذلك تامّ)[3] . بالرفع ، في (كتاب الحميدي) ، على أنه خبر « أن » . وبالنصب ، في صحيح مسلم ، وشرح السُّنَّة .

والمعنى : أني ظننت - من مفهوم الآية - : أن « ملة الإسلام » غالبة أبداً ، غير مغلوبة أصلا . فكيف تعبد اللات والعزّى ؟

(قال : إنه سيكون من ذلك) أي : من تمام الدّين ونقصان الكفر : (ما شاء الله) أي : مدّة مشيئة الله .

(ثم يبعث الله : ريحاً طيبةً ، فتوفّىٰ كلَّ من في قلبه : مثقال حبّة من

---

(١) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « عزّ وجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٢) الآية (٣٣) من سورة التوبة . ، والآية (٩) من سورة الصف . المحقق .

(٣) هو في مصدر الحديث : « تامّاً » بالنصب . المحقق .

خردل[1]، من الإيمان[2] ، فيبقى من لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم) .

لم يشرحه النووي ، مطلقاً .

وفيه : إخبار بوقوع عبادة الأصنام ، هذه التي في حديث الباب خاصّة . أو نبّه بهذه : على الأخرى .

وآخر الحديث : يدلّ على أنّ هذا ، إنما يكون في آخر الزمان ، عند قربَ الساعة .

وهذا عَلَم ، من أعلام الرسالة .

(وفي اليقظة) : « ومنها ريح طيبة » . وذكر حديث الباب ، ثم قال : « تأتي من قبل الشام ، أو من اليمن » .

قال[3] : وقيل : هما ريحان ؛ شامية ، ويمانية . ثم يبقىٰ شرار الناس ، حتى لا يقال في الأرض : « لا إله إلا الله » . وعليهم تقوم الساعة . انتهى .

بَابٌ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُغْزَىٰ مَدِينَةٌ جَانِبُهَا فِي الْبَحْرِ وَالْآخَرُ فِي الْبَرِّ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[4] .

(١) في مصدر الحديث : « حبة خردل » بدون كلمة « من » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « من إيمان » بدون «ال » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ورد كذلك ، في بعض النسخ . أي : بدون « ال » . المحقق .

(٣) (قال) أي : في « اليقظة » . المحقق .

(٤) وفي (باب : لا تقوم الساعة ، حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى : أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . كذا كما في صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤٣ ، ٤٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « سَمِعْتُمْ بِمَـدِينَةٍ ، جَانِبٌ مِنْهَا : فِي الْبَرِّ . وَجَانِبٌ مِنْهَا : فِي الْبَحْرِ ؟ » . قَالُوا : نَعَمْ . يَارَسُولَ اللَّهِ !

قَالَ : « لَا تَقُـومُ السَّـاعَـةُ ، حَتَّىٰ يَغْـزُوَهَـا : سَبْعُـونَ أَلْفاً ، مِنْ بَنِي إِسْحَـاقَ . فَإِذَا جَاءُوهَا : نَزَلُوا ، فَلَمْ يُقَاتِلُوا بِسِلَاحٍ ، وَلَمْ يَرْمُوا بِسَهْمٍ . قَالُوا : لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَيَسْقُطُ أَحَدُ جَانِبَيْهَا » .

قَالَ ثَوْرٌ : لَا أَعْلَمُهُ ، إِلَّا قَالَ : « الَّذِي فِي الْبَحْرِ » .

ثُمَّ يَقُولُوا الثَّانِيَةَ : لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَيَسْقُطُ جَانِبُهَا الْآخَرُ .

ثُمَّ يَقُولُوا الثَّالِثَةَ : لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَيُفَرَّجُ لَهُمْ ، فَيَدْخُلُوهَا ، فَيَغْنَمُوا .

فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْمَغَانِمَ ؛ إِذْ جَاءَهُمُ الصَّرِيخُ ، فَقَالَ : إِنَّ الدَّجَّالَ قَدْ خَرَجَ . فَيَتْرُكُونَ كُلَّ شَيْءٍ ، وَيَرْجِعُونَ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (أن النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « سمعتم بمدينةٍ . جانبٌ منها : في البرّ . وجانبٌ منها : في البحـر ؟ » قالـوا : نعم . يارسول الله ! قال : لا تقوم الساعة ، حتى

يغزوها سبعون ألفاً ، من بني إسحاق[1] . قال عياض : كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم .

قال : وقال بعضهم : المعروف ، المحفوظ : « من بني إسماعيل[2] » . وهو الذي يدلّ عليه الحديث ، وسياقه . لأنه ، إنما أراد العرب .

وهذه المدينة ، هي « القسطنطينية » . قاله النوْوي[3] .

(فإذا جاءوها[4] : نزلوا ، فلم يقاتلوا بسلاح ، ولم يرموا بسهم . قالوا : لا إلـه إلا الله والله أكبر ، فيسقط أحد جانبيها .

قال ثور) وهو ابن زيد الدِّيلي ، أحد رجال إسناد هذا الحديث[5] : (لا أعلمه) أي : لا أظن أبا هريرة : (إلّا قال : الذي في البحر . ثم يقول[6] الثانية : لا إلـه إلا الله والله أكبر ، فيسقط جانبها الآخر ثم يقول[7] الثالثة : لا إلـه إلا الله والله أكبر ، فيفرّج[8] لهم ، فيدخلونها ، فيغنمون[9] .

---

(١) (إسحاق) في الأصل : « إسحق » . هذا ؛ وقد أثبت المؤلف - في الهامش - « إسماعيل » مكان « إسحاق » ، إشارة إلى ورودها كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (إسماعيل) . في الأصل : « إسمعيل » . المحقق .

(٣) (قاله النووي) ، في (١٨ / ٤٥) المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) (جاءوها) . في الأصل : « جاؤها » . المحقق .

(٥) وهو راويه عن « أبي الغيث » ، عن « أبي هريرة) . المحقق .

(٦) (ثم يقول) هكذا في الأصل . والصواب - كما في مصدر الحديث - : « ثم يقولوا » . المحقق .

(٧) (يقول) . الصواب : « يقولوا » . لأنهم جمع . عدّتهم - كما في الحديث - : سبعون ألفاً . المحقق .

(٨) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « فتفرج » بالتاء المثناة فوق ، بدل الياء المثناة تحت . المحقق .

(٩) في مصدر الحديث : « فيدخلوها فيغنموا » بحذف النون في الفعلين . وإن كان لرفعهما بثبوت النون وجه . المحقق .

فبينمـا هم يقتسمـون الغنـائم[1] . إذ جاءهم الصـريخ . فقال : إنَّ الدجّال قد خرج . فيتركون كل شيء[2] ويرجعون) .

ظاهر هذا : فتح « القسطنطينية » قبل قيام الساعة ، على أيدي أبناء إسماعيل[3] ، عليه السلام .

وأما كونه : قبل ظهور المهديّ أم بعده ؟ فلانصّ عليه .

وذهب بعض أهل العلم : إلى القبلية .

وبعضهم : إلى البعدية .

وحديث « معاذ بن جبل » ـ عند الترمذي ؛ بلفظ : « خروج الدجّال في سبعـة أشهر » أي بعد فتحها[4]- : يدل على أنّ ظهوره[5] عليه السلام : متقدّم على فتحها .

ويؤيده الأحاديث الأخرى ، المروية في السنن . والله أعلم .

بَابُ : لَاتَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَن جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ

وذكره النووي ، في:(كتاب الفتن)[6]

---

(١) في مصدر الحديث : « المغانم » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٣) (إسماعيل) . في الأصل : « إسمعيل » . المحقق .

(٤) نص هذا الحديث ، عن معاذ ، رفعه : « الْمَلْحَمَةُ الْعُظْمَىٰ ، وَفَتْحُ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ ، وَخُرُوجُ الدَّجَّالِ فِي سَبْعَةِ أَشْهُرٍ » ضعيف سنن الترمذي ، الفتن ، ص ٢٥١ ، ٢٥٢ ، باب (٤٨) ، حديث (٣٩٠ - ٢٣٥٣) . قال الألبـاني : (ضعيف ابن ماجه ٤٠٩٢ [برقم ٩٨٠ ، وضعيف سنن أبي داود ٤٢٩٥/٩٢٥ ، ومشكـاة المصابيح ٥٤٢٥ ، وضعيف الجامع الصغير وزيادته برقم ٥٩٤٥]) . اهـ . المحقق .

(٥) (ظهوره).الضمير هنا ، عائد إلى:المهدي . المحقق .

(٦) وهو في نفس الباب ، الذي ذكره المؤلف ، كما في صحيح مسلم (٢٢١٩/٤) ، ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « لاَ تَقُـومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَحْسِرَ الْفُرَاتُ ، عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ ، يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ ؛ فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ : تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ . وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : لا تقوم الساعة ، حتى يحسر) : بفتح الياء ، وكسر السين . أي : ينكشف ، لذهاب مائه .

(الفرات عن جبل من ذهب ، يقتتل الناس عليه ، فُيقتل من كل مائة : تسعة وتسعون . ويقول كلّ رجل منهم : لعلّي أكون أنا الذي أنجو) .

عدّه في (اليقظة) : من الفتن ، الواقعة قبل ظهور المهدي ، عليه السلام . والله أعلم .

ولم نسمـع إلى الآن بوقـوعه : ولكن لابدّ من وقوعه ، لخبر الصادق المصدوق ، بذلك .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

---

(١) وهو في المصدر المتقدم ، في نفس الباب . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يُوشِكُ الْفُرَاتُ . أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فَمَنْ حَضَرَهُ : فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئاً » .

وفي رواية : « عَنْ جَبَلٍ »)[1] .

(الشَّرح)

وفيه : الأمر بعدم أخذ هذا المال . وهو على ظاهره من الوجوب .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ تُقَاتِلُوا قَوْمًا ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ

وهذا ذكره النووي ، في : (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « تُقَاتِلُونَ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ قَوْماً ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ . كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ : الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ . حُمْرُ الْوُجُوهِ ، صِغَارُ الأَعْيُنِ » .

---

(١) تجد هذه الرواية ، في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٠) ، الفتن ، باب (٨) ، حديث (٣١) . أما حديث الباب - في نفس المصدر - فهو رقم (٣٠) . المحقق .

(٢) وهو في (باب : لا تقوم الساعة ، حتى يمرّ الرّجل بقبر الرجل ، فيتمنى : أن يكون مكان الميت ، من البلاء) كما في صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) . المحقق .

وفي رواية : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تُقَاتِلُوا قَوْماً : كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ . وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْماً : نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ »(١) .

وفي أخرى : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تُقَاتِلَكُمْ أُمَّةٌ يَنْتَعِلُونَ الشَّعَرَ . وَجُوهُهُمْ مِثْلُ الْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ »(٢) .

وفي لفظ : « وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تُقَاتِلُوا قَوْماً : صِغَارَ الْأَعْيُنِ ، ذُلْفَ الآنُفِ »(٣) .

وفي آخر : « حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ : التُّرْكَ ، قَوْماً وُجُوهُهُمْ كَالْمَجَانِّ الْمُطْرَقَةِ . يَلْبَسُونَ الشَّعَرَ ، وَيَمْشُونَ فِي الشَّعَرِ »(٤) .

وفي رواية : « حُمْرُ الْوُجُوهِ ، صِغَارُ الْأَعْيُنِ »(٥)) .

الشرح

« المجانّ » بفتح : الميم ، وتشديد النون : جمع « مجن » بكسر الميم . وهو التّرس .

« والمطرقة » : بإسكان الطاء ، وتخفيف الراء . هذا الفصيح ، المشهور في الرواية ، وفي كتب اللغة والغريب .

---

(١) تجد هذه الرواية ، في صحيح مسلم (٤/٢٢٣٣) . وفي نفس الباب . حديث رقم (٦٢) . المحقق .

(٢) في نفس المصدر . حديث رقم (٦٣) . المحقق .

(٣) نفسه ، حديث رقم (٦٤) . هذا ؛ وفي المعجم الوسيط : (ذَلِفَ الأنفُ ، يَذْلَف ذَلَفاً : صَغُر واستوىٰ طرفه . وصَغُر ودَقَّ . وصَغُر وغَلُظ : فهو أَذْلَف) . المحقق .

(٤) نفسه ، حديث رقم (٦٥) . المحقق .

(٥) نفسه ، حديث رقم (٦٦) . المحقق .

وحكي : فتح الطاء ، وتشديد الراء .

والمعروف : الأول .

قال العلماء : هي التي ألبست العقب ، وأطرقتْ به : طاقة ، فوق طاقة .

قالوا : ومعناه : تشبيه وجوه الترك (في عرضها ، ونتوّ وجناتها) : بالترسة المطرقة .

« وذلف » : بالذال المعجمة ، والدال المهملة . لغتان . المشهور : المعجمة .

وممن حكى الوجهين فيه : « صاحب المشارق ، والمطالع » . قالا : رواية الجمهور : بالمعجمة . وبعضهم : بالمهملة . والصواب : المعجمة .

وهو بضم الذال وإسكان اللام ، جمع : « أذلف » . كأحمر وحُمْر . ومعناه : فطس الأنوف ، قصارها ، مع انبطاح .

وقيل : هو غلظ في « أرنبة الأنف » .

وقيل : تطامنٌ فيها .

وكله : متقارب .

ومعنى « لبس الشعر » : أنهم ينتعلونه .

قال النووي : وقد وجدوا في زماننا هكذا .

ومعنى « حمر الوجوه » : بيض الوجوه ، مشوبة بحمرة .

وفي هذه الرواية : « صغار الأعين » .

قال[1] : وهـذه كلهـا ، معجـزات لرسـول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فقد وجد قتال هؤلاء الترك ، بجميع صفاتهم ، التي ذكرها رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ من

(١) صغار الأعين ،

(٢) حمر الوجوه ،

(٣) ذلف الآنف ،

(٤) عراض الوجوه ، كأنّ وجوههم : المجانّ المطرقة .

(٥) ينتعلون[2] الشعر .

فوجدوا : بهذه الصفات كلها ، في زماننا . وقاتلهم المسلمون مرات . وقتالهم الآن .

ونسـأل الله الكـريم : إحسـان العـاقبـة للمسلمين ؛ في أمرهم وأمر غيرهم ، وسائر أحوالهم . وإدامة اللطف بهم ، والحماية .

وصلى الله ، على رسوله الذي لا ينطق عن الهوى : « إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »[3]. انتهى كلام النووي ، رحمه الله[4] .

وأنـا أدعـو أيضـاً ، بهذا الدّعاء . وأرجو من الله سبحانه : أن يظهر المسلمين على الكافرين ، في كل وقت من أوقات الدّهر .

---

(١) (قال) أي : النووي ، في (١٨ / ٣٧) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) من أول قوله : « صغار الأنوف » ، إلى قوله : « ينتعلون الشعر » : خمسة جمل ، رقّمت بالترتيب من (١) إلى (٥) . وفي الأصل : وضع كل رقم فوق الكلمة الأولى ، من جملته . فوضعنا كل رقم قبل جملته ، على السطر ، بدل أن يكون فوق الكلمة . المحقق .

(٣) الآية (٤) من سورة النجم . المحقق .

(٤) (رحمه الله) في الأصل : رمز إلى هذه الجملة بالحرفين : « رح » . المحقق .

وحيث صار الإسلام الآن غريباً ، وظهرت أكثر الفتن التي أخبر بها رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . ولم يبق منها : إلا الكبرى ، التي هي مقدمة ظهور المهديّ[1] ، عليه السلام : فأسأل الله سبحانه أن يظهره[2] ، وينصر الإسلام . ورزقنا : لقاءه ، وصحبته . والأمر قريب ، إن شاء الله تعالى .

وقد آن أن تتم هذه المائة الثالثة عشر[3] ، من هجرة سيد البشر . فإنه بقي منها : عام وشهران[4] . وبالله التوفيق ، وهو المستعان .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[5] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وآلـه (وسلم ؛ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ رَجُلٌ مِنْ قَحْطَانَ ، يَسُوقُ النَّاسَ بِعَصَاهُ ») .

---

(١) لو قال : « التي أولها – أو مقدّمتها – ظهور المهدي » ، لكان أوضح . المحقق .

(٢) الضمير في (يظهره) عائد إلى « المهدي » . المحقق .

(٣) الأصحّ « الثالثة عشرة » . لأن العشرة إذا ركبت : وافقت المعدود : تذكيراً وتأنيثاً . المحقق .

(٤) ونحن الآن بصدد المائة الخامسة عشرة . ونرجو أن يبعث الله على رأسها : من يجدّد لهذه الأمة دينها ويعيد إليها : عزّتها ومجدها . وإنا لذٰلك منتظرون . المحقق .

(٥) وفي نفس الباب المتقدم ، كما في المصدر نفسه . المحقق .

(الشرح)

لم يتكلم النووي عليه .

« وقحطان » هو أبو اليمن . وسوق الناس بعصاه : كناية عن استقامة الناس ، وانقيادهم له ، واتّفاقهم عليه .

ولم يرد « نفس العصا » ، وإنما ضربه مثلاً : لاستيلائه عليهم ، وطاعتهم[1] له . إلا أن في ذكرها ، دليلا : على عنفه بهم ، وخشونته عليهم . ولايُدرى : هل يكون خروج ذلك الرجل ، قبيل المهدي عليه السلام ، أم بعد ظهوره ؟

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : الْجَهْجَاهُ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ٣٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ)[3] رضي الله عنه ؛ (عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : لَا تَذْهَبُ الأَيَّامُ وَاللَّيَالِي ، حَتَّىٰ يَمْلِكَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : الْجَهْجَاهُ ») .

---

(١) قلت : طاعة إجبارية ، خوفاً من بطشه . لا طاعة اختيارية . وهذا يدل على أنه جبّار عنيف . المحقق .

(٢) وفي نفس الباب المتقدم . المحقق .

(٣) (أبي هريرة) . في الأصل : « أبيهريرة » . المحقق .

(الشَّرح)

« الجهجاه »[1] : بهاءين . وفي بعضها : الجهجا . والأول : هو المشهور .

وفي رواية : « حَتَّىٰ يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي ، يُقَالُ لَهُ : الْجَهْجاهُ »[2] .

والظاهر : أن هذا يكون بعد ظهور المهديّ ، عليه السلام . وهو من أشراط الساعة الكبرىٰ . والله أعلم .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ لَا يُقَالَ فِي الأَرْضِ : اللهُ اللهُ

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في : (باب:ذهاب الإيمان ، آخر الزمان) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٨ ، جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسٍ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ لَا يُقَالَ - فِي الأَرْضِ - : اللَّهُ اللَّهُ ») .

---

(١) كررنا كلمة : « الجهجاه » ، من أول السطر ، لتتصل بما بعدها لتعلقه بها. هذا؛ وقد زاد - في مصدر الحديث - : قَالَ مُسْلِمٌ : هُمْ أَرْبَعَةُ إِخْوَةٍ ؛ شَرِيكٌ ، وَعُبَيْدُ اللّهِ ، وَعُمَيْر ، وعبد الكبير : « بنو عبد المجيد » . المحقق .

(٢) هذا الحديث ، تجده في صحيح سنن الترمذي (٢/٢٤٦) ، في (الفتن) ، باب (٤٢) . حديث رقم ١٨١٦ - ٢٣٤٣ وصححه الألباني (الصحيحة ٢٤٤١ : م) . ولفظه : عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، حَتَّىٰ يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِي ، يُقَالُ لَهُ : جَهْجَاهُ » . هكذا « جهجاه » : بدون « ال » . المحقق .

الشرح

أي : لا يُذكر ، ولا يُعبد : « الله » . فلا يبقى حكمه في بقاء الناس .

ومن هنا ، يعرف : أنّ بقاء العالم ، ببركة العباد الصالحين..

وفي رواية أخرى : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ عَلَىٰ أَحَدٍ يَقُولُ : اللَّهُ ، اللَّهُ »[1] .

قال النووي : أما معنى الحديث : فهو أن القيامة ، إنما تقوم على شرار الخلق . كما جاء في الرواية الأخرى : « وَتَأْتِي الرِّيحُ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، فَتَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ ، عِنْدَ قُرْبِ السَّاعَةِ »[2] .

وقوله : « يقول : الله ، الله » هو برفع اسم « الله » تعالى . وقد يغلط فيه بعض الناس : فلا يرفعه .

قال[3] : واعلم أن الروايات كلها ، متفقة على تكرير اسم « الله » تعالى ، في الروايتين . وهكذا هو في جميع الأصول .

قال عياض : وفي رواية « ابن أبي جعفر » : « يَقُولُ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ » . والله سبحانه وتعالى أعلم . انتهى[4] .

قلت : وبهذا ظهر أن المراد باسم الجلالة : هذه الكلمة الطيبة ، دون مجرد ذكر الاسم الموصوف . والله أعلم .

---

(١) هذه الرواية ، تجدها بعد حديث الباب مباشرة ، بصحيح مسلم (١٣١/١) ، دار الفكر ببيروت . الباب المذكور ، حديث رقم (٢٣٤ - ١٤٨) . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، في (١٧٨/٢) المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) (قال) أي : النووي ، في المصدر المذكور . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

بَابُ : تُبْعَثُ رِيحٌ مِنَ اليَمَنِ، فَتَقْبِضُ مَنْ فِي قَلْبِهِ إِيمَانٌ

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في : (باب في الريح ، التي تكون قرب القيامة ، تقبض من في قلبه شيء[1] من الإيمان) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٢ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّيُّ ؛ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ ، وَأَبُوعَلْقَمَةَ الْفَرْوِيُّ ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا صَفْوانُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ سَلْمَانَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ رِيحاً مِنَ الْيَمَنِ : أَلْيَنَ مِنَ الْحَرِيرِ ، فَلاَ تَدَعُ أَحَداً ، فِي قَلْبِهِ - قَالَ أَبُو عَلْقَمَةَ : مِثْقَالُ حَبَّةٍ . وَقَالَ عَبْدُ الْعَزِيزِ : مِثْقَالُ ذَرَّةٍ - مِنْ إِيمانٍ ، إِلاَّ قَبَضَتْهُ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة)[2] رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : إن الله يبعث ريحاً من اليمن : ألين من الحرير ، فلا تدع أحداً ، في قلبه - قال أبو علقمة) « الفروي » : بفتح الفاء ، وإسكان الراء . واسمه : « عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة ، المدني » آل عثمان بن عفان ، رضي الله عنه :

---

(١) (شيء).في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٢) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله : بصلب الحديث . كما سيأتي . المحقق .

(مثقال حبة . وقال عبد العزيز : مثقال ذرة - من الإيمان[1]، إلا قبضته) .

قال النـووي : جاءت في هذا النـوع ، أحـاديث . يريد : الحديث الماضي قبله ، والحديث الآتي بعد هذا .

قال[2] : وهذه كلها ، وما في معناها : على ظاهرها .

قال[2] . وأما الحديث الآخر : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ ، إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَـةِ » : فليس مخـالفاً لهذه الأحاديث . لأن معنى هذا : أنّهم لا يزالون على الحقّ ، حتى تقبضهم هذه الريح الليّنة ، قرب القيامة ، وعند تظاهر أشراطها .

فأُطلق - في هذا الحـديث - بقـاؤهم ، إلى قيام السـاعـة : علىٰ أشراطها ، ودنوّها المتناهي في القرب . والله أعلم .

وفي قولـه : « مثقـال حبـة - أو ذرّة - من إيمـان » : بيان للمـذهب الصحيح : أن الإيمان ، يزيد وينقص .

وفي كونها : « ألين من الحرير » : إشارة إلى الرّفق بهم ، والإكرام لهم .

وجاء في مسلم ، في ذكر أحاديث الدجّال : « رِيحاً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ »[3] .

ويجاب عنه ، بوجهين ؛

(١) في مصدر الحديث : « من إيمان » بدون « ال » . المحقق .

(٢) (قال) أي : النووي ، في (١٣٢/٢) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) عبارة النووي ، في (١٣٣/٢) ، المطبعة المصرية : وفي حديث آخر ، ذكره مسلم ، في آخر الكتاب ، عقب أحاديث الدجال : « رِيحاً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ » . . . إلخ . المحقق .

أحـدهمـا : يحتمـل أنها[1] ريحان : شامية ، ويمانية . ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين ، ثم اتصل[2] الآخر وتنتشر عنده ، والله أعلم .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ

وهو في النووي ، في : (باب:بقيّة أحاديث الدجّال[3]) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ)[4] رضي الله عنه ؛ (عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، إِلَّا عَلَىٰ شِرَارِ النَّاسِ ») .

(الشَّرح)

لأنـه تعالى : يبعث الريح الطيبة ، فتقبض كل مؤمن ، فلا يبقىٰ إلا شرار الناس .

(١) الصواب : « أنهما » بتثنية الضمير . المحقق .

(٢) الصواب : (تصل) . وليس : « اتصل » . المحقق .

(٣) في النووي (١٨ / ٨٥)،المطبعة المصرية : (باب في بقية ، من أحاديث الدجال) . وفي صحيح مسلم (٤ / ٢٢٦٨) ط دار الفكر ببيروت : (٢٧ - باب قرب الساعة) . المحقق .

(٤) لم يذكر في مصدر الحديث : « ابن مسعود » . والمعروف أنه إذا أطلق لفظ : « عبد الله » ، أريد به : « ابن مسعود » . المحقق .

بَابُ : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَخْرُجَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن ، وأشراط الساعة)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤٥ ، ٤٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ : قَرِيباً[2] مِنْ ثَلَاثِينَ[3] . كُلُّهُمْ يَزْعُمُ : أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ») .

(الشَّرح)

قال النـووي : معنى « يبعث » : يخرج ويظهر . « والدّجال » : من الدَّجَل . وهو التمويه . وقيل غير ذلك .

وقد وجد من هؤلاء : خلق كثيرون في الأعصار . وأهلكهم الله تعالى . وقلع آثارهم . وكذلك يفعل بمن بقي منهم . انتهى[4] .

وذكرت جمعاً من هؤلاء ، في (الإذاعة)[5] .

---

(١) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٣١) ط دار الفكر ببيروت ، باب (١٨) واسم هذا الباب . كما في المصدر المذكور . (باب:لا تقوم الساعة ، حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى : أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « قَرِيبٌ » بالرفع . على أنه صفه لما قبله . وجاء في الأصل : منصوباً على الحال من النكرة الموصوفة ، قبله . وقد وجدته منصوباً ، في رواية البخاري ، كما في الفتح (٦/٦١٦) ، المناقب ، باب (٢٥) . حديث (٣٦٠٩) . المحقق .

(٣) (ثلاثين) . في الأصل - كالمعتاد -:« ثلثين » . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، وهو في (١٨/٤٥ ، ٤٦) . المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) كتاب للمؤلف ، اسمه « الإذاعة » . المحقق .

وذكـرت : أن خارج هذا الـزمـان الحاضر ، المسمىٰ : بسيد أحمد خان : من جملتهم . وقد أفسد على أكثر العامَّة والسفهاء : دينهم . نرجو الله : أن يعافينا من بلاياه ، ويخلّص الناس من خطاياه .

وفي حديث « ثوبان : « وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاَثُونَ[1] ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ : أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ . وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لاَ نَبِيَّ بَعْدِي . وَلاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ ظَاهِـرِينَ ، لاَ يَضُـرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ ، حَتَّىٰ يَأْتِي أَمْـرُ اللَّهِ »[2] . رواه أبو داود ، والترمذيّ .

وقد ظهر مصداق آخر هذا الحديث ، كما ظهر مصداق أوله . فقد ردّوا عليه[3] ردّاً مشبعاً . وظهرت طائفة الحق على أهل الباطل : في كل زمان إلى هذا الآن .

وسيظهـر على ما يتبـع[4] من هؤلاء اللئام . كما أخبر بذلك : رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم . وهو الصادق المصدوق .

---

(١) (ثلاثون) . في الأصل : « ثلثون » . المحقق .

(٢) هذا الحديث : أخرجه الترمذي ، في « الفتن » ، (باب : لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون) . ولكن دون زيادة : « ولا تزال طائفة . . . إلخ » رقم الحديث (٢٢١٩) . وأخرجه أبو داود ، وابن ماجه كاملاً (أبو داود) ، في « الفتن والملاحم » . (باب : ذكر الفتن ودلائلها) . حديث رقم (٤٢٥٢) .
(وابن ماجه) ، في « الفتن » . (باب : ما يكون من الفتن) . حدث رقم (٣٩٥٢) .
وصححه الألبـاني - مع زيادته - في صحيح ابن ماجه (٣٥٢/٢) ، والصحيحه (٢٥٢/٤) وصحيح أبي داود (٨٠١/٣) . المحقق .

(٣) (عليه) الضمير عائد إلى « سيد أحمد خان » ، الذي تقدم ذكره . المحقق .

(٤) هكذا في الأصل : (يتبع) بالتاء المثناة فوق . ولعل الصواب : « ينبع » بالنون ، لا بالتاء . المحقق .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ : كَذَّابِينَ » .

وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي الأَحْوَصِ : قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : آنْتَ سَمِعْتَ هٰذَا ، مِنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؟

قَالَ : نَعَمْ[2] .

قال مسلم : قَالَ سِمَاكٌ : وَسَمِعْتُ أَخِي يَقُولُ : قَالَ جَابِرٌ : فَاحْذَرُوهُمْ) .

(الشَّرح)

(عن جابر بن سمرة) رضي الله عنه ؛ (قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : « إن بين يدي الساعة : كذّابين » .

وفي رواية : قَالَ جَابِرٌ . فَاحْذَرُوهُمْ »[3]) .

وفي الباب أحاديث .

---

(١) وهو - في المصدر المتقدم - في نفس الباب . المحقق .

(٢) من قوله : « وزاد في حديث أبي الأحوص » . . إلى : « قال نعم » : ليس مذكوراً في الأصل . وقد أثبتناه من مصدر الحديث ، زيادة في الإيضاح . المحقق .

(٣) نقلنا النصّ ، من مصدر الحديث ، بعد قولنا : (قال مسلم) فمن قوله : قال سماك : إلى قوله : « أخي يقول » : ليس مذكوراً في الأصل . فأثبتناه ، بعد قولنا : قال مسلم . المحقق .

ولأحمد ، وأبي يعلى . من حديث ابن عَمْرٍو : « بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ ثَلاَثُونَ دَجَّالاً كَذَّاباً » .

ونحوه عند أحمد ، عن علي[1] .

قال « الحافظ ابن حجر » : هو إن ثبت ، محمول على المبالغة ، لا على التحديد .

وأما التحديد : ففيه حديث حذيفة ، عند أحمد بسند جيد : « سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ ، دَجَّالُونَ : سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ . مِنْهُمْ : أَرْبَعَةُ نِسْوَةٍ . وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لاَ نَبِيَّ بَعْدِي » .

قال[2] : وهذا يدل ، على أن رواية الثلاثين[3] بالجزم : على طريق جبر الكسر . ويؤيده حديث البخاري : « قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ[4] » أو نحوها ، يدّعون النبوّة[5] . ومن زاد عليهم ، كما في رواية أو أكثر .

(١) أفاده صاحب الفتح (١٣/٨٧) ، في « الفتن » ، خلال شرحه للحديثين (٧١٢٠ ، ٧١٢١) ، باب (٢٥) . وزاد : وفي حديث « ابن مسعود » ، عند الطبراني : نحوه . وفي حديث « سمرة » ، المصدَّر أوله : بالكسوف (وفيه : « وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ كَذَّاباً ، آخِرُهُمُ الْأَعْوَرُ الدَّجَّالُ ») أخرجه أحمد ، والطبراني . وأصله : عند الترمذي ، وصححه . . إلى آخر ما ذكره في المصدر المذكور . المحقق .

(٢) (قال). أي:ابن حجر - في المصدر المتقدم - بعد ذكره الحديث المتقدم . المحقق .

(٣) (الثلاثين) . في الأصل : « الثلثين » . المحقق .

(٤) نص لفظ البخاري : « قَرِيبٌ مِنْ ثَلاَثِينَ . كُلُّهُمْ يَزْعُمُ : أَنَّهُ رَسُولُ اللّٰهِ » . هذا ؛ وكلمة : (ثلاثين) . في الأصل : « ثلثين » . المحقق .

(٥) نص عبارة « ابن حجر » ، في المصدر المتقدم : ويحتمل أن يكون الذين يدّعون النبوة منهم : ما ذكر من الثلاثين ، أو نحوها . وأن من زاد على العدد المذكور : يكون كذّاباً فقط ، لكن يدعو إلى الضلالة ؛ كغُلاة الرافضة ، والباطنية ، وأهل الوحدة والحلولية ، وسائر الفرق : الدّعاة إلى ما يُعلم - بالضرورة - : أنه خلاف ما جاء به محمد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم اهـ . وهي أوضح في بيان المراد ، من عبارة المؤلف ، التي قد يكون سقط منها - أثناء النسخ - ما جعل فيها هذا الخلل الملحوظ . المحقق .

وفي رواية : سَبْعُونَ كَذَّاباً فقط . لكن يدعون إلى الضلال ، إلى سائر الفرق الدّعاة إلى ما يعلم - بالضرورة - أنه خلاف ما جاء به محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم . ويؤيده : حديث عليّ عند أحمد ؛ أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الكَوَّاءِ[1] : « إِنَّكَ لَمِنْهُمْ » . وابن الكواء لم يدّع النبوة . وإنما كان يغلو في الرفض . انتهى[2] .

بَابٌ فِي قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ الْيَهُودَ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤٤ ، ٤٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قَالَ : « لاَ تَقُـومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ : الْيَهُودَ ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ ، أَوِ الشَّجَرِ : فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ : يَامُسْلِمُ ! يَاعَبْدَ اللَّهِ ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي . فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ . إِلاَّ الْغَرْقَدَ ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ ») .

---

(١) (الكواء) في الأصل : « الكوا » . بالقصر . وهو جائز . ولكن بالمدّ أفضل . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام ابن حجر ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في نفس الباب المتقدم ، كما ذكره صحيح مسلم (٤ / ٢٢٣١) . ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(الشرح)

« الغرقد » : نوع من شجر الشوك ، معروف ببلاد بيت المقدس . وهناك يكون : قتل الدّجال ، واليهود .

قال أبو حنيفة الدّينوري : إذا عظمت العوسجة[1] : صارت « غرقدة » . هذا كلام النووي[2] .

وفي حديث « ابن عمر » عنه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، عند مسلم ؛ قالَ : « لَتُقَاتِلُنَّ الْيَهُودَ ، فَلَتَقْتُلُنَّهُمْ حَتَّىٰ يَقُولَ الْحَجَرُ : يَا مُسْلِمُ ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ . فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ »[3] . وزاد في رواية : « يَهُودِيٌّ وَرَائِي » .

وفي لفظ : « تُقَاتِلُكُمُ الْيَهُودُ ، فَتُسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ ، حَتَّىٰ يَقُولَ الْحَجَرُ : يَامُسْلِمُ ! هَـٰذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي ، فَاقْتُلْهُ[4] » .

بَابُ : تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ

وذكره النووي ، في : (كتاب الفتن)[5] .

---

(١) (العوسج) : جنس نبات شائك ، من الفصيلة الباذنجانية . له ثمر مدوّر ، كأنه خرز العقيق . واحدته : « عوسجة » . المعجم الوسيط . المحقق .

(٢) نجده في (١٨ / ٤٥) المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) هذا الحديث وزيادته . تجده في صحيح مسلم (٤ / ٢٢٣٨) ط دار الفكر ، في (الفتن وأشراط الساعة) . في نفس باب حديث الباب . حديث رقم (٧٩ - ٢٩٢١) . المحقق .

(٤) في نفس المصدر المتقدم ، ص ٢٢٣٩ . حديث رقم (٨١) . المحقق .

(٥) وهو في صحيح مسلم (٤ / ٢٢٢) ط دار الفكر ببيروت . في نفس الباب ، الذي ذكره المؤلف . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُوسَى بْنِ عُلَيٍّ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ - عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ » .

فَقَالَ لَهُ عَمْرٌو : أَبْصِرْ مَا تَقُولُ .

قَالَ : أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

قَالَ : لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالاً أَرْبَعاً :

إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ ، عِنْدَ فِتْنَةٍ . وَأَسْرَعُهُمْ إِفَاقَةً ، بَعْدَ مُصِيبَةٍ . وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً ، بَعْدَ فَرَّةٍ . وَخَيْرُهُمْ : لِمِسْكِينٍ ، وَيَتِيمٍ ، وَضَعِيفٍ .

وَخَامِسَةٌ ، حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ : وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ) .

(الشَّرح)

(عن موسى بن عُليّ ، عن أبيه) : هو بضم العين ، على المشهور . وقيل : بفتحها .

وقيل : « بالفتح » : اسم له . « وبالضم » : لقب . وكان يكره الضم .

(قال : قال المستورد القرشيّ - عند عمرو بن العاص - : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : « تقوم الساعة ، والروم أكثر الناس » .

فقال له عمْرو : أبصر ما تقول . قال : أقول ما سمعتُ من رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم .

قال لئن قلت ذاك[1] ، إنّ فيهم لخصالاً أربعاً .

إنهم لأحلم النـاس ، عنـد فتنـة . وأسرعهم إفاقة ، بعد[2] مصيبة . وأوشكهم كرّة ، بعد فرّة . وخيرهم : لمسكين ، ويتيم ، وضعيف .

وخامسة ، حسنة جميلة : وأمنعهم من ظلم الملوك) .

لم يشرح النووي : هذا الحديث ، ولم يبين المراد من الروم .

والظاهر : أن المراد بهم : النصارىٰ . وهذه الخصال الخمسة موجودة فيهم . وهم ولاة الأمر اليوم - في أكثر الأرض - .

وهذا معجزة ظاهرة ، للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم[3] ؛ حيث وقع ما أخبر به : مطابقاً لنفس الأمر ، ولله الأمر من قبل ومن بعد .

بَابٌ فِي قِتَالِ الرُّومِ ، وَكَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[4] .

---

(١) (ذاك) . في مصدر الحديث : « ذٰلك » بزيادة اللام . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « عند » ، بدل : « بعد » . المحقق .

(٣) (وهذا معجزة . . الخ) هذا يوهم أن الخصال الخمسة المذكورة : من كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وليس كذلك . وإنما هي من كلام « عمرو » . ولم يرفعه إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم . فتنبه . المحقق .

(٤) وهو في صحيح مسلم (٢٢٢٣/٤) ، ط دار الفكر ببيروت ، في (باب : إقبال الروم ، في كثرة القتل ، عند خروج الدجال) . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيحُ مسلم / النووي ، ص ٢٤ ، ٢٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ يُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ ؛ قَالَ : هَاجَتْ رِيحٌ حَمْرَاءُ بِالْكُوفَةِ ، فَجَاءَ رَجُلٌ لَيْسَ لَهُ هِجِّيرَىٰ ، إِلَّا يَاعَبْدَ اللّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ! جَاءَتِ السَّاعَةُ .

قَالَ : فَقَعَدَ - وَكَانَ مُتَّكِئاً - ، فَقَالَ : إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ ، حَتَّىٰ لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ .

ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَـٰكَذَا - وَنَحَّاهَا نَحْوَ الشَّأْمِ - فَقَالَ : عَدُوٌّ يَجْمَعُونَ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ . وَيَجْمَعُ لَهُمْ أَهْلُ الْإِسْلَامِ .

قُلْتُ : الرُّومَ تَعْنِي ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَتَكُونُ - عِنْدَ ذَاكُمُ الْقِتَالِ - : رَدَّةٌ شَدِيدَةٌ .

فَيَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً . فَيَقْتَتِلُونَ ، حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ .

فَيَفِيءُ هَـٰؤُلَاءِ ، وَهَـٰؤُلَاءِ ؛ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ . وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ .

ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً . فَيَقْتَتِلُونَ ، حَتَّىٰ يَحْجُزَ بَيْنَهُمُ اللَّيْلُ .

فَيَفِيءُ هَـٰؤُلَاءِ ، وَهَـٰؤُلَاءِ ؛ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ . وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ .

ثُمَّ يَشْتَرِطُ الْمُسْلِمُونَ شُرْطَةً لِلْمَوْتِ ، لَا تَرْجِعُ إِلَّا غَالِبَةً . فَيَقْتَتِلُونَ ، حَتَّىٰ يُمْسُوا .

فَيَفِيءُ هَـٰؤُلَاءِ ، وَهَـٰؤُلَاءِ ؛ كُلٌّ غَيْرُ غَالِبٍ . وَتَفْنَى الشُّرْطَةُ .

فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الرَّابِعِ : نَهَدَ إِلَيْهِمْ بَقِيَّةُ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ، فَيَجْعَلُ اللّهُ

الـدَّبْـرَةَ عَلَيْهِمْ . فَيَقْتُلُونَ مَقْتَلَةً - إِمَّا قَالَ: لَا يُرَىٰ مِثْلُهَا. وَإِمَّا قَالَ: لَمْ يُرَ مِثْلُهَا - ، حَتَّىٰ إِنَّ الطَّائِرَ لَيَمُرُّ بِجَنَبَاتِهِمْ ، فَمَا يُخَلِّفُهُمْ : حَتَّىٰ يَخِرَّ مَيِّتاً . فَيَتَعَادُّ بَنُو الأَبِ - كَانُوا مِائَةً - فَلَا يَجِدُونَهُ بَقِيَ مِنْهُمْ : إِلَّا الرَّجُلُ الْوَاحِدُ .

فَبِأَيِّ غَنِيمَةٍ يُفْرَحُ ؟ أَوْ أَيُّ مِيرَاثٍ يُقَاسَمُ ؟

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ : إِذْ سَمِعُوا بِبَأْسٍ ، هُوَ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَجَاءَهُمُ الصَّرِيخُ : إِنَّ الدَّجَّالَ ، قَدْ خَلَفَهُمْ فِي ذَرَارِيِّهِمْ . فَيَرْفُضُونَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ ، وَيُقْبِلُونَ ، فَيَبْعَثُونَ : عَشَرَةَ فَوَارِسَ ، طَلِيعَةً . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي لَأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ ، وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ ، وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ . هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ ، يَوْمَئِذٍ » - أَوْ « مِنْ خَيْرِ فَوَارِسَ عَلَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ ، يَوْمَئِذٍ » - قَالَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ - فِي رِوَايَتِهِ - : عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ) .

(الشرح)

(عن يُسير بن جابر) : بضم الياء ، وفتح السين .

وفي رواية : « أُسَير »[1] بهمزة مضمومة .

وهما قولان مشهوران ، في اسمه .

(قال : هاجتْ ريح حمراء ، بالكوفة . فجاء رجل ليس له هِجّيرىٰ) : بكسر الهاء ، والجيم المشددة ، مقصور الألف . أي : شأنه ودأبه : ذلك .

(١) وهي رواية « ابن أبي شيبة » . أما حديث الباب ؛ فهو رواية : « علي بن حُجْر » . المحقق .

« والهجّيرى » بمعنى : الهجّير[1] .

(إلّا ياعبد الله بن مسعود ! جاءت الساعة .

قال : فقعد - وكان متّكئاً - فقال : إن الساعة لا تقوم ، حتى لا يقسم ميراث) أي : من كثرة المقتولين .

وقيل : من كثرة المال . والأول : أصحّ[2] .

وقيل : حتى يوجد وقت ، لا يقسم فيه[3] ميراث ، لعدم من يعلم الفرائض .

وقيل : المعنى : أنه يرفع الشرع ، فلا يقسم ميراث أصلاً . أولا يقسم على وفق الشرع ، كما هو مشاهد في زماننا هذا . بل منذ زمن طويل .

(ولا يُفرح بغنيمة) أي : لعدم العطاء[4] ، لظلم الظلمة . وإما للغش والخيانة . فلا يتهنّأ بهما أهل الديانة .

(ثم قال بيده هكـذا - ونحّاها نحو الشام[5] - فقال : عدوّ يجمعون لأهل الإسلام . ويجمع لهم أهل الإسلام .

---

(١) (الهِجِّيرَىٰ ، والإِهْجِيرَىٰ ، والهِجِّير : الدّأب والعادة ، وكثرة الكلام ، والقول السّيّئ . يقال : « مازال هذا هِجِّيراه » : ما يُولع بذكره . ولا تكاد تستعمل إلّا في العادة الذميمة . مستفاد من المعجم الوسيط ، وغيره . المحقق .

(٢) قلت : بل الرأي الأول هو المتعين ، بدليل قوله ـ في أواخر الحديث ـ : « فبأي غنيمة يفرح ؟ أو أيّ ميراث يقاسم ؟ » . المحقق .

(٣) (فيه) . في الأصل : « فيها » بالتأنيث . والصواب : ما أثبتناه ، لعود الضمير إلى مذكّر . وهو « الوقت » . المحقق .

(٤) الحديث صريح في أنّ منشأ عدم الفرح بالغنيمة ، وعدم تقاسم الميراث : هو كثرة القتلى ، فكيف يفرحون بغنيمة ، وكيف يتقاسمون ميراثاً ، وقد فقدوا من كل مائة : تسعة وتسعين أخاً ؟ . المحقق .

(٥) (الشّام) . في مصدر الحديث : « الشّأم » بالهمزة . وهما لغتان . المحقق .

قلت : الرومَ تعني ؟ قال : نعم . ويكون[١] - عند ذاكم القتال - رَدّة شديدة . فيشترط) : بياء ، ثم شين ساكنة ، ثم تاء .

وضبط : « فَيَتَشَرَّطُ »[٢] : بياء ، ثم تاء ، ثم شين مفتوحة ، وتشديد الراء . (المسلمون : شرطةً للموت) .

« الشرطة » بضم الشين : طائفة من الجيش ، تُقدَّم للقتال .

(لا ترجع إلا غالبة . فيقتتلون ، حتى يحجُز بينهم الليل . فيفيء[٣] هؤلاء) أي : يرجع (وهؤلاء ؛ كلٌّ غير غالب . وتفنىٰ) أي : تهلك (الشرطة .

ثم يشترط المسلمون : شرطة أخرى[٤] للموت ، لا ترجع إلا غالبة . فيقتتلون ، حتى يحجز بينهم الليل . فيفيء[٣] هؤلاء ، وهؤلاء ؛ كلٌّ غير غالب . وتفنىٰ الشرطة .

ثم يشترط المسلمون : شرطة للموت ، لا ترجع إلّا غالبة .

فيقتتلون حتى يمسوا . فيفيء[٣] هؤلاء ، وهؤلاء ؛ كلٌّ غير غالب . وتفنىٰ الشرطة .

فإذا كان يوم الرابع) إضافة الموصوف إلى الصفة[٥] .

وفي نسخة : « يوم الرابعة » . أي : يوم الليلة الرابعة .

---

(١) في مصدر الحديث : « وتكون » بالتاء ، بدل الياء . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في (١٨ / ٢٤) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) (فيفيء) . في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث كلمة : « أخرى » . وقد وضع المؤلف : علامة فوقها . إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) أي من إضافة الموصوف - وهو « يوم » - إلى الصفة - وهو « الرابع » - . المحقق .

(نهد إليهم) : بفتح النون ، والهاء . أي : نهض وتقدم (بقية أهل الإسلام ، فيجعَل الله الدّيرة) : بفتح الدال وكسر الياء . أي : « الهزيمة »[1] .

ورواه بعض رواة مسلم : « الدائرة » . وهو بمعنى « الديرة »[2] .

وقال الأزهري : الدايرة هم الدولة[3] ، تدور على الأعداء .

وقيل : هي الحادثة .

---

(١) (الدّيرة) : بفتح الدال ، وكسر الياء . أي : الهزيمة . هكذا في الأصل . ولم أجد في قواميس اللغة : « ديرة » بفتح الدال وكسر الياء . والغريب أن المؤلف كرّر هذا الخطأ . مما يدل على أنه مقصود ، وليس من الخطأ في النسخ .

والذي وجدته في النووي (١٨/٢٤) ، المطبعة المصرية : « الدّبرة » بفتح الدال ، والباء - أي : الباء الموحدة . وليست الياء المثناة - : أي : الهزيمة . وهي مضبوطة في حديث الباب : « الدَّبَرَة » .

وفي الصحاح : « الدَّبْرة » بإسكان الباء ، وفتحها : الهزيمة في القتال . وهو اسم من « الإدْبار » . وفي القاموس المحيط : « والدَّبْرة » . نقيض الدولة . والعاقبة . والهزيمة في القتال . والبقعة تُزرع . « والدِّبرة » بكسر الدال : خلاف القبلة . يقال : « ماله قِبلة ، ولا دِبرة » : لم يهتد لجهة أمره . المحقق .

(٢) (وه ـ منى : الدّيرة) . هكذا في الأصل . وهو نفس الخطأ الذي تقدم ذكره . وفي النووي / مسلم (١/٣٥) المطبعة المصرية ، كما في الأصل . وهو لاشك ، في النووي : خطأ في النسخ . والصواب : « الدّبرة » بالباء الموحدة . وقد وجدته كذلك صحيحاً ، في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٣) ط دار الفكر ببيروت . المحقق .

(٣) (الدايرة هم الدولة) . وفي المصدرين المتقدمين : « الدائرة هم الدولة » . هكذا « هم » في الجميع . وهذا خطأ . والصواب : « هي » . ومعنى « الدَّوْلة » في الحرب : أن تُدال إحدى الفئتين على الأخرى . يقال « كانت لنا عليهم الدَّولة » . والجمع : « دُوَل » بضم الدال وكسرها . ويقال : اللهم ! أَدِلْني على فلان ، وانصرني عليه » .

« ودالت الأيام » : دارت . « والله يداولها بين الناس » .

« والدائرة » : الداهية والهزيمة . جمعها : « دوائر » .

فمعنى قول الأزهرى : « الدائرة هي الدولة ، تدور على الأعداء » : الهزيمة تدور عليهم ، وتنزل بهم . **والخلاصة** أن الصواب « هي » ، وليس : « هم » . والذي دعاني إلى هذا الإسهاب . هو وجود هذا الخطأ **في الأصل** ، **وفي** النووي (١٨/٢٥) المطبعة المصرية . وفي صحيح مسلم (٤/٢٢٢٣) ط دار الفكر **ببيروت** . والذي يؤيد ما ذكرت . قوله - بعد - : وقيل : هي - أي : الدائرة - الحادثة . المحقق .

(عليهم ، فيقتتلون[١] مقتلة - إما قال : لا يُرى مثلها . وإما قال : لم يُر مثلها - ، حتى إن الطائر ليمرّ بجنباتهم : بجيم ، ثم نون ، مفتوحتين . ثم باء موحّدة . أي : نواحيهم .

وحكىٰ عياض عن بعض رواتهم : « بِجُثْمَانِهِمْ » : بضم الجيم ، وإسكان الثاء . أي : شخوصهم[٢] .

(فما يُخَلّفهم) : بفتح الخاء ، وكسر اللام المشددة . أي : يجاوزهم[٣] .

و حكى عياض عن بعض رواتهم : « فَمَا يَلْحَقُهُمْ »[٤] أي : يلحق آخرهم (حتى يخرّ) أي : يسقط .

(ميتاً : فيتعادّ بنو الأب) بضم الياء[٥] ، وفتح التاء ، وتشديد الدال المرفوعة . أي : يعد بعضهم بعضاً .

أي : كان[٦] يعدّ الأقارب ، الحاضرون في تلك الحرب .

(كانوا مائة ، فلا يجدونه بقي منهم : إلا الرجل الواحد) : يعني كان كثرة القتلىٰ إلى هذا الحدّ : بقي من كل مائة واحد[٧] .

---

(١) (فيقتتلون) . هكذا في الأصل ، بتاءين . والذي في صحيح مسلم : « فَيَقْتُلُونَ » . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، في (١٨ / ٢٥) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) أي : ما يجاوزهم ، حتى يخرّ ميتاً . المحقق .

(٤) تجده ، في نفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (بضم الياء) هكذا في الأصل . والذي في المصدرين المتقدمين : « بفتح الياء » وهو الصواب . والمعنى كما ذكر المؤلف : يعدّ بعضهم بعضاً . فهو من صيغ « المفاعلة » . المحقق .

(٦) لعل الصواب : « كأن » بألف مهموزة . المحقق .

(٧) (واحد) . في الأصل : « واحدة » بزيادة هاء التأنيث . والصواب : ما أثبتناه . لأنه صفة لمذكّر محذوف . تقديره : « رجل » . المحقق .

(فبأيّ غنيمة يُفرح ؟ أو أيّ ميراث يقاسم ؟ فبيناهُم[1] كذلك : إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك[2]) . هكذا هو في نسخ بلاد النووي . بباء فيهما[3] .

وحكى عياض عن محققي رواتهم ، وعن بعضهم : « بِنَاسٍ أَكْثَرَ » : بالنون . وبالثاء[4] .

قالوا : والصواب : الأول . ويؤيده رواية أبي داود : « سَمِعُوا بِأَمْرٍ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ »[5] .

(فجاءهم الصريخ)[6] أي : صوت المستغيث : (أن الدجّال قد خلفهم في ذراريهم . فيرفضون) أي : يتركون (ما في أيديهم . ويقبلون ، فيبعثون : عشر فوارس طليعة) .

هو[7] من يُبعث ، ليطّلع على حال العدوّ ، كالجاسوس .

(قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إني لأعرف أسماءهم ، وأسماء آبائهم ، وألوان خيولهم . هم خير فوارس على ظهر

---

(١) في مصدر الحديث : « فبينما » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه ورد في بعض النسخ : « ذاك » بدل : « ذلك » . المحقق .

(٣) (فيهما) أي : في كلمتي : « ببأس ، أكبر » . وقد عينهما المؤلف برقم (٢) . فحذفنا هذا الرقم تصرفاً . المحقق .

(٤) أي : (بالنون) في « ناس » . (وبالثاء) في « أكثر » . المحقق .

(٥) أفاده النووي ، في (١٨/ ٢٦)، المطبعة المصرية . المحقق .

(٦) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « الصارخ » بدل : « الصريخ » . المحقق .

(٧) (هو) أي : « الطليعة » . المحقق .

الأرض ، يومئذ » . - أو « من خير فوارس على ظهر الأرض ، يومئذ[1] »-) .

وظاهر هذا الحديث : أن هذه الواقعة ، تكون بعد ظهور المهديّ ، عليه السلام . والله أعلم .

بَابُ : مَا يَكُونُ مِنْ فُتُوحَاتِ الْمُسْلِمِينَ قَبْلَ الدَّجَّالِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُتْبَةَ ؛ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فِي غَزْوَةٍ .

قَالَ : فَأَتَى النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ . عَلَيْهِمْ : ثِيَابُ الصُّوفِ ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكَمَةٍ . فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ ، وَرَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : قَاعِدٌ .

قَالَ : فَقَالَتْ لِي نَفْسِي : ائْتِهِمْ ، فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، لاَ يَغْتَالُونَهُ .

قَالَ : ثُمَّ قُلْتُ : لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ . فَأَتَيْتُهُمْ ، فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ .

قَالَ : فَحَفِظْتُ مِنْهُ : أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ، أَعُدُّهُنَّ فِي يَدِي ؛

---

(١) (أو من خير . . . إلخ) . « أو » هنا . للشكّ من الراوي . هل قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « هم خير » أو قال : « هم من خير » . هذا ؛ ولم يذكر في الأصل : (قال ابن أبي شيبة - في روايته - : عَنْ أُسَيْرِ بْنِ جَابِرٍ) . وقد أثبتناه ، من مصدر الحديث . المحقق .

(٢) وهو في صحيح مسلم (٢٢٢٥/٤) ط دار الفكر ، ببيروت ، في نفس الباب ، الذي ذكره المؤلف . المحقق .

قَالَ : « تَغْـزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ ، فَيَفْتَحُهَا اللّٰهُ . ثُمَّ فَارِسَ ، فَيَفْتَحُهَا اللّٰهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ ، فَيَفْتَحُهَا اللّٰهُ . ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَّالَ ، فَيَفْتَحُهُ اللّٰهُ » .

قَالَ : فَقَالَ نَافِعٌ : يَاجَابِرُ ! لاَ نُرَىٰ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ ، حَتَّىٰ تُفْتَحَ الرُّومُ) .

الشرح

(عن جابر بن سمرة ، عن نافع بن عتبة[1] ؛ قال : كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في غزوة .

قال : فأتى النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قوم من قبل المغرب . عليهم : ثياب الصوف[2] . فوافقوه ، عند أكمة . فإنهم لَقِيام ، ورسولُ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : قاعد .

قال : قالت[3] لي نفسي : ائتهم ، فقم بينهم وبينه ، لا يغتالونه) أي : يقتلونه غيلة . وهي[4] القتل : غفلة ، وخفاء ، وخديعة .

(قال : : ثم قلت : لعلّه نجيّ معهم) أي : يناجيهم . ومعناه : يحدّثهم .

(فأتيتهم ، فقمت بينهم وبينه .

---

(١) أثبت المؤلف – في الهامش – ما يفيد أنه في بعض النسخ بزيادة : « رضي الله عنهما » . أي : عن جابر ، ونافع . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف – في الهامش – ما يفيد أنه في بعض النسخ : « صوف » بدون : « ال » . المحقق .

(٣) (قالت) . في مصدر الحديث : « فقالت » بالفاء . وقد أثبت المؤلف – في الهامش – ما يفيد وروده بالفاء ؛ في بعض النسخ . المحقق .

(٤) (وهي) أي : « الغَيْلة » . المحقق .

قال : فحفظت منه : أربع كلمات ، أعدّهنّ في يدي .

قال : « تغزون جزيرة العرب ، فيفتحها الله ، عز وجل[1] . ثم فارس فيفتحها الله ، عزّوجلّ ، ثم تغزون الروم ، فيفتحها الله[2] . ثم تغزون الدجّال ، فيفتحه الله » .

قال : فقال نافع : ياجابر ! لا نرى[3] أن الدجّال يخرج ، حتى تفتح الروم) .

قال النووي : هذا الحديث ، فيه معجزات لرسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وسبق بيان جزيرة العرب . انتهى[4] .

بَابٌ فِي فَتْحِ قُسْطَنْطِينِيَّةَ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[5] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « عزوجل » . في أي موضع ، من المواضع الأربعة ، المذكورة . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أن « عز وجل » - في بعض النسخ - ورد في المواضع الأربعة . وفي بعضها : في الموضعين الأولين ، دون الموضعين الأخيرين . المحقق .

(٣) (نرى) ضبط في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٢٥) ط دار الفكر ، ببيروت : ضبط بضم النون ، وهو بمعنى : تظن أو نحسب . وبفتحها ، وهو بمعنى : « نعلم » . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، وهو في (١٨ / ٢٦ ، ٢٧) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٢١) ط دار الفكر ببيروت : في (باب : في فتح قسطنطينية ، وخروج الدّجال ، ونزول عيسى بن مريم) . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢١ ، ٢٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ يَنْزِلَ الرُّومُ : بِالأَعْمَاقِ ، أَوْ بِدَابِقٍ . فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ ، مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الأَرْضِ ، يَوْمَئِذٍ .

فَإِذَا تَصَافُّوا : قَالَتِ الرُّومُ : خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سُبُوا مِنَّا ، نُقَاتِلْهُمْ .

فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ : لاَ . وَاللّهِ ! لاَ نُخَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا . فَيُقَاتِلُونَهُمْ ؛ فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ ، لاَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ أَبَداً . وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ ؛ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ ، عِنْدَ اللّهِ . وَيَفْتَتِحُ الثُّلُثُ : لاَ يُفْتَنُونَ أَبَداً . فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ . فَبَيْنَمَا هُمْ يَقْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ : قَدْ عَلَّقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ : إِنَّ الْمَسِيحَ ، قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِيكُمْ ، فَيَخْرُجُونَ . - وَذَلِكَ بَاطِلٌ - .

فَإِذَا جَاءُوا الشَّأْمَ : خَرَجَ . فَبَيْنَمَا هُمْ يُعِدُّونَ لِلْقِتَالِ ؛ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ .

فَيَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ ، صلى الله عليه وسلم ، فَأَمَّهُمْ .

فَإِذَا رَآهُ عَدُوُّ اللّهِ : ذَابَ ، كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ . فَلَوْ تَرَكَهُ : لاَنْذَابَ حَتَّىٰ يَهْلِكَ .

وَلَـٰكِنْ يَقْتُلُهُ اللّهُ بِيَدِهِ . فَيُرِيهِمْ دَمَهُ ، فِي حَرْبَتِهِ ») .

الشرح

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (أنَّ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قَالَ : لا تقوم الساعة ، حتى تنزل[1] الروم : بالأعماق ، أو بدابق) .

« الأعماق » : بفتح الهمزة ، وبالعين المهملة .

« ودابق » : بكسر الباء وفتحها[2] . والكسر : هو الصحيح المشهور . ولم يذكر الجمهور غيره .

وحكى عياض في (المشارق) : الفتح . ولم يذكر غيره .

وهو اسم موضع معروف .

قال الجوهري : الأغلب عليه : التذكير والصرف . لأنه في الأصل : اسم نهر .

قال[3] : وقد يؤنّث ، ولا يصرف .

« والأعماق ، ودابق » : موضعان بالشام ، بقرب حلب .

(فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض ، يومئذ . فإذا تصافوا : قالت الروم : خلُّوا بيننا وبين الذين سبوا منا) .

روي « سبوا » على وجهين ؛ فتح السين والباء . وضمهما .

قال عياض في (المشارق) : الضم ، رواية الأكثرين . قال : وهو الصواب .

---

(١) في مصدر الحديث : « ينزل » بالياء المثناة تحت . المحقق .

(٢) وهو في مصدر الحديث : مضبوط أيضاً بالتنوين ، وعدمه . المحقق .

(٣) (قال) أي : الجوهري ، كما حكاه النووي ، في (٢١/١٨) ، المطبعة المصرية . المحقق .

قلت[1]: كلاهما صواب . لأنهم سُبُوا أولاً ، ثم سَبَوا الكفار .

قال النووي : وهذا موجود في زماننا . بل معظم عساكر الإسلام : في بلاد الشام ومصر ، سُبُوا . ثم هم اليوم - بحمد الله - يَسْبون الكفار . وقد سَبَوْهم - في زماننا - مراراً كثيرة .

يسبون - في المرة الواحدة - من الكفار : ألوفا . ولله الحمد ، على إظهار الإسلام ، وإعزازه .

(نقاتلهم . فيقول المسلمون : لا . والله ! لا نخلّي بينكم وبين إخوانَنا . فيقاتلونهم ؛ فينهزم ثلث ، لا يتوب الله عليهم أبداً)[2] . أي : لا يلهمهم التوبة .

(ويُقتل ثلثهم ؛ أفضل الشهداء ، عند الله . ويفتتح الثلث : لا يفتنون أبداً ، فيفتتحون قسطنطينية) : هي بضم القاف ، وإسكان السين ، وفتح الطاء الأولى ، وكسر الثانية . وبعدها : ياء ساكنه ، ثم نون . هكذا ضبطناه . وهو المشهور . ونقله ، عياض في (المشارق) : عن المتقنين ، والأكثرين .

وعن بعضهم : زيادة ياء مشدّدة بعد النون .

وهي مدينة مشهورة ، من أعظم مدائن الروم . وقد يخفف الياء .

قال في القاموس : « قسطنطينية » مشدّدة : « حصن » بحدود إفريقية ، دار ملك الروم .

---

(١) القائل : « قلتُ » . هو النووي ، في (١٨/ ٢١) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) صنيع المؤلف يوهم : أن كلمة « أبداً » ، ليست من صلب الحديث . ولكنها - كما في صحيح مسلم - من صلبه . المحقق .

وفَتْحُها : من أشراط الساعة[1]. وتسمى بالرّوميّة : « بوزنطياء » .

وارتفاع سوره : أحد[2] وعشرون ذراعاً .

« وكنيستها » : مستطيلة . وبجانبها : عمود عالٍ ، في دور أربعة أبواع[3] تقريباً .

وفي رأسه : فرسٌ من نحاس . وعليه فارس . وفي إحدى يديه : كرة من ذهب . وقد فتح أصابع يده الأخرى مشيراً بها . وهو صورة « قسطنطين »بانيها .

كذا في (اللمعات) ، للشيخ عبد الحق الدّهلوي ، رحمه الله تعالى .

(فبينما هم يقتسمون الغنائم : قد علّقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان : أنّ المسيح) . أي : الدجّال ، (قد خلفكم في أهليكم . فيخرجون . وذلك باطل .

فإذا جاءوا الشام[4] : خرج . فبينما هم يُعِدّون للقتال ؛ يسوون الصفوف ، إذ أقيمت الصلاة[5] ، فينزل عيسى بن مريم ، عليه السلام[6] ، فأمّهم .

---

(١) أي : من علاماتها . المحقق .

(٢) الصواب : « سورها » . وكذلك « واحد » بدل « أحد » . المحقق .

(٣) (أبواع) جمع : « باع » . « والباع » : مسافة ما بين الكفّين ، إذا انبسطت الذراعان ، يميناً وشمالاً . أفاده المعجم الوسيط . المحقق .

(٤) (جاءوا) . في الأصل . الهمزة فوق الواو . وكلمة « الشام » ذكرت في الأصل : « الشأم » بهمزة فوق الألف . المحقق .

(٥) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٦) في مصدر الحديث : « صلى الله عليه وسلم » ، بدل « عليه السلام » . المحقق .

فإذا رآه عدوّ الله : ذاب ، كمـا يذوب الملح في المـاء . فلو تركـه لانذاب حتى يهلك . ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه ، في حربته) : وهي رمح صغير .

وفي الحديث : دلالة ؛ على فتح تلك البلدة ، على أيدي المسلمين .

وعلى خروج الدجّال ، في آخر الزمان .

وعلى أن قَتْله يكون على يد عيسى ، عليه السلام .

وأنه ينزل قبل خروجه ، وبعد ظهور المهدي ، عليه السلام .

وفيه : معجزة ظاهرة ، لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

بَابُ فِي الْخَسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَؤُمُّ الْبَيْتَ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)(١) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٤ ،٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ الْقِبْطِيَّةِ ؛ قَالَ : دَخَلَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ ، وَأَنَـا مَعَهُمَـا : عَلَىٰ أُمِّ سَلَمَةَ « أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ » ؛ فَسَأَلَاهَا عَنِ الْجَيْشِ ، الَّذِي يُخْسَفُ بِهِ ؟ - وَكَانَ ذَلِكَ ، فِي أَيَّامِ ابْنِ الزُّبَيْرِ - .

(١) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٠٨) ، في نفس الباب الذي ذكره المؤلف . المحقق .

فَقَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ . فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ : خُسِفَ بِهِمْ » .

فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! فَكَيْفَ بِمَنْ كَانَ كَارِهاً ؟ قَالَ : « يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ . وَلَـٰكِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، عَلَىٰ نِيَّتِهِ » .

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : هِيَ بَيْدَاءُ الْمَدِينَةِ) .

(الشَّرح)

(عن عبيد الله بن القبطية ؛ قال : دخل الحارث بن أبي ربيعة ، وعبدالله بن صفوان، وأنا معهما : على أم سلمة « أم المؤمنين » رضي الله عنها[1] ، فسألاها عن الجيش ، الذي يُخسف به ؟ - وكان ذلك ، في أيام ابن الزبير -) .

قال أبو الوليد الكناني : هذا ليس بصحيح . لأن أم سلمة ، توفيت في خلافة معاوية ، قبل موته بسنين . « سنة تسع وخمسين » . ولم تدرك أيام ابن الزبير .

قال عياض : قد قيل : إنها توفيتْ أيام يزيد بن معاوية ، في أولها . فعلى هذا . يستقيم ذكرها ، لأن ابن الزبير : نازع يزيد ، أول ما بلغته بيعته ، عند وفاة معاوية . ذكر ذلك : الطبري ، وغيره .

وممن ذكر وفاة أم سلمة ، أيام يزيد : أبو عمرو بن عبد البر ، في (الاستيعاب) .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

وقد ذكر مسلم الحديث - بعد هذه الرواية ، من رواية حفصة - وقال : « عن أم المؤمنين » . ولم يسمّها[1] . قال الدارقطني : هي عائشة .

قال[2] : ورواه سالم بن أبي الجعد ، عن حفصة ، أو أم سلمة .

قال[2] : والحديث محفوظ عن أم سلمة . وهو أيضاً محفوظ عن حفصة . هذا آخر كلام القاضي .

وممن ذكر أن أم سلمة ، توفيت أيام يزيد بن معاوية : أبو بكر بن أبي خيثمة . والله أعلم بحقيقة الحال .

(فقالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يعوذ عائذ بالبيت ، فيُبعث إليه بعث[3] . فإذا كانوا ببيداء من الأرض : خسف بهم » .

فقلت: يارسول الله ! فكيف بمن كان كارهاً؟ قال « يخسف به معهم . ولكنه يبعث يوم القيامة ، على نيته » .

وقال أبو جعفر : هي بيداء المدينة) .

قال أهل العلم : « البيداء » : كل أرض ملساء ، لا شيء[4] بها .

« وبيداء المدينة » : الشّرفُ الذي قدّام ذي الحليفة . أي : إلى جهة مكة .

---

(١) تجد هذا الحديث ، في صحيح مسلم (٤/ ٢٢١٠) ط دار الفكر ، في الباب المذكور ، حديث رقم (٧) . وقبله رواية « حفصة » التي أشار إليها المؤلف . وهي بص ٢٢٠٩ حديث رقم (٦) . وقبلها حديث الباب ، بنفس الصفحة ، حديث رقم (٤) . هذا ؛ ولفظ رواية حفصة ؛ سيأتي ذكره قريباً . إن شاء الله . المحقق .

(٢) (قال) أي : الدارقطني كما حكاه النووي ، في (١٨/ ٥) المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « فيبعث الله إليه بعثاً » بالبناء للفاعل . المحقق .

(٤) (لا شيء بها) . كلمة « شيء » . في الأصل - كالمعتاد - الهمزة فوق الياء . المحقق .

وفي رواية أخرى ، عن حفصة ، عند مسلم : « أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ يَقُولُ : « لَيَؤُمَّنَّ هَـٰذَا الْبَيْتَ : جَيْشٌ يَغْزُونَهُ . حَتَّى إِذَا كَانُـوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ : يُخْسَفُ بِأَوْسَـطِهِمْ . وَيُنَـادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ . ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ ، فَلاَ يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ » .

فَقَالَ رَجُلٌ : أَشْهَدُ عَلَيْكَ : أَنَّكَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَىٰ حَفْصَةَ . وَأَشْهَدُ عَلَىٰ حَفْصَةَ : أَنَّهَا لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم[١] .

بَابٌ فِي سُكْنَى الْمَدِينَةِ وَعِمَارَتِهَا قَبْلَ السَّاعَةِ

وهو في النووي ، في : (الكتاب المتقدم)[٢] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « تَبْلُغُ الْمَسَاكِنُ إِهَابَ ، أَوْ يَهَابَ » .

قَالَ زُهَيْرٌ[٣] : قُلْتُ لِسُهَيْلٍ : وَكَمْ[٤] ذَلِكَ مِنَ الْمَدِينَةِ ؟ قَالَ : كَذَا وَكَذَا مِيلاً) .

(١) حديث حفصه هذا ، هو رقم (٦) بالمصدر الذي ذكرناه بالهامش رقم (١) بالصفحة المتقدمة . المحقق .

(٢) وهي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٢٨) ط دار الفكر ، في نفس الباب ، الذي ذكره المؤلف . المحقق .

(٣) (زهير):هو راوي هذا الحديث ، عن سهيل بن أبي صالح ، عن أبيه ، عن أبي هريرة . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « فكم » بالفاء . لا بالواو . المحقق .

(الشرح)

« إهاب » بكسر الهمزة . و « يهاب » : بفتح الياء وكسرها . ولم يذكر عياض ، في (الشرح والمشارق) : إلا الكسر[1] .

وحكىٰ[2] عن بعضهم : « نهاب » بالنون .

والمشهور : الأول . وقد ذكر في الكتاب : أنه موضع بقرب المدينة ، على أميال منها .

وهذا علم من أعلام النبوة ، وشرط من أشراط الساعة .

بَابُ : يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ ، مِنَ الْحَبَشَةِ

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[3] .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يُخَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ ، مِنَ الْحَبَشَةِ ») .

---

(١) (إلا الكسر).أي : كسر الياء ، في « يهاب » . المحقق .

(٢) (وحكىٰ).أي:عياض . كما صرّح به النووي ، في (٣١/١٨)،المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) وهو في صحيح مسلم (٢٢٣١/٤) ط دار الفكر ، في (باب : لا تقوم الساعة ، حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . المحقق .

(الشرح)

هي[1] تصغير « ساقي الإنسان » لرقّتهما . وهي صفة « سوق السودان » غالباً .

ولا يعارض هذا ، قوله تعالى : « حَرَماً آمناً »[2] لأن معناه : آمناً إلى قرب القيامة ، وخراب الدنيا . وقيل يخص منه : قصة ذي[3] السويقتين . قال عياض : القول الأول أظهر .

بَابٌ فِي مَنْعِ الْعِرَاقِ دِرْهَمَهَا

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَنَعَتِ الْعِرَاقُ : دِرْهَمَهَا ، وَقَفِيزَهَا . وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ : مُدْيَهَا ، وَدِينَارَهَا . وَمَنَعَتْ مِصْرُ : إِرْدَبَّهَا ، وَدِينَارَهَا . وَعُدْتُم مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ . وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ . وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ .

شَهِدَ عَلَىٰ ذَلِكَ : لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَدَمُهُ) .

---

(١) (هي) في النووي ، (١٨ / ٣٥) المطبعة المصرية : « هما » مكان « هي » . وهو الصواب لأن الضمير « للسويقتين » . المحقق .

(٢) جزء من الآية (٦٧) من سورة العنكبوت . المحقق .

(٣) (ذي) . في الأصل : « ذو » . والصواب : ما أثبتناه ، لأنه مضاف إليه ، مجرور بالياء لكونه من الأسماء الخمسة . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) و آله (وسلم : إذا[1] منعت العراق : درهمها ، وقفيزها) .

« القفيز » : مكيال ، معـــروف لأهـل العـراق . قال الأزهـري : هو « ثمانية مكاكيك » . « والمكوك » : صاع ونصف . وهو « خمس كيلجات »[2] .

(ومنعت الشأم : مديها) ،

« المُدْي » : بضم الميم على وزن « قُفْل » . وهو مكيال ، معروف لأهل الشام . قال العلماء : يسع « خمسة عشر مكوكا »[3] .

(ودينـارها . ومنعت مصر : إردبّها).« الإردب » : مكيال ، معروف لأهل مصر . قال الأزهري ، وآخرون : يسع « أربعة وعشرين » صاعاً[4] .

وفي معنى « منعت العراق ، والشام ، ومصر » : قولان مشهوران ؛

أحدهما : لإسلامهم . فتسقط عنهم الجزية . وهذا قد وجد .

والثاني (هو الأشهر)[5] أن معناه : أن العجم ، والروم : يستولون على البـلاد ، في آخـر الزمان ، فيمنعون حصول ذلك للمسلمين . وقد روى مسلم هذا - بعد هذا بورقات - ، عن جابر ؛ قَالَ : يُوشِكُ أَنْ لَا يَجِيءَ[6]

---

(١) في مصدر الحديث . وكذلك في صحيح مسلم (٤/٢٢٢) ط دار الفكر ، في الباب المذكور ، حديث (٣٣ - ٢٨٩٦) : « منعت » بدون : « إذا » . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في (١٨/ ٢٠) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) نفس المصدر . المحقق .

(٤) نفسه . المحقق .

(٥) لو قال : « وهو الأشهر » بزيادة « واو الحال » لكان أوضح . المحقق .

(٦) (يجيء) هكذا في الأصل . نقلاً حرفياً من النووي ، (١٨/ ٢٠) ، المصدر المتقدم . ولكنه في صحيح مسلم بشرح النووي ، (١٨/ ٣٨) المطبعة المصرية . وكذلك في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٣٤) ، كتاب =

إِلَيْهِمْ : قَفِيزٌ ، وَلاَ دِرْهَمٌ . قُلْنَا . مِنْ أَيْنَ ذَلِكَ[1] ؟ قَالَ مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ . يَمْنَعُونَ ذَلِكَ[1] .

وذكر في منع الروم : ذلك - بالشام - مثله . وهذا وجد في زماننا ، في العراق . وهو الآن موجود .

وقيل : لأنهم يرتدّون في آخر الزمان ، فيمنعون مالزمهم من الزكاة[2] وغيرها .

وقيل : معناه : أن الكفار الذين عليهم الجزية ، تقوى شوكتهم في آخر الزمان ، فيمتنعون مما كانوا يؤدّونه : من الجزية والخراج ، وغير ذلك . قاله النـووي[3] . قلت : وقـد وجد ذلك كله ، في هذا الزمان الحاضر : في العـراق ، والشام ، ومصر . واستولى الروم - يعني النصاري - على أكثر البلاد ، في هذه المائة الثالثة عشر . ولهم الاستيلاء على سائرها كل يوم . ولله الأمر من قبل ، ومن بعد .

= الفتن ، باب (١٨) حديث رقم (٦٧ - ٢٩١٣) : « يُجْبَىٰ » بدل : « يجيء » . هذا ؛ وكلمة « يجيء » في الأصل : الهمزة فوق الياء . ونص الحديث - كما في المصدرين المذكورين - : عَنِ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ؛ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ؛ فَقَالَ : يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ أَنْ لاَ يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ : قَفِيزٌ ، وَلاَ دِرْهَمٌ .

قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ . يَمْنَعُونَ ذَاكَ .

ثُمَّ قَالَ : يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ أَنْ لاَ يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ : دِينَارٌ ، وَلاَ مُدْيٌ .

قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ قِبَلِ الرُّومِ .

ثُمَّ أَسْكَتَ هُنَيَّةً . ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي : خَلِيفَةٌ يَحْثِي الْمَالَ حَثْياً . لاَ يَعُدُّهُ عَدَداً » .

قَالَ : قُلْتُ لأَبِي نَضْرَةَ ، وَأَبِي الْعَلاَءِ : أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ؟ فَقَالاَ : لاَ .

وسيأتي هذا الحديث ، قريباً . إن شاء الله . اهـ . المحقق .

(١) في المصدرين السابقين : « ذاك » بدل : « ذلك » . المحقق .

(٢) (الزكاة) . في الأصل كالمعتاد - : « الزكوة » . المحقق .

(٣) تجده في (١٨ / ٢٠ ، ٢١) المطبعة المصرية . المحقق .

(ودينارها . وعدتم من حيث بدأتم . وعدتم من حيث بدأتم . وعدتم من حيث بدأتم) .

(قال النووي : هو بمعنى الحديث الآخر : « بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيباً ، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ »[1] انتهى .

وهذا أيضاً ، قد وجد على الوجه الأتم . وبلغت « غربة الإسلام » ، إلى أن لم يبق في أيديه : حلّ ولا عقد . وصار أهله كالعبيد والأُسَراءِ ، في أيدي الروم . كما كانت حال « بني إسرائيل » عند فرعون مصر . والناس ينتظرون : ظهور المهديّ ، ونزول عيسى ، عليهما السلام . ولعل الله يحدث بعد ذلك أمراً . فقد طال الزمان ، وآذنت الدنيا بانصرامها ، وظهرت جملة الأشراط ، وكملت . ودنت هذه المائة : إلى الختم . ولم يبق منها إلا شهران ، وسنة واحدة . وملئت الدنيا : جوراً ، وظلماً ، وعدوانا ، وفسقاً ، وفجوراً . وجمعت المنكرات كلها ، في كل قطر من أقطار الأرض . وعمت الكبائر : في العجم والعرب . وصار المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً .

(شهد على ذلك : لحم أبي هريرة[2] ودمه) : هذا توثيق منه ، رضي الله عنه : في أنَّ الحديث ، سمعه من رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بلا شك ، ولا شبهة طارية[3] عليه .

---

(١) تكملة الحديث . « وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيباً . فَطُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ » . مسلم ، في (الإيمان) ، باب (٦٥) حديث (٢٣٢ - ١٤٥) . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد زيادة كلمة « ثم » . في بعض النسخ ، في هذه الجملة من الحديث . دون تحديد لموضعها منها . ولعله يريد « شهد على ذلك : لحم أبي هريرة ، ثم دمه » . والله أعلم . المحقق .

(٣) لو قال : « طارئة » بالهمزة ، لكان أوضح . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ قَالَ : « لَيْسَتِ السَّنَـةُ بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا[2] وَلَـكِنْ السَّنَةُ : أَنْ تُمْطَرُوا ، وَتُمْطَرُوا . وَلَا تُنْبِتُ الْأَرْضُ شَيْئاً ») .

(الشَّرح)

المراد بالسنة هنا : « القحط » . ومنه ، قوله تعالى : « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ »[3] .

وفيه : أن عدم إنبـات الأرض شيئـاً - مع وجود الأمطار - : من آثار الساعة ، وقربها .

بَابُ فِي رَفْعِ الْأَمَانَةِ وَالْإِيمَانِ مِنَ الْقُلُوبِ

وهو في الجزء الأول من النووي ، في : (باب رفع الأمانة والإيمان ، من بعض القلوب . وعرض الفتن على القلوب)[4] .

---

(١) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٨) ط دار الفكر ، في (باب : في سكنى المدينة وعمارتها ، قبل الساعة) . المحقق .

(٢) (بِأَنْ لَا تُمْطَرُوا وَلَـكِنْ) . في الأصل : « بأن لا تمطر ولكن » . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحاً من مصدر الحديث . المحقق .

(٣) الآية : (١٣٠) من سورة الأعراف . المحقق .

(٤) هو في صحيح مسلم / النووي (٢/١٦٧) ، المطبعة المصرية . المحقق .

حَدِيثُ البَابِ

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٧ - ١٧٠ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُذَيْفَـةَ ؛ قَالَ : حَدَّثَنـا رَسُـولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : حَدِيثَيْنِ ، قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا ، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الآخَرَ ؛

حَدَّثَنَا : أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جِذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ . ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ ، وَعَلِمُـوا مِنَ السُّنَّةِ » .

ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ ؛ قَالَ : « يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِـهِ ، فَيَظَلُّ أَثَـرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ . ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ ، فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ . كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ ، فَنَفِطَ ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِراً ، وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ - ثُمَّ أَخَذَ حَصىً ، فَدَحْرَجَهُ عَلَىٰ رِجْلِهِ - فَيُصْبِحُ النَّـاسُ يَتَبَـايَعُـونَ ؛ لَا يَكَـادُ أَحَـدٌ يُؤَدِّي الْأَمَـانَةَ . حَتَّىٰ يُقَـالَ : إِنَّ فِـي بَنِي فُلَانٍ ، رَجُـلًا أَمِينـاً . حَتَّىٰ يُقَالَ لِلرَّجُلِ : مَا أَجْلَدَهُ ! مَا أَظْرَفَهُ ! مَا أَعْقَلَهُ ! وَمَا فِي قَلْبِهِ : مِثْقَالُ حَبَّةٍ - مِنْ خَرْدَلٍ - مِنْ إِيمَانٍ » .

وَلَقَـدْ أَتَىٰ عَلَيَّ زَمَانٌ ، وَمَا أُبَالِي : أَيُّكُمْ بَايَعْتُ . لَئِنْ كَانَ مُسْلِماً ، لَيَرُدَّنَّهُ ، عَلَيَّ : دِينُهُ . وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيّاً ، أَوْ يَهُودِيّاً ، لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ : سَاعِيهِ .

وَأَمَّا الْيَوْمَ ، فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ : إِلَّا فُلَاناً ، وَفُلَاناً) .

(الشرح)

(عن حذيفة) رضي الله عنه ؛ (قال : حدّثنا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : حديثين) أي : في الأمانة. وإلاّ ، فروايات « حذيفة » كثيرة ، في الصحيحين وغيرهما .

(قد رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر) .

قال « صاحب التحرير » : عنىٰ « بأحد الحديثين » قوله : (حدثنا أن الأمانة ، نزلتْ في جِذْر قلوب الرجال) .

وبالثاني : قوله : « ثمّ حدثنا عن رفع الأمانة » إلى آخره .

« والجذر » : بفتح الجيم ، وكسرها . لغتان . وبالذال المعجمة فيهما . وهو « الأصل » .

وقال عياض : مذهب الأصمعيّ - في هذا الحديث - : فتح الجيم . وأبو عمروٍ بكسرها[1] .

« وأما الأمانة » ، فالظاهر : أن المراد بها : التكليف ، الذي كلّف الله به عباده . والعهد ، الذي أخذه عليهم . قال الواحدي - في قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ »[2]- : قال ابن عباس : هي الفرائض ، التي افترضها الله تعالى علىٰ العباد . وقال الحسن : هو الدّين . والدّين كله أمانة . وقال أبو العالية : « الأمانة » : ما أمروا به ، وما نهوا عنه . وقال مقاتل : « الأمانة » : الطاعة .

---

(١) في النووي / مسلم (٢/١٦٨) ، المطبعة المصرية : « يكسرها » بالياء المثناة تحت . وهو الأوضح . المحقق .

(٢) الآية : (٧٢) من سورة الأحزاب . المحقق .

قال الواحدي : وهذا قول أكثر المفسرين .

قال[1] : فالأمانة في قول جميعهم : الطاعة ، والفرائض التي يتعلق بأدائها : الثواب ، وبتضييعها : العقاب .

وقال صاحب التحرير : «الأمانة في الحديث» : هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ »[2] . وهي عين الإيمان . فإذا استمكنت الأمانة من قلب العبد : قام حينئذ بأداء التكاليف ، واغتنم ما يرد عنه منها ، وجَدَّ في إقامتها .

(ثم نزل القرآن : فعلموا من القرآن ، وعلموا من السنّة) . وهذا : شأن خير القرون ، المشهود لها بالخير . لأنهم كانوا عالِمينَ بهذين الأصلين الكريمين ، وعاملين بهما : في كل مايأتي ويذر[3] .

ثم خلف من بعدهم خلف ، أضاعوا الصلاة[4] واتّبعوا الشهوات . وفشىٰ فيهم الكذب ، وتَرْكُ العلمِ والعملِ بهما[5] . وقام مقامهما : تقليدات الأحبار والرّهبان ، وإيثار الآراء على النصوص . « وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَّقْدُوراً[6] ».

وكل آفة دخلت في الأمانة ، فأصلها : خَلْطُ العقلِ بالنّقل . وزاد عليه الكلام .

(١) (قال) . أي:الواحدي ، كما حكاه النووي ، في (٢/١٦٨)،المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) الآية : (٧٢) من سورة الأحزاب . المحقق .

(٣) الصواب : « في كل ما يأتون ويذرون » . المحقق .

(٤) (الصلاة) . في الأصل - كالمعتاد - : « الصلوة » . المحقق .

(٥) (بهما).أي : بالكتاب والسنة . المحقق .

(٦) الآية : (٣٨) من سورة الأحزاب . المحقق .

(ثم حدثنـا عن رفـع الأمانة) أي : الدّين ؛ (فقال[1] : ينام الرجل النومة ، فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظلّ أثرها مثل الوكت) : بفتح الواو ، وإسكان الكاف ، وبالتاء الفوقية . وهو الأثر اليسيْر . كذا قال الهروي .

وقال غيره : هو سواد يسير .

وقيل : هو لون يحدث ، مخالف للّون الذي كان قبله .

(ثم ينـام النـومـة ، فتقبض الأمـانـة من قلبـه ، فيظل أثرها مثل أثر المجـل)[2] : بفتـح الميم ، وإسكـان الجيم وفتحها . لغتان ، حكاهما « صاحب التحرير » . والمشهور : الإسكان .

يقــال منــه : « مَجِلَتْ يده » بكسـر الجيم ، « تَمْجَـل » بفتحهـا . « مجَلًا » بفتحها أيضاً . و « مَجلَتْ » بفتح الجيم ، « تَمْجُل » بضمها . « مجْلًا » بإسكانها ؛ لغتان مشهورتان . و « أَمْجَلها غيرُها » .

قال أهـل اللغـة ، والغريب : « المجل » هو التنفّط الذي يصير في اليد ، من العمل بفأس أو نحوها . ويصير كالقبّة ، فيه ماء قليل . انتهى[3] .

قلت : وهو بالفارسية : « آبله » .

(١) في مصدر الحديث : « قال » بدون فاء . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث ، وكذلك في صحيح مسلم (١٢٦/١) ط دار الفكر : « مثل المجل » ، دون كلمة « أثر » . المحقق .

(٣) (انتهى) أي كلام « صاحب التحرير » . وتجده في النووي ، (١٦٩/٢) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(كجمر دحرجته على رجلك ، فنفط . فتراه منتبراً[1] ، وليس فيه شيء[2]) .

« الجمر ، والدّحرجة » : معروفان .

« ونفط » : بفتح النون ، وكسر الفاء . ويقال : « تنفّط » : بمعناه .

و « منتبراً » . أي : مرتفعاً . و أصل هذه اللفظة : الارتفاع . ومنه : « المنبر » لارتفاعه ، وارتفاع الخطيب عليه .

وقوله : « نفط » ولم يقل : « نفطت » . مع أن الرِّجْل مؤنثة ؛

إمّا أن يكون ذكَّر « نفط » : إتباعاً للفظ الرِّجْل[3] .

وإمَّا أن يكون إتباعاً لمعنى الرّجل . وهو العضو .

(ثم أخذ حصاةً ، فدحرجها على رجله) .

وفي رواية : « أَخَـذَ حَصًى ، فَدَحْـرَجَـهُ »[4]. قال النـووي : هكذا ضبطناه . وهو ظاهر .

ووقـع في أكثـر الأصـول « حَصَاة »[5] . وهو صحيح أيضاً . ويكون معناه : دحرج ذلك المأخوذ ، أو الشيء[6] . وهو الحصاة . والله أعلم .

---

(١) (منتبراً) . في الأصل : « الباء » مهملة من النقطة . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٣) لأن لفظ « الـرِّجْـل » مذكّر . ولكن معناها مؤنّث . ويجوز تذكير الفعل ، مراعاة للفظ ، وتأنيثه ، مراعاة للمعنى . المحقق .

(٤) وهو الموافق لحديث الباب ، كما في مصدره ، وكذلك في صحيح مسلم (١٢٧/١) ط دار الفكر . المحقق .

(٥) في النووي (٢/١٦٩) ، المطبعة المصرية : « ثُمَّ أَخَذَ حَصَاةً ، فَدَحْرَجَهُ » . وهو أوضح . المحقق .

(٦) (الشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

قال « صاحب التحرير » : معنى الحديث : أن الأمانة تزول عن القلوب ، شيئاً فشيئاً ؛

فإذا زال أول جزء منها : زال نورها ، وخلفته ظلمة كالوكت . وهو[1] اعتراض لون مخالف للون الذي قبله .

فإذا زال شيء[2] آخر : صار كالمجل وهو[3] أثر محكمٌ ، لا يكاد يزول ، إلا بعد مدّة . وهذه الظلمة فوق التي قبلها .

ثم شبّه « زوال ذلك النور : بعد وقوعه في القلب ، وخروجه : بعد استقراره فيه ، واعتقاب الظلمة إياه : (بجمر يدحرجه على رجله ، حتى يؤثّر فيها . ثم يزول الجمر ، ويبقى التنفّط) .

وأخْذُه الحصاةَ ودحْرجتُه إياها ، أراد بها : زيادة البيان ، وإيضاح المذكور . والله أعلم .

(فيصبح الناس يتبايعون ، لا يكاد أحد يؤدي الأمانة ، حتى يقال : إن في بني فلان ، رجلاً أميناً . حتى يقال للرّجل : ما أجلده ! وما أظرفه ! وما أعقله[4] ! وما في قلبه : مثقال حبّة من خردل ، من إيمان) .

فيه : علَم من أعلام النبوة . حيث وَقَعَ ووُجِد : مصداقُ ذلك . وأن أجلد الناس ، وأظرفهم ، وأعقلهم - في هذا الزمان - : أبعدهم من سلوك مسالك الإيمان .

---

(١) (وهو).أي : الوكت . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : الهمزة - كالمعتاد - فوق الياء . المحقق .

(٣) (وهو).أي : المجل . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث . وكذلك في المصدر الآخر المتقدم : « ما أظرفه ! ما أعقله ! » بدون واو فيهما . وقد وضع المؤلف - علامة فوق الواو ، في كل من الجملتين للدلالة على عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

ومن سلك منهم - على قلّة شديدة - : منهج التقوى والدّين ، فهو - عند أهل الزمان - : من السفهاء الحمقاء ، الغافلين . ليس له وزن على قدر درهم .

والذي أضاع الأمانة ، وصارت ديانته الخيانة : هو المشار إليه بالبنان ، في كمال العقل والبرهان . فإنّا لله . وإنا إليه راجعون .

وبالجملة ؛ فالناس كالمائة الإبل ، لا تكاد تجد فيها راحلة . وهذا من الوضوح : بمكان لا يخفىٰ .

وهذا من أشراط الساعة الكبرى . والله أعلم .

(ولقد أتى عليّ زَمان ، وما أبالي : أيّكم بايعت . لئن كان مسلماً ، ليردّنه عليّ : دينه . ولئن كان نصرانيًّا أو يهوديًّا ، ليردنّه عليّ : ساعيه .

وأما اليوم ، فما كنت لأبايع[1] إلا فلاناً ، وفلاناً) .

معنى المبايعة هنا : البيع والشراء ، المعروفان .

ومراده : أني كنت أعلم ؛ أن الأمانة لم ترتفع . وأنَّ في الناس وفاء بالعهود . فكنت أُقْدم على مبايعة من اتّفق ، غير باحثٍ عن حاله : وثوقاً بالناس ، وأمانتهم .

فإنه إن كان مسلماً ، فدينه وأمانته : تمنعه من الخيانة ، وتحمله على أداء الأمانة .

وإن كان كافراً ، فساعيه - وهو الوالي عليه - كان أيضاً يقوم بالأمانة ، في ولايته ، فيستخرج حقي منه .

---

(١) في مصدر الحديث . وكذلك في المصدر الآخر : « لأبايع منكم » بزيادة : « منكم » . هذا ؛ وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « أبايع منكم » . المحقق .

وأما اليوم ؛ فقد ذهبت الأمانة . فما بقي لي وثوق بمن أبايعه : إلا[1] بالساعي في أدائهما الأمانة . فما أبايع : إلا فلاناً ، وفلاناً .

يعني : أفراداً من الناس أعرفهم ، وأثق بهم .

قال صاحب التحرير ، والقاضي عياض : وحمل بعض العلماء « المبايعة » هنا : على بيعة الخلافة ، والتحالف في أمور الدين . قالا : وهذا خطأ من قائله . وفي هذا الحديث : مواضع تبطل قوله ؛

منها قوله : « كان نصرانيًّا ، أو يهوديًّا » .

ومعلوم : أن النصرانيّ ، واليهوديّ : لا يعاقد على شيء[2] من أمور الدين . والله أعلم . هذا آخر كلام النووي ، رحمه الله[3] .

وفيه[4] : شكاية « حذيفة » ، رضي الله عنه : من أهل الزمان ، وحكاية تغيّر حال الإنسان .

وإذا كان هذا الحال[5] في زمانه ، فكيف بزماننا هـٰذا ؛ الذي مرجت فيه العهود ، وضاعت فيه الحدود ، وانحلّت العقود ، وظهر الفساد في البرّ والبحر؟ اللهم ! ثبّت قلوبنا ، على دينك .

---

(١) الصواب - كما في النووي ، (٢/١٧٠) - : « ولا بالساعي » بدل « إلا بالساعي » . بدليل قوله بعد : « في أدائهما » بالتثنية ، لعود الضمير إلى « من » و « الساعي » . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل - كالمعتاد - الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل رمز إليها بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) (وفيه) . أي : وفي هذا الحديث . المحقق .

(٥) في الأصل : « وإذا كان الحال » بدون ذكر « هذا » . ويبدو أنها سقطت أثناء النسخ . المحقق .

بَابُ : يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَلِيفَةٌ ، يَحْثِي الْمَالَ حَثْيًا

وذكره النووي ، في : (كتاب الفتن)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٣٨ ، ٣٩ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ الْجُرَيْرِيِّ ، عَنْ أَبِي نَضْرَةَ ؛ قَالَ : كُنَّا عِنْدَ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ؛ فَقَالَ : يُوشِكُ أَهْلُ الْعِرَاقِ ، أَنْ لاَ يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ : قَفِيزٌ ، وَلاَ دِرْهَمٌ .

قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ قِبَلِ الْعَجَمِ . يَمْنَعُونَ ذَاكَ .

ثُمَّ قَالَ : يُوشِكُ أَهْلُ الشَّأْمِ ، أَنْ لاَ يُجْبَىٰ إِلَيْهِمْ : دِينَارٌ ، وَلاَ مُدْيٌ .

قُلْنَا : مِنْ أَيْنَ ذَاكَ ؟ قَالَ : مِنْ قِبَلِ الرُّومِ .

ثُمَّ أَسْكَتَ هُنَيَّةً ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةٌ ، يَحْثِي الْمَالَ حَثْياً . لاَ يَعُدُّهُ عَدَداً » .

قَالَ : قُلْتُ لأَبِي نَضْرَةَ ، وَأَبِي الْعَلاَءِ : أَتَرَيَانِ أَنَّهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ؟ فَقَالاَ : لاَ) .

(الشَّرح)

(عن الجُريري ، عن أبي نضرة ؛ قال : كنا عند جابر بن عبد الله[2] ، فقال : يوشك أهل العراق ، أن لا يُجبىٰ إليهم : قفيز ولا درهم .

---

(١) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٣٤) ط دار الفكر ببيروت ، في (باب : لا تقوم الساعة ، حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل ، فيتمنى أن يكون مكان الميت ، من البلاء) . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - ما يفيد أنه في بعض النسخ - بعد قوله : جابر بن عبد الله - زاد : « رضي الله عنه » . المحقق .

قلنا من أين ذاك[1] . قال : من قبل العَجَم . يمنعون ذاك[1] .

ثم قال : يوشك أهل الشام[2] ، أن لا يجبىٰ إليهم : دينار ، ولا مدي .

قلنا من أين ذاك ؟ قال : من قبل الروم) أي : النصارى . سبق شرحه قريباً .

« ويوشك » : بضم الياء ، وكسر الشين . معناه : « يسرع » .

(ثم أسكت هنيّة) . « أسكت » بالألف ، في جميع نسخ بلاد النووي . وذكر عياض : أنهم رووه بحذفها ، وإثباتها . وأشار إلى أنّ الأكثرين حذفوها .

« وسكت ، وأسكت » لغتان . بمعنى : « صمت » .

وقيل : « أسكت » بمعنى : أطرق .

وقيل : بمعنى « أعرض » .

« وهنيّة » : بتشديد الياء ، بلا همزة . قال عياض : رواه لنا « الصّدفي » : بالهمزة . وهو غلط[3] .

(ثم قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يكون في آخر أمتي خليفة ، يحثي المال حَثياً . ولا يعّده[4] عدّا[5] .

---

(١) أثبت المؤلف – في الهامش – ما يفيد أنه في بعض النسخ : « ذلك » باللام . في الموضعين . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « الشأم » بالهمز . المحقق .

(٣) حكاه النووي ، في (١٨/٣٨) المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « لا يعدّه » بدون واو قبل « لا » . وقد وضع المؤلف علامة فوق هذا اللفظ ، تشير إلى أنه في بعض النسخ : بدون واو . المحقق .

(٥) (عدّا) . أثبت المؤلف – في الهامش – أنه في بعض النسخ : « عدداً » بفك الإدغام . وهو الموافق لما في مصدر الحديث . المحقق .

وفي رواية : « يَحْثُوا »[1] .

قال أهل اللغة : يقال : « حَثَيْت أَحْثِي حَثْياً ، وحَثَوتُ أَحْثُو حَثْواً » لغتان . وقد جاءت اللغتان ، في هذا الحديث . وجاء مصدر الثانية : على فعل الأولى[2] وهو جائز . من باب قوله تعالى : « وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً »[3] .

« والحثو » هو : الحَفْن باليدين .

وهذا الحْثُو الذي يفعله هذا الخليفة ، يكون لكثرة الأموال والغنائم ، والفتوحات . مع سخاء نفسه .

قاله النووي[4] ، ولم يزد على ذلك . ولم يبين المراد من هذا الخليفة ، من هو ؟ وهل مضى ، أو يكون ؟

(قال : قلت لأبي نضرة ، وأبي العلاء ، أتريان أنه عمر بن عبد العزيز ؟) الخليفة الأموي ، الذي كان خير الناس في زمنه . ويقال له : « عمر الثاني » ، لعدله وتقواه .

(فقالا : لا) . وإنما أنكرا ذلك ، لأن الحديث يَدُلّ على أن هذا الخليفة ، يكون في آخر أمته ، صلى الله عليه وآله وسلم . ولم يكن زمن

---

(١) « يَحْثو » أي بدل : « يحثي » . وهذه الرواية ، في صحيح مسلم (٤/٢٢٣٥) ، المصدر المتقدم . حديث رقم (٦٨ - ٢٩١٤) . المحقق .

(٢) وذلك في قوله ، في الحديث المتقدم : « يَحْثُو المال حَثْياً » . مع أن مصدر « يحثو » : « حَثْواً » . وأما « حثْياً » فهو مصدر : « يحثي » . وهذا جائز ، كما ذكر المؤلف . المحقق .

(٣) أي أن « نباتاً » أصله مصدر « نبت » . ومصدر « أنبت » : « إنباتاً » . ولكنه يجوز أن يجيء كل من المصدرين ، مع فعل الآخر . هذا ؛ والآية المذكورة ، رقم (١٧) سورة نوح . المحقق .

(٤) قاله ، في ص ٣٩ ، ٤٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

« ابن عبـد العـزيز » : آخـر مدة هذه الأمـة ، لأحاديث أخرى وردت في بقائها ، إلى مدّة طويلة ، وأمد بعيد .

وفي رواية أخرى ، بلفظ : « يَكُونُ فِي أُمَّتي خَلِيفَةٌ ، يَحْثُو الْمَالَ فِي النَّاسِ حَثْياً » أخرجه الدار قطني . قال الشوكاني رحمه الله[1] : رجاله رجال الصحيح . انتهى .

وهذا محمول على حديث الباب . والظاهر أن المراد بهذا الخليفة : هو « المهدي » الفاطمي ، الموعود المنتظر ، لتظاهر الأدلة على ذلك . وقد ذكرنا جملة الأحاديث الواردة فيه ، عليه السلام ، في (اليقظة) فراجعه .

بَابُ فِي الآيَاتِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ السَّاعَةِ

وذكره النووي ، في : (كتاب الفتن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٧ ، ٢٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ ، الْغِفَارِيِّ ؛ قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، عَلَيْنَا ، وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ .

فَقَالَ : « مَا تَذَاكَرُونَ ؟ » . قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ .

قَالَ : « إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا : عَشْرَ آيَاتٍ » .

---

(١) (رحمه الله) . في الأصل رمز إليها بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٢) وهو في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٥) ، في مثل الباب ، الذي ذكره المؤلف . المحقق .

فَذَكَـرَ الـدُّخَانَ ، وَالدَّجَّالَ ، وَالدَّابَّةَ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ، صلى الله عليه وسلم ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، وَثَلاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

وَآخِرُ ذَلِكَ : نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ) .

الشَّرح

(عن حذيفة بن أسيد) : بفتح الهمزة ، وكسر السين . (الغفاري ، رضي الله عنـه) . وقـولـه في هذا الإسنـاد : - « عن ابن عيينة[١] ، عن فرات[٢] ، عن أبي الطفيل ، عن حذيفة[٣] - هو مما استدركه الدارقطني ، وقال : ولم يرفعه : غير فرات ، عن أبي الطفيل ، من وجه صحيح .

قال[٤] : ورواه عبد العزيز بن رفيع ، وعبد الملك بن ميسرة : موقوفاً . انتهى .

قال النووي : وقد ذكر مسلم رواية « ابن رفيع » موقوفة . كما قال[٥] : ولا يقـدح هذا في الحـديث . فإن « ابن رفيع » ثقـه حافظ ، متفق على توثيقه . فزيادته : مقبوله .

(قال : اطّلع النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، علينا . ونحن نتذاكر . فقال : « ما تذكرون ؟ »[٦] . قالوا : نذكر الساعة .

---

(١) هو « سفيان بن عيينة » ، كما في الإسناد ، المذكور . المحقق .

(٢) في الإسناد المذكور : « فرات القزّاز » . المحقق .

(٣) (حذيفة بن أَسِيد) ، كما في الإسناد المذكور . المحقق .

(٤) (قال) أي : الدار قطني . كما حكاه النووي ، في (١٨/ ٢٧) المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) (كما قال) أي : مسلم ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٦) في مصدر الحديث : « تذاكرون » بدل : « تذكرون » . المحقق .

قال : « إنها لن تقوم ، حتى تروا[1] قبلها : عشر آيات » ؛ فذكر الدّخان) .

قال النـووي : هذا الحـديث ، يؤيد . قول من قال : إن الدخان ، دخان يأخذ بأنفاس الكفار . ويأخذ المؤمن منه : كهيئة الزكام . وأنه لم يأت بعد . وإنما يكون قريباً من قيام الساعة . وأنكر ابن مسعود عليه ، وقال : إنمـا هو عبـارة عمـا نال قريشاً من القحط ، حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء : كهيئة الدخان .

وقد وافقه[2] على ذلك جماعة .

وقال بالقول الآخر : حذيفة ، وابن عمر ، والحسن . ورواه حذيفة عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم . وأنه يمكث في الأرض أربعين يوماً .

ويحتمل أنهما دخانان ، للجمع بين هذه الآثار . انتهى[3] .

وفي كتابنا (الإذاعة) : هو بعد دابة الأرض ، وقبل الريح . لأنّ بعد الريح : لا يبقى مؤمن .

قال العلماء : آية الدّخان ثابتة ، بالكتاب والسنة ؛

أما الكتاب ، فقوله تعالى : « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ »[4] .

قال ابن عباس وزيد بن علي : هو دخان قبل قيام الساعة .

---

(١) في مصدر الحديث : « حتى ترون » باثبات النون ، والذى في الأصل متفق مع قواعد النحو أيضا . - بل هو المتبادر - على أنه منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد « حتى » ، وعلامة نصبه حذف النون . المحقق .

(٢) أي : وافق « ابن مسعود » . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٤) الآية : (١٠) من سورة الدخان . المحقق .

وأما السنّة ، فكثيرة . انتهى .

منها : حديث الباب هذا .

(والـدجـال) وسيأتي حالـه . (والـدابة) . وهي المذكورة في قوله تعالى : « وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ »[1] .

قال النووي : قال المفسرون : هي دابّة عظيمة ، تخرج من صدع في الصفاة .

وعن « ابن عمرو بن العاص » : أنها الجساسة ، المذكورة في حديث الدجال . انتهى[2] .

وبها[3] جزم البيضاوي .

والكـلام في حليتهـا ، وسيرتهـا ، وخـروجهـا : ذكـرناه في (حجج الكرامة) . وذكره صاحب (الإشاعة) أيضاً . وكله مستفاد من الأحاديث ، والآثار .

(وطلوعَ الشمسِ من مغربها ، ونزولَ عيسى بن مريم) ، عليه السلام[4] .

(ويأجـوجَ ومـأجـوجَ ، وثـلاثةَ خسوف : خسفٌ بالمشرق ، وخسفٌ بالمغرب ، وخسفٌ بجزيرة العرب) .

وسيأتي الكلام على هذا كله ، في مواضعه .

---

(١) الآية : (٨٢) من سورة النمل . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام النووي ، وهو في ص ٢٧ ، ٢٨ المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (وبها) الضمير هنا ، يعود على « الجساسة » . أي أن الدابّة التي تخرج من الأرض ، هي الجساسة . وقد وضع المؤلف الرقم (٢) تحت كلّ من الكلمتين (الجساسة – وبها) للدلالة على ما تقدم . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « صلى الله عليه وسلم » مكان « عليه السلام » . المحقق .

(وآخر ذلك : نار تخرج من اليمن ، تطرد الناس إلى محشرهم) .

وفي رواية : « تَخْــرُجُ مِنْ قُعْـرَةِ عَدَنٍ »[1] هكـذا هو في الأصـول .

ومعناه : « من أقصىٰ قعر أرض عدن » .

« وعدن » : مدينة معروفة مشهورة ، باليمن . قال الماوردي : سميت « عدنا » : من العدون . وهي « الإقامة » . لأن « تبّعاً » كان يحبس فيها أصحاب الجرائم .

وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن ، هي الحاشرة للناس . كما صرّح به في الحديث . قاله النووي[2] .

وَبَسْطُ الكَلامِ على هذه النار : في (الإذاعة ، والحجج) . فراجعهما .

بَابُ : بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتَنًا، كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في : (باب الحثّ على المبادرة بالأعمال ، قبل تظاهر الفتن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٣ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، قَالَ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَـالِ فِتَناً ، كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ؛

(١) هذه الرواية ، تجدها في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٦) ، ط دار الفكر . حديث رقم (٤٠) . ونصّ العبارة : « وَنَارٌ تَخْرُجُ مِنْ قُعْرَةِ عَدَنٍ ، تَرْحَلُ النَّاسَ » . المحقق .

(٢) مذكور في صحيح مسلم / النووي ، (٢٨/١٨) . المطبعة المصرية . المحقق .

يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِناً ، وَيُمْسِي كَافِراً . أَوْ يُمْسِي[1] مُؤْمِناً ، وَيُصْبِحُ كَافِراً . يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا) .

(الشرح)

قال النووي : معنى الحديث : الحثّ على المبادرة إلى الأعمال الصالحة ، قبل تعذّرها والاشتغال عنها : بما يحدث[2] من الفتن الشاغلة المتكاثرة ، المتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم ، لا المقمر .

ووصف « صلى الله عليه وآله وسلم » نوعاً من شدائد تلك الفتن . وهو أنه « يمسي مؤمناً ، ثم يصبح كافراً - أو عكسه - . (شكّ الراوي)[3] .

قال : وهذا لعظم الفتن ، ينقلب الإنسان - في اليوم الواحد - هذا الانقلاب . انتهى[4] .

قلت : وقد وقع ووجد هذا ، في كثير من الناس . فكان عَلَماً من أعلام النبوة .

وهذه الحالة ، تزيد كلّ يوم زيادة لا تحصى . أعاذنا الله منها .

---

(١) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « ويمسي » بالواو بدل : « أو » . المحقق .

(٢) (يحدث) في الأصل بالتاء المثناة ، بدل الثاء المثلثة . المحقق .

(٣) يعني : أن « أو » في قول : « أو يمسي إلخ » . للشكّ . المحقق .

(٤) وهو مذكور في ص ١٣٣ ، المصدر المتقدم . المحقق .

بَابُ: بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سِتًّا

وهو في النووي ، في (بابٌ في بقية أحاديث الدجال)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، رضي الله عنه[2]؛ عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سِتّاً : الدَّجَّالَ ، وَالدُّخَانَ ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَأَمْرَ الْعَامَّةِ ، وَخُوَيِّصَةَ أَحَدِكُمْ ») .

(الشَّرح)

وفي رواية أخرى : بـ « أَوْ » ؛ فَذكَر الستة ، معطوفة « بأو » التي هي للتقسيم[3] .

وفي رواية الباب : بالواو .

قال هشام : « خاصة أحدكم » : الموت . « وخويّصة » : تصغير خاصّة .

---

(١) نص عبارة النووي ، كما في (١٨/٨٥) ، المطبعة المصرية : (بابٌ في بقيةٍ من أحاديثٰ الدجال) . بزيادة « من » . هذا ؛ وفي الأصل : « باب » بكسرتين تحت الباء . والصواب : « بضمتين » على الحكاية . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) هذه الرواية، تجدها في صحيح مسلم (٤/٢٢٦٧)، ط دار الفكر ببيروت، حديث (١٢٨-٢٩٤٧) . ونصّها : « بادرُوا بالأعْمَالِ سِتّاً : طُلُوعَ الشَّمسِ مِنْ مَغْرِبِها ، أَوِ الدُّخَانَ ، أَوِ الدَّجَّالَ ، أَوِ الدَّابَّةَ ، أَوْ خَاصَّةَ أَحَدِكُمْ ، أَوْ أَمْرَ الْعَامَّةِ » . المحقق .

وقال قتادة : « أمر العامة » : القيامة . كذا ذكره عنهما : عبد بن حميد[1] .

بَابُ : الْعِبَادَةِ فِي الْهَرْجِ

ولفظ النووي : (باب فضل العبادة ، في الهرْج) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ، رضي الله عنه[2] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « الْعِبَادَةُ فِي الْهَرْجِ ، كَهِجْرَةٍ إِلَيَّ ») .

(الشَّرح)

قال النووي : المراد بالهرج هنا : الفتنة ، واختلاط أمور الناس .

قال : وسبب كثرة الفضل فيه[3] : أن الناس يغفلون عنها[3] ، ويشتغلون عنها ، ولا يتفرغ لها إلا الأفراد . انتهى[4] .

وهذا الزمان : مصداق هذا الحديث ؛ فقد عمّت البلوىٰ فيه ، وانطمست معالم الإسلام ، واندرست منارة الشرع ، وغفل الناس عن العبادات المفروضة ، واشتغلوا عنها : إلى الابتلاء في المعاملات ، التي

---

(١) أفاده النووي ، في (١٨ / ٨٧) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) الضمير في : « فيه » يعود على « الهرج » . والضمير في : « عنها » يعود على « العبادة » . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي . وهو مذكور في ص ٨٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

ليست مؤسسة على قواعد الدّين الحق ، ولا مبنيّة على ضوابط الملّة الصادقة . بل جرت الأعمال على مقتضى قوانين الرجال ، وتبع فيها الأواخر الأوائل .

فمن يعبد الله سبحانه ، في مثل هذا الزمان الفاسد ، خالصاً مخلصاً ، راغباً في الآخرة، زاهداً في الدنيا ، مقتدياً بالسنة المطهّرة ، ومتّبعاً للكتاب العزيز ، مهاجراً لما نهى الله تعالى ورسوله عنه ، من أنواع الشرك والبدع والكبائر : فله أجر المهاجر إلى الرسول ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن قلّ عمله وقصّر فيه . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

بَابُ فِي قِصَّةِ ابْنِ صَيَّادٍ

وهو في النووي ، في (باب ذكر ابن صياد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥١ ، ٥٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ قَالَ : خَرَجْنَا حُجَّاجاً - أَوْ عُمَّاراً - وَمَعَنَا ابْنُ صَائِدٍ .

قَالَ : فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً ، فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَبَقِيتُ أَنَا وَهُوَ ، فَاسْتَوْحَشْتُ مِنْهُ : وَحْشَةً شَدِيدَةً ، مِمَّا يُقَالُ عَلَيْهِ .

قَالَ : وَجَاءَ بِمَتَاعِهِ ، فَوَضَعَهُ مَعَ مَتَاعِي . فَقُلْتُ : إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ ، فَلَوْ وَضَعْتَهُ تَحْتَ تِلْكَ الشَّجَرَةِ . قَالَ : فَفَعَلَ .

قَالَ : فَرُفِعَتْ لَنَا غَنَمٌ ، فَانْطَلَقَ فَجَاءَ بِعُسٍّ ، فَقَالَ : اشْرَبْ . أَبَا سَعِيدٍ !

فَقُلْتُ : إِنَّ الْحَرَّ شَدِيدٌ ، وَاللَّبَنُ حَارٌّ . مَا بِي ، إِلَّا أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَشْرَبَ عَنْ يَدِهِ - أَوْ قَالَ : آخُذَ عَنْ يَدِهِ - فَقَالَ : أَبَا سَعِيدٍ ! لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آخُذَ حَبْلاً ، فَأُعَلِّقَهُ بِشَجَرَةٍ ، ثُمَّ أَخْتَنِقَ ، مِمَّا يَقُولُ لِيَ النَّاسُ .

يَاأَبَــا سَعِيدٍ ! مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ حَدِيثُ رَسُــولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : مَاخَفِيَ عَلَيْكُمْ ، مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ !

أَلَسْتَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ : بِحَدِيثِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؟

أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « هُوَ كَافِرٌ » . وَأَنَا مُسْلِمٌ ؟

أَوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « هُوَعَقِيمٌ ، لَا يُولَدُ لَهُ » . وَقَدْ تَرَكْتُ وَلَدِي بِالْمَدِينَةِ ؟ أَوَ لَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ ، وَلَا مَكَّةَ » . وَقَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَأَنَا أُرِيدُ مَكَّةَ ؟

قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ : حَتَّىٰ كِدْتُ أَنْ أَعْذِرَهُ .

ثُمَّ قَالَ : أَمَا ، وَاللّهِ ! إِنِّي لَأَعْرِفُهُ ، وَأَعْرِفُ مَوْلِدَهُ ، وَأَيْنَ هُوَ الْآنَ .

قَالَ : قُلْتُ لَهُ : تَبًّا لَكَ ، سَائِرَ الْيَوْمِ) .

(الشرح)

(عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : خرجنا حجاجاً - أو عمّاراً - ومعنا ابن صائد) ويقال له : « ابن صياد » أيضاً . قال النووي : سمي بهما في هذه الأحاديث . واسمه : « صاف » .

(قال : فنزلنا منزلا ، فتفرّق الناس وبقيت أنا وهو ، فاستوحشت منه : وحشة شديدة ، مما يقال عليه .

قال : وجاء بمتاعه ، فوضعه مع متاعي . فقلت : إنّ الحرّ شديد ، فلو وضعته تحت تلك الشجرة . قال : ففعل .

قال : فرفعت لنا غنم ، فانطلق فجاء بعسّ) : بضم العين . وهو القدح الكبير ، وجمعه : « عساس » بكسر العين ، « وأعساس » .

(فقال : اشرب . أبا سعيد ! فقلت : إن الحرّ شديد ، واللبن حارّ . مابي ، إلا أنّي أكره أن أشرب عن يده - أو قال : آخذَ عن يده - فقال : أبا سعيد ! لقد هممت أن آخذ حبلا ، فأُعلّقه بشجرة ، ثم أختنق ، مما يقول لي الناس .

ياأبا سعيد ! مَنْ خفي عليه حديث رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : ما خفي عليكم ، معشر الأنصار !

ألستَ من أعلم الناس ! بحديث رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؟

أليس قد قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « هو كافر » . وأنا مسلم ؟

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

أو ليس قد قال رســول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « هو عقيم ، لا يولد له » . وقد تركتُ ولدي بالمدينة ؟

أو ليس قد قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : لا يدخل المدينة ، ولا مكة » . وقد أقبلتُ من المدينة ، وأنا أريد مكة ؟

قال أبو سعيد[1] : حتى كدتُ أن أعذره .

ثم قال : أما ، والله ! إني لأعرفه ، وأعرف مولده ، وأين هو الآن .

قال : قلت له : تبًّا لك ، سائر اليوم) . أي : خسراناً وهلاكاً لك ، في باقي اليوم .

وهو[2] منصوب : بفعل مضمر ، متروك الإظهار .

قال النووي : لا دلالة له في هذا ، لأن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، إنما أخبر عن صفاته وقت فتنه[3] ، وخروجه في الأرض .

ومن اشتباه قصته ، وكونه أحد الدجاجلة الكذابين : قوله للنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : أتشهد أني رسول الله ؟ ودعواه أنه يأتيه صادق وكاذب ، وأنه يرى عرشاً فوق الماء ، وأنه لا يكره أن يكون هو الدّجال ، وأنه يعرف موضعه .

وأمـا إظهـاره الإسلام ، وحجّه ، وجهاده ، وإقلاعه عما كان عليه : فليس بصريح في أنه غير الدجال[4] .

---

(١) في مصدر الحديث : « أبو سعيد الخدريّ » بزيادة : « الخدريّ » . المحقق .

(٢) (وهو) أي لفظ : « تبًا » . المحقق .

(٣) الأفضل : « فتنته » ، كما في النووي (١٨/ ٤٦) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) أفاده النووي . وهو مذكور في المصدر المتقدم . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم)

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ) رضي الله عنه ؛ (أَنَّ ابْنَ صَيَّادٍ سَأَلَ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : عَنْ تُرْبَةِ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : « دَرْمَكَةٌ بَيْضَاءُ ، مِسْكٌ خَالِصٌ) .

(الشَّرح)

قال العلماء : معناه : أنها في البياض : « درمكة » . وفي الطيب : « مسك » .

« والدرمك » : هو الدقيق ، الحواري الخالص البياض .

قال النووي : وذكر مسلم الروايتين ؛ في أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، سأل ابن صياد عن تربة الجنة ، أو ابن صياد سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1] ؟

قال عياض : قال بعض أهل النظر : الرواية الثانية ، أظهر . انتهى[2] .

---

(١) الرواية التي تفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم ، هو الذي سأل « ابن صائد » عن تربة الجنة : مذكورة في صحيح مسلم ، (٤/٢٢٤٣) ط دار الفكر ببيروت . في كتاب الفتن ، باب (١٩) . حديث (٩٢-٢٩٢٨) . والرواية التي تفيد أن « ابن صائد » أو « ابن صياد » هو الذي سأل النبيّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك : مذكورة في نفس المصدر ، عقب الرواية الأولى ، حديث (٩٣) . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام النووي ، وهو في ص ٥٢ المصدر المتقدم . المحقق .

وعلى هذا ، كان ينبغي أن يكون محلّ هذا الحديث : (كتاب الجنة ، وصفة نعيمها) .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٢ ، ٥٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ[١] ، يَحْلِفُ بِاللَّهِ أَنَّ ابْنَ صَائِدٍ[٢] : الدَّجَّالُ . فَقُلْتُ : أَتَحْلِفُ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ يَحْلِفُ عَلَىٰ ذَلِكَ - عِنْدَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - فَلَمْ يُنْكِرْهُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم) .

(الشَّرح)

استدل به جماعة : على جواز اليمين بالظنّ ، وأنه لا يشترط فيها اليقين .

قال النووي : وهذا متّفق عليه عند أصحابنا ، حتى لو رأى بخط أبيه الميّت : أن له عند زيد كذا . وغلب على ظنه أنه خطه ، ولم يتيقّن : جاز

(١) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ بزيادة : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « ابن صياد » بدل : « ابن صائد » . المحقق .

الحلف على استحقاقه . انتهى[1] .

قال العلماء : وقصّته مشكلة . وأمره مشتبه في أنه : هل هو المسيح الدّجال المشهور ، أم غيره ؟

ولا شكّ : أنه دجّال من الدجاجلة .

وظاهر الأحاديث : أن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : لم يوح إليه بأنه المسيح الدّجال ، ولا غيره .

وإنما أوحي إليه بصفات الدّجال . وكان في ابن صياد قرائن محتملة ، فلذلك كان النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : لا يقطع بأنه الدجّال ، ولا غيره .

ولهذا قال لعمر ، رضي الله عنه : « إن يكن هو ، فلن تستطيع قتله »[2] » .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب ذكر ابن صياد) .

---

(١) (انتهى) كلام النووي ، وهو مذكور . في (١٨/٥٣) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٠) ط دار الفكر ببيروت ، في الفتن ، باب (١٩) ، حديث (٨٥-٢٩٢٤) : عَنْ عَبْدِ اللّهِ ، قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَمَرَرْنَا بِصِبْيَانٍ ، فِيهِمُ ابْنُ صَيَّادٍ . فَفَرَّ الصِّبْيَانُ ، وَجَلَسَ ابْنُ صَيَّادٍ . فَكَأَنَّ الرَّسُولَ ، صلى الله عليه وسلم ، كَرِهَ ذَلِكَ .
فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : « تَرِبَتْ يَدَاكَ . أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ ؟ » فَقَالَ : لاَ . بَلْ تَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ .
فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : ذَرْنِي . يَارَسُولَ اللّهِ ! حَتَّىٰ أَقْتُلَهُ .
فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنْ يَكُنِ الَّذِي تَرَىٰ : فَلَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ » اهـ .
وفي رواية : « فَإِنْ يَكُنِ الَّذِي تَخَافُ : لَنْ تَسْتَطِيعَ قَتْلَهُ » .
وفي أخرى : « إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ : فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ » . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٣ - ٥٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ، أَخْبَرَهُ ؛ أَنَّ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ، انْطَلَقَ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي رَهْطٍ : قِبَلَ ابْنِ صَيَّادٍ ، حَتَّىٰ وَجَدَهُ يَلْعَبُ مَعَ الصِّبْيَانِ ، عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مَغَالَةَ . وَقَدْ قَارَبَ ابْنُ صَيَّادٍ - يَوْمَئِذٍ - الْحُلُمَ . فَلَمْ يَشْعُرْ ، حَتَّىٰ ضَرَبَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : ظَهْرَهُ ، بِيَدِهِ .

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، لِابْنِ صَيَّادٍ : « أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ ؟ » .

فَنَظَرَ إِلَيْهِ ابْنُ صَيَّادٍ ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ الْأُمِّيِّينَ . فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللّهِ ؟ فَرَفَضَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَقَالَ : « آمَنْتُ بِاللّهِ ، وَبِرُسُلِهِ » .

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَاذَا تَرَىٰ ؟ » قَالَ ابْنُ صَيَّادٍ : يَأْتِينِي صَادِقٌ ، وَكَاذِبٌ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « خُلِّطَ عَلَيْكَ الْأَمْرُ » .

ثُمَّ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنِّي قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيئاً » . فَقَالَ ابْنُ صَيَّادٍ : هُوَ الدُّخُّ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اخْسَأْ . فَلَنْ تَعْدُوَ قَدْرَكَ » .

فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : ذَرْنِي . يَارَسُولَ اللّهِ ! أَضْرِبْ عُنُقَهُ .

فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنْ يَكُنْهُ ، فَلَنْ تُسَلَّطَ عَلَيْهِ . وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ ، فَلاَ خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ » .

وَقَالَ سَالِمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ يَقُولُ : انْطَلَقَ - بَعْدَ ذَلِكَ - رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ الْأَنْصَارِيُّ : إِلَى النَّخْلِ التِّي فِيهَا ابْنُ صَيَّادٍ . حَتَّىٰ إِذَا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : النَّخْلَ ، طَفِقَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ . وَهُوَ يَخْتِلُ أَنْ يَسْمَعَ مِنِ ابْنِ صَيَّادٍ شَيْئاً ، قَبْلَ أَنْ يَرَاهُ ابْنُ صَيَّادٍ .

فَرَآهُ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَىٰ فِرَاشٍ فِي قَطِيفَةٍ ، لَهُ فِيهَا زَمْزَمَةٌ .

فَرَأَتْ أُمُّ ابْنِ صَيَّادٍ : رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَهُوَ يَتَّقِي بِجُذُوعِ النَّخْلِ . فَقَالَتْ لاِبْنِ صَيَّادٍ : يَاصَافِ ! - وَهُوَ اسْمُ ابْنِ صَيَّادٍ - هَـٰذَا مُحَمَّدٌ . فَثَارَ ابْنُ صَيَّادٍ .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَوْ تَرَكَتْهُ : بَيَّنَ » .

قَالَ سَالِمٌ : قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عُمَرَ : فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي النَّاسِ . فَأَثْنَىٰ عَلَى اللّهِ : بِمَا هُوَ أَهْلُهُ . ثُمَّ ذَكَرَ الدَّجَّالَ ، فَقَالَ : « إِنِّي لَأُنْذِرُكُمُوهُ . مَا مِنْ نَبِيٍّ ، إِلَّا وَقَدْ أَنْذَرَهُ قَوْمَهُ ؛ لَقَدْ أَنْذَرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ .

وَلَـٰكِنْ أَقُولُ لَكُمْ فِيهِ قَوْلاً ، لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لِقَوْمِهِ . تَعَلَّمُوا : أَنَّهُ أَعْوَرُ . وَأَنَّ اللّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ » .

قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : وَأَخْبَرَنِي عُمَرُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّ ؛ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ - يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ - : « إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ . يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ - أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ - » .

وَقَالَ : « تَعَلَّمُوا : أَنَّهُ لَنْ يَرَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ ، حَتَّىٰ يَمُوتَ ») .

(الشرح)

(عن عبد الله بن عمر ، أن عمر بن الخطاب « رضي الله عنهما »[1] ، انطلق مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في رهط : قبل ابن صياد ، حتى وجده يلعب مع الصبيان ، عند أُطم بني مغالة) هكذا هو في بعض النسخ .

وفي بعضها : « ابن مغالة » . والأول هو المشهور .

« والمغالة » : بفتح الميم ، وتخفيف الغين المعجمة .

وذكر مسلم في رواية الحسن الحلواني[2] ، التي بعد هذه : « أنه « أُطُم بني مُعاوية » : بضم الميم ، وبالعين المهملة .

قال أهل العلم : المشهور المعروف : هو الأول .

(١) ذكرنا من السند ، من أول « عن ابن شهاب » : لتعلق بعض رجاله ، ببعض ألفاظ الحديث . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) هي رواية : (الحسن بْن عليّ الْحُلْوَانِيّ ، وعَبْد بن حُمَيْد) . وهي في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٥، ٢٢٤٦)، في الفتن ، باب (١٩) ، حديث (٩٦ - ٢٩٣٠) . ونص عبارته : « حَتَّىٰ وَجَدَ ابْنَ صَيَّادٍ ، غُلَاماً ، قَدْ نَاهَزَ الْحُلُمَ ، يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، عِنْدَ أُطُمِ بَنِي مُعَاوِيَةَ . . وليس « بني مغالة » . المحقق .

قال عياض : « وبنو مَغَالة » : كل ما كان على يمينك ، إذا وقفت آخر البلاط ، مستقبل مسجد رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم[1] .

« والأُطم » بضم الهمزة والطاء . هو « الحصن » . جمعه : « آطام » .

(وقد قارب ابن صياد - يومئذ - الحلم . فلم يشعر ، حتى ضرب رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : ظهره . بيده . ثم قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم لابن صياد : « أتشهد أني رسول الله ؟ » فنظر إليه ابن صياد ، فقال : أشهد أنك رسول الأميين . فقال ابن صياد لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أتشهد أني رسول الله ؟) صلى الله عليه وآله وسلم[2] .

(فرفضه رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم) . هكذا هو في أكثر النسخ « بالضاد المعجمة » .

وقال : عياض : روايتنا فيه عن الجماعة : « بالصاد المهملة » . قال بعضهم : « الرفص » بالصاد : الضرب بالرّجل ، مثل « الرّفس » بالسين .

قال[3] : فإن صحّ هذا ، فهو معناه . قال[3] : لكن لم أجد هذه اللفظة في أصول اللغة .

قال[3]: ووقع في رواية التميمي : « بضاد معجمة »[4] . وهو وهْمٌ .

---

(١) أفاده النووي ، في (١٨/٥٣) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) لا محل لقوله هنا : « صلى الله عليه وآله وسلم » . فإن هذه الجملة ؛ أولاً ليست من مقول ابن صياد . ثانياً : أن ابن صياد ، ليس رسولا ، حتى يقال بعد ذكره : صلى الله عليه وآله وسلم . المحقق .

(٣) (قال) أي : عياض . كما حكاه النووي ، بص ٥٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) وهو الذي ، في مصدر الحديث . المحقق .

قال[1] : وفي البخاري[2] : « فرقصه » بالقاف ، والصاد . ولا وجه له .

وفي البخاري ، في كتاب الأدب : « فرفضه » بضاد[3] معجمة .

قال[1] : ورواه الخطابي ، في غريبه : « فَرَصَّه » بمهملة[4] . أي : ضغطه ، حتى ضم بعضه إلى بعض . ومنه قوله تعالى : « بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ »[5] .

قلت : ويجوز أن يكون معنى « رفضه » بالمعجمة : أي ترك سؤاله الإسلام ، ليأسه منه ، حينئذ . ثم شرع في سؤاله عما يرى . والله أعلم .

قال النووي : فإن قيل : كيف لم يقتله النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مع أنه ادّعى بحضرته النبوة ؟ .

فالجواب من وجهين ، ذكرهما البيهقيّ وغيره .

أحدهما : أنه كان غير بالغ . واختار القاضي عياض هذا الجواب .

والثاني : أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم . وجزم الخطابي في (معالم السنن) بهذا الجواب الثاني . قال : لأن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، بعد قدومه المدينة : كتب بينه وبين اليهود : كتاب صلح ،

---

(١) (قال) أي : عياض . كما حكاه النووي ، بص ٥٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) في المصدر المتقدم : « وفي البخاري ، من رواية المروزيّ » . المحقق .

(٣) وهو الذي ، في مصدر الحديث . المحقق .

(٤) (بمهملة) أي : بصاد مهملة ، مشدّدة . من « الرّصّ » بمعنى : « الضغط » ، كما ذكر المؤلف . المحقق .

(٥) الآية : (٤) من سورة الصف . المحقق .

على أن لايُهاجُوا . ويتركوا على أمرهم . وكان « ابن صياد » منهم ، أو دخيلاً فيهم . انتهى[١] .

(وقال[٢] : آمنت بالله وبرسله[٣] .

ثم قال له رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ماذا ترى ؟ » .

قال ابن صياد : يأتيني صادق ، وكاذب . فقال له رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « خلّط عليك[٤] الأمر » .

ثم قال له رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إني قد خبأت لك خبيّا »[٥] فقال ابن صياد : هو الدخّ . فقال له رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « اخسأ . فلن تَعْدُوَ قَدرك ») .

قال الخطابي : وأما امتحان النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : بما خبأه له ، من آية الدخان ، فلأنه كان يبلغه : ما يدّعيه من الكهانة ، ويتعاطاه من الكلام في الغيب . فامتحنه ، ليعلم حقيقة حاله ، ويظهر إبطال حاله للصحابة . وأنه كاهن ساحر ، يأتيه الشيطان : فيلقي على لسانه ما يلقيه الشيطان إلى الكهنة .

فامتحنه : باضمار قول الله تعالى : « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ

---

(١) (انتهى) كلام النووي . وهو مذكور في (١٨/٤٨) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) أثبت المؤلف - في الهامش - أنه في بعض النسخ : « فقال » بالفاء ، بدل الواو . المحقق .

(٣) وضع المؤلف علامة فوق الباء ، في « وبرسله » : إشارة إلى أنه في بعض النسخ : « ورسله » بدون باء . المحقق .

(٤) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه ، في بعض النسخ : « خلط الأمر عليك » ، بتقديم « الأمر » . المحقق .

(٥) (خبيّا) هكذا في الأصل . وهو في مصدر الحديث : « خبيئاً » بالهمزة . وهو الأوضح . المحقق .

مُّبِينٍ »[1] . وقال : « خبأت لك خبيّاً[2] » ، فقال هو الدخ . أي : الدخان . وهي[3] لغة فيه . فقال له النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « اخسأ . . . . إلخ » أي : لا تجاوز قدرك ، وقدر أمثالك من الكهان ، الذين يحفظون من إلقـاء الشيطان « كلمة واحدة » من جملة كثيرة . بخلاف الأنبياء ، فإنهم يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب : ما يوحي ، فيكون واضحاً كاملاً . وبخلاف ما يلهمه الله الأولياء : من الكرامات .

وقوله : « خبأت لك خبيّاً[2] » هو هكذا في معظم النسخ . وهكذا نقله عياض : عن جمهور رواة مسلم : « خبيّاً »[2] بباء موحدة مكسورة ، ثم ياء[4] .

وفي بعض النسخ : « خَبْأ »[5] بموحدة فقط ، ساكنة .

قال النووي : وكلاهما صحيح .

« والدخ » : بضم الدال وتشديد الخاء ، وهي لغة في الدخان . وحكى صاحب (نهاية الغريب) فيه : فتح الدال وضمها . والمشهور - في كتب اللغة والحديث - : ضمها فقط . والجمهور ، على أن المراد بالدخّ هنا : الدخان . وأنها لغة فيه .

وخالفهم الخطابي ، فقال : لا معنى للدخان هنا ، لأنه ليس ما يخبأ[6]

---

(١) الآية : (١٠) من سورة الدخان . المحقق .

(٢) (خبيّا) هكذا في الأصل . وهو في مصدر الحديث : « خبيئاً » بالهمزة . وهو الأوضح . المحقق .

(٣) أي : كلمة « الدّخ » . لغة في « الدخان » . المحقق .

(٤) قلت : ثم همزة . كما في صحيح مسلم ، وفي النووي كذلك . المحقق .

(٥) الصواب إملائياً : « خَبْئاً » . المحقق .

(٦) لو قال : « ليس مما يُخبّأ » ، لكان أوضح . المحقق .

في كف ، أو كم ، كما قال . بل « الدخ » : نبت[1] موجود بين النخيل والبساتين .

قال[2] : إلا أن يكون معنى « خبأت » : أضمرت لك اسم الدخان ، فيجوز .

والصحيح المشهور : أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، أضمر له آية الدخان .

قال الداودي : وقيل : كانت « سورة الدخان » مكتوبة في يده ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وقيل : كتب الآية في يده .

قال عياض : وأصحّ الأقوال ، أنه لم يهتد[3] من الآية التي أضمر النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : إلا لهذا اللفظ الناقص ، على عادة الكهان ، إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف ، قبل أن يدركه الشهاب . ويدلّ عليه ، قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « اخسأ . لن تعدو قدرك » . أي : القدر الذي يدرك الكهان ، مِنَ الاهتداء إلى بعض الشيء[4] . وما لا يبين منه : حقيقته ، ولا يصل به إلى بيان وتحقيق أمور الغيب .

---

(١) (نبت) هكذا في الأصل . وفي النووي (١٨/٤٩) ، المطبعة المصرية . وكذلك في صحيح مسلم (٤/٢٢٤١) ط دار الفكر ببيروت : « بيت » بالباء والياء والتاء . ولعل الصواب : « نبت » ، كما ذكر المؤلف . والله أعلم . المحقق .

(٢) (قال) أي : الخطابي ، كما حكاه النووي ، في ص ٤٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (لم يهتد) أي : « ابن صياد » . المحقق .

(٤) (الشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . كالمعتاد . المحقق .

ومعنى « اخسأ » : اقعد . فلن تعدو قدرك . والله أعلم .

انتهى كلام النووي، رحمه الله[1] .

(فقال عمر بن الخطاب : ذرني . يارسول الله ! أضرب عنقه . فقال له رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إن يكنه ، فلن تسلط عليه . وإن لم يكنه ، فلا خير لك في قتله » .

وقال سالم بن عبد الله : سمعت عبد الله بن عمر يقول : انطلق - بعد ذلك - رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وأبّي بن كعب[2] : إلى النخل التي فيها ابن صياد . حتى إذا دخل رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : النخل ، طفق يتّقي بجذوع النخل ، وهو يَخْتِل أن يسمع من ابن صياد شيئاً) .

« يختل » : بكسر التاء . أي : يخدع ابن صياد ، ويستغفله : ليسمع شيئاً من كلامه ، ويعلم هو والصحابة حاله ، في أنه كاهن أم ساحر ، ونحوهما .

وفيه : كشف[3] أحوال من تخاف مفسدته .

وفيه : كشف[3] الإمامِ الأمورَ المهمة ، بنفسه .

(قبل أن يراه ابن صياد .

فرآه رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وهو مضطجع على فراش ، في قطيفة ، له فيها زمزمة) .

---

(١) (انتهى كلام النووي) . وهو مذكور في ص ٤٩ ، المصدر المتقدم . هذا ؛ وجملة . « رحمه الله » ، في الأصل : مرموز إليها بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٢) (وأبي بن كعب » . في مصدر الحديث بزيادة : « الأنصاري » . المحقق .

(٣) لو قال : « جواز اكتشاف » لكان أوضح . المحقق .

« القطيفة » : كساء مخمل .

وقد وقعت هذه اللفظة ، في معظم نسخ مسلم : « زمزمة » بزايين معجمتين .

وفي بعضها : برائين[1] مهملتين .

ووقع في البخاري : بالوجهين .

ونقل عياض عن جمهور رواة مسلم : أنه بالمعجمتين . وأنه في بعضها : « رَمْزَةٌ » براء أولا ، وزاي آخراً . وحذف الميم الثانية . وهو[2] صوت خفيّ ، لا يكاد يفهم . أولا يفهم[3] .

(فرأت أم ابن صياد : رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وهو يتقي بجذوع النخل . فقالت لابن صياد : ياصاف ! - وهو اسم ابن صياد - هذا محمد . فثار ابن صياد) أي : نهض من مضجعه ، وقام .

(فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « لو تركته بيّن » .

قال سالم : قال عبد الله بن عمر : فقام رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في الناس . فأثنىٰ على الله : بما هو أهله . ثم ذكر الدجّال ، فقال : إني لأنذركموه . ما من نبيّ ، إلا قد أنذر[4] قومه . لقد أنذره نوح قومه) .

هذا الإنذار ، لعظم فتنته وشدّة أمرها .

---

(١) (برائين) . الصواب : « براءين » . المحقق .

(٢) (وهو) أي : « الرّمز » . المحقق .

(٣) أفاده النووي ، في ص ٥٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (أنذر) . في مصدر الحديث : « أنذره » بهاء الضمير . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « أنذره » . المحقق .

(ولكن أقول لكم فيه قولا ، لم يقله نبيّ لقومه . تعلّموا[1] أنه أعور) .

قال النووي : اتّفق الرواة على ضبطه : بفتح العين واللام المشدّدة . وكذا نقله عياض وغيره عنهم .

قالوا : ومعناه : اعلموا ، وتحقّقوا . يقال : « تَعَلَّمْ » بفتحٍ مشدّد[2] . بمعنى . « اعلم » .

(وأنّ الله تبارك وتعالى ، ليس بأعور .

وقال[3] ابن شهاب : وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري ؛ أنه أخبره بعض أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ أنّ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال - يوم حذّر الناس الدجّال - : « إنه مكتوب بين عينيه كافر . يقرأه[4] من كره عمله - أو يقرأه[4] كل مؤمن - » .

وقال : « تعلّموا[5] : أنه لن يرى أحد منكم ربه ، حتى يموت ») .

قال المازري : هذا الحديث ، فيه تنبيه على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة . وهو مذهب أهل الحق .

ولو كانت مستحيلة ، كما يزعم المعتزلة : لم يكن للتقييد بالموت معنى .

والأحاديث بمعنى هذا : كثيرة . قال عياض : ومذهب أهل الحق : أنها غير مستحيلة في الدنيا ، بل ممكنة . ثم اختلفوا في وقوعها .

---

(١) (تعلّموا) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « تعلمون » . المحقق .

(٢) وبإسكان الميم . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « قال » بدون واو . وهو كذلك في بعض النسخ ، كما دلت عليه العلامة التي وضعها المؤلف فوق الواو من كلمة : « وقال » . المحقق .

(٤) الصواب : « يقرؤه » بهمزة فوق الواو . لا فوق الألف . المحقق .

(٥) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد ، أنه في بعض النسخ : « تعلمون » بدل : « تعلّموا » . المحقق .

ومن منعه[1] : تمسّك بهذا الحديث ، مع قوله تعالى : « لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ »[2] على مذهب من تأوله في الدنيا .

وكذلك اختلفوا في رؤية النّبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ربَّه : ليلة الإسراء .

وللسلف (من الصحابة ، والتابعين ومَنْ بعدهم) ، ثُمَّ الأئمة الفقهاء ، والمحدّثين ، والنظّار - في ذلك - : خلافٌ معروف .

وقال أكثر مانعيها[3] في الدنيا : سبب المنع : ضعف قوى الآدمي - في الدنيا - عن احتمالها . كما لم يحتملها « موسى » عليه السلام ، في الدنيا . والله أعلم .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب ذكر ابن صياد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٧ ، ٥٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ ، حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ - يَعْنِي : ابْنَ حَسَنِ بْنِ يَسَارٍ - حَدَّثَنَا ابْنُ عَوْنٍ عَنْ نَافِعٍ ، قَالَ : كَانَ نَافِعٌ يَقُولُ : ابْنُ صَيَّادٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ عُمَرَ : لَقِيتُهُ مَرَّتَيْنِ .

---

(١) لو قال : « ومن منعها » : لكان أوضح . لعود الضمير على الرؤية . المحقق .

(٢) الآية : (١٠٣) من سورة الأنعام . المحقق .

(٣) (مانعيها) أي : ما نعي رؤية الله تعالى ، في الدنيا . المحقق .

قَالَ : فَلَقِيتُهُ ، فَقُلْتُ لِبَعْضِهِمْ : هَلْ تَحَدَّثُونَ أَنَّهُ هُوَ؟ قَالَ : لَا . وَاللّهِ !

قَالَ : قُلْتُ : كَذَبْتَنِي . وَاللّهِ ! لَقَدْ أَخْبَرَنِي بَعْضُكُمْ : أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ ، حَتَّىٰ يَكُونَ أَكْثَرَكُمْ مَالاً وَوَلَداً .

فَكَذَٰلِكَ هُوَ زَعَمُوا الْيَوْمَ .

قَالَ : فَتَحَدَّثْنَا ، ثُمَّ فَارَقْتُهُ .

قَالَ : فَلَقِيتُهُ ، لَقْيَةً أُخْرَىٰ - وَقَدْ نَفَرَتْ عَيْنُهُ - . قَالَ : فَقُلْتُ : مَتَىٰ فَعَلَتْ عَيْنُكَ مَا أَرَىٰ ؟

قَالَ : لَا أَدْرِي .

قَالَ : قُلْتُ : لَا تَدْرِي ، وَهِيَ فِي رَأْسِكَ ؟

قَالَ : إِنْ شَاءَ اللّهُ ، خَلَقَهَا فِي عَصَاكَ هَـٰذِهِ . قَالَ : فَنَخَرَ كَأَشَدِّ نَخِيرِ حِمَارٍ سَمِعْتُ .

قَالَ : فَزَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِي : أَنِّي ضَرَبْتُهُ بِعَصاً ، كَانَتْ مَعِي ، حَتَّىٰ تَكَسَّرَتْ .

وَأَمَّا أَنَا ، فَوَاللّهِ ! مَا شَعَرْتُ .

قَالَ : وَجَاءَ ، حَتَّىٰ دَخَلَ عَلَىٰ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَحَدَّثَهَا . فَقَالَتْ : مَا تُرِيدُ إِلَيْهِ ؟

أَلَمْ تَعلَمْ أَنَّهُ قَدْ قَالَ : « إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْعَثُهُ عَلَى النَّاسِ : غَضَبٌ يَغْضَبُهُ ؟ ») .

(الشَّرح)

(عن ابن عون ، عن نافع[1] ؛ قال : كان نافع يقول : ابن صياد ، قال[2] : قال ابن عمر : لقيته مرتين .

قال : فلقيته ، فقلت لبعضهم : هل تَحَدّثون أنه هو؟ قال[3] : لا . والله !

قال : قلت : كذبتني . والله ! لقد أخبرني بعضكم : أنه لن يموت ، حتى يكون أكثركم مالا وولدا . فكذلك هو زعموا اليوم . قال : فتحدثنا ، ثم فارقته .

قال : فلقيته لقية أخرى) قال القاضي « في المشارق » : رويناه[4] بضم اللام .

قال ثعلب وغيره : يقولونه : بفتحها . قال النووي : والمعروف في اللغة والرواية ببلادنا : « الفتح » .

(وقد نفرت عينه) : بفتح النون والفاء . أي : ورمت ونتأت .

وذكر عياض : أنه روي على أوجه أخر . والظاهر : أنها تصحيف .

(قال : فقلت : متى فعلتْ عينك ما أرى ؟ قال : لا أدري .

قال[5] : قلت : لا تدري ، وهي في رأسك ؟ قال : إن شاء الله ، خلقها في عصاك هـٰذه . قال : فنخر ، كأشدّ نخير حمار سمعت .

---

(١) ذكرنا السند كاملًا ، من مصدر الحديث . المحقق .

(٢) وضع المؤلف علامة ، فوق « قال » الأولى إشارة إلى عدم ذكرها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) ذكر المؤلف – في الهامش – ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « فقال » بالفاء . المحقق .

(٤) (رويناه) أي : لفظ : « لقية » . المحقق .

(٥) وضع المؤلف علامة فوق « قال » ، إشارة إلى عدم ذكرها هنا ، في بعض النسخ . المحقق .

قال : فزعم بعض أصحابي : أني ضربته بعصا ، كانت معي ، حتى تكسرت .

وأنا والله ! فما شعرت[1] .

قال : وجاء ، حتى دخل على أم المؤمنين[2] فحدثها ، فقالت : ما تريد إليه ؟ ألم تعلم أنه قد قال : « إن أول ما يبعثه على الناس : غضب يغضبه ؟ ») .

قال البيهقي في كتابه (البعث والنشور) : اختلف الناس في أمر « ابن صيادِ » ، اختلافاً كثيراً ؛ هل هو الدجّال ؟

قال[3] : ومن ذهب إلى أنه غيره ، احتجّ بحديث تميم الداري ، في قصة الجساسة ، الذي ذكره مسلم[4] .

قال[3] : ويجوز : أن توافق صفة « ابن صياد » صفة الدّجال . كما ثبت في الصحيح : « إِنَّ أَشْبَـهَ النَّاسِ بِالدَّجَّالِ : عَبْدُ الْعُزَّى بْنُ قطن[5] » . وليس كما قال .

وكان أمر ابن صياد فتنة ، ابتلى الله تعالى بها عباده ؛ فعصم الله تعالى منها : المسلمين ، ووقاهم شرّها .

قال[3] : وليس في حديث جابر : أكثر من سكوت النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، لقول عمر .

---

(١) (وأنا ، والله ! فما شعرت) . في مصدر الحديث : « وأما أنا ، فوالله ! ما شعرت » . المحقق .

(٢) هي « حفصة » ، كما ذكر المؤلف ، في الهامش . المحقق .

(٣) (قال) أي : البيهقي . المحقق .

(٤) تقدم هذا الحديث قريباً . المحقق .

(٥) في حديث « النواس بن سمعان » ، الذي سيأتي ، في الباب الثالث ، بعد هذا الباب : « كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ : بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ » . وفي مسند أحمد : « أَشْبَهُ مَنْ رَأَيْتُ بِهِ : ابْنُ قَطَنٍ » . المحقق .

فيحتمل : أنه صلى الله عليه وآله وسلم ، كان كالمتوقّف في أمره . ثم جاءه البَيَان : أنـه غيره ، كما صرّح به في حديث تميم . انتهى[1] . وقد اختار أنه غيره .

وقد صَحَّ عن عمر ، وابن عمر ، وجابر : أنه الدجّال . والله أعلم .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب ذكر الدجّال) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُذَيْفَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لأَنَا أَعْلَمُ بِمَا مَعَ الدَّجَّالِ مِنْهُ .

مَعَهُ نَهْرَانِ يَجْرِيَانِ ؛

أَحَدُهُمَا : رَأْيَ الْعَيْنِ ، مَاءٌ أَبْيَضُ .

وَالْآخَرُ : رَأْيَ الْعَيْنِ ، نَارٌ تَأَجَّجُ .

فَإِمَّا أَدْرَكَنَّ أَحَدٌ ؛ فَلْيَأْتِ النَّهْرَ الَّذِي يُرَاهُ نَاراً ، وَلْيُغَمِّضْ . ثُمَّ لْيُطَأْطِئْ رَأْسَهُ ، فَيَشْرَبَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ .

وَإِنَّ الدَّجَّالَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ . عَلَيْهَا ظَفَرَةٌ غَلِيظَةٌ . مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ؛ كَافِرٌ .

يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ : كَاتِبٍ ، وَغَيْرِ كَاتِبٍ ») .

---

(١) (انتهى) أي كلام البيهقي ، في (كتاب البعث والنشور) . المحقق .

(الشرح)

(عن حذيفة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : لأنا أعلم بما مع الدجال منه . معه نهران يجريان ؛

أحدهما : رأي العين ، ماء أبيض .

والآخر : رأي العين ، نار تأجّج) .

قال أهل العلم : هذا من جملة الفتن[1] ، امتحن الله به عباده ؛ ليحق الحق ، ويبطل الباطل . ثم يفضحه . ويظهر للناس عجزه .

(فإما أدركنّ أحدٌ ، فليأت النهر الذي يُراه نارا) .

هكذا هو في أكثر النسخ . وفي بعضها : « أَدْرَكَهُ »[2] .

قال النووي : وهذا الثاني ظاهر . وأما الأول : فغريبٌ ، من حيث العربية . لأن هذه النون ، لا تدخل على الفعل الماضي .

قال عياض[3] : ولعله : « يُدْرِكَنَّ » . يعني : فغيّره بعض الرواة .

وقوله « يراه » : بفتح الياء ، وضمها .

(وليغمض . ثم ليطأطئ رأسه ، فيشرب منه[4] . فإنه ماء بارد .

وإن الدجّال ممسوح العين . عليها ظفرة غليظة) هي بفتح الظاء المعجمة ، والفاء . وهي « جلدة تغشى البصر » . وقال الأصمعي : « لحمة ، تنبت عند[5] المآقي » .

---

(١) (الفتن) . في الأصل : التاء مهملة من النقطتين . المحقق .

(٢) (أدركه) . أي : بدل : « أدركنّ » . المحقق .

(٣) (قال عياض) إلخ . حكاه النووي ، في (١٨/٦١) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) وضع المؤلف فوق كلمة « منه » : علامة ، إشارة إلى عدم ذكرها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) حكاه النووي ، (١٨/٦١ ، ٦٢) . المطبعة المصرية . المحقق .

(مكتوب بين عينيه : كافر . يقرؤه[1] كل مؤمن : كاتب ، وغير كاتب) .

قال النووي : الصحيح الذي عليه المحققون : أن هذه الكتابة على ظاهرها . وأنها كتابة حقيقة ، جعلها الله آية وعلامة : من جملة العلامات ، القاطعة بكفره وكذبه وإبطاله . ويظهرها الله تعالى لكل مسلم : كاتب وغير كاتب . ويخفيها عمن أراد شقاوته وفتنته . ولا امتناع في ذلك .

وذكر عياض فيه خلافا ؛

منهم من قال : هي كتابة حقيقية . كما ذكرنا .

ومنهم من قال : هي مجاز ، وإشارة إلى سمات الحدوث عليه[2] . واحتجّ بقوله : « يقرؤه[1] كل مؤمن : كاتب ، وغير كاتب » . وهذا مذهب ضعيف .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب ذكر الدجال) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦٠ ، ٦١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُذَيْفَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَىٰ . جُفَالُ الشَّعَرِ . مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ ؛ فَنَارُهُ : جَنَّةٌ . وَجَنَّتُهُ : نَارٌ ») .

---

(١) (يقرؤه) . في الأصل : الهمزة فوق ألف . المحقق .

(٢) أي ظهور علامات الكفر عليه ، وكمال وضوحه . المحقق .

الشَّرح

(عن حذيفة ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : الدجّال أعور العين اليسرى . جفالُ الشعر) : بيان لعلامة بينة[2]، تدل على كذب الدجّال : دلالة قطعية بديهية ، يدركها كل أحد . ولم يقتصر على كونه : جسما[3] ، أو غير ذلك من الدلائل القطعية ، لكون بعض العوام : لا يهتدي إليها . والله أعلم .

(معه جنة ونار . فناره : جنة . وجنّته[4] : نار) .

وفي رواية أخرى : « إنّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً ، فَنَارُهُ : مَاءٌ بَارِدٌ . وَمَاؤُهُ : نَارٌ . فَلَا تَهْلِكُوا[5] » . قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ : وَأَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم[6] .

وفي أخرى : « إِنَّ الدَّجَّالَ يَخْرُجُ . وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَاراً . فَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً : فَنَارٌ تُحْرِقُ . وَأَمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً : فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ . فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ : فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَاراً ، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ » . قَالَ عُقْبَةُ : وَأَنَا قَدْ سَمِعْتُهُ . تَصْدِيقاً لِحُذَيْفَةَ[7] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (بينة) في الأصل : « بينه » بدون نقطتين فوق التاء المربوطة . المحقق .

(٣) أي : والله تعالى ، ليس بجسم . المحقق .

(٤) (وجنته) . في الأصل : التاء نون . المحقق .

(٥) هذه الرواية ، في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٩) ، في الفتن ، باب (٢٠) . حديث (١٠٦) . هذا ؛ وكلمة « وماؤه » . في الأصل : « وماءه » . المحقق .

(٦) نفس المصدر . المحقق .

(٧) هذه الرواية ، في المصدر المتقدم ص ٢٢٥٠ ، حديث (١٠٧ - ٢٩٣٤ / ٢٩٣٥) . إلا أنه ورد به : « فَقَالَ عقبة » . فقال بالفاء . المحقق .

قلت : وكلاهما عنه[1] رضي الله عنه : أخرجهما مسلم .

وفي الباب أحاديث ، عنده[2] : بألفاظ وطرق .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب ذكر الدجّال) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٦٣ - ٧٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ النَّـوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ؛ قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : الدَّجَّالَ ، ذَاتَ غَدَاةٍ ، فَخَفَّضَ فِيهِ ، وَرَفَّعَ ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ .

فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ : عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا . فَقَالَ : « مَا شَأْنُكُمْ ؟ »

قُلْنَا : يَارَسُولَ اللّهِ ! ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ ، وَرَفَّعْتَ ، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ .

فَقَـالَ : « غَيْرُ الـدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ . إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ : فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ .

وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ : فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ . وَاللّهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ .

---

(١) (عنه) أي : عن حذيفة . المحقق .

(٢) (عنـده) أي : عند مسلم . وقد وضع المؤلف رقم (٢) تحت اسم « مسلم » ، وتحت ضميره في كلمة « عنده » : بيانا لمرجع الضمير . المحقق .

إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ . عَيْنُهُ طَافِئَةٌ . كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ : بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ . فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ : فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ .

إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ ؛ فَعَاثَ يَمِيناً . وَعَاثَ شِمَالاً .

يَاعِبَادَ اللَّهِ ! فَاثْبُتُوا » .

قُلْنَا : يَارَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : « أَرْبَعُونَ يَوْماً ؛ يَوْمٌ كَسَنَةٍ . وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ .

وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ . وَسَائِرُ أَيَّامِهِ : كَأَيَّامِكُمْ » .

قُلْنَا : يَارَسُولَ اللَّهِ ! فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ . أَتَكْفِينَا فِيهِ : صَلَاةُ يَوْمٍ ؟

قَالَ : « لَا . اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ » .

قُلْنَا : يَارَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟

قَالَ : « كَالْغَيْثِ ، اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ . فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ ، فَيَدْعُوهُمْ : فَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ .

فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ ، فَتُمْطِرُ . وَالْأَرْضَ ، فَتُنْبِتُ . فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ ، أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُراً ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعاً ، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ .

ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ ، فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ .

وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ ، فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ .

ثُمَّ يَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً ، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ . ثُمَّ يَدْعُوهُ ، فَيُقْبِلُ ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ .

فَبَيْنَما هُوَ كَذٰلِكَ : إِذْ بَعَثَ اللّٰهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ ، شَرْقِيَّ دِمَشْقَ - بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ - وَاضِعاً كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ . إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ : قَطَرَ . وَإِذَا رَفَعَهُ : تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ . فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ : إِلَّا مَاتَ . وَنَفَسُهُ : يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ .

فَيَطْلُبُهُ ، حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ ، فَيَقْتُلُهُ .

ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ : قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللّٰهُ مِنْهُ ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذٰلِكَ ، إِذْ أَوْحَى اللّٰهُ إِلَىٰ عِيسَىٰ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَاداً لِي ، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ .

فَحَرِّزْ عِبَادِي : إِلَى الطُّورِ .

وَيَبْعَثُ اللّٰهُ : يَأْجُوجَ ، وَمَأْجُوجَ ، وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ . فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا .

وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ ، فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهٰذِهِ - مَرَّةً - مَاءٌ .

وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ ، حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ : خَيْراً مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ . فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ : فَيُرْسِلُ اللّٰهُ عَلَيْهِمُ : النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ ، كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ .

ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ : إِلَى الْأَرْضِ ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ ، إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ .

فَيَرْغَبُ نَبيُّ اللَّهِ عِيسَىٰ وَأَصْحَابُهُ : إِلَى اللّهِ ، فَيُرْسِلُ اللّهُ طَيْراً كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ ، فَتَحْمِلُهُمْ ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللّهُ .

ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطراً ، لا يَكُنُّ مِنْهُ : بَيْتُ مَدَرٍ ، وَلاَ وَبَرٍ ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ .

ثُمَّ يُقَالُ لِلأَرْضِ : أَنْبتِي ثَمَرَتَكِ ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ . فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ . حَتَّىٰ أَنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبلِ : لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ .

وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ : لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ .

وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ : لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ .

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ : إِذْ بَعَثَ اللّهُ رِيحاً طَيِّبَةً ، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ . فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ ، وَكُلِّ مُسْلِمٍ . وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا : تَهَارُجَ الْحُمُرِ . فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ ») .

(الشَّرح)

(عن النواس بن سَمعان) : بفتح السين ، وكسرها .

(قال : ذكر رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم الدجّال ذات غداة ، فخفّض فيه ورفّع) : هو بتشديد الفاء فيهما . وفي معناه قولان ؛

أحدهما : أن « خفّض » بمعنى حقّر . « ورفّع » بمعنى عظّم وفخّم . فمن تحقيره على الله تعالى : أنه عوّره[1] . ومنه قوله صلى الله عليه وآله

(١) أي : جعله أعور العين . المحقق .

وسلم : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ مِنْ ذَلِكَ[1] » .

وأنه لايقدر على قَتْل أحد ، إلا ذلك الرجل . ثم يعجز[2] عنه .

وأنه يضمحلّ أمره ، ويقتل بعد ذلك[3] هو وأتباعه .

ومن تفخيمه ، وتعظيم فتنته والمحنة به : هذه الأمور الخارقة للعادة . وأنه ما من نبيّ ، إلا وقد أنذره قومه .

والوجه الثاني : أنه خفّض من صوته ، في حال الكثرة فيما تكلم فيه . فخفّض بعد طول الكلام والتعب ، ليستريح . ثم رفّع ليبلغ صوته كل أحد .

(حتى ظنناه في طائفة النخل . فلما رحنا إليه : عرف ذلك فينا . فقال : « ما شأنكم ؟ » .

قلنا : يارسول الله ! ذكرت الدجّال غداة ، فخفّضت فيه ورفّعت ، حتى ظنناه في طائفة النّخل . فقال : غير الدجال أخوفني عليكم) . هكذا هو في جميع نسخ بلاد النووي : بنون بعد الفاء .

---

(١) في صحيح مسلم (٤/٢٢٥٧ ، ٢٢٥٨) ، في الفتن : باب (٢٢) حديث (١١٤) ، وحديث (١١٥) : عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ؛ قَالَ : مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ . قَالَ : « وَمَا يَنْصِبُكَ مِنْهُ ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ » - وفي الحديث الثاني : « وَمَا سُؤَالُكَ ؟ » - قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ ، وَالأَنْهَارَ - وفي الحديث الثاني ، قُلْتُ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ . وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ - قَالَ : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ مِنْ ذَلِكَ » . المحقق .

(٢) في المصدر المتقدم ، ص ٢٢٥٧ ، حديث (١١٣) . في قصة الرجل المؤمن مع الدجّال . وفيه : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ . . . إلى قوله : ثُمَّ يَقُولُ - أي : المؤمن - يَاأَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ . قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ : نُحَاساً ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً .

وهذا الحديث سيأتي ذكره كاملاً - إن شاء الله - في الباب ، الذي يلي الباب الآتي . المحقق .

(٣) كما سيأتي في حديث الباب : أن عيسى عليه السلام ، سيقتله عند « باب لدّ » . المحقق .

وكذا نقله عياض ، عن رواية الأكثرين . قال : ورواه بعضهم : بحذف النون . وهما لغتان صحيحتان . ومعناهما واحد .

قال شيخنا الإمام ابن مالك[1] : الحاجة داعية إلى الكلام في لفظ الحديث ومعناه ؛

فأما لفظه : لكونه تضمّن مالا يعتاد ، من إضافة « أخوف » إلى ياء المتكلم ، مقرونة بنون الوقاية . وهذا الاستعمال ، إنما يكون مع الأفعال المتعدية .

والجواب : أنه كان الأصل : إثباتها . ولكنه أصل متروك . فنبّه عليه في قليل من كلامهم . وأنشد فيه أبياتاً[2] .

ولأفعل التفضيل أيضاً : شبه بالفعل . وخصوصاً بفعل التعجّب . فجاز أن تلحقه النون المذكورة في الحديث ، كما لحقت في الأبيات .

هذا هو الأظهر ، في هذا النون[3] هنا .

ويحتمل أن يكون معناه : « أخوف لي » . فأبدلت النون من اللام ، كما أبدلت في : « لَعنَّ وعَنَّ » بمعنى : لعل وعَلّ[4] .

وأما معنى الحديث ، ففيه أوجه ؛

---

(١) هو الإمام أبو عبد الله بن مالك . كما قال النووي ، في (١٨/٦٤) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (وأنشد فيه أبياتاً) ، منها : ما أنشده الفراء :

فما أدري ، فظني كل ظن أمسلمتي إلى قومي شراحي

قال النووي – في المصدر المتقدم – : يعني : « شراحيل » . فرخّمه في غير النداء ، للضرورة . قال : وأنشد غيره .

وليس الموافيني ليرفد خائبا فإن له أضعاف ما كان آملا . اهـ . المحقق .

(٣) الأصح : « في هذه » بدل : « في هذا » . المحقق .

(٤) أفاده النووي ، في (١٨/٦٤) المطبعة المصرية . المحقق .

أظهرها : أنه من « أفعل التفضيل » ، وتقديره : « غير الدجّال أخوف مخوفاتي عليكم » . ثم حذف المضاف إلى الياء .

ومنه : « أَخْوفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي : الأَئِمَّةُ الْمُضِلُّونَ »[1].

معناه : أن الأشياء التي أخافها على أمتي : أحقها بأن تخاف : الأئمة المضلون .

والثاني[2] : أن يكون « أخوف » من أخاف ، بمعنى « خوف » . ومعناه : غير الدجال أشدّ موجبات خوفي عليكم .

والثالث : أن يكون من باب وصف المعاني ، بما يوصف به الأعيان ، على سبيل المبالغة . كقولهم في الشعر الفصيح : « شعر شاعر » . و« خوف فلان : أخوف من خوفك » .

وتقديره : « خوف غير الدجال : أخوف خوفي عليكم » . ثم حذف المضاف الأول ، ثم الثاني . هذا آخر كلام الشيخ[3] .

(إن يخرج وأنا فيكم : فأنا حجيجه دونكم .

وإن يخرج ولست فيكم : فامرؤ[4] حجيج نفسه . والله خليفتي على كل مسلم . إنه شابٌّ قطط) بفتح القاف والطاء . أي : شديد جعودة الشعر ، مباعد للجعودة المحبوبة .

---

(١) أفاده النووي ، في المصدر المتقدم . ولفظ أبي داود ، والترمذي - في الفتن - ، والدارمي - في الرقاق - وأحمد : « وَإِنَّما أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي : الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ » . وهناك روايات أخرى : بألفاظ متقاربة ، لا حاجة إلى ذكرها . المحقق .

(٢) أي : والوجه الثاني . المحقق .

(٣) هو الشيخ الإمام أبو عبد الله بن مالك . كما حكاه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (فامرؤ) . في الأصل : « فامرء » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(عينه طافئة) رويت بالهمز وتركه . وكلاهما صحيح ؛

فالمهموزة : هي التي ذهب نورها .

وغير المهموزة : التي نتأت ، وطفت مرتفعة ، وفيها ضوء[1] .

(كأني أشبهه : بعبد العزى بن قطن . فمن أدركه منكم ، فليقرأ عليه : فواتح سورة الكهف .

إنه خارجٌ خلةً بين الشام[2] والعراق) .

قال النووي : هكذا في نسخ بلادنا : « خلّة » بفتح الخاء المعجمة واللام ، وتنوين الهاء[3] .

وقال عياض : المشهور فيه : « حلة » بالحاء ، ونصب التاء (يعني غير منونة) . قيل : معناه : سمت ذلك ، وقبالته .

وفي كتاب العين : « الحلة » موضع حزَن ، وصخور .

قال[4] : ورواه بعضهم : « حلُّهُ » بضم اللام ، وبهاء الضمير . أي : نزوله وحلوله .

قال[4]: وكذا ذكره الحميدي ، في الجمع بين الصحيحين .

قال[4]: وذكر الهروي : « خلة » بالخاء المعجمة ، وتشديد اللام المفتوحتين . وفسره بأنه : ما بين البلدين .

---

(١) أفاده النووي ، في (١٨/٥٩ ، ٦٠) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث « الشأم » بألف مهموزة . المحقق .

(٣) (الهاء) هي هنا : تاء مربوطة . إذا وقفت عليها ، فهي هاء . وإذا وصلتها بما بعدها ، فهي تاء . المحقق .

(٤) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، في (١٨/٦٥) المطبعة المصرية . المحقق .

قال النووي : وهذا الذي ذكره عياض عن الهروي : هو الموجود في نسخ بلادنا ، وفي الجمع بين الصحيحين أيضاً ببلادنا . وهو الذي رجّحه صاحب (نهاية الغريب) ، وفسره : بالطريق بينهما[1] .

(فعاث يمينا ، وعاث شمالا) : بعين مهملة ، وثاء مفتوحه . وهو فعل ماض .

« والعيث » : الفساد . أو أشَدُّ الفساد ، والإسراع فيه . يقال منه : « عاث يعيث » .

وحكى عياض : أنه رواه بعضهم : « فعاثٍ » بكسر الثاء منونة . اسم فاعل . وهو بمعنى الأول[2] .

(ياعباد الله ! فاثبتوا . قلنا : يارسول الله ! ومالَبْثُهُ[3] في الأرض ؟ قال : أربعون يوماً . يوم كسنة . ويوم كشهر . ويوم كجمعة) .

قال أهل العلم : هذا الحديث على ظاهره . وهذه الأيام الثلاثة[4] طويلة على هذا القدر المذكور في الحديث[5] . يدلّ عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (وسائر أيامه كأيامكم .

---

(١) (بينهما) أي : بين البلدين . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، بص ٦٥ المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) أثبت المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « فما » بالفاء ، بدل الواو . المحقق .

(٤) (الثلاثة ؛ . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

(٥) لي في هذا التقدير رأي ، أرجو أن يكون له وجه . وهو أن مقادير الأيام تختلف من بلد إلى أخر . وأن بلاداً في أمريكا ، اليوم فيها يساوي سنة ، بتوقيت بلادنا . ويؤيد هذا الرأي : ما تفيده بعض الروايات ، من أنه أي الدّجال : يطوف أنحاء الكرة الأرضية ، ماعدا مكة والمدينة والشام .

ويكون قوله ، صلى الله عليه وسلم : « وسائر أيامه ، كأيامكم » ، كناية عن الفترة التي يعيثها في بلادنا . وبهذا يتضمن هذا الحديث : معجزة ، من معجزات النبوة ، حيث أخبر عن مقادير الأيام ، المتفاوتة هذا التفاوت البعيد ، في مختلف أنحاء المعمورة ، قبل اكتشاف هذه الحقيقة بقرون . والله أعلم . المحقق .

قلنا : يارسول الله ! فذلك اليوم الذي كالسنة[١] . أتكفينا فيه : صلاة[٢] يوم ؟ قال : « لا . اقْدرُوا له قدره ») .

قال عياض ، وغيره : هذا حكم مخصوص بذلك اليوم[٣] ، شرعه لنا صاحب الشرع . قالوا : ولولا هذا الحديث ، ووكلنا إلى اجتهادنا : لا قتصرنا فيه على الصلوات الخمس ، عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام .

ومعنى « القدر »[٤] أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر : قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم : فصلوا الظهر .

ثم إذا مضى بعده : قدر ما يكون بينها وبين العصر : فصلوا العصر .

وإذا مضى بعد هذا : قدر ما يكون بينها وبين المغرب : فصلوا المغرب . وكذا العشاء ، والصبح ، ثم الظهر ، ثم العصر ، ثم المغرب . وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم ، وقد وقع فيه : صلوات سنة فرائض ، كلها مؤداة في وقتها[٥] .

---

(١) (كالسنة) . في مصدر الحديث : « كسنة » بدون « ال » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - : ما يدل على وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (صلاة) . في الأصل - كالمعتاد - : « صلوة » . المحقق .

(٣) قلت : بل هو حكم عامّ يشمل المسلمين ، الذين يقطنون ، في البلاد ، التي تتفاوت فيها مقادير أيامها ، عن أيامنا ، مثل هذا التفاوت المذكور ، في الحديث . وقد وردت استفتاءات من مسلميها إلى لجنة الإفتاء بالأزهر ، عن كيفية الصلاة والصيام بهذه المناطق ، وأفتوا بما يطابق صريح الحديث المذكور . وهذه معجزة أخرى للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم . المحقق .

(٤) عبارة النووي ، بص ٦٦ المصدر المتقدم - وهي أوضح - : « ومعنى « اقدروا له قدره » : أنه إذا مضى . . . إلخ » . المحقق .

(٥) (وقتها) . في الأصل غير واضحة . المحقق .

وأمـا الثاني ، الذي كشهر . والثالث ، الذي كجمعة ؛ فقياس اليوم الأول : أن يقدر لهما كاليوم الأول ، على ما ذكرناه . والله أعلم[1] .

(قلنـا : يارسـول الله ! ومـا إسـراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث ، استدبرته الريح .

فيأتي على قوم[2] فيدعـوهم : فيؤمنـون به ، ويستجيبـون له . فيأمر السماء ، فتمطر . والأرض ، فتنبت . فتروح عليهم سارحتهم ؛ أطول ما كانت ذُرًى [3] ، وأسبغَه ضروعاً ، وأمدَّه خواصر) .

« تروح » معناه : ترجع آخر النهار .

« والسارحة » : هي الماشية التي تسرح . أي تذهب أول النهار إلى المرعىٰ .

« والـذُّرىٰ » : بضم الـذال المعجمـة . هي الأعـالي ، والأسنمة . جمع : « ذُِروة » بضم الذال وكسرها .

ومعنى « أسبغه » : أطوله ، لكثرة اللبن .

وكذا « أمدّه خواصر » ، لكثرة امتلائها من الشبع .

(ثم يأتي القـوم ؛ فيدعـوهم فيردّون عليه قولـه ، فينصـرف عنهم ، فيصبحون ممحلين من « أمحل القوم » : إذا أصابهم المحل . فهم ممحلون .

---

(١) أفاده النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « القوم » بزيادة « ال » . وقد أثبت المؤلف – في الهامش – : ما يدل على وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) (ذرًى) . في مصدر الحديث : « ذراً » بالألف . وهو الصواب . لأن هذه الألف أصلها واو . من الذروة . فترسم ألفا ، طبقاً للقاعدة والنطق سواء . المحقق .

« والمحل » : السنة ، والقحط .

(ليس بأيديهم شيء[1] من أموالهم .

ويمرّ بالخربة ، فيقول لها : أخرجي كنوزَكِ ، فتتبعه كنوزها ، كيعاسيب النحل) هي ذكور النحل . هكذا فسّره ابن قتيبة ، وآخرون .

قال عياض : المراد : جماعة النحل ، لا ذكورها خاصّة . لكنه كنىٰ عن الجماعة : باليعسوب ، وهو أميرها : لأنه متى طار ، تبعته جماعته . والله أعلم[2] .

(ثم يدعو رجلا ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف : فيقطعه جزلتين) : بفتح الجيم على المشهور . وحكى ابن دريد : كسرها . أي : قطعتين .

ومعنى (رمية الغرض) : أنه يجعل بين الجزلتين : « مقدار رمية » . هذا هو الظاهر المشهور .

وحكى عياض هذا ، ثم قال : وعندي أن فيه تقديماً وتأخيراً . تقديره : فيصيبه إصابة رمية الغرض ، فيقطعه جزلتين . والصحيح الأول[3] .

(ثم يدعوه : فيقبل ، ويتهلّل وجهه ، ويضحك[4] . فبينما هو كذلك : إذ بعث الله[5] المسيح بن مريم ، عليه السلام[6] ، فينزل عند المنارة البيضاء ، شرقيّ دمشق) .

---

(١) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء ، كالمعتاد . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، بص ٦٦ ، ٦٧ المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) أفاده النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « يضحك » بدون واو . ولعل الواو ذكرت في الأصل ، خطأ من الناسخ . المحقق .

(٥) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « عز وجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٦) (عليه السلام) . أثبت المؤلف - في الهامش - : مايفيد أنه في بعض النسخ : « صلى الله عليه وسلم » . هذا ؛ ولم يذكر في مصدر الحديث أي من اللفظين . المحقق .

« المنارة » : بفتح الميم . قال النووي : هذه المنارة موجودة اليوم ، شرقيّ دمشق .

« ودمشق » بكسر الدال ، وفتح الميم . وهذا هو المشهور .

وحكى صاحب المطالع : « كسر الميم » .

قال[1] : وهذا الحديث ، من فضائل دمشق .

وفي « عند » : ثلاث[2] لغات ؛ كسر العين . وضمها . وفتحها . والمشهور : الكسر .

(بين مهروذتين) . روي : بالمهملة ، وبالمعجمة . والمهملة : أكثر[3] . والوجهان مشهوران : للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب ، وغيرهم .

وأكثر ما يقع في النسخ : « بالمهملة » كما هو المشهور .

ومعناه : « لابس مهرودتين » أي : ثوبين مصبوغين بورس ، ثم بزعفران .

وقيل : هما شقتان . « والشقة » : نصف الملاءة .

(واضعا كفيه على أجنحة ملكين . إذا طأطأ رأسه[4] : قطر . وإذا رفعه : تحدّر منه جمان ، كاللؤلؤ) .

« الجمان » : بضم الجيم ، وتخفيف الميم : هي حَبَّات من الفضّة ، تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار .

---

(١) (قال) أي النووي ، بص ٦٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (ثلاث) . في الأصل - كالمعتاد - : « ثلث » . المحقق .

(٣) وهو في مصدر الحديث بالمهملة . المحقق .

(٤) « رأسه » . في الأصل : الألف غير مهموزة . المحقق .

والمراد يتحدّر منه الماء ، على هيئة اللؤلؤ في صفائه . فسمي الماء « جماناً » . لشبهه به ، في الصفاء .

(فلا يحِلّ لكافر أن يجد[1] ريح نَفَسِهِ ، إلا مات) . هكذا الرواية : بكسر الحاء من « يحل » . و « نفسه » : بفتح الفاء .

ومعنى « لا يحِلّ » . لا يمكن ، ولا يقع .

وقال عياض : معناه عندي : حقّ وواجب .

قال[2] : ورواه بعضهم : بضم الحاء ، وهو وهْم وغلط .

(ونفسه : ينتهي حيث ينتهي طرفه . فيطلبه حتى يدركه بباب لُدّ) : بضم اللام ، وتشديد الدال مصروف . وهو بلدة قريبة من بيت المقدس .

(فيقتله ، ثم يأتي عيسى إلى قوم[3] ، قد عصمهم الله منه ، فيمسح عن وجوههم) .

قال عياض : يحتمل أن هذا المسح ، حقيقة على ظاهره . فيمسح على وجوههم ، تبرّكاً وبراً .

ويحتمل أنه إشارة إلى كشف ما هم فيه ، من الشدّة والخوف .

(ويحدّثهم : بدرجاتهم في الجنة .

فبينما هو كذلك ، إذ أوحى الله إلى عيسىٰ عليه السلام[4] : إني قد

---

(١) في مصدر الحديث : « يجد » بدون : « أن » . المحقق .

(٢) (قال) أي : عياض . كما حكاه النووي ، ص ٦٧ ، ٦٨ المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (إلى قوم) . في مصدر الحديث : بزيادة « ابن مريم » بعد ذكر « عيسى » . وكذلك : « قوم » بدون « إلى » . على أنه « فاعل » للفعل : « يأتي » . هذا ؛ وقد وضع المؤلف علامة فوق « إلى » ، إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « عليه السلام » . وقد وضع المؤلف علامة فوق هذا اللفظ ، إشارة إلى عدم وروده ، في بعض النسخ . المحقق .

أخرجت عباداً لي ، لا يدان لأحد بقتالهم) بكسر النون : تثنية « يد » .

قال العلماء : معناه لا قدرة ولا طاقة . يقال : « مالي بهذا الأمر يد ، ومالي به يدان . لأن المباشرة والدّفع ، إنما يكون باليد . وكأنّ يديه معدومتان ، لعجزه عن دفعه .

(فحرّز عبادي إلى الطور) . أي : ضمهم إليه . واجعله لهم حرزاً .

يقال : « أحرزت الشيء[1] ، أحرزه إحراز » : إذا حفظته ، وضممته إليه ، وصنته عن الأخذ .

ووقع في بعض النسخ : « حَزِّبْ » بالحاء والزاي والباء . أي : اجمعهم[2] .

قال عياض : وروي : « حَوِّزْ » بالواو والزاي . ومعناه : نحهّم وأزلهم : عن طريقهم ، إلى الطور[3] .

(ويبعث الله : يأجوج ومأجوج ، وهم من كلّ حدبٍ) أي : نشزٍ (ينسلون) : يمشون مسرعين .

(فيمرّ أوائلهم على بحيرة طبريّة ، فيشربون ما فيها . ويمرّ آخرهم ، فيقولون[4] : لقد كان بهذه - مرّةً - ماء . ويُحصر نبيّ الله عيسى عليه السلام[5] وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور لأحدهم : خيراً من مائة دينار

---

(١) (الشيء) في الأصل - كالمعتاد - : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في (١٨ / ٦٨) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) نفس المصدر . المحقق .

(٤) أثبت المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « فيقول » بدل : « فيقولون » . المحقق .

(٥) (عيسى عليه السلام) . في بعض النسخ : « عيسى بن مريم » بزيادة « ابن مريم » . و« صلى الله عليه وسلم » بدل : « عليه السلام » . (كما أشار المؤلف إلى هذا في الهامش) . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث سوى اسم « عيسى » فقط . المحقق .

لأحدكم اليوم . فيرغب نبيّ الله عيسى[1] وأصحابه ، فيرسل الله فيهم[2] : النغف في رقابهم) . بنون وغين مفتوحتين ، ثم فاء . وهو دود يكون في أنوف الإبل والغنم . الواحدة : نغفة .

(فيصبحـون فرسىٰ) : بفتـح الفـاء ، مقصـور . أي : قتلىٰ . واحدهم : فريس .

(كمـوت نفس واحـدة . ثم يهبط نبيّ الله عيسى وأصحابـه ، إلى الأرض . فلا يجـدون في الأرض موضـع شبـر ، إلا ملأه زهمهم) بفتح الهاء . أي : دسمهُمْ (ونتنهم) أي : رائحتهم الكريهة .

(فيرغب نبيّ الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله طيراً ، كأعناق البخت ، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله[3] .

ثم يرسل الله[4] مطراً ، لا يكنّ منه : بيت مدر) أي : لا يمنع من نزول الماء : « المدر » بفتح الميم والدال : هو الطين الصّلب .

(ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة) روي : بفتح الزاي ، واللام ، والقاف .

وروي : بضم الزاي ، وإسكان اللام ، وبالفاء[5] .

---

(١) أثبت المؤلف - في الهامش - مايفيد أنه في بعض النسخ بزيادة : « صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « عليهم » بدل : « فيهم » . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - أنه كذلك في بعض النسخ . المحقق .

(٣) أثبت المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ بزيادة : « عز وجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٤) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ بزيادة « تعالى » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٥) أي : « الزُّلْفَة » . المحقق .

وروي : « الزَّلَفَة » بفتح الزاي واللام[1] ، وبالفاء .

وقال عياض : روي بالفاء والقاف . وبفتح اللام وبإسكانها . وكلّها صحيحه .

قال في المشارق : والزاى مفتوحة . واختلفوا في معناه .

فقال ثعلب ، وأبوزيد ، وآخرون : معناه : « كالمرآة »[2] . وحكى « صاحب المشارق » هذا ، عن ابن عباس أيضاً .

شبهها بالمرآة : في صفائها ونظافتها .

وقيل : كمصانع الماء . أي : أن الماء يستنقع فيها ، حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء[3] .

وقال أبو عبيد : معناه : كالإجَّانة[4] الخضراء . .

وقيل : كالصحفة .

وقيل : كالروضة .

(ثم يقال للأرض : أنبتي ثمرتك ، وردّي بركتك . فيومئذ تأكل العصابة) أي الجماعة (من الرّمانة . ويستظلون بقِحْفها) بكسر القاف . هو مقعر قشرها .

شبهها : « بقحف الرأس » . وهو الذي فوق الدّماغ .

وقيل : ما انفلق من جمجمته ، وانفصل .

---

(١) وهو الوارد في حديث الباب . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، في (١٨/٦٩) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) نفسه . المحقق .

(٤) (الإجّانة) بتشديد الجيم : هي الإناء ، الذي يُغسل فيه الثياب . المعجم الوسيط . المحقق .

(ويبارك في الرِّسْل) : بكسر الراء ، وإسكان السين . هو اللبن

(حتى أنّ اللِّقحة) : بكسر اللام وفتح القاف[1] : كبِرْكة وبرك .

« واللَّقوح » : ذات اللبن . وجمعها : « لِقَاح » .

(من الإبل : لتكفي الفئام) بكسر الفاء . وبعدها همزة ممدودة . وهي « الجماعة الكثيرة » . هذا هو المشهور ، والمعروف في اللغة ، وكتب الغريب .

ورواية الحديث : أنه بكسر الفاء وبالهمز .

قال عياض : ومنهم من لا يجيز الهمز . بل يقوله بالياء[2] .

وقال (في المشارق) : وحكاه الخليل « بفتح الفاء »، وهي رواية القابسي .

قال : وذكره (صاحب العين) غير مهموز ، فأدخله في حرف الياء .

وحكى الخطابي : أن بعضهم ذكره بفتح الفاء ، وتشديد الياء . وهو غلط فاحش .

(من الناس . واللقحة من البقر : لتكفي القبيلة من الناس . واللقحة من الغنم : لتكفي الفخذ من الناس) .

قال أهل اللغة : « الفخِذ » : الجماعة من الأقارب . وهم دون البطن . « والبطن » : دون القبيلة .

---

(١) هذا خطأ . والصواب - كما في النووي (١٨ / ٦٩ ، ٧٠) المطبعة المصرية - : « اللّقحة » : بكسر اللام ، وفتحها . لغتان مشهورتان . الكسر أشهر . وهي القريبة العهد بالولادة . وجمعها : « لِقَح » بكسر اللام ، وفتح القاف . كبِرْكَة . وبِرَك . اهـ . المحقق .

(٢) (بالياء) أي « الفيام » . المحقق .

قال « ابن فارس » : « الفخذ » هنا ، بإسكان الخاء لا غيره . فلا يقال إلا بإسكانها : بخلاف « الفخذ » التي هي العضو ، فإنها تكسر وتسكن[1] .

(فبينما هم كذلك : إذ بعث الله ريحاً طيبة ، فتأخذهم تحت آباطهم . فتقبض روح كل مؤمن ، وكل مسلم) .

هكذا هو في جميع نسخ مسلم . « وكل مسلم » بالواو .

(ويبقى شرار الناس ، يتهارجون فيها : تهارج الحمر) أي : يجامع الرجال النساء ، بحضرة الناس ، كما يفعل الحمير . ولا يكترثون لذلك .

« والهرج » بإسكان الراء : الجماع . يقال : « هرج زوجته » ، أي : جامعها « يهرجها » بفتح الراء ، وضمها ، وكسرها .

وقد وقع بعض هذا ، في هذا الزمان . فقد سمعنا ثقاتا[2] ، يحكون أن بعضاً من « أهل الرفض » ، الذي كان له دولة وحكومة ، كان يتهارج بنسائه بين أظهر خدمه وحشمه . ولا يكترث منهم ، ولا من نساء أخرى في بيته . ويخبث بحضرتهم ، حتى إن بعض الرجال أو النساء : يأخذ برأس المرأة وهو يجامعها . ونعوذ بالله : من غضب الله .

وهذا من أشراط قرب الساعة الكبرى .

والمراد في الحديث : كثرة هذه الشنيعة ، وعموم البلوى بها : في الناس ، من غير مبالاة ، ولا حياء من الله ومن الناس .

---

(١) حكاه النووي ، في ص ٧٠ ، المصدر المتقدم . هذا ؛ وهي في صحيح مسلم مضبوطة بكسر الخاء . المحقق .

(٢) الصواب : « ثقاة » . وليس : « ثقاتا » . المحقق .

وكلما يزداد[1] هذه الأفعال : تقرب الساعة من الناس . ولكن « أَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ »[2] .

(فعليهم تقوم الساعة) . أي : على شرار الناس .

وظني : أن زمن قيامها قد اقترب جدّا . فإنه لم يبق من أماراتها الصغرى شيء[3] يسير أيضاً ، فضلاً عن الكبير .

وأما الكبرى منها ، فمقدمتها : ظهور المهدي عليه السلام ، وقد نشاهد أسباب ذلك .

وأظلت المائة الرابعة عشر ، من هجرة سيد البشر . وهي من أغلب مظان زمان ظهوره . والله أعلم . وعلمه أتم ، وأمره أحكم .

وبالجملة : « إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيداً وَنَرَاهُ قَرِيباً[4] » وما أقرب ما هو آت ! وما أبعد ما هو فات . !

اللهم ! ثبّت قلوبنا على دينك . واحفظنا : من سوء القضاء ، وجهد البلاء ، ودرْك الشقاء ، وشماتة الأعداء . إنك على ما تشاء قدير . وبالإجابة - من هذا الظلوم الجهول ، الخائف[5] الراجي - جدير . اللهمَّ آمين .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (باب ذكر الدجال) .

---

(١) الأولى : « تزداد » بالتاء ، بدل الياء . المحقق .

(٢) مقتبس من الآية (٥٢) من سورة سبأ . المحقق .

(٣) (شيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء ، كالمعتاد . المحقق .

(٤) الآيتان : (٦ ، ٧) من سورة المعارج . المحقق .

(٥) يعني المؤلف بقوله : «الظلوم الجهول، الخائف الراجي» . يعني : نفسه . غفر الله لنا وله . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧١ ، ٧٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ ؛ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم - يَوْماً - حَدِيثاً طَوِيلاً عَنِ الدَّجَّالِ . فَكَانَ فِيمَا حَدَّثَنَا ، قَالَ : « يَأْتِي ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ الْمَدِينَةِ . فَيَنْتَهِي إِلَىٰ بَعْضِ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي الْمَدِينَةَ ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ - يَوْمَئِذٍ - رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ النَّاسِ - أَوْ مِنْ خَيْرِ النَّاسِ - فَيَقُولُ لَهُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ ، الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : حَدِيثَهُ .

فَيَقُولُ الدَّجَّالُ : أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَـٰذَا ، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ : أَتَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ ؟ فَيَقُولُونَ : لاَ .

قَالَ : فَيَقْتُلُهُ ، ثُمَّ يُحْيِيهِ . فَيَقُولُ - حِينَ يُحْيِيهِ - : وَاللَّهِ ! مَا كُنْتُ فِيكَ - قَطُّ - أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي الْآنَ .

قَالَ : فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ ، فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ » .

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : يُقَالُ : إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ هُوَ الْخَضِرُ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ) .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخدري ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : حدّثنا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم يوماً ، حديثًا طويلاً عن الدجال . فكان فيما حدثنا ، قال : يأتي ، وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة) بكسر

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول « عن ابن شهاب » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

النون : جمع « نَقْب » . وهو الطريق بين الجبلين . « والأنقاب » : جمع قّلة . قاله السيد[1].

(فينتهي إلى بعض السّباخ ، التي تلي المدينة) .

« السباخ » جمع : « سبخة » . وهي أرض ذات ملح[2].

(فيخرج إليه - يومئذ ـ رجل ، هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول له : أشهد أنك الدجال ، الذي حدّثنا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : حديثه .

فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ، ثم أحييته : أتشكّون في الأمر ؟ فيقولون : لا .

قال المازري : إن قيل : إظهار المعجزة على يد الكذاب ، ليس بممكن ، وكيف ظهرت هذه الخوارق للعادة : على يده ؟ .

فالجواب : أنه إنما يدّعي الربوبية ! وأدلة الحدوث : تُخِلّ ما ادّعاه ، وتكذّبه .

وأما النبيّ ، فإنما يدّعي النبوة . وليست مستحيلة في البشر . فإذا أتى بدليل لم يعارضه شيء[3]: صدق .

وأما قول الدجال : أرأيتم الخ : فقد يستشكل . لأن ما أظهره الدجال : لا دلالة فيه لربوبيته ، لظهور النقّص عليه . ودلائل الحدوث ،

---

(١) وقاله النووي أيضاً . انظر (١٨/ ٧١) . المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) في الأصل كلمة « ملح » رسمت : « مسلح » . المحقق .

(٣) (شيء) في الأصل - كالمعتاد - : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

وتشويه الذات[1]، وشهادة كذبه ، وكفره : المكتوبة بين عينيه ، وغير ذلك .

ويجاب : بأنهم لعلهم قالوا[2]، خوفا منه وتقية ، لا تصديقاً .

ويحتمل : أنهم قصدوا : لانشكّ في كذبك وكفرك . فإن من شكّ في كذبه وكفره : كفر .

وخادعوه بهذه التورية : خوفا منه .

ويحتمل أن الذين قالوا : لانشك . هم مصدقوه من اليهود وغيرهم ، ممن قدّر الله شقاوته[3] .

(فيقول - حين يحييه - : والله ! ما كنت فيك قط ، أشدّ بصيرة مني الآن .

قال : فيريد الدجال أن يقتله ، فلا يسلّط عليه .

قال أبـو إسحق) هذا[4] . هو إبراهيم بن سفيان ، راوي الكتاب عن مسلم . وكذا قال معمر في « جامعه » ، في إثر هذا الحديث ، كما ذكره ابن سفيان[5] .

:(يقال[6]: إن هذا الرجل ، هو الخضر ، عليه السلام) . هذا تصريح منه : بحياة الخضر عليه السلام . قال النووي : وهو الصحيح . انتهى .

قلت : ولا حجة فيه ، ولا حجة في قول أحدٍ كائناً من كان : إلا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) (وتشويه الذات) أي : ذات الدّجال . والإلـه متّصف بكل كمال ، ومنزّه عن كل نقص . المحقق .

(٢) (لعلهم قالوا) الخ . أي : أجابوه على قوله : « أتشكّون في الأمر » بقولهم : لا . خوفاً منه . المحقق .

(٣) قلت : وهذا الاحتمال الأخير ، هو الأشبه . المحقق .

(٤) (هذا) الإشارة - هنا - لأبي إسحاق . المحقق .

(٥) حكاه النووي ، في ص ٧٢ المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) (يقال . . . إلخ) هو مقول أبي إسحاق . المحقق .

ولم يرد في مرفوع : أن هذا الرجل هو الخضر ، عليه السلام . وقد سبق في محله : أن الراجح : عدم حياته[1] . والله أعلم .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (باب ذكر الدجال) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٢ ، ٧٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ : رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟

فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَىٰ هَـٰذَا الَّذِي خَرَجَ .

قَالَ : فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟

فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ .

فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ .

فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ : أَنْ تَقْتُلُوا أَحَداً دُونَهُ ؟

قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ . فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ ، قَالَ : يَاأَيُّهَا النَّاسُ ! هَـٰذَا الدَّجَّالُ ، الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

قَالَ : فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ ، فَيُشَبَّحُ . فَيَقُولُ : خُذُوهُ ، وَشُجُّوهُ . فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ : ضَرْباً .

قَالَ : فَيَقُولُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟

(١) قلت : وأنا مع المؤلف ، في هذا . المحقق .

قَالَ : فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ .

قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ ، فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ ، حَتَّىٰ يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ .

قَالَ : ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ . ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ . فَيَسْتَوِي قَائِماً .

قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ ، إِلَّا بَصِيرَةً .

قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَاأَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي ، بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ ، فَيُجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَىٰ تَرْقُوَتِهِ : نُحَاساً ، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلاً .

قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ، فَيَقْذِفُ بِهِ . فَيَحْسِبُ النَّاسُ : أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ . وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ » .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « هَـٰذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً ، عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ») .

(الشرح)

(عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يخرج الدجّال ، فيتوجه قبله : رجل من المؤمنين . فتلقاه المسالح - مسالح الدجال -) جمع : « مسلحة » . وأصله : موضع السلاح . ثم استعمل للثغر . وهو المراد هنا .

(فيقولون له : أين تعمد ؟ فيقول : أعمد إلى هذا الذي خرج .

قال : فيقولون له : أو ماتؤمن بربّنا ؟ فيقول : ما بربّنا خفاء .

فيقولون : اقتلوه . فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربّكم : أن تقتلوا أحداً دونه ؟

قال : فينطلقون به إلى الدجال . فإذا رآه المؤمن ، قال : ياأيها الناس ! هذا الدجّال الذي ذكره[1] رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . قال : فيأمر الدجال به : فيشبّح . فيقول : خذوه ، وشجّوه) .

فيه : الأول بشين معجمة ، ثم باء موحدة ، ثم حاء مهملة . أي : مدّوه على بطنه .

والثاني : « شجوه » بالجيم . من « الشّجّ » . وهو الجرح في الرأس .

والوجه الثاني : « فيشبح » كالأول . « فيقول خذوه واشبحوه[2] » بالباء والحاء .

والثالث : « فَيُشجّ » . « وشجوه » كلاهما بالجيم[3] .

وصحح عياض : الوجه الثاني . وهو الذي ذكره الحميدي ، في الجمع بين الصحيحين .

---

(١) في مصدر الحديث : « ذكر » بدون هاء الضمير . وقد وضع المؤلف علامة فوق الهاء ، إشارة إلى عدم ذكرها في بعض النسخ . المحقق .

(٢) في النووي (١٨/٧٣) المطبعة المصرية : « وشبحوه » بدل : « واشبحوه » . المحقق .

(٣) من قوله « فيه الأول بشين معجمة » إلى قوله : « كلاهما بالجيم » : نقله المؤلف - نقلا حرفيًا - من النووي (١٨/٧٣) المطبعة المصرية .

وهو - كما ترى - لا يكاد القارئ يفهم المقصود منه . وإليك ملخّصه بأسلوب واضح ؛

نصّ عبارة الحديث - التي نحن بصدد شرحها - (قال : فيأمر الدجال به - أي بالرجل المؤمن - : « فيُشبّح » ، فيقول : خذوه « وشجّوه ») اهـ .

قوله : « فيُشَبّح » ورد في رواية أخرى : « فيُشَجّ » من « الشّجّ » وهو الجرح في الرأس .

وقوله : « وشُجّوه » ورد في رواية أخرى : « واشْبَحُوهُ » أي مدّوه على بطنه .

ويتلخّص مما ذكر ثلاثة أوجه (وجهان على رواية : « فيُشَبّح » ، ووجه على رواية : « فيُشَجّ ») . وإليك بيان الأوجه الثلاثة ؛

الوجه الأول : « فيُشَبَّح » فيقول : خذوه « واشْبَحُوه » أي : مدّوه على بطنه .

الوجه الثاني : « فيُشَبَّح » فيقول : خذوه « وشُجُّوه » أي : اجرحوا رأسه .

الوجه الثالث : « فيُشَجّ » فيقول : خذوه « وشُجُّوه » أي : اجرحوا رأسه . المحقق .

قال النووي : والأصح عندنا : الأول .

(فيوسع ظهره) : بإسكان الواو ، وفتح السين . (وبطنه : ضرباً .

قال : فيقول : أما[1] تؤمن بي ؟

قال : فيقول أنت المسيح الكذّابُ .

قال : فيؤمر به ، فيؤشر بالمئشار من مفرقه) . هكذا الرواية : « يؤشر » بالهمز .

« والمئشار » : بهمزة بعد الميم . وهو الأفصح . ويجوز تخفيف الهمزة فيهما . فيجعل في الأول : واوا ، وفي الثاني[2] : ياء .

ويجوز : « المنشار » بالنون . وعلى هذا ؛ يقال : نشرت الخشبة .

وعلى الأول ؛ يقال : أشرتها .

« ومفرق الرأس » بكسر الراء : وسطه .

(حتى يفرّق بين رجليه . قال : ثم يمشي الدجّال بين القطعتين . ثم يقول له : قم . فيستوي قائماً .

قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : مَا ازددت فيك ، إلا بصيرة .

قال : ثم يقول : يأأيها الناس ! إنه لا يفعل بعدي ، بأحدٍ من الناس .

قال : فيأخذه الدّجال ليذبحه ، فيجعل الله[3] ما بين رقبته إلى ترقوته) : بفتح التاء ، وضم القاف . وهي « العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق » .

---

(١) في مصدر الحديث : « أوما » بدل : « أما » . المحقق .

(٢) أي : فيُوشر بالمِيشار » . المحقق .

(٣) (فيجعل) هكذا بالبناء للفاعل مع ذكر لفظ الجلالة . وفي مصدر الحديث : « فيجعل » بالبناء للمفعول . المحقق .

(نحاساً ، فلا يستطيع إليه سبيلاً .

قال : فيأْخذ بيديه ورجليه ، فيقذف به . فيحسب الناس : أنما قذفه إلى النار . وإنما ألقي في الجنة .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « هذا أعظم الناس شهادة ، عند ربّ العالمين ») .

قال القرطبي (في تذكرته) : يقال : إنه « الخضر » . وفيه بعد بعيد .

وقيل : رجل من أصحاب الكهف . وورد أنهم[1] يكونون من أصحاب المهدي . انتهى .

قال السفاريني : وورد أنه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال : إلا اثنا عشر ألف رجل ، وسبعة آلاف امرأة . انتهى . والله أعلم .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

---

(١) الضمير في (أنهم) يعود على « أصحاب الكهف » . وقد أشار المؤلف إلى هذا بوضع رقم (٣) تحت كلّ من لفظي « أصحاب » و « أنهم » . هذا ؛ وقد رجعت إلى (التذكرة) ص ٧٨٣ ، ط الحلبي بالقاهرة ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، تحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا . فلم أجد القرطبي زاد على قوله : « قال أبو إسحاق السبيعي : يقال : إن هذا الرجل ، هو الخضر » . فلعل الزيادة المذكورة في الأصل ، نقلها المؤلف من طبعة أخرى ، للتذكرة . وكل الذي وجدته ، في المصدر المتقدم ، ص ٨٠٣ ، ص ٨٣٣ : أن حواري عيسى بن مريم - إذا نزل - هم أصحاب الكهف .

قلت : وفي النفس من هذا شيء . وإن كانت قدرة الله تعالى : لا يعجزها شيء . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ٧٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَـةَ ؛ قَالَ : مَاسَأَلَ أَحَدُ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، عَنِ الدَّجَّالِ : أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ . قَالَ : « وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ ؟ إِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ » . قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ ، وَالْأَنْهَارَ . قَالَ : « هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللّهِ ، مِنْ ذَٰلِكَ ») .

(الشَّرح)

(عن المغيرة بن شعبة ؛ قال : ماسأل أحد النبيَّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، عن الدجّال : أكثر مما سألت . قال : « وما ينصبك منه ؟ إنه لا يُضيرك[1] ») بضم الياء على اللغة المشهورة . أي : ما يتعبك من أمره[2] ؟

قال ابن دريد : يقال : أنصبه المرض وغيره ، ونصبه . والأولى[3] أفصح .

قال[4] : وهو تغير الحال ، من مرض أو تعب .

(قلت[5] : يارسول الله ! إنهم يقولون : إن معه الطعام والأنهار) .

---

(١) في مصدر الحديث : « يضرك » . بدل : « يُضيرك » . المحقق .

(٢) تفسير لقوله : « ما ينصبك منه ؟ » . المحقق .

(٣) (والأولى) أي : « أنصبه » الرباعي . المحقق .

(٤) (قال) أي : « ابن دريد » ، كما حكاه النووي في (١٨/ ٧٤) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) في مصـدر الحديث : « قال : قلت » بزيادة : « قال » . وقد أثبت المؤلف -في الهامش- ما يفيد وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

وفي رواية أخرى ، بلفظ : قَالَ : « وَمَا سُؤَالُكَ ؟ » قَالَ : إِنَّهُمْ يَقُولُونَ : مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ ؛ وَنَهرُ مَاءٍ[1] .

(قال : « هو أهون على الله من ذلك ») .

قال عياض : معناه : هو أهون على الله ، من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده : مضلاً للمؤمنين ، ومشكّكا لقلوبهم . بل إنما جعله له : ليزداد الّذين آمنوا إيماناً ، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ، ونحوهم .

وليس معناه : أنه ليس معه شيء[2] من ذلك .

وقيل : هو أحقر ، من أن يحقّق الله تعالى له ذلك . وإنما هو تخييل وتمويه للابتلاء . فيثبت المؤمن ، ويزلّ الكافر .

أو المراد : أنه أهون من أن يجعل[3] شيئاً من ذلك : آية على صدقه . ولا سيما ، قد جعل فيه آية ظاهرة في كذبه وكفره . يقرأها[4] : من لا يقرأ . والله أعلم .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (باب ذكر الدّجال)

---

(١) هذه الرواية تجدها ، في صحيح مسلم (٢٢٥٨/٤) دار الفكر ببيروت . كتاب الفتن ، باب (٢٢) ، حديث رقم (١١٥) . ولكن ورد به : « ونهر من ماء » بالجرّ بـ « من » . وليس بالإضافة ، كما في الأصل . المحقق .

(٢) (شيء) في الأصل - كالمعتاد - الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (من أن يجعل) . أي الله . المحقق .

(٤) الصواب : « يقرؤها » بهمزة فوق الواو . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ٧٥ - ٧٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ يَعْقُوبَ بْنَ عَاصِمِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيِّ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو - وَجَاءَهُ رَجُلٌ - فَقَالَ : مَا هَـٰذَا الْحَدِيثُ ، الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ ؟ تَقُولُ : إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَىٰ كَذَا وَكَذَا .

فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! - أَوْ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ . أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا - . لَقَدْ هَمَمْتُ : أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَداً : شَيْئاً ، أَبَداً .

إِنَّمَـا قُلْتُ : إِنَّكُمْ سَتَـرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ : أَمْراً عَظِيماً . يُحَرَّقُ الْبَيْتُ ، وَيَكُونُ ، وَيَكُونُ .

ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي ، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ - لَا أَدْرِي : أَرْبَعِينَ يَوْمـاً ، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْـراً ، أَوْ أَرْبَعِينَ عَاماً - . فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ . كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ . فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ .

ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ : سَبْعَ سِنِينَ ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ .

ثُمَّ يُرْسِـلُ اللَّهُ رِيحـاً بَارِدَةً ، مِنْ قِبَـلِ الشَّأْمِ ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ : مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ : إِلَّا قَبَضَتْهُ . حَتَّىٰ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ : لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ » .

قَالَ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

قَالَ : « فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ ، فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ ؛ لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفاً ، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَراً .

فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ، فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ : بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ .

وَهُمْ فِي ذَٰلِكَ : دَارٌّ رِزْقُهُمْ ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ .

ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ ، إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتاً ، وَرَفَعَ لِيتاً .

قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ : رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ . قَالَ : فَيَصْعَقُ ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ .

ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ - أَوْ قَالَ : يُنْزِلُ اللَّهُ - مَطَراً ، كَأَنَّهُ الطَّلُّ - أَوِ الظِّلُّ - (نُعْمَانُ الشَّاكُّ) ، فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ .

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ ، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ .

ثُمَّ يُقَالُ : يَاأَيُّهَا النَّاسُ ! هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ . وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ .

قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ . فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟

فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ : تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ .

قَالَ : فَذَاكَ ، يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيباً . وَذَٰلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ») .

الشرح

(عن النعمان بن سالم ؛ قال : سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفيّ ، يقول : سمعت عبد الله بن عمرو - وجاءه رجل - فقال : ما هذا الحديث الذي تحدّث به ؟ تقول : إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا .

فقال : سبحان الله ! أو لا إلـه إلا الله ، أو كلمة نحوهما[1] لقد هممت : أن لا أحدّث أحداً شيئاً ، أبداً .

إنما قلت : إنكم سترون بعد قليل : أمراً عظيماً ؛ يحرّق البيت ، ويكون ، ويكون .

ثم قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يخرج الدجّال في أمتي ، فيمكث أربعين - لا أدري : أربعين يوماً ، أو أربعين شهراً ، أو أربعين عاماً - فيبعث الله تعالىٰ[2] عيسى بن مريم) أي : ينزل من السماء .

(كأنه عروة بن مسعود) الثقفي ؛

قال (في المرقاة) : شهد « صلح الحديبية » كافراً . وقدم على النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم : سنة تسع ، بعد عوده من الطائف ، وأسلم . ثم عاد إلى قومه ، ودعاهم إلى الإسلام : فقتلوه .

وقيل . هو أخو عبد الله بن مسعود ، وليس بشيء . انتهى[3] .

(فيطلبه فيهلكه) .

قال عياض : نزول عيسى عليه السلام ، وقَتْلُه الدجّالَ : حَقّ وصحيح ، عند أهل السنة : للأحاديث الصحيحة في ذلك . وليس في العقل ، ولا في الشرع : ما يبطله ، فوجب إثباته .

---

(١) أثبت المؤلف - في الهامش - ما يفيد : أنه في بعض النسخ : « نحواً منهما » ، بدل : « نحوهما » . المحقق .

(٢) لم يذكر في مصدر الحديث لفظ : « تعالى » . المحقق .

(٣) (انتهى) أي كلام صاحب المرقاة . هذا ؛ وكلمة « بشيء » في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

وأنكر ذلك : بعض المعتزلة ، والجهمية ، ومن وافقهم . وزعموا : أن هذه الأحاديث مردودة : بقوله تعالى : « وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ »[1] ، وبقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا نَبِيَّ بَعْدِي » ، وبإجماع المسلمين : أنه لا نبيّ بعد نبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وأن شريعته مؤبّدة إلى يوم القيامة ، لا تنسخ .

وهذا استدلال فاسد ؛ لأنه ليس المراد بنزول عيسى ، عليه السلام : أنه ينزل نبيّا بشرع ينسخ شرعنا . ولا في هذه الأحاديث ولا في غيرها : شيء[2] من هذا .

بل صحت هذه الأحاديث هنا ، وفي كتاب الإيمان وغيرها : أنه ينزل حكَماً مقسطاً ، يحكم بشرعنا ، ويحيي من أمور شرعنا : ما هجره الناس .

(ثم يمكث في الناس[3] سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة .

ثم يرسل الله عز وجل[4] : ريحاً باردة ، من قبل الشام[5] ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه : مثقال ذرة من خير - أو إيمان - إلا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل : لدخلتْه عليه ، حتى تقبضه) .

كبد كل شيء[2] : وسطه ، وداخله ، وجوفه .

---

(١) جزء من الآية (٤٠) من سورة الأحزاب . المحقق .

(٢) (شيء) في الأصل - كالمعتاد - : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) هكذا في الأصل « الناس » مجروراً بفي . وفي مصدر الحديث : فاعل للفعل « يمكث » . وعلى الأول الفاعل ضمير عيسى عليه السلام . هذا ؛ وقد وضع المؤلف علامة فوق « في » : إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٤) لم يذكر في مصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث « الشأم » بهمزة فوق الألف . المحقق .

(قال : سمعتها من رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم .

قال : فيبقى شرار الناس : في خفة الطير ، وأحلام السباع) .

معناه : يكونون في سرعتهم إلى الشرور ، وقضاء الشهوات والفساد : كطيران الطير . وفي العدوان ، وظلم بعضهم بعضاً : في أخلاق السباع العادية[1] .

(لا يعرفون معروفاً ، ولا ينكرون منكراً . فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستحيون[2] ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم : بعبادة الأوثان . وهم في ذلك : دارّ رزقهم ، حسنٌ عيشهم .

ثُمَّ ينفخ في الصور ، فلا يسمعه أحد ، إلا أصغى) أي أمال (ليتاً ، ورفع ليتا) . « الليت » بكسر اللام ، وآخره تاه . وهي « صفحة العنق » ، وهي جانبه .

(قال : وأول من يسمعه : رجل يلوط حوض إبله) أي : يطيّنه ويصلحه .

(قال : فيصعق ، ويصعق الناس . ثم يرسل الله) تعالى (- أو قال : ينزل الله -) تعالى (مطراً كأنه ، الطلُّ - أو الظلُّ -) .

قال أهل العلم : الأصح : « الطل » بالمهملة . وهو الموافق للحديث الآخر : أنه كمنيّ الرجال[3] .

---

(١) (العادية) : أي المغيرة المفترسة . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث ، وكذلك في صحيح مسلم (٤/٢٢٥٩) ، باب (٢٣) ، حديث : (١١٦ - ٢٩٤٠) : « تستجيبون » ، بدل : « تستحيون » . فلعل الذي في الأصل خطأ غير مقصود . المحقق .

(٣) أفاده النووي في (٧٧/١٨) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(نعمان الشاك)[1] وهو ابن سالم .

(فتنبت منه أجساد الناس . ثم ينفخ فيه أخرى ، فإذا هم قيام ينظرون . ثم يقال : ياأيها الناس ! هلموا إلى ربكم .«وقفوهم إنهم مسئولون». ثم يقال[2] : أخرجوا بعث النار . فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف : تسعِمائة وتسعة وتسعين .

قال : فذلك[3] يوم يجعل الولدان شيباً) : بكسر أوله . جمع « أشيب » .

والمعنى : أنه يصير الأطفال شيباً ، من أهوال ذلك اليوم ، وشدائده على القوم .

ويجوز : أن يراد به عظم الأهوال ، لا حقيقة صيرورتهم شيباً في الحال . فالمعنى : لو أن وليداً شاب من واقعة عظيمة : لكان في ذلك اليوم .

والأول : أولى .

(وذلك[4] يوم يكشف عن ساق) .

قال العلماء : معناه ، ومعنى ما في القرآن « يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ »[5] : يوم يكشف عن شدّةٍ ، وهولٍ عظيم . أي : يظهر ذلك .

---

(١) أي : شك ، هل سمع من يعقوب بن عاصم : « الطل » بالطاء المهملة . أو « الظل » بالظاء المعجمة ؟ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « قال : ثم يقال » بزيادة « قال » هنا . المحقق .

(٣) (فذلك) في مصدر الحديث : « فذاك » بدون لام . المحقق .

(٤) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « فذلك » -بالفاء، بدل الواو-.المحقق .

(٥) الآية : (٤٢) من سورة القلم . المحقق .

يقال : « كشفت الحرب عن ساقها » : إذا اشتدت .

وأصله : أن من جَدَّ في أمره : كشف عن ساقه ، مستمرّاً في الخفة والنشاط له .

هذا كلام النووي ، رحمه الله[1] . والأولى : عدم صَرْف كشف الساق عن ظاهره ، وإبقاؤه على لفظه ، والإيمان[2] به : بلا كيف ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل . وهـذا مهيع[3] سلف هذه الأمـة وأئمتهـا . وجنح الخلف : إلى التأويل . وليس بشيء[4] ، بل هو فرع التكذيب . والله أعلم .

بَابُ : أَوَّلُ الْآيَاتِ ، طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا

وهو في النووي ، في : (باب ذكر الدجال) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٧ ، ٧٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو ، رضي الله عنه[5] ؛ قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : حَدِيثاً ، لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجاً :

---

(١) « رحمه الله » . في الأصل : رمز إلى هذه الجملة بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٢) (والإيمان) . في الأصل : « ولايمان » . المحقق .

(٣) (مَهْيَع) أي : طريق . والمَهْيَع من الطرق : البيّن الواضح . المحقق .

(٤) (بشيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء - كالمعتاد - . المحقق .

(٥) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحىً . وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا : فَالأُخْرَىٰ عَلَىٰ إِثْرِهَا ، قَرِيبٌ[1] ») .

وفي الجزء الأول ، في (باب بيان الزمن ، الذي لا يقبل فيه الإيمان) ؛ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلّم ؛ قَالَ : « لَا تَقُومُ السَّاعَةُ ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا . فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا : آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً[2] ») .

وفي رواية أخرى عنه[3] ، يرفعه ؛ « ثَلَاثٌ[4] إِذَا خَرَجْنَ : لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ . إلخ[5]: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ »[6] .

الشرح

قال عياض : هذه الأحاديث على ظاهرها : عند أهل الحديث ،

---

(١) (قريب) بالرفع . في مصدر الحديث : « قريباً » بالنصب . وقد ذكر المؤلف - في الهامش : ما يفيد ورودها كذلك ، في بعض النسخ . فعلى الرفع : يكون خبراً للمبتدأ . أي : فالأخرى قريب . وعلى النصب : يكون حالا من الضمير في « إثرها » . ويكون قوله : « على إثرها » متعلقاً بمحذوف ، هو خبر المبتدأ ، تقديره « كائنة » . أي : والأخرى كائنة على إثرها ، حال كونها قريباً . . إلخ . المحقق .

(٢) الآية : (١٥٨) من سورة الأنعام . وهذا الحديث تجده في صحيح مسلم (١٣٧/١) دار الفكر ببيروت في الإيمان ، باب (٧٢) حديث (٢٤٨ - ١٥٧) . المحقق .

(٣) (عنه) أي : عن أبي هريرة . المحقق .

(٤) (ثلاث) . في الأصل - كالمعتاد - : « ثلث » . المحقق .

(٥) (إلخ) أي : « أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً » . الآية (٥٨) الأنعام . المحقق .

(٦) هذا الحديث في المصدر المتقدم ، ص ١٣٨ ، حديث رقم (٢٤٩ - ١٥٨) . المحقق .

والفقه ، والمتكلمين (من أهل السنة) ، خلافاً لما تأولته الباطنية . انتهى[1] .

قلت : وورد في بعض الأحاديث : أن أول الآيات : خروج الدجال .

وفي بعضها : أن أولها : طلوع الشمس من مغربها ، كما هنا .

وفي بعضها : الدابة .

وفي بعضها : نار تحشر الناس إلى محشرهم .

وطريق الجمع - كما في كتاب الإذاعة - : أن خروج الدّجال : أول الآيات العظام ، المؤذنة بتغيير الأحوال العامة ، في معظم الأرض . فلا ينافي ؛ تقديم المهدي عليه . وينتهي ذلك بموت عيسى ، عليه السلام ، ومَنْ بَعده : من القحطاني وغيره .

وأن طلوع الشمس من المغرب : هو أول الآيات المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي . وينتهي ذلك : بقيام الساعة ، والدابة معها . فهي والشمس كشيء[2] واحد .

وأن النار : أول الآيات المؤذنة بقيام الساعة ، انتهى . ورجحه الحافظ « ابن حجر » ، رحمه الله[3] .

قال في (الإشاعة) : وهذا جمع حسن .

قال[4] : ويدل على ذلك : ما في بعض الروايات : « وآخِرُ ذَلِكَ » أي

---

(١) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه النووي ، في (٢/١٩٥) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (كشيء) . في الأصل - كالمعتاد - : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل : رمز إلى هذه الجملة - بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) (قال) أي : صاحب الإشاعة . المحقق .

الآيات : « نارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ »(١) . انتهى .

قال الشيخ مرعي : وهذا كلام ، في غاية التحقيق . انتهى .

وتمام الكلام على (أول الآيات والدابة) : في كتابنا « الإذاعة » . فراجعه .

بَابُ : صِفَةِ الدَّجَّالِ وَخُرُوجِهِ وَحَدِيثِ الجَسَّاسَةِ

وقال النووي : (باب قصة الجساسة)

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٨ - ٨٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ ذَكْوَانَ ؛ حَدَّثَنَا ابْنُ بُرَيْدَةَ ؛ حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ شُرَاحِيلَ الشَّعْبِيُّ - شَعْبُ هَمْدَانَ - ؛ أَنَّهُ سَأَلَ فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ ، أُخْتَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْسٍ - وَكَانَتْ مِنَ الْمُهَاجِرَاتِ الأُوَلِ - ؛ فَقَالَ : حَدِّثِينِي حَدِيثاً سَمِعْتِيهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم . لاَ تُسْنِدِيهِ إِلَىٰ أَحَدٍ غَيْرِهِ .

فَقَالَتْ : لَئِنْ شِئْتَ ، لأَفْعَلَنَّ . فَقَالَ لَهَا : أَجَلْ . حَدِّثِينِي .

فَقَالَتْ : نَكَحْتُ ابْنَ الْمُغِيرَةِ - وَهُوَ مِنْ خِيَارِ شَبَابِ قُرَيْشٍ ، يَوْمَئِذٍ - فَأُصِيبَ ، فِي أَوَّلِ الْجِهَادِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَلَمَّا تَأَيَّمْتُ : خَطَبَنِي عَبْدُ الرَّحْمَـٰنِ بْنُ عَوْفٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

---

(١) لفظ مسلم ، في صحيحه (٤/٢٢٢٦) ، الفتن ، باب (١٣) ، حديث (٣٩ - ٢٩٠١) : « وَآخِرُ ذَلِكَ : نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَىٰ مَحْشَرِهِمْ » . المحقق .

وَخَطَبَنِي رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : عَلَى مَوْلاَهُ « أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ » . وكُنْتُ قَدْ حُدِّثْتُ : أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : « مَنْ أَحَبَّنِي ، فَلْيُحِبَّ أُسَامَةَ » .

فَلَمَّا كَلَّمَنِي رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قُلْتُ : أَمْرِي بِيَدِكَ ، فَأَنْكِحْنِي مَنْ شِئْتَ . فَقَالَ : « انْتَقِلِي إِلَىٰ أُمِّ شَرِيكٍ » .

وَأُمُّ شَرِيكٍ : امْرَأَةٌ غَنِيَّةٌ ، مِنَ الأَنْصَارِ . عَظِيمَةُ النَّفَقَةِ ، فِي سَبِيلِ اللّهِ . يَنْزِلُ عَلَيْهَا الضِّيفَانُ . فَقُلْتُ : سَأَفْعَلُ . فَقَالَ : « لاَ تَفْعَلِي . إِنَّ أُمَّ شَرِيكٍ ، امْرَأَةٌ كَثِيرَةُ الضِّيفَانِ .

فَإِنِّي أَكْرَهُ : أَنْ يَسْقُطَ عَنْكِ خِمَارُكِ ، أَوْ يَنْكَشِفَ الثَّوْبُ عَنْ سَاقَيْكِ : فَيَرَىٰ الْقَوْمُ مِنْكِ بَعْضَ مَا تَكْرَهِينَ . وَلَـٰكِنِ انْتَقِلِي إِلَى ابْنِ عَمِّكِ : عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ » .

- وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي فِهْرٍ « فِهْرِ قُرَيْشٍ »، وَهُوَ مِنَ الْبَطْنِ الَّذِي هِيَ مِنْهُ - فَانْتَقَلْتُ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتِي : سَمِعْتُ نِدَاءَ الْمُنَادِي - مُنَادِي رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - يُنَادِي : الصَّلاَةَ جَامِعَةً . فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَكُنْتُ فِي صَفِّ النِّسَاءِ ، الَّتِي تَلِي ظُهُورَ الْقَوْمِ .

فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، صَلاَتَهُ : جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ - وَهُوَ يَضْحَكُ - ، فَقَالَ : « لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَّهُ » . ثُمَّ قَالَ : « أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ ؟ » .

قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « إِنِّي ، وَاللَّهِ ! مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ ، وَلاَ لِرَهْبَةٍ . وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ ، لأَنَّ تَمِيماً الدَّارِيَّ ، كَانَ رَجُلاً نَصْرَانِيّاً ، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ . وَحَدَّثَنِي حَدِيثاً ، وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْ مَسِيحِ الدَّجَّالِ .

حَدَّثَنِي : أَنَّهُ رَكِبَ فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ ، مَعَ ثَلاَثِينَ رَجُلاً : مِنْ لَخْمٍ وَجُذَامَ . فَلَعِبَ بِهِمُ الْمَوْجُ شَهْراً ، فِي الْبَحْرِ . ثُمَّ أَرْفَأُوا إِلَىٰ جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ ، حَتَّىٰ مَغْرِبِ الشَّمْسِ . فَجَلَسُوا فِي أَقْرُبِ السَّفِينَةِ . فَدَخَلُوا الْجَزِيرَةَ ، فَلَقِيَتْهُمْ دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ ، لاَ يَدْرُونَ : مَا قُبُلُهُ مِنْ دُبُرِهِ ، مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ . فَقَالُوا : وَيْلَكِ ! مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . ؟

قَالُوا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟

قَالَتْ : أَيُّهَا الْقَوْمُ ! انْطَلِقُوا إِلَىٰ هَـٰذَا الرَّجُلِ ، فِي الدَّيْرِ . فَإِنَّهُ إِلَىٰ خَبَرِكُمْ بِالأَشْوَاقِ .

قَالَ : لَمَّا سَمَّتْ لَنَا رَجُلاً ، فَرِقْنَا مِنْهَا : أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً .

قَالَ : فَانْطَلَقْنَا سِرَاعاً ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا الدَّيْرَ . فَإِذَا فِيهِ أَعْظَمُ إِنْسَانٍ رَأَيْنَاهُ - قَطُّ - خَلْقاً .

وَأَشَدُّهُ وِثَاقاً . مَجْمُوعَةٌ يَدَاهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ - مَا بَيْنَ رُكْبَتَيْهِ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ - بِالْحَدِيدِ . قُلْنَا : وَيْلَكَ ! مَا أَنْتَ ؟ قَالَ : قَدْ قَدَرْتُمْ عَلَىٰ خَبَرِي . فَأَخْبِرُونِي مَا أَنْتُمْ ؟

قَالُوا : نَحْنُ أُنَاسٌ مِنَ الْعَرَبِ ، رَكِبْنَا فِي سَفِينَةٍ بَحْرِيَّةٍ . فَصَادَفْنَا الْبَحْرَ ، حِينَ اغْتَلَمَ .

فَلعِبَ بِنَـا الْمَـوْجُ شَهْراً . ثُمَّ أَرْفَأْنَا إِلَىٰ جزيرَتِك هَـٰذِهِ ، فَجَلَسْنَا فِي أَقْرُبِهَا ، فَدَخَلْنَا الْجَزِيرَةَ . فَلَقِيَتْنَا دَابَّةٌ أَهْلَبُ كَثِيرُ الشَّعَرِ . لاَ يُدْرَىٰ مَا قُبُلُه مِنْ دُبُرِهِ : مِنْ كَثْرَةِ الشَّعَرِ .

فَقُلْنَا : وَيْلَكِ ! مَا أَنْتِ ؟ فَقَالَتْ : أَنَا الْجَسَّاسَةُ . قُلْنَا : وَمَا الْجَسَّاسَةُ ؟

قَالَتْ : اعْمِـدُوا إِلَىٰ هَـٰذَا الـرَّجُـلِ فِي الـدَّيْرِ ، فَإِنَّـهُ إِلَىٰ خَبَـرِكُـمْ بِالأَشْوَاقِ . فَأَقْبَلْنَا إِلَيْكَ سِرَاعاً ، وَفَزِعْنَا مِنْهَا . وَلَمْ نَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ شَيْطَانَةً .

فَقَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَخْلِ بَيْسَانَ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟

قَالَ : أَسْأَلُكُمْ عَنْ نَخْلِهَا ، هَلْ يُثْمِرُ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ .

قَالَ : أَمَا إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ لاَ تُثْمِرَ .

قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ بُحَيْرَةِ الطَّبَرِيَّةِ . قُلْنَا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟

قَالَ : هَلْ فِيهَا مَاءٌ ؟ قَالُوا : هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ .

قَالَ : أَمَا إِنَّ مَاءَهَا يُوشِكُ أَنْ يَذْهَبَ .

قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ عَيْنِ زُغَرَ . قَالُوا : عَنْ أَيِّ شَأْنِهَا تَسْتَخْبِرُ ؟

قَالَ : هَلْ فِي الْعَيْنِ مَاءٌ ؟ وَهَلْ يَزْرَعُ أَهْلُهَا بِمَاءِ الْعَيْنِ ؟ قُلْنَا لَهُ : نَعَمْ . هِيَ كَثِيرَةُ الْمَاءِ ، وَأَهْلُهَا يَزْرَعُونَ مِنْ مَائِهَا .

قَالَ : أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ ، مَا فَعَلَ ؟

قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ ، وَنَزَلَ يَثْرِبَ .

قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ .

قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟ فَأَخْبَرْنَاهُ : أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَىٰ مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَأَطَاعُوهُ .

قَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ ذَٰلِكَ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ .

قَالَ : أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ . وَإِنِّي مُخْبِرُكُمْ عَنِّي . إِنِّي أَنَا الْمَسِيحُ .

وَإِنِّي أُوشِكُ : أَنْ يُؤْذَنَ لِي فِي الْخُرُوجِ ، فَأَخْرُجُ فَأَسِيرُ فِي الْأَرْضِ ، فَلاَ أَدَعُ قَرْيَةً ، إِلَّا هَبَطْتُهَا ، فِي أَرْبَعِينَ لَيْلَةً - غَيْرَ مَكَّةَ وَطَيْبَةَ - فَهُمَا مُحَرَّمَتَانِ عَلَيَّ ، كِلْتَاهُمَا .

كُلَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ وَاحِدَةً - أَوْ وَاحِداً - مِنْهُمَا : اسْتَقْبَلَنِي مَلَكٌ ، بِيَدِهِ السَّيْفُ صَلْتاً ، يَصُدُّنِي عَنْهَا . وَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا : مَلاَئِكَةً يَحْرُسُونَهَا .

قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم - وَطَعَنَ بِمِخْصَرَتِهِ فِي الْمِنْبَرِ - : « هَٰذِهِ طَيْبَةُ . هَٰذِهِ طَيْبَةُ . هَٰذِهِ طَيْبَةُ » - يَعْنِي : الْمَدِينَةَ - « أَلاَ هَلْ كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ ذَٰلِكَ ؟ » فَقَالَ النَّاسُ : نَعَمْ . « فَإِنَّهُ أَعْجَبَنِي حَدِيثُ تَمِيمٍ : أَنَّهُ وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ ، وَعَنِ الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ . أَلاَ إِنَّهُ فِي بَحْرِ الشَّامِ ، أَوْ بَحْرِ الْيَمَنِ . لاَ بَلْ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، مَا هُوَ . مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، مَا هُوَ . مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ ، مَا هُوَ » - وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَشْرِقِ - .

قَالَتْ : فَحَفِظْتُ هَٰذَا مِنْ رَسُولِ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم) .

(الشَّرح)

(عن عامر بن شراحيل الشعبي[1] - شعب همدان - أنه سأل فاطمة بنت قيس ، أخت الضحاك بن قيس - وكانت من المهاجرات الأول - فقال : حدثيني حديثاً سمعته[2] من رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . لا تسنديه[3] إلى أحد غيره . فقالت : لئن شئت لأفعلنّ . فقال لها : أجل . حدّثيني . فقالت : نكحت ابن المغيرة - وهو من خيار شباب قريش ، يومئذ - فأصيب ، في أول الجهاد مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم .

فلما تأيّمتُ) أي : صرتُ أَيِّما . وهي التي لازوج لها .

قال العلماء : ليس معناه : أنه قتل في الجهاد ، مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وتأيمتْ بذلك . إنما تأيمتْ بطلاقه البائن : كما ذكره مسلم في الطريق الذي بعد هذا ، وكذا ذكره في كتاب الطلاق ، وكذا ذكره المصنفون في جميع كتبهم[4] .

وقد اختلفوا في وقت وفاته ؛

فقيل : توفي مع علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ـ عقب طلاقها ـ باليمن . حكاه ابن عبد البر .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن الحسين بن ذكوان » ، من مصدر حديث الباب . المحقق .

(٢) (سمعته) . في مصدر الحديث : « سمعتيه » بزيادة ياء بعد تاء المخاطبة . وقد ذكر المؤلف في الهامش - : ما يفيد وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) ذكر المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « لا تسندينه » بإثبات النون . المحقق .

(٤) أفاده النووي ، في (١٨ /٧٨ ، ٧٩) ، المطبعة المصرية . هذا ؛ والحديث الذي يفيد أن « ابن المغيرة » طلقها ثلاثاً : تجده في صحيح مسلم (٢/ ١١١٥) دار الفكر ، في كتاب الطلاق ، باب (٦) ، حديث رقم (٣٨) . المحقق .

وقيل : بل عاش إلى خلافة عمر ، رضي الله عنه . حكاه البخاري في التاريخ[1] .

وإنما معنى قولها : « فأصيب » أي بجراحة . أو أصيب في ماله . أو نحو ذلك . هكذا تأوله العلماء[2] .

قال عياض : إنما أرادت بذلك : عدّ فضائله . فابتدأت بكونه : خير شباب قريش . ثم ذكرت الباقي[3] .

(خطبني عبد الرحمن بن عوف ، في نفر من أصحاب محمد[4] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم .

وخطبني رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : على مولاه أسامة بن زيد . وكنت قد حُدّثتُ : أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قال : « من أحبّني ، فليحبّ أسامة » .

فلما كلمني رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قلت : أمري بيدك ، فأنكحني من شئت) .

ظاهره : أن الخطبة ، كانت في نفس العدّة . وليس كذلك ، إنما كانت بعد انقضائها ، كما صرّح به في الأحاديث الواردة في كتاب الطلاق . فيتأوّل هذا اللفظ الواقع هنا : على ذلك . ويكون قوله الآتي : « انتقلي إلى أم شريك إلخ » : مقدماً على الخطبة . وعطف جملة على جملة ، من غير ترتيب .

---

(١) نفسه . المحقق .

(٢) نفسه . المحقق .

(٣) نفسه . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « رسول الله » ، بدل : « محمد » . المحقق .

(فقــال : « انتقلي إلى أم شريك » . وأم شريك : امــرأة غنية من الأنصار) . هذا قد أنكره بعض العلماء ، وقال : إنما هي قرشية ، من بني عامر بن لؤي . واسمها : « غربة » . وقيل : « غربلة » .

وقال آخرون : هما ثنتان ، قرشية ، وأنصارية[1] .

(عظيمــة النفقـة في سبيل الله . ينـزل عليهـا الضيفـان . فقلت : سأفعل . قال[2] : « لا تفعلي . إن أم شريك ، امرأة كثيرة الضيفان . فإني أكره : أن يسقط عنك خمارك ، أو ينكشف الثوب عن ساقيك : فيرى القوم منك بعض ما تكرهين . ولكن انتقلي إلى ابن عمك : عبد الله بن عمرو ابن أم مكتوم » - وهو رجل من بني فهر ، فهر قريش ، وهو من البطن الذي هي منه) - هكذا هو في جميع النسخ .

وقـوله : « ابن أم مكتوم » يكتب بالألف[3] . لأنه صفة لعبد الله ، لا لعمرو . فنسبه إلى أبيه : « عمرو » وإلى أمه : « أم مكتوم » . فجمع نسبه إلى أبويه . كما في « عبد الله بن مالك ابن بحينة » ، و « عبد الله بن أبي ابن سلول[4] » . ونظائر ذلك .

قال عياض : المعروف أنه ليس بابن عمها ، ولا من البطن الذي هي

---

(١) أفاده النووي ، في (١٨/ ٧٩ ، ٨٠) المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (قال) في مصدر الحديث : « فقال » بالفاء . وقد أثبت المؤلف - في الهامش - : ما يفيد أنه في بعض النسخ كذلك . المحقق .

(٣) (يكتب بالألف) أي لفظ : « ابن » . المحقق .

(٤) أي : كما ذكر الألف ، في كلمة « ابن » ، في كل من : « ابن بحينه » ، و « ابن سلول » لنفس السبب . المحقق .

منه . بل هي من « بني محارب بن فهر » . وهو من « بني عامر بن لؤي » . انتهى[١] .

قال النـووي : والصواب : أن ما جاءت الرواية به صحيح . والمراد بالبطن هنا : القبيلة ، لا البطن الذي هو أخص منها . والمراد : أنه « ابن عمها » مجازاً . لكونه : من قبيلتها . فالرواية صحيحة ، ولله الحمد .

(فانتقلتُ إليه . فلما انقضتْ عدّتي : سمعتُ نداء المنادي - منادي رسـول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - ينادي : الصلاة[٢] جامعة) بنصب « الصلاة[٢] وجامعة) الأول : على الإغراء . والثاني[٣] : على الحال .

(فخرجت إلى المسجد ، فصليت مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . فكنت في صفّ[٤] النساء ، الذي يلي[٥] ظهور القوم .

فلما قضىٰ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم صلاته : جلس على المنبـر - وهـو يضحـك - فقـال : ليلزم) أي : يلتـزم (كل إنسان مصلاه . ثم قال : « أتدرون[٦] لم جمعتكم ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم .

---

(١) (انتهى) أي كلام القاضي . أورده النووي ، ثم رد عليه بما يأتي ذكره بعد . انظر (١٨/٨٠) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٣) (الأول) أي لفظ : « الصلاة » . (والثاني) أي لفظ : « جامعة » . المحقق .

(٤) وضع المؤلف علامة فوق كلمة : « صف » . إشارة إلى عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) ذكر المؤلف - في الهامش - ما يفيد أنه في بعض النسخ : « في النساء اللائي يلين » . بدل : « في صف النساء الذي يلي » . المحقق .

(٦) (أتدرون) وضع المؤلف ، فوق الألف علامة : إشارة إلى حذفها في بعض النسخ . المحقق .

قال : إني ، والله ! ما جمعتكم لرغبة) أي : لأمر مرغوب فيه ، من عطاء وغنيمة .

(ولا رهبة)[1] : أي : لا لخوف[2] من عدوّ .

(ولكن جمعتكم ، لأن تميماً الداري) .

« الداري » : منسوب إلى جدّ له ، اسمه « الدار » .

(كان رجلاً نصرانياً ، فجاء فبايع وأسلم)[3] أي سنة تسع .

(وحدثني حديثاً ، وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ؛ حدثني أنه ركب في سفينة بحرية) أي : لا برية . احتراز عن الإبل ، فإنها تسمى : « سفينة البر » .

وقيل : أي مركبا كبيراً بحريًّا ، لا زورقاً صغيراً نهريّا .

وهذا معدود في مناقب « تميم » ، لأن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : روىٰ عنه هذه القصة .

وفيه[4] : رواية الفاضل عن المفضول ، ورواية المتبوع عن تابعه ، ورواية الأكابر عن الأصاغر .

وفيه[4] : قبول خبر الواحد .

(مع ثلاثين[5] رجلاً ، من لخم) : حيّ من اليمن ، (وجذام) : قبيلة من نجد .

---

(١) ذكر المؤلف – في الهامش – : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « لرهبة » بزيادة اللام . المحقق .

(٢) (أي : لا لخوف) . الأصوب : « أي : ولا لخوف » بذكر واو العطف . المحقق .

(٣) أثبت المؤلف ، في الهامش : ما يفيد أنه في بعض النسخ : « فأسلم » بالفاء . المحقق .

(٤) (وفيه) أي في هذا الحديث . المحقق .

(٥) (ثلاثين) في الأصل : « ثلثين » . المحقق .

(فلعب بهم الموج شهراً ، في البحر . ثم أرفأوا[1] إلى جزيرة) هو بالهمز . أي التجئوا[2] إليها ، ونزلوا[3] .

(في البحر حين[4] مغرب الشمس . فجلسوا في أقرُبِ السفينة) : بضم الراء . هي سفينة صغيرة . تكون مع الكبيرة : كالجنيبة ، يتصرف فيها ركاب السفينة ، لقضاء حوائجهم . الجمع : « قوارب » . والواحد : « قارب » ، بكسر الراء وفتحَها .

وجاء هنا « أقْرُب »[5] وهو صحيح ، لكنه خلاف القياس .

وقيل : المراد بأقرُب السفينة : أُخْرياتها ، وما قرب منها للنزول .

(فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابّة أَهْلَبُ ، كثير الشعر) : غليظه .

وإنما ذكّره : لأن « الدابة » تطلق على الذكر والأنثى .

---

(١) (ارفأوا) في الأصل : رسمت « ارفؤا » . والصواب ما أثبتناه . المحقق .

(٢) الصواب : « التجأوا » بهمزة فوق الألف . أما « التجئوا » فهو فعل أمر ، لا ماض . المحقق .

(٣) صنيع المؤلف يوهم أن كلمة : « ونزلوا » من صلب الحديث . وليس كذلك . وإنما هي شرح لكلمة « أرفأوا » . المحقق .

(٤) (حين) هكذا في الأصل ، كما أثبت في الهامش ما يفيد : أنه في بعض الروايات : « حيث » بدل « حين » . والذي في مصدر حديث الباب : « حتى » . وهو كذلك في صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٦٢ حديث رقم ١١٩ - (٢٩٤٢) . ط دار الفكر / بيروت . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . المحقق .

(٥) « القارب » هو السفينة الصغيرة ، كما ذكر المصنف . ويسمى أيضاً : « الزورق » . وجمعه : « قوارب » . وأما « أقْرُب » الذي ورد في الحديث . فأنا أرجّح أنه جمع « قارب » أيضاً . جاء على غير قياس . ومما يؤيد أنه جمع لا مفرد : كون عدد الجالسين واحداً وثلاثين . فيبعد أن يجلسوا جميعاً في قارب واحد ، بل في « أقُرب » أو « قوارب » . وإليك ما ذكره « ابن منظور » في لسان العرب جـ ٢ ص ١٦٣ ط المطبعة الأميرية ببولاق ، الطبعة الأولى . قال ما نصه : « القارب » السفينة الصغيرة ، مع أصحاب السفن الكبار البحرية . كالجنائب لها ، تُستخفّ لحوائجهم . والجمع : « القوارب » . وفي حديث الدجال : « فجلسوا في أقرب السفينة » . واحدها : « قارب » . وجمعه : « قوارب » . قال : فأما « أَقْرُب » فإنه غير معروف في جمع « قارب » ، إلا أن يكون على غير قياس . وقيل : « أَقْرُب السفينة : أدانيها » . أي : ما قارب إلى الأرض منها . اهـ . المحقق .

(لا يدرون ما قبله من دبره ، من كثرة الشعر . فقالوا : ويلك ! ما أنت ؟ قالت[1] : أنا الجساسة . قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : ياأيها القوم ! انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير) ، وهو صومعة الراهب .

(فإنه إلى خبركم بالأشواق) أي : شديد الأشواق إليه .

(قال : لما سمّتْ لنا رجلا ، فرقنا) . أي : خفنا (منها ، أن تكون شيطانة . قال : فانطلقنا سراعاً) أي : سارعين[2] .

(حتى دخلنا الدّير ، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه - قطّ - خَلْقا ، وأشدّه وثاقاً) أي : قيداً . من السلاسل والأغلال .

(مجموعة يداه إلى عنقه - ما بين ركبتيه إلى كعبيه - بالحديد . قلنا : ويلك ! ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري . فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ، ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر، حين اغتلم) أي : هاج ، وجاوز حدّه المعتاد .

وقال الكسائي : « الاغتلام » : أن يتجاوز الإنسان ماحُدَّ له« من الخير والمباح » .

(فلعب بنا الموج شهراً . ثم أرفينا[3] إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقرُبها ، فدخلنا الجزيرة ، فلقينا[4] دابة أهلب ، كثير الشعر ، لا ندري[5] ما

---

(١) في مصدر الحديث : « فقالت » بالفاء . بدل : « قالت » . المحقق .

(٢) (سارعين) أي : عجلين ، مسرعين . المحقق .

(٣) (أرفينا) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « أرفأنا » . وقد أشار المؤلف في الهامش : إلى وروده كذلك ، في بعض النسخ . والمعنى واحد . المحقق .

(٤) (فلقينا) . في مصدر الحديث : (فلقيتنا) . وقد أفاد المؤلف في الهامش : أنه كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) (لاندري) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « لا يُدرىٰ » بالبناء للمجهول . المحقق .

قبله من دبـره : من كثـرة الشعر . فقلنا : ويلك ! ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة) بفتح الجيم ، وتشديد السين المهملة . قيل : سميت بذلك : لتجسّسها الأخبار للدجال .

وجاء عن « عبد الرحمن بن عمرو بن العاص » : أنها دابة الأرض ، المذكورة في القرآن . قاله النووي[1] . والظاهر : أن هذه غير هذه . والله أعلم .

(قلنا . وما الجساسة ؟ قالتْ : اعمِدوا إلى هذا الرجل في الدير ، فإنه إلى خبـركم بالأشـواق . فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها . ولم نأمن أن تكون[2] شيطانة . فقال : أخبروني عن نخل بيسان) : بفتح الباء وسكون الياء : « قرية بالشام » . ذكره الطيبي .

وقيل : قرية من « أردن » . قاله ابن الملك .

وفي القاموس : قرية بمرو ، وبالشام ، وموضع باليمامة .

(قلنـا : عن أي شأنها[3] تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها ، هل يثمر ؟ قلنا : نعم . قال : أما إنها[4] يوشك أن لا تثمر .

قال : أخبروني عن بحيرة طبرية[5] « البحيرة » : تصغير « بحر » . و « الطّبريّة » : قصبة بالأردن . والنسبة إليها : « طبراني » .

---

(١) تجده في النووي / مسلم جـ ١٨ ص ٧٨ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (ولم نأمن أن تكـون) ، أشـار المؤلف - في الهـامش - إلى أنه في بعض النسخ : « ولم نأمن من أن تكون » : بزيادة « من » . المحقق .

(٣) (شأنها) في الأصل : « شانها » بتسهيل الهمزة . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : (إنه) بدل : « إنها » . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث : « الطبرية » بزيادة « ال » . المحقق .

(قلنا : عن أي شأنها[1] تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال : أخبروني عن عين زغر) : بضم الزاي وفتح المعجمة ، ثم راء « هي بلدة معروفة » ، في الجانب القبلي من الشام[2] ، قليلة النبات . سميت باسم ابنة لوط : « زغر » ، لأنها نزلت بها . ووزنها : زُمَر[3] .

(قالوا : عن أيّ شأنها[1] تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا[4] : نعم . هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال : أخبروني عن نبي الأميين) أي : العرب . أضافه إليهم « باعتبار بعثه صلى الله عليه وآله وسلم ، فيهم » .

وقيل : أراد طعناً عليه : بأنه مبعوث إليهم خاصّة ، كما هو زعم يهود . أو بأنه غير مبعوث إلى ذوي الفطنة والكياسة . قاله ابن الملك ، والأول : أولى .

(مافعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ، ونزل يثرب[5] . قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه : أنه قد ظهر على من يليه من العرب ، وأطاعوه[6] . قال : قال لهم[7] : قد كان ذاك[8] ؟

---

(١) (شأنها) في الأصل : « شانها » بتسهيل الهمزة . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، بالمصدر المتقدم ، ص ٨٢ . المحقق .

(٣) (زمر) على وزن : « فُعَل » ، بضم الفاء وفتح العين . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « قلنا له » بزيادة : « له » . المحقق .

(٥) ذكر المؤلف في الهامش ، ما يفيد أنه في بعض النسخ : « بيثرب » بدل : « يثرب » . المحقق .

(٦) أشار المؤلف - في الهامش - إلى وروده في بعض النسخ : « فأطاعوه » بالفاء بدل الواو . المحقق .

(٧) (قال : قال لهم) هكذا في الأصل بزيادة « قال » . المحقق .

(٨) (ذاك) في مصدر الحديث : « ذلك » . المحقق .

قلنا : نعم . قال : أما إن ذاك خير لهم ، أن يطيعوه) .

فيه : دلالة على أنه عارف بفضله وصدقه ، صلى الله عليه وآله وسلم . وإنما يجحد كفراً وعناداً ، كما هو شأن[1] اليهود .

أو المراد : الخيرية في الدنيا .

أو أنه لمّا لم يكن له غرض في إظهار كفره وإنكاره ، صلى الله عليه وآله وسلم : أخفاه ، ولم يصرّح به . كذا في « اللمعات » .

(وإني مخبركم عنّي : أنا المسيح الدجال[2] ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج ، فأخرج فأسير في الأرض ، فلا أدع) أي : أترك[3] (قرية ، إلا هبطتها ، في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة) هي المدينة . ويقال لها أيضاً : « طابة » . (فهما محرّمتان عليّ كلتاهما . كلما أردت أن أدخل واحدة - أو واحداً - منهما استقبلني ملك ، بيده السيف صلتا) : بفتح الصاد وضمها . أي : مسلولا .

(يصدّني عنها . وإنّ على كل نقب) أي طريق في الجبل (منها : ملائكة يحرسونها . قالت[4] : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - وطعن بمخصرته) : هو ما يتوكأ عليها . نحو العصا ، والسوط ،

---

(١) (شأن) في الأصل : « شان » بتسهيل الهمزة . المحقق .

(٢) (أنا المسيح الدجال) هكذا في الأصل ؛ والوارد في مصدر الحديث : « إني أنا المسيح » ، بزيادة : « إني » . وبدون لفظ : « الدجال » . وفي هامش الأصل : « أخبركم عن أني » . ولعل كلمة : « الدجال » وردت زائدة ، في بعض النسخ ، (لا على أنها من مقول الدجال نفسه ؛ إذ يستبعد أن يصف نفسه بأنه : « دجال » . المحقق .

(٣) أي : فلا أترك . المحقق .

(٤) (قالت) أي : « فاطمة بنت قيس » ، التي سمعت هذا الحديث من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . هذا ؛ وفي هامش الأصل ما يفيد أنه في بعض النسخ : « قال » بدل : « قالت » . والضمير في « قال » عائد إلى : « عامر بن شراحيل الشعبي » ، الراوي عن « فاطمة » المذكورة . المحقق .

والقضيب . (في المنبر - : « هذه طيبة . هذه طيبة . هذه طيبة » : يعني المدينة . « ألا هل كنت قد[1] حدثتكم ذلك ؟ » فقال الناس : نعم . « فإنه أعجبني حديث تميم : أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه ، وعن المدينة ومكة . ألا إنه في بحر الشام ، أو بحر اليمن . لا ، بل من قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ، ماهو . من قبل المشرق ، ماهو ») .

قال عياض : لفظة « ماهو » زائدة ، صلة للكلام . ليست بنافية . والمراد : إثبات أنه في جهات المشرق[2] . (وأومىٰ[3] بيده إلى المشرق) .

قال في « اللمعات » : لمّا أبهم الله تعالى أمر الساعة ، وأوقات ظهور أماراتها بالتعيين - ولهذا وقع الاختلاف في الأحاديث في ترتيبها - : أبهم[4] مكان الدجال موثّقاً مردّداً ، بين هؤلاء الأمكنة الثلاثة[5] ، مع غلبة الظن في آخرها . وهو أيضاً غير متعيّن . بل الذي علم : « كونه قبل المشرق » . وهذا معنى نفي الأولين[6] ، وإثبات الثالث[7] .

---

(١) في مصدر الحديث بدون كلمة « قد » . وصنيع المؤلف يفيد أنه في بعض النسخ بدونها . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في ص ٨٣ ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « وأومأ » بدل : « وأومىٰ » . المحقق .

(٤) (أبهم .. إلخ) جواب « لمّا » . وقوله : (ولهذا وقع الاختلاف) إلىٰ قوله : « في ترتيبها » : جملة معترضة . أي : لما أبهم الله أمر الساعة ... إلخ : أبهم مكان الدجال ، باعتباره من علامات الساعة الكبرى . المحقق .

(٥) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

(٦) (نفي الأولين) وهما « بحر الشام ، وبحر اليمن » . المحقق .

(٧) (الثالث) هو « كونه من قبل المشرق » . المحقق .

ويمكن أن يكـون هذا التـرديد : لأجـل أنـه ينقل من بعضها ، إلى بعض . وقيل « ما[1] زائدة . أي : يدخل من قبل المشرق ، هو .

وقيل : بمعنى الذي . أي الذي هو فيه . انتهى . والله أعلم .

(قالت[2] : فحفظت هذا من رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم) .

قال في (الإذاعـة) : محل خروجه : « المشرق » جزماً . كما قاله الترمذي في (الديباجة) ، وابن حجر (في الفتح) .

وفي رواية : يخرج من « أصفهان » . أخرجه مسلم[3] .

وفي أخرى : « من خراسان » .

قال : ووقته « بعد فتح القسطنطينية » . ومدّته : « أربعون » ، لا شطط ولا وكس . كما في مسلم . انتهى .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (باب قصة الجساسة) .

---

(١) (ما) أي في قوله : « ما هو » . المحقق .

(٢) (قالت) أي : « فاطمة بنت قيس » . المحقق .

(٣) قال صاحب الفتح ، جـ ١٣ باب (٢٦) ، ص ٩١ ، تحقيق وتصحيح الشيخ « ابن باز » ؛ قال مانصه : وأما من أين يخرج ؟ فمن قِبَل المشرق (جزماً) . ثم جاء في رواية : « أنه يخرج من خراسان » . أخرج ذلك : أحمد ، والحاكم ، من حديث « أبي بكر » . وفي أخرى : « أنه يخرج من أصبهان » ، أخرجها مسلم . اهـ . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ ؛ حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ ، إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الـدَّجَالُ ، إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ . وَلَيْسَ نَقْبٌ مِنْ أَنْقَابِهَا ، إِلاَّ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ صَافِّينَ ، تَحْرُسُهَا . فَيَنْزِلُ بِالسِّبْخَةِ ، فَتَرْجُفُ الْمَدِينَةُ ثَلاَثَ رَجَفَاتٍ ، يَخْرُجُ إِلَيْهِ مِنْهَا : كُلُّ كافِرٍ ، وَمُنَافِقٍ ») .

(الشَّرح)

(عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : ليس من بلد ، إلا سيطؤه[2] الدجال ، إلا مكة والمدينة . وليس نقب من أنقابها ، إلا عليه الملائكة صافّين : تحرسها) .

وفي حديث « أبي بكرة » ، عند البخاري يرفعه : « لَا يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ . لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ، عَلَىٰ كُلِّ بَابٍ : مَلَكَانِ »[3] .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول « عن إسحاق » ، هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (سيطؤه) . في الأصل : « سيطأه » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) هذا الحديث تجده ، في الفتح برقم (٧١٢٥) ، كتاب الفتن جـ ١٣ ، ص ٩٠ ، تصحيح وتحقيق ابن باز بنفس اللفظ ، إلا أنه قال : « ولها » بزيادة واو ، في هذه الرواية . أما « لها » بدون واو ، ففي الحديث الذي بعده مباشرة ، أي : رقم (٧١٢٦) . المحقق .

(فينزل بالسبخة ، فترجف المدينة ثلاث[1] رجفات ، يخرج إليه منها : كل كافر ، ومنافق) .

وفي رواية أخرى : (قال : « فَيَأْتِي سِبْخَةَ الْجُرُفِ ، فَيَضْرِبُ رِوَاقَهُ » وقال : « فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ كُلُّ مُنَافِقٍ وَمُنَافِقَةٍ »[2]) .

فيه : بيان صيانة الحرمين الشريفين (زادهما الله تعظيماً) : عن فتنة الدجال ، وأن أهل الكفر والنفاق : يخرجهم الله تعالى من بلد رسوله ، صلى الله عليه وسلم : بالرجفات ، فلا يبقى فيه إلا مؤمن . وهذا علم من أعلام النبوة .

بَابُ : يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْفَهَانَ : سَبْعُونَ أَلْفًا

وقال النووي : (باب في بقية من أحاديث الدجال) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ص ٨٥ ، ٨٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، رضي الله عنه[3] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قَالَ : « يَتْبَعُ الدَّجَّالَ - مِنْ يَهُودِ أَصْفَهانَ[4] - : سَبْعُونَ أَلْفًا ، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ ») .

---

(١) (ثلاث) في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٢) هذه الرواية ، تجدها في صحيح مسلم / النووي ، ص ٨٥ جـ ١٨ ،أي :مصدر حديث الباب . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « أصبهان » بالباء ، بدل الفاء . وقد أشار المؤلف في الهامش ، إلى أنه بالباء ، في بعض النسخ . المحقق .

(الشرح)

قال النووي : هكذا هو في جميع النسخ ببلادنا ، « سبعون » : بسين وموحّدة . وكذا نقله عياض ، عن رواية الأكثرين .

قال[١] : وفي رواية « ابن ماهان » : « تسعون » بالتاء ، قبل السين . والصحيح المشهور : الأول[٢] .

(وإصبهان) : بفتح الهمزة وكسرها ، وبالباء والفاء . انتهى[٣] .

(والطيالسة) : جمع « طيلسان » ، وهو معرب « تالسان » : ثوب معروف .

وقد احتجّ ابن القيم على ذمّ لبس الطيلسان : بهذا الحديث ، وبما روي عن أنس : أنه رأى جماعة عليهم الطيالسة ، فقال : « مَا أَشْبَهَ هَـٰؤُلَاءِ بِيَهُودِ خَيْبَرَ ! » .

وأجاب عنه في (فتح الباري) : أن الطيالسة في ذلك الوقت ، كانت من شعار اليهود ؛ فأنكر ذلك « أنس » ، ثم ارتفع في هذه الأزمنة ، فتدخل في عموم المباحات . وقد ثبت في أحاديث كثيرة : التطلّس والتقنّع ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، والصحابة . انتهى[٤] .

---

(١) (قال) أي : النووي ، بص ٨١ نفس المصدر . المحقق .

(٢) (الأول) وهو : « سبْعون » . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٤) نصّ رواية البخاري - كما في الفتح ، جـ ٧ ص ٤٧٥ ، حديث رقم (٤٢٠٨) ، باب (٣٨) ، المغازي **تصحيح وتحقيق ابن باز** - : (عَنْ أَبِي عِمْرَانَ ؛ قَالَ : نَظَرَ أَنَسٌ إِلَى النَّاسِ ، يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَرَأَىٰ طَيَالِسَةً ، **فَقَالَ : كَأَنَّهُمْ** - السَّاعَةَ - **يَهُودُ خَيْبَرَ** » .

وذكر صاحب الفتح رواية أخرى (عند ابن خزيمة ، وأبي نعيم) ؛ نصّها : أَنَّ أَنساً قَالَ : « مَا شَبَّهْتُ النَّاسَ =

قلت : حديث الباب : إخبار عن زيهم[1] . وليس فيه : ذم الطيلسان . نعم . نهى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم عن التشبه بأهل الكتاب ، فينبغي الاحتراز عن زيّهم ، لا سيما ما كان منه مختصّاً بهم ، من دون تقييد بزمان ماض وآت . والله أعلم ، وعلمه أتمّ وأحكم .

بَابٌ فِي فِرَارِ النَّاسِ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الْجِبَالِ، وَقِلَّةِ الْعَرَبِ يَوْمَئِذٍ

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : أَخْبَرَتْنِي أُمُّ شَرِيكٍ ؛ أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « لَيَفِرَّنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ ، فِي الْجِبَالِ ». قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : « هُمْ قَلِيلٌ ») .

(الشَّرح)

(عن أم شريك ؛ أنها سمعت النبيّ صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛

= الْيَوْمَ - فِي الْمَسْجِدِ - وَكَثْرَةَ الطَّيَالِسَةِ : إِلَّا بِيَهُودِ خَيْبَرَ » . ثم قال صاحب الفتح : والذي يظهر : أن يهود خيبر كانوا يكثرون من لبس الطيالسة . وكان غيرهم من الناس - الذين شاهدهم أنس - : لا يكثرون منها . فلما قدم البصرة : رآهم يكثرون من لبس الطيالسة ، فشبههم بيهود خيبر . ولا يلزم من هذا : كراهية لبس الطيالسة . ثم قال : وقيل : المراد بالطيالسة : (الأكسية) . وإنما أنكر ألوانها ، لأنها كانت صفراء . اهـ . المحقق .

(١) (زيهم) في الأصل : « ذيهم » بالذال . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

يقول : « ليفرنّ الناس من الدجّال ») أي عند خروجه في آخر الزمان .

(في الجبال . قالت أم شريك : يارسول الله ! فأين العرب) أي الذين شأنهم : الجهاد في سبيل الله ، والذبُّ[1] عن دينه ، (يومئذ ؟ قال : هم قليل) .

قال السفاريني : ورد أنه لم يبق من الناس بلا فتنة من الدجال ، إلا اثنا عشر ألف رجل ، وسبعة آلاف امرأة . انتهى .

وفي كتابنا (الإذاعة) : لا نجاة منه : إلا بالعلم والعمل ؛

أما العلم : فبأن يعلم أنه يأكل ويشرب ، وأنه لخسّته وعجزه : أعور ، وهو جسم مرئي .. وأنّ الله منزّه عن ذلك .

وهذه[2] كلها لا تجوز عليه سبحانه .

وأما العمل : فبأن يلتجئ إلى أحد الحرمين ، أو إلى المسجد الأقصى ، أو إلى مسجد طُوًى[3] . وبأن يقرأ عشر آيات من أول سورة

---

(١) (الذبّ)أي : الدّفاع . المحقق .

(٢) مرجع الضمير في كلمة « هذه » : هو أنه يأكل ويشرب ، وأنه لخسّته وعجزه : أعور ، وأنه جسم مرئي . المحقق .

(٣) عثرت على حديث بمجمع الزوائد ، المجلد (٤) ص ٣٤٣ ، ط دار الكتاب العربي ببيروت ، نصه : (عن جنادة بن أمية ؛ قال : أتينا رجلاً من الأنصار ، من أصحاب النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فدخلنا عليه ، فقلنا : حدّثنا ما سمعت من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا تحدّثنا ما سمعت من الناس ، فشدّدْنا عليه ؛ فَقَالَ : قَامَ رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وسلم فِينَا ؛ فَقَالَ : « أُنْذِرُكُمُ الْمَسِيحَ ، وَهُوَ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ (أَحْسِبُه قَالَ : العين الْيُسْرَىٰ) ، تَسِيرُ مَعَهُ جِبَالُ الْخُبْزِ ، وَأَنْهَارُ الْمَاءِ - عَلاَمَتُهُ - يَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ : أَرْبَعِينَ صَبَاحاً ، يَبْلُغُ سُلْطَانُهُ كُلَّ مَنْهَلٍ ، لاَ يَأْتِي أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ : (الْكَعْبَةَ ، وَمَسْجِدَ الرَّسُولِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَالْمَسْجِدَ الأَقْصَىٰ ، وَالطُّورَ) ، وَمَهْمَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ ؛ فَاعْلَمُوا : أَنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، لَيْسَ بِأَعْوَرَ » قال ابن عون : أحسبه قال : « يُسَلَّطُ عَلَىٰ رَجُلٍ ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ ، وَلاَ يُسَلَّطُ عَلَىٰ غَيْرِهِ ». قال الهيثمي - بالمصدر الموضح عاليه - : رواه أحمد ، ورجاله : رجال الصحيح . المحقق .

الكهف . أخرجه مسلم[1] . وبأن يَتْفُل في وجهه . رواه الطبراني عن أبي أمامة ، مرفوعاً[2] . وبأن يهرب منه في الجبال والبراري . وأنه أكثر مايدخل القرى[3] ، وقاتله عيسى ، عليه السلام .

بَابُ : مَا بَيْنَ خَلقِ آدمَ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ ، خَلْقٌ أكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ

وهو في النووي ، في الباب المشار إليه .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلاَلٍ ؛ عَنْ رَهْطٍ،مِنْهُمْ : أَبُو الدَّهْمَاءِ ، وَأَبُو قَتَادَةَ ؛ قَالُوا : كُنَّا نَمُرُّ عَلَىٰ هِشَامِ بْنِ عَامِرٍ - نَأْتِي عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنٍ - فَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ : إِنَّكُمْ لَتُجَاوِزُونِي إِلَىٰ رِجَالٍ ، مَا كَانُوا بِأَحْضَرَ لِرَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم ، مِنِّي . وَلاَ أَعْلَمَ بِحَدِيثِهِ ، مِنِّي . سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ : « مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ : خَلْقٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ ») .

---

(١) حديث مسلم ، في كتاب صلاة المسافرين ، باب (٤٤) ، صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٥٥ حديث رقم ٢٥٧ - (٩٠٨) . ونصه : (عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ : عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ ») . المحقق .

(٢) في كتاب (الإشاعة ، لأشراط الساعة) للإمام محمد بن عبد الرسول الحسيني (البرزنجي) ، تحقيق موفق فوزي الجبر ، ط أولى سنة ١٩٩٣ دار الهجرة للطباعة والنشر ص ٢٠٩ ومابعدها : ذكر البرزنجي هذا الحديث عن أبي أمامة مرفوعاً : « فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ ، فَلْيَتْفُلْ فِي وَجْهِهِ » قال : رواه الطبراني . وزاد بعده : « وبالتسبيح ، والتهليل ، والتكبير ، فإنه قوت المؤمن ، في ذلك القحط » . وإنّ من ابتلي به : فليثبت وليصبر . وإن رماه في النار : فليغمض عينيه ، وليستعن بالله : تكن عليه برداً وسلاماً . اهـ . المحقق .

(٣) أفاده المصدر المتقدم . المحقق .

(الشرح)

(عن حميد بن هلال ، عن رهط ؛منهم: أبو الدهماء ، وأبو قتادة ؛ قالوا : كنا نمرّ على هشام بن عامر ، فأتى[1] عمران بن حصين) رضي الله عنه ، (فقال ذات يوم : إنكم لتجاوزون[2] إلى رجال ، ما كانوا بأحضر لرسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، مني . ولا أعلم بحديثه ، مني . سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يقول : « ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة : خلق أكبر من الدجال ») .

قال النووي : المراد : أكبر فتنة ، وأعظم شوكة . انتهى[3] .

قال عياض : هٰذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره ، في قصة الدجال : حُجّة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده ، وأنه شخص بعينه : ابتلى الله به عباده ، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى - من إحياء الميّت الذي يقتله ، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه ، وجنته وناره ونهريه ، واتّباع كنوز الأرض له ، وأمره السماء : أن تمطر ، فتمطر . والأرض : أن تنبت ، فتنبت - فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته ، يعجزه الله بعد ذلك ، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ، ولا غيره . ويبطل أمره ، ويقتله عيسى عليه السلام ، ويثبّت الله الذين آمنوا . هذا مذهب أهل السنة ، وجميع المحدّثين والفقهاء والنظار ، - خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره (من الخوارج ، والجهمية ، وبعض المعتزلة) ، وخلافاً للنجاري المعتزلي

---

(١) (فأتى) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « نأتي » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « لتجاوزوني » بياء المتكلم . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، وهو بص ٨٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية . المحقق .

وموافقيه : من الجهمية وغيرهم - في أنه[1] صحيح الوجود . ولكن الذي يُدّعىٰ : مخارف وخيالات لا حقائق لها . وزعموا : أنه لو كان حقّاً ، لم يوثق بمعجزات الأنبياء عليهم السلام . وهذا غلط من جميعهم ، لأنه لم يدّع النبوة ، فيكون ما معه كالتصديق له . وإنما يدّعي الإلـٰهية ، وهو في نفس دعواه مكذّب لها : بصورة حاله ، ووجود دلائل الحدوث فيه ، ونقص صورته ، وعجزه عن إزاله العور الذي في عينيه ، وعن إزالة الشاهد بِكُفْره : المكتوب بين عينيه .

ولهـذه الـدلائل وغيرها : لا يغترّ به إلا رِعاعٌ من الناس لسدّ الحاجة والفاقة ، رغبة في سدّ الرمق ، أو تقيّة ، أو خوفاً من أذاه : لأن فتنته عظيمة جدّاً ، تدهش العقـول وتحيرّ الألبـاب ، مع سرعـة مروره في الأمر ، فلا يمكث بحيث (يتأمل الضعفاء حاله ، ودلائل الحدوث فيه ، والنقص) ، فيصدّقه من صدّقه في هذه الحالة . ولهذا حذّرت الأنبياء عليهم السلام من فتنته ، ونبّهوا على نقصه ودلائل إبطاله . وأما أهل التوفيق ، فلا يغترّون به ، ولا يُخدعون لما معه : لما ذكرنا من الدلائل المكذّبة له ، مع ما سبق لهم من العلم بحاله . ولهذا يقول له الذي يقتله ثمَّ يحييه : ما ازددتُ فيك إلا بصيرة . هذا آخر كلام القاضي (رحمه الله)[2] .

---

(١) الضمير في (أنه) يرجع إلى الدجال . أي أن المذكورين من الخوارج ، والجهمية ، وبعض المعتزلة : يعترفون بصحة وجود الدجّال ، ولكنهم ينكرون ما ينسب إليه : من إحياء القتيل الذي يقتله ، وغير ذلك مما وردت به الأحاديث الصحيحة ، ويعتبرونه من طريق الشعوذة والخيالات ، التي لا حقائق لها . المحقق .

(٢) ذكر النووي كلام القاضي هذا : بالمصدر المتقدم ، ص ٥٨ ، ٥٩ . هذا ؛ وجملة (رحمه الله) ، رمز إليها في الأصل بالحرفين (رح) . المحقق .

وقد بسطت القول في هذا ، في كتابي (حجج الكرامة) .

قال المحاربي : ينبغي أن يدفع حديث الدجال إلى المؤدّب ، حتى يعلمه الصبيان في الكتاب . انتهى[1] .

وقد ورد : أن من علامات خروجه : نسيان ذِكْره على المنابر[2] . وهذه العلامة ، قد صارت مشاهدة من زمن طويل ، اللهم ! احفظنا من جميع البليات .

بَابُ نُزُولِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، وَكَسْرِ الصَّلِيبِ، وَقَتْلِ الْخِنْزِيرِ

وذكره النووي ، في الجزء الأول ، في : (باب بيان نزول عيسى بن مريم حاكماً : بشريعة نبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإكرام الله تعالى هذه الأمة « زادها الله شرفاً » ، وبيان الدّليل على أن هذه الملة لا تنسخ ، وأنه لاتزال طائفة منها ظاهرين على الحق ، إلى يوم القيامة)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٢ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

---

(١) (انتهى) أي كلام المحاربي . المحقق .

(٢) عن الصعب بن جثامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « لَا يَخْرُجُ الدَّجَّالُ ، حَتَّى يَذْهَلَ النَّاسُ عَنْ ذِكْرِهِ ، وَحَتَّىٰ تَتْرُكَ الأَئِمَّةُ ذِكْرَهُ عَلَى الْمَنَابِرِ » . قال الهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/٣٣٥) : رواه عبدالله بن أحمد ، من رواية (بقية) ، عن (صفوان بن عمرو) ، وهي صحيحة ، كما قال (ابن معين) . وبقية رجاله : ثقات . المحقق .

(٣) هذا العنوان ، مذكور بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٩ جـ ٢ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « وَاللّهِ ! لَيَنْـزِلَنَّ ابْنُ مَرْيَمَ ، حَكَمـاً عَادِلًا ؛ فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ ، وَلَيَقْتُلَنَّ الْخِنْزِيرَ ، وَلَيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ ، وَلَتُتْرَكَنَّ الْقِلَاصُ : فَلَا يُسْعَىٰ عَلَيْهَا . وَلَتَذْهَبَنَّ الشَّحْنَاءُ ، وَالتَّبَاغُضُ ، وَالتَّحَاسُدُ ، وَلَيَدْعُوَنَّ إِلَى الْمَالِ ، فَلَا يَقْبَلُهُ أَحَدٌ ») .

(الشرح)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال[1] : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : والله ! لينـزلنّ ابن مريم حكمـا عادلاً) أي : ينزل حاكماً بهذه الشريعة ، لا ينزل نبيّا برسالة مستقلة وشريعة ناسخة ، بل هو حاكم من حكام هذه الأمة عادل .

(فليكسرنّ الصليب) أي : يكسره حقيقة ، ويبطل ما يزعمه النصارى من تعظيمه .

وفيه : دليل على تغيير المنكرات ، وآلات الباطل .

(وليقتلن الخنزير) ، وهو أيضاً من قبيل تغيير المناكير .

قال النووي : وفيه دليل للمختار ، من مذهبنا ومذهب الجمهور : أنّا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها ، وتمكّنا من قتله : قتلناه .

---

(١) في مصدر الحديث : « أنه قال » بزيادة : « أنه » . هذا ؛ ولم يذكر لفظ « رضي الله عنه » بمصدر الحديث . المحقق .

وإبطال[1] لقول من شذّ من أصحابنا وغيرهم ، فقال : يترك إذا لم يكن فيه ضراوة[2] .

(وليضعن الجزية) . قال النووي : الصواب في معناه : أنه لا يقبلها ، ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام ، ومن بذل منهم الجزية : لم يكف عنه بها . بل لا يقبل إلا الإسلام ، أو القتل . هكذا قاله الخطابي وغيره من العلماء ، رحمهم الله تعالى . وحكى عياض عن بعض العلماء معنى هذا ، ثم قال : وقد يكون فيض المال هنا من وَضْع الجزية ، وهو ضَرْبُها على جميع الكفرة . فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها . وانقياد جميع الناس له : إما بالإسلام ، وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ، ويضربها . انتهى[3] .

قال النووي : وليس بمقبول . والصواب ماقدمناه ؛ وهو أنه لا يقبل منه[4] إلا الإسلام . فعلىٰ هذا قد يقال : هذا خلاف حكم الشرع اليوم ، فإن الكتابي إذا بذل الجزية : وجب قبولها ولم يجز قَتْله ، ولا إكراهه على الإسلام .

وجوابه : أنّ هذا الحكم ليس بمستمرّ إلى يوم القيامة ، بل هو مقيّد بما قبل نزول عيسى عليه السلام . وقد أخبرنا النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم (في هذه الأحاديث الصحيحة) : بنسخه . وليس عيسى عليه السلام هو

---

(١) (وإبطال) أي وفي الحديث دليل - أيضاً - على إبطال قول من شذّ . . . إلخ . المحقق .

(٢) في الأصل : « إذا لم يكن ضراوة » بدون كلمة « فيه » . ويبدو أنها سقطت من الناسخ . هذا ؛ والضمير في « فيه » عائد إلى « الخنزير » ، أي إذا لم يكن فيه شدّة وخطورة . وكلام النووي هذا تجده ، في ص ١٩٠ بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (انتهى) أي كلام عياض ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (منه) أي من الكافر . المحقق .

الناسخ ، بل نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، هو المبيّن للنسخ . فإن عيسى يحكم بشرعنا ، فدلّ على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت : هو شرع نبيّنا ، صلى الله عليه وآله وسلم .

(وليتركن القلاص)[١] بكسر القاف : (جمع قلوص بفتحها) وهي من الإبل : كالفتاة من النساء ، والْحَدَث[٢] من الرجال .

ومعناه : يزهد فيها ، ولا يرغب في اقتنائها : لكثرة الأموال ، وقلة الآمال ، وعِدم الحاجة ، والعلم بقرب القيامة .

وإنما ذكرت « القلاص » : لكونها أشرف الإبل ، التي هي أنفس الأموال عند العرب . وهو شبيه بمعنى قول الله عزّ وجل : « وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ[٣] » .

(فلا يسعى عليها) معناه : لايُعتنى[٤] بها . أي : يتساهل أهلها فيها ، ولا يعتنون بها . هذا هو الظاهر .

وقال عياض وصاحب المطالع : معناه : لا تُطلب زكاتها ، إذ لا يوجد من يقبلها . وهذا تأويل باطل من وجوه كثيرة ، تفهم من هذا الحديث وغيره . بل الصواب : ما قدمناه ، والله أعلم . قاله النووي[٥] .

---

(١) (وليتركنّ القلاصَ) هكذا في الأصل ، بالبناء للفاعل ، وفي مصدر الحديث : « ولتتركنّ القلاصُ » بالبناء للمفعول ، فعلى الأول تكون لفظ « القلاص » مفعولا به منصوباً ، وعلى الثاني : نائب فاعل مرفوعاً . المحقق .

(٢) (الحدَث) أي الشابّ الصغير السنّ . المحقق .

(٣) الآية : (٤) من سورة التكوير . المحقق .

(٤) (لا يعتنى) . في الأصل : « لا يعتني » بالياء المعجمة ، أي بالبناء للفاعل . والصواب بالبناء للمفعول كما أثبتناه . المحقق .

(٥) تجده بص ١٩٢ ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(ولتـذهبنّ الشحنـاء) والمراد به : العداوة (والتباغض والتحاسد ، وليدعـونّ) أي الناس . هو[1] بضم العين ، وفتح الواو ، وتشديد النون . (إلى المال فلا يقبله أحد) لما ذكرناه : من كثرة الأموال ، وقلّة الآمال ، وعدم الحاجة ، وقلة الرغبة: للعلم[2] بقرب الساعة .

وفي رواية أخـرى ، عن أبي هريرة أيضـاً ، عنـد مسلم (يرفعـه) ؛ بلفظ : « وَالَّـذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْـزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ : حَكَماً مُقْسِطاً ، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ ، وَيَفِيضُ الْمَالُ حَتَّىٰ لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ »[3] . ومعنى « يفيض » : يكثر . أي : تنزل البركات . وتكثـر الخيرات (بسبب العـدل ، وعدم التّظالم ، وتقيء[4] الأرض أفلاذ كبـدهـا ، كمـا جاء في الحـديث الآخر[5] . وتقل أيضاً الرغبات : لقصر الآمـال ، وعِلْمِهم بقـرب السـاعـة . فإنّ عيسى عليه السـلام من أعلام الساعة . والله أعلم .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في الباب المشار إليه .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٣ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

---

(١) (هو) أي ، لفظ : « وليدعونّ » . المحقق .

(٢) (وقلة الرغبة للعلم . . إلخ) أي : وقلّة الرغبة في المال، لعلمهم بقرب الساعة . المحقق.

(٣) هذه الرواية تجدها بص ١٨٩ ، ١٩٠ بنفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (وتقيء) في الأصل : « وتقئ » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٥) هكذا قال النووي بص ١٩١ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ ، فَأَمَّكُمْ مِنْكُمْ ؟ » فَقُلْتُ لِا بْنِ أَبِي ذِئْبٍ : إِنَّ الأَوْزَاعِيَّ حَدَّثَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ : « وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ » . قَالَ ابْنُ أَبِي ذِئْبٍ : تَدْرِي : مَاأَمَّكُمْ مِنْكُمْ ؟ قُلْتُ : تُخْبِرُنِي . قَالَ : فَأَمَّكُمْ بِكِتَابِ رَبِّكُمْ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ، وَسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، صلى الله عليه وسلم) .

(الشرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، قال : « كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم ، فأمّكم منكم ؟ » فقلت[1] لابن أبي ذئب : إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري ، عن نافع ، عن أبي هريرة : « وإمامكم منكم » . قال ابن أبي ذئب : أتدري[2] ما أمّكم منكم ؟ قلت : تخبرني . قال : فأمّكم بكتاب ربكم[3] وسنة نبيكم ، صلى الله عليه) وآله (وسلم) .

هذا تصريح بأن عيسى عليه السلام ، يحكم بشرعنا ، ويقضي بالكتاب والسنة ، لا بغيرهما (من الإنجيل ، أو الفقه المصطلح ، وكتب الرأي) .

---

(١) (فقلتُ) القائل هو « الوليد بن مسلم » ، الراوي لهذا الحديث عن ابن أبي ذئب ، عن ابن شهاب ، عن نافع (مولى أبي قتادة) ، عن أبي هريرة . المحقق .

(٢) (أتدري) . في مصدر الحديث : « تدري » ، بحذف همزة الاستفهام . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث بزيادة : « تبارك وتعالى » . المحقق .

وفي رواية أخرى ، عن أبي هريرة يرفعه : « كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ ، وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ ؟ »[1] . أي : من قريش .

قيل : المراد بالإمام هنا : « المهدي » عليه السلام ، لدلالة الأحاديث الأخرى ، التي وردت في ذكر ظهوره ، وبلغت حدّ التواتر . وأنّ عيسى عليه السلام يقتدي به في الصلاة[2] .

وقد جمعْتُ هذه الأخبار والآثار في ذكر المهدي ، في (الإذاعة)[3] . فبلغت : اثنين وستين حديثاً .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في الجزء الأول من النووي ، في الباب المذكور .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ؛ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ، ظَاهِرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » قَالَ : « فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ، صلى الله عليه وسلم ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ ، صَلِّ لَنَا فَيَقُولُ : لَا . إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أُمَرَاءُ ، تَكْرِمَةَ اللّهِ : هَـٰذِهِ الْأُمَّةَ ») .

---

(١) هذه رواية مسلم ، عن يونس ، عن ابن شهاب . أما حديث الباب ، فهو من رواية ابن أبي ذئب ، عن ابن شهاب . انظر المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (الصلاة) في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٣) (الإذاعة) اسم كتاب للمؤلف . المحقق .

الشرح

(عن جابر بن عبد الله[1] ؛ قال : سمعت رسول الله[2] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : « لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ، ظاهرين إلى يوم القيامة » . قال : « فينزل عيسى بن مريم عليه السلام[3] ، فيقول أميرهم : تعال ، صلّ لنا . فيقول : لا . إن بعضكم على بعض أمراء ، تكرمة الله هذه الأمة ») : بنصب « تكرمة » على المصدر ، أو على أنه مفعول له . والله أعلم .

وفيه : دلالة على ظهور أهل الحق ، إلى آخر الدّهر مقاتلة ، إلى أن ينزل المسيح عليه السلام .

وفيه : أن إمام هذه الأمة ، يصلي بالناس وفيهم عيسى عليه السلام . وأن هذا من إكرام الله لهذه الأمة .

والمراد بالأمير هنا : « المهدي ، عليه السلام » ، لتظاهر الأدلة على ظهوره قبيل المسيح . ولم يقع لفظ « المهدي » ولا ذكره : في الصحيحين أصلاً . إنما جاءت أحاديثه في السنن ، وغيرها« من المسانيد والمعاجم » ، فمن أنكر وجود المهدي في آخر الزمان : تشبّث[4] بهذا . يعني بكون عدم ذكره في الصحيحين[5] . وتأول لفظ « الامام ، والأمير » الواردين في هذين الحديثين عند مسلم : بأن المراد بهما : سلطان ذلك الوقت من

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن ابن جريج » ، من مصدر الحديث . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « النبيّ » بدل : « رسول الله » . وقد ذكر المؤلف (في الهامش) ما يفيد أنه في بعض الروايات : « النبي » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « صلى الله عليه وسلم » ، بدل : « عليه السلام » . المحقق .

(٤) (تشبّث) بالثاء المثلثة . وقد وردت في الأصل : بالتاء المثناة ، وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٥) لو قال : « تشبث بعدم ذكره إلخ » : لكان أوضح . فلا محل لكلمة « كون » هنا . المحقق .

المسلمين ، دون الفاطميّ الموعود المنتظر . وإلى هذا جنح العلامة « ابن خلدون » ، في كتابه (العبر) وزيّفَ وضعّف الروايات الواردة في ذكر ظهوره : بالجرح والتعديل في رواتها . وقد أجبناه عليه في (الإذاعة) .

ومذهب جمهور أهل السنة : أن الخبر (بظهوره ومجيئه في آخر هذه الأمة) : صحيح ، بالغ حد التواتر والتوالي ، لا يسوغ إنكاره . والله أعلم .

وأما آخر أمر عيسى عليه السلام ، ففي حديث ابن عمرو يرفعه : « يَنْزِلُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ إِلَى الْأَرْضِ ، فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ ، وَيَمْكُثُ خَمْساً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً ، ثُمَّ يَمُوتُ فَيُدْفَنُ مَعِي ، فِي قَبْرِي ، فَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَى بْنُ مَرْيَمَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ ، بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وَعُمَرَ »[1] رواه « ابن الجوزي » في (كتاب الوفاء) .

بَابُ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ ، هَكَذَا

وقال النووي : (باب قرب الساعة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٨ ، ٨٩ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي حَازِمٍ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلاً يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم ؛ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ الَّتِي تَلِي : الإِبْهَامَ وَالْوُسْطَىٰ ، وَهُوَ يَقُولُ : « بُعِثْتُ أَنَا ، وَالسَّاعَةُ : هَكَذَا ») .

---

(١) هذا الحديث ذكره الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي ، في (كتاب الوفا ، بأحوال المصطفى) (٨١٤/٢) ، الباب الثاني : في حشر عيسى بن مريم مع نبينا ، صلى الله عليه وسلم ، ط دار المعرفة بيروت ، تحقيق مصطفى عبد الواحد : بنفس اللفظ الذي ذكره المؤلف . هذا ؛ وكلمة « الوفا » ذكرت في الأصل : « الوفاء » بالألف الممدودة . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(الشَّرح)

(عن سهيل بن سعـد رضي الله عنهمـا[1] ، قال : سمعت رسـول الله[2] ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، يشير بإصبعـه التي تلي الإبهـام والوسطى ، وهو يقول : بعثت أنا والساعة) بالرفع على العطف . ويروىٰ بالنصب .

(هكذا) . وفي رواية : (« كَهَاتَيْنِ » . وَضَمَّ السَّبَّابَةَ وَالْوُسْطَىٰ)[3] .

وفي رواية : « قَرَنَ بَيْنَهُمَا »[4] .

قال قتاده : كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا على الأخرى[5] .

وأما معناه ؛ فقيل : المراد : بينهما شيء[6] يسير ، كما بين الإصبعين في الطول . وقيل : هو إشارة إلى قرب المجاوزة[7] .

وفي حديث المستورد بن شداد ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، (قَالَ : « بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السَّاعَةِ ، فَسَبَقْتُهَا كَمَا سَبَقَتْ هَـٰذِهِ هَـٰذِهِ » وَأَشَارَ بِإِصْبَعَيْهِ - السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى -)[8] رواه الترمذي . « ونفس » بالتحريك .

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن أبي حازم » ، هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) في مصـدر الحـديث : (النبي) بدل : « رسـول الله » . وقد أشار المؤلف في الهامش إلى وروده بلفظ «النبي»، في بعض النسخ . المحقق .

(٣) هي رواية مسلم عن معبد ، عن أنس ، وتجدها في ص ٨٩ ، ٩٠ في نفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) ذكره النووي بص ٨٩ ، نفس المصدر . المحقق .

(٥) في رواية مسلم ، عن شعبة ، عن قتادة ، عن أنس (يرفعه) : « بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » . قَالَ شُعْبَةُ : وَسَمِعْتُ قَتَادَةَ ، يَقُولُ (فِي قَصَصِهِ) : « كَفَضْلِ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ » . فَلَا أَدْرِي : أَذَكَرَهُ عَنْ أَنَسٍ ، أَوْ قَالَهُ قَتَادَةُ ؟ انظر ص ٨٩ المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) (شيء) . في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٧) (المجاوزة) هكذا بالزاي في الأصل ، وفي النووي ، ولعلها « المجاورة » بالراء . والله أعلم . المحقق .

(٨) هذه الرواية ، رواها الترمذي ، عن المستورد ، في كتاب (الفتن) ، باب ما جاء في قول النبي ، صلى الله عليه وسلم : « بُعِثْتُ أَنَـا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ » . وقد ضعف الألباني هذه الرواية ، في (ضعيف الترمذي) ص ٢٥٠ ، ورقم الحديث (٣٨٨) . المحقق .

معنـــاه : حين تنفّستْ . وتنفُّسهـا : ظهـور أشـراطهـا . يقـال : « تنفّس الصبح » . قال البغوي : وكان النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، من أشراط الساعة . والآيات الكريمات في قربها : كثيرة ؛

منها : قوله تعالى : « اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ »[1] .

وقوله : « فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا[2] » .

وقال تعالى : « وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً »[3] .

وقال : « اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ »[4] إلى غير ذلك .

بَابٌ فِي تَقْرِيبِ قِيَامِ السَّاعَةِ

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : مَتَىٰ تَقُومُ السَّاعَةُ ؟ قَالَ : فَسَكَتَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - هُنَيْهَةً - ثُمَّ نَظَرَ إِلَىٰ غُلَامٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ، مِنْ أَزْدِ شُنُوءَةَ ، فَقَالَ : « إِنْ عُمِّرَ هَـٰذَا : لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ ، حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ » .

قَالَ : قَالَ أَنَسٌ : ذَاكَ الْغُلَامُ مِنْ أَتْرَابِي - يَوْمَئِذٍ -) .

---

(١) أول سورة القمر . المحقق .

(٢) الآية : (١٨) من سورة محمد . المحقق .

(٣) الآية : (٦٣) من سورة الأحزاب . المحقق .

(٤) أول سورة الأنبياء . المحقق .

(الشرح)

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه[1] ؛ أن رجلاً سأل النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : مَتىٰ تقوم الساعة ؟ قال : فسكت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم هنيّة[2] ، ثم نظر إلى غلام بين يديه ، من أزد شنوءة ، فقال : « إن عمّر هذا : لم يدركه الهرم) أي الكبر (حتى تقوم الساعة » . قال[3] : قال أنس بن مالك : ذاك الغلام من أترابي ، يومئذ) .

المراد بالساعة هنا : « الموت » . يعني يموت ذلك القرن ، ويفنىٰ أهله . ويؤيدّه : حديث : « مَنْ مَاتَ ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ »[4] .

---

(١) في مصدر الحديث لم يذكر : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (هنية) هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث : « هنيهة » بزيادة هاء . وقد أشار المؤلف (في الهامش) إلى وروده « هنية » في بعض النسخ . المحقق .

(٣) القائل (قال أنس) ، هو « معبد بن هلال العنزيّ » ، الرواي لهذا الحديث ، عن أنس . المحقق .

(٤) من المؤكّد أن المعنى الظاهر لهذا الحديث : غير مقصود ، وإلا فأين علامات الساعة صغراها ، وكبراها ، التي استفاضت بها الأحاديث الصحيحة الكثيرة ، والتي لم يكن قد ظهر منها شيء في عهد النبوة ، والتي منها : المهدي المنتظر ، والمسيح الدجال ، والمسيح ابن مريم ، وطلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة ، وغير ذلك من العلامات الصغرى الكثيرة ، والتي لم تظهر إلا بعد عصر النبوة بقرون ؟ فلا يعقل أن يكون ما بقي على قيام الساعة (عندما سئل النبي صلى الله عليه وسلم) إلا مقدار أن يدرك الهرم الغلام الذي كان حاضراً وقت السؤال ، فلابد إذن أن يكون المعنى المقصود من الحديث : أمراً آخر غير المعنى المتبادر منه ، فهناك احتمالات ثلاثة ؛

الاحتمال الأول : أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم ، قد علم بطريق الوحي : أن الغلام المشار إليه في الحديث ، لن يبلغ الهرم ولن يعمّر . بل سيموت قبل ذلك . فعلّق قيام الساعة على أمر لن يحدث ، ويكون المعنى : إن عمّر هذا الغلام وأدركه الهرم : قامت الساعة ، وإلا لم تقم ، ولكن الغلام (في علم الله) لن يعمر ، إذن فالساعة لن تقوم في ذلك الوقت . وهذا الاحتمال : أشار إليه النووي ، في ص ٩٠ المصدر المتقدم .

الاحتمال الثاني : أن يكون المقصود بقيام الساعة : موت المخاطبين الذين خاطبهم النبي صلى الله عليه وسلم (آنذاك) ، ويقوي هذا الاحتمال : حديث عائشة - وهو بص ٩٠ المصدر المتقدم - (قَالَتْ : كَانَ الأَعْرَابُ - إِذَا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - : سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَنَظَرَ إِلَىٰ أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ ؛ فَقَال : « إِنْ يَعِشْ هَـٰذَا ؛ لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ : قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ » فإضافة =

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب الغابر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : كَانَ الْأَعْرَابُ - إِذَا قَدِمُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - ، سَأَلُوهُ عَنِ السَّاعَةِ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَنَظَرَ إِلَىٰ أَحْدَثِ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ ؛ فَقَالَ : « إِنْ يَعِشْ هَـٰذَا ؛ لَمْ يُدْرِكْهُ الْهَرَمُ : قَامَتْ عَلَيْكُمْ سَاعَتُكُمْ ») .

(الشَّرْح)

(عن عائشة رضي الله عنها[1] ، قالت : كان الأعراب - إذا قدموا على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - سألوه عن الساعة : متى

= الساعة إلى المخاطبين ترشّح أن المقصود بساعتهم : موتهم . ويكون مقصود النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الجواب : لفت انتباههم إلى الاستعداد للساعة بالعمل ، دون السؤال عن موعد قيامها الذي استأثر الله بعلمه ، فلم يطلع عليه أحداً من خلقه .

الاحتمال الثالث : وهو قريب من الثاني - أن يكون المقصود من قيام الساعة : موت ذلك القرن الذي كان في عهد النبوة ، وفناء أهله ، وهذا هو الذي جنح إليه المؤلف بقوله : ويؤيده حديث : « مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُه » . كما يؤيد هذا الحديث الاحتمال الثاني أيضاً . بيد أن هذا الحديث ، ضعفه الألباني . انظر الحديث رقم (١١٦٦) بالضعيفة . قال الألباني : قال الحافظ العراقي (في تخريج « الأحياء » ٥٦/٤ ط الحلبي) : رواه ابن أبي الدنيا في (كتاب الموت) من حديث أنس : بسند ضعيف . ومن حديثه (أي من حديث أنس) رواه العسكري ، والديلمي ، كما في (المقاصد الحسنة) ص ٧٥ ، ٤٢٨ ، بلفظ : « إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ ، فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ » . وسكت عليه.اهـ . المحقق .

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

الساعة ؟ فينظر[1] إلى أحدث إنسان منهم ، فقال : « إن يعش هذا ؛ لم يدركه الهرم : قامت عليكم ساعتكم ») أي : الساعة الوسطى ، التي هي انقراض القرن ، ولهذا أضيف إليهم[2] .

وفي حديث أنس - عند مسلم - قَالَ : مَرَّ غُلَامٌ لِلْمُغِيرَةِ ابْنِ شُعْبَةَ - وَكَانَ مِنْ أَقْرَانِي - فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنْ يُؤَخَّرْ هَـٰذَا ، فَلَنْ يُدْرِكَهُ الْهَرَمُ : حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ »[3] .

قال عياض : هذه الروايات كلها ، محمولة على معنى الأولىٰ[4] .

والمراد « بساعتكم » : موتهم .

ومعناه : يموت ذلك القرن ، وأولئك المخاطبون .

قال النـووي : قلت : ويحتمل أنه علم[5] أن ذلك الغلام : لا يبلغ الهرم ، ولا يعمّر ولا يؤخّر . انتهى[6] .

وأقــول : دلت هذه الأحــاديث ، على أن القيامــة « قيامتــان » ، إحداهما : قيامة موت الإنسان وانقراض الأقران ، وهي أقرب إليه من شراك نعله . وكل نفس ذائقة الموت ، وإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .

(١) (فينظر) في مصدر الحديث : « فنظر » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - إلى وروده : « فنظر » ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) أي : أضيف إليهم لفظ « الساعة » في قوله : « ساعتكم » . المحقق .

(٣) هذا الحديث بص ٩١ المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (الأولى) . في الأصـل : « الأول » بالتـذكير ، والصـواب : ما أثبتنـاه . والتقـدير « على معنى الرواية الأولى » . المحقق .

(٥) (أنه علم) أي النبي صلى الله عليه وسلم . وقد سبق توضيح ذلك بالهامش رقم (٤) ، ص ٤٩١ . المحقق .

(٦) (انتهى) كلام القاضي ، كما حكاه النووي بص ٩٠ المصدر المتقدم . المحقق .

والثانية[1] : قيامة فناء هذا العالم . وهي أيضاً أقرب جدّاً ، يدل عليه الكتاب والسنة . وحيث إن أحوال الآخرة من ماجريات[2] البرزخ ، الذي هو من مقـدمات عالم الآخرة ، وتجري على كلّ من يموت في القبر : صَحَّ إطـلاق « القيامـة ، وقيام السـاعة »:على « القرن الميت » . والله أعلم ، وعلمه أتم .

بَابُ : تَقُومُ السَّاعَةُ وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ ، فَمَا يَصِلُ إِلَىٰ فِيهِ حَتَّىٰ تَقُومَ

وهو في النووي ، في : (باب قرب الساعة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ - يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم - ؛ قَالَ : « تَقُومُ السَّاعَةُ ، وَالرَّجُلُ يَحْلُبُ اللِّقْحَةَ : فَمَا يَصِلُ الْإِنَاءُ إِلَىٰ فِيهِ ، حَتَّىٰ تَقُومَ .

وَالرَّجُلَانِ يَتَبَايَعَانِ الثَّوْبَ : فَمَا يَتَبَايَعَانِهِ ، حَتَّىٰ تَقُومَ .

وَالرَّجُلُ يَلِطُ فِي حَوْضِهِ : فَمَا يَصْدُرُ ، حَتَّىٰ تَقُومَ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه[3] ، يبلغ به النبي صلى الله عليه) وآله

---

(١) أي : والقيامة الثانية . المحقق .

(٢) الصواب « مجريات » بدون ألف بعد الميم . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(وسلم ، قال : « تقوم الساعة ، والرجل يحلب اللقحة : فما يصل الإناء إلى فيه ، حتى تقوم . والرجلان يتبايعان[1] الثوب : فما يتبايعانه ، حتى تقوم . والرجل يلط في حوضه) هكذا هو في معظم النسخ : بفتح الياء ، وكسر اللام ، وتخفيف الطاء . وفي بعضها : « يليط » بزيادة ياء . وفي بعضها : « يلوط » . ومعنى الجميع : واحد . وهو أن يطيّنه[2] ويصلحه .

(فما يصدر حتى تقوم) معنى هذه كلها - على اختلاف ألفاظها - : تقريب الساعة ، التي هي القيامة . كما قال تعالى : « وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ »[3] . والأحاديث في الباب لا تكاد تحصى ،

ولا يعلم وقت مجيئها - مع هذا القرب - إلا الله سبحانه . وإنما أخفاه : لأنه أصلح للعباد ، لئلا يتباطأوا[4] عن التأهب والاستعداد له ، كما أن خفاء وقت الموت : أصلح لهم وأنفع ، والله أعلم .

اللهم ! إنا قرأنا في القرآن ، وروينا في أحاديث رسولك : أمر الساعة وقربها ، وخفاءها ، ولكن لا يذرنا أنفسنا[5] الأمارة بالسوء ، حتى نعود إلى التوبة الصادقة . فارحم بنا[6] ، وتفضل علينا ، وهب لنا رحمة من عندك : نهتد بها إلى مرضاتك ، ونقتلع عن موجبات سخطك ، وتب علينا « إنك أنت التواب الرحيم » ، واغفر لنا ذنوبنا كلّها ، ياأرحم الراحمين !

---

(١) (يتبايعان) في الأصل : رسمت الباء الموحدة ، ياء مثناه ، وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) (يطيّنه) أي : يطليه بالطين . المحقق .

(٣) جزء من الآية (٧٧) من سورة النحل . المحقق .

(٤) (يتباطأوا) رسمت في الأصل : « يتباطئوا » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٥) (ولكن لا يذرنا أنفسنا) هكذا في الأصل ، وهذا التركيب غير واضح . ولعل المؤلف يقصد : « ولكن لا تذرنا لأنفسنا . . . إلخ » ، أو نحو ذلك . المحقق .

(٦) لو قال : « فارحمنا » بدل : » فارحم بنا » ، لكان أوضح . المحقق .

بَابُ : مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ، وَيَبْلَى الإِنْسَانُ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ

ولفظ النووي : (باب ما بين النفختين) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩١ ، ٩٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي صَالِحٍ ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ : أَرْبَعُونَ » . قَالُوا : يَاأَبَا هُرَيْرَةَ ! أَرْبَعُونَ يَوْماً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ .

قَالُوا : أَرْبَعُونَ شَهْراً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ .

قَالُوا : أَرْبَعُونَ سَنَةً ؟ قَالَ : أَبَيْتُ .

« ثُمَّ يُنْزِلُ اللّهُ مِنَ السَّمَاءِ : مَاءً ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ » ، قَالَ : « وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ ، إِلَّا يَبْلَىٰ ، إِلَّا عَظْماً وَاحِداً ، - وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ - ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ما بين النفختين أربعون » . قالوا : ياأبا هريرة ! أربعين[2] يوماً ؟ قال : أبيتُ . قالوا : أربعين[2] شهراً ؟ قال : أبيتُ . قالوا : أربعين[2] سنة ؟ قال : أبيت) .

معناه : أبيت أن أجزم أن المراد : أربعون يوماً ، أو سنة ، أو شهراً .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (أربعين) هكذا ، في الأصل ، في المواضع الثلاثة . وفي صحيح مسلم ، المصدر المتقدم : « أربعون » بالرفع . المحقق .

بل الذي أجزم به : أنها « أربعون » مجملة .

وقد جاءت مفسّرة من رواية غيره[1] ، في غير مسلم : « أَرْبَعُونَ سَنَةً » قاله النووي[2] .

(قال[3] : «ثم ينزل الله من السماء : ماء ، فينبتون كما ينبت البقل » ، قال : « وليس من الإنسـان شيء[4] ، إلا يبلى ، إلا عظماً واحداً - وهو عجب الذنب -) بفتح العين ، وإسكان الجيم . أي : العظم اللطيف ، الذي في أسفل الصّلب عند العجز ، بين الإليتين . وهو مكان الذّنب من الحيوانات ، وهو رأس العصعص . ويقال له : « عجم » بالميم . وهو أول ما يُخلق من الآدمي ، وهو الذي يبقىٰ منه : ليعاد تركيب الخلق عليه ، كما قال : (ومنه يركّب الخلق ، يوم القيامة) .

وفي رواية أخرى عنه[5] عند مسلم ، والنسائي ؛ بلفظ : « كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ ، إلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ : مِنْهُ خُلِقَ ، وَفِيهِ يُرَكَّبُ[6] » .

وعن أبي سعيد الخُدريّ ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أنه قال : « يَأْكُلُ التُّرَابُ كُلَّ شَيْءٍ[4] مِنَ الإِنْسَانِ ، إلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ » . قِيلَ : وَمَـا مَثَلُهُ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « مَثَلُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ : مِنْهُ تَنْبُتُونَ[7] » . رواه

---

(١) أي : من رواية غير (أبي هريرة) . المحقق .

(٢) تجده في ص ٩٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (قال) هذا اللفظ ليس مذكوراً - هنا - في مصدر الحديث . وصنيع المؤلف يفيد أنه في بعض النسخ بدون « قال » . المحقق .

(٤) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) (عنه) أي : عن (أبي هريرة) . المحقق .

(٦) رواية مسلم - بنفس اللفظ - تجدها في ص ٩٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٧) هذا الحـديث ، قال عنـه (الهيثمي) ، في المجمـع ، المجلد الخامـس ، ص ٣٣٢ ، ط دار الكتاب العربي ، ببيروت . قال الهيثمي : رواه أحمد ، وإسناده « حسن » . المحقق .

أحمد وإسناده حسن . كذا في كتابنا (موائد العوائد) .

وفي رواية عند مسلم ، مرفوعاً ، بلفظ : « إِنَّ فِي الْإِنْسانِ عَظْماً ، لَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ أَبَداً ، فِيهِ يُرَكَّبُ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . قَالُوا : أَيُّ عَظْمٍ هُوَ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « عَجْبُ الذَّنَبِ »[1] .

قلت : ويُخَصّ من هذا العموم : الأنبياء ، عليهم السلام ، فإن الأرض لا تأكلهم ، وهم حرام عليها . وكذا[2] كل من شاء الله تعالى : من أوليائه ، وصلحاء عباده .

قال النووي : هذا مخصوص ، فيخصّ منه الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم ، فإن الله حرّم على الأرض أجسادهم ، كما صرح به في الحديث . انتهى[3] .

بَابُ : أَضَرُّ فِتْنَةِ الرِّجَالِ النِّسَاءُ

وقال النووي : (باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، وبيان الفتنة بالنساء) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ ، وَسَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ ؛

---

(١) الحديث بنفس اللفظ ، من رواية مسلم ، عن أبي هريرة ، وتجده في ص ٩٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) أي : ويُخص كذلك كل من شاء الله . . إلخ . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، وهو في المصدر المتقدم . المحقق .

أَنَّهُمَا حَدَّثَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ أَنَّهُ قَالَ : « مَا تَرَكْتُ - بَعْدِي - فِي النَّاسِ : فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ : مِنَ النِّسَاءِ ») .

(الشَّرح)

(عن أسامة بن زيد بن حارثة ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، أنهما حدَّثا عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ أنه قال : « ما تركت - بعدي - في الناس : فتنة أضرَّ على الرجال : من النساء ») .

وهذا علم من أعلام النبوة . وقد وجدت هذه الفتنة في هذه الأمة : في قديم الزمان وحديثه ، وابتلي به[1] كثير من الناس ، لاسيما أهل الثروة والرفاهية منهم .

بَابُ: التَّحْذِيرِ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ

وهو في النووي ، في : (الباب السابق) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا نَضْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ الدُّنْيَا

---

(١) لو قال (بها) بدل : « به » : لكان أوضح ، لعود الضمير على مؤنث . وهو لفظ : « الفتنة » . المحقق .

حُلْوَةٌ خَضِـرَةٌ ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَـا : فَيَنْـظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا ، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ : كَانَتْ فِي النِّسَاءِ » .

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ بَشَّارٍ : « لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ »)[1] .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخـدري ، رضي الله عنه[2] ؛ عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : إن الدنيا حلوة خضرة). يحتمل أن المراد به شيئان ؛

أحـدهمـا : حسنهـا للنفـوس ونضـارتها ولذّتها : كالفاكهة الخضراء الحلوة . فإن النفوس تطلبها طلباً حثيثاً ، فكذا الدنيا .

والثاني : سرعة فنائها كالشيء[3] الأخضر ، في هذين الوصفين[4] .

(وإن الله مستخلفكم فيها) أي : جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم ، (فينظر كيف تعملون) أي : هل تعملون بطاعته ، أم بمعصيته وشهواتكم ؟

(فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء) هكذا هو في جميع النسخ . ومعناه : تجنبوا الافتنان[5] بها ، وبالنساء .

(١) (وفي حديث ابن بشار : « لينظر كيف تعملون ») لم يذكر في الأصل هذه الجملة . وقد أثبتناها ، رغبة في زيادة الفائدة . المحقق .

(٢) ذكرنا السند كاملاً ، لاختلاف (بين شيخي مسلم في هذا الحديث) في كلمة واحدة منه ، وهي (فينظر) بالفاء ، أو (لينظر) باللام ، هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث جملة « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) (كالشيء) ، في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء - كالمعتاد - . المحقق .

(٤) (في هذين الوصفين) هما الحلاوة ، والخضرة . المحقق .

(٥) (الافتنـان) هكـذا في الأصـل بالنـون ، والصـواب : « الافتتان » بتاءين ، لأنه من (الفتنة) وليس من « الفنن » . المحقق .

قال النووي : وتدخل في النساء : « الزوجات ، وغيرهن » . وأكثرهن فتنة : « الزوجات » ، ودوام فتنتهنّ وابتلاء أكثر الناس بهنّ . انتهى[1] .

قلت : وعمت البلوى بهـذه الفتنـة (في هذا الـزمان الآخر) : من الزوجات ، ومن غيرهن . وقلّ من نجا من هذا . وأستغفر الله من جميع ماكرهه الله . اللهم ! غفراً .

(فإن أول فتنة بني إسرائيل : كانت في النساء) . وهي آخر فتن هذه الأمة . وقد ورد أنهم يتّبعون سَنَنَ مَنْ قبلهم شبرا بشبر ، وذراعاً بذراع . فقد اتّبعوهم في هذا الابتلاء أيضاً ، ووقع مصداق ما أخبر به النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم . فهذا علم من أعلام النبوة . حتى صار هذا الزمن : زمن التبتّل عند من اختبر النساء . والله أعلم .

كِتَابُ الزُّهْدِ والرَّقَائِقِ

وقال النووي : (كتاب الزهد) .

بَابُ : اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا

وهو في النووي ، في:(الكتاب المذكور) .

(١) (انتهى) كلام النووي ، وهو بص ٥٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

حَدِيثُ البَابِ

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُــولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتاً ») .

الشَّرح

(عن أبي هريرة رضي الله عنه[١] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « اللهم ! اجعل رزق آل محمد قوتاً ») .

وفي رواية : « اللّهُم ! ارْزُقْ »[٢] .

وفي أخرى : « كَفَافاً »[٣] .

معنى « قوتـا » : كفـايتهم من غير إسـراف . وهو بمعنى « كفافا » . وقيل : هو سدّ الرمق .

وقيل : « قوتا » أي بقدر ما يمسك الرمق ، من المطعم .

وقيل : « قوتا » يكفه عن الجوع ، أو عن السؤال .

وهـذا الحديث : علم من أعلام النبوة . وقد أجاب الله سبحانه هذا الدعاء ، فإنك ترى « عترته » صلى الله عليه وآله وسلم (من زمنه ، إلى زمننا هذا) : ليس في أيديهم غير القـوت : الـذي لا يمـوت به صاحبـه ،

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) هي رواية (عمرو الناقد) ، فشيوخ مسلم في حديث الباب أربعة ، وهم (ابن أبي شيبة ، وعمرو الناقد ، وزهير بن حرب ، وأبو كريب) ، كلهم عن (وكيع عن الأعمش) ؛ فرواية (عمرو) : « اللَّهُمَّ ! ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتاً » . ورواية الثلاثة الباقين : « اللَّهُمَّ ! اجْعَلْ رِزْقَ . . . إلخ » . انظر ، مصدر حديث الباب . المحقق .

(٣) هي رواية (الأعمش ، عن عمارة بن القعقاع) . نفس المصدر . المحقق .

والكفاف : الذي لا يستطيع دونه . ولم يسلم عليهم مملكة ، كما حصلت لغيرهم[1] .

ولم يقم فيهم[2] : سلطنة على وجه يعتدّ به ، وإن ظهر بعضهم[3] على بعض القطر اليسير من الملك الكبير ، والنادر كالمعدوم . بل هم أقل الناس معاشاً ، وأنزرهم قوتاً ، وأقصرهم كفافاً : في أكثر الأزمنة والبلاد .

ولعل النكتة في بداية المنذري[4] (رحمه الله) : (كتابَ الزهد) بهذا الحديث : تنبيه غير آل محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم : على إيثار القوت والكفاف ، وتثبيتهم على الفقر والفاقة ، وكفّ اللسان عن شكاية قلّة الرزق والمعاش ؛ لأنه إذا أريد بأفاضل الأمة وخيارهم : هذا الأمر ، فكيف بمن هو مفضول ، أو من الشرار ؟ والله أعلم .

بَابُ شِدَّةِ عَيْشِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وذكره النووي ، في:(الكتاب المذكور) .

---

(١) (ولم يسلم عليهم مملكة ، كما حصلت لغيرهم) . هكذا ، في الأصل . المحقق .

(٢) (ولم يقم فيهم . . إلخ)نلاحظ: قصور العبارة ، عن بيان المعنى المقصود . وإن كان مفهوماً من السياق . المحقق .

(٣) الضمير في (بعضهم) ، مرجعه : (عترة النبي ، صلى الله عليه وسلم) . المحقق .

(٤) (في بداية المنذري) من إضافة المصدر إلى فاعله . و (كتاب) مفعول به منصوب . والمعنى : أن النكتة في كون المنذري ، بدأ (كتاب الزهد) : بحديث الباب : هي تنبيه غير آل محمد صلى الله عليه وسلم على إيثار القوت . . إلخ . هذا ؛ وجملة (رحمه الله) : رمز إليها في الأصل بالحرفين (رح) . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٧ ، ١٠٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : وَاللّهِ ! يَاابْنَ أُخْتِي ! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ : إِلَى الْهِلاَلِ ، ثُمَّ الْهِلاَلِ ، ثُمَّ الْهِلاَلِ - ثَلاَثَةَ أَهِلَّةٍ ، فِي شَهْرَيْنِ - وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : نَارٌ .

قَالَ : قُلْتُ : يَاخَالَةُ ! فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ ؟ قَالَتِ : الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ ، وَالْمَاءُ . إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : مِنْ أَلْبَانِهَا ، فَيَسْقِينَاهُ) .

(الشَّرح)

(عن عروة عن عائشة ، رضي الله عنها[١] ، أنها كانت تقول : والله ! ياابن أختي ! إن كنا لننظر إلى الهلال ، ثمّ الهلال ، ثمّ الهلال - ثلاثة[٢] أهلة في شهـرين - وما أوقد في أبيات رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : نار . قال : قلت : ياخالة ! فما كان يعيشكم ؟) : بفتح العين ، وكسر الياء المشددة . وفي بعض النسخ المعتمدة : فَمَا كَانَ يُقِيتُكُمْ[٣] .

قالت : الأسودان : التمر ، والماء . إلا أنه قد كان لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : جيران من الأنصار ، وكانت لهم منائح ، فكانوا

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٢) (ثلاثة) في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) ذكره النووي ، بص ١٠٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية . المحقق .

يرسلون إلى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : من ألبانها ، فيسقيناه) .

فيه : شدّة عَيْشِهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وصَبْرِه عليه .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَـةَ - زَوْجِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ؛ قَالَتْ : لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ ، وَزَيْتٍ - فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - مَرَّتَيْنِ) .

(الشَّرح)

(عن عائشـة رضي الله عنها[1] ، - زوج النبيّ صلى الله عليه) وآله (وسلم - قالت : لقد مات رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وما شبع من خبز وزيت - في يوم واحد - مرّتين) .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

وفي رواية : « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ : ثَلاَثَ لَيَالٍ تِبَاعاً ، حَتَّىٰ قُبِضَ[1] » .

وفي أخرى : « مَا شَبِعَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً : مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ »[2] .

وفي رواية ، قَالَتْ : « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ : يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ، حَتَّىٰ قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم »[3] .

وفي هذه كلها : دلالة واضحة على ضيق عيشه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وأهل بيته (من الأزواج المطهرات ، وغيرهنّ) .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الكتاب المذكور) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، يَوْمَيْنِ : مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ، إِلاَّ وَأَحَدُهُمَا : تَمْرٌ ») .

---

(١) هذا الحديث من رواية (الأسود) ، عن عائشة ، وهو بص ١٠٥ ، ص ١٠٦ ، بالمصدر المتقدم . هذا ؛ وكلمة (ثلاث) ، في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٢) وهذا أيضاً : من رواية (الأسود) عن عائشة ، وهو بص ١٠٦ نفس المصدر . هذا ؛ وكلمة « ثلاثة » ، في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) وهذه كذلك ، من رواية (الأسود) ، عن عائشة . وهي بالمصدر المتقدم . المحقق .

(الشرح)

(عن عائشة ، رضي الله عنها[1] ؛ قالت : ما شبع آل محمد ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يومين من خبز بُرّ ، إلا وأحدهما : تمر) .

وفي رواية أخـرى ؛ قَالَتْ :« إِنْ كُنَّـا آلَ مُحَمَّدٍ ، صلى الله عليه وآله وسلم : لَنَمْكُثُ شَهْراً ، مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ ، إِنْ هُوَ إِلَّا التَّمْرُ وَالْمَاءُ »[2] . وزاد في رواية : « إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَا اللُّحَيْمُ »[3] .

وفي رواية : « مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ بُرٍّ ، فَوْقَ ثَلَاثٍ »[4] .

وفي لفظ : « مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ ، حَتَّىٰ مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ »[5] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ ؛ قَالَا : حَدَّثَنَا مَرْوَانُ - يَعْنِيَانِ : الْفَزَارِيَّ - ، عَنْ يَزِيدَ - وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ - عَنْ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ! - وَقَالَ ابْنُ عَبَّادٍ : وَالَّذِي نَفْسُ

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٢) هذه من رواية عروة عن عائشة ، وهي بص ١٠٦ ، ١٠٧ ، بنفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) هذه الزيادة ، زادها (أبو كريب) في حديثه ، عن (ابن نمير) ، وأبو كريب هو أحد شيخي مسلم ، في هذا الحديث . انظر ص ١٠٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) هذا من رواية (عبد الرحمن بن عابس ، عن أبيه ، عن عائشة) ص ١٠٦ نفس المصدر . هذا ؛ وكلمة : (ثلاث) في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٥) وهذا من رواية (هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة) ، بنفس المصدر ، إلا أن به زيادة : (ثلاثاً) . المحقق .

أَبي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ ! - مَا أَشْبَعَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم أَهْلَهُ : ثَلاثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً ، مِنْ خُبْزِ حِنْطَةٍ ، حَتَّىٰ فَارَقَ الدُّنْيَا) .

(الشرح)

(عن أبي حاتم[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه[٢] ؛ قال : والذي نفسي بيده ! - وقال ابن عباد : والذي نفس أبي هريرة[٣] بيده ! - ما أشبع[٤] رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ، أهله : ثلاثة[٥] أيام تباعاً : من خبز حنطة ، حتى فارق الدنيا) .

وعنها[٦] ، في رواية أخرى ، بلفظ : « تُوُفِّيَ صلى الله عليه وآله وسلم ، حِينَ شَبِعَ النَّاسُ مِنَ الأَسْوَدَيْنِ : التَّمْرِ وَالْمَاءِ »[٧] .

وفي رواية : « تُوُفِّي رَسُولُ اللّهِ صلى الله عليه وآله وسلم ؛ وَقَدْ شَبِعْنَا مِنَ الأَسْوَدَيْنِ : الْمَاءِ ، وَالتَّمْرِ »[٨] .

وفي أخرى : « مَا شَبِعْنَا مِنَ الأَسْوَدَيْنِ »[٩] .

---

(١) (عن أبي حاتم) . هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث : « عن أبي حازم » بالزاي . هذا ؛ وقد ذكرنا سند الحديث كاملاً ، لتعلق بعض رجاله بالمتن . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) (أبي هريرة) في الأصل : « أبيهريرة » . المحقق .

(٤) (ما أشبع) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « ما شبع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأهلُه » . وعليه فيكون « أهله » مرفوعاً بالعطف على الفاعل وهو « رسول » . أما على رواية : « ما أشبع » ، فيكون : « أهله » منصوباً ، لأنه على هذه الرواية يكون (مفعولا به) . المحقق .

(٥) (ثلاثة) في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٦) (وعنها) أي : « عن عائشة » ، وكان ينبغي أن يصرح المؤلفُ باسمها ، ولا يضمر ، لأن الحديث السابق - وهو حديث الباب - عن (أبي هريرة) ، وليس عن (عائشة) . المحقق .

(٧) هذه الرواية ، في ص ١٠٨ ، المصدر المتقدم ، وقد ورد بها : « رسول الله ، صلى الله عليه وسلم » ، بزيادة : « رسول الله » ، بعد كلمة : « توفّي » . المحقق .

(٨) هذه الرواية ، بنفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٩) أيضاً بنفس المصدر ، ولكن ورد بها : « وما شبعنا » بزيادة الواو . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ، رضي الله عنها[١] ؛ قَالَتْ : « تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وَمَا فِي رَفِّي مِنْ شَيْءٍ[٢] يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ ، إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ فِي رَفٍّ لِي ، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيَّ ، فَكِلْتُهُ ، فَفَنِيَ ») .

(الشَّرح)

« الرف » بفتح الراء : معروف .

« والشطر » ـ هنا ـ معناه : شيء[٢] من شعير . كذا فسره الترمذي .

وقال عياض عن ابن أبي حازم : معناه : نصف وسق .

قال القاضي:وفي هذا الحديث : أن البركة أكثر ما تكون ، في المجهولات والمبهمات .

وأما الحديث الآخر : « كِيلُوا طَعَامَكُمْ ، يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ »[٣] فقالوا : إن المراد أن يكيله منه ، لأجل إخراج النفقة منه ، بشرط أن يبقى الباقي : مجهولاً . ويكيل ما يخرجه : لئلا يخرج أكثر من الحاجة ، أو أقل[٤] . والله أعلم .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٢) (شيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٣) ذكر هذا الحديث النووي ، في ص ١٠٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) ذكره النووي ، بنفس المصدر المتقدم . المحقق .

بَابُ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بَطْنَهُ

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٩ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ يَخْطُبُ ؛ قَالَ : ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسُ ، مِنَ الدُّنْيَا ، فَقَالَ : لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي ، مَا يَجِدُ دَقَلاً يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ) .

(الشَّرح)

(عن سماك بن حرب ؛ قال : سمعتُ النُّعمان بن بشير[١] ، يخطبُ ؛ قال : ذكر عمر ما أَصاب الناسُ من الدنيا ، فقال : لقد رأَيت رسول اللّه ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يظلُّ اليوم يلتوي،ما يجدُ دقَلاً) بفتح الدال والقاف : هو تمر ردي[٢](يملأ به[٣] بطنه) .

وفي رواية : سَمِعْتُ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ، يَقُولُ :« أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ ، مَا شِئْتُمْ ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ »[٤] وزاد في حديث آخر : (وَمَا تَرْضَوْنَ : دُونَ

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « ابن بشير » . المحقق .

(٢) (ردي) أي : « رديء » . المحقق .

(٣) وضع المؤلف ، فوق كلمة (به) علامة ، تفيد أنها لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٤) شيخا مسلم في هذا الحديث : (قتيبة بن سعيد ، وأبو بكر بن أبي شيبة) ، قال مسلم بعد أن ذكر الحديث : وَقُتَيْبَةُ لَمْ يَذْكُرْ : (بِهِ) . انظر ص ١٠٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

أَلْوَانِ التَّمْرِ ، وَالزُّبْدِ[1] » . وهذا : تصريح بغاية الشدّة في العيش ، والضيق في الرزق .

بَابُ : سَبَقَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ الأَغْنِيَاءَ إِلَى الْجَنَّةِ

وقال النووي : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١١٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هَانِئٍ ؛ سَمعَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ الْحُبُـلِيَّ يَقُـولُ : سَمِـعْتُ عَبْـدَ اللَّهِ بْنَ عَمْـرِو بْنِ الْعَـاصِ - وَسَأَلَهُ رَجُلٌ - فَقَالَ : أَلَسْنَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَـاجِرِينَ ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ : أَلَكَ امْرَأَةٌ ، تَأْوِي إِلَيْهَا ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : أَلَكَ مَسْكَنٌ ، تَسْكُنُهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْتَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ .

قَالَ : فَإِنَّ لِي خَادِماً . قَالَ : فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ .

قَالَ أَبُـو عَبْـدِ الـرَّحْمَـٰنِ : وَجَاءَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ إِلَىٰ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - وَأَنَا عِنْدَهُ - ، فَقَالُوا : يَاأَبَا مُحَمَّدٍ ! إِنَّا ، وَاللَّهِ ! مَا نَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ : لاَ نَفَقَةٍ ، وَلاَ دَابَّةٍ ، وَلاَ مَتَاعٍ .

فَقَالَ لَهُمْ : مَا شِئْتُمْ ؟ إِنْ شِئْتُمْ : رَجَعْتُمْ إِلَيْنَا ، فَأَعْطَيْنَاكُمْ مَا يَسَّرَ اللَّهُ لَكُمْ . وَإِنْ شِئْتُمْ : ذَكَـرْنَـا أَمْرَكُمْ لِلسُّلْطَانِ . وَإِنْ شِئْتُمْ : صَبَرْتُمْ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ : « إِنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ يَسْبِقُونَ الأَغْنِيَاءَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - إِلَى الْجَنَّةِ : بِأَرْبَعِينَ خَرِيفاً » . قَالُوا : فَإِنَّا نَصْبِرُ ، لاَ نَسْأَلُ شَيْئاً) .

---

(١) قال مسلم ، في نفس المصدر المتقدم : وَزَادَ - في حَدِيثِ زُهَيْرٍ - : « وَمَا تَرْضَوْنَ . . إلخ » . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أبي عبد الرحمن الحبلي)[1] : بفتح الحاء والباء[2] ، يعدّ في المصريين . واسمه : عبد الله بن يزيد المصري .

(يقول[3] : سمعتُ عبد الله بن عمرو بن العاص - وسأله رجل - ، فقال : ألسنا من فقراء المهاجرين ؟ فقال له عبد الله : ألك امرأة تأوي إليها ؟ قال : نعَمْ . قال : ألك مسكن تسكنه ؟ قال : نعم . قال : فأنت من الأغنياء . قال : فإنّ لي خادماً . قال : فأنت من الملوك .

قال أبوعبد الرحمن : وجاء ثلاثة[4] نفر إلى عبد الله بن عمرو بن العاص - وأنا عنده - فقالوا له : ياأبا محمد ! والله[5]! ما نقدر على شيء[6] : لا نفقة ، ولا دابة ، ولا متاع . فقال لهم : ما شئتم ؟) « ما » استفهامية . أي : أيّ شيء[6] شئتم ؟

(إن شئتم : رجعتم إلينا)، فإنه لا يحضرنا الآن شيء[6] (فأعطيناكم مايسّر الله لكم) أي : على أيدينا .

(وإن شئتم : ذكرنا أمركم للسلطان . وإن شئتم : صبرتم ؛ فإني سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يقول : « إن فقراء

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « أبي هانئ » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث مضبوط : بضم الحاء والباء ، لا بفتحهما . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه ورد في بعض النسخ : « قال » بدل : « يقول » . المحقق .

(٤) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث : « إنا ، والله ! » بزيادة : « إنا » ، وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه - في بعض النسخ - : « أما والله ! » . المحقق .

(٦) (شيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

المهاجرين يسبقون الأغنياء - يوم القيامة - إلى الجنة : بأربعين خريفاً ») أي : سنة[1] .

ظاهر هذا الحديث ، يدلّ على تخصيص هذا الحكم : بالفقراء من المهاجرين ، والأغنياء منهم . وقد دلّ بعض الأحاديث : على إطلاقه[2] ، وعلى كون القبلية (بخمسمائة عام) . ولعلّ ذلك في غير المهاجرين من الأصحاب .

وبهـذا ينـدفع المنافاة بين هذا الحديث ، وبين حديث أبي هريرة ،

---

(١) وقد وجدت ، أحاديث أخرى ، في (باب فضل فقراء المهاجرين) ، المجلد الخامس ، بمجمع الزوائد ، جـ ١٠ ص ٢٥٨ وما بعدها ، ط دار الكتاب العربي ، ببيروت ؛ منها : (عن عبد الله بن عمرو ؛ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ صلى الله عليه وسلم - يَوْماً - وَطَلَعَتِ الشَّمْسُ ، فَقَالَ : « يَأْتِي قَوْمٌ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - نُورُهُمْ : كَنُورِ الشَّمْسِ » ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ : نَحْنُ هُمْ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « لَا . وَلَكُمْ خَيْرٌ كَثِيرٌ ، وَلَـٰكِنَّهُمُ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ يُحْشَرُونَ مِنْ أَقْطَارِ الْأَرْضِ » . قال الهيثمي : رواه أحمد ، والطبراني (في الأوسط ، والكبير) ، وزاد (في الكبير) : ثُمَّ قَالَ : « طُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ ، طُوبَىٰ لِلْغُرَبَاءِ » . قِيلَ : وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قَالَ : « نَاسٌ صَالِحُونَ قَلِيلٌ : فِي نَاسِ سُوءٍ كَثِيرٍ ؛ مَنْ يَعْصِيهِمْ : أَكْثَرُ مِمَّنْ يُطِيعُهُمْ » . وفي رواية : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ : نَحْنُ هُمْ ؟ .

قال الهيثمي : وله (في الكبير) أسانيد ، ورجال أحدها : رجال الصحيح .

وإليكم : حديثاً آخر : « عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أنه قَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ : أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ ، مِنْ خَلْقِ اللّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ ؟ » قَالُوا : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ : « الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ ، الَّذِينَ تُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتُتَّقَىٰ بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ : لَا يَسْتَـطِيعُ لَهَـا قَضَـاءً . فَيَقُـولُ اللّهُ عَزَّ وَجَـلَّ - لِمَنْ يَشَـاءُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ - : ائْتُوهُمْ ، فَحَيُّوهُمْ . فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ : نَحْنُ سُكَّانُ سَمَائِكَ ، وَخِيرَتُكَ مِنْ خَلْقِكَ ؛ أَفَتَأْمُرُنَا : أَنْ نَأْتِيَ هَـٰؤُلَاءِ ، فَنُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ؟ قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا عِبَاداً ، يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً ، وَتُسَدُّ بِهِمُ الثُّغُورُ ، وَتُتَّقَىٰ بِهِمُ الْمَكَارِهُ ، وَيَمُوتُ أَحَدُهُمْ ، وَحَاجَتُهُ فِي صَدْرِهِ : لَا يَسْتَطِيعُ لَهَا قَضَاءً . قَالَ : فَتَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ - عِنْدَ ذَلِكَ - فَيَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ » . قال الهيثمي : قلت : له حديث في الصحيح غير هذا ، رواه أحمد ، والبزار ، والطبراني (وزاد - بعد قول الملائكة : وسكان سماواتك - : « وَإِنَّكَ تُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ قَبْلَنَا » . ورجالهم ثقات .اهـ . المحقق .

(٢) (على إطلاقه) أي : إطلاق هذا الحكم . المحقق .

يرفعه ؛ « يَدْخُلُ الْفُقَرَاءُ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ : بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ - نِصْفِ يَوْمٍ - »[1] رواه الترمذي .

وقيل : إن الفقراء الذين في قلوبهم ميل ورغبة إلى الدنيا ، يتقدّمون على الأغنياء : بأربعين . والزهاد من الفقراء ، يتقدمون : بخمسمائة .

والمراد بالخريف : العام ؛ لأن العرب يبتدئون[2] العام : بالخريف . سمّي خريفاً : لأنه يُخرف فيه الثمار . أي : يجتنى . كذا في اللمعات .

(قالوا : فإنا نصبر ، لا نسأل[3] شيئاً)

وفي رواية أخرى ، عن عبد الله بن عمرو ؛ قَالَ : بَيْنَما أَنَا قَاعِدٌ فِي الْمَسْجِدِ - وَحَلْقَةٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ قُعُودٌ - إِذْ دَخَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه

---

(١) لم أعثر (فيما تيسر لي من مراجع) ، على هذا الحديث ، ولكني عثرت على حديث بلفظ قريب منه ، رواه الطبراني (في الأوسط) ، ونصه : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ : « تَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ : بِنِصْفِ يَوْمٍ » ، قُلْتُ : وَمَا نِصْفُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : « إِنَّ يَوْماً - عِنْدَ رَبِّكَ - كَأَلْفِ سَنَةٍ » . وتكملة الحديث - كما في مجمع الزوائد ، المجلد الخامس ، جـ ١٠ ، باب فضل الفقراء ، ط دار الكتاب العربي ، ببيروت - قال : « وَيَدْخُلُونَ جَمِيعاً عَلَى صُورَةِ آدَمَ » ، قُلْتُ : وَمَا كَانَتْ صُورَةُ آدَمَ ؟ قَالَ : « كَانَ اثْنَا عَشَرَ ذِرَاعاً : طُولُهُ فِي السَّمَاءِ ، وَسِتٌّ : عَرْضاً . قُلْتُ : أَيُّ ذِرَاعٍ ؟ قَالَ : « الذِّرَاعُ طُولُ الرَّجُلِ الطَّوِيلِ » . قال الهيثمي - في المصدر المذكور - : رواه الطبراني (في الأوسط) ، وفيه : (عدي بن الفضل التيمي ، مولاهم) وهو ضعيف . وقد وجدت حديثاً آخر ، في نفس المصدر المذكور ، (ونصه : « عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَدْخُلُ فُقَرَاءُ الْمُسْلِمِينَ الْجَنَّةَ ، قَبْلَ أَغْنِيَائِهِمْ : بِخَمْسِمِائَةِ عَامٍ » . قُلْنَا : وَمَنْ هُمْ ؟ يَارَسُولَ اللَّهِ ! قَالَ : « هُمُ الَّذِينَ ، إِذَا كَانَ مَهْلَكٌ : بُعِثُوا . وَإِذَا كَانَ مَغْنَمٌ : بَعَثُوا غَيْرَهُمْ ، الَّذِينَ يُحْجَبُونَ عَلَى أَبْوَابِ السُّلْطَانِ » . قال الهيثمي : قلت : روى أبو داود بعضه - ثم قال - : رواه الطبراني في (الأوسط) ، وفيه : « أبو عبيدة بن الفضيل بن عياض » ولم أعرفه ، وزيد العمى : ضعّفه الجمهور ، وقد وثّق ، وبقية رجاله : ثقات . اهـ . المحقق .

(٢) (يبتدئون) . في الأصل : « يبتدؤن » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « فلا نسأل » بزيادة الفاء . هذا ؛ وكلمة « شيئاً » ، رسمت في الأصل : « شئا » بدون ياء . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

وآله وسلم ، فَقَعَدَ إِلَيْهِمْ ، فَقُمْتُ إِلَيْهِمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لِيُبْشِـرْ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ : بِمَا يَسُرُّ وُجُوهَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ ؛ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ : بِأَرْبَعِينَ عَاماً » . قَالَ[1] : فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَلْوانَهُمْ أَسْفَرَتْ . قَالَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ عَمْرٍو : حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ . أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ – أَوْ مِنْهُمْ–)[2]رواه الدارمي .

بَابُ : أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ

وقـال النووي : (باب:أكثر أهل الجنة : الفقراء ، وأكثر أهل النار : النساء . وبيان الفتنة بالنساء) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٥٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا : الْمَسَاكِينُ . وَإِذَا أَصْحَابُ الْجَدِّ مَحْبُوسُونَ – إِلَّا أَصْحَابَ النَّارِ – ، فَقَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ .

وَقُمْتُ عَلَىٰ بَابِ النَّارِ ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا : النِّسَاءُ ») .

---

(١) (قال) أي : عبد الله بن عمرو . المحقق .

(٢) هذا الحديث مذكور بنفس اللفظ ، في « مشكاة المصابيح » للخطيب التبريزي ، بتحقيق الألباني ، كتاب الرقائق ، باب فضل الفقراء جـ ٣ ص ١٤٤٧ ، حديث رقم (٥٢٥٨) . المحقق .

الشرح

(عن أسامة بن زيد ، رضي الله عنهما[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : قمتُ على باب الجنة) أي : ليلة المعراج ، أو في المنام ، أو حال كشف المقام ، أو بطريق دلالة المرام .

(فإذا عامة من دخلها : المساكين) : جمع « مسكين » ، وهو من خَرْجُه[2] : أكثر من دخله .

(وإذا أصحاب الجد) . « الجد » : بفتح الجيم ، قيل : المراد به : أصحاب البخت والحظّ في الدنيا ، والغنىٰ والوجاهة بها .

وقيل : المراد : أصحاب الولايات .

(محبوسون) للحساب ، موقوفون يوم القيامة في الصحراء .

حاصله : أن أصحاب الحظّ الفاني ؛ من أرباب الأموال ، والمناصب : محبوسون في العرصات[3] : لطول حسابهم في المتاعب ، بسبب كثرة أموالهم ، وتوسيع جاههم ، وتلذذهم بهما في الدنيا . والفقراء من هذا : برآء[4] ، فلا يحاسبون ولا يحبسون . بل ويسبقونهم بخمسمائة[5] عام ، كما جاء في الحديث .

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) (حرجه) أي : نفقاته . المحقق .

(٣) (العرصات) : جمع « عَرْصة » وهي - كما في المعجم الوسيط - : ساحة الدار ، والبقعة الواسعة بين الدور ، لا بناء فيها . المحقق .

(٤) (برآء) في الأصل رسمت : « برءاء » . المحقق .

(٥) (بخمسمائة) . في الأصل : « خمسمائة » بدون باء . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(إلّا أصحاب النار ، فقد أمر بهم إلى النار) معناه : من استحقّ من أهل الغنى النار : بكفره ، أو معاصيه .

وفي هذا الحديث : تفضيل الفقر على الغنى[1] .

وفيه : فضيلة الفقراء ، والضعفاء .

(وقمت على باب النار ، فإذا عامة من دخلها : النساء) تقدم الكلام على معنى هذه الجملة ، في بابه . والحديث متفق عليه .

وعن ابن عباس ؛ يرفعه : « اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : الْفُقَرَاءَ . وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ ، فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا : النِّسَاءَ » . متفق عليه[2] .

بَابٌ فِي الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا ، وَهَوَانِهَا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : مَرَّ بِالسُّوقِ - دَاخِلاً مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ - وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ : أَنَّ هٰذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ ؟ » . فَقَالُوا : مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ . وَمَا نَصْنَعُ بِهِ ؟ قَالَ :

---

(١) ليس الفقر الناشئ عن الكسل وعدم الأخذ بالأسباب ، وإنما الفقر بسبب العجز ، أو كثرة الإنفاق والبذل في الخير . المحقق .

(٢) مذكور في صحيح مسلم / النووي ص ٥٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية . المحقق .

« أَتُحِبُّـونَ أَنَّهُ لَكُمْ ؟ » . قَالُوا : وَاللَّهِ ! لَوْ كَانَ حَيًّا ، كَانَ عَيْباً فِيهِ ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ . فَكَيْفَ ، وَهُوَ مَيِّتٌ ؟ فَقَالَ : « فَوَ اللَّهِ ! لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ : مِنْ هَـٰذَا عَلَيْكُمْ ») .

(الشَّرح)

(عن جابر بن عبد الله) رضي الله عنهما ؛ (أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : مرّ بالسوق - داخلاً من بعض العالية - والناس كنفته) وفي بعض النسخ : « كنفتيه »[1] .

معنى الأول : جانبه . والثاني : جانبيه .

(فمر بجدي أسكّ ميت) أي : صغير الأذنين ، أو مقطوعهما .

(فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : « أيكم يحب أن هذا له : بدرهم ؟ » فقالوا : ما نحبّ أنه لنا بشيء[2] وما نصنع به ؟ قال : « تحبون[3] أنه لكم ؟ » قالوا : والله ! لو كان حيّا ، كان عيباً فيه ، لأنه أسكّ ، فكيف وهو ميت ؟ فقال : « فوالله ! للدنيا أهون على الله ، من هذا عليكم ») أي : أحقر ، وأذلّ .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

---

(١) وهو الموافق لما ورد في حديث الباب ، كما في صحيح مسلم . المحقق .

(٢) (بشيء) في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٣) (تحبون) هكذا في الأصل : بحذف همزة الاستفهام ، وفي مصدر الحديث : بذكرها . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُــولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[١] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « الدنيا سجن المؤمن ، وجنة الكافر ») .

قال النووي : معناه : أن كل مؤمن : مسجون ممنوع في الدنيا ؛ من الشهوات المحرمة والمكروهة[٢] ، مكلّف بفعل الطاعات الشاقّة . فإذا مات : استراح من هذا ، وانقلب إلى ما أعَدَّ الله تعالى له : من النعيم الدائم ، والراحة الخالصة من النقصان .

وأما الكافر ؛ فإنما له من ذلك : ما حصل في الدنيا ، مع قلّته وتكديره بالمنغصات . فإذا مات : صار إلى العذاب الدائم ، وشقاء الأبد[٣] .

وفي (اللمعات) : الدنيا سجن المؤمن ؛ لما يصيبه فيها : من البلايا ، والمحن والآلام . وجنة الكافر : لتنعّمه وتمتعه فيها ؛ بالشهوات . أو لأنها : ضيقة على المؤمن ، يريد الخروج منها دائماً : إلى فضاء القدس . والكافر يتمنى الخلود : لركونه إليها ، وانهماكه في الشهوات .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (والمكروهة) أي : المكروهة في الشرع ، وإلا ، فهي محببة إلى النفس البشرية . المحقق .

(٣) ذكره النووي ، في ص ٩٣ ، المصدر المتقدم . المحقق .

وقد يشتبه هذا : بالمؤمن الغني المتنعم ، والكافر الفقير المبتلىٰ ؛

فيقال : إن الدنيا للمؤمن : كالسجن ، في جنب ما أُعِدَّ له : من الثواب ، وإن كان له فيها تنعم .

وللكافر : كالجنة ، في جنب ما أعِدّ له : من العقاب ، وإن كان له محنة وشدّة . انتهى .

بَابُ خَشْيَةِ بَسْطَةِ الدُّنْيَا، وَالتَّنَافُسِ فِيهَا

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ أَخْبَرَهُ : أَنَّ عَمْرَو بْنَ عَوْفٍ - وَهُوَ حَلِيفُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، وَكَانَ شَهِدَ بَدْراً ، مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - أَخْبَرَهُ : أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى الْبَحْرَيْنِ : يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا - وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، هُوَ صَالَحَ أَهْلَ الْبَحْرَيْنِ ، وَ أَمَّرَ عَلَيْهِمُ : الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ - ، فَقَدِمَ أَبُو عُبَيْدَةَ بِمَالٍ ، مِنَ الْبَحْرَيْنِ ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ : فَوَافَوْا صَلاَةَ الْفَجْرِ ، مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم : انْصَرَفَ ، فَتَعَرَّضُوا لَهُ ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ الله ، صلى الله عليه وسلم - حِينَ رَآهُمْ - ثُمَّ قَالَ : « أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ ، أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ : قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ ؟ » . فَقَالُوا : أَجَلْ . يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « فَأَبْشِرُوا ، وَأَمِّلُوا : مَا يَسُرُّكُمْ . فَوَاللّهِ ! مَا

الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ ، وَلَـٰكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ : أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ، كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا ، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ ») .

(الشرح)

(عن عمرو بن عوف ، رضي الله عنه[1] . أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بعث أبا عبيدة بن الجراح ، رضي الله عنه[1] إلى البحرين : يأتي بجزيتها – وكان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، هو صالح أهل البحرين ، وأمّر عليهم : العلاء بن الحضرمي – فقدم أبو عبيدة بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافوا صلاة[2] الفجر ، مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . فلما صلى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسّم رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم – حين رآهم – ثم قال : « أظنكم سمعتم ، أن أبا عبيدة : قدم بشيء[3] من البحرين ؟ » فقالوا : أجل . يارسول الله ! قال : « فأبشروا ، وأمّلوا : ما يسرّكم . فوالله ! ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشىٰ عليكم : أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم ، فتنافسوها) أي : ترغبوا فيها غاية الرغبة ، (كما تنافسوها . وتهلككم كما أهلكتهم ») .

---

(١) نقلنا نص ، السند ، من مصدر الحديث ، من أول : « عن عروة بن الزبير » ، لما فيه من زيادة معلومات ، هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .

(٣) (بشيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

وأصل الحديث : متفق عليه . وهو علم من أعلام النبوة . فقد وقع مصداقه ، من زمن طويل .

بَابُ خَوْفِ التَّنَافُسِ وَالتَّحَاسُدِ عِنْدَ فَتْحِ الدُّنْيَا

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ أَنَّهُ قَالَ : « إِذَا فُتِحَتْ عَلَيْكُمْ : فَارِسُ وَالرُّومُ ، أَيُّ قَوْمٍ أَنْتُمْ ؟ » . قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَـٰنِ بْنُ عَوْفٍ : نَقُولُ كَمَا أَمَرَنَا اللّهُ . قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَوْ غَيْرَ ذَٰلِكَ : تَتَنَافَسُونَ ، ثُمَّ تَتَحَاسَدُونَ ، ثُمَّ تَتَدَابَرُونَ ، ثُمَّ تَتَبَاغَضُونَ - أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ - ثُمَّ تَنْطَلِقُونَ فِي مَسَاكِينِ الْمُهَاجِرِينَ ؛ فَتَجْعَلُونَ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ رِقَابِ بَعْضٍ ») .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن عمرو بن العاص) رضي الله عنهما ؛ (عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ؛ أنـه قال : « إذا فتحت عليكم : فارس والروم ، أيّ قوم أنتم ؟ » قال عبد الرحمن بن عوف[1] : نقول كما أمرنا الله) معناه : نحمده ونشكره ، ونسأله : المزيد من فضله .

---

(١) أشار المؤلف ، في الهامش ، إلى أنه في بعض النسخ : بزيادة : « رضي الله عنه » . المحقق .

(قال رسـول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « أو غير ذلك : تتنافسون ، ثم تتحاسدون ، ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون - أو نحو ذلك - ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين ؛ فتجعلون[1] بعضهم على رقاب بعض ») .

قال العلماء : التنافس إلى الشيء[2] : المسابقة إليه ، وكراهية أَخْذِ غيرك[3] إياه . وهو أول درجات الحسد .

وأما الحسد ، فهو تمنّي زوال النعمة عن صاحبها .

« والتدابر » : التقاطع - وقد بقي مع التدابر : شيء[2] من المودة - أو لا يكون مودة ولا بغض .

وأما « التباغض » : فهو بعد هذا[4] . ولهذا : رتبت في الحديث .

ثم ينطلقون في « مساكين المهاجرين » أي : ضعفائهم ، فيجعلون بعضهم أمراء على بعض . هكذا فسروه .

بَابُ : مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ : إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ الإِصْبَعَ[5] فِي اليَمِّ

وهو في النووي ، في : (باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة) .

---

(١) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « فيجعلون » بالياء ، بدل التاء . المحقق .

(٢) (الشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (أخْذ غيرك) هو من إضافة المصدر إلى فاعله . أي : أن يأخذ غيرُك . المحقق .

(٤) (بعد هذا) أي مرحلة تأتي بعد التدابر . المحقق .

(٥) (الإصبع) في الأصل : رسمت العين المهملة : غينا معجمة ، وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٢ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ قَيْسٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ مُسْتَوْرِداً – أَخَا بَنِي فِهْرٍ – ؛ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « وَاللَّهِ ! مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ ، إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَـٰذِهِ – وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَّابَةِ – فِي الْيَمِّ . فَلْيَنْظُرْ : بِمَ يَرْجِعُ ؟) .

(الشَّرح)

(عن المستورد[1] – أخي بني فهر – ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : والله ! ما الدنيا في الآخرة) أي : في جنبها ومقابلتها ، (إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار يحيى[2] بالسبابة – في اليم . فلينظر : بم يرجع[3] ؟) ضبط بالتذكير[4] في أكثر الأصول . وفي بعض النسخ : بالتأنيث[5] .

(والإصبع) : مؤنث ، وقد يذكّر .

قال النووي : والأول – يعني بالتاء – أشهر[6] .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « قيس » . المحقق .

(٢) (يحيىٰ) هو الراوي لهذا الحديث ، عن إسماعيل عن قيس . المحقق .

(٣) أضاف « مسلم » – بعد قوله : « بم يرجع » أضاف قوله : وَفِي حَدِيثِهِمْ جَمِيعاً – غَيْرَ يَحْيَىٰ – : (سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ ذَلِكَ) . وَفِي حَدِيثِ (أَبِي أُسَامَةَ عَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ – أَخِي بَنِي فِهْرٍ – ، وَفِي حَدِيثِهِ أَيْضاً ، قَالَ : وَأَشَارَ إِسْمَاعِيلُ : بِالإِبْهَامِ . انظر ص ١٩٢ . نفس المصدر . المحقق .

(٤) (بالتذكير) أي : بتذكير الفعل : « يرجع » . المحقق .

(٥) أي : « ترجع » . المحقق .

(٦) عبارة النووي أوضح . ونصها – كما في ص ١٩٢ ، المصدر المتقدم – : وقوله : « بم ترجع » ضبطوا « ترجع » بالمثناة فوق ، والمثناة تحت . والأول أشهر . المحقق .

قال[1] : ومن رواه بالياء : أعاد الضمير إلى « أحدكم »[2]. والتاء[3] : أعاده على الإصبع ، وهو الأظهر .

ومعناه : لا يعلق بها : كثير شيء[4] من الماء .

قال[1] : وفي رواية : « وأشار إسماعيل بالإبهام » . هكذا هو في نسخ بلاد النووي . وهي (الإصبع العظمى المعروفة) كذا نقله عياض ، عن جميع الرواة ، إلا « السمرقندي » ، فرواه : « البهام » . قال[5] : وهو تصحيف .

قال القاضي : « ورواية السبابة » : أظهر ، من « رواية الإبهام » ، وأشبه بالتمثيل . لأن العادة : « الإشارة بها » ، لا بالإبهام . ويحتمل : أنه أشار بهذه مرة ، وبهذه مرة[6] . « واليم » : البحر .

ومعنى الحديث : ما الدنيا - بالنسبة إلى الآخرة - في قصر مدتها ، وفناء لذّتها : ودوام الآخرة ، ودوام لذّتها ونعيمها : إلا كنسبة الماء الذي يعلق بالإصبع ، إلى باقي البحر[7] . والله أعلم .

بَابٌ فِي الابْتِلاءِ بِالدُّنْيَا، وَكَيْفَ يُعْمَلُ فِيهَا

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(١) (قال) أي : النووي ، بنفس المصدر . المحقق .

(٢) قلت : ويجوز إعادة الضمير ، إلى « الإصبع » ، على القول بتذكيره . المحقق .

(٣) (والتاء) أي : ومن رواه بالتاء .. الخ . المحقق .

(٤) (شيء) . في الأصل:وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، ص ١٩٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) حكاه النووي ، عن عياض ، وهو بنفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٧) مذكور بنفس المصدر . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٧ - ١٠٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْـدِ الـرَّحْمَـٰنِ بْنِ أَبِي عَمْـرَةَ ؛ أَنَّ أَبَـا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُـولُ : « إِنَّ ثَلاثَـةً - فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - أَبْرَصَ ، وَأَقْرَعَ ، وَأَعْمَىٰ . فَأَرَادَ اللّٰهُ : أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ : مَلَكاً ، فَأَتَى الأَبْرَصَ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : لَوْنٌ حَسَنٌ ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي : الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ . قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ ، وَأُعْطِيَ : لَوْناً حَسَناً ، وَجِلْداً حَسَناً .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الإِبِلُ . - أَوْ قَالَ : الْبَقَرُ - شَكَّ إِسْحَـاقُ . إِلَّا أَنَّ الأَبْـرَصَ ، أَوِ الأَقْـرَعَ ، قَالَ أَحَـدُهُمَـا : الإِبِلُ . وَقَالَ الآخَرُ : الْبَقَرُ - قَالَ : فَأُعْطِيَ : نَاقَةً عُشَرَاءَ . فَقَالَ : بَارَكَ اللّٰهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ : فَأَتَى الأَقْـرَعَ ، فَقَـالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : شَعَـرٌ حَسَنٌ ، وَيَذْهَبُ عَنِّي : هَـٰذَا الَّـذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ . قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَذَهَبَ عَنْهُ ، وَأُعْطِيَ : شَعَراً حَسَناً .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْبَقَرُ . فَأُعْطِيَ : بَقَرَةً حَامِلاً . فَقَالَ : بَارَكَ اللّٰهُ لَكَ فِيهَا .

قَالَ : فَأَتَى الأَعْمَىٰ ، فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : أَنْ يَرُدَّ اللّٰهُ إِلَيَّ بَصَرِي ، فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ .

قَالَ : فَمَسَحَهُ ، فَرَدَّ اللّٰهُ إِلَيْهِ : بَصَرَهُ .

قَالَ : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قَالَ : الْغَنَمُ . فَأُعْطِيَ : شَاةً وَالِداً .

فَأُنْتِجَ هَـٰذَانِ ، وَوَلَّـدَ هَـٰذَا . قَالَ : فَكَـانَ لِهَـٰذَا : وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَـٰذَا : وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ، وَلِهَـٰذَا : وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ .

قَالَ : ثُمَّ إِنَّـهُ أَتَى الأَبْـرَصَ - فِي صُورَتِـهِ ، وَهَيْئَتِـهِ - فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ؛ قَدِ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي . فَلَا بَلَاغَ لِيَ - الْيَوْمَ - إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ بِكَ . أَسْأَلُكَ : بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ ، وَالْمَالَ : بَعِيراً ، أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي . فَقَالَ : الْحُقُوقُ كَثِيرَةٌ .

فَقَـالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ؛ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ ، يَقْذَرُكَ النَّاسُ ؟ فَقِيراً ، فَأَعْطَاكَ اللَّهُ ؟

فَقَالَ : إِنَّمَا وَرِثْتُ هَـٰذَا الْمَالَ : كَابِراً ، عَنْ كَابِرٍ . فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً ، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَى الأَقْرَعَ - فِي صُورَتِهِ - فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَـٰذَا . وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَارَدَّ عَلَىٰ هَـٰذَا .

فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ كَاذِباً ، فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ .

قَالَ : وَأَتَى الأَعْمَىٰ - فِي صُورَتِهِ ، وَهَيْئَتِهِ - فَقَالَ : رَجُلٌ مِسْكِينٌ ، وَابْنُ سَبِيلٍ ؛ انْقَطَعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ لِيَ - الْيَوْمَ - إِلَّا بِاللَّهِ ، ثُمَّ بِكَ . أَسْـأَلُكَ : بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ : شَاةً ، أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي . فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ ، فَوَاللَّهِ ! لَا أَجْهَدُكَ - الْيَوْمَ - شَيْئاً ، أَخَذْتَهُ لِلَّهِ .

فَقَالَ : أَمْسِكْ مَالَكَ ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ ، فَقَدْ رُضِيَ عَنْكَ ، وَسُخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيْكَ ») .

الشرح

(عن أبي هريرة)[1] رضي الله عنه ؛ (أنه سمع النبي[2] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يقول : إن ثلاثة[3] في بني إسرائيل : أبرص ، وأقرع ، وأعمى . فأراد الله : أن يبتليهم) .

وفي بعض النسخ : « يَبْلِيَهُمْ »[4] بإسقاط التاء . ومعناهما : الاختبار .

(فبعث إليهم : ملكا ، فأتى الأبرص ، فقال : أي شيء[5] أحبّ إليك ؟ قال : لون حسن ، وجلد حسن ، ويذهب عني الذي : قد قذرني الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه قذره ، وأعطي لوناً حسناً ، وجلداً حسناً .

قال : فأيّ المال أحبّ إليك ؟ قال : الإبل - أو قال : البقر - شك إسحاق[6] . إلا أن الأبرص أو الأقرع ، قال أحدهما : الإبل . وقال الآخر : البقر . قال : فأعطي : ناقة عشراء) : الحامل القريبة الولادة[7] .

(فقال : بارك الله لك فيها . قال : فأتى الأقرع ، فقال أيّ شيء[5] أحبّ إليك ؟ فقال : شعر حسن ، ويذهب عني : هذا الذي قد قذرني

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عبد الرحمن بن أبي عمرة » . المحقق .

(٢) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « رسول الله » بدل : « النبي » . المحقق .

(٣) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٤) ذكره النووي ، في ص ٩٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٦) (إسحاق) هو « إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة » ، الراوي لهذا الحديث ، عن « عبد الرحمن بن أبي عمرة » . هذا ، وكلمة « إسحاق » رسمت في الأصل : « إسحق » . المحقق .

(٧) (الحامل ، القريبة الولادة) تفسير لكلمة : « عُشَراء » . المحقق .

الناس . قال : فمسحه ، فذهب عنه . قال : وأعطي[1] : شعرا حسنا . قال : فأي المال أحبّ إليك ؟ قال : البقر . فأعطي بقرة حاملاً . قال[2] : بارك الله تعالى[3] لك فيها .

قال : فأتى الأعمىٰ ، فقال : أي شيء[4] أحبّ إليك ؟ قال : أن يردّ الله إليّ بصري ، فأبصر به الناس . قال : فمسحه ، فردّ الله إليه بصره . قال : فأي المال أحبّ إليك ؟ قال : الغنم . فأعطي : شاة والداً). أي : وضعتْ ولدها ، وهو معها .

(فأُنتج هذان ، وولّد هذا) هكذا الرواية : « فأنتج » رباعي[5] . وهي لغــة قليلة الاستعمــال . والمشهــور : « نتــج » ثلاثي[6] . وممن حكى اللغتين : الأخفش .

ومعناه : « تولى الولادة » . وهي النتج ، والإنتاج .

ومعنى « ولّد هذا » بتشديد اللام : معنى « أنتج » . والناتج : للإبل . والمولّد : للغنم وغيرها - هو كالقابلة للنساء - .

(فكان[7] لهذا : وادٍ من الإبل ، ولهذا : وادٍ من البقر ، ولهذا : وادٍ من الغنم .

قال : ثم إنه أتى الأبرص - في صورته وهيئته - فقال : رجل مسكين ،

(١) (قال : وأعطي) في مصدر الحديث : « وأعطي » بدون كلمة : « قال » . المحقق .

(٢) (قال) في مصدر الحديث : « فقال » بالفاء . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث لفظ: «تعالى » . المحقق .

(٤) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) الأولى أن يقول : « ثلاثي مزيد بالهمزة » ، فهو على وزن : « أفعل » . المحقق .

(٦) (ثلاثي) أي : ثلاثي مجرد . المحقق .

(٧) (فكان) في مصدر الحديث : « قال : فكان » بزيادة : « قال » . المحقق .

قد انقطعت بي الحبال) : بالحاء ، وهي الأسباب[1] . وقيل : الطرق .

وفي بعض نسخ البخاري : « الْجِبَال »[2] بالجيم .

وروي : « الحيل » جمع « حيلة » . وكل صحيح[3] .

(في سفـري ، فلا بلاغ لي اليوم ، إلا بالله عز وجل[4] ، ثم بك . أسألك : بالذي أعطاك : اللون الحسن ، والجلد الحسن ، والمال : بعيراً أتبلّغ عليه في سفري . فقال : الحقوق كثيرة . فقال له : كأني أعرفك ؛ ألم تكن أبرص ، يقذرك الناس ؟ فقيراً ، فأعطاك الله ؟ فقال : إنما ورثت هذا المـال : كابـراً ، عن كابر) أي : ورثته عن آبائي ، الذين ورثوه من أجدادي ، الذين ورثوه من آبائهم : كبيراً عن كبير (في العز ، والشرف ، والثروة) .

(فقال : إن كنت كاذبا ، فصيرك الله إلى ما كنت .

قال : وأتى الأقـرع - في صورتـه ، وهيئتـه[5] - فقال له مثل ما قال لهذا . وردّ عليه مثل ماردّ على هذا . فقال : إن كنت كاذبا ، فصيّرك الله إلى ما كنت .

قال : وأتى الأعمى - في صورته وهيئته - فقال له[6] : رجل مسكين ، وابن سبيل ، انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم ، إلا بالله ، ثم بك . أسـألك : بالذي ردّ عليك بصرك : شاة أتبلغ بها في سفري .

(١) (الأسباب) بالباء الموحدة ، وهي في الأصل : بالياء المثناة تحت . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، بص ٩٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) ذكره النـووي ، بنفس المصدر . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث لفظ : « عز وجل » . المحقق .

(٥) لم يذكر - هنا - في مصدر الحديث لفظ : « وهيئته » . المحقق .

(٦) (فقال له) في مصدر الحديث : « فقال » بدون كلمة : « له » . المحقق .

فقال : قد كنت أعمى ، فردّ الله إليّ[1] بصري . فخذ ماشئت ، ودع ماشئت. فوالله ! لا أجهدك - اليوم - شيئاً أخذته لله تعالى)[2] .

هكذا هو في رواية الجمهور : « أجهدك » بالجيم ، والهاء .

وفي رواية ابن ماهان : « أَحْمَدُكَ » بالحاء ، والميم .

ووقع في البخاري بالوجهين . لكن الأشهر في مسلم : « بالجيم » . وفي البخاري : « بالحاء »[3] .

ومعنى الجيم : لا أشقّ عليك ، بردّ شيء[4] تأخذه ، أو تطلبه من مالي . « والجهد » : المشقّة .

ومعناه بالحاء : لا أحمدك بترك شيء[4] تحتاج إليه ، أو تريده . فتكون لفظة « الترك » : محذوفة مرادة . كما قال الشاعر : « ليس على طول الحياة ندم »[5] أي : فوات طول الحياة .

(فقال : أمسك مالك ، فإنما ابتليتم ، فقد رُضي عنك ، وسُخط على صاحبيك) : الأبرص ، والأقرع .

وفي هذا الحديث : الحثّ على الرفق بالضعفاء ، وإكرامهم ، وتبليغهم ما يطلبون : مما يمكن . والحذر : من كسر قلوبهم ، واحتقارهم .

وفيه : التحدّث بنعمة الله تعالى ، وذمّ جحدها . والله أعلم .

---

(١) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « عليّ » بدل : « إليّ » . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث لفظ: «تعالى » . المحقق .

(٣) ذكره مسلم ، في ص ٩٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) في الأصل : ذكر قبل قوله : « ليس على طول الحياة ندم » ، ذكر حرف (ع) رمزاً لكلمة (مصراع) . أي شطر بيت من الشعر . وقد حذفنا هذا الحرف لعدم الحاجة إليه . هذا ؛ وكلمة (الحياة) رسمت في الأصل : « الحيوة » . المحقق .

بَابٌ فِي قِلَّةِ الدُّنْيَا وَالصَّبْرِ عَنْهَا، وَأَكْلِ وَرَقِ الشَّجَرِ

وذكره النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٠ ، ١٠١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ قَيْسٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ؛ يَقُولُ : وَاللّهِ ! إِنِّي لَأَوَّلُ رَجُلٍ - مِنَ الْعَرَبِ - رَمَىٰ بِسَهْمٍ ، فِي سَبِيلِ اللّهِ .

وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، مَالَنَا طَعَامٌ نَأْكُلُهُ : إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ ، وَهَـٰذَا السَّمُرُ . حَتَّىٰ إِنَّ أَحَدَنَا لَيَضَعُ ، كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ . ثُمَّ أَصْبَحَتْ بَنُوأَسَدٍ : تُعَزِّرُنِي عَلَى الدِّينِ . لَقَدْ خِبْتُ إِذاً ، وَضَلَّ عَمَلِي .

وَلَمْ يَقُلْ « ابْنُ نُمَيْرٍ » : إِذاً) .

(الشَّرح)

(عن سعد بن أبي وقاص ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : والله ! إني لأول رجل - من العرب - رمىٰ بسهم في سبيل الله) .

فيه : منقبة ظاهرة له[2] ، وجواز : مدح الإنسان نفسه ، عند

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . هذا ؛ وقد ذكرنا من السند ، من أول : « عن قيس » . المحقق .

(٢) (له) أي : لسعد بن أبي وقاص . المحقق .

الحاجة[1] . وقد سبقت : نظائرها ، وشرحها .

(ولقد كنا نغزو مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، مالنا طعام نأكله : إلا ورقُ الحبلة ، وهذا السمر) .

« الحبلة » : بضم الحاء وإسكان الباء .

« والسمر » : بفتح السين ، وضم الميم . وهما نوعان من شجر البادية كذا قاله أبو عبيد ، وآخرون .

وقيل : « الحبلة » : ثمر العضاه . وهذا يظهر على رواية البخاري : « إِلَّا الْحُبْلَةُ ، وَوَرَقُ السَّمُرِ »[2] .

---

(١) قال « ابن حجر » في المصدر المتقدم (١١/٢٩١) : قال « ابن الجوزي » : إن قيل : كيف ساغ لسعد : أن يمدح نفسه ، ومن شأن المؤمن : تَرْكُ ذلك ، لثبوت النهي عنه ؟

فالجواب : أن ذلك ساغ له ، لما عيّره الجهال : بأنه لا يحسن الصلاة . (وذلك أن بني أسد ، الذين شكا منهم سعد ، كانوا وشوا به إلى عمر ؛ قالوا : لا يحسن يصلي ، كما جاء في الحديث رقم (٣٧٢٨) الذي ستأتي الإشارة إليه ، في الهامش رقم (٢) . فعزله عمر) ، فاضطر سعد إلى ذكر فضله . قال ابن الجوزي : والمدحة ، إذا خلت عن البغي ، والاستطالة ، وكان مقصود قائلها : إظهارَ الحق ، وشكر نعمة الله : لم يُكره ، كما لو قال القائل : إنِّي لحافظ لكتاب الله ، عالم بتفسيره ، وبالفقه في الدين (قاصداً إظهار الشكر ، أو تعريف ماعنده ، ليستفاد) ، ولو لم يقل ذلك : لم يعلم حاله . ولهذا قال يوسف عليه السلام : « إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » . وقال عليّ : سلوني عن كتاب الله ، وقال ابن مسعود : لو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني : لأتيته . وساق ابن الجوزي - في ذلك - أخباراً ، وآثاراً عن الصحابة والتابعين : تؤيد ذلك . ا هـ . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، بص ١٠١ ، المصدر المتقدم . وقد رجعت إلى (فتح الباري) : فوجدت في كتاب الرقاق ، باب (١٧) ، حديث رقم (٦٤٥٣) : نص العبارة : « إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ ، وَهَـٰذَا السَّمُرُ » . انظر فتح الباري (١١/٢٨٢) ، تصحيح وتحقيق ابن باز .

وفي كتاب فضائل الصحابة ، باب (١٥) ، حديث رقم (٣٧٢٨) : نصها : « إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ » ، المصدر المتقدم (٧/٨٣) .

وفي كتاب الأطعمة ، باب (٢٢) ، حديث رقم (٥٤١٢) ، نصها : « إِلَّا وَرَقُ الْحُبْلَةِ » . ولم يذكر : « وهذا السمر » ، نفس المصدر (٩/٥٤٩) . المحقق .

(حتى إن أحدنا ليضع ، كما تضع الشاة) . وفي رواية ؛ قَالَ : « حَتَّىٰ إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ ، كَمَا يَضَعُ الْعَنْزُ ، مَا يَخْلِطُهُ بِشَيْءٍ »[1] .

فيه : بيان ماكانوا عليه من الزهد في الدنيا ، والتقلل منها ، والصبر في طاعة الله : على المشاق الشديدة .

(ثم أصبحت بنوأسد : تعزّرني على الدّين) . قالوا : المراد « ببني أسد » : بنو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّىٰ[2] .

قال الهروي : معنى « تعزرني » : توقفني . « والتعزير » : التوقيف على الأحكام والفرائض .

وقال ابن جرير : معناه : تقوّمني وتعلّمني . ومنه « تعزير السلطان » وهو تقويمه بالتأديب .

وقال الجرمي : معناه : « اللوم والعتب » . وقيل : معناه : توبخني على التقصير فيه[3] .

---

(١) هذه الرواية ، ذكرها مسلم ، عقب حديث الباب ؛ قال : وَحَدَّثَنَاهُ يَحْيَى بْنُ يَحْيَىٰ ؛ أَخْبَرَنَا وَكِيعٌ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ بِهَـٰذَا الإِسْنَادِ ؛ وَقَالَ . . . وساق الحديث بنفس اللفظ ، الذي ورد في الأصل ، إلا أنه قال : « كما تضع العنز » : « تضع » بالتاء ، لا بالياء كما في الأصل . هذا ؛ وكلمة : (ليضع) كناية عن الذي يخرج منه ، في حال التغوط . وقوله : « ما يخلطه شيء » أو « ماله خِلط » - كما في بعض الروايات - أي : يصير الخارج منه - عند التغوط - بعراً خالصاً ، لا يختلط من شدّة اليبس . هكذا كما قال نحوه « ابن حجر » . في المصدر المتقدم (١١/٢٩٠) . المحقق .

(٢) قال « ابن حجر » - في المصدر المتقدم ، (١١/٢٩٠) - : وأغرب النووي ، فنقل عن بعض العلماء : أن مراد سعد ، بقوله : « فأصبحت بنو أسد » : بنو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي . (وفيه نظر) ؛ لأن القصة (إن كانت هي التي وقعت في عهد عمر : فلم يكن للزبير - إذ ذاك - بنون ، يصفهم سعد بذلك ، ويشكو منهم ؛ فإن أباهم (الزبير) كان - إذ ذاك - موجوداً ، وهو صديق سعد . وإن كانت القصة بعد ذلك : فيحتاج إلى بيان) .اهـ . وهي ملاحظة وجيهة . المحقق .

(٣) أفاده النووي ، بص ١٠١ ، ١٠٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(لقد خبت إذاً ، وضلّ عملي)[1] ولم يقل ابن نمير : « إذاً » .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠١ - ١٠٣ جـ ١٨ ،المطبعة المصرية .

(عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيرٍ الْعَدَوِيِّ ؛ قَالَ : خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ ؛ فَحَمِدَ اللّهَ ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ . وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا : إِلَّا صُبَابَةٌ ، كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ : يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا . وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا : إِلَىٰ دَارٍ ، لاَزَوَالَ لَهَا . فَانْتَقِلُوا : بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ ، فَإِنَّهُ : قَدْ ذُكِرَ لَنَا : أَنَّ الْحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ ، فَيَهْوِي فِيهَا : سَبْعِينَ عَاماً ، لاَ يُدْرِكُ لَهَا قَعْراً ، وَوَاللّهِ ! لَتُمْلأَنَّ . أَفَعَجِبْتُمْ ؟

وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا : أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ - مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ - : مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ ، وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ .

وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي - سَابِعَ سَبْعَةٍ ، مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - : مَا لَنَا طَعَامٌ ، إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ ، حَتَّىٰ قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا ، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً ؛

---

(١) في حديث البخاري ، بالفتح رقم (٦٤٥٣) ، : « خِبْتُ إذاً ، وَضَلَّ سَعْيِي » ، وفي حديثه رقم (٥٤١٢) بنفس المصدر : « خَسِرْتُ إذاً ، وَضَلَّ سَعْيِي » ، والحديثان مشار إليهما ، في الهامش رقم (٢) ، بص ٥٣٣ . المحقق .

فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْن مَالِكٍ ؛ فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا ، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا . فَمَا أَصْبَحَ - الْيَوْمَ - مِنَّا أَحَدٌ ، إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيراً عَلَىٰ مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ . وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ : أَنْ أَكُونَ - فِي نَفْسِي - عَظِيماً ، وَعِنْدَ اللَّهِ : صَغِيراً .

وَإِنَّهَا ، لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ : إِلَّا تَنَاسَخَتْ ، حَتَّىٰ يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا : مُلْكاً . فَسَتَخْبُرُونَ ، وَتُجَرِّبُونَ : الأُمَرَاءَ ، بَعْدَنَا) .

(الشَّرح)

« خطبة عتبة بن غزوان »[1]

(عن خالد بن عمير العدوي ؛ قال : خطبنا عتبة بن غزوان ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ! فَإِنَّ الدنيا قد آذنت بصرم) : بهمزة ممدودة ، وفتح الذال . أي : أعلمت .

« والصرم » بالضم : الانقطاع ، والذهاب .

(وَوَلَّتْ حذّاء) بحاء مهملة مفتوحة ، ثم ذال معجمة مشددة ، وألف ممدودة : أي : مسرعة الانقطاع .

(ولم يبق منها : إلا صبابة ، كصبابة الماء)[2] : بضم الصاد[3] . أي : البقية اليسيرة من الشراب ، تبقىٰ في أسفل الإناء .

(يتصابّها) أي : يشربها (صاحبها . وإنكم منتقلون منها : إلى دار ، لازوال لها . فانتقلوا : بخير ما بحضرتكم . فإنه ؛ قد ذكر لنا : أن الحجر

(١) (خطبة عتبة بن غزوان) ؛ هذا العنوان ذكره المؤلف - في الهامش - مرموزاً فوقه بالحرف (ف) ، فحذفنا الحرف ، ونقلنا العنوان ، إلى الصلب ، تصرفا ، كما تعودنا ، في أمثاله . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « الإناء » بدل : « الماء » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه ورد في بعض النسخ : « الإناء » . المحقق .

(٣) (بضم الصاد) أي : كلمة : « صبابة » . المحقق .

يلقىٰ من شفة جهنم ، فيهوي فيها : سبعين عاماً ، لا يدرك لها قعراً) .

قعر الشيء[1] : أسفله .

(ووالله : لتملأنّ . أفعجبتم ؟ ولقد ذكر لنا : أن ما بين مصراعين - من مصاريع الجنة - : مسيرة أربعين سنة ، وليأتينّ عليها يوم ، وهو كظيظ) أي : ممتلئ (من الزحام .

ولقد رأيتني - سابع سبعة ، مع رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم -:مالنا طعام ، إلا ورق الشجر ، حتى قرحت أشداقنا) أي : صار فيها « قروح ، وجراح » من خشونة الورق الذي نأكله ، وحرارته .

(فالتقطت بردة ، فشققتها بيني وبين سعد بن مالك ؛ فاتزرت بنصفها ، واتّزر سعد بنصفها . فما أصبح - اليوم - منا أحد ، إلا أصبح أميراً على مصر من الأمصار . وإني أعوذ بالله : أن أكون في نفسي عظيماً ، وعند الله صغيراً .

وإنها ، لم تكن نبوة قط ؛ إلا تناسخت ، حتى تكون آخر عاقبتها : ملكاً . فستخبُرون ، وتجرّبون : الأمراء بعدنا)[2] .

فيه : بيان زهد الصحابة ، وعدم افتنانهم[3] : بإمارة الدنيا ، وزخارفها الفانية .

وفيه : أن النبوة تذهب بعد زمن ، ويخلفها ملك وسلطنة ، ويأتي الشر بعد الخير .

---

(١) (الشيء) وضعت - في الأصل - الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٢) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « بعدي » ، بدل : « بعدنا » . المحقق .

(٣) الصواب : « افتتانهم » بتاءين . من الفتنة . المحقق .

بَابُ : يَرْجِعُ عَنِ الْمَيِّتِ أَهْلُهُ وَمَالُهُ ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ؛ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ :- فَيَرْجِعُ اثْنَانِ ، وَيَبْقَىٰ وَاحِدٌ - يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعَمَلُهُ : فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ ، وَمَالُهُ ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ ») .

(الشَّرح)

(عن أنس بن مالك ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يتبع الميت ثلاثة[2] : فيرجع اثنان ، ويبقى واحد ؛ يتبعه أهله) أي : حقيقة ، (وماله) كرقيقه[3] ، (وعمله) . قال الحافظ : وهذا يقع في الأغلب . ورُبَّ ميت : لا يتبعه إلا عمله فقط .

والمراد : من يتبع جنازته ، من أهله ورقيقه ، ودوابه - على ما جرت به عادة العرب - وإذا انقرض أمر الحزن عليه : رجعوا ، سواء أقاموا بعد الدفن ، أم لا .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . هذا ؛ وقد ذكرنا ، من السند ، من أول : « عن عبد الله بن أبي بكر » . المحقق .

(٢) (ثلاثة) ذكرت في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) (ماله) إن كان متاعاً ، أو عقاراً ، أو نقوداً : يتبعه (على سبيل المجاز) . المحقق .

(فيرجع أهله وماله ، ويبقى عمله) . متفق عليه .

قال - في الفتح -- : معناه : أنه يدخل معه القبر . وكذا وقع في حديث « البـراء بن عازب » الـطويل ، في صفة المسألة[1] في القبر - عند أحمد وغيره - وفيه : « فَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الثِّيَابِ ، حَسَنُ الرِّيحِ ؛ فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ . فيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ » . وقال في حق الكافر : « وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ . . » الحديث . وفيه : « أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ » . وفيه : « أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ »[2] .

---

(١) (المسألة)أي :« السؤال » . وقد رسمت في الأصل : « المسئلة » . المحقق .

(٢) هذا الحديث ، تجده في مسند أحمد (٢٨٧/٤) ، وفي « مشكاة المصابيح للخطيب ، بتحقيق الألباني ، حديث رقم (١٦٣٠) ، وفي السنة رقم (٨٧٥) ، وفي (الصحيحة للألباني) باب صفة الصلاة ، حديث رقم (١٦٣) ، وهو حديث طويل ، كما قال المؤلف ، ونصه : (عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ؛ قَالَ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم - فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ - فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ - وَلَمَّا يُلْحَدْ - فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ ، وَكَأَنَّ عَلَى رُؤُوسِنَا الطَّيْرُ - وَفِي يَدِهِ عُودٌ ، يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ - ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : « اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ : مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » : مَرَّتَيْنِ ، أَوْ ثَلاَثاً . ثُمَّ قَالَ : « إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ ، إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ عَلَى الآخِرَةِ : نَزَلَ إِلَيْهِ مَلاَئِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، بِيضُ الْوُجُوهِ ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ . مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ - مَدَّ الْبَصَرِ - . ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، عَلَيْهِ السَّلاَمُ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ ! اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ ، وَرِضْوَانٍ . قَالَ : فَتَخْرُجُ تَسِيلُ ، كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ : مِنْ فِي السِّقَاءِ ، فَيَأْخُذُهَا . فَإِذَا أَخَذَهَا : لَمْ يَدَعُوهَا - فِي يَدِهِ - طَرْفَةَ عَيْنٍ ، حَتَّى يَأْخُذُوهَا ، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ . وَيَخْرُجُ مِنْهَا : كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ ، وُجِدَتْ عَلَى الأَرْضِ . قَالَ : فَيَصْعَدُونَ بِهَا . فَلاَ يَمُرُّونَ - يَعْنِي : بِهَا - عَلَى مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ ؟ فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ - بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ ، الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا - ، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا : إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ : فَيُفْتَحُ لَهُمْ ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا : إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ : إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي - فِي عِلِّيِّينَ - ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى . قَالَ : فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ ، فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ . فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَادِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : دِينِيَ الإِسْلاَمُ . فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم . =

= فَيَقُولاَنِ لَهُ : وَمَا عِلْمُكَ ؟ فَيَقُولُ : قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ ، فَآمَنْتُ بِهِ ، وَصَدَّقْتُ .
فَيُنَادِي مُنَادٍ - فِي السَّمَاءِ - أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي ؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً : إِلَى الْجَنَّةِ . قَالَ : فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا ، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ - مَدَّ بَصَرِهِ - .

قَالَ : وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ ، حَسَنُ الثِّيَابِ ، طَيِّبُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ ، هَـٰذَا يَوْمُكَ ، الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ . فَيَقُولُ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ : الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ .
فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ . فَيَقُولُ : رَبِّ ! أَقِمِ السَّاعَةَ ، رَبِّ ! أَقِمِ السَّاعَةَ ، حَتَّىٰ أَرْجِعَ : إِلَىٰ أَهْلِي وَمَالِي .
قَالَ : وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ ، إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ : مَلاَئِكَةٌ ، سُودُ الْوُجُوهِ ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ [وهو اللباس الخشن] ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ - مَدَّ الْبَصَرِ - ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّىٰ يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ ، فَيَقُولُ : أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ ! اخْرُجِي إِلَىٰ سُخْطٍ مِنَ اللَّهِ ، وَغَضَبٍ . قَالَ : فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ ، فَيَنْتَزِعُهَا ، كَمَا يَنْتَزِعُ السَّفُّودَ [وهي الحديدة التي يشوىٰ بها اللحم] مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ ، فَيَأْخُذُهَا .
فَإِذَا أَخَذَهَا : لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ - طَرْفَةَ عَيْنٍ - ، حَتَّىٰ يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا : كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ ، عَلَىٰ وَجْهِ الأَرْضِ . فَيَصْعَدُونَ بِهَا ، فَلاَ يَمُرُّونَ بِهَا ، عَلَىٰ مَلأٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ ، إِلاَّ قَالُوا : مَا هَـٰذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ ؟
فَيَقُولُونَ : فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ - بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ ، الَّتِي كَانَ يُسَمَّىٰ بِهَا : فِي الدُّنْيَا - ، حَتَّىٰ يُنْتَهَىٰ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ : فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ » . ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ، وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ » [الآية رقم « ٤٠ » من سورة الأعراف]
« فَيَقُولُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ - فِي الأَرْضِ السُّفْلَىٰ - فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحاً » ثُمَّ قَرَأَ : « وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ، فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ » [الآية رقم (٣١) من سورة الحج] ، « فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ . وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ ، فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ ، لاَ أَدْرِي .
فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا دِينُكَ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ ، لاَ أَدْرِي .
فَيَقُولاَنِ لَهُ : مَا هَـٰذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : هَاهْ هَاهْ ، لاَ أَدْرِي .
فَيُنَادِي مُنَادٍ - مِنَ السَّمَاءِ - : أَنْ كَذَبَ ؛ فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ ، وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى النَّارِ ؛ فَيَأْتِيهِ : مِنْ حَرِّهَا ، وَسَمُومِهَا . وَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ ، حَتَّىٰ تَخْتَلِفَ فِيهِ : أَضْلاَعُهُ .
وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ ، قَبِيحُ الثِّيَابِ ، مُنْتِنُ الرِّيحِ ، فَيَقُولُ : أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ .
هَـٰذَا يَوْمُكَ ، الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ .
فَيَقُولُ : مَنْ أَنْتَ ؟ فَوَجْهُكَ : الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ . فَيَقُولُ : أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ .
فَيَقُولُ : رَبِّ ! لاَ تُقِمِ السَّاعَةَ » .

قال الألباني - في المشكاة - :إسناده صحيح . اهـ . المحقق .

بَابُ: انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ

وأورده النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَلاَ تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ : أَنْ لاَ تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللّهِ - قَالَ أَبُو مُعَاوِيَةَ - عَلَيْكُمْ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « انظروا إلى من أسفل منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم ؛ فهو[1] أجدر) أي : أحق (أن لا تزدروا) أي : تحقروا (نعمة الله - قال أبو معاوية[2] - عليكم ») .

قال ابن جرير ، وغيره : هذا حديث جامع لأنواع الخير ؛ لأن الإنسان - إذا رأى من فُضِّل عليه ، في الدنيا - : طلبت نفسه مثل ذلك ، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى ، وحرص على الازدياد : ليلحق بذلك ، أو يقاربه . هذا هو الموجود في غالب الناس .

(١) (فهو) : أشار المؤلف - في الهامش - إلى ما يفيد ، أنه في بعض النسخ : « فإنه » بدل : « فهو » . المحقق .

(٢) (أبو معاوية) هو « ووكيع » : الراويان لهذا الحديث ، عن « الأعمش » ، عن « أبي صالح » ، عن « أبي هريرة » . المحقق .

وأما إذا نظر – في أمور الدنيا – إلى من هو دونه فيها : ظهرت له نعمة الله تعالى عليه ؛ فشكرها ، وتواضع ، وفعل فيه الخير . انتهى[١] .

بَابُ : إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الْخَفِيَّ

وهو في النووي ، في : (كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ بُكَيْرِ بْنِ مِسْمَارٍ ؛ حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ ؛ قَالَ : كَانَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فِي إِبِلِهِ ، فَجَاءَهُ ابْنُهُ « عُمَرُ » . فَلَمَّا رَآهُ سَعْدٌ ، قَالَ : أَعُوذُ بِاللَّهِ : مِنْ شَرِّ هَـٰذَا الرَّاكِبِ . فَنَزَلَ ، فَقَالَ لَهُ : أَنَزَلْتَ فِي إِبِلِكَ وَغَنَمِكَ ، وَتَـرَكْتَ النَّاسَ يَتَنَازَعُونَ الْمُلْكَ بَيْنَهُمْ ؟ فَضَرَبَ سَعْدٌ فِي صَدْرِهِ ؛ فَقَالَ : اسْكُتْ ؛ سَمِعْتُ رَسُـولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ : الْعَبْدَ التَّقِيَّ ، الْغَنِيَّ ، الْخَفِيَّ ») .

(الشَّرح)

(عن عامر بن سعد[٢] ، قال : كان سعد بن أبي وقاص[٣] في إبله ، فجاء[٤] ابنه « عمر » . فلما رآه سعد ، قال : أعوذ بالله من شر هذا الراكب .

---

(١) (انتهى) أي كلام « ابن جرير » ، وقد حكاه عنه النووي ، في ص ٩٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) ذكرنا من السند ، من أول : « بكير بن مسمار » . المحقق .

(٣) أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنه ، في بعض النسخ ، بزيادة : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٤) في مصـدر الحديث : « فجاءه » . وقد أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنه ، في بعض النسخ : « فجاءه » . المحقق .

فنزل ، فقال له : أنزلت في إبلك وغنملك ، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم ؟ فضرب سعد في صدره ، فقال : اسكت ؛ سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : « إن الله يحب العبد التقي ، الغني ، الخفي ») .

قال النووي : المراد بالغني : « غنيّ النفس » . هذا هو الغنى المحبوب ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وَلَـٰكِنَّ الْغِنَىٰ : غِنَى النَّفْسِ »[١] وأشار عياض إلى أن المراد : الغنى بالمال . انتهى[٢] .

قلت : ولا مانع من إرادة الجميع .

قال[٣] : وأما « الخفيّ » فبالخاء المعجمة . هذا هو الموجود في النسخ ، والمعروف في الروايات . وذكر عياض أن بعض رواة مسلم ، رواه : « بالمهملة » .

فمعناه بالمعجمة : الخامل ، المنقطع إلى العبادة ، والاشتغال بأمور نفسه[٤] .

ومعناه بالمهملة : الوَصُول للرحم ، اللطيف بهم ، وبغيرهم من الضعفاء .

والصحيح : « بالمعجمة » .

---

(١) هذا الحديث تجده ، في صحيح مسلم ، في كتاب الزكاة ، باب (٤٠) ، حديث رقم (١٢٠) ، ونصه : « عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ ، وَلَـٰكِنَّ الْغِنَىٰ : غِنَى النَّفْسِ » . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام عياض ، وقد حكاه النووي ، بص ١٠٠ ، نفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (قال) أي : النووي ، بنفس المصدر . المحقق .

(٤) هكذا في الأصل ، نقلاِ عن النووي ، بالمصدر المتقدم . وفي القاموس : « خَفِيَ » كرضي « خَفَاءً » ؛ فهو « خافٍ ، وخَفِيٌّ » : لم يظهر . المحقق .

وفي هذا الحديث : حجة لمن يقول : الاعتزال أفضل من الاختلاط[1] .

وفي المسألة[2] خلاف .

ومن قال بالتفضيل للاختلاط : قد يتأول هذا على الاعتزال وقت الفتنة ونحوها . انتهى .

قلت : وبهذا يحصل التوفيق بين الأحاديث .

بَابُ : مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ

وأورده النووي ، في : (باب تحريم الرياء) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١١٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « قَالَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي : تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن

(١) هذا ؛ إذا اشتدت الفتن ، وعمت ، وأعجب كلٌّ برأيه ، وإلا ؛ فالاختلاط للإصلاح ، والدعوة إلى الله : من لوازم ديننا . المحقق .

(٢) (المسألة) في الأصل : « المسئلة » . المحقق .

الشرك ؛ من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري : تركته وشركه) . هكذا وقع في بعض الأصول : « وشركه » .

وفي بعضها : « وَشَرِيكَهُ » .

وفي بعضها : « وَشَرِكَتَهُ »[1] .

ومعناه : أنا غنيّ عن المشاركة وغيرها ؛ فمن عمل شيئاً لي ولغيري : لم أقبله ، بل أتركه لذلك الغير .

والمراد : أن عمل « المرائي » : باطل ، لا ثواب فيه . ويأثم به[2] .

بَابُ : مَنْ سَمَّعَ وَرَاءَىٰ[3] بِعَمَلِهِ

وهو في النووي ، في : (باب تحريم الرياء)

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١١٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَمَّعَ : سَمَّعَ اللّهُ بِهِ . وَمَنْ رَاءَىٰ : رَاءَى اللّهُ بِهِ ») .

(الشَّرح)

عن ابن عباس ، رضي الله عنهما[4] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله

(١) أفاده النووي ، بص ١١٥ نفس المصدر . المحقق .

(٢) أفاده النووي كذلك ، بالمصدر نفسه ، ص ١١٦ . المحقق .

(٣) (وراءىٰ) . في الأصل : « ورأيا » . وهو خطأ ، والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

عليه) وآله (وسلم : « من سمّع : سمع الله به . ومن راءى : راءى[1] الله به) .

قال العلماء : معناه : من راءى[2] بعمله ، وسمّعه الناس : ليكرموه ، ويعظموه ، ويعتقدوا خيره : سمّع الله به يوم القيامة الناسَ ، وفضحه .

وقيل : معناه : من سمّع بعيوبه وأذاعها : أظهر الله[3] عيوبه .

وقيل : أسمعه المكروه .

وقيل: أراه الله ثواب ذلك، من غير أن يعطيه إياه. ليكون حسرة عليه.

وقيل: معناه : من أراد بعمله الناس: أسمعه الله الناسَ. وكان ذلك حظه منه . انتهى[4] . قلت : ولا مانع من إرادة جميع هذه المعاني .

والتّسميع : التشييع والتشهير، وإزالة الخمول: بنشر الذكر، والإسماع .

وفي حديث جندب - متفق عليه - ؛ بلفظ : « مَنْ سَمَّعَ : سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ . وَمَنْ يُرَائِي : يُرَائِي اللَّهُ بِهِ »[5]. أي : من شهر نفسه وقصد التشهير ، أو من سمّع الناسَ فضائله وأحواله : شهّر الله به عيوبه يوم القيامة ، ويجزي[6] الله جزاء المرائي ؛ بأن يقول : اطلب جزاء عملك ، ممن عملت لأجله .

---

(١) في الأصل : « رأيا رأيا » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٢) (راءى) في الأصل : « رأيا » . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) (وأذاعها أظهر الله . .) . في الأصل : « وأذاعها الله أظهر الله . . » بزيادة لفظ الجلالة الأول . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٤) (انتهى) ما قاله العلماء ، وقد حكاه النووي ، بص ١١٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) لفظ مسلم ، بنفس المصدر : « مَنْ يُسَمِّعْ : يُسَمِّعِ اللَّهُ بِهِ . وَمَنْ يُرَائِي : يُرَائِي اللَّهُ بِهِ » . المحقق .

(٦) الأرجح : « ويجزيه » بدل : « ويجزي » . المحقق .

وفي حديث أبي سعيد بن أبي فضالة ؛ مرفوعاً ؛ قَالَ : « إِذَا جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ - لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ - : نَادَىٰ مُنَادٍ : مَنْ كَانَ أَشْرَكَ فِي عَمَلٍ عَمِلَهُ لِلّٰهِ أَحَداً : فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ »(1) رواه أحمد .

وفي حديث عمر بن الخطاب ؛ يرفعه : « إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ : شِرْكٌ .. »(2) الخ رواه ابن ماجه ، والبيهقي في شعب الإيمان .

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدّا . والحذر من السمعة والرياء : مشكل ، إلا من رحمه الله تعالى .

بَابُ : الْمُتَكَلِّمِ بِالْكَلِمَةِ ، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ

وهو في النووي ، في : (باب حفظ اللسان) .

---

(1) الحديث بنفس اللفظ : تجده في (المشكاة) للخطيب (٣/١٤٦٢ ، ١٤٦٣) ، كتاب الرقاق ، (باب الرياء والسمعة) ، بتحقيق الألباني ، ورقم الحديث (٥٣١٨) ، وهو عن (أبي سعد بن أبي فضالة) ، وليس « أبي سعيد » ، كما في الأصل .

قال الألباني - في الهامش - ما نصه : في الأصل ومطبوعة بتربورغ : « سعيد » . قال : وكذلك وقع (في بعض النسخ القديمة) ، وهو تصحيف ، كما قال الجزري .

هذا ؛ وقد أفاد الألباني - في الهامش - أن هذا الحديث رواه أيضاً - غير أحمد - الترمذي ، وابن ماجه . وقال الترمذي : حديث حسن . قال الألباني : وهو كما قال . المحقق .

(2) هذا الحديث : تجده في نفس المصدر المتقدم ، ص ١٤٦٤ ، برقم (٥٣٢٨) ، ونصه كما يلي : (عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ؛ أَنَّهُ خَرَجَ - يَوْماً - إِلَىٰ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَوَجَدَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ، قَاعِداً عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، يَبْكِي . فَقَالَ : مَا يُبْكِيكَ ؟

قَالَ : يُبْكِينِي شَيْءٌ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « إِنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ : شِرْكٌ . وَمَنْ عَادَىٰ لِلّٰهِ وَلِيّاً : فَقَدْ بَارَزَ اللَّهَ بِالْمُحَارَبَةِ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ : الْأَبْرَارَ ، الْأَتْقِيَاءَ ، الْأَخْفِيَاءَ ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا : لَمْ يُتَفَقَّدُوا . وَإِنْ حَضَرُوا : لَمْ يُدْعَوْا ، وَلَمْ يُقَرَّبُوا . قُلُوبُهُمْ : مَصَابِيحُ الْهُدَىٰ ، يَخْرُجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ ») .

قال (صاحب المشكاة) : رواه ابن ماجه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » .

وقال الألباني - في الهامش - : إسناده ضعيف . المحقق .

(حَديثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١١٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ - مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا - يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ : أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ ، وَالْمَغْرِبِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[١] ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « إن العبد ليتكلم بالكلمة - ما يتبين ما فيها - يهوي بها في النار : أبعد ما بين المشرق ، والمغرب ») .

معناه : لا يتدبّرها ، ولا يفكر في قبحها ، ولا يخاف ما يترتب عليها .

قال النووي رحمه الله[٢] : وهذا : كالكلمة عند السلطان ، وغيره من الولاة . وكالكلمة تقذف .

أو معناه : كالكلمة التي يترتب عليها : إضرار مسلم ، ونحو ذلك .

وهـذا كله : حثّ على حفظ اللسـان ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلْيَقُلْ خَيْراً ، أَوْ لِيَصْمُتْ »[٣] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (رحمه الله) هذه الجملة رمز إليها - في الأصل - بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٣) هذا جزء من حديث ، رواه الشيخان ؛ أما رواية البخاري ، فتجدها في (الفتح) في كتاب الرقاق ، باب (٢٣) ، (١١/ ٣٠٨) ، حديث رقم (٦٤٧٥) ، عن أبي هريرة ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلْيَقُلْ خَيْراً ، أَوْلِيَصْمُتْ ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ : فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ » . وعند البخاري - أيضاً - في نفس =

قال : وينبغي لمن أراد النطق بكلمة ، أو كلام : أن يتدبّره في نفسه ، قبل نطقه . فإن ظهرت مصلحته : تكلّم ، وإلا أمسك . انتهى[1] .

وفي رواية أخرى - عند البخاري - مرفوعاً ؛ بلفظ : « إِنَّ الْعَبْدَ : لَيتكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً : يَرْفَعُ اللّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ . وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللّهِ ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً : يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ[2] » .

وفي حديث سهل بن سعد ، يرفعه : « مَنْ يَضْمَنْ لِي : مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ : أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ » رواه البخاري[3] .

المعنى : من يكفل لي : محافظة ما بينهما « من اللسان ، والفم ، والفرج » .

= المصدر ، حديث رقم (٦٤٧٦) ؛ عَنْ أَبي شُرَيْحٍ الْخُزَاعِيِّ ؛ قَالَ : سَمِعَ أُذُنَايَ - وَوَعَاهُ قَلْبِي - النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقُولُ : « الضِّيَافَةُ ، ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ : جَائِزَتُهُ » . قِيلَ : وَمَا جَائِزَتُهُ ؟ قَالَ : « يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ » . قَالَ : وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ : فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ . وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ : فَلْيَقُلْ خَيْراً ، أَوْ لِيَسْكُتْ » .

وأما رواية مسلم ، فتجدها في صحيحه (١٣٥٢/٣ ، ١٣٥٣) ، كتاب اللقطة ، باب الضيافة ، رقم الحديث (١٤) . وهاك نصه : (عَنْ أَبي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ ؛ أَنَّهُ قَالَ : سَمِعَتْ أُذُنَايَ ، وَأَبْصَرَتْ عَيْنَايَ - حِينَ تَكَلَّمَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ : فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ : جَائِزَتَهُ » قَالُوا : وَمَا جَائِزَتُهُ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ . وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ . فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ : فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ » وَقَالَ : « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ : فَلْيَقُلْ خَيْراً ، أَوْ لِيَصْمُتْ » . المحقق .

(١) (انتهى) كلام النووي ، وهو بص ١١٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) هذا الحديث ، تجده في (الفتح) « ٣٠٨/١١ » . كتاب الرقاق ، باب «٢٣» برقم (٦٤٧٨) ، عن أبي هريرة بنفس اللفظ ، الذي ذكره المؤلف ، إلا أنه قال « يرفعه » ، بدل : « يرفع » ، والصواب ما في (الفتح) . المحقق .

(٣) حديث سهل بن سعد هذا ، تجده في نفس المصدر المتقدم ، برقم (٦٤٧٤) ، بنفس اللفظ ، الذي ذكره المؤلف . المحقق .

بَابُ : الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ خَيْرٌ كُلُّهُ

وقال النووي : (باب النّهي عن المدح ؛ إذا كان فيه إفراط ، وخيف منه فتنة على الممدوح)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ صُهَيْبٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّه ، صلى الله عليه وسلم : « عَجَباً لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ – وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ ، إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ – ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ : شَكَرَ ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ . وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ : صَبَرَ ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ ») .

(الشَّرح)

(عن صهيب) : بضم الصاد ، وفتح الهاء ، وسكون الياء . ابن سنان الرومي ؛ (رضي الله عنه[2] ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه)[3] وآله (وسلم : عجباً) أصله : أعجب عجباً . عدل عن الرفع[4] إلى النصب : للحدوث .

---

(١) ليس اسم الباب – عند النووي – ، كما ذكر المؤلف ، وإنما ذكر النووي ، الحديث التالي ، في (باب في أحاديث متفرقة) ، انظر مصدر حديث الباب . والباب الذي ذكره المؤلف ، ذكر في النووي ، بعد هذا الباب . وجلّ من لا يخطئ . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) (صلى الله عليه) هذه الجملة سقطت من الأصل . المحقق .

(٤) (عدل عن الرفع) أي : عن رفع كلمة « عجباً » . المحقق .

(لأمر المؤمن) . ثم بين وجه العجب ، بقوله : (إنّ أمره كله له خير[1] - وليس ذلك لأحد ، إلا للمؤمن[2] - إن أصابته سرّاء) ؛ كصحة ، وسلامة ، ومال ، وجاه ، وولد : (شكر) الله تعالى ، على ما أعطاه .

اللهم ! إني أشكرك على ما أوليتني من ذلك كله ، مع الاعتراف بالعجز : عن تأدية أيسر شكر ، لأصغر نعمة منك عليّ .

(فكان خيراً له) ؛ فإنه يكتب في « ديوان الشاكرين » .

(وإن أصابته ضرّاء) ؛ كمصيبة : (صبر) ، واحتسب ، (فكان خيراً له) . فإنه يصير من « أحزاب الصابرين » ، الذين أثنى الله عليهم ، في كتابه المبين .

ولم يشرح النووي هذا الحديث : بحرف .

بَابٌ فِي الصَّبْرِ عَلَى الدِّينِ عِنْدَ الِابْتِلَاءِ، وَقِصَّةِ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ

ولفظ النووي : (باب قصة أصحاب الأخدود ، والساحر والراهب والغلام) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٠ - ١٣٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ صُهَيْبٍ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « كَانَ مَلِكٌ - فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ . فَلَمَّا كَبِرَ ، قَالَ لِلْمَلِكِ : إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَاماً ، أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ .

---

(١) (له خير) لم يذكر بمصدر الحديث كلمة : « له » . المحقق .

(٢) (للمؤمن) ، في الأصل : « لمؤمن » . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحا من مصدر الحديث . المحقق .

فَبَعَثَ إِلَيْهِ : غُلَاماً ، يُعَلِّمُهُ . فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ - إِذَا سَلَكَ - : رَاهِبٌ ، فَقَعَدَ إِلَيْهِ ، وَسَمِعَ كَلَامَهُ ، فَأَعْجَبَهُ . فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ : مَرَّ بِالرَّاهِبِ ، وَقَعَدَ إِلَيْهِ . فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ : ضَرَبَهُ .

فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ ؛ فَقَالَ : إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي أَهْلِي . وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ ، فَقُلْ : حَبَسَنِي السَّاحِرُ .

فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ ، إِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ ، قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ .

فَقَالَ : الْيَوْمَ ، أَعْلَمُ : السَّاحِرُ أَفْضَلُ ، أَم الرَّاهِبُ أَفْضَلُ ؟

فَأَخَذَ حَجَراً ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ أَمرُ الرَّاهِبِ ، أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ : فَاقْتُلْ هَـٰذِهِ الدَّابَّةَ ، حَتَّىٰ يَمْضِيَ النَّاسُ . فَرَمَاهَا ، فَقَتَلَهَا ، وَمَضَى النَّاسُ . فَأَتَى الرَّاهِبَ ، فَأَخْبَرَهُ .

فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ : أَيْ بُنَيَّ ! أَنْتَ - الْيَوْمَ - أَفْضَلُ مِنِّي . قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ : مَا أَرَىٰ .

وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ . فَإِذَا ابْتُلِيتَ : فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ .

وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ : الْأَكْمَهَ ، وَالْأَبْرَصَ . وَيُدَاوِي النَّاسَ : مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ .

فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ - كَانَ قَدْ عَمِيَ - ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ ، فَقَالَ : مَا هَـٰهُنَا لَكَ « أَجْمَعُ » ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي . فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً . إِنَّمَا يَشْفِي : اللَّهُ . فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ : دَعَوْتُ اللَّهَ ، فَشَفَاكَ . فَآمَنَ بِاللَّهِ : فَشَفَاهُ اللَّهُ .

فَأَتى الْمَلِكَ ، فَجلَسَ إِلَيْهِ ، كَما كَانَ يَجْلِسُ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ ؟ قَالَ : رَبِّي .

قَالَ : وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي ؟ قَالَ : رَبِّي وَرَبُّكَ : اللَّهُ .

فَأَخَذَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ ، حَتَّىٰ دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ . فَجِيءَ بِالْغُلَامِ ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَيْ بُنَيَّ !

قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ : مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ ، وَالأَبْرَصَ ، وَتَفْعَلُ ، وَتَفْعَلُ ؟

فَقَالَ : إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَداً ، إِنَّمَا يَشْفِي : اللَّهُ .

فَأَخَذَهُ ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ ، حَتَّىٰ دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ . فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ ، فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ ، فَأَبَىٰ . فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ ، فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَأَبَىٰ ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ ، فَشَقَّهُ بِهِ ، حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ .

ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ ؛ فَقِيلَ لَهُ : ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ . فَأَبَىٰ ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ إِلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذَا ، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ - فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ - ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ .

فَذَهَبُوا بِهِ ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ . فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ ، فَسَقَطُوا . وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : ما فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟

قَالَ : كَفَانِيهِمُ اللَّهُ .

فَدَفَعَهُ إِلَىٰ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : اذْهَبُوا بِهِ ، فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ ، - فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ - ، وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ .

فَذَهَبُوا بِهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ ، فَغَرِقُوا .

وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ ؟ قال : كَفَانِيهِمُ اللّٰهُ .

فَقَالَ لِلْمَلِكِ : إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي ، حَتَّىٰ تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟

قَالَ : تَجْمَعُ النَّاسَ - فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ - ، وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ . ثُمَّ خُذْ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِي ، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ .
ثُمَّ قُلْ : بِاسْمِ اللّٰهِ ، رَبِّ الْغُلَامِ . ثُمَّ ارْمِنِي . فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ : قَتَلْتَنِي .

فَجَمَعَ النَّاسَ - فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ - ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ - فِي كَبِدِ الْقَوْسِ - ثُمَّ قَالَ : بِاسْمِ اللّٰهِ ، رَبِّ الْغُلَامِ ، ثُمَّ رَمَاهُ ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ ، فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ : فَمَاتَ . فَقَالَ النَّاسُ : آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ . آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ . آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ .

فَأُتِيَ الْمَلِكُ ، فَقِيلَ لَهُ : أَرَأَيْتَ ! مَا كُنْتَ تَحْذَرُ ، قَدْ وَاللّٰهِ ! نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ . قَدْ آمَنَ النَّاسُ . فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ - فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ - ، فَخُدَّتْ ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ . وَقَالَ : مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ : فَأَحْمُوهُ فِيهَا . أَوْ قِيلَ لَهُ : اقْتَحِمْ . فَفَعَلُوا . حَتَّىٰ جَاءَتِ امْرَأَةٌ - وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا - ، فَتَقَاعَسَتْ : أَنْ تَقَعَ فِيهَا . فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ : يَاأُمَّهِ ! اصْبِرِي . فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ ») .

الشرح

(عن صهيب رضي الله عنه[1] ؛ أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « كان ملك - فيمن كان قبلكم - ، وكان له ساحر . فلما كبر ، قال للملك : إني قد كبرت ، فابعث إليّ غلاماً ، أعلمه السحر . فبعث إليه غلاماً يعلمه ، فكان[2] في طريقه - إذا سلك - راهب ، فقعد إليه ، وسمع كلامه فأعجبه . فكان إذا أتى الساحر : مرّ بالراهب وقعد إليه . فإذا أتى الساحر : ضربه . فشكا[3] ذلك إلى الراهب ؛ فقال : إذا خشيت الساحر ، فقل : حبسني أهلي . وإذا خشيت أهلك ، فقل : حبسني الساحر . فبينما هو كذلك ، إذ أتى على دابة عظيمة ، قد حبست الناس . فقال : اليوم ، أعلم : الساحر أفضل ، أم الراهب أفضل ؟ فأخذ حجراً ، فقال : اللهم ! إن كان أمر الراهب ، أحبَّ إليك من أمر الساحر : فاقتل هذه الدابة ، حتى يمضي الناس . فرماها ، فقتلها ، ومضى الناس . فأتى الراهب ، فأخبره[4] فقال له الراهب : أي بني ! أنت - اليوم - أفضل مني . قد بلغ من أمرك ما أرى . وإنك ستبتلىٰ ، فإن ابتليت[5] : فلا تدلّ عليّ . وكان الغلام يبرئ الأكمه) أي : الذي خلق أعمى (والأبرص ، ويداوي

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (فكان) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه في بعض النسخ : « وكان » بالواو . المحقق .

(٣) (فشكا) . في الأصل : « فشكى » . والصواب : ما أثبتناه ، لأن الألف - هنا - أصلها واوا ، والفعل ثلاثي . فترسم ألفا ، طبقاً للقاعدة الإملائية . المحقق .

(٤) (فأخبره) هذه الكلمة : سقطت من الأصل . المحقق .

(٥) (فإن ابتليت) . في مصدر الحديث : « فإذا ابتليت » . وصنيع المؤلف يفيد أنه في بعض النسخ : « فإذا . . إلخ » . المحقق .

الناس من[1] سائر الأدواء ، فسمع جليس للملك - كان قد عمي - فأتاه : بهدايا كثيرة ، فقال : ما هـٰهنا لك أجمع ، إن أنت شفيتني . قال : إني لا أشفي أحداً . إنمـا يشفي : الله . فإن أنت آمنت[2] بالله : دعوتُ الله ، فشفـاك . فآمن بالله : فشفاه الله[3] فأتى الملك - ، فجلس إليه كما كان يجلس . فقال له الملك . من ردّ عليك بصرك ؟ قال : ربي . قال : ولك ربّ غيري ؟ قال : ربي وربك : الله . فأخذه ، فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الغلام . فجيء[4] بالغلام ، فقال له الملك : أي بني ! قد بلغ من سحـرك : ما تبرئ الأكمه ، والأبرص ، وتفعل ، وتفعل ؟ فقال : إني لا أشفي أحداً ، إنما يشفي الله عزوجل[5] . فأخذه ، فلم يزل يعذبه ، حتى دل على الراهب . فجيء[4] بالراهب ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبىٰ . فدعـا بالمئشار ؛ : مهموز في رواية الأكثرين . ويجوز تخفيف الهمزة ، بقلبها ياء .

وروي « المنشار » : بالنون .

قال النووي : وهما[6] لغتان صحيحتان .

---

(١) (ويداوي الناس من . . إلخ):كلمة « من » سقطت من الأصل . المحقق .

(٢) (فإن أنت آمنت) كلمة « أنت » سقطت من الأصل . المحقق .

(٣) (فآمن بالله ، فشفـاه الله) أشـار المؤلف - في الهـامش - بمـا يفيد : أنـه ، في بعض النسخ : بزيادة « عز وجلّ » بعد كل لفظ ، من لفظي الجلالة - ، في هذه الجملة . المحقق .

(٤) (فجيء) . في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) (عزوجل) لم يذكر في مصدر الحديث . المحقق .

(٦) (وهما) أي : « المئشار » بالهمز ، و« المنشار » بالنون . هذا ؛ وقد تحصل مما ذكر أن فيه ثلاث لغات ؛ (المئشار) : بالهمز ، و (الميشار) : بقلب الهمزة ياء . و « المنشار » بالنون . المحقق .

(فوضع المئشار في مفرق رأسه ، فشقه به ، حتى وقع شقاه . ثم جيء[1] بجليس الملك ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبى . فوضع المئشار في مفرق رأسه ، فشقه به حتى وقع شقاه . ثم جيء[1] بالغلام ، فقيل له : ارجع عن دينك ، فأبىٰ . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا ، فاصعدوا به الجبل . فإذا بلغتم ذروته) .

« ذروة الجبل » : أعلاه . وهي بضم الذال وكسرها .

(- فإن رجع عن دينه - وإلا فاطرحوه ، فذهبوا به ، فصعدوا به الجبل ، فقال : اللهم ! اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل) أي : اضطرب ، وتحرك حركة شديدة .

وحكى عياض عن بعضهم أنه رواه : « فَزَحَفَ » بالزاي . وهو بمعنى « الحركة » . لكن الأول هو الصحيح المشهور[2] .

(فسقطوا . وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل أصحابك ؟ قال : كفانيهم الله . فدفعه إلى نفر من أصحابه ، فقال : اذهبوا به ، فاحملوه في قرقور) : بضم القافين : « السفينة الصغيرة » . وقيل : الكبيرة . واختار عياض : « الصغيرة » ، بعد حكايته خلافاً كثيراً .

(فتوسطوا به البحر - فإن رجع عن دينه - وإلا ، فاقذفوه . فذهبوا به . فقال : اللهم ! اكفنيهم بما شئت ، فانكفأت بهم السفينة) . أي : انقلبت ، (فغرقوا . وجاء يمشي إلى الملك ، فقال له الملك : ما فعل

---

(١) (جيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، بص ١٣١ ، المصدر المتقدم . المحقق .

أصحابك ؟ » فقال[1] : كفانيهم الله . فقال للملك : أنت[2] لست بقاتلي ، حتى تفعل ما آمرك به . قال : وما هو؟ قال : تجمع الناس ، في صعيد واحد) الصعيد هنا : الأرض البارزة .

(وتصلبني على جذع ، ثم خذ سهما من كنانتي ، ثم ضع السهم في كبد القوس) أي : مقبضها ، عند الرمي .

(ثم قل : بسم الله ، رب الغلام : ثم ارمني . فإنك إذا فعلت ذلك : قتلتني . فجمع الناس - في صعيد واحد - وصلبه على جذع ، ثم أخذ سهماً من كنانته ، ثم وضع السهم في كبد القوس ، ثم قال : بسم الله ، رب الغلام . ثم رماه ، فوقع السهم في صدغه ، فوضع يده في صدغه موضع[3] السهم : فمات . فقال الناس : آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام ، آمنا برب الغلام . فأُتي الملك ، فقيل له : أرأيت ! ما كنت تحذر ، قد والله ! نزل بك حذرك) أي : ما كنت تحذر وتخاف : (قد آمن الناس . فأمر بالأخدود) : وهو الشق العظيم ، المستطيل في الأرض « كالخندق » وجمعه : « أخاديد » .

ومنه « الخدّ » لمجاري الدموع . « والمخدّة » لأن الخدّ يوضع عليها .

ويقال : « تخدّد وجه الرجل » : إذا صارت فيه أخاديد « من جرح » . كذا في « فتح البيان » .

---

(١) في مصدر الحديث : « قال » بدون فاء . وصنيع المؤلف يفيد : أنه بدون فاء ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (أنت) في مصدر الحديث : « إنك » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه - في بعض النسخ - : « إنك » . المحقق .

(٣) (موضع) في مصدر الحديث : « في موضع » ، بزيادة : « في » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه في بعض النسخ : بزيادة « في » . المحقق .

(بأفـواه السكـك) : الطرق ، وأفواهها : أبوابها (فخدّت ، وأضرم النيران . وقال : من لم يرجع عن دينه ، فأحموه فيها) . هكذا هو في عامة النسخ : « فأحموه » بهمزة قطع ، بعدها حاء ساكنة . ونقل عياض : اتفاق النسـخ عـلى هذا . ووقـع في بعض نسـخ بلاد النـووي : « فَأَقْحِمُـوهُ » بالقاف . وهذا ظاهر . ومعناه : اطرحوه فيها كرها[١] .

ومعنى الرواية الأولى[٢] : ارموه فيها . من قولهم : « حميت الحديدة ، وغيرها » : إذا أدخلتها النار ، لتحمىٰ .

(أو قيل له : اقتحم . ففعلوا حتى جاءت امرأة ، ومعها صبي لها . فتقاعست أن تقع فيها) أي : توقّفت ، ولزمت موضعها ، وكرهت الدخول في النار .

(فقال لها الغلام : ياأمه ! اصبري ، فإنك على الحق) .

قال في (فتح البيان ، في مقاصد القرآن)[٣] : ولهذه القصة ألفاظ ، فيهـا بعض اختـلاف . وقد رواها مسلم : في آخر الصحيح . وأحمد ، والنسائي ، والترمذي ، وعبد بن حميد ، وعبد الرزاق ، وابن أبي شيبة ، والطبراني . انتهى[٤] .

وفي بعض ألفاظها : « فَأَمَّا الْغُلَامُ ، فَإِنَّهُ دُفِنَ ، ثُمَّ أُخْرِجَ » ؛ فيذكر :

---

(١) تجده في النووي ، ص ١٣٣ ، نفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) وهي رواية : « فأحموه » . المحقق .

(٣) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) . هذا كتاب تفسير ، للمؤلف . ولوقال : « قلت في فتح البيان » بدل : « قال » ، لكان أوضح . المحقق .

(٤) (انتهى) ما قاله المؤلف ، في « فتح البيان » . المحقق .

أنه خرج في زمن « عمر بن الخطاب » ، وإصبعه على صدغه ، كما وضعها حين قتل[1] .

وقال علي كرم الله وجهه : « أصحاب الأخدود » هم الحبشة .

وعن ابن عباس ؛ قال : هم ناس ، من بني إسرائيل .

قال مقاتل : كانت الأخاديد ثلاثة[2] : واحدة : بنجران باليمن . وأخرى : بالشام . وأخرى : بفارس : حرق أصحابها بالنار ؛

فأما التي بالشام : فهو « إبطاموس » الرومي .

وأما التي بفارس : « فبختنصّر[3] » .

ويزعمون أنهم أصحاب « دانيال » .

وأما التي باليمن : « فذو نواس » .

فأما التي بالشام ، وفارس : فلم ينزل الله فيهم قرآنا . وأنزل في التي بنجران اليمن ، وذلك : لأن هذه القصّة ، كانت مشهورة عند أهل مكة . فذكرها الله تعالى لأصحاب رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يحملهم بذلك : على الصبر ، وتحمل المكاره في الدين .

قال الله تعالى : « قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ . النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ . إِذْهُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ . وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ . وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ . الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ

---

(١) هذا كلام ، لا دليل عليه ، وكان ينبغي للمؤلف : ألّا يذكره . المحقق .

(٢) (ثلاثة) فى الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) (فبختنصر) ، رسمت في الأصل : « فبخت نصر » . والصواب : ما أثبتناه . لأنه مركب مزجي . المحقق .

شَيْءٍ شَهِيدٌ »[1] .

كذا في (فتح البيان) .

قال النووي : هذا الحديث فيه : إثبات كرامات الأولياء .

وفيه : جواز الكــذب في الحـرب ونحـوهـا ، وفي إنقـاذ النفس من الهلاك : سواء نفسه ، أو نفس غيره ، ممن له حرمة .

كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضائل القرآن ، وما يتعلق به) .

بابٌ في فَاتِحَةِ الْكِتَابِ

وقال النووي - في الجزء الثاني : (باب فضل الفاتحة ، وخواتيم سورة البقرة ، والحثّ على قراءة الآيتين : من آخر البقرة) .

(حَديثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩١ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ : بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ ، عِنْدَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم : سَمِعَ نَقِيضاً مِنْ فَوْقِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : هَـٰذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ ، فُتِحَ الْيَوْمَ - لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ ، إِلَّا الْيَوْمَ - ، فَنَزَلَ مِنْهُ : مَلَكٌ ، فَقَالَ :

(١) الآيات ، من رقم (٤) إلى الآية رقم (٩) . من سورة البروج . هذا ؛ وكلمة « شيء » في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

هَـذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ - لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ ، إِلَّا الْيَوْمَ - فَسَلَّمَ ، وَقَالَ : أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا ، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ : فَاتِحَةُ الْكِتَابِ ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا : إِلَّا أُعْطِيتَهُ ») .

(الشَّرح)

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما ، (قال : بينما جبريل قاعد ، عند النبي[1] ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : سمـع نقيضاً من فوقه) أي : صوتـا ، كصـوت البـاب ، إذا فتـح (فرفـع رأسه ، فقال : هذا باب من السماء ، فتح اليوم - ولم يفتح[2] قط إلا اليوم - فنزل منه : ملك ، فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض - لم ينزل قط ، إلا اليوم - فسلم ، وقال : أبشر بنـورين أوتيتهما ، لم يؤتهما نبي قبلك : فاتحة الكتاب ، وخواتيم سورة البقرة . لن تقرأ بحرف منهما : إلا أعطيته) أي : أعطيت ثوابه ، أو أعطاك الله : مااشتمل عليه من الدعاء ، كما في خواتيم سورة البقرة ؛ فإنها دعاء . وكذا الفاتحة ؛ فإنها ثناء ، ودعاء . كما ثبت في مسلم وغيره ، من حديث « أبي هريرة » ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُـولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يَقُولُ : « قَالَ اللّهُ[3] : قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي : نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . . الحديث » .

(١) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه في بعض النسخ : « رسول الله » ، بدل : « النبي » . المحقق .

(٢) (ولم يفتح) في مصدر الحديث : « لم يفتح » ، بدون واو . وإشارة المؤلف - في الهامش - تفيد : أنه في بعض النسخ : بدون واو . المحقق .

(٣) (قال الله) هذه الجملة سقطت من الأصل . هذا ؛ والحديث ، تجده : في صحيح مسلم (١/٢٩٦) ، في كتاب الصلاة ، باب (١١) برقم ٣٨ - (٣٩٥) ، وهاك نصّه كاملا ؛ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : « مَنْ صَلَّى صَلاةً ، لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا ، بِأُمِّ الْقُرْآنِ : فَهِيَ خِدَاجٌ - ثَلاثاً - غَيْرُ تَمَامٍ . =

فيه : أن للسماء أبواباً ، ولأبوابها نقيضاً ، وأنّ الملائكة تنزل منها ، وأن القرآن نزل من السماء .

وفيه : فضيلة قراءة ما ذكر ، وأن القرآن حرف وصوت ، ويحصل الأجر على قراءة حرف[1] منه .

وفيه : أنه نزل بالفاتحة ، وخواتيم سورة البقرة : ملك غير جبريل . وقيل : إن جبريل نزل قبل هذا الملك : معلماً بذلك ، ومخبرا بنزول الملك . فهو مشارك له في إنزالها .

وقال القرطبي : إن جبريل نزل بها أولاً بمكة ، ثم أنزل هذا الملك ثانياً : بثوابها .

بَابٌ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ، وَسُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضل قراءة القرآن ، وسورة البقرة) .

= فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الإِمَامِ . فَقَالَ : اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ . . . » إلى آخر ما ذكر في الأصل ، وإليك بقية الحديث ؛ : « فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ . قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ : إِيَّاكَ نَعْبُدُ ، وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ . قَالَ : هَـٰذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي ، وَلِعَبْدِي : مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ : اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ . قَالَ : هَـٰذَا لِعَبْدِي : وَلِعَبْدِي مَاسَأَلَ ») . المحقق .

(١) لعله أراد : « كل حرف منه » ، فسقطت كلمة « كل » : من الناسخ . المحقق .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٩ ، ٩٠ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ زَيْدٍ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا سَلَّامٍ ، يَقُولُ : حَدَّثَنِي أَبُو أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - شَفِيعاً لأَصْحَابِهِ .

اقْرَأُوا الزَّهْرَاوَيْنِ : الْبَقَرَةَ ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ ؛ فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ . أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ . أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ : مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ : تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا .

اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ؛ فَإِنَّ أَخْذَهَا : بَرَكَةٌ . وَتَرْكَهَا : حَسْرَةٌ . وَلاَ يَسْتَطِيعُهَا : الْبَطَلَةُ » .

قَالَ مُعَاوِيَةُ : بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ : السَّحَرَةُ) .

(الشَّرح)

(عن أبي أمامة الباهلي)[1] ، رضي الله عنه ؛ (قال : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : يقول : اقرأوا القرآن ؛ فإنه يأتي - يوم القيامة - شفيعاً لأصحابه) .

في هذا : دليل على أن القرآن الكريم : يشفع لأصحابه ؛ وهم التّالون[2] له . ولهذا : أمر صلى الله عليه وآله وسلم : بقراءته .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن زيد » . المحقق .

(٢) (التّالون) أي : القارئون . المحقق .

وأخـرج « ابن حبـان » في صحيحـه ؛ من حديث « جابر » مرفوعاً : « الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَمَاحِلٌ مُصَدَّقٌ . مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ : قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَ ظَهْرِهِ : سَاقَهُ إِلَى النَّارِ[١] .

(اقـرأوا الـزهـراوين : البقـرة ، وسـورة آل عمران) . قالوا : سميتا « الزهراوين » : لنورهما ، وهدايتهما ، وعظيم أجرهما .

وفيه : جواز قول سورة آل عمران ، وسورة النساء ، وسورة المائدة ، وشبهها . ولا كراهة في ذلك .

وكرهه : بعض المتقدمين ، وقال : إنما يقال : السورة التي يذكر فيها آل عمران .

والصواب : الأول . وبه قال الجمهور ، لأن المعنى معلوم[٢] .

(فإنهما يأتيان[٣] - يوم القيامة - كأنهما غمامتان . أو كأنهما غيايتان) .

قال أهـل اللغة : « الغمامة ، والغياية » : كل شيء أظل الإنسان -فوق رأسه - من سحابة وغبرة ، وغيرهما[٤] .

والمـراد بالغمـامتين : السحـابتـان . وإنمـا سُمّي غماماً : لأنه يغم السماء ، أي : يستره[٥] .

---

(١) هذا الحـديث : ذكـره - بنفس اللفظ - الدكتور القرضاوي ، في (المنتقى من « الترغيب والترهيب ») « ١/٤١٩ » ، الطبعة الثانية ، ط دار الوفاء ، بمصر ، كتاب قراءة القرآن ، رقم الحديث (٧٧٩) . رواه « ابن حبان » في صحيحه . قال القرضاوي - في الهامش - : ورقمه (في موارد الظمآن) : (١٧٩٣) .المحقق .

(٢) أفاده النووي ، بص ٩٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « تأتيان » بالتاء المثناة فوق ، لا بالياء . المحقق .

(٤) أفاده النووي ، بالمصدر المتقدم . هذا ؛ وكلمة : « شيء » في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) لو قال : « يسترها » لكان أولى ، لعود الضمير على مؤنث معنوي . وهو « السماء » . المحقق .

قال العلماء : المراد أن ثوابهما يأتي ، كغمامتين .

(أوكأنهما ، فرقان) بكسر الفاء ، وإسكان الراء .

وفي رواية أخرى : « كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ »[1] بكسر الحاء ، وإسكان الزاي .

ومعناهما : واحد . وهما : قطيعان ، وجماعتان . يقال في الواحد : « فِرْق ، وحِـزْق ، وحُـزَيْقة » أي : جماعة[2] . (من طير صواف) أي : باسطات أجنحتها ، حال طيرانها (تحاجان عن أصحابهما) أي : تقيمان الحجة لهم ، وتجادلان عنهم . وصاحبهما : « هو المستكثر مِنْ قراءتهما » .

وظـاهر الحديث : أنهما يتجسمان ، حتى يكونا كأحد هذه الثلاثة[3] التي شبههما صلى الله عليه وآله وسلم بها . ثم يُقْدِرُهما الله تعالى : على النطق بالحجة . قال الشوكاني : وذلك غير مستبعد من قدرة القادر القوي ، الذي يقول للشيء[4] : « كن ، فيكون » .

وفي الباب : أحاديث كثيرة ، طيبة .

(اقـرأوا سورة البقـرة ؛ فإن أخـذهـا : بركة . وتركها : حسرة . ولا تستطيعها[5] : البطلة . قال معاوية[6] : بلغني أن البطلة : السحرة) .

---

(١) هذه الرواية ، هي رواية « النواس بن سمعان ، الكلابي » ، وهي مذكورة ، عقب حديث الباب . بنفس المصدر . أما حديث الباب ، فهو من رواية « أبي أمامة الباهلي » ، كما تقدم . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، في ص ٩٠ ، ٩١ ، نفس المصدر . المحقق .

(٣) (الثلاثة) . في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

(٤) (للشيء) . في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) (تستطيعها) بضبط الحرف الأول : « تاء ، وياء » أي : نقطتين فوق ، ونقطتين تحت . المحقق .

(٦) (معاوية) هو « معاوية بن سلاّم » ، الراوي لهذا الحديث عن : « أمامة الباهلي » . المحقق .

« والبطلة » : بفتح الباء ، والطاء ، واللام . يقال : « أبطل » إذا جاء بالباطل . وقيل : هم الشجعان من أهل الباطل .

وعلى كل حال ؛ إذا لم يستطعها أهل الباطل ، فقد استطاعها : أهل الحق ، وهم التالون لكتاب الله .

وفي حديث « أبي سعيد » عند الترمذي : « مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ عَنْ ذِكْرِي ، وَمَسْأَلَتِي : أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ . وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَلَامِ : كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ »[1] .

والحديث دليل : على أن المشتغل بالقرآن - تلاوة ، وتفكّراً - وقاريه[2] ليلا ونهارا : يجازيه الله : بأفضل جزاء ، ويثيبه : بأعظم إثابة .

بَابُ فَضْلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضل سورة الكهف ، وآية الكرسي) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٣ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(١) هذا الحديث ، وجدته في « مشكاة المصابيح » (١/ ٦٥٨ ، ٦٥٩) ، بتحقيق الألباني - برقم ١٢٣٦ - (٢٨) ، ونصه : (وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ الرَّبُّ ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى : مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ . . إلخ الحديث » . قال الخطيب : وقال الترمذي : « هذا حديث حسن غريب » .

وعلق الألباني ؛ بقوله : وإسناده ضعيف جدّاً ، وقال الذهبي : حسّنه الترمذي ، فلم يحسن . اهـ . المحقق .

(٢) (وقاريه) أي : « وقارئه » . المحقق .

(عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَاأَبَا الْمُنْذِرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ - مِنْ كِتَابِ اللّهِ - مَعَكَ : أَعْظَمُ ؟ » .

قَالَ : قُلْتُ : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : يَاأَبَا الْمُنْذِرِ ! أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ - مِنْ كِتَابِ اللّهِ - مَعَكَ : أَعْظَمُ ؟ » .

قَالَ : قُلْتُ : اللّهُ لا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ .

قَالَ : فَضَرَبَ فِي صَدْرِي ، وَقَالَ : « وَاللّهِ ! لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ ، أَبَا الْمُنْذِرِ ! ») .

(الشرح)

(عن أبيّ بن كعب) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ياأبا المنذر ! أتدري أيّ آية - من كتاب الله - معك : أعظم ؟ » قلت[1] : الله ورسوله أعلم . قال : « ياأبا المنذر ! أتدري أيّ آية - من كتاب الله - معك : أعظم ؟ » قال : قلت : الله لا إله[2] إلا هو الحيّ القيوم) .

قال عياض : فيه حجة للقول : بجواز تفضيل بعض القرآن على بعض ، وتفضيله على سائر كتب الله تعالى .

قال : وفيه خلاف للعلماء ؛ فمنع منه : أبو الحسن الأشعري ،

---

(١) في مصدر الحديث : « قال : قلت » بزيادة « قال » . وصنيع المؤلف يفيد : أنه في بعض النسخ كذلك . المحقق .

(٢) في الأصل : « لا إله إلا هو » بدون لفظ الجلالة . وقد أثبتنا لفظ الجلالة ، تصحيحاً من كتاب الله ، الآية رقم (٢٥٥) من سورة البقرة ، . ومن مصدر الحديث . المحقق .

وأبـو بكر الباقلاني ، وجماعة من الفقهاء والعلماء . لأن تفضيل بعضه ، يقتضي : نقص المفضـول . وليس في كلام الله نقص . وتـأوّل هؤلاء ماورد : من إطـلاق « أعـظم » و « أفضل » ،-في بعض الآيات والسور- بمعنى : عظيم ، وفاضل .

وأجاز ذلك إسحاق[1] بن راهويه ، وغيره : من العلماء ، والمتكلمين ؛ قالوا : وهو راجع إلى عظم قارئ ذلك[2] ، وجزيل ثوابه .

قال النـووي : والمختار : جواز قول هذه الآية ، أو السورة : أعظم وأفضل . بمعنى أن الثواب المتعلّق بها : أكثر . وهو معنى الحديث . والله أعلم . انتهى[3] .

وأقول : لاشكّ أن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : تكلم بلفظة « أعظم ، وأفضل » في حق بعض الآي والسور . فما لنا ، والاحتراز من النطق به ؟ وكون بعضها ، أعظم وأفضل من بعض آخر : لا يستلزم نقصه . وإنما المراد : أن هذا أفضل ، وذاك مفضول[4] . وهو أعظم ، وهذا عظيم . والله أعلم .

قال العلماء : إنما تميزت آية الكرسي « بكونها أعظم » : لما جمعت من أصـول الأسمـاء والصفـات : من الإلهية ، والـوحـدانية ، والحياة ، والعلم ، والملك ، والقـدرة ، والإرادة . وهـذه السبعة : أصول الأسماء الحسنى ، والصفات العليا[5] .

---

(١) (إسحاق) في الأصل : رسمت : « إسحق » . المحقق .

(٢) الصواب : « إلى عظم أجر قارئ ذلك » ، ولعل كلمة « أجر » سقطت أثناء النسخ . المحقق .

(٣) « انتهى » كلام النووي ، وهو في ص ٩٣ ، ٩٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) الصواب : « وذاك فاضل » ، لأنه ليس في القرآن : « مفضول » . المحقق .

(٥) أفاده النووي ، في ص ٩٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

قال الشوكاني : وفي الحديث : دليل على أن آية الكرسي « أعظم آية في القرآن » . وقد ثبت في الصحيح : أنه « لا يقرب قاريها[1] : شيطان » كما في حديث أبي هريرة ، وأبي أيوب . و كلاهما في الصحيح ، في قصة الشيطان ، الذي جاء يسرق التمر[2] .

---

(١) (قاريها) أي : قارئها . المحقق .

(٢) في قصته ، حديث أبي هريرة ، وتجده ، في (المشكاة -٦٥٥-) ، بتحقيق الألباني ، في كتاب « فضائل القرآن » ، حديث رقم (٢١٢٣) . وفي (فتح الباري - ٤/٤٨٧ -) ، بتحقيق ابن باز ، في كتاب الوكالة باب (٩) ، حديث رقم (٢٣١١) ، بنفس اللفظ ، في الكتابين ، مع اختلاف يسير ، في بعض المفردات . وهاك ، النص من (الفتح) ،

(عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : « وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ ؛ فَأَتَانِي آتٍ ، فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ . فَأَخَذْتُهُ ، وَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

قَالَ : إِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ ، وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ . قَالَ : فَخَلَّيْتُ عَنْهُ .

فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : « يَاأَبَا هُرَيْرَةَ ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ، الْبَارِحَةَ ؟ » .

قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً ، وَعِيَالاً : فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ .

قَالَ : « أَمَا إِنَّهُ ، قَدْ كَذَبَكَ ، وَسَيَعُودُ » . فَعَرَفْتُ : أَنَّهُ سَيَعُودُ ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِنَّهُ سَيَعُودُ » . فَرَصَدْتُهُ ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ . فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم . قَالَ : دَعْنِي ، فَإِنِّي مُحْتَاجٌ ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ ، لَا أَعُودُ . فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَاأَبَا هُرَيْرَةَ ! مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ؟ » .

قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً ، وَعِيَالاً ، فَرَحِمْتُهُ ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ .

فَقَالَ : « أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ ، وَسَيَعُودُ » .

فَرَصَدْتُهُ - الثَّالِثَةَ - ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ ، فَأَخَذْتُهُ ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم . وَهَـٰذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ : إِنَّكَ تَزْعُمُ : لَا تَعُودُ . ثُمَّ تَعُودُ .

قَالَ : دَعْنِي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ ، يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا . قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟

قَالَ : إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ : (اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) ، حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ . فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ : حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ ، حَتَّىٰ تُصْبِحَ . فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ . فَأَصْبَحْتُ ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ ، الْبَارِحَةَ ؟ » .

قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ ، يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ .

قَالَ : « مَاهِيَ ؟ » .

قُلْتُ : قَالَ لِي : « إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ ، فَاقْرَأْ آيَةَ الْكُرْسِيِّ ، مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّىٰ تَخْتِمَ الْآيَةَ : (اللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) . وَقَالَ لِي : لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ : حَافِظٌ ، وَلَا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ ، حَتَّىٰ تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ : عَلَى الْخَيْرِ - =

وفي حديث « أبي هريرة » عند ابن حبان ، وصححه ؛ يرفعه : « لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامٌ ؛ وَإِنَّ سَنَامَ الْقُرْآنِ : سُورَةُ الْبَقَرَةِ ؛ فِيهَا آيَةٌ ، هِيَ سَيِّدَةُ آيِ الْقُـرْآنِ »[1] . وأخرجه « الترمذي » من هذا الوجه - بهذا اللفظ - وقال : غريب . وأخرجه الحاكم « أيضاً » من حديثه ؛ بلفظ : « سُورَةُ الْبَقَرَةِ ، فِيهَا آيَةٌ سَيِّدَةُ آيِ الْقُرْآنِ ، وَلاَ تُقْرَأُ فِي بَيْتٍ - وَفِيهِ شَيْطَانٌ - إِلاَّ خَرَجَ مِنْهُ : آيَةُ الْكُرْسِيِّ » . وقال : صحيح الإسناد .

قال الشـوكـاني : وفي إثبـات السيادة لهـذه الآية على جميع آيات

= فَقَالَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : « أَمَا إِنَّهُ ، قَدْ صَدَقَكَ - وَهُوَ كَذُوبٌ - ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ ، مُنْذُ ثَلاثِ لَيَالٍ ؟ يَاأَبَا هُرَيْرَةَ ! » . قُلْتُ : لاَ.

قَالَ : « ذَاكَ شَيْطَانٌ ») . المحقق .

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٦١) ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه . قال : والشيخان لم يخرجا عن « حكيم بن جبير » (لوهْن في رواياته) ، إنما تركاه : لغلوّه في التشيع . وقال الذهبي : صحيح ، وحكيم غالٍ في التشيع . اهـ كلام الحاكم .

وضعف الألباني هذا الحديث ، وقال : هذا حديث غريب ، لا نعرفه ، إلا من حديث « حكيم بن جبير » وقد تكلم فيه « شعبة » ، وضعّفه . انظر (ضعيف سنن الترمذي) للألباني ، ص ٣٤١ ، « أبواب فضائل القرآن » . هذا ؛

وقـد وجدت في (مجمع الزوائد) للهيثمي (٣١٢/٦) ؛ (عَنْ حُذَيْفَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ كَانَ يَقُولُ : « أُعْطِيتُ هَـٰذِهِ الآيَاتِ ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ - مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ - ، لَمْ يُعْطَهَا نَبِيٌّ قَبْلِي ») . قال الهيثمي : رواه أحمد ، والطبراني (في الكبير ، والأوسط) . ورجال أحمد : رجال الصحيح .

(وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اقْرَأْ الآيَتَيْنِ ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، فَإِنِّي أُعْطِيتُهُمَا : مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ » . وفي رواية : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « اقْرَأُوا الآيَتَيْنِ » - فذكر نحوه - ، « وَلَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلِي ») . قال الهيثمي : رواه أحمـد ، وأبو يعلى ، والطبراني . (وفيه : سلمة بن الفضل) وثّقه ابن حبان ، وقال : يخطئ ، وضعّفه جماعة . وقد تابعه : « ابن لهيعة » ؛ فالحديث حسن . اهـ كلام الهيثمي . هذا ؛ وفي المصدر المذكور : أحاديث أخرى ، في فضل سورة البقرة ، وآية الكرسي : لم تخل من ضعف . المحقق .

القرآن : شرف عظيم ؛ فإن سيّد القوم ، لا يكون إلا : أشرفهم خصالا ، وأكملهم حالاً ، وأكثرهم جلالاً . انتهى . وفي فضائلها أحاديث أخرى ، ذكرها في « تحفة الذاكرين » .

(قال : فضرب في صدري ، وقال : « لِيَهْنِك العلم ، يا أبا المنذر !)[1] .

فيه : منقبة عظيمة « لأبيّ بن كعب » ، ودليل على كثرة علمه .

وفيه : تبجيل العالم : فضلاء أصحابه ، وتكريمهم . وجواز : مدح الإنسان في وجهه - إذا كان فيه مصلحة - ولم يُخف عليه : إعجاب ونحوه ؛ لكمال نفسه ، ورسوخه في التقوى .

بَابٌ فِي خَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ

وذكره النووي - في الجزء الثاني - ، في : (باب فضل قراءة القرآن ، وسورة البقرة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٢ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَرَأَ هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ، مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرةِ - فِي لَيْلَةٍ - : كَفَتَاهُ ») .

---

(١) في مصدر الحديث : « أبا المنذر » ، بحذف أداة النداء . المحقق .

(الشرح)

(عن أبي مسعود)[1] : عتبة بن عمرو الأنصاري ، رضي الله عنه ؛ (قال : قال رســول الله صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « من قرأ هاتين الآيتين ، من آخِرِ سورة البقرة - في ليلة - كفتاه ») . والحديث : له ألفاظ وطرق . والمعنى : أجزتاه[2] عن قيام الليل .

وقيل : كفتاه من كل شيطان ، فلا يقربه ليلته .

وقيل : كفتاه ما يكون من الآفات ، التي تكون تلك الليلة .

وقيل : معناه : « حسبه بهما فضلاً وأجراً » .

قال الشوكاني : والأولى : حمل « كفتاه » على جميع هذه المعاني ؛ لأن حذف المتعلق : مشعر بالتعميم . كما تقرر في علم المعاني . وقال النووي : يحتمل الجميع[3] . انتهى .

وأخرج الحاكم ، من حديث أبي ذر[4] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ صلى الله عليه وآلـه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّ اللّهَ خَتَمَ سُورَةَ الْبَقَـرَةِ بِآيَتَيْنِ : أَعْطَانِيهِمَا : مِنْ كَنْـزِهِ ، الَّـذِي تَحْتَ الْعَـرْشِ . فَتَعَلَّمُـوهُنَّ ، وَعَلِّمُـوهُنَّ : نِسَـاءَكُمْ ، وَأَبْنَـاءَكُمْ ، فَإِنَّهـا صَلاَةٌ ، وَقُـرْآنٌ ، وَدُعَاءٌ »[5] أي : يقرأ بها المصلي في

---

(١) في مصدر الحديث : « عن أبي مسعود الأنصاري » ، بزيادة : « الأنصاري » ، في صلب الحديث . المحقق .

(٢) (أجزتاه) الصواب : « أجزأتاه » . المحقق .

(٣) عبارة النووي ، بص ٩٢ ، المصدر المتقدم : « ويحتمل من الجميع » ، أي : كفتاه ، من جميع ما تقدم ذكره . المحقق .

(٤) في الأصل : الباء ممحوة ، من كلمة : « أبي » . المحقق .

(٥) هذا الحديث ، ذكره الدكتور القرضاوي ، في كتابه (المنتقى من « الترغيب والترهيب ») « ١/٤٢٨ » ، الطبعة الثانية ، طـ دار الوفاء بمصر ، ورقم الحديث (٨٠٩) ، بنفس اللفظ ، المذكور في الأصل . إلا أن =

صلاته ، ويتلو بها التالي في تلاوته ، ويدعو بها الداعي في دعائه . قال الحاكم : صحيح على شرط البخاري . وفي إسناده : « معاوية بن صالح » ، وقد أخرج له مسلم . وأخرج هذا الحديث : أبو داود - في مراسيله - : عن « جبير بن نفير » .

بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الكَهْفِ

وهو في النووي - في الجزء الثاني - في : (باب فضل سورة الكهف ، وآية الكرسي) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٢ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ ، مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ : عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ » .

وفي رواية : « مِنْ آخِرِ الْكَهْفِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي الدرداء رضي الله عنه[1] ؛ أنَّ نبيَّ الله[2] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « من حفظ عشر آيات ، من أول سورة الكهف : عُصم

= المنذريّ قال : « فإنهما » وفي الأصل : « فإنها » بالأفراد ، والصواب : « فإنهما » لعود الضمير على الآيتين . قال المنذريّ : رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط البخاري . ثم قال : معاوية بن صالح ، لم يحتج به البخاري ، إنما احتج به مسلم . ورواه أبو داود (في مراسيله) ، عن « جبير بن نفير » . وعقّب القرضاوي - في الهامش - فقال : وكذا قال الذهبي : (١/٥٦٢) . قال (أي الذهبي) : ورواه ابن وهب عن معاوية ، مرسلا . اهـ . المحقق .

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « النبي » بدل : « نبي الله » . المحقق .

من فتنة الدجال[1] » . وفي رواية : « من آخر الكهف[2] ») .

قال النووي : قيل سبب ذلك : ما في أولها من العجائب والآيات . فمن تدبّرها : لم يفتتن بالدجال . وكذا في آخرها : قوله تعالى : « أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي »[3] إلخ . انتهى[4] .

ولفظ الترمذي : « مَنْ قَرَأَ ثَلاثَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ »[5] الحديث . وقال : هذا حديث حسن صحيح .

قال الشوكاني : ولا منافاة بين رواية الثلاث[6] والعشر ؛ لأن الواجب : « العمل بالزيادة » ؛ فيقرأ عشر آيات من أولها . وأما اختلاف الروايات - بين أن تكون العشر : من أولها ، أو من آخرها - فينبغي الجمع بينهما : بقراءة العشر الأوائل ، والعشر الأواخر . ومن أراد : أن يحصل على الكمال ، ويتم له ما تضمنته هذه الأحاديث كلها : فليقرأ سورة الكهف كلها (يوم الجمعة) ، ويقرأها كلها : « ليلة الجمعة » . انتهى[7] .

---

(١) في مصدر الحديث : « من الدجال » بدون كلمة : « فتنة » . وصنيع المؤلف ، يفيد : أنه بدون لفظ : « فتنة » ، في بعض النسخ . المحقق .

(٢) هذا الحديث ، أخرجه مسلم (بثلاث روايات) ، بإسناد واحد ؛ رواية « شعبة » ، ورواية « همام » ، ورواية « هشام » . كلهم عن « قتادة » . فأما « شعبة » : فقال : « مِنْ آخِرِ الكهف » ، والأخيران : « مِنْ أَوَّلِ الْكَهْفِ » . انظر ص ٩٢ ، ٩٣ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) الآية رقم «١٠٢» ، في أواخر السورة المذكورة . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، في ص ٩٣ ، نفس المصدر . المحقق .

(٥) ذكره صاحب « مشكاة المصابيح » (٦٦١/١) ؛ بتحقيق الألباني ، حديث رقم (٢١٤٦) قال صاحب المشكاة : رواه الترمذي ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وذكره القرضاوي ، في (المنتقى من « الترغيب والترهيب ») : « ٤٣٠/١ » ، ط دار الوفاء بمصر ، حديث رقم (٨١٢) .

هذا ؛ وكلمة : « ثلاث » رسمت في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٦) (الثلاث) ، رسمت في الأصل : « الثلث » . المحقق .

(٧) (انتهى) أي : كلام الشوكاني . المحقق .

بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ

ومثله في النووي ، في الجزء الثاني .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٤ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ - فِي لَيْلَةٍ - : ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟ » .

قَالُوا : وَكَيْفَ يَقْرَأُ : ثُلُثَ الْقُرْآنِ ؟

قَالَ : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ : تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ ») .

(الشَّرْح)

(عن أبي الدرداء ، رضي الله عنه[1] ، عن النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم قال : « أيعجز أحدكم أن يقرأ - في ليلة - : ثُلُثَ الْقرآنِ ؟ » قالوا : وكيف يقرأ ثلث القرآن ؟ قال : « قل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن ») .

وفي الرواية الأخرى[2] : « إِنَّ اللَّهَ جَزَّأَ الْقُرْآنَ ثَلاثَةَ[3] أجْزاءٍ ؛ فَجَعَلَ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ : جُزْءاً[4] مِنْ أَجْزَاءِ الْقُرْآنِ » .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) هي رواية « سعيد بن أبي عروبة » ، و « أبان العطار » : عن « قتادة » . أما حديث الباب ، فهو من رواية « شعبة » ، عن « قتادة » . انظر صحيح مسلم / النووي (٦/ ٩٤) . المحقق .

(٣) (ثلاثة) في الأصل ، رسمت : « ثلثة » . المحقق .

(٤) (جزءاً) في الأصل ، رسمت : « جزأ » . المحقق .

قال المازري : قيل معناه : أن القرآن على ثلاثة[1] أنحاء : « قصص ، وأحكام ، وصفات لله تعالى » . وقل هو الله أحد : متمحضة للصفات ، فهي ثلث ، وجزء من ثلاثة[1] أجزاء .

وقيل : معناه : أن ثواب قراءتها : يضاعف بقدر ثواب قراءة ثلث القرآن ، بغير تضعيف . انتهى[2] .

قلت : وفي كون القرآن على ثلاثة[1] أنحاء : ملاحظة . لأن فيه : أمثالاً ، وغير ذلك .

ولهذا قال الشوكاني : وقد علل كونها تعدل ثلث القرآن : بعلل واهية ضعيفة . والأحسن أن يقال : هذا سرّ ، لم نطّلع عليه . وليس لنا الكشف عن وجهه . وهكذا سائر ما تقدم . انتهى[3] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي – في الجزء الثاني – في : (باب فضل قراءة « قل هو الله أحد ») .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٥ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

---

(١) (ثلاثة) في الأصل ، رسمت : « ثلثة » . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام المازري – كما حكاه النووي ، عن القاضي عياض – ، انظر ص ٩٤ ، ٩٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (انتهى) أي : كلام الشوكاني . المحقق .

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بَعَثَ رَجُلاً عَلَى سَرِيَّةٍ . وكَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ - فِي صَلاتِهِمْ - ، فَيَخْتِمُ بِـ « قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ » .

فَلَمَّا رَجَعُوا : ذُكِرَ ذَلِكَ ، لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالَ : « سَلُوهُ ، لِأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ ؟ » . فَسَأَلُوهُ ؛ فَقَالَ : لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَـٰنِ ؛ فَأَنَا أُحِبُّ : أَنْ أَقْرَأَ بِهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَخْبِرُوهُ : أَنَّ اللّهَ يُحِبُّهُ ») .

الشرح

(عن عائشة ، رضي الله عنها[١] ، أن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بعث رجلاً على سريّة . وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم : بـ « قل هو الله . أحد »[٢] . فلما رجعوا : ذكروا ذلك لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ فقال : « سلوه ، لأيّ شيء[٣] صنع[٤] ذلك ؟ فسألوه ؛ فقال : إنها[٥] صفة الرحمن ؛ فأنا أحب : أن أقرأ بها . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « أخبروه : أن الله يحبه ») .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٢) (في صلاتهم : بقل هو الله أحد) هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث : « في صلاتهم فيختم . . إلخ » بزيادة : « فيختم » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « في صلاتهم فيختم . . إلخ » . المحقق .

(٣) (شيء) . في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (صنع) . في مصدر الحديث : « يصنع » ، وقد أشار المؤلف - في الهامش - إلى وروده كذلك ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) (إنها) . في مصدر الحديث : « لأنها » . المحقق .

قال المـازري : « محبـة الله لعبـاده » : إرادة ثوابهم ، وتنعيمهم .
وقيل : « محبتـه لهـم » : نفس الإثابة ، والتنعيم ، لا الإرادة .

قال عياض : وأما « محبتهم له ، سبحانه » : فلا يبعد فيها الميل منهم إليه سبحانه . وهو متقدس عن الميل .

قال : وقيل : « محبتهم له » : استقامتهم على طاعته .

وقيل : الاستقامة « ثمرة المحبة » . وحقيقة المحبة له : « ميلهم إليه » لاستحقاقه سبحانه وتعالى : المحبة ، من جميع وجوهها . انتهى[1] .

قلت : ولا حاجة إلى هذا القيل والقال . والذي يترجح عند الفحول - من أهـل العلم - : تفـويض معنى هذه الألفـاظ إلى العزيز المتعال ، والإيمان بظاهرها : بلا كيف ، ولا مثال .

وقد وردت في هذه السورة : أحاديث ، دالة على عظيم فضلها ، وكثرة أجر تاليها[2] ؛ منها : ما تقدم . ومنها : ما أخرجه البخاري ، من حديث أنس ، وفيه : « أَنَّ أَصْحَابَ الرَّجُلِ ، قَالُوا لَهُ : إِمَّا أَنْ تَقْرَأَ بِهَا ، وإِمَّا أَنْ تَدَعَهَـا ، وَتَقْرَأَ بِأُخْرَىٰ . ثُمَّ ارْتَفَعُوا إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فَقَالَ لَهُ : مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ لُزُومِ هَـٰذِهِ السُّورَةِ ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ؟ » فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّهَا . فَقَالَ : « حُبُّكَ إِيَّاهَا : أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ[3] » .

---

(١) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه عنه النووي ، في ص ٩٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (تاليها) أي : « قارئها » . المحقق .

(٣) قال المنذريّ - بعد ذكره « حديث الباب » - : ورواه البخاري أيضاً ، والترمذي : عن أنس - أطول منه - ، وقـال - في آخـره - : فَلَمَّـا أَتَاهُمُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : أَخْبَرُوهُ الْخَبَرَ ، فَقَالَ : « يَافُلاَنُ ! مَا يَمْنَعُكَ : أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ ؟ وَمَا يَحْمِلُكَ : عَلَىٰ لُزُومِ هَـٰذِهِ السُّورَةِ ، فِي كُلِّ رَكْعَةٍ ؟ » . فَقَـالَ : إِنِّي أُحِبُّهَـا . فَقَـالَ : « حُبُّكَ إِيَّاهَا : أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ » . انظر المنتقى (٤٣٢/١) ، حديث رقم (٨١٩) ، ط دار الوفاء ، بمصر . المحقق .

ومنهـا : حديث « أبي هريرة » عنـد مسلم ؛ قَالَ[1] لِأَصْحَابِـهِ - : احْشُدُوا . فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ » . ثُمَّ خَرَجَ ، فَقَرَأَ : « قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ » .

ومعنى « احشدوا » : اجتمعوا . قاله النووي[2] « رحمه الله » .

بَابُ فَضْلِ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ

ومثله في النووي ، في الجزء الثاني .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٦ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ ، أُنْـزِلَتِ - اللَّيْلَةَ - ، لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ ، قَطُّ ؟ قُلْ أَعُـوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ») .

(الشَّرح)

(عن عقبة بن عامر ، رضي الله عنه[3] ، قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة ، لم ير مثلهن قط ؟ قل أعوذ برب الفلق ، وقل أعوذ برب الناس ») .

---

(١) (قال) أي : رسـول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والحـديث تجـده ، في صحيح مسلم / النـووي ، ص ٩٤ ، ٩٥ جـ ٦ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) تجده ، في ص ٩٥ ، نفس المصدر . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

قال النـووي : فيه بيان عظم فضـلِ هاتين السـورتين . وقـد سبق - قريباً - الخلاف في إطلاق تفضيل بعض القرآن على بعض .

وفيه : دليل واضح : على كونهما من القرآن ، وردٌّ على من نسب إلى « ابن مسعود » : خلاف هذا .

وفيه : أن لفظة « قل » : من القرآن ثابتة ، من أول السورتين ، بعد البسملة . وقد أجمعت الأمة على هذا كله . انتهى(١) .

وقد ورد - في فضل هاتين السورتين - أحاديث ، ذكرها في « تحفة الذاكرين » ؛

وفي بعضهـا : عَنْ عُقْبَةَ - عند أبي داود ، والنسائي - بلفظ : « أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ ؟ »(٢) .

---

(١) (انتهى) كلام النووي ، وهو في ص ٩٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) هذا الحديث ، ذكره الشوكاني ، في (تحفة الذاكرين) ، ص ٢٧٥ . وعقب عليه راوي « التحفة » بقوله :
الحديث أخرجه (أبو داود ، والنسائي) ، كما قال المصنف « رحمه الله » ، وهو من حديث عقبة بن عامر ؛ (قَالَ : كُنْتُ أَقُودُ بِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : نَاقَتَهُ - فِي السَّفَرِ - ، فَقَالَ لِي : « يَاعُقْبَةُ ! أَلَا أُعَلِّمُكَ خَيْرَ سُورَتَيْنِ ، قُرِئَتَا ؟ » ، فَعَلَّمَنِي : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ : فَلَمْ يَرَنِي سُرِرْتُ بِهِمَا جِدّاً .

فَلَمَّا نَزَلَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ : صَلَّى بِهِمَا صَلَاةَ الصُّبْحِ ، لِلنَّاسِ .

فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - مِنَ الصَّلَاةِ - الْتَفَتَ إِلَيَّ ، فَقَالَ : « يَاعُقْبَةُ ! كَيْفَ رَأَيْتَ ؟ » .

وفي رواية ؛ أَنَّهُ قَالَ : « يَاعُقْبَةُ ! تَعَوَّذْ بِهِمَا ، فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ : بِمِثْلِهِمَا » .

قال راوي « التحفة » : وأخرجه « ابن حبان » ، في صحيحه ، والحاكم : بنحو هذا ، وقال : صحيح الإسناد ، إلى آخر ما ذكره . هذا ؛

وفي (مشكاة المصابيح) « ١ / ٦٦٥ » ، بتحقيق الألباني ، حديث رقم (٢١٦٢) ؛ عن عقبة بن عامر ؛ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ ، مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، - بَيْنَ الْجُحْفَةِ ، وَالْأَبْوَاءِ - ، إِذْ غَشِيَتْنَا رِيحٌ ، وَظُلْمَـةٌ شَدِيدَةٌ ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : يَتَعَوَّذُ بِـ (أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ) وَ (أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) ، وَيَقُولُ : « يَاعُقْبَةُ ! تَعَوَّذْ بِهِمَا . فَمَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ : بِمِثْلِهِمَا » . قال صاحب المشكاة : رواه « أبو داود » . وقال الألباني : إسناده صحيح .

قال الشوكاني : فيه دليل على مزيد فضلهما . ولا تعارض بين هذا ، وبين ما ورد فيه مثل ذلك : من السور والآيات . بل ينبغي : أن يحمل ما ورد[1] تفضيله على أنه فاضل على ماعدا ما قد وقع[2] تفضيله : بدليل آخر . فالتفضيل من هذه الحيثية « إضافي ، لا حقيقي » . وهذا شيء حسن[3] . فإن منع من ذلك مانع ؛ فالمرجع : الترجيح بين الأدلة القاضية بالتفضيل .

قال[4] : وقد كان « عبد الله بن مسعود » ،لا يثبت هاتين السورتين « في مصحفه » ، كما رواه « عبد الله بن أحمد » (في المسند) ، والطبراني :

= وذكر المنذريّ هذا الحديث ، في كتابه : « الترغيب والترهيب » انظر « المنتقى » للقرضاوي ، (١/٤٣٣) ، طـ دار الوفاء بمصر ، الطبعة الثانية ، حديث رقم (٨٢٠) ، إلا أنه قال : « بينما » بدل : « بينا » ، وزاد في آخره : قَالَ - أي عقبة - : وَسَمِعْتُهُ يَؤُمُّنَا بِهِمَا فِي الصَّلَاةِ . هذا ؛

وفي « المشكاة » ، نفس المصدر : حديث رقم (٢١٦٣) : وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خُبَيْبٍ ؛ قَالَ : خَرَجْنَا - فِي لَيْلَةِ مَطَرٍ ، وَظُلْمَةٍ شَدِيدَةٍ - ، نَطْلُبُ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَأَدْرَكْنَاهُ ؛ فَقَالَ : « قُلْ » . قُلْتُ : مَا أَقُولُ ؟ قَالَ : « (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ - حِينَ تُصْبِحُ ، وَحِينَ تُمْسِي - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ : تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ » . قال الخطيب : رواه الترمذي ، وأبو داود ، والنسائي .

وفي نفس المصدر : حديث رقم (٢١٦٤) ؛ وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؛ قَالَ : قُلْتُ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! أَقْرَأُ سُورَةَ (هُودٍ) ، أَوْ سُورَةَ (يُوسُفَ) ؟ قَالَ : « لَنْ تَقْرَأَ شَيْئاً أَبْلَغَ - عِنْدَ اللَّهِ - مِنْ : قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » . قال الخطيب : رواه أحمد ، والنسائي ، والدارمي . اهـ . المحقق .

(١) في الأصل : « أن يحمل على ماورد » بزيادة لفظ : « على » . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحا من (التحفة) . ص ٢٧٦ . المحقق .

(٢) (على ماعدا ما قد وقع) . في الأصل : « على ماقد وقع » بإسقاط : « ماعدا » . والصواب : ماأثبتناه ، تصحيحا من المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في (التحفة) : « جمع حسن » ، لا « شيء حسن » ، كما في الأصل . والصواب : الأول . هذا ؛ وكلمة (شئ) رسمت في الأصل : « شيء » بوضع الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (قال) أي « الشوكاني » ، ص ٢٧٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

عن « عبد الرحمن بن يزيد النخعي » ؛ قَالَ : كَانَ عَبْدُ اللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ ؛ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنْ مَصَاحِفِهِ ، وَيَقُولُ : إِنَّهُمَا لَيْسَتَا مِنْ كِتَابِ اللّهِ ، تَعَالَىٰ . ورجال إسناد « عبد الله بن أحمد » : رجال الصحيح . ورجال إسناد الطبراني : ثقات . وهكذا أخرج البزار (في مسنده) : « أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ ، كَانَ يَحُكُّ الْمُعَوِّذَتَيْنِ مِنَ الْمُصْحَفِ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أُمِرَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : أَنْ يَتَعَوَّذَ بِهِمَا . وَكَانَ عَبْدُ اللّهِ ، لَا يَقْرَأُ بِهِمَا » . ورجال إسناده : ثقات . وهكذا أخرجه الطبراني : بإسناد ، رجاله ثقات .

قال البزار : لم يتابع « عبد الله بن مسعود » : أحد من الصحابة . وقد صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أنه قرأهما في الصَّلاة ، وأثبتتا في المصحف . انتهى[1] .

قال[2] : قلت : وقد تقدم أن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قال فيهما : « إنهما خير سورتين » . وقد تقدم أمره : بالقراءة بهما . وهذا خاصّة من خواص القرآن . وتقدم أيضاً : « أن من قرأ بهما[3] ، فكأنما قرأ جميع ما أنزل على محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم » .

وأجمع على ذلك : الصحابة ، وجميع أهل الإسلام ، « طبقة بعد طبقة » . والصحابي بشر . وليس قوله حجة ، في مثل هذا . على فرض

---

(١) (انتهى) أي : كلام البزار ، كما حكاه الشوكاني بالتحفة ص ٢٧٧ ، هذا ؛ وكلمة (الصلاة) ، رسمت في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٢) (قال) أي « الشوكاني » ، ص ٢٧٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في المصدر المتقدم : « قرأهما » بدل : « قرأ بهما » . المحقق .

عدم مخالفته[1] لما ثبت عن الشارع ، فكيف وقد خالف ههنا : السنة الثابتة ، والإجماع المعلوم ؟ انتهى كلام الشوكاني .

وقد عرفت بهذا : أن قول النووي - المتقدم - بلفظ : وفيه ردّ على من نسب إلى « ابن مسعود » خلاف هذا[2] . انتهى : ليس كما ينبغي . فإن الخلاف عنه « رضي الله عنه » : ثابت بما حكاه الشوكاني « رحمه الله »[3] قريباً . والجواب عن هذا الخلاف : الجواب المتقدم .

بَابُ مَنْ يُرْفَعُ بِالْقُرْآنِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، وفضل من تعلم حكمة[4] من فقه أو غيره : فعمل بها ، وعلمها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٨ جـ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ ؛ أَنَّ نَافِعَ بْنَ الْحَارِثِ : لَقِيَ عُمَرَ - بِعُسْفَانَ - ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَىٰ مَكَّةَ .

فَقَالَ : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ : « ابْنَ أَبْزَىٰ » .

---

(١) (عدم مخالفته) . في الأصل : بدون كلمة « عدم » . والسياق يفرض هذه الكلمة ، فلابد أنها سقطت من الناسخ . المحقق .

(٢) ذكره النووي ، بص ٩٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) « رحمه الله » رمز إليها في الأصل : بالحرفين : « رح » . المحقق .

(٤) (حكمة) في الأصل : (حكمه) بدون نقطتين . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

قَالَ : وَمَنِ « ابْنُ أَبْزَىٰ » ؟ قَالَ : مَوْلًى ، مِنْ مَوَالِينَا .

قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ .

قَالَ عُمَرُ : أَمَا ، إِنَّ نَبِيَّكُمْ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَدْ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَـٰذَا الْكِتَابِ : أَقْوَاماً ، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ ») .

(الشرح)

(عن عامر بن واثلة : أن نافع بن عبد الحارث ؛ لقي عمر « بعسفان » - وكان عمر يستعمله على مكة - فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى . قال : ومن ابن أبزىٰ ؟ قال : مولًى من موالينا . قال : فاستخلفت عليهم مولًى ؟ قال : إنه قارئ لكتاب الله ، عز وجل ، وإنه عالم بالفرائض . قال عمر رضي الله عنه[١] : أما إن نبيكم ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قد قال : « إن الله يرفع بهذا الكتاب : أقواماً ، ويضع[٢] آخرين »).لم يشرحه النووي بشيء[٣] .

وفيه : دليل على فضيلة قارئ كتاب الله ، وأن قراءته : سبب رفع المنزلة لتاليه[٤] لاسيما : إذا علم ، وعمل بما قرأ وتلا . وأن من تركه : يتّضع ، ويصير نازل المرتبة في الدنيا ، بل وفي الآخرة .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « ويضع به » بزيادة كلمة « به » . المحقق .

(٣) (بشيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ء فوق الياء . المحقق .

(٤) (لتاليه) أي : لقارئه . المحقق .

وهذا الحديث : علم من أعلام النبوة ؛ فقد وقع ما أخبر به في هذا . ورفع الله بكتابه العظيم : جمعاً جمّاً[1] مْن الناس الموالي ، وغيرهم . وفضّلهم على كثير ممن خلق تفضيلاً . ووفّق عصابة[2] عظيمة منهم : لتفسيره ، وضبط معانيه ومبانيه ، فارتفعت منازلهم ، وهكذا .

وترك أقوام إياه[3] - كالروافض ، ومن يحذو حذوهم - ونبذوه وراء ظهورهم ، وهجروه : فاتّضعت مراتبهم . ونُسُوا كما نَسُوه[4] .

اللهم ! نور قلوبنا بالقرآن ، واختم أعمالنا به يارحمن !

بَابُ فَضْلِ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضل قراءة القرآن في الصلاة ، وتعلّمه) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٩ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي يُحَدِّثُ عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ؛ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ - ؛ فَقَالَ : « أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ - كُلَّ يَوْمٍ - إِلَىٰ بُطْحَانَ ، أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ : فَيَأْتِيَ مِنْهُ : بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ ، وَلاَ قَطْعِ رَحِمٍ ؟ » .

(١) (جمّا) أي : كثيراً . المحقق .

(٢) (عصابة) في الأصل : « عصابه » بالإهمال من النقطتين . المحقق .

(٣) (وترك أقوام إياه) . لو قال : «وتركه أقوام» لكان أصحّ وأوضح . المحقق .

(٤) (نَسُوه) في الأصل ضبط : « نَسَوه » . وهو خطأ ، لأن فتح ما قبل واو الجماعة ، لا يكون إلا في الفعل المعتل الآخر : بالألف . والفعل نسي : ليس معتلاً بالألف ، وإنما بالياء . المحقق .

فَقُلْنَا : يَارَسُولَ اللّهِ ! نُحِبُّ ذَلِكَ .

قَالَ : « أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَيَعْلَمَ - أَوْ يَقْرَأَ - آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ : خَيْرٌ لَهُ : مِنْ نَاقَتَيْنِ . وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ : مِنْ ثَلَاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ : مِنْ أَرْبَعٍ . وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ ؟ ») .

(الشرح)

(عن عقبة بن عامر)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : خرج رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - ونحن في الصفة - قال[2] : أيكم يحب أن يغدو - كل يوم - إلى بطحان) : بضم الباء ، وإسكان الطاء : « موضع بقرب المدينة » .

(أو إلى العقيق) : واد منها[3] .(فيأتي منه : بناقتين كوماوين) « الكوما[4] من الإبل » : بفتح الكاف : العظيمة السنام .

(في غير إثم ، ولا قطع[5] رحم ؟ فقلنا : يارسول الله ! كلّنا يحبّ ذلك[6] . قال : « أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد ، فيعلم - أو يقرأ - آيتين من كتاب الله[7] ، خير له : من ناقتين . وثلاث[8] خير له : من ثلاث[8]

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن موسى بن علي » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « فقال » بالفاء . المحقق .

(٣) (منها) أي : « من المدينة » . المحقق .

(٤) (الكوما) هكذا في الأصل ، وكذلك في النووي ، المصدر المتقدم . والأولى : « الكوماء » بالمدّ . المحقق .

(٥) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه في بعض النسخ : « قطيعة » ، بدل : « قطع » . المحقق .

(٦) (كلنا يحب ذلك) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « نحب ذلك » بالنون ، وبدون : « كلنا » . المحقق .

(٧) (من كتاب الله) في مصدر الحديث : بزيادة : « عز وجلّ » . المحقق .

(٨) (ثلاث) . في الأصل : « ثلث » . المحقق .

وأربع خير له : من أربع ، ومن أعدادهنّ من الإبل ؟ ») .

وفي حديث « أبي هريرة » يرفعه ؛ عند مسلم : « أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ – إِذَا رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ – : أَنْ يَجِدَ فِيهِ : ثَلَاثَ[1] خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ ؟ » قُلْنَا : نَعَمْ . قَالَ : « فَثَلَاثُ آيَاتٍ ، يَقْرَأُ بِهِنَّ أَحَدُكُمْ – فِي صَلَاتِهِ – : خَيْرٌ لَهُ : مِنْ ثَلَاثِ[1] خَلِفَاتٍ عِظَامٍ سِمَانٍ »[2].

« والخَلِفات » بفتح الخاء المعجمة ، وكسر اللام : الحوامل من الإبل ، إلى أن يمضي عليها : نصف أمدها[3] . ثم هي « عشار » . والواحدة : « خَلِفة ، وعُشَراء »[4] .

وفي فضل تعليم الكتاب ، وقراءته ، وتعلّمه : أحاديث كثيرة ، صحيحة ، طيبة ؛

منها : حديث عثمان بن عفان « رضي الله عنه » ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ : « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ،وَعَلَّمَهُ ».أخرجه الشيخان [5] ، وأهل السنن .

(١) (ثلاث) . في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٢) هذا الحديث ، تجده ، في النووي / مسلم ، المصدر المتقدم ، ص ٨٩ . المحقق .

(٣) (أمدها) أي : أجلها : المحقق .

(٤) أي واحدة « خلفات » : خَلِفَة . وواحدة « عشار » : عُشَراء . المحقق .

(٥) (أخرجه الشيخان) هكذا قال المؤلف – وقال الخطيب في « المشكاة » ، (٦٥١/١) بتحقيق الألباني : قال : رواه البخاري ، ولم يذكر « مسلما » . انظر حديث رقم (٢١٠٩) ، المصدر المذكور .
وقال (صاحب الترغيب والترهيب) : رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وغيرهم . انظر حديث رقم (٧٧٢) ، المنتقى (٤١٧/١) . وعقب الدكتور القرضاوي في الهامش بقوله : في الأصل : « ومسلم » ، وقد نبه الحافظ الناجي : على أن مسلما ، لم يروه ألبتة . قال القرضاوي : وهذا صحيح ، فلم أجده لمسلم ، ولم أجد أحداً نسبه إليه ، وكذلك : لم أجده في النسائي ، ولا نسبه إليه في (جامع الأصول) ، ولا في (ذخائر المواريث) ، ولا (الجامع الصغير) ، ولا (المعجم المفهرس) ؛ فلعله في (الكبرى) ؛ إذ لم أجده في (اليوم والليلة) . اهـ . المحقق .

وأخـــرج مسلم وغيره ؛ من حديث « أبي هريرة » مرفـــوعـــاً ؛ قَالَ : « مَا اجْتَمعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللّهِ ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللّهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ : إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »(١) .

والمـراد بالتـلاوة هنـا : القـراءة . وبالتدارس : التعليم ، والتعلم . اللهم ! اجعلنا منهم .

بَابُ : مَثَلُ مَنْ يقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَمَنْ لَا يقْـرَؤُهُ (٢)

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضيلة حافظ القرآن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٣ ، ٨٤ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَثَـلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ : مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ .

---

(١) هذا حديث طويل ، رواه مسلم ، في (كتاب الذكر) ، باب رقم (١١) ، حديث رقم ٣٨ - (٢٦٩٩) ، (٤/٢٠٧٤) ونصه : (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا : نَفَّسَ اللّهُ عَنْهُ : كُرْبَةً ، مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ : يَسَّرَ اللّهُ عَلَيْهِ ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِماً : سَتَرَهُ اللّهُ ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَاللّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ : مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ . وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ ، عِلْماً : سَهَّلَ اللّهُ لَهُ بِهِ ، طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ .
وَمَـا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ ، مِنْ بُيُوتِ اللّهِ . . . » إلى آخر ما ذكر في الأصل . وفي آخره : « وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ : لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ ») .
وأخرجه أحمد (٢/٤٠٧) ، وأبو داود في (الوتر) «١٤» ، والترمذي في (القرآن) «١٠» . المحقق .

(٢) (يقـرؤه) . في الأصل : « يقرأه » . والصواب : ما أثبتناه ، لأن الهمزة مضمومة ، وفي وسط الكلمة : فتوضع على واو . المحقق .

وَمَثَـلُ الْمُؤْمِنِ ، الَّـذِي لَا يَقْـرَأُ الْقُرْآنَ : مَثَلُ التَّمْرَةِ ؛ لَا رِيحَ لَهَا ، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ .

وَمَثَـلُ الْمُنَـافِقِ ، الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؛ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ ؛ رِيحُهَا طَيِّبٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ .

وَمَثَـلُ الْمُنَـافِقِ ، الَّـذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ : كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ ؛ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ ، وَطَعْمُهَا مُرٌّ ») .

الشرح

(عن أبي موسى الأشعري) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « مثل المؤمن ، الذي يقرأ القرآن : مثل الأترجّة ؛ ريحها طيب وطعمها طيب .

ومثـل المؤمن ، الـذي لا يقـرأ القـرآن : مثل التمرة ؛ لا ريح لها ، وطعمها حلو .

ومثـل المنـافق ، الذي يقرأ القرآن : مثل الريحانة ؛ ريحها طيب ، وطعمها مرّ .

ومثل المنافق ، الذي لا يقرأ القرآن : كمثل الحنظلة ؛ ليس لها ريح ، وطعمها مر ») .

وفي رواية : « الفاجر » بدل : « المنافق »[1] .

قال النووي : فيه فضيله حافظ القرآن ، واستحباب ضرب الأمثال : لإيضاح المقاصد . انتهى[2] .

(١) هي رواية « همـام » ، عن قتـادة » . أمـا حديث البـاب ، فهو من رواية « أبي عوانة » و « شعبة » ، عن « قتادة » . انظر مصدر حديث الباب . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام النووي ، وتجده في ص ٨٣ ، ٨٤ ، نفس المصدر . المحقق .

قلت : ليس في هذا الحديث : ذكر حفظ القرآن ، بل الذي فيه : فضيلة قراءته . وهي أعمّ من أن تكون بالنظر في المصاحف ، أو على الحفظ . بل بالنظر أولى : لزيادة أجر النظر ، مع أجر التلاوة[1] .

بَابٌ فِي الْمَاهِرِ بِالْقُرْآنِ وَالَّذِي يَشْتَدُّ عَلَيْهِ

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٤ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ : مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ .

وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ ، وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ - وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ - : لَهُ أَجْرَانِ ») .

(الشَّرح)

(عن عائشة رضي الله عنها[2] ؛ قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « الماهر بالقرآن : مع السفرة الكرام البررة . والذي يقرأ القرآن ، ويتتعتع فيه - وهو عليه شاق - : له أجران ») .

---

(١) كان على المؤلف أن يبين : أن القراءة -بالنظر في المصحف- أكثر أجراً ؛ بالنسبة لحافظ القرآن ، فهو يجمع بين الحفظ ، والقراءة بالنظر في المصاحف . وهل حفظ القرآن إلا بكثرة قراءته ، في المصحف ؟ وإذا استخرج النووي من الحديث : فضيلة حافظ القرآن ، فهو من باب الأولى . والله أعلم . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

وفي رواية أخرى : « وَهُوَ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ ، لَهُ أَجْرَانِ »[1] .

قال النـووي : « السفـرة » جمـع « سافـر » : ككـاتب ، وكتبـة . « والسافر » : الرسول . « والسّفرة » : الرسل ؛ لأنهم يُسْفِرون إلى الناس : برسالات الله . وقيل : « السفرة » : الكتبة .

« والبررة » : المطيعون . من البرّ ، وهو الطاعة .

« والماهر » : الحاذق ، الكامل الحفظ ، الذي لا يتوقّف ولا يشق عليه القراءة : لجودة حفظه ، وإتقانه .

قال عياض : يحتمـل أن يكون معنى كونه مع الملائكة : أن له في الآخرة منازل ، يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة ، لاتّصافه بصفتهم : من حمل كتاب الله تعالى .

قال[2] : ويحتمل : أن يراد أنه عامل بعملهم ، وسالك مسلكهم .

وأما الذي يتتعتع فيه : فهو الذي يتردد في تلاوته ، ولضعف حفظه . فله أجران ؛ أجر بالقراءة ، وأجر بتتعتعه في تلاوته ، ومشقته[3] .

قال عياض ، وغيره من العلماء : وليس معناه الذي يتتعتع عليه : له من الأجر أكثر من الماهر به . بل الماهر أفضل ، وأكثر أجراً ؛ لأنه مع السفرة ، وله أجور كثيرة . ولم يذكر هذه المنزلة لغيره : وكيف يلحق به : « من لم

---

(١) هي رواية : « وكيع » ، عن « هشام الدّستوائي » ، عن « قتادة » . أما حديث الباب ؛ فهو من رواية : « أبي عوانة » عن « قتادة » ، ورواية : « ابن أبي عدي » ، عن « سعيد » ، عن « قتادة » . انظر ص ٨٤ المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (قال) أي عياض ، كما حكاه عنه النووي ، في ص ٨٤ ، ٨٥ ، نفس المصدر . المحقق .

(٣) ذكره النووي ، في نفس المصدر . المحقق .

يعتن : بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه ، وكثرة تلاوته ، وروايته » كاعتنائه ، حتى مهر فيه ؟. والله أعلم . انتهى[1] .

قلت : « وحديث الباب هذا » : أخرجه أيضاً البخاري ، وأهل السنن[2] .

قال الشوكاني : « التتعتع » هو التردد في قراءته ، لضعف حفظه ، أو لثقل لسانه . فهذا يُعطىٰ أجرين ؛ أحدهما : بالقراءة ، والآخر : بالمشقة الحاصلة عليه ، من التردد في التلاوة .

وأما الماهر : فأجره عظيم ، صار به مع الملائكة المقرّبين . وذلك أجر لا يشبهه أجر ، ورتبة لا تماثلها رتبة . انتهى[3] .

وهذا مثل ما تقدم من النووي ، « رحمه الله تعالى » .

بَابُ تَنَزُّلِ السَّكِينَةِ : لِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

ولفظ النووي – في الجزء الثاني – : (باب نزول السكينة . . إلخ) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨١ ، ٨٢ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

---

(١) (انتهى) أي : كلام عياض ، وغيره من العلماء ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٢) رواه البخاري (٨/٥٣٢) ، واللفظ لمسلم ، ورواه الترمذي : (٢٩٠٤) ، وابن ماجه : (٣٧٩٩) . أفاده الأرنؤوط ، على هامش « رياض الصالحين » ، « باب فضل القرآن » ، ص ٤١٩ ، ط مؤسسة الرسالة ، ببيروت . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام الشوكاني ، وتجده في « تحفة الذاكرين » ، ص ٢٦٢ ، (فضل القرآن العظيم ، وسور منه ؛ وآيات) . المحقق .

(عَنِ الْبَرَاءِ ؛ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ – فَتَغَشَّتْهُ سَحَابَةٌ ، فَجَعَلَتْ تَدُورُ وَتَدْنُو ، وَجَعَلَ فَرَسُهُ يَنْفِرُ مِنْهَا .

فَلَمَّا أَصْبَحَ : أَتَى النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَذَكَرَ ذَٰلِكَ لَهُ . فَقَالَ : « تِلْكَ السَّكِينَةُ ، تَنَزَّلَتْ لِلْقُرْآنِ ») .

(الشرح)

(عن البراء) بن عازب ، رضي الله عنه ؛ (قال : كان رجل يقرأ سورة الكهف – وعنده فرس ، مربوط بشطنين –) : بفتح الشين ، والطاء . وهما تثنية « شطن » : وهو الحبل الطويل المضطرب[1] .

(فتغشته سحابة ، فجعلت . تدور وتدنو ، وجعل فرسه ينفر منها) .

وفي الرواية الثانية : « تَنْفِر »[2] وفي الثالثة : (غير أنهما قالا : « ينقز »)[3] .

قال النووي : أما الأوليان[4] : فبالفاء والراء[5] ، بلا خلاف .

---

(١) أفاده النووي ، بص ٨١ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) هي رواية « شعبة » عن « أبي إسحاق » . أما حديث الباب ؛ فهو من رواية « أبي خيثمة » عن « أبي إسحاق » . انظر مصدر حديث الباب . المحقق .

(٣) عبارة مسلم ، في صحيحه : (وَحَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّىٰ ؛ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَـٰنِ بْنُ مَهْدِيٍّ ، وَأَبُو دَاوُدَ ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ؛ قَالَ سَمِعْتُ الْبَرَاءَ ؛ – يَقُولُ ؛ فَذَكَرَا نَحْوَهُ – غَيْرَ أَنَّهُمَا قَالاَ : « تَنْقُزُ » . هكذا « تنقز » بالتاء المثناة فوق ، لا بالياء المثناة تحت كما في الأصل ، انظر ص ٨٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (الأوليان) أي : الروايتين الأوليين ، وهما رواية « أبي خيثمة ، وشعبة » . المحقق .

(٥) (فبالفاء والراء) أي : « تنفر » . المحقق .

وأما الثالثة[1] : فبالقاف المضمومة ، وبالزاي[2] ، هذا هو المشهور .

قال[3] : ووقـع في بعض نسـخ بلادنـا في الثالثة[4] : « ينفز » بالفاء والزاي ، وحكاه عياض عن بعضهم ، وغلّطه .

ومعنى « ينقز » بالقاف والزاي : يثبت .

(فلما أصبح : أتى النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فذكر ذلك له . فقال : « تلك السكينة ، نزلت[5] للقرآن ») .

قال النووي : قد قيل - في معنى السكينة هنا - : أشياء ، المختار منهـا : أنهـا شيء من مخلوقـات الله تعالى ، فيه طمأنينة ورحمة ، ومعه الملائكة . والله أعلم[6] .

وفي هذا الحديث : جواز رؤية آحاد الأمة[7] : الملائكة .

وفيه : فضيلة القراءة ، وأنها سبب : نزول الرحمة ، وحضور الملائكة .

وفيه : فضيلة استماع القرآن .

---

(١) (وأما الثالثة) أي : الرواية الثالثة ، وهي رواية : « عبد الرحمن بن مهدي ، وأبي داود » عن « شعبة » ، عن « أبي إسحاق » . المحقق .

(٢) (فبالقاف المضمومة ، وبالزاي) أي : « تَنْقُز » . المحقق .

(٣) (قال) أي : النووي ، في ص ٨٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (في الثالثة) أي : في الرواية الثالثة . المحقق .

(٥) (نزلت) في مصدر الحديث : « تنزلت » ، وهي هكذا ، في بعض النسخ ، كما تفيد إشارة المؤلف ، في الهامش . المحقق .

(٦) تجده في ص ٨٢ ، المصدر المتقدم . هذا ؛ وكلمة « شيء » في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٧) (رؤية أحاد الأمة) من إضافة المصدر إلى فاعله ، و« الملائكة » مفعول به . أي جواز أن يرى آحاد الأمة : الملائكة . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٢ ، ٨٣ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْن خَبَّاب ؛ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ حَدَّثَهُ : أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ حُضَيْرٍ ؛ بَيْنَمَا هُوَ - لَيْلَةً - يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ ؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ . فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَىٰ . فَقَرَأَ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً .

قَالَ أُسَيْدٌ : فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ . فَقُمْتُ إِلَيْهَا ، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ ، فَوْقَ رَأْسِي ، فِيهَا : أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ ، حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا .

قَالَ : فَغَدَوْتُ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! بَيْنَمَا أَنَا - الْبَارِحَةَ ، مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ - أَقْرَأُ ، فِي مِرْبَدِي ؛ إِذْ جَالَتْ فَرَسِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اقْرَأْ ، ابْنَ حُضَيْرٍ ! » .

قَالَ : فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : «اقْرَأْ، ابْنَ حُضَيْرٍ ! »

قَالَ : فَقَرَأْتُ ، ثُمَّ جَالَتْ أَيْضاً .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اقْرَأْ ، ابْنَ حُضَيْرٍ ! »

قَالَ : فَانْصَرَفْتُ - وَكَانَ يَحْيَىٰ قَرِيباً مِنْهَا - ، خَشِيتُ : أَنْ تَطَأَهُ . فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ ، فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ ، عَرَجَتْ فِي الْجَوِّ ، حَتَّىٰ مَا أَرَاهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « تِلْكَ الْمَلاَئِكَةُ ، كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ . وَلَوْ قَرَأْتَ : لَأَصْبَحَتْ ، يَرَاهَا النَّاسُ ، مَاتَسْتَتِرُ مِنْهُمْ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخدري)[1] رضي الله عنه ؛ (أن أسيد بن حضير) : بضم الحاء ، وفتح الضاد . (بينما هو - ليلة - يقرأ في مربده) : بكسر الميم ، وفتح الباء : هو الموضع الذي يُيَبَّس[2] فيه التمر كالبيدر[3] : للحنطة ، ونحوها . (إذ جالت فرسه) أي : وثبت .

وقال هنا : « جالت » ، فأنث الفرس . وفي الرواية السابقة[4] : « وعنده فرس مربوط » ، فذكّره . قال النووي : وهما صحيحان . « والفرس » يقع : على الذّكر ، والأنثى .

(فقرأ ، ثم جالت أخرى . فقرأ ، ثم جالت أيضاً . قال أسيد : فخشيت أن تطأ يحيىٰ ، فقمت إليها ، فإذا مثل الظلة فوق رأسي ، فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو حتى ما أراها . قال : فغدوت على رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ فقلت : يارسول الله ! بينما أنا البارحة ، -من جوف الليل-أقرأ في مربدى ، إذ جالت فرسي . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : «اقرأ، ابن حضير!» . قال : فقرأت ، ثم

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عبد الله بن خباب » . المحقق .

(٢) (يُيَبّس) . في الأصل : « ييبس » . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٣) (البيدر) : هو الموضع الذي يُداس فيه القمح ، ثم يكوَّم فيه ، بعد دياسه ، وتذرية القشّ عنه . ويسمىٰ باللهجة المصرية : « الجرن » . المحقق .

(٤) (الرواية السابقة) ، هي حديث الباب ، الذي قبل هذا . المحقق .

جالت أيضاً . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : «اقرأ، ابن حضير ! » قال : فقرأت ، ثم جالت أيضاً . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « اقرأ ، ابن حضير ! » . قال : فانصرفت - وكان يحيى قريباً منها - خشيت أن تطأه . فرأيت مثل الظلة ، فيها أمثال السرج ، عرجت في الجو ، حتى ما أراها . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « تلك الملائكة ، كانت تسمع[1] لك . ولو قرأت[2] : لأصبحت يراها الناس ، ما تستتر منهم ») .

معناه : كان ينبغي أن تستمرّ على تلاوة القرآن ، وتغتنم ما حصل لك : من نزول الملائكة ، والسكينة . وتستكثر من القراءة ، التي هي سبب بقائها .

بَابُ : لَاحَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضل : من يقوم بالقرآن ، ويعلّمه . وفضل : من تعلّم حكمه[3] : من فقه أو غيره ، فعمل بها وعلّمها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٧ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « لَا

(١) في مصدر الحديث : « تستمع » ، بدل : « تسمع » ، وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه ورد في بعض النسخ : « تستمع » . المحقق .

(٢) (ولو قرأت) أي : « ولو استمررت في القراءة » . المحقق .

(٣) (حكمه) هكذا في الأصل « بدون نقطتين » فوق الهاء . وهكذا في النووي أيضا ص ٩٧ ، المصدر المتقدم . والصواب : « حكمةً » بالتاء المربوطة . المحقق .

حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ ؛ رَجُلٍ آتَاهُ اللّٰهُ : الْقُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَآنَاءَ النَّهَارِ .

وَرَجُلٍ آتَاهُ اللّٰهُ : مَالاً ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ ، وَآنَاءَ النَّهَارِ ») .

(الشرح)

(عن سالم عن أبيه ، رضي الله عنهما[1] ؛ عن النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : لا حسد إلا في اثنين[2] ؛ رجل آتاه الله : القرآن ؛ فهو يقوم به آناء الليل ، وآناء النهار) أي : ساعاته . وواحده : « الآنُ »[3] ، « وأنَاءٌ ، وإِنىً[4] ، وإِنْوٌ » أربع لغات[5] .

(ورجل آتاه الله : مالا ، فهو ينفقه آناء الليل ، وآناء النهار) .

المراد بالحديث : أن لاغبطة محبوبة[6] ، إلا في هاتين الخصلتين ، وما في معناهما .

قال النووي : قال العلماء : الحسد قسمان « حقيقي ومجازي » ؛

« فالحقيقي » : تمنِّي زوال النعمة عن صاحبها . وهذا حرام بإجماع الأمة ، مع النصوص الصحيحة .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) (اثنين) ، في مصدر الحديث : « اثنتين » ، وهو كذلك ، في بعض النسخ ، كما أشار المؤلف - في الهامش - . المحقق .

(٣) في القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، (٤/٢٠٠) : « الآنُ » الوقت الذي أنت فيه ، ظرف غير متمكن ، ووقع معرفة ، ولم تدخل عليه «ال» للتعريف : (لأنه ليس له ما يَشْرَكُه) ، وربما فتحوا اللام ، وحذفوا الهمزتين ؛ كقوله : فَبُحْ لاَنَ منها بالّذي أنت بائح . اهـ . المحقق .

(٤) (وإِنى) بكسر الهمزة ، وفتحها ، على وزن « إلىٰ » و« علىٰ » ، كما أشار المؤلف في الهامش . المحقق .

(٥) أفاده النووي ، في ص ٩٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٦) (محبوبة) في الأصل : « مجبوبة » بالجيم المعجمة ، وهو خطأ في النسخ . المحقق

وأمـا « المجازي » ؛ فهو الغبطة . وهو أن يتمنَّىٰ : مثل النعمة التي على غيره ، من غير زوالها عن صاحبها . فإن كانت من أمور الدنيا : كانت مباحة . وإن كانت طاعة : فهي مستحبة[1] .

وفي رواية أخرى ، بلفظ : « لَا حَسَدَ إِلَّا عَلَى اثْنَيْن : رَجُلٍ آتَاهُ اللّٰهُ هَـٰذَا الْكِتَابَ ، فَقَامَ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . وَرَجُلٍ أَعْطَاهُ اللّٰهُ مَالاً ، فَتَصَدَّقَ بِهِ : آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ »[2] .

وفي رواية ، عن ابن مسعود ؛ عند مسلم أيضاً ، يرفعه : « لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ : رَجُلٌ آتَاهُ اللّٰهُ مَالاً ، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ : فِي الْحَقِّ . وَرَجُلٍ آتَاهُ اللّٰهُ حِكْمَةً : فَهُوَ يَقْضِي بِهَا ؛ وَيُعَلِّمُهَا »[3] .

قلت : يحتمل أن المراد بالحكمة هنا : « القرآن » ، لدلالة الأحاديث السابقة على ذلك . ويحتمل أن المراد بها : السنة المطهرة . فقد استعملت هذه اللفظة كثيراً : مقام لفظ السنة ، في القرآن وفي الحديث . ويدخل فيه « الكتاب العزيز » دخولا أولياً ، لأنه حكمة إلهية . فتحصل : أن لا حسد إلا على من يتلو القرآن ، ويقضي بالسنة .

ولفظ « التلاوة ، والقيام بالقرآن ، والقضاء بالسنة وتعليمها » ، يشمل : كل حسنة وفضيلة . ودخل فيهما : العلم ، والعَمَل . وبالله التوفيق .

(١) أفاده النووي ، في ص ٩٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (هذا الحديث ، من رواية « ابن شهاب ، عن سالم » ، وحديث الباب ، من رواية « الزهري ، عن سالم » ، وتجده في ص ٩٧ ، المصدر المتقدم : بنفس اللفظ إلا أنه قال : « اثنتين » بالتأنيث ، بدل : « اثنين » . وقال : « فقام به : آناء الليل وآناء النهار » ، بينما هو في الأصل - في هذا الموضع - : « آناء الليل والنهار » ، ولعل كلمة : « وآناء » سقطت من الناسخ . المحقق .

(٣) هذه الرواية ، في ص ٩٧ ، ٩٨ نفس المصدر ، بنفس اللفظ ، إلا أنه قال : « اثنتين » بالتأنيث أيضاً . المحقق .

بَابُ الْأَمْرِ بِتَعَاهُدِ الْقُرْآنِ : بِكَثْرَةِ التِّلَاوَةِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب الأمر بتعهد القرآن ، وكراهة قول : نسيت آية كذا . وجواز قول : أنسيتها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٥ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ : كَمَثَلِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ - إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا : أَمْسَكَهَا . وَإِنْ أَطْلَقَهَا : ذَهَبَتْ - ») .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما ؛ (أَنَّ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « إنما مثل صاحب القرآن : كمثل الإبل المعقلة ؛ إن عاهد عليها : أمسكها . وإن أطلقها : ذهبت ») .

فيه : الحثُّ على تعاهد القرآن وتلاوته ، والحذر من تعريضه للنسيان .

قال عياض : ومعنى « صاحب القرآن » : أي الذي أَلِفَه . والمصاحبة : الموالفة[1] . ومنه : « فلان صاحب فلان » ، « وأصحاب الجنة » ، « وأصحاب النار » ، « وأصحاب الحديث » ، « وأصحاب الرأي » ، « وأصحاب الصفة » ، « وأصحاب إبل ، وغنم » ، « وصاحب كنز » ، « وصاحب عبادة »[2] .

---

(١) (الموالفة) . أصلها : « المؤالفة » . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، عن عياض ، بص ٧٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٦ ، ٧٧ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَـنْ عَبْـدِ اللّهِ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « بِئْسَمَا لأَحَدِهِمْ ؛ يَقُولُ : نَسِيتُ آيَةَ - كَيْتَ ، وَكَيْتَ - ، بَلْ هُوَ نُسِّيَ . اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ ؛ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّياً مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ : مِنَ النَّعَمِ بِعُقُلِهَا ») .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن مسعود ، رضي الله عنه[١] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « بئس ما[٢] لأحدهم[٣] ؛ يقول : نسيت آية - كيت[٤] ، وكيت -) أي : آية « كذا ، وكذا » . وهو بفتح التاء ، « على المشهور » .

وحكى الجوهري : فتحها ، وكسرها[٥] : عن « أبي عبيدة » .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » ، ولا « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (بئس ما) في مصدر الحديث : « بئسما » : بالوصل . المحقق .

(٣) (لأحدهم) . أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه في بعض النسخ : « لأحدكم » بالخطاب . المحقق .

(٤) (كيت) الأولى ، في الأصل : « كبت » بالباء الموحدة ، وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٥) (فتحها وكسرها) أي : فتح وكسر التاء ، من كلمة : « كيت » . المحقق .

(بِل هـو نسّي » قـال النـووي : ضبـطنـاه : بتشـديد السين . وقال عياض : ضبطناه : بالتشديد[1] ، والتخفيف .

فيه : كراهة قول : « نسيت آية كذا . وهي كراهة تنزيه . وأنه لا يكره قول : « أنسيتها » .

وإنمـا نهىٰ عن « نسيتهـا » : لأنـه يتضمن التسـاهل فيها ، والتغافل عنها . وقد قال تعالى : « أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهاَ »[2] .

وقال عياض : أولىٰ ما يُتأول عليه الحديث : أن معناه : ذمّ الحال ، لاذمّ القول : أي نسيت الحالة ، حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه[3] .

(استذكروا القرآن ، فلهو أشدّ تفصّياً من صدور الرجال : من النعم بعُقُلها[4]) .

قال أهـل اللغـة : « التفصّي » : الانفصـال . وهـو بمعنى الـرواية الأخرى : « أَشَدُّ تَفَلُّتاً »[5] .

« والنَّعَم » : أصلها : الإبل ، والبقر ، والغنم . والمراد هنا : الإبل خاصـة ، لأنهـا التي تُعْقَـل . « والعقل » : بضم العين والقاف ، ويجوز

(١) أفاده النووي ، بص ٧٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) الآية رقم (١٢٦) ، من سورة طه . ونصها : « قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىٰ » . المحقق .

(٣) هكذا العبارة ، في الأصل ، كما هي كذلك ، في النووي ، ص ٧٦ ، نفس المصدر ، وهي غير مستقيمة المعنى . ولعل صواب العبارة : أن معناه : ذمّ حال « من حفظ القرآن » ؛ فغفل عنه ، حتى نسيه . لاذمّ قول من يقول : نسيت آية كيت وكيت . المحقق .

(٤) (بعقلها) . في الأصل رسمت القاف فاء ، وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٥) هي رواية «أبي موسى» ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي بص ٧٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

إسكان القاف . وهو كنظائره . وهو جمع : « عِقال » ككتاب وكتب .

« والنّعم » : تذكّر ، وتؤنث .

ووقع هنا : « بعقلها » . وفي أخرى : « مِنْ عُقُلِهِ »[1] .

وفي الثالثة : « عقلهما »[2] . وكله صحيح .

والمراد برواية الباء : « من »[3] ، كما في قوله تعالى : « عَيناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللّهِ »[4] على أحد[5] القولين في معناها .

« وعقله » بتذكير النعم[6] : صحيح ، كما ذكرنا .

بَابُ تحَسِينِ الصَّوْتِ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن) .

---

(١) (وفي أخرى) أي : وفي رواية أخرى . . إلخ . وهذه الرواية ، هي رواية « شقيق » عن « عبد الله » وهي في ص ٧٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (وفي الثالثة) أي في الرواية الثالثة . هذا ؛ ولم ترد رواية بلفظ : « عقلهما » . ولعله خطأ غير مقصود . وإنما الرواية الثالثة ، التي يشير إليها المؤلف ، هي بلفظ : « فِي عُقُلِهَا » ، هي رواية « أبي موسى » ، وهي التي ورد بها « تَفَلُّتاً » ، بدل : « تفصّياً » . وقد تقدم الإشارة إليها ، في الهامش رقم (٥) بالصفحة المتقدمة . المحقق .

(٣) لو قال : إن الباء ، في رواية : « بعقلها » : بمعنى : « من » ، كما في قوله تعالى . . . إلخ . لكان أوضح . المحقق .

(٤) الآية : (٦) من سورة الدهر . المحقق .

(٥) (أحد) في الأصل : « إحدى » . وهو خطأ . والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(٦) أي أن « النّعم » يجوز فيه : التذكير ، والتأنيث . فيجوز عود الضمير إليه مذكراً ، ومؤنثاً . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٩ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « مَا أَذِنَ اللّهُ لِشَيْءٍ ؛ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ : يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ ، يَجْهَرُ بِهِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة رضي الله عنه[١] ؛ أنه سمع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يقول : « ما أذن الله لشيء[٢] ؛ كما[٣] أذن لنبي حسن الصوت : يتغنى بالقرآن ، يجهر به ») .

« أذن » : بكسر الذال . قال النووي : قال العلماء : « أذن » في اللغة الاستماع[٤] .

ومنه قوله تعالى : « وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا »[٥] .

قالوا : ولا يجوز : أن تحمل - هنا - على الاستماع بمعنى « الإصغاء » ؛ فإنه يستحيل على الله تعالى ، بل هو مجاز . ومعناه « الكناية » : عن تقريبه القاري[٦] ، وإجزال ثوابه . لأن سماع الله تعالى :

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (لشيء) . في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٣) (كما) في مصدر الحديث : « ما » بدون كاف . المحقق .

(٤) (الاستماع) هكذا في الأصل ، كما هو في النووي ، ص ٧٨ . و كان ينبغي أن يقال : « أَذِن » - في اللغة - : استمع . وفي المعاجم : أذن إليه ، وله : استمع . وهو من باب « فرح » . المحقق .

(٥) جزء من الآيتين : (٢) ، (٥) من سورة الانشقاق . المحقق .

(٦) (القاري) أصله : « القارئ » اسم فاعل من « قرأ » . المحقق .

لا يختلف ، فوجب تأويله . انتهى[1] .

وأقول : هذا الذي قاله النووي ، لا أرتضي به . فإن الحديث : صريح واضح في الاستماع ، وثبوت الإذن . « وصفة السمع والبصر » : صفتان مستقلتان ، كما أن « العين ، واليد ، والقدم ، والساق ، ونحوها » : صفات مستقلّة ، نطق[2] بها الأدلة الصحيحة ، المحكمة ، الثابتة في الكتاب والسنة . ولا ملجئ إلى تأويله ، كما لا ملجئ لتأويلها ، بل حكم جميع الصفات « أيّ صفة كانت » : حكم واحد ، لا سبيل لنا إلى كشف إجرائها ، غير الإيمان بها : بلا كيف ، ولا تعطيل ، ولا تشبيه ، ولا تمثيل .

ومعنى « يتغنى بالقرآن » – عند الشافعي ، وأصحابه ، وأكثر العلماء : من الطوائف وأصحاب الفنون – : يحسّن صوته به .

وعند سفيان بن عيينة : « يستغني به» . أي : عن الناس . وقيل : عن غيره[3] من الأحاديث والكتب .

قال عياض : القولان منقولان عن « ابن عيينة » . قال[4] : يقال : « تغنيت ، وتغانيت » بمعنى : « استغنيت » .

وقال الشافعي وموافقوه : معناه : « تحزين[5] القراءة ، وترقيقها » واستدلوا بالحديث الآخر : « زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »[6] .

(١) (انتهى) أي : كلام النووي ، وهو بالمصدر المتقدم . المحقق .
(٢) لو قال : « نطقت بها » ، لكان أولى . المحقق .
(٣) (عن غيره) أي : (يستغني بالقرآن عن غيره) . المحقق .
(٤) (قال) أي : عياض ، كما حكاه عنه النووي ، بنفس المصدر . المحقق .
(٥) (تحزين) بالحاء المهملة . المحقق .
(٦) ذكره النووي ، بص ٧٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

قال الهروي : معنى « يتغنّىٰ به » : يجهر به . وأنكر أبو جعفر الطبري : تفسير من قال « يستغني به » وخطأه[1] : من حيث اللغة ، والمعنى .

والخلاف جارٍ في الحديث الآخر : « لَيْسَ مِنَّا : مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرآنِ »[2] . والصحيح : أنه من تحسين الصوت . وتؤيده : الرواية الأخرى : « يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ : يَجْهَرُ بِهِ »[3] . انتهى كلام النووي . وبمثله : فسره في البخاري .

ويؤيد « حسن الصوت »[4] : رواية المزمار الآتية[5] .

ولا شك أن المراد بالتغني : ماكانوا يتغنّونَ به ، على عهد النبوة . أي قدر ما يحسنون الصوت ، ويجهرون به . لا هذه الأصول المحدثة

---

(١) (وخطأه) . في الأصل : لم توضع همزة فوق الألف . المحقق .

(٢) في رياض الصالحين ، ص ٤٢٣ ، حديث (١٠٠٧/٤) : عَنْ أَبِي لُبَابَةَ - بَشِيرِ بْنِ الْمُنْذِرِ - رضي الله عنه ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ : فَلَيْسَ مِنَّا » . قال النووي : رواه أبو داود ، بإسناد جيد .

وقال « شعيب الأرنؤوط » ، في الهامش : أبو داود (١٤٧١) وسنده صحيح ، وهو في البخاري (٤٦٨/١٣) من حديث « أبي هريرة » ، بنحوه .

وفي فتح الباري (٦٨/٩) ، كتاب فضائل القرآن : عقّب « ابن حجر » ، على قول البخاري : (باب من لم يتغنّ بالقرآن) ، عقّب بقوله : هذه الترجمة ، لفظ حديث ، أورده المصنف (يعني : البخاري) ، في « الأحكام » ، من طريق « ابن جريج » ، عن « ابن شهاب » ، بسند حديث الباب ؛ بلفظ : « مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ : فَلَيْسَ مِنَّا » . قال : وهو في « السنن » ، من حديث « سعد بن أبي وقاص » ، وغيره . وحديث الباب ، الذي يشير إليه « ابن حجر » : مروي عن « أبي هريرة » . المحقق .

(٣) المقصود بقوله : « الرواية الآخرى » ، هو حديث الباب . لأن هذا القول ، ليس قول « المؤلف » ، وإنما هو قول النووي ، بص ٧٩ ، المصدر المتقدم ، يحكيه عنه المؤلف . المحقق .

(٤) (ويؤيد حسن الصوت) . أي : ويؤيد تفسير « التغنّي بالقرآن » : بحسن الصوت به : رواية المزمار . المحقق .

(٥) (الآتية) ، أي : في « الباب » الذي بعد هذا . المحقق .

للتجـويد[1] والتبـديل ، التي يتعـاطـاها القراء ، ويحصل لهم بها : عوج الفم ، والأنف ، والعين ، والشفتين ، وزعـج في الأطـراف والأعضـاء . فهذه[2] بدعة ، بقيت فيها أصحابها[3] . وتفصّىٰ وتفلّت ، وانفصل ، القرآن بسببها[4] : من صدور الرجال ، أشدّ تفصياً من النعم بعقلها .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٠ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَىٰ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم لأَبِي مُوسَىٰ : « لَوْ رَأَيْتَنِي – وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ – الْبَارِحَةَ ؟ لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً ، مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي بريدة[5] ، عن أبي موسى) رضي الله عنـه ؛ (قال : قال

---

(١) لو قال – بدل « التجويد » – : « التنغيم ، والتمطيط » ونحوهما : من لحون الأغنيات : لكان أوضح . المحقق .

(٢) كلمة « فهذه » : الفاء فيها – في الأصل – : لا تتجاوز حجم النقطة الصغيرة . المحقق .

(٣) (بقيت فيها أصحابها) هكذا ، في الأصل . المحقق .

(٤) (بسببها) أي بسبب تلك البدعة ، التي يرتكبها القراء المعاصرون . المحقق .

(٥) (عن أبي بريدة) . في مصدر الحديث : « عن أبي بردة » بالتكبير . المحقق .

رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم لأبي موسى : « لو رأيتني - وأنا أستمع[١] قراءتك - البارحة ؟ لقد أوتيت مزماراً ، من مزامير آل داود ») .

قال النووي : قال العلماء : المراد بالمزمار هنا : « الصوت الحسن » وأصل الزمر : الغناء .

وآل داود : هو « داود نفسه » . « وآل فلان » قد يطلق على نفسه .

وكان داود عليه السلام : حسن الصوت جدّاً . انتهى[٢] .

ويستبعد كل البعد : أن يكون نبيّ الله يستجيز مزماراً من المزامير ، أو يكون صوته - في قراءة كتاب الله وتلاوته - على أصول الموسيقى[٣] ، أو على النهج الذي لا يفهم عبارته ، ولا يهتدي سامعه إلى مبانيه ودرك معانيه ، كما يصنع أهل مصر في هذه الأزمنة . فذلك لاشك فيه : أنه حرام أشد حرمة ، ولا يجوز بحَال .

بَابُ التَّرْجِيعِ فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ

وذكره النووي ، في : (الباب الغابر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨١ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيَّ يَقُولُ :

---

(١) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « أسمع » بدل : « أستمع » . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام النووي ، وتجده في ص ٨٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (الموسيقىٰ) في الأصل : « الموسيقي » بالياء المعجمة . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

قَرَأَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم - عَامَ الْفَتْحِ - فِي مَسِيرٍ لَهُ : سُورَةَ الْفَتْحِ « عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ » ، فَرَجَّعَ فِي قِرَاءَتِهِ .

قَالَ مُعَاوِيَةُ : لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ يَجْتَمِعَ عَلَيَّ النَّاسُ : لَحَكَيْتُ لَكُمْ قِرَاءَتَهُ) .

(الشرح)

(عن معاوية بن قرة ، قال : سمعت عبد الله بن مغفل المزني ، رضي الله عنه[1] ، يقول : قرأ النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - عام الفتح - في مسير له : سورة الفتح « على راحلته » ، فرجّع في قراءته . قال معاوية : لولا أني أخاف أن يجتمع عليّ الناس : لحكيت لكم قراءته) .

وفي رواية ؛ (قَالَ : فقَـرَأَ ابْنُ مُغَفَّـلٍ ؛ وَرَجَّعَ . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ . لَوْلَا النَّاسُ : لَأَخَذْتُ لَكُمْ بِذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ مُغَفَّلٍ عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم)[2] .

المراد بالترجيع هنا : الصوت الحسن ، وترداد الكلام على أحسن أوجه الأداء . قال النـووي : وأجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت[3] بالقراءة ، وترتيلها . قال أبو عبيد : والأحاديث الواردة في ذلك ، محمولة : على التحزين ، والتشويق .

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) هذه الرواية (شيخا مسلم فيها) : محمد بن المثنى ، ومحمد بن بشار» ، كلاهما عن محمد بن جعفر عن شعبة ، عن معاوية بن قرة . وتجدها في نفس المصدر المتقدم ، بدون ذكر « وآله » .
أما حديث الباب ؛ فشيخ مسلم فيه : أبو بكر بن أبي شيبة ، عن عبد الله بن إدريس ، ووكيع ، (كليهما عن شعبة ، عن معاوية بن قرة) . المحقق .

(٣) قولـه : « أجمـع العلماء على استحباب تحسين الصوت . . إلخ » ليس من مقول النووي ، وإنما حكاه النووي عن القاضي عياض . انظر ص ٨٠ المصدر المتقدم . المحقق .

قال[1] : واختلفوا في القراءة بالألحان ؛ فكرهها مالك والجمهور، لخروجها عما جاء القرآن له : من الخشوع ، والتفهم . وأباحها أبو حنيفة ، وجماعة من السلف : للأحاديث . وأن ذلك سبب للرقة ، وإثارة الخشية ، وإقبال النفوس على استماعه .

قال[2] : قلت : قال الشافعي - في موضع - : أكره القراءة بالألحان . وقال - في موضع - : لا أكرهها . قال أصحابنا : ليس له فيه خلاف . وإنما هو اختلاف حالين ؛

فحيث كرهها : أراد : إذا مطط ، وأخرج الكلام عن موضعه : بزيادة ، أو نقص ، أو مدّ غير ممدود ، وإدغام مالا يجوز إدغامه ، ونحو ذلك .

وحيث أباحها : أراد : إذا لم يكن فيها تغير لموضوع الكلام . والله أعلم . انتهى .

قلت : وقراءة عامة أهل مصر « الواردين بمكة » : من جنس المكروه ، فإنها كلها : مدغمة ، وموصوفة بما ذكر .

بَابُ الجَهْرِ بِالْقِرَاءَةِ بِاللَّيْلِ، وَالاِسْتِمَاعِ لَهَا

وهو في النووي ، في الجزء الثاني ، في : (باب الأمر[3] بتعهد القرآن ، وكراهة قول : نسيت آية كذا . . إلخ) .

---

(١) الضمير في (قال) هنا للقاضي عياض ، وليس للنووي ، كما يوهم صنيع المؤلف . المحقق .

(٢) الضمير في (قال) هنا : للنووي . المحقق .

(٣) (الأمر) . في الأصل : « الأمن » بالنون بدل الراء . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٧٥ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم : سَمِعَ رَجُلاً يَقْرَأُ مِنَ اللَّيْلِ ، فَقَالَ : « يَرْحَمُهُ اللَّهُ ! لَقَدْ أَذْكَرَنِي : كَذَا وَكَذَا آيَةً ، كُنْتُ أَسْقَطْتُهَا مِنْ سُورَةِ : كَذَا وَكَذَا ») .

(الشَّرح)

(عـن عائشـــة رضي الله عنهـــا[١] . أن النّبيّ صَلى الله عليه) وآلـه (وسلم : سمع رجلاً يقرأ من الليل ، فقال : « يرحمه الله ! لقد ذكرني[٢] : كذا وكذا آية ، كنت أسقطتها من سورة : كذا وكذا ») .

وفي رواية ؛ (كَانَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : يَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ - فِي الْمَسْجِدِ - فَقَالَ : « رَحِمَهُ اللَّهُ ! لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً ، كُنْتُ أُنْسِيتُهَا »[٣]) .

قال النووي : في هذه الألفاظ فوائد ؛

منها : جواز رفع الصوت بالقراءة في الليل ، وفي المسجد . ولا كراهة فيه ، إذا لم يؤذ[٤] أحداً ، ولا تعرّض للرياء والإعجاب ، ونحو ذلك .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٢) (ذكرني) بمصدر الحديث : « أذكرني » . المحقق .

(٣) شيخ مسلم - في هذه الرواية - : ابن نمير ، عن عبدة وأبي معاوية : كلاهما عن هشام ، عن أبيه . أما حديث الباب ؛ فشيخا مسلم فيه : أبو بكر بن أبي شيبة ، وأبو كريب ، كلاهما عن أبي أسامة ، عن هشام ، عن أبيه . المحقق .

(٤) (يؤذ) في الأصل : « يوذ » بدون همزة . المحقق .

وفيه : الدعاء لمن أصاب الإنسان من جهته : خير[1] ، وإن لم يقصد ذلك الإنسان .

وفيه : أن الاستماع للقراءة : سنّة .

وفيه : جواز قول : « سورة كذا وكذا » كسورة البقرة ، ونحوها . ولا التفات إلى من خالف في ذلك . فقد تظاهرت الأحاديث الصحيحة على استعماله .

وفيه : دليل على جواز النسيان عليه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما قد بلّغه إلى الأمة . وقد تقدم في (باب سجود السهو) : الكلام فيما يجوز من السهو عليه ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وما لا يجوز .

قال عياض : جمهور المحققين على جواز النسيان عليه ، صلى الله عليه وآله وسلم « ابتداء » ؛ فيما ليس طريقه البلاغ . واختلفوا فيما طريقه : البــلاغ ، والتعليم . ولكن من جوز ، قال : لا يقـرّ عليه ، بل لابـدّ أن يتذكره ، أو يُذَكَّره .

واختلفوا : هل من شروط ذلك « الفور » ، أم يصح على التراخي - قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم - ؟

قال[2] : وأما نسيان ما بلّغه في هذا الحديث ؛ فيجوز .

قال[2] : وقـال بعض الصـوفية ، ومتـابعـوهم : لا يجوز السّهو عليه أصـلا ، في شيء[3] . وإنمـا يقـع منه صورته : ليسن[4] . وهذا تناقض

(١) الضمير في « جهته » : عائد إلى « من » في قوله : « لمن » . وقد وضع المؤلف رقم (٢) تحت كل من « جهته » ، « لمن » : لبيان مرجع الضمير . هذا ؛ وكلمة « خير » . في الأصل « بالباء الموحدة » . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) (قال) أي عياض ، كما حكاه النووي بص ٧٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (ليسن) هكذا في الأصل ، وفي النووي ص ٧٧ ، المصدر المتقدم : « ليس إلا » وهو الصواب ، فيما يبدو . المحقق .

مردود ، لم يقل بهذا أحد ممن يُقتدىٰ به ، إلا الأستاذ « أبو الظفر الاسفرائني »[1] من شيوخنا . فإنه مال إليه ورجحه . وهو ضعيف متناقض . انتهى[2]

بَابُ إِنْزَالِ[3] الْقُرْآنِ عَلىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ

وقال النووي – في الجزء الثاني – (باب بيان أن القرآن ، نزل على سبعة أحرف ، وبيان معناه) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٨ ، ٩٩ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ بْنِ عَبْدِ الْقَارِيِّ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ : سَمِعْتُ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ – عَلَىٰ غَيْرِ مَا أَقْرَؤُهَا – وَكَانَ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم أَقْرَأَنِيهَا . فَكِدْتُ : أَنْ أَعْجَلَ عَلَيْهِ . ثُمَّ أَمْهَلْتُهُ ، حَتَّى انْصَرَفَ . ثُمَّ لَبَّبْتُهُ بِرِدَائِهِ ، فَجِئْتُ بِهِ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنِّي سَمِعْتُ هَـٰذَا يَقْرَأُ سُورَةَ الْفُرْقَانِ : عَلَىٰ غَيْرِ مَا أَقْرَأْتَنِيهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَرْسِلْهُ . اقْرَأْ » . فَقَرَأَ الْقِرَاءَةَ الَّتِي سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ .

---

(١) (الاسفرائني) ، في المصدر المتقدم : « الاسفرايني » بالياء بدل الهمزة . المحقق .

(٢) (انتهى) أي كلام عياض ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (إنزال) في الأصل : « انزل » بحذف الألف . ويبدو أنها سقطت من الناسخ . المحقق .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « هَـٰكَذَا أُنْزِلَتْ » . ثُمَّ قَالَ لِي : « اقْرَأْ » فَقَرَأْتُ . فَقَالَ : « هَـٰكَذَا أُنْزِلَتْ . إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ ، أُنْزِلَ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، فَاقْرَأُوا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ ») .

(الشَّرح)

(عن عمر بن الخطاب)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : سمعت هشام بن حكيم بن حزام ، يقرأ سورة الفرقان – على غير ما أقرؤها[2] – . وكان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم أقرأنيها . فكدت أن أعجل عليه . ثم أمهلته ، حتى انصرف . ثم لببته بردائه) بتشديد الباء الأولى[3] ، معناه : أخذت بمجامع ردائه – في عنقه – وجررته به ، مأخوذ من « اللَّبّة » بفتح اللام ، لأنه يقبض عليها .

وفي هذا : بيان ماكانوا عليه ، من الاعتناء بالقرآن ، والذبّ عنه ، والمحافظة على لفظه ، كما سمعوه : من غير عدول إلى ما يجوزه[4] العربية .

(فجئت به رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقلت : يارسول الله ! إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان : على غير ما أقرأتنيها . فقال رسول

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عَنْ عَبْدِ الرحمن بن عبد القاريّ » . المحقق .

(٢) (أقرؤها) في الأصل : « اقرأها » ، والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(٣) (بتشديد الباء الأولى) أي من كلمة : « لبّبته » . المحقق .

(٤) لو قال : « تجوزه » بالتاء المثناة فوق ، بدل الياء المثناة تحت : لكان أوضح . المحقق .

الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « أرسله . اقرأ » فقرأ التي[1] سمعته يقرأ) .

أمر النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم عمر : بإرساله ، لأنه لم يثبت عنده مايقتضي تعزيره ، ولأن عمر ، إنما نسبه إلى مخالفته في القراءة . والنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، يعلم من جواز القراءة ووجوهها : مالا يعلمه عمر . ولأنه إذا قرأ - وهو مُلَبّبٌ - لم يتمكن من حضور البال ، وتحقيق القراءة : تمكّن المطلق[2] .

(فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « هكذا أنزلت » . ثم قال لي : « اقرأ » فقرأت . فقال : « هكذا أنزلت . إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فاقرأوا[3] ماتيسر منه ») .

قال العلماء : سبب إنزاله على سبعة : التخفيف ، والتسهيل . ولهذا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي » ، كما صرح به في الرواية الأخرى[4] .

(١) في مصدر الحديث : « فقرأ القراءة التي . . . إلخ) بزيادة كلمة : « القراءة » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - إلى مايفيد أن هذه الزيادة ، وردت في بعض النسخ . المحقق .

(٢) هكذا في الأصل ، كما هو في النووي ، ص ٩٩ ، المصدر المتقدم . قلت : وهناك علة أخرى لأمر النبي بإرساله . وهي أن الأصل في (المتَّهم) البراءة ، حتى تثبت إدانته . المحقق .

(٣) (فاقرأوا) في الأصل : « فاقرؤا » . المحقق .

(٤) الرواية الأخرى ، التي يشير إليها المؤلف : تجدها في صحيح مسلم / النووي ، ص ١٠١ ، ١٠٢ ، المطبعة المصرية ، وهي عن « أبيّ بن كعب » ، وهي حديث طويل جاء فيه :(فَلَمَّا رَأَىٰ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، مَا قَدْ غَشِيَنِي : ضَرَبَ فِي صَدْرِي ، فَفِضْتُ عَرَقاً ، وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللّهِ ، عَزَّ وَجَلَّ - فَرَقاً - فَقَالَ لِي : « يَاأُبَيُّ ! أُرْسِلَ إِلَيَّ : أَنِ اقْرَأَ الْقُرْآنَ - عَلَىٰ حَرْفٍ - فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ : أَنْ هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي . فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ : اقْرَأْهُ عَلَىٰ حَرْفَيْن . فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ : أَنْ هَوِّنْ عَلَىٰ أُمَّتِي . فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ : اقْرَأْهُ عَلَىٰ سَبْعَةِ أَحْرُفٍ . فَلَكَ بِكُلِّ رَدَّةٍ رَدَدْتُكَهَا : مَسْأَلَةٌ ، تَسْأَلُنِيهَا . فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لأُمَّتِي . اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لأُمَّتِي . وَأَخَّرْتُ الثَّالِثَةَ : لِيَوْمٍ يَرْغَبُ إِلَيَّ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ، حَتَّىٰ إِبْرَاهِيمُ ، صلى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »). المحقق .

قال النووي : واختلف العلماء في المراد « بسبعة أحرف » ؛

قال عياض : قيل : هو توسعة وتسهيل ، لم يقصد به الحصر . قال[1] : وقال الأكثرون : هو حصر للعدد في سبعة . ثم قيل : هي سبعة في المعاني (كالوعد ، والوعيد ، والمحكم ، والمتشابه ، والحلال ، والحرام ، والقصص ، والأمثال ، والأمر ، والنهي) . ثم اختلف هؤلاء في تعيين السبعة .

وقال آخرون : هي في أداء التلاوة ، وكيفية النطق بكلماتها : من إدغام ، وإظهار ، وتفخيم ، وترقيق ، وإمالة ، ومدّ . لأن العرب كانت مختلفة اللغات في هذه الوجوه ، فيسّر الله تعالى عليهم ، ليقرأ كل إنسان بما يوافق لغته ، ويسهل على لسانه .

وقال آخرون : هي الألفاظ والحروف . وإليه أشار « ابن شهاب » بما رواه مسلم عنه، في الكتاب . ثم اختلف هؤلاء ؛

فقيل : سبع قراءات[2] وأوجه .

وقال أبو عبيد : سبع لغات العرب ؛ يمنها ، ومعدها ، وهي أفصح اللغات وأعلاها .

وقيل : بل السبعة كلها لمضر وحدها . وهي متفرقة في القرآن ، غير مجتمعة في كلمة واحدة .

وقيل : بل هي مجتمعة في بعض الكلمات : كقوله تعالى : « وَعَبَدَ

---

(١) (قال) أي : عياض ، كما حكاه النووي ، بص ٩٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (قراءات) رسمت في الأصل : « قرأت » . المحقق .

الـطَّاغُـوتَ »[1] و « نَرْتَـعْ وَنَلْعَبْ »[2] « وبَـاعِـدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا »[3] « وبِعَذَابٍ بَئِيسٍ »[4] وغير ذلك .

قـال البـاقـلاني : الصحيح أن هذه الأحـرف السبعـة : ظهـرت ، واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وضبطها عنه الأمة ، وأثبتها عثمان والجماعة في المصاحف ، وأخبروا بصحتها . وإنما حذفوا منها : مالم يثبت متواتراً . وأن هذه الأحرف تختلف معانيها تارة ، وألفاظها أخرى . وليست متضادة ، ولا متنافية .

وذكـر الطحاوي : أن القراءة بالأحرف السبعة : كانت في أول الأمر خاصة للضرورة[5] : لاختلاف لغة العرب ، ومشقّة أخذ جميع الطوائف : بلغة . فلما كثر الناس والكتاب ، وارتفعت الضرورة : كانت قراءة واحدة .

قال الداودي : وهذه القراءات[6] السبع ، التي يقرأ الناس اليوم بها : ليس كل حرف منها ، هو أحد تلك السبعة . بل تكون مفرقة فيها .

وقال ابن أبي صفرة : هذه القراءات[6] السبع : إنما شرعت من حرف واحـد ، من السبعة المذكورة في الحديث . وهو الذي جمع عثمان عليه المصحف . وهـذا ذكـره النحـاس وغيره . قال غيره : ولا تمكن القـراءة

---

(١) جزء من الآية : (٦٠) من سورة المائدة . المحقق .

(٢) الصواب : « يرتع ويلعب » بالياء فيهما ، لا بالنون كما ذكر المؤلف . وهو جزء من الآية (١٢) من سورة يوسف . المحقق .

(٣) جزء من الآية : (١٩) من سورة سبأ . المحقق .

(٤) جزء من الآية : (١٦٥) من سورة الأعراف . المحقق .

(٥) (للضرورة) في الأصل : وضعت الواو فوق الراء صغيرة ، كأنها ضمة . المحقق .

(٦) (القراءات) في الأصل : « القرأت » . المحقق .

بالسبع[1] المذكورة في الحديث : في ختمة واحدة . ولا يدرىٰ[2] أيّ هذه القراءات : كان آخر العرض على النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم . وكلها[3] : مستفيضة عن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم . ضبطها عنه : الأمة ، وأضافت كل حرف منها إلى من أضيف إليه ، من الصحابة . أي : أنه كان أكثر قراءة به . كما أضيف كل قراءة منها : إلى من اختار القراءة بها ، من القرّاء السبعة ، وغيرهم .

قال المازري : وأما قول من قال : المراد سبعة معان مختلفة ، كالأحكام ، والأمثال ، والقصص : فخطأ ؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم ، أشار إلى جواز القراءة بكل واحد من الحروف ، وإبدال حرف بحرف . وقد تقرر إجماع المسلمين : أنه يحرم إبدال آية أمثال ، بآية أحكام .

قال[4] : وقول من قال : المراد خواتيم الآي « فيجعل مكان غفور رحيم : سميع بصير » : فاسد[5] أيضاً ، للإجماع على منع تغيير القرآن للناس . هذا مختصر ما نقله القاضي عياض ، في المسأله[6] . والله أعلم . انتهى كلام النووي .

---

(١) (بالسبع) أي : بالأحرف السبع ، المذكورة في حديث الباب . هذا ؛ وكلمة « تمكن » رسمت في النووي ، ص ١٠٠ ، المصدر المتقدم : « تكن » . والصواب ماذكره المؤلف . المحقق .

(٢) (ولا يدرى) في الأصل : « ولا يدري » بالياء المعجمة . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٣) الضمير في قوله : « وكلها » عائد على القراءات السبع المشهورة ، وليس الأحرف السبع المذكورة في الحديث . المحقق .

(٤) (قال) أي « المازري » ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (فاسد) خبر المبتدأ « قول » . أي : هذا القول فاسد . المحقق .

(٦) (المسألة) رسمت في الأصل : « المسئلة » . المحقق .

قلت : والراجح أن المراد بسبعة أحرف : سبع لغات العرب . وبه قال الشوكاني في « إرشاد الفحول ، إلى تحقيق الحق من علم الأصول » ورجّحه . وبه قلت في « حصول المأمول ، من علم الأصول » . وبه قال جمع من العلماء الفحول . والله أعلم .

بَابُ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْقُرْآنَ عَلَى غَيْرِهِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - :(باب استحباب قراءة القرآن : على أهل الفضل والحذّاق فيه ، وإن كان القارئ أفضل من المقروء[1] عليه) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٥ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ : « إِنَّ اللّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ : لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا » .

قَالَ : وَسَمَّانِي لَكَ ؟ قَالَ : « نَعَمْ » . قَالَ : فَبَكَىٰ) .

(الشَّرح)

(عن أنس بن مالـك) رضي الله عنـه ، (أن رسـول الله صلى الله عليه)وآله (وسلم ؛ قال[2] لأبيّ بن كعب : « إن الله عز وجل [3] أمرني أن

---

(١) (المقروء) رسمت في الأصل : « المقرؤ » بوضع الهمزة فوق الواو . والصواب : ماأثبتناه . هذا ؛ وكلمة « أفضل »،وردت في الأصل : بالصاد المهملة . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : (قال : قال رسول الله) بدل : « أن رسول الله قال . . إلخ » هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مالك » . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث لفظ : « عزوجل » . وصنيع المؤلف يشير إلى أنه في بعض النسخ : بدون هذا اللفظ . المحقق .

أقـرأ عليك : لم يكن الذين كفروا » . قال : وسَمَّاني[١] ؟ قال : « نَعَمْ » قال : فبكى) .

وفي رواية : (قَالَ لِأُبَيٍّ : « إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ » . قَالَ : اللّهُ سَمَّانِي لَكَ ؟ قَالَ : « اللّهُ سَمَّاكَ لِي » . فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي »[٢] .

وفي هذه الأحاديث : فوائد كثيرة ؛

منهـا : استحبـاب قراءة القـرآن على الحـذّاق فيه ، وأهـل العلم به والفضل . وإن كان القارئ أفضل من المقروء[٣] عليه .

ومنهـا : المنقبـة الشـريفة لأبيّ « بقراءة النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم » ، عليه . ولا يعلم أحد من الناس : شاركه في هذا .

ومنها : منقبة أخرى له : بذكر الله له ، ونصه عليه في هذه المنزلة الرفيعة .

ومنها : البكاء للسرور[٤] والفرح مما يبشّر الإنسان به ، ويعطاه : من معالي الأمور .

وأما قوله : « آلله[٥] سماني لك ؟ » فيه : أنه يجوز أن يكون الله تعالى أمر النبي يقرأ[٦] على رجل من أمته ، ولم ينصّ على أبيّ . فأراد « أبيّ » أن يتحقق : هل نصّ عليه ، أو قال على رجل ؟ فيؤخذ منه : الاستثبات في

---

(١) (وسماني ؟) في مصدر الحديث : « وسماني لك ؟ » بزيادة « لك » . المحقق .

(٢) هذه الرواية بالمصـدر المتقـدم ، ص ٨٥ (أي نفس الصفحـة) . ولكن لم يرد بهـا – أيضـاً – لفظ : « عز وجل » . وورد بها (آلله سماني لك ؟) هكذا (آلله) بذكر همزة الاستفهام . وورد بها (قال : فجعل أبيّ يبكي) بزيادة : « قال » . المحقق .

(٣) (المقروء) . في الأصل : « المقرو » بدون همزة . المحقق .

(٤) (للسرور) في الأصل غير واضحة . المحقق .

(٥) (آلله) في الأصل : « الله » . المحقق .

(٦) لو قال « أمر النبي أن يقرأ » ، لكان أوضح . المحقق .

المحتملات . واختلفوا في الحكمة في قراءته،صلى الله عليه وآله وسلم ، على أبيّ ؛

والمختـار أن سببهـا : أن تستنّ الأمـة بذلك ، في القراءة على أهل الإتقان والفضل . ويتعلموا آداب القراءة ، ولا يأنف أحد من ذلك .

وقيل : للتنبيه على جلالـة أبيّ ، وأهليته : لأخذ القرآن عنه . وكان - بعده صلى الله عليه وآله وسلم - رأساً وإماماً[1] في إقراء القرآن ، وهو أجلّ ناشرته[2] ، أو من أجلّهم . ويتضمن : معجزةً لرسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم .

وأما تخصيص هذه السورة : فلأنها وجيزة ، جامعة لقواعد كثيرة « من أصـول الدين ، وفروعه ، ومهماته ، والإخلاص ، وتطهير القلوب ».وكان الوقت يقتضي الاختصار . والله أعلم .

بَابُ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ،صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْقُرْآنَ عَلَى الْجِنِّ

وقال النووي - في الجزء الثاني -:(باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والقراءة على الجن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٨ - ١٧٠ جـ ٤ ، المطبعة المصرية

(١) (وإماماً) ، في الأصل : « وإما » وهو خطأ . والصواب : ما أثبتناه . المحقق .

(٢) (أجـلّ ناشـرتـه) هكـذا في الأصـل . وهكـذا في النووي ، جـ د ص ٨٦ ، المطبعة المصرية . ولعل الصواب : « أجلّ ناشريه » . المحقق .

(عَنْ دَاوُدَ عَنْ عَامِرٍ ؛ قَالَ : سَأَلْتُ عَلْقَمَةَ : هَلْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ شَهِدَ - مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - لَيْلَةَ الْجِنِّ ؟

قَالَ : فَقَالَ عَلْقَمَةُ : أَنَا سَأَلْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ ؛ فَقُلْتُ : هَلْ شَهِدَ أَحَدٌ مِنْكُمْ - مَعَ رَسُولِ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم - لَيْلَةَ الْجِنِّ ؟ قَالَ : لَا . وَلَكِنَّا كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - ذَاتَ لَيْلَةٍ - فَفَقَدْنَاهُ ، فَالْتَمَسْنَاهُ - فِي الْأَوْدِيَةِ ، وَالشِّعَابِ - ، فَقُلْنَا : اسْتُطِيرَ ، أَوِ اغْتِيلَ .

قَالَ : فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ ، بَاتَ بِهَا قَوْمٌ .

فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ، إِذَا هُوَ جَاءٍ مِنْ قِبَلِ حِرَاءٍ . قَالَ : فَقُلْنَا : يَارَسُولَ اللّهِ ! فَقَدْنَاكَ ، فَطَلَبْنَاكَ ، فَلَمْ نَجِدْكَ : فَبِتْنَا بِشَرِّ لَيْلَةٍ ، بَاتَ بِهَا قَوْمٌ . فَقَالَ : « أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ » .

قَالَ : فَانْطَلَقَ بِنَا ، فَأَرَانَا آثَارَهُمْ ، وَآثَارَ نِيرَانِهِمْ .

وَسَأَلُوهُ : الزَّادَ ، فَقَالَ : « لَكُمْ كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ ، يَقَعُ فِي أَيْدِيكُمْ - أَوْفَرَ مَا يَكُونُ لَحْماً - ، وَكُلُّ بَعْرَةٍ : عَلَفٌ لِدَوَابِّكُمْ » . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا ، فَإِنَّهُمَا طَعَامُ إِخْوَانِكُمْ ») .

الشرح

(عن عامــر ، هو الشعبي[١] . قال : سألت ، علقمة : هــل كــان « ابن مسعود » شهد مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ليلة

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن داود » ، لأن عامرا هو مرجع ضمير (قال) في قوله : « قال : فقال علقمة » . أي : قال داود : قال عامر : فقال علقمة. . إلخ .هذا ؛ ولم يذكر في صحيح مسلم ، المصدر المتقدم ، لفظ : « هو الشعبي » . المحقق .

الجن ؟ قال : فقال علقمة : أنا سألت « ابن مسعود » ، فقلت : هل شهد أحد منكم - مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - ليلة الجنّ ؟ قال : لا) .

قال النـووي : هذا صريح في إبطال الحديث ، المروي في « سنن أبي داود» وغيره. المـذكور فيه: الوضوء بالنبيذ، وحضورابن مسعود معه، صلى الله عليه وآله وسلم « ليلة الجن » . فإن هذا الحديث : صحيح . وحديث النبيذ : ضعيف باتفاق المحدّثين . ومداره على زيد « مولى عمرو ابن حريث » وهو مجهول(١) .

(ولكنا كنا مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - ذات ليلة - ففقـدنـاه ، فالتمسناه في الأودية والشعاب ، فقلنا : استطير ، أو اغتيل) أي : طارت به الجن ، أو قُتل سرّا . « والغيلة » بكسر الغين : هي القتل في خفية .

(قال : فبتنا بشرّ ليلة ، بات بها قوم . فلما أصبحنا ، إذا هو جاءٍ من قبل حراء . قال : فقلنا : يارسول الله ! فقدناك فطلبناك فلم نجدك ، فبتنا بشرّ ليلة باتَ بِهَا قوم . فقال : « أتاني داعي الجن ، فذهبت معه ، فقرأت عليهم القرآن »).هذا « موضع الترجمة » ، من الباب .

(قال : فـانطلق بنا ، فـأرانا آثارهم ، وآثار نيرانهم) .

قال الدارقطني : انتهى حديث « ابن مسعود »، عند قوله : « نيرانهم » .

---

(١) تجد كلام النووي ، هذا ، في ص ١٦٩ ، ١٧٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

وما بعده[1] : من قول الشعبي . كذا رواه أصحاب « داود » الراوي : عن الشعبي ، وابن علية ، وابن زريع ، وابن أبي زائدة ، وابن إدريس ، وغيرهم . هكذا قاله الدارقطني ، وغيره .

ومعنى قوله : «إنه من كلام الشعبي» : أنه ليس مروياً عن «ابن مسعود» بهذا الحديث ، وإلا فالشعبي لا يقول هذا الكلام : إلا بتوقيف عن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم . والله أعلم .

(وسألوه : الزاد ، فقال : لكم كلّ عظم ذكر اسم الله عليه) . قال بعض العلماء : هذا لمؤمنيهم . وأما غيرهم ، فجاء في حديث آخر : أن طعامهم : « مالم يذكر اسم الله عليه » .

(يقع في أيديكم - أوفر مايكون لحماً - . وكل بعرة : علف لدوابكم . فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « فلا تستنجوا بهما ، فإنهما طعام إخوانكم ») .

وفي رواية أخرى ؛ (عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : « لَمْ أَكُنْ - لَيْلَةَ الْجِنِّ - مَعَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وَوَدِدْتُ : أَنِّي كُنْتُ مَعَهُ »[2]) .

وفيه : الحرص على مصاحبة أهل الفضل في أسفارهم ، ومهماتهم ، ومشاهدهم ، ومجالسهم : « مطلقاً » والتأسّف على فوات ذلك .

---

(١) (وما بعده) أي : من قوله : « وسألوه الزاد » إلى آخر الحديث (من قول الشعبي . . إلخ) . وتجد هذا في النووي ، ص ١٧٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) هذه الرواية ، مذكورة في المصدر المتقدم ؛ ص ١٧١ ، بنفس اللفظ ، إلا أنه جاء بها : « مَعَ رَسُولِ اللّهِ » بدل : « مَعَ النَّبِيِّ » . المحقق .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في:(الباب المتقدم) ، من الجزء الثاني .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧١ جـ ٤ ، المطبعة المصرية

(عَـنْ مَعْنٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَبِي قَالَ : سَأَلْتُ مَسْـرُوقـاً : مَـنْ آذَنَ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم : بِالْجِنِّ ، لَيْلَةَ اسْتَمَعُوا الْقُرْآنَ ؟ . فَقَالَ : حَدَّثَنِي أَبُوكَ - يَعْنِي : ابْنَ مَسْعُودٍ - أَنَّهُ آذَنَتْهُ بِهِمْ شَجَرَةٌ) .

(الشَّرح)

(عن معن ؛ قال : سمعت أبي قال : سألت مســروقـاً : « من آذن النبيّ صلى الله عليه) وآلـه (وسلم بالجن ، ليلة[1] استمعـوا القـرآن ؟ » فقال : حدثني أبوك - يعنى : ابن مسعود - أنه آذنته بهـم شجرة) .

هذا دليل : على أن الله تعالى يجعل فيما يشاء من الجماد : تمييزاً .

ونظيره قول الله تعالى : « وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ »[2] .

وقوله : « وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ »[3] .

---

(١) (بالجن ليلة) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد : أنه في بعض النسخ : « ليلة الجن » بدل قوله : « بالجن ليلة » . المحقق .

(٢) جزء من الآية (٧٤) من سورة البقرة ، هذا ؛ والضمير في « منها » : عائد على « الحجارة » ، في قوله في نفس الآية : « وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ » الآية . المحقق .

(٣) جزء من الآية (٤٤) من سورة الإسراء . هذا ؛ وكلمة « شيء » في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنِّي لَأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ ، كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ »(١) .

وحديث الشجرتين ، اللتين أتتاه ، صلى الله عليه وآله وسلم »(٢) .

وقد ذكر مسلم(٣) في آخر الكتاب : حديث حنين الجذع ، وتسبيح الطعام(٤) ،

---

(١) هذا الحديث مذكور بصحيح مسلم ، بكتاب الفضائل ، باب (١) حديث رقم (٢-٢٢٧٧) ، المجلد الرابع ، ط دار الفكر ، ببيروت . وتكملة الحديث : « قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ . إِنِّي لَأَعْرِفُهُ الْآنَ » . المحقق .

(٢) حديث الشجرتين ، هو جزء من حديث طويل جدّا ، مذكور بصحيح مسلم ، بكتاب (الزهد والرقائق) باب (١٨) : « باب حديث جابر الطويل ، وقصة أبي اليسر » ورقم الحديث (٧٤) . المحقق .

(٣) قول المؤلف : (وقد ذكر مسلم . . . إلخ) . الصواب : « وقد ذكره مسلم . . » بهاء الضمير بعد الفعلَ : « ذكر » ، لأن الذي ذكره مسلم في آخر الكتاب هو حديث الحجر ، وحديث الشجرتين ، كما بينا في الهامشين المتقدمين . فقول المؤلف : « وقد ذكر مسلم . . إلخ » خطأ ، لأن حديث « حنين الجذع » لم نجده في مسلم . وإنما وجدناه في فتح الباري / صحيح البخاري (٦٠١/٦) تحقيق وتصحيح ابن باز ، في (المناقب) برقم (٣٥٨٣) ، ونصه : (عَنِ ابْنِ عُمَرَ : كَانَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَخْطُبُ إِلَىٰ جِذْعٍ . فَلَمَّا اتَّخَذَ الْمِنْبَرَ : تَحَوَّلَ إِلَيْهِ . فَحَنَّ الْجِذْعُ ، فَأَتَاهُ ، فَمَسَحَ يَدَهُ عَلَيْهِ) . وفي نفس المصدر ؛ حديثان آخران ؛ أولهما برقم (٣٥٨٤) ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : (أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ كَانَ يَقُومُ – يَوْمَ الْجُمُعَةِ – إِلَىٰ شَجَرَةٍ –أَوْ نَخْلَةٍ– ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ –أَوْ رَجُلٌ– : يَارَسُولَ اللَّهِ ! أَلَا نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَراً ؟ قَالَ : « إِنْ شِئْتُمْ » . فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَراً . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ : دُفِعَ إِلَى الْمِنْبَرِ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ – صِيَاحَ الصَّبِيِّ – ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَضَمَّهُ إِلَيْهِ يَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ ، الَّذِي يُسَكَّنُ . قَالَ : كَانَتْ تَبْكِي : عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ ، عِنْدَهَا ») .
وثانيهما : برقم (٣٥٨٥) ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، يَقُولُ : (كَانَ الْمَسْجِدُ مَسْقُوفاً عَلَىٰ جُذُوعٍ مِنْ نَخْلٍ ، فَكَانَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ إِذَا خَطَبَ : يَقُومُ إِلَىٰ جِذْعٍ مِنْهَا . فَلَمَّا صُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ ، فَكَانَ عَلَيْهِ ، فَسَمِعْنَا لِذَٰلِكَ الْجِذْعِ : صَوْتاً ، كَصَوْتِ الْعِشَارِ ، حَتَّىٰ جَاءَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا : فَسَكَتَتْ ») . المحقق .

(٤) حديث تسبيح الطعام ، لم أجده – أيضاً – في مسلم . وإنما وجدته في البخاري ، في « فتح الباري » (٥٨٧/٦) في نفس الكتاب المتقدم ، حديث رقم (٣٥٧٩) ونصه : (عَنْ عَلْقَمَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ؛ قَالَ : كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ : بَرَكَةً – وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا : تَخْوِيفاً – ، كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم – فِي سَفَرٍ – ، فَقَلَّ الْمَاءُ ، فَقَالَ : « اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ » . فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : « حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنَ اللَّهِ » . فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم . وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ ، وَهُوَ يُؤْكَلُ) . المحقق .

وفرار حجر موسى بثوبه[1] ، ورجفان حراء وأحد[2] ، والله أعلم . قاله النووي .

والمراد هنا : استماع الجن القرآن . ولا يكون إلا بإسماع من النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم .

---

(١) حديث « فرار حجر موسى بثوبه » متفق عليه ، من حديث « أبي هريرة » ؛ ولفظ البخاري - كما في فتح البـاري ، (١/ ٣٨٥) ، تصحيح وتحقيق : «ابن باز» ، في : (الغسـل) ، باب«(٢٠) ، حديث رقم (٢٧٨) - عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ؛ قال : « كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ - وفي رواية مسلم : يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ سَوْأَةِ - بَعْضٍ » وكانَ مُوسَىٰ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ . فَقَالُوا : وَاللَّهِ ! مَا يَمْنَعُ مُوسَىٰ أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا : إِلَّا أَنَّهُ آدَرُ [أي غليظ الخصيتين] فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَىٰ حَجَرٍ ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ ، فَخَرَجَ مُوسَىٰ فِي إِثْرِهِ - وفي رواية مسلم : « فَجَمَعَ مُوسَىٰ بِإِثْرِهِ » ، يَقُولُ : ثَوْبِي ، يَاحَجَرُ ! - وفي رواية مسلم : «ثَوبي حَجَرُ!» مكررة مرتين ، وبدون ذكر : « يا » - ، حَتَّىٰ نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَىٰ مُوسَىٰ - وفي رواية مسلم : «إِلَىٰ سَوْأَةِ مُوسَى» - فَقَالُوا - وفي رواية مسلم بدون فاء - وَاللَّهِ ! مَابِمُوسَىٰ مِنْ بَأْسٍ - وفي رواية مسلم بزيادة : « فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ ، حَتَّىٰ نُظِرَ إِلَيْهِ » - وَأَخَذَ ثَوْبَهُ - وفي رواية مسلم : قال : فَأَخَذَ ثَوْبَهُ - فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْباً » .

فَقَالَ - وفي مسلم : « قَالَ » - أَبُو هُرَيْرَةَ : وَاللَّهِ ! إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ - وفي مسلم : « بِالْحَجَرِ نَدَبٌ » - سِتَّةٌ ، أَوْ سَبْعَةٌ ، ضَرْباً بِالْحَجَرِ - وفي مسلم : « ضَرْبُ مُوسَىٰ بِالْحَجَرِ » - ورواه البخاري أيضاً في (كتاب الأنبياء) .

أمـا مسلم ؛ فرواه في (كتاب الحيض) باب (١٨) ، حديث رقم (٧٥) ، وفي الفضائل حديث رقم (١٥٥) . وقد تقدم ذكر هذا الحديث ، في الجزء الثاني من السراج الوهاج، ص٢٠ (باب غسل الرجل وحده من الجنابة ، والتستّر) . المحقق .

(٢) أما « رجفان جبل حراء » ، ففي حديث أبي هريرة (عند مسلم) « ٤/ ١٨٨٠ » « فضائل الصحابة باب (٩) « فضائل أهل بيت النبي » ، حديث رقم (٥٠) : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، كَانَ عَلَىٰ حِرَاءٍ - هُوَ ، وَأَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ، وَعَلِيٌّ ، وَطَلْحَةُ ، وَالزُّبَيْرُ - فَتَحَرَّكَتْ الصَّخْرَةُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اهْدَأْ . فَمَا عَلَيْكَ : إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدٌ » . وقد تقدم ذكره في (السراج) « ٩/ ٣٤١ » (باب فضائل طلحة والزبير) .

وأمـا « رجفـان جبـل أحد » ففي حديث أنس بن مالك (عند البخاري) ، فتح الباري (٤٢/٧) ، (فضائل الصحابة) باب « ٦ » (باب مناقب عمر) حديث رقم (٣٦٨٦) ؛ (قَالَ : صَعِدَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : أُحُداً ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ ، وَعُمَرُ ، وَعُثْمَانُ ؛ فَرَجَفَ بِهِمْ ، فَضَرَبَهُ بِرِجْلِهِ ، وَقَالَ : « اثْبُتْ . أُحُدُ ! فَمَا عَلَيْكَ : إِلَّا نَبِيٌّ ، أَوْ صِدِّيقٌ ، أَوْ شَهِيدَانِ ») . المحقق .

بَابُ اسْتِمَاعِ النَّبِيِّ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِهِ

وقال النووي - في الجزء الثاني - : (باب فضل استماع القرآن ، وطلب القراءة : من حافظه ، للاستماع . والبكاء عند القراءة والتدبر) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٦ ، ٨٧ جـ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عُبَيْدَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ » . قَالَ : فَقُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! أَقْرَأُ عَلَيْكَ ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟

قَالَ : « إِنِّي أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي » .

فَقَرَأْتُ : النِّسَاءَ ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغْتُ : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ، وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰؤُلَاءِ شَهِيداً » : رَفَعْتُ رَأْسِي - أَوْ غَمَزَنِي رَجُلٌ إِلَىٰ جَنْبِي : فَرَفَعْتُ رَأْسِي - فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ) .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن مسعود)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : قال لي رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « اقرأ عليّ القرآن » قال : فقلت : يارسول الله ! أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ قال : « إني أشتهي أن أسمعه من غيري » . فقرأت « النساء » ، حتى إذا بلغت : « فكيف إذا جئنا من كل أمة

---

(١) ذكرنا من السند من أول : « عن عبيدة » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » . ولكن - عند علماء الحديث - إذا قيل : « عبد الله » فالمراد : « عبد الله بن مسعود » . المحقق .

بشهيد ، وجئنا بك على هؤلاء شهيداً »[1] : رفعتُ رأسي - أو غمزني رجل إلى جنبي : فرفعت رأسي - فرأيت دموعه تسيل) .

فيه : استحباب استماع القراءة ، والإصغاء لها ، والبكاء عندها وتدبرها . واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمع[2] . وهو أبلغ - في التفهم والتدبر - من قراءته بنفسه .

وفيه : تواضع أهل العلم والفضل ، ولو مع أتباعهم .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في الجزء الثاني من النووي ، في : (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٧ ، ٨٨ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَلْقَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : كُنْتُ بِحِمْصَ ، فَقَالَ لِي بَعْضُ الْقَوْمِ : اقْرَأْ عَلَيْنَا . فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمْ : سُورَةَ يُوسُفَ . قَالَ : فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : وَاللّهِ ! مَا هٰكَذَا أُنْزِلَتْ .

قَالَ : قُلْتُ : وَيْحَكَ ! وَاللّهِ ! لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالَ لِي : « أَحْسَنْتَ » .

فَبَيْنَمَا أَنَا أُكَلِّمُهُ ، إِذْ وَجَدْتُ مِنْهُ : رِيحَ الْخَمْرِ .

---

(١) الآية : (٤١) من سورة النساء . المحقق .

(٢) كلمة (ليستمع) رسمت في الأصل : « يستمع » كأن اللام ياء . المحقق .

قَالَ : فَقُلْتُ : أَتَشْرَبُ الْخَمْرَ ، وَتُكَذِّبُ بِالْكِتَابِ ؟ لَا تَبْرَحْ ، حَتَّىٰ أَجْلِدَكَ .

قَالَ : فَجَلَدْتُهُ الْحَدَّ) .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن مسعود)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : كنت بحمص ، فقال لي بعض القوم : اقرأ علينا . فقرأت عليهم : سورة يوسف عليه السلام[2] . قال : فقال رجل من القوم : والله ! ما هكذا أنزلت . قال : قلت : ويحك ! والله ! لقد قرأتها[3] على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال لي : « أحسنت » . فبينما[4] أنا أكلمه ، إذ وجدت منه : ريح الخمر . قال : فقلت : أتشرب الخمر ، وتكذّب بالكتاب ؟) أي : تنكر بعضه جاهلاً ، وليس المراد : « التكذيبَ الحقيقي » . فإنه لو كذب حقيقة لكفر ، وصار مرتدًا ، يجب قتله . وقد أجمعوا على أن من جحد حرفاً مجمعاً عليه - في القرآن - فهو كافر ، تجري عليه أحكام المرتدّين . والله أعلم .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن علقمة » ، لأن كلمة « قال » المكررة في الحديث ، هو قائلها . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » . وإن كان هو « فعلاً » ابن مسعود . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « عليه السلام » . وقد وضع المؤلف خطّاً أفقياً فوق هذا اللفظ ، للإشارة إلى عدم وروده في بعض النسخ . المحقق .

(٣) (لقد قرأتها) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أن هذا اللفظ ، ورد في بعض النسخ : « لقرأتها » . المحقق .

(٤) (فبينما) أشار المؤلف - في الهامش - إلى وروده في بعض النسخ : « فبينا » بدون ميم . المحقق .

(لا تبـرح ، حتى أجلدك . قال : فجلدته الحدّ) . هذا محمول : على أن « ابن مسعـود » : كان له ولاية إقـامة الحدود ، لكونه نائباً للإمام عموماً ؛ أو في إقامة الحدود ، أو في تلك الناحية ، أو استأذن من له إقامة الحدود هناك في ذلك : ففوضه إليه .

ويحمل أيضاً : على أن الرجل اعترف بشرب خمر ، بلا عذر . وإلا فلا يجب الحدّ بمجرد ريحها ، لاحتمال النسيان ، والاشتباه ، والإكراه ، وغيرذلك . قال النووي : هذا مذهبنا ، ومذهب الآخرين[1].انتهى .

والمقصود هنا - من هذا الحديث - : إثبات استماع القرآن ، من غيره .

بَابٌ فِي الزَّجْرِ عَنْ الاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ

وقـال النووي - في الجزء الخامس ، تحت كتاب العلم - : (باب النهي عن اتّباع متشابه القرآن ، والتّحذير من متّبعيه . والنهي عن الاختلاف في القرآن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢١٨ جـ ١٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ رَبَاحٍ الأَنْصَارِيِّ ؛ أَنَّ عَبْدَ اللّهِ بْنَ عَمْرٍو ؛ قَالَ : هَجَّـرْتُ إِلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - يَوْماً - ، قَالَ : فَسَمِعَ

(١) لفظ النووي ، بص ٨٨ ، المصدر المتقدم : « ومذهب آخرين » بدون « ال » . وفرق - في المعنى - بين المحلى بأل - هنـا - وبين المجـرد منها . فإن كلمة « آخرين » بدون « ال » ليست شاملة لكل من عدا الشافعية ، بخلاف ، : « الآخرين » . المحقق .

أَصْـوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يُعْرَفُ فِي وَجْهِهِ الْغَضَبُ ، فَقَالَ : « إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ : بِاخْتِلاَفِهِمْ فِي الكِتَابِ ») .

(الشَّرح)

((عن عبد الله بن عمرو) رضي الله عنهما[1] ؛ (قال : هجّرت إلى رسـول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم يوماً) أي : بكّرت . (قال : فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية ، فخرج علينا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يعرف في وجهه الغضب ، فقال : « إنما هلك من كان قبلكم : باختلافهم في الكتاب ») .

والمـراد بهـلاك من قبلنـا - هنـا - : هلاكهم في الـدّين ، بكفرهم وابتداعهم . فحذّر رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : من مثل فعلهم .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في : (الباب المتقدم) .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عبد الله بن رباح الأنصاري » . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ جـ ١٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ الْبَجَلِيِّ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « اقْرَأُوا الْقُرْآنَ : مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ . فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ : فَقُومُوا ») .

(الشَّرح)

(عن جندب بن عبد الله البجلي ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « اقرأوا[2] القرآن : ما ائتلفتْ عليه قلوبكم . فإذا اختلفتم فيه : فقوموا ») .

قال النووي : الأمر بالقيام – عند الاختلاف في القرآن – محمول عند العلماء : على اختلاف لا يجوز ، أو اختلاف يوقع فيما لا يجوز : كاختلاف في نفس القرآن ، أو في معنى منه : لا يسوغ فيه الاجتهاد ، أو اختلاف يوقع في شكّ ، أو شبهة ، أو فتنة وخصومة ، أو شجار ، ونحو ذلك .

وأما الاختلاف : في استنباط فروع الدين منه ، ومناظرة أهل العلم في ذلك – على سبيل الفائدة ، وإظهار الحق ، واختلافهم في ذلك – : فليس منهيًّا عنه ، بل هو مأمور به ، وفضيلة ظاهرة . وقد أجمع المسلمون على هذا : من عهد الصحابة إلى الآن . انتهى[3] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (اقرأوا) رسمت في الأصل : « اقرؤا » . المحقق .

(٣) تجد كلام النووي هذا ، في ص ٢١٨ ، ٢١٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

قلت : ومن الاختلاف في القرآن ، المنهيّ عنه : اتّباع متشابهات الكتاب . ومثله : السنّة المطهرة ، فإنها تلو القرآن . « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »[1]

وأكثر الناس ابتلاء في هذا : أصحاب الرأي ، وأصحاب الكلام ، وأهل البدع والمحدثات (من الصوفية ، والباطنية ، وغيرهم) ؛ اختلفوا فيه اختلافاً كثيراً وجاءوا[2] بتأويلات ركيكة ، وتوجيهات سخيفة ، واحتمالات بعيدة ، صرفوا بها : ظاهر القرآن عن معناه الشرعيّ واللغوي ، اللذين عليهما : مدار الاستنباط ، والأحكام ، والعقائد ، وغيرها « حماية للمذاهب ، ووقاية للمشارب » ، وخبطوا خبط العشواء ، وعلى نفسها براقش تجني ؛ فحملوا آيات الصفات على غير المعنى المراد ، وأوّلوها بما يؤدّي إلى تعطيلها . وكذلك أحاديث الصفات . وقالوا فيهما بالرأي ، وقد نهوا عنه . وتركوا طريقة السلف في إجرائها على ظاهرها : بلا تكييف ، ولا تأويل ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل .

وزعموا : أن الحق فيما قالوه - وهم عن الحق وإيثاره على الباطل : بمراحل بعيدة - وتمسكوا بتقليد الرجال ، ووقعوا في شباك القيل والقال . وهلكوا كما هلك مَنْ قبلهم من أهل الكتاب .

ويؤيده حديث « أبي سعيد الخدري » عند مسلم يرفعه ؛ بلفظ : (« لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ : شِبْراً بِشِبْرٍ ، وذِرَاعاً بِذِرَاعٍ . حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا فِي جُحْرِ ضَبٍّ : لَاتَّبَعْتُمُوهُمْ » . قُلْنَا : يَارَسُولَ اللّهِ ! آلْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ ؟

(١) الآيتان : (٣ ، ٤) من سورة النجم . المحقق .

(٢) (وجاءوا) رسمت في الأصل : « وجاؤا » . المحقق .

قَالَ : « فَمَنْ »[1]). إلى غير ذلك : من الأحاديث الواردة في هذه الأبواب .
فكأنَّ هذا الحديث : علم من أعلام النبوة . والله أعلم .

كِتَابُ التَّفْسِيرِ

ذكر[2] في هذا الكتاب : ماورد في تفسير الكتاب - مرفوعاً وموقوفاً - من سورة البقرة ، إلى سورة الفتح . وقال :

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ

وأورده النووي ، في آخر الجزء الخامس ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ هَمَّـامِ بْنِ مُنَبِّهٍ ؛ قَالَ : هَـٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ ؛

مِنْهَا : وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : ادْخُلُوا الْبَـابَ سُجَّـداً ، وَقُـولُـوا : حِطَّةٌ : يُغْفَرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ . فَبَدَّلُوا ؛ فَدَخَلُوا الْبَابَ يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ ، وَقَالُوا : حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ ») .

---

(١) تجد هذا الحديث ، في صحيح مسلم (٤/٢٠٥٤) برقم (٦) . المحقق .

(٢) (ذكر) أي : الحافظ المنذري (في هذا الكتاب) ، وهو « ملخص صحيح مسلم » ، الذي هو موضوع شرح (السراج الوهاج) . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة ، رضي الله عنه[1] ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : قيل لبني إسـرائيل : ادخلوا البـاب سجداً ، وقولوا حطة) أي : مسئلتنـا « حطة » . وهي أن يحطّ عنا خطايانا (نغفر[2] لكم خطاياكم . فبـدّلـوا ، فدخلوا البـاب يزحفـون على أستـاههم) : جمـع « است » وهي « الدبر » . (وقالوا : حبة في شعرة)[3] .

وفي تفسيرنا (فتح البيان) : المراد بالباب الذي أمروا بدخوله : (باب بيت المقـدس) يعرف اليوم : (بباب حطة) . وقيل : هو (باب القبة) التي كان يصلي إليها موسى ، عليه السلام ، وبنو إسرائيل .

ومن قال : « إن القرية أريحا » ، قال : ادخلوا من أيّ باب كان ، من أبوابها . وكان لها سبعة أبواب .

ومعنى « سجّداً » : منحنين ، خضّعاً ، متواضعين : كالراكع . ولم يُرَدْ به « نفس السجود » ، لأنه لا يمكن الدخول حال السجود .

« والحطة » هي التوبة . ومعناها : الاستغفار .

وقـال ابن فارس في (المجمـل) : « حطة » كلمـة أمـروا بهـا . لو قالوها : لحطت أوزارهم . أي : لا يدرىٰ معناها .

وقال الرازي : أمرهم بأن يقولوا مايدلّ على التوبة .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » ؛ وقد ذكرنا من السند ، من أول : « عن همام بن منبه » . المحقق .

(٢) (نغفر) بدل : « يُغفر » ، وكلا اللفظين . ورد في بعض النسخ ، كما تفيد إشارة المؤلف ، في الهامش . وهما قراءتان سبعيتان . المحقق .

(٣) (شعرة) في الأصل ، رسمت التاء المربوطة : هاء مهملة من النقطتين . المحقق .

قيل : إنهم قالوا : « حنطة » .

وقيل : قالوا بلسانهم : « حطا سمقاثا » أي : حنطة حمراء . استخفافاً منهم بأمر الله . وقيل غير ذلك .

والصواب : أنهم قالوا : « حبة في شعرة » . قالوا ذلك : استهزاء . وبدلوا الفعل أيضاً ، حيث دخلوا « يزحفون على أستاههم » . انتهىٰ حاصله[1] .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : وَلَيْسَ الْبِرُّ

وهو في النووي ، في : (كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ الْبَرَاءَ يَقُولُ : كَانَتِ الْأَنْصَارُ – إِذَا حَجُّوا ، فَرَجَعُوا – لَمْ يَدْخُلُوا الْبُيُوتَ ، إِلَّا مِنْ ظُهُورِهَا .

قَالَ : فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِهِ . فَقِيلَ لَهُ فِي ذَٰلِكَ . فَنَزَلَتْ هَـٰذِهِ الْآيَةُ : « وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ») .

(الشَّرح)

(عن أبي إسحٰق ؛ قال : سمعت البراء يقول : كانت الأنصار – إذا حجوا ، فرجعوا – لم يدخلوا البيوت ، إلا من ظهورها . قال : فجاء رجل

(١) (انتهى حاصله) أي : حاصل ماذكره الرازي . المحقق .

من الأنصار ، فدخل من بابه . فقيل له في ذلك . فنزلت هذه الآية : « وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها ، وَلَـٰكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا »[1]).

قال[2] في (فتح البيان) : إن الأنصار ، كانوا إذا حجوا : لا يدخلون من أبواب بيوتهم ، إذا رجع أحدهم إلى بيته ، بعد إحرامه ، قبل تمام حجّه . لأنهم يعتقدون : أن المحرم ، لا يجوز أن يحول بينه وبين السماء حائل ، فكانوا يتسنمون ظهور بيوتهم . وقد ورد هذا المعنى عن جماعة : من الصحابة ، والتابعين .

وقال أبو عبيدة : إن هذا من ضرب المثل . والمعنى : « ليس البرّ أن تسألوا الجهّال ، ولكن البر : التقوى ، واسألوا العلماء » . كما تقول : أتيت الأمر من بابه .

وقيل : هو مثل في جماع النساء ، وأنهم أمروا بإتيانهنّ في القبل ، لا في الدبر . وقيل غير ذلك . انتهى[3] .

قلت والأول أولى . ولكن لامانع من إرادة الجميع[4] ، فإن الاعتبار بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب . وهذا الأصل يسري في مواضع من الكتاب العزيز ، وعليه مدار الأحكام ، وبه قال أهل الأصول . والله أعلم .

---

(١) الآية : (١٨٩) من سورة البقرة . هذا ؛ والذي في صحيح مسلم : « ليس » بدون واو . والصواب : « وليس » كما ذكر المؤلف . كما جاء في كتاب الله . المحقق .

(٢) (قال) أي المؤلف نفسه ، في تفسيره « فتح البيان » . المحقق .

(٣) (انتهى) أي كلام « أبي عبيدة » . المحقق .

(٤) ونلاحظ أن المؤلف – هنا – خالف منهجه ، وهو عدم صرف اللفظ عن ظاهره ، وعدم الجنوح إلى التأويل – مادام الظاهر ممكنا – . المحقق .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ

وقال النووي : (باب من فضائل إبراهيم الخليل ، عليه السلام) .

فيه : حديث « أبي هريرة » رضي الله عنـه ، وقـد تقـدم في كتـاب الفضـائـل في : (باب قول إبـراهيم عليه السلام : رب أرني كيف تحي الموتى ، وذكر لوط ويوسف عليهما السلام)[1] وتقدم هناك شرحه أيضاً . ولفظه :

(حَدِيثُ البَابِ)

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه[2] ؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ . صلى الله عليه وآله وسلم ، قَالَ : « نَحْنُ أَحَقُّ بالشَّـكِّ مِنْ إِبْـرَاهِيمَ ، إِذْ قَالَ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ . قَالَ : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَىٰ ؛ وَلَـكِنْ لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ».قَالَ : « وَيَرْحَمُ اللّهُ لُوطاً ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ . وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ مَا لَبِثَ يُوسُفُ[3] : لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ ») .

(الشَّرح)

وهذا الحديث ، شرحه النووي : في الجزء الأول ، في كتاب الإيمان[4] .

قال في (فتح البيان)[5] : قد ذهب الجمهور إلى أن إبراهيم ، لم يكن شاكاً في إحياء الموتىٰ قط ، وإنما طلب المعاينة لما جبلت عليه النفوس

---

(١) تقدم ذكره ، في هذا الكتاب (١٨٢/٩).هذا ؛والآية رقم (٢٦٠) من سورة البقرة . المحقق .

(٢) الحـديث - كمـا ذكـرنا - في (١٨٢/٩) : تجده بصحيح مسلم / النووي ص ١٨٣ جـ ٢ ، المطبعة المصرية . ولم يرد به لفظ : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « طُولَ لَبْثِ » بدل : « طول مالبث » . المحقق .

(٤) تجده في ص ١٨٣ جـ ٢ . وشرحه المؤلف أيضاً ، في هذا الكتاب . انظر (١٨٢/٩) سراج . المحقق .

(٥) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) كتاب تفسير للمؤلف نفسه . فعبر بـ « قال » بدل : « قلت » تواضعاً . المحقق .

البشرية : من رؤية ما أخبرت عنه . ولهذا قال النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ[1] » .

وحكى ابن جرير عن طائفة من أهل العلم : أنه[2] سأل ذلك ، لأنه شكّ في قدرة الله . واستدلّوا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ » ، وبما روي عن ابن عباس ، أنه قال : « مَا في القرآن عندي آية أرجىٰ منها » . أخرجه « الحاكم » وصححه . ورجّح هذا « ابن جرير » بعد حكايته له . قال ابن عطية : هو عندي مردود – يعني : قول هذه الطائفة – ثم قال : وأما قول النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « نحن أحقّ بالشك » ؛ فمعناه : أنه لو كان[3] شاكًّا ، لكنّا نحن أحقَّ به . ونحن لا نشك ، فإبراهيم أحرىٰ أن لا يشكّ . فالحديث مبنيّ على نفي الشكّ عن إبراهيم .

وأما قول ابن عباس « هي أرجى آية » ، فمن حيث إن فيها الإدلال على الله[4] ، وسؤال الإحياء في الدنيا – وليست مظنة ذلك – .

ويجوز أن نقول « هي أرجى آية » : لقوله : « أو لم تؤمن » ؟ أي : إن الإيمان كافٍ ، لا يحتاج معه إلى تنقير وبحث .

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد ، في مسنده (١/٢١٥ ، ٢٧١) . المحقق .

(٢) (أنه) أي : الخليل عليه السلام . المحقق .

(٣) (لو كان) أي : إبراهيم عليه السلام . المحقق .

(٤) (الإدلال على الله) يقال : « أدلّ عليه » أي : وثق بمحبته ، فأفرط عليه . أفاده المعجم الوسيط . المحقق .

قال[1] : « فالشكّ » يبعد على من ثبتت قدمه بالإيمان فقط . فكيف بمرتبة النبوة ، والخلة ؟ والأنبياء معصومون عن الكبائر ، ومن الصغائر التي فيها رذيلة : « إجماعاً » . وإذا تأملت سؤاله عليه السلام ، وسائر الألفاظ للآية : لم تعط شكّاً . وذلك أن الاستفهام « بكيف » : إنما هو سؤال عن حالة شيء[2] موجود ، متقرر الوجود عند السائل والمسئول . نحو قولك : « كيف علم زيد ؟ » « وكيف نسج الثوب ؟ » ونحو هذا . ومتى قلت : « كيف ثوبك ؟ » « وكيف زيد » : فإنما السؤال عن حال من أحواله . وقد يكون كيف خبراً عن شيء[2] شأنه : أن يستفهم عنه بكيف . نحو قولك : « كيف شئت فكن » . ونحو قول البخاري : « كيف كان بدء[3] الوحي » .

وهي في هذه الآية : استفهام عن هيئة الإحياء ، والإحياء متقرر . ولكن لما وجدنا بعض المنكرين لوجود شيء[2] ، قد يعبّرون عن إنكاره : بالاستفهام عن حالة[4] لذلك الشيء[2] يعلم أنها لا تصح ، فيلزم من ذلك : أن الشيء[2] في نفسه : لا يصح . فلما كان في عبارة الخليل ؛ هذا الاشتراك المجازي : خلص الله له ذلك ، وحمله على أن بَيَّن له الحقيقة ، فقال له : « أو لم تؤمن ؟ » قال : بلى . فكمل الأمر وتخلّص من كل شيء[2] . ثم علل « عليه السلام » سؤاله : بالطمأنينة .

قال القرطبي : هذا الذي ذكره « ابن عطية » بالغ . ولا يجوز على الأنبياء مثل هذا الشك ، فإنه كفر . والأنبياء متّفقون على الإيمان بالبعث .

(١) (قال) أي : « ابن عطية » . ونعم القول ماقال . المحقق .

(٢) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (بدء) رسمت في الأصل : « بدؤ » . المحقق .

(٤) (حالة) في الأصل : « حاله » بإهمال الهاء من النقطتين . المحقق .

وإذا لم تكن لإبليس عليهم « سلطنة » ، فكيف يشككهم ؟ وإنما سأل أن يشاهد كيفية جمع أجزاء الموتىٰ بعد تفريقها ، وإيصال الأعصاب والجلود بعد تمزيقها . فأراد أن يرقىٰ من علم اليقين : إلى عين اليقين . فقوله : « ربّ أرني كيف » : طلب مشاهدة الكيفية .

قال الماوردي : وليست الألف[1] في قوله « أو لم تؤمن » : ألف استفهام ، وإنما هي ألف إيجاب وتقرير[2] . والواو « واو الحال » .

« وتؤمن »[3] معناه : إيماناً مطلقاً ، دخل فيه : فصل إحياء الموتىٰ .

« والطمأنينة » : اعتدال ، وسكون . انتهى .

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ[4]

وقال النووي – في الجزء الأول –[5]: (باب بيان تجاوز الله تعالى : عن حديث النفس ، والخواطر بالقلب « إذا لم تستقر » ، وبيان أنه سبحانه وتعالى : لم يكلف إلا ما يطاق ، وبيان حكم الهمّ : بالحسنة ، وبالسيئة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٥ ، ١٤٦ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

---

(١) يقصد بقوله : « الألف » هنا : همزة الاستفهام . المحقق .

(٢) أي : همزة إيجاب وتقرير . المحقق .

(٣) (وتؤمن) أي في قوله : « أو لم تؤمن » . المحقق .

(٤) الآية : (٢٨٤) من سورة البقرة . المحقق .

(٥) في الأصل : ذكر كلمة « في » قبل قوله : (باب) . فحذفناها ، حيث لا محل لها . المحقق .

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « لِلّهِ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

قَالَ : فَاشْتَدَّ ذَٰلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَأَتَوْا رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ ، فَقَالُوا : أَيْ رَسُولَ اللّهِ ! كُلِّفْنَا مِنَ الأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ : الصَّلاَةُ ، وَالصِّيَامُ ، وَالْجِهَادُ ، وَالصَّدَقَةُ .

وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ : هَـٰذِهِ الآيَةُ ، وَلاَ نُطِيقُهَا .

قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا – كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ – : سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا ؟ بَلْ قُولُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

قَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ .

فَلَمَّـا اقْتَـرَأَهَا الْقَوْمُ : ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ . فَأَنْزَلَ اللّهُ – فِي إِثْرِهَا : – « آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ .

وَقَالُوا : سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ، غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ، وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » .

فَلَمَّا فَعَلُوا ذَٰلِكَ : نَسَخَهَا اللّهُ تَعَالَىٰ ؛ فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ : لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا : لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ . رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا « قَالَ : نَعَمْ » . رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى

الَّـذِينَ مِنْ قَبْلِنَـا « قَالَ : نَعَمْ » . رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ « قَالَ : نَعَمْ » . وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ « قَالَ : نَعَمْ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : لما نزلت على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « لله ما في السموات وما في الأرض ، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذّب من يشـاء والله على كل شيء[1] قدير » قال)إنمـا أعـاد لفـظة « قال » : لطول الكلام . فإن أصل الكلام : « لما نزلت اشتد » . فلما طال : حسن إعادة لفظة « قال » . وإنه جاء مثله في القرآن العزيز ، في قوله تعالى : « أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابـاً وَعِـظَامـاً أَنَّكُمْ مُّخْـرَجُـونَ »[2] فأعاد « أنكم » ، وقوله[3] : « وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ » إلى قوله : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ »[4] .

(فاشتدّ ذلك على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم فأتوا[5] رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، ثم بركوا على الركب ،

---

(١) (شيء) في الأصل : رسمت الهمزة فوق الياء . هذا ؛ والآية رقم (٢٨٤) من سورة البقرة . المحقق .

(٢) الآية : (٣٥) من سورة المؤمنون . المحقق .

(٣) أي : وجاء مثله – أيضاً – في قوله . . . إلخ . المحقق .

(٤) الآية : (٨٩) من سورة البقرة . والشاهد فيها هو إعادة : « لما جاءهم » : لطول الفصل . المحقق .

(٥) (فأتوا) أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنه في بعض النسخ : « قال : فأتوا » بزيادة : « قال » . المحقق .

فقالوا : أي رسول الله ! كلّفنا من الأعمال ما نطيق : الصلاة[1] ، والصيام ، والجهاد ، والصدقة . وقد أنزلت عليك هذه الآية . لا نطيقها[2] . قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « أتـريدون أن تقولوا - كما قال أهل الكتابين من قبلكم - : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . قالوا سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير . فلما اقترأها القوم : ذلّت بها ألسنتهم[3] ، فأنزل الله في إثرها) هو بفتح الهمزة والثاء ، وبكسر الهمزة مع إسكان الثاء : لغتان (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله) أي : لا نفرق بينهم في الإيمان فنؤمن ببعضهم ونكفر ببعض ؛ كما فعله أهل الكتابين . بل نؤمن بجميعهم .

« وأحد » في هذا الموضع ، بمعنى « الجميع » . ولهذا دخلت فيه « بين » .

ومثله قوله تعالى : « فَمَا مِنْكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ »[4] .

(وقـالـوا : سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا ، وإليك المصير . فلما فعلوا ذلك : نسخها الله تعالى ؛ فأنزل الله عز وجل : « لا يكلّف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » . « قال : نعم » . « ربنـا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من

(١) (الصلاة) في الأصل رسمت : « الصلوة » . المحقق .
(٢) (لانطيقها) في مصدر الحديث : « ولا نطيقها» ،بزيادة واو . المحقق .
(٣) (ذلت بها ألسنتهم) أي : انقادت . المحقق .
(٤) الآية : (٤٧) من سورة الحاقة . المحقق .

قبلنا ».« قال : نعم » . « ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به ».« قال : نعم » . « واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين » « قال : نعم »).

هذا الحديث ؛ أخرجه أيضاً : أبو داود في ناسخه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

وأخرج أحمد ، ومسلم ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم ، والبيهقيّ (عن ابن عباس ، مرفوعاً) : نحوه . وزاد : « فَأَنْزَلَ اللّهُ : رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا . (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) . رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) . رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَالاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ) . وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا . . . الآية (قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ)[1] .

وقد رويت هذه القصة « عن ابن عباس » : من طرق . ومما يؤيد ذلك : ما ثبت في الصحيحين ، والسنن الأربع : من حديث « أبي هريرة » ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ اللّهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي : مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ، مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ ، أَوْ تَعْمَلْ بِهِ »[2] .

---

(١) هذه الرواية تجدها : بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٦ ، المصدر المتقدم . ولم يرد بها كلمة (الآية) بعد قوله : « وارحمنا » . المحقق .

(٢) وجدت لمسلم - في هذا المعنى - روايتين عن أبي هريرة ، بالمصدر المتقدم ، ص ١٤٦ ، ١٤٧ ، أولاهما بلفظ : « إِنَّ اللّهَ تجاوزَ لِأُمَّتِي : مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ؛ مَالَمْ يَتَكَلَّمُوا ، أَوْ يَعْمَلُوا بِهِ » . والثانية ، بلفظ : « إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي : عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا ؛ مَالَمْ تَعْمَلْ ، أَوْ تَتَكَلَّمْ بِهِ » . المحقق .

وقد نظم بعضهم : مراتب القصد ، بقوله :

مراتب[1] القصد خمس : هاجسٌ ذكروا وخاطرٌ فحديث النفس ، فاستمعا
يليه همّ ، فعزمٌ ، كلّها رفعت سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وتمام الكلام على هذا المرام ، في تفسيرنا (فتح البَيَان) ، إن شئت فراجعه .

قال النووي : قال المازري : يحتمل أن يكون إشفاقهم ، وقولهم : « لانطيقها » : لكونهم اعتقدوا أنهم يؤاخذون بما لاقدرة لهم على دفعه : من الخواطر ، التي لا تكتسب . فلهذا رأوه من قبيل مالا يطاق . وعندنا أن تكليف « مالا يطاق » : جائز عقلا . واختلف هل وقع التعبّد به في الشريعة ، أم لا ؟ والله أعلم[2] .

قال : وفي تسمية هذا « نسخا » : نظر ، لأنه إنما يكون نسخاً ، إذا تعذّر البناء ، ولم يمكن ردّ إحدى الآيتين إلى الأخرى . وقوله تعالى : « وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ » : عموم ، يصحّ أن يشتمل على : ما يملك من الخواطر ، دون مالا يملك . فتكون الآية الأخرى : مخصصة . إلا أن يكون قد فهمت الصحابة - بقرينة الحال - أنه تقرر تعبّدُهم بمالا يملك من الخواطر ، فيكون حينئذ[3] نسخا . لأنه رَفْعُ ثابتٍ مستقرّ . انتهى[4] .

---

(١) ذكر المؤلف قبل هذين البيتين العلامة التالية (مـ) فحذفناها ، لعدم الحاجة إلى ذكرها . المحقق .
(٢) تجد كلام النووي هذا ، في ص ١٤٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .
(٣) (حينئذ) رسمت في الأصل : « حٍ » . المحقق .
(٤) (انتهى) كلام أبي عبد الله المازري ، كما حكاه عنه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

قال عياض : لا وجه لإبعاد النسخ - في هذه القضية - ، فإن راويها ، قد روى فيها النسخ ، ونصّ عليه لفظا ومعنى : بأمر النبيّ ، صلى الله عليه وآلـه وسلم : بالإيمـان ، والسمع ، والطاعة : لما أعلمهم الله تعالى من مؤاخذته إياهم . فلما فعلوا ذلك ، وألقى الله تعالى الإيمان في قلوبهم ، وذلت بالاستسلام لذلك : ألسنتهم ، كما نص عليه في هذا الحديث : رُفع الحـرج عنهم ، ونُسـخ هذا التكليف . « وطريق علم النسخ » : إنما هو بالخبر عنه ، أو بالتاريخ ، وهما مجتمعان في هذه الآية .

قال : وقـول المـازري : إنمـا يكون نسخاً[1] إذا تعذر البناء : كلام صحيحٌ ، فيمـا لـم يرد فيه النص بالنسـخ . فإن ورد : وقفنا عنده . لكن اختلف أصحـاب الأصول في قول الصحابي : « نسخ كذا بكذا » ؛ هل يكـون حجة يثبت به النسخ ، أم لا يثبت بمجرد قوله ؟ وهو قول القاضي « أبي بكـر » ، والمحققين منهم ، لأنـه قد يكـون قولـه هذا عن اجتهاده وتأويله ، فلا يكون نسخاً ، حتى ينقل ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم .

وقد اختلف الناس في هذه الآية ؛

فأكثر المفسرين - من الصحابة ، ومن بعدهم - : على ما تقدم فيها من النسخ . وأنكره بعض المتأخرين . قال[2] : لأنه خبر ولا يدخل النسخ الأخبار . وليس كما قال هذا المتأخر ، فإنه - وإن كان خبراً - فهو خبر عن تكليف ومؤاخذة : بما تكنُّ النفوس . والتعبّد بما أمرهم النبيّ ، صلى الله

(١) (نسخاً) في الأصل : « نسخها » وهو خطأ ، والصواب : ما أثبتناه . المحقق .
(٢) (قال) أي : عياض ، فمازال الكلام له ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

عليه وسلم في الحديث بذلك ، وأن يقولوا : سمعنا وأطعنا . وهذه أقوال وأعمال : اللسان ، والقلب . ثم نسخ ذلك عنهم : برفع الحرج ، والمؤاخذة .

وروي عن بعض المفسرين : أن معنى النسخ هنا : « إزالة ماوقع في قلوبهم من الشـدّة والفـرَق[1] : من هذا الأمـر » ، فأزيل عنهم : بالآية الأخرى ، واطمأنت نفوسهم . وهذا القائل يرى : أنهم[2] لم يلزموا : مالا يطيقون ، لكن ما يشقّ عليهم من « التحفظ من خواطر النفس ، وإخلاص البـاطن » ، فأشفقـوا أن يكلّفـوا من ذلـك : مالا يطيقـون ، فأزيل عنهم الإشفاق ، وبين أنهم « لم يكلّفوا إلا وسعهم » . وعلى هذا : لا حجة فيه لجواز تكليف مالا يطاق ، إذ ليس فيه نصّ على تكليفه .

واحتـج بعضهم : باستعاذتهم منه ، بقوله تعالى : « وَلَا تُحَمِّلْنَا مَالَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ » ، ولا يستعيذون إلا مما يجوز التكليف به .

وأجاب عن ذلك بعضهم : بأن معنى ذلك : « مالا نطيقه إلا بمشقة » .

وذهب بعضهم : إلى أن الآية محكمة في إخفاء اليقـين والشـك -للمؤمنين والكـافـرين-؛ فيغفر للمؤمنين ، ويعذّب الكافرين . هذا آخر كلام عياض . وذكـر الـواحـدي الاختـلاف فـي نسـخ الآية ، ثم قال : المحققون يختارون أن تكون الآية محكمة ، غير منسوخة . والله أعلم . انتهى[3] .

---

(١) (الفَرَق) بفتح ، الفاء والراء : الخوف . المحقق .

(٢) (يرى أنهم) سقطت كلمة « أنهم » من الأصل . والتصحيح من نفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام الواحدي ، كما حكاه النووي ، بنفس المصدر المتقدم ، ص ١٥١ . المحقق .

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ"

وهو في النووي ، في كتاب العلم ، في:(باب النهي عن اتّباع متشابه القرآن ، والتحذير من متّبعيه ، والنهي عن الاختلاف في القرآن) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢١٧ جـ ١٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَـةَ ؛ قَالَتْ : تَلَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ ، مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ، وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ .

فَأَمَّـا الَّـذِينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّهُ . وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الأَلْبَابِ .

قَالَتْ : قَالَ رَسُـولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « إِذَا رَأَيْتُمُ الَّـذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ : فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللّهُ ، فَاحْذَرُوهُمْ ») .

(الشَّرح)

(عن عائشة ، رضي الله عنها[1] ، قالت : تلا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : هو الذي أنزل عليك الكتاب ، منه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات . فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتّبعون ما تشابه منه

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله . والراسخون في العلم يقولون آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يذكّر إلا أولوا الألباب[1] .

قال[2] رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « إذا رأيتم الذين يتّبعون ما تشابه منه : فأولئك الذين سمى الله عز وجل[3] ، فاحذروهم ») .

قال النووي : اختلف المفسرون ، والأصوليون ، وغيرهم - في المحكم والمتشابه - اختلافاً كثيراً ؛

قال الغزالي في (المستصفىٰ) : إذا لم يرد توقيف في تفسيره ، فينبغي أن يفسر[4] : بما يعرفه أهل اللغة ، ويناسب اللفظ من حيث الوضع .

ولا يناسبه قول من قال : « المتشابه » : « الحروف المقطعة ، في أوائل السور » ، « والمحكم » : ما سواه .

ولا قولهم : « المحكم » : مايعرفه الراسخون في العلم ، « والمتشابه » : ماانفرد الله تعالى بعلمه .

ولا قولهم : « المحكم » : الوعد والوعيد ، والحلال والحرام . « والمتشابه » : القصص ، والأمثال . فهذا أبعد الأقوال .

قال[5] : بل الصحيح : أن المحكم يرجع إلى معنيين ؛

أحدهما : المكشوف المعنى ؛ الذي لا يتطرق إليه إشكال واحتمال . « والمتشابه » : ما يتعارض فيه الاحتمال .

---

(١) الآية : (٧) من سورة آل عمران . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « قالت : قال رسول الله » بزيادة كلمة : « قالت » . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(٤) (يفسّر) في الأصل : « يفسره » . المحقق .

(٥) (قال) أي الإمام الغزالي في (المستصفى) . المحقق .

والثاني : أن « المحكم » : ما انتظم ترتيبه ، مفيدا : إما ظاهرا ، وإما بتأويل .

وأما « المتشابه » : فالأسماء المشتركة ، كالقرء ، وكالذي بيده عقدة النكاح ، وكاللمس ؛

فالأول : متردد بين الحيض والطهر .

والثاني : بين الوليّ والزوج .

والثالث : بين الوطء ، والمس باليد ، ونحوها .

قال[1] : ويطلق[2] على ماورد في صفات الله تعالى ، مما يوهم ظاهره : الجهة ، والتشبيه ، ويحتاج إلى تأويل . انتهى[3] .

قلت : وليست الصفات الثابتة ، بالكتاب والسنة : من المتشابهات في صدر ولا ورد ، لأنها مفهومة لغة ومعنى . وأما « التشبيه » فيعالج بكلمة إجمالية : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيء[4] » . « وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ »[5] . وقد تكرر بيانها[6] وتبليغها : على لسان رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم (في مجامع من الناس كثيرة ، وعلى رؤوس[7] الأشهاد : الذين فيهم القروي ، والبدوي ، والطفل ، والمرأة ، والجاهل ، والعالم ، وفي حجة الوداع) : فوجب الإيمان بها على حد سواء ، بلا كيف ولا عطلة ولا مثال .

(١) (قال) أي الإمام الغزالي في (المستصفى) . المحقق .

(٢) (ويطلق) أي : المتشابه . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام الغزالي في (المستصفى) ، كما حكاه عنه النووي ، في ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) الآية : (١١) من سورة الشورى . المحقق .

(٥) آخر سورة الإخلاص . المحقق .

(٦) الضمير عائد إلى « الصفات » الواردة بالكتاب ، والسنة . المحقق .

(٧) (رؤوس) في الأصل : « رؤس » . المحقق .

قال(١) : واختلف العلماء في الراسخين في العلم : هل يعلمون تأويل المتشابه ، وتكون الواو عاطفة ؟ أم لا ، ويكون الوقف على « إلا الله » ، ثم يبتدئ قوله تعالى : « والراسخون » ؟ .

قال(١) : وكل واحد من القولين محتمل ، واختاره طوائف . والأصح : الأول . وأن الراسخين يعلمونه ، لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده : بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته . وقد اتفق أصحابنا ، وغيرهم من المحققين : على أنه يستحيل أن يتكلم الله تعالى بما لا يفيد . والله أعلم . انتهى(٢) .

وأقول : الراجح : عدم علم الراسخين به . ولا بُعْد في تكلم الله تعالى بكلام مفيد في نفسه ، لا سبيل لأحد إلى معرفته . أليست فواتح السور ، من هذا القبيل ؟ وهل يجوز لأحد أن يقول : إنها كلام غير مفيد ؟ وهل لأحد سبيل إلى دركه ؟

قال(٣) في (فتح البيان) : هل هو - أي قوله تعالى : والراسخون في العلم يقولون آمنّا به(٤) - كلام مقطوع عما قبله ؟ أو معطوف على ما قبله ، فيكون « الواو » للجمع ؟ فالذي عليه الأكثر : أنه مقطوع عما قبله ، وأن الكلام تم عند قوله : « إلا الله » . وهذا قول « ابن عمر ، وابن عباس ،

---

(١) (قال) أي : الغزالي « في المستصفىٰ » ، كما حكاه عنه النووي ، في ص ٢١٧ ، ٢١٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (انتهى) أي : كلام الغزالي . وهو في المصدر المتقدم ، كما أسلفنا . المحقق .

(٣) يعني المؤلف - بقوله : « قال » - نفسه ، لأن « فتح البيان » من تأليفه . المحقق .

(٤) الآية : (٧) من سورة آل عمران . المحقق .

وعـائشـة ، وعـروة بن الـزبير ، وعمـر بن عبـد العـزيز ، وأبي الشعثاء ، وأبي نهيك ، وغيرهم » .

وهو مذهب الكسائي ، والفراء ، والأخفش ، وأبي عبيد .

وحكاه ابن جرير الطبري : عن مالك ، واختاره .

وحكاه الخطابي : عن ابن مسعود ، وأبي بن كعب . انتهى[1] .

ثم رد[2] قول من قال خلاف ذلك : ردّا مشبعا ، وأجاب عن كل دليل لهم على ذلك ، فراجعه .

ثم قال[3] : قال الرازي : لو كان الراسخون في العلم عالمين بتأويله : لما كان لتخصيصهم بالإيمان به : « وجه » . إلى آخره .

قلت : ونـفس « حديث البــاب » : يؤيد هذا المــراد ، ويردّ علم الراسخين به ، تأمل .

قال النووي : وفيه التحذير من مخالطة أهل الزيغ ، وأهل البدع ، ومن يتتبــع المشكــلات : للفتنــة . فأمــا من سأل عمــا أشكـل عليه منهــا « للاسترشاد » ، وتلطف في ذلك : فلا بأس عليه . وجوابه : واجب .

وأما الأول : فلا يجاب ، بل يزجر ويعزّر ، كما عزّر عمر بن الخطاب « صبيع بن عسل » ، حين كان يتتبع المتشابه . انتهى[4] .

---

(١) (انتهى) كلام المؤلف ، في كتابه (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) . وتجده في (٢/١٨٤) ، المطبوع على نفقة « إحياء التراث » بدولة قطر . المحقق .

(٢) (ثم ردّ) أي المؤلف ، نفسه ، في كتابه ، المذكور آنفا . المحقق .

(٣) (ثم قال) يعني المؤلف : نفسه ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (انتهى) أي : كلام النووي ، وهو في ص ٢١٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

قلت : وكان « عمر » من الراسخين في العلم ، المؤمنين به ؛ فزجر وعزّر ، ولم يجوز الخوض فيه وتتبعه . وهكذا شيمة السلف .

ومن قال : إن الراسخين يعلمونه : فقد أفرط وتعدىٰ . وقد بسطت القول في « حدود المحكمات والمتشابهات » ، وتفسير هذه الآية : في التفسير المذكور(١) . ولعلك لا تجد مثله : في تفسير آخر ، فراجعه بقوة الإيمان ، وسلامة الإيقان بالإتقان : تخلص من مزالق الأقدام ، ومضائق الأفهام . إن شاء الله تعالى .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا" (٢)

وهو في النووي ، في:(كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؛ أَنَّ رِجَالاً مِنَ الْمُنَافِقِينَ - فِي عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - كَانُوا ، إِذَا خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى الْغَزْوِ : تَخَلَّفُوا عَنْهُ ، وَفَرِحُوا بِمَقْعَدِهِمْ ، خِلاَفَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَإِذَا قَدِمَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : اعْتَذَرُوا إِلَيْهِ ، وَحَلَفُوا ، وَأَحَبُّوا أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَنَزَلَتْ : « لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ، فَلاَ تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ »(٢)) .

---

(١) يعني (فتح البيان) . المحقق .

(٢) الآية : (١٨٨) من سورة آل عمران . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخدري) رضي الله عنه ؛ (أن رجالا من المنافقين - في عهد رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - كان[1] إذا خرج النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم إلى الغزو : تخلّفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله[2] . فإذا قدم النبي[3] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : اعتـذروا إليه ، وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فنزلت : « لا تحسبن[4] الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا ، فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ») .

وقـد روي أنهـا نزلت في : « فنحـاص ، وأسيع » ، وأشباههما[5] . وروي أنها نزلت في « اليهود » .

(بَابٌ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في:(الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٣ ، ١٢٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

---

(١) في مصدر الحديث : « كانوا » بدل : « كان » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث بزيادة : « صلى الله عليه وسلم » . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « رسول الله » ، بدل : « النبي » . المحقق .

(٤) (تحسبن) ضبطت بمصدر الحديث : « تحسَبَنّ » بالتاء المثناة فوق ، وبالياء المثناة تحت ، وبفتح السين وكسرها ، وكل ذلك متواتر عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . المحقق .

(٥) ذكره المؤلف - أيضاً - في تفسيره (فتح البيان ٢/ ٣٩٩) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ؛ أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ : أَنَّ حُمَيْدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ بْنِ عَوْفٍ ؛ أَخْبَـرَهُ : أَنَّ مَرْوَانَ قَالَ : اذْهَبْ ، يَارَافِـعُ ! - لِبَـوَّابِـهِ - إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ فَقُلْ : لَئِنْ كَانَ كُلُّ امْرِئٍ مِنَّا فَرِحَ بِمَا أَتَىٰ ، وَأَحَبَّ أَنْ يُحْمَدَ بِمَا لَمْ يَفْعَلْ مُعَذَّباً : لَنُعَذَّبَنَّ أَجْمَعُونَ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : مَالَكُمْ ، وَلِهَـٰذِهِ الآيَةِ ؟ إِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَـٰذِهِ الآيَةُ ، فِي أَهْلِ الْكِتَابِ .

ثُمَّ تَلَا ابْنُ عَبَّاسٍ : « وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ : لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ، وَلاَ تَكْتُمُونَهُ » هَـٰذِهِ الآيَةَ .

وَتَـلَا ابْنُ عَبَّاسٍ : « لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا ، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا » ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : سَأَلَهُمُ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم عَنْ شَيْءٍ ، فَكَتَمُوهُ إِيَّاهُ ، وَأَخْبَرُوهُ بِغَيْرِهِ . فَخَرَجُوا قَدْ أَرَوْهُ : أَنْ قَدْ أَخْبَـرُوهُ بِمَـا سَأَلَهُمْ عَنْـهُ ، وَاسْتَحْمَدُوا بِذَلِكَ إِلَيْهِ . وَفَرِحُوا بِمَا أَتَوْا - مِنْ كِتْمَانِهِمْ إِيَّاهُ : مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ -) .

(الشرح)

(عن حميد[1] بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن مروان قال : اذهب ، يارافع ! - لبوّابه - إلى ابن عباس ، فقل : لئن كان كلّ امرئ[2] منا فرح بما أتى ، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل ، معذباً : لنعذّبن أجمعون . فقال ابن عباس : مالكم ، ولهذه الآية ؟ إنما أنزلت هذه الآية ، في أهل الكتاب . ثم تلا ابن عباس : « وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ،

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن ابن جريج » . المحقق .

(٢) (امرئ) رسمت في الأصل : « امرء » . المحقق .

ولا تكتمونه[1] » هذه الآية . وتلا ابن عباس : « لا تحسبن[2] الذين يفرحون بما أتوا ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا » .

وقال ابن عباس : سألهم النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم عن شيء[3] ، فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره . فخرجوا قد أروه : أن قد أخبروه بما سألهم عنه ، فاستحمدوا بذلك إليه ، وفرحوا بما أتوا - من كتمانهم إياه : ماسألهم عنه -) .

قال[4] في (فتح البيان) : ظاهر هذه الآية - وإن كان مخصوصاً بعلماء أهل الكتاب - فلا يبعد أن يدخل فيه : علماء هذه الأمة الإسلامية ، لأنهم أهل كتاب ، وهو القرآن . قال قتادة : « طوبىٰ لعالم ناطق ، ومستمع واعٍ ! » هذا علم علما ، فبذله . وهذا سمع خيراً ، فقبله ووعاه . وعن أبي‌هريرة[5] ؛قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ سُئِلَ عِلْماً يَعْلَمُهُ ، فَكَتَمَهُ : أُلْجِمَ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ » أخرجه الترمذي .

---

(١) الآية : (١٨٧) من سورة آل عمران ، هذا ؛ وقد ضبطت - في مصدر الحديث - كلا الكلمتين : « لتبيننه » ، « تكتمونه » : بالتاء الفوقية ، والياء التحتية . وهما في الأصل ؛ مضبوطتان : بالتاء الفوقية ، وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد ورودهما - في بعض النسخ - : بالياء التحتية . وهما قراءتان سبعيتان . المحقق .

(٢) (تحسبن) ضبطت في الأصل : بالتاء الفوقية . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد ضبطها بالياء التحتية . هذا ؛ وفي مصدر الحديث : ضبطت بالوجهين معاً ، وبفتح السين ، وكسرها . وكل ذلك وارد في القراءات السبعية المتواترة . المحقق .

(٣) كلمة « شيء » ، في الأصل : « شئى » . المحقق .

(٤) يقصد المؤلف نفسه ، فهو صاحب (فتح البيان) . المحقق .

(٥) (أبي هريرة) ، في الأصل : « أبيهريرة » . المحقق .

ولأبي داود : « مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ ، فَكَتَمَهُ : أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[1] .

وفي الباب : أخبار ، وآثار كثيرة .

قال[2] : والظاهر شمولها لكل من حصل منه : ماتضمنته هذه الآية ، عملا بعموم اللفظ - وهو المعتبر - لا بخصوص السبب . فمن فرح بما فعل ، وأحبَّ أن يحمده الناس بمالم يفعل : فلا تحسبنه بمفازة من العذاب . انتهى[3] .

سورة النساء : باب في قوله تعالى: "وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى" وقوله: "يستفتونك[4] في النساء"

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٤ ، ١٥٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ شِهَابٍ ؛ أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ؛ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ : « وَإِنْ خِفْتُمْ أَن لَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ : مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » .

(١) هذا الحديث ، تجده في (المنتقى) « ١٢٩/١ » ، للقرضاوي ، ط دار الوفاء ، طبعة ثانية ، رقم الحديث (٨٠) ، بنفس اللفظ ، إلا أنـه لم يذكر : « يوم القيامة » . قال المنذري : رواه « أبو داود » ، والترمذي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والبيهقي . ورواه الحاكم بنحوه وقال : (صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه) . قال القرضاوي - في الهامش - : ووافقه الذهبي (٤٩٤/٢) . المحقق .

(٢) يقصد المؤلف نفسه ، فهو صاحب (فتح البيان) . المحقق .

(٣) (انتهى) أي : كلام المؤلف ، وتجده في (فتح البيان ٣٩٨/٢) ، عند تفسير « لا تحسبن الذين يفرحون » الآية (١٨٨) من سورة آل عمران . المحقق .

(٤) (يستفتونك) هكذا في صحيح مسلم / النووي . والصواب : « ويستفتونك » بالواو ، تصحيحاً من كتاب الله ، الآية (١٢٧) من سورة النساء . المحقق .

قَالَتْ : يَاابْنَ أُخْتِي ! هِيَ الْيَتِيمَةُ تَكُونُ فِي حَجْرِ وَلِيِّهَا ، تُشَارِكُهُ فِي مَالِهِ ، فَيُعْجِبُهُ مَالُهَا وَجَمَالُهَا ، فَيُرِيدُ وَلِيُّهَا أَنْ يَتَزَوَّجَهَا : بِغَيْرِ أَنْ يُقْسِطَ فِي صَدَاقِهَا ؛ فَيُعْطِيَهَا مِثْلَ مَا يُعْطِيهَا غَيْرُهُ . فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوهُنَّ ، إِلَّا أَنْ يُقْسِطُوا لَهُنَّ ، وَيَبْلُغُوا بِهِنَّ : أَعْلَىٰ سُنَّتِهِنَّ مِنَ الصَّدَاقِ .

وَأُمِرُوا : أَنْ يَنْكِحُوا مَا طَابَ لَهُمْ مِنَ النِّسَاءِ ، سِوَاهُنَّ .

قَالَ عُرْوَةُ : قَالَتْ عَائِشَةُ : ثُمَّ إِنَّ النَّاسَ اسْتَفْتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم - بَعْدَ هَـٰذِهِ الآيَةِ - فِيهِنَّ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « يَسْتَفْتُونَكَ[1] فِي النِّسَاءِ ، قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ ، فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ ، وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » .

قَالَتْ : وَالَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ - أَنَّهُ يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ - : الْآيَةُ الْأُولَىٰ ، الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا : « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ : فَانْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ » .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَقَوْلُ اللَّهِ - فِي الْآيَةِ الْأُخْرَىٰ - : « وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » : رَغْبَةَ أَحَدِكُمْ عَنِ الْيَتِيمَةِ ، الَّتِي تَكُونُ فِي حَجْرِهِ - حِينَ تَكُونُ قَلِيلَةَ الْمَالِ وَالْجَمَالِ - فَنُهُوا أَنْ يَنْكِحُوا مَا رَغِبُوا فِي مَالِهَا وَجَمَالِهَا : مِنْ يَتَامَى النِّسَاءِ ، إِلَّا بِالْقِسْطِ . مِنْ أَجْلِ رَغْبَتِهِمْ عَنْهُنَّ) .

(الشرح)

(عن عروة[2] بن الزبير ؛ أنه سأل عائشة رضي الله عنها[3] ، عن قول

(١) الصواب : « ويستفتونك » بالواو . وهي الآية : (١٢٧) من سورة النساء . المحقق .

(٢) ذكرنا من السند ، من أول : « عن ابن شهاب » . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

الله ، عز وجل[1] : وإن خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء : مثنى وثُلَـث ورباع[2] . قالت : ياابن أختي ! هي اليتيمة تكون في حجر وليها ، تشاركه في ماله ، فيعجبه مالها وجمالها ، فيريد وليها أن يتـزوجهـا : بغير أن يقسط) أي : يعـدل (في صداقهـا ؛ فيعـطيها مثل مايعـطيهـا غيره . فنهوا أن ينكحوهنّ ، إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا بهنّ أعلى سنتهن من الصداق) أي : على أعلى عادتهنّ في مهورهن ، ومهور أمثالهنّ .

(وأمروا : أن ينكحوا ماطاب لهم من النساء ، سواهنّ) قال النووي : أي : ثنتين ثنتين ، أو ثلاثاً ثلاثاً[3] ، أو أربعا أربعا ، وليس فيه : جواز جمع أكثر من أربع . انتهى[4] .

وهـذا الـذي قاله : هو مذهب جمهور أهل العلم ، قديما وحديثاً . ولكن في دلالة هذه الآية الشريفة - على عدم جواز جمع أكثر من أربع - نظر ، ذكرته في (فتح البيان) .

والحق أن الآية تدلّ على خلاف ما استدلّوا به عليه[5] . فالأولى : أن يستدّل على تحريم الزيادة على الأربع : بالسنة ، لا بالقرآن . وهي حديث

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(٢) الآية : (٣) من سورة النساء . المحقق .

(٣) (ثلاثاً ثلاثاً) في الأصل : « ثلثا ثلثاً » . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، وهو في ص ١٥٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) أقول : بل النظر في كلام المؤلف هذا . وقد اطلعت على ماقاله في (فتح البيان) ، فوجدته منقولاً من (فتح القدير) للشوكاني . هذا ؛ وللعلماء المحققين نظرات جيدة ، في الاستدلال بهذه الآية ، على عدم جواز جمع أكثر من الأربع . سأذكره - إن شاء الله - بعد قليل . المحقق .

« غيلان الثقفي » عند أهل السنن ، وحديث « نوفل بن معاوية الديلي[1] » أخرجه الشافعي في مسنده ، مع مقال فيهما . والله أعلم .

---

(١) حديث « غَيْلان الثقفيّ » ، وهو (أنه أسلم ، وفي عصمته عَشْرُ نِسْوَةٍ ، فذكر ذلك للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً ، وَفَارِقْ سَائِرَهُنَّ ») رواه مالك في (موطئه) ، وأحمد في (مسنده) ، وابن ماجه والترمذي في (سننهما) ، والشافعي في (الأم) .

وحديث « نوفل بن معاوية الدِّيلي » ، في (مسند الشافعي) ، كما ذكر المؤلف ، ونصّه ، (قال : أَسْلَمْتُ وَتَحْتِي خَمْسُ نِسْوَةٍ ، فَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : « فَارِقْ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ » قَالَ : فَعَمَدْتُ إِلَىٰ عَجُوزٍ عَاقِرٍ ، مَعِي مُنْذُ سِتِّينَ سَنَةً ، فَطَلَّقْتُهَا) .

وهناك حديث آخر ، رواه ابن ماجه وأبو داود في (سننهما) ، ونصّه ؛ (أَنَّ قَيْسَ بْنَ الْحَارِثِ أَسْلَمَ ، وَعِنْدَهُ ثَمَانِ نِسْوَةٍ ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِلرَّسُولِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالَ لَهُ : « اخْتَرْ مِنْهُنَّ أَرْبَعاً ») . هذا ؛ والحقّ أنّ الآية الكريمة ، التي تقدم ذكرها قريباً تفيد - كما قال النووي ، وجمهور العلماء - عدم جواز جمع أكثر من أربع ، وذلك أنها هذّبت التعدّد الذي كان شائعاً بين الناس ، بدون حدّ ؛ فقيّدته بقيدين :

القيد الأول (في الكمّ) ؛ وهو ألّا يزيد عن أربع . (وهذا القيد شرط في صحة العقد) ؛ فمن كان تحته أربع ، وتزوج خامسة فما فوق : فعقده على ما فوق الأربع غير صحيح ، ويجب فسخه .

القيد الثاني (في الكيف) ؛ وهو عدم خوف الظلم . (وهذا القيد شرط لإباحة التعدد ، وليس شرطا في صحة العقد) ؛

فمن كان تحته واحدة ، فتزوج ثانية ، أو اثنتين فضم إليهما ثالثة ، أو ثلاثاً فتزوج رابعة ، (وهو يخاف ظلما) فإن زواجه صحيح ، ولكنه يأثم - إن ظلم فعلاً - .

أما إن خاف الظلم - ولم يظلم - أو ظلم ثم تاب ، فعدل : عفا الله عنه ، وعاش عيشة حلالاً ؛ قال تعالى : « وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَاطَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ، فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً » .

والمعنى المختار للآية : أن الصحابة (رضوان الله عليهم) ، لما نزلت الآية الثانية من سورة النساء ، ناهية عن أكـل أموال اليتامى ، ووصفته بأنه حُوبٌ كبير وظلم عظيم : خاف الأولياء والأوصياء من الولاية والوصاية على اليتامىٰ . وتحرّجوا من ذلك (حذراً من أن يظلموا اليتامىٰ المشمولين بولايتهم ، ووصايتهم) فنزلت الآية الكريمة تقول لهم : وإن تحرجتم من ولاية اليتامىٰ خوفاً من ظلمهم ، فأولىٰ بكم أن تتحرجوا وتخافوا من ظلم آخر شنيع يضطرّكم إليه : الإكثار من الزوجات بدون حدّ ، فلا يطيب لكم ولا يحلّ : أن تجمعوا بين أكثر من أربع . ولكم الخيار فيما دون ذلك ؛ فمن شاء منكم : تزوج اثنتين . ومن شاء : تزوج ثلاثاً . ومن شاء : تزوج أربعاً (بشرط أن تعدلوا بينهنّ) ، فمن خاف ظلما بزواج الأربع : فليقتصر على ثلاث . ومن خاف ظلماً بزواج الثلاث : اقتصر على اثنتين . ومن خاف ظلما بزواج الاثنتين : فليقتصر على واحدة .

(قال عروة : قالت عائشة : ثم إنّ الناس استفتوا رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم - بعـد هذه الآية - فيهنّ : فأنزل الله عز وجل : « وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَـامَى النِّسَـاءِ الَّـلاتِي لا تُؤْتُـونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ »[1] قالت : والذي ذكر الله[2] - أنه يتلى عليكم في الكتاب - : الآية الأولى ، التي قال الله فيها : « وَإِنْ خِفْتُمْ أن لاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ . فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُـمْ مِّنَ الـنِّسَـاءِ » . قالت عائشـة : وقـول اللهِ تعـالى[3] - في الآية

بيد أن قيد الخوف من الظلم هو - كما أسلفنا - قيد ديني لاقضائي . أي : لا تأثير له على صحة الجمع بين اثنتين ، أو ثلاث ، أو أربع ؛ لأن خوف الظلم أمر عارض لا تتعلق به أحكام ثابتة ؛ فقد يخاف الظلم قبل الزواج ، ولكن لا يقع منه ظلم فعلاً ، أو قد يظلم ثم يتوب فيعدل ، فيعيش عيشة حلالاً .

والخلاصة أن الآية الكريمة تدل على عدم جواز جمع أكثر من الأربع . ثم يؤكد هذا من أنزل عليه الكتاب ، صلى الله عليه وسلم ، وأعطي حقّ بيان المراد مما أنزل عليه ؛ في قوله عز وجل في الآية (٤٤) من سورة النحل : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ » ؛ وقد بين صلى الله عليه وسلم المراد من الآية ، فأمر كل من كان تحته أكثر من أربع : أن يطلق مازاد عن الأربع ، كما تقدم في أحاديث (غيلان ، ونوفل ، وقيس) ، فإذا ضمّ إلى ذلك الإجماع : اتضح بمالا يدع مجالاً للشك أن المقصود من قوله تعالى : « فانكحـوا ما طاب لكم من النسـاء مثنى وثلاث ورباع » الآية : هو عدم جواز الجمع بين أكثر من أربع زوجات . هذا ؛

والتكرار في قوله : « مثنى وثلاث ورباع » للتقييد ، لا للتعميم ، كما في قوله تعالى - في أول سورة فاطر - : « جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ » .

والتكرار إنما هو بالنظر إلى آحاد الرجال ، لا بالنظر إلى واحد ، والواو في الآية بمعنى « أو » لإفادة حلّ أيّ عدد من هذه الأعداد لمن شاء . أي فلينكح كلّ منكم ماشاء من الأعداد المذكورة (اثنتين ، أو ثلاثاً ، أو أربعاً) ولازيادة على الأربع . وهذه المعلومات مستفادة من كتابي (تعدد الزوجات في الإسلام) ط دار القلم ببيروت طبعة أولى ، مكتبة الحرمين بالسعودية . المحقق .

(١) الآية : (١٢٧) من سورة النساء . المحقق .

(٢) (ذكر الله) في مصدر الحديث بزيادة : « تعالى » بعد لفظ الجلالة . وقد أشار المصنف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ بزيادة : « عز وجلّ » . المحقق .

(٣) (وقول الله تعالى) لم يذكر في مصدر الحديث لفظ : « تعالى » في هذا الموضع . المحقق .

الأخرى[1] - « وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » : رغبة أحدكم عن يتيمته[2] ، التي تكون في حَجْره - حين تكون قليلة المال والجمال - فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها وجمالها : من يتامى النساء ، إلّا بالقسط . من أجل رغبتهم عنهنّ) .

فيه : أن العدل والإنصاف في حقوق اليتامى : من أعظم الأمور عند الله ، التي تجب مراعاتها ، وأن المخلّ بها : ظالم .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : "وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ"

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَـةَ - في قَوْلِهِ : « وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ » - ؛ قَالَتْ : أُنْزِلَتْ فِي وَالِي مَالِ الْيَتِيمِ ، الَّذِي يَقُومُ عَلَيْهِ وَيُصْلِحُهُ - إِذَا كَانَ مُحْتَاجاً - أَنْ يَأْكُلَ مِنْهُ) .

(الشَّرح)

(عن عائشـة ، رضي الله عنها[3] - في قوله عزّ وجل[4] : « ومن كان

---

(١) أشار المؤلف - في الهامش - أنه ورد في بعض النسخ : « الآخرة » مكان : « الأخرى » . المحقق .

(٢) (يتيمته) في مصدر الحديث : « اليتيمة » . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجلّ » . المحقق .

فقيراً فليأكل بالمعروف - قالت : أنزلت في والي اليتيم[1] الذي يقوم عليه ويصلحه - إذا كان محتاجاً - أن يأكل منه) .

قال النووي : هو أيضاً مذهب الشافعي ، والجمهور . وقالت طائفة : لا يجوز . وحكي عن ابن عباس ، وزيد بن أسلم ، قالا : وهذه الآية منسوخة بقوله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْماً » الآية[2] . وقيل : بقوله تعالى : « وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ ، بِالْبَاطِلِ »[3] .

قال : واختلف الجمهور فيما إذا أكل ؛ هل يلزمه ردّ بدله ؟ وهما وجهان للشافعية ؛ أصحهما : لا يلزمه .

وقال فقهاء العراق : إنما يجوز له الأكل ؛ إذا سافر في مال اليتيم . والله أعلم . انتهى[4] .

وفي (فتح البيان)[5] : قال النخعي ، وعطاء ، والحسن ، وقتادة : لا قضاء على الفقير ، فيما يأكل بالمعروف . وبه قال جمهور الفقهاء .

قال[6] : وهذا بالنظم القرآني ألصق .

والمراد « بالمعروف » : المتعارف به بين الناس ؛ فلا يترفّه بأموال

---

(١) في مصدر الحديث : « والي مال اليتيم » ، ولعل كلمة : « مال » سقطت - في الأصل - أثناء النسخ . المحقق .

(٢) الآية : (١٠) من سورة النساء . المحقق .

(٣) أي وقيل : إنها منسوخة بقوله تعالى : « ولا تأكلوا . . إلخ» .وهي الآية رقم (١٨٨) من سورة البقرة . وهناك آية أخرى ، في نفس المعنى ، وهي قوله تعالى : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ » ، وهي الآية (٢٩) من سورة النساء . المحقق .

(٤) (انتهى) أي كلام النووي ، وهو بص ١٥٧ ، ١٥٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٥) (فتح البيان) كتاب تفسير للمؤلف . المحقق .

(٦) (قال) أي : النخعيّ ، كما حكاه المؤلف ، في (فتح البيان) . المحقق .

اليتامى ، ويبالغ في التنعّم بالمأكول ، والمشروب ، والملبوس . ولا يدع نفسه عن سدّ الفاقة ، وستر العورة .

وأخرج أحمد ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، وابن أبي حاتم ؛ عن ابن عمر : (أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ فَقَالَ : لَيْسَ لِي مَالٌ ، وَلِي يَتِيمٌ . فَقَالَ : « كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ : غَيْرَ مُسْرِفٍ ، وَلاَ مُبَذِّرٍ ، وَلاَ مُتَأَثِّلٍ مَالاً ، وَمِنْ غَيْرِ أَنْ تَقِيَ مَالَكَ مِنْ مَالِهِ »)[1] . انتهى[2] . وهذا نصّ - في محل الاختلاف - في جواز الأكل وعدم جوازه ، للغني والفقير .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ"

وذكره النووي ، في:(كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ خَرَجَ إِلَىٰ أُحُدٍ ، فَرَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ ، فَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فِيهِمْ : فِرْقَتَيْنِ ؛

---

(١) صحيح الجامع الصغير (٤٣٧٣) . هذا ؛ وقد رجعت إلى (صحيح سنن ابن ماجه للألباني)، كتاب الوصايا ، باب (٩) ، المجلد الثاني ص١١٣ ، توزيع المكتب الإسلامي / بيروت ، حديث رقم (٢١٩٨ - ٢٧١٨) ، فوجدت نصه كما يلي :

(عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ؛ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : لاَ أَجِدُ شَيْئاً ، وَلَيْسَ لِي مَالٌ ، وَلِي يَتِيمٌ لَهُ مَالٌ . قَالَ : « كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ ، غَيْرَ مُسْرِفٍ ، وَلاَ مُتَأَثِّلٍ مَالاً » . قَالَ : وَأَحْسِبُهُ قَالَ : « وَلاَ تَقِي مَالَكَ بِمَالِهِ » .

قال الألباني : حسن صحيح (صحيح أبي داود ٢٢٥٦ ، الإرواء ١٤٥٦). اهـ. المحقق .

(٢) (انتهى) أي ماذكره المؤلف في فتح البيان (٣/٢٨ ، ٢٩) . المحقق .

قَالَ بَعْضُهُمْ : نَقْتُلُهُمْ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لاَ .
فَنَزَلَتْ : « فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ » ؟) .

(الشَّرح)

(عن زيد بن ثابت) رضي الله عنه ؛ (أن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ خرج إلى أحد ، فرجع ناس ممن كان معه ، فكان[1] أصحاب النبي ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، فيهم : فرقتين ؛ قال بعضهم : نقتلهم . وقال بعضهم : لا . فنزلت : « فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ »)[2] قال أهل العربية : معناه : أيّ شيء لكم ، في الاختلاف في أمرهم ؟

« وفئتين » معنـاه : فرقتين . وهـو منصـوب - عند البصريين - على الحـال . قال سيبـويه : إذا قلت : « مالك قائمـاً » ؟ معناه : لم قمت ؟ ونصبته على تقدير : أي شيء يحصل لك في هذا الحال[3] ؟

وقال الفراء : هو منصوب على أنه خبر كان محذوفة . فقولك : « مالك قائماً » ؟ تقديره : لم كنت قائماً . انتهى كلام النووي .

وفي تفسيرنا (فتح البيان) : الاستفهام للإنكار . والمعنى : أيّ شيء كائن لكم ، في أمرهم وشأنهم ؟

قال القـرطبي : المراد بهم[4] - هنا - عبد الله بن أبيّ ، وأصحابه : الذين خذلوا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يوم أحد ، ورجعوا

---

(١) (فكان) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « وكان » بالواو . المحقق .
(٢) الآية : (٨٨) من سورة النساء . المحقق .
(٣) حكاه النووي ؛ بص ١٢٢ ، المصدر المتقدم . المحقق .
(٤) (بهم) أي : المنافقين . المحقق .

بعسكرهم ، بعد أن خرجوا . انتهى[1] . ثم ذكر حديث الباب ، وعزاه إلى : البخاري ومسلم وغيرهما . وزاد في آخره : (فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّها طَيْبَةُ ، وَإِنَّهَا تَنْفِي الْخَبَثَ ، كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ »[2] قال[3] : وهذا أصح ماروي في سبب نزول هذه الآية . وقد رويت أسباب غير ذلك ، والله أعلم . انتهى .

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا"[4]

وأورده النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٠ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنِي عَبْدُ اللّهِ بْنُ هَاشِمٍ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَـٰنِ بْنُ بِشْرٍ الْعَبْدِيُّ ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ - وَهُوَ ابْنُ سَعِيدٍ الْقَطَّانُ - عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ ؛ حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ أَبِي بَزَّةَ ؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ قَالَ : قُلْتُ لاِبْنِ عَبَّاسٍ : أَلِمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً مُتَعمِّداً مِنْ تَوْبَةٍ ؟ قَالَ : لاَ .

قَالَ : فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَـٰذِهِ الْآيَةَ ، الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ : « وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » إلى آخر

(١) (انتهى) كلام القرطبي . المحقق .

(٢) زاد المسير (٢/١٥٣) . المحقق .

(٣) (قال) أي :القرطبي . وقد حكاه المؤلف في تفسيره « فتح البيان » (٣/١٩٤) ط إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر . المحقق .

(٤) الآية : (٩٣) من سورة النساء . المحقق .

الآية . قَالَ : هَـٰذِهِ آيَةٌ مَكِّيَّةٌ ، نَسَخَتْهَا آيَةٌ مَدَنِيَّةٌ : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا »[1] .

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ هَاشِمٍ : فَتَلَوْتُ عَلَيْهِ هَـٰذِهِ الْآيَةَ ، الَّتِي فِي الْفُرْقَانِ : « إِلَّا مَنْ تَابَ »)[2] .

(الشرح)

(عن سعيد بن جبير[3] ؛ قال : قلتُ لابن عباس : ألمن قتل مؤمنا متعمداً من توبة ؟ قال : لا . قال : فتلوتُ عليه هذه الآية ، التي في الفرقان : « والَّذِينَ لاَيَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلـٰهاً آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ » إلى آخر الآية[4] . قال : هذه آية مكيّة ، نسختها آية مدنية : « وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ، خَالِداً فِيها »)[1] .

وفي رواية[5] : « فتلوت عليه هذه الآية ، التي في الفرقان : « إلّا من تابَ » .

قال النووي : هذا هو المشهور عن ابن عباس . وروي عنه : أنّ له توبة ، وجواز المغفرة له ، لقوله تعالى : « وَمَنْ يَعْمَلَ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً »[6] .

---

(١) الآية : (٩٣) من سورة النساء . المحقق .

(٢) الآية : (٧٠) من سورة الفرقان . المحقق .

(٣) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق آخر الحديث ببعض رجاله . المحقق .

(٤) الآية : (٦٨) من سورة الفرقان . المحقق .

(٥) هي رواية « عبد الله بن هاشم » ، كما ذكرنا في حديث الباب . وقوله : « إلا من تاب » جزء من الآية (٧٠) من سورة الفرقان . وتكملة الآية : « إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً ، فَأُولَـٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً » . المحقق .

(٦) في الأصل : « ويظلم » بالواو ، والصواب : « أو يظلم » تصحيحاً من كتاب الله ، الآية (١١٠) من سورة النساء . المحقق .

قال[١] : وهذه الرواية الثانية ، هي مذهب جميع أهل السنة والصحابة والتابعين ، ومن بعدهم .

ومــا روي عن بعض السلف ، ممــا يخـالف هذا : محمـول على التغليظ ، والتحذير من القتل ، والتورية في المنع منه . وليس في هذه الآية التي احتجّ بها ابن عباس ، رضي الله عنهما : تصريح بأنه يخلّد[٢] . وإنما فيها : أنه جزاؤه جهنم[٣] . ولا يلزم منه : أنه يجازىٰ . وقد سبق تقرير هذه المسألة[٤] ، وبيان معنى الآية في كتاب التوبة . انتهى[٥] .

وفي (فتح البيان) : قد جاءت هذه الآية بتغليظ عقوبة القاتل عمداً . فجمـع الله له فيهـا : بين كون جهنم جزاء له - أي يستحقها بسبب هذا الذنب - وبين كونه خالداً فيها ، وبين غضب الله ولعنته له ، وإعداده له : عذاباً عظيماً . وليس وراء هذا التشديد : تشديد ، ولا مثل هذا الوعيد : وعيد .

وقد اختلف العلماء ؛ هل لقاتل العمد توبة أم لا ، فذكره .

ثم قال[٦] : والحق : أن باب التوبة لم يغلق دون كلّ عاص ، بل هو مفتـوح لكـل من قصده ورام الدخول منه . وإذا كان الشرك - وهو أعظم

(١) (قال) أي النووي ، بص ١٥٩ المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (تصريح بأنه يخلّد) سقطت كلمة « تصريح » ، من الأصل . والتصحيح من النووي ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) في النووي ، المصدر المتقدم : « أنه جزاؤه » دون ذكر « جهنم » . وهو الصواب ، لأن الضمير في « أنه » مرجعه التّخليد في جهنم ، لا مطلق « جهنم » . المحقق .

(٤) (المسألة) في الأصل رسمت (المسئلة) . المحقق .

(٥) (انتهى) كلام النووي . المحقق .

(٦) (ثم قال) أي نفس المؤلف ، في تفسيره (فتح البيان) « ٣/٢٠٥ » ط المكتبة العصرية ببيروت ، على نفقه دار إحياء التراث ، بدولة قطر . المحقق .

الذنوب ، وأشدها - تمحوه التوبة إلى الله ، ويقبل من صاحبه الخروج منه والدخول في باب التوبة ، فكيف بمادونه من المعاصي ، التي من جملتها القتل عمداً ؟ لكن لابدّ في توبة قاتل العمد : من الاعتراف بالقتل ، وتسليم نفسه بالقصاص - إن كان واجباً - أو تسليم الدية إن لم يكن القصاص واجباً ، وكان القاتل غنيّاً متمكناً من تسليمها أو بعضها .

وأما مجرد التوبة من القاتل عمداً ، وعزمه على أن لا يعود إلى قتل أحد ، من دون اعتراف ولا تسليم نفس : فنحن لا نقطع بقبولها . والله أرحم الراحمين ، هو الذي يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون . انتهى[1] .

وهذا القدر يكفي - في هذا المقام - لثلج الصدر ، وطمأنينة النفس : بمعرفة المسألة هذه .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ"[2]

وذكره النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ : لَقِيَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رَجُلًا - فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ - ، فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَأَخَذُوهُ ، فَقَتَلُوهُ ، وَأَخَذُوا تِلْكَ الْغُنَيْمَةَ . فَنَزَلَتْ : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ : لَسْتَ مُؤْمِناً »[2] .

وَقَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ : « السَّلَامَ ») .

---

(١) (انتهى) كلام المؤلف ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) الآية : (٩٤) من سورة النساء ، وتكملتها : « وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ - وفي قراءة : السَّلَامَ - لَسْتَ مُؤْمِنًا » . . . الآية . المحقق .

الشَّرح

(عن ابن عباس ، رضي الله عنهما[1] ؛ قال : لقي ناس من المسلمين رجلاً - في غنيمة له - فقال : السلام عليكم . فأخذوه فقتلوه ، وأخذوا تلك الغنيمة . فنزلت : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَمَ لستَ مؤمناً »[2] وقرأها ابن عباس : « السّلام »[2]) ومعناهما واحد . واختار أبو عبيد : « السلام » .

وخالفه أهل النّظر ؛ فقالوا : « السلم » - هنا - أشبه ، لأنه بمعنى الانقياد والتسليم . والمراد - هنا - : لا تقولوا لمن ألقىٰ بيده إليكم ، واستسلم : لست مؤمناً .

وقيل : هما بمعنى « الإسلام » أي كلمته . وهي الشهادة .

والمقصود : نَهْيُ المسلمين عن أن يهملوا ما جاء به الكافر ، مما يستدلّ به على إسلامه ، ويقولوا : إنه إنما جاء بذلك تعوذاً وتقية .

وقد اسْتُدلّ بهذه الآية : على أن من قتل كافراً - بعد أن قال : لا إله إلا الله - : قُتِل به ، لأنه قد عصم بهذه الكلمة « دمَه ومالَه » . وإنما أُسْقِط القتل عُمّن وقع منه ذلك ، في زمن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : لأنهم تأوّلوا ، فظنوا أن من قالها خوفاً من السلاح : لا يكون مسلماً ، ولا يصير بها دمه معصوماً . وأنه لا بدّ أن يقول هذه الكلمة ، وهو مطمئن غير خائف .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) الآية : (٩٤) من سورة النساء . و « السَّلَمَ » و « السَّلامَ » قراءتان متواترتان . المحقق .

قال[1] في (فتح البيان) : وفي حكم التكلّم بكلمة الإسلام : إظهار الانقياد ؛ بأن يقول : أنا مسلم . أو أنا على دينكم . لما عرفت من أن معنى الآية : الاستسلام ، والانقياد . وهو[2] يحصل بكلّ ما يشعر بالإسلام : من قول أو عمل . ومن جملة ذلك : كلمة الشهادة ، وكلمة التسليم . والله أعلم .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا "[3]

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ – فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً »[3] – ؛ قَالَتْ : نَزَلَتْ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ ، فَلَعَلَّهُ : أَنْ لَا يَسْتَكْثِرَ مِنْهَا ، وَتَكُونُ لَهُ صُحْبَةٌ وَوَلَدٌ ، فَتَكْرَهُ أَنْ يُفَارِقَهَا ، فَتَقُولُ لَهُ : أَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي) .

(الشرح)

(عن عائشة ، رضي الله عنها[4] ؛ – في قوله عزّ وجلّ : « وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً[3] – ؛ قالت : نزلت في المرأة تكون عند

---

(١) (قال) أي المؤلف ، في تفسيره (فتح البيان) . المحقق .

(٢) (وهو) أي : الاستسلام والانقياد . المحقق .

(٣) الآية : (١٢٨) من سورة النساء . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضيَ الله عنها » . المحقق .

الرجل ، فلعله : أن لا يستكثر منها ، وتكون له[1] صحبة وولد ، فتكره أن يفارقها ، فتقول له : أنت في حلّ من شأني[2]) .

« البعل » : الزوج ، والسيّد .

« والنشـوز » : الترفّع عليها ، بترك مضاجعتها ، والتقصير في نفقتها - لبغضهـا ، وطمـوح العين إلى أجمـل منهـا - والفرق بين النشوز وبين الإعراض[3] : أن النشوز : التباعد . والإعراض : أن لا يكلمها ، ولا يأنس بها .

وقد ورد - عن جماعة من الصحابة - نحو ما في هذا الحديث .

وثبت (في الصحيحين) من حديثها[4] (قَالَتْ : لَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ : وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ ، فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يَقْسِمُ لَهَا يَوْمَ سَوْدَةَ) .

قال ابن عباس رضي الله عنه[5] : فما اصطلحا عليه من شيء[6] : فهو جائز .

سورة المائدة : باب في قوله تعالى : "اليوم أكملت لكم دينكم"[7]

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

---

(١) (له) أشار المؤلف - في الهامش - إلى أنه في بعض النسخ : « لها » مكان : « له » . المحقق .

(٢) (شأني) في الأصل : « شاني » بألف غير مهموزة . المحقق .

(٣) لو قال : « بين النشوز والإعراض » ، دون تكرير كلمة : « بين » ، لكان أوضح . وإنما تكرر كلمة « بين » لو كان العطف على ضمير ، مثل : بيني وبينك . المحقق .

(٤) (من حديثها) أي :من حديث عائشة . المحقق .

(٥) (رضي الله عنه) في الأصل :رمز إلى هذه الجملة بالحرفين « رض » . المحقق .

(٦) (شيء) في الأصل :وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٧) جزء من الآية : (٣) من سورة المائدة . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ؛ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَىٰ عُمَرَ ، فَقَالَ : يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! آيَةٌ فِي كِتَـابِكُمْ تَقْـرَأُونَهَـا ، لَوْ عَلَيْنَـا نَزَلَتْ - مَعْشَـرَ الْيَهُودِ - ، لاَ تَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً .

قَالَ : وَأَيُّ آيَةٍ ؟ قَالَ : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ ، نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً »[١] .

فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ ، وَالْمَكَانَ الَّذِيْ نَزَلَتْ فيه - نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بِعَرَفَاتٍ ، فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ -) .

(الشَّرح)

(عن طارق بن شهاب ؛ قال : جاء رجل من اليهود إلى عمر ، فقال : يأأمير المؤمنين ! آية في كتـابكم ، تقرأونها[٢] ، لو علينا نزلت - معشر يهود[٣] - لَا تّخذنا ذلك اليوم عيداً .

قال : وأيّ آية ؟ قال : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً »[١] .

فقـال عمر : إني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه ، والمكان الذي نزلت فيه ؛ نزلت على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بعرفات ، في يوم جمعة) .

---

(١) جزء من الآية : (٣) من سورة المائدة . المحقق .

(٢) (تقرأونها) رسمت في الأصل ، وفي مصدر الحديث : « تقرؤنها » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : (اليهود) بالتعريف بـ « ال » . المحقق .

وفي رواية[١] (أَنَّ الْيَهُـودَ قَالُـوا لِعُمَرَ : إِنَّكُمْ تَقْرَأُونَ[٢] آيَةً ، لَوْ أُنْزِلَتْ فِينَا : لاَتَّخَـذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً . فَقَالَ عُمَرُ : إِنِّي لأَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ ، وَأَيَّ يَوْمٍ أُنْـزِلَتْ ، وَأَيْنَ رَسُـولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآلـه وسلم ، حَيْثُ أُنْزِلَتْ : أُنْزِلَتْ بِعَرَفَةَ ، وَرَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ) .

وفي أخرى[٣] : (أُنْزِلَتْ لَيْلَةَ جَمْعٍ ، وَنَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : بِعَرَفَاتٍ) هكذا هو في النسخ ، الرواية : « ليلة جمع » .

وفي نسخة ابن ماهان : « لَيْلَةَ جُمُعَةٍ » .

قال النووي : وكلاهما صحيح . فمن روى « ليلة جمع » : فهي ليلة المزدلفة . وهو المراد بقوله : « ونحن بعرفات ، في يوم جمعة » . لأن ليلة جمع ، هي عشيّة يوم عرفات . ويكون المراد بقوله « ليلة جمعة » : يوم جمعة[٤] .

ومراد عمر رضي الله عنه[٥] : أنّا قد اتّخذنا ذلك اليوم عيداً من وجهين ؛ فإنه يوم عرفة ، ويوم جمعة . وكلّ واحد منهما عيدٌ ، لأهل الإسلام . انتهى[٦] .

---

(١) هي رواية : سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق ، وهي بص ١٥٣ ، نفس مصدر حديث الباب . أما حديث الباب ، فهو من رواية : أبي عميس ، عن قيس ، عن طارق . المحقق .

(٢) (تقرأون) في الأصل : « تقرؤن » . المحقق .

(٣) هي رواية : إدريس ، عن قيس ، عن طارق ، وهي بنفس المصدر . ولكن ورد بها : « نزلت ليلة جمع » ، وليس : « أنزلت » كما في الأصل . المحقق .

(٤) ذكره النووي بص١٥٣ ،نفس المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (رضي الله عنه) في الأصل : « رض » . المحقق .

(٦) (انتهى) كلام النووي ،بنفس المصدر . المحقق .

قلت : المراد بقوله: اليوم أكملت – على ما في (فتح البيان) – : يوم الجمعة ، وكان يوم عرفة ، بعد العصر ، في حجة الوداع . هكذا ثبت في الصحيحين ، من حديث عمر .

وقيل : نزلت في يوم الحج الأكبر .

وقال ابن عباس : « نزلت في يوم عيدين : في يوم جمعة ، وعرفة » . أخرجه الترمذي ، وقال حسن غريب[1] .

وفي معنى الإكمال : أقوال ضعيفة . ولا معنى للإكمال ، إلاّ وفاء النصوص بما يحتاج إليه الشرع : إماّ بالنص على كل فرد فرد ، أو باندراج مايحتاج إليه : تحت العمومات الشاملة .

وقد صح عنه ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ أنه قال : « تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْـوَاضِحَةِ ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا[2] » . وجاءت نصوص الكتاب العزيز : بإكمال الدين ، وبما يفيد هذا المعنى ويصحح دلالته ، ويؤيد برهانه .

ويكفي في دفع الرأي – وأنه ليس من الدِّين[3] –:قول الله تعالى هذا . فإنه إذا كان الله قد أكمل دينه ، قبل أن يقبض إليه نبيه ، صلى الله عليه وآله وسلم : فما هذا الرأي ، الذي أحدثه أهله ، بعد أن أكمل الله دينه ؟ لأنه

(١) ذكر ابن جرير (بسنده) : أنّ ابن عباس قرأ « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً » فقال يهوديّ : لو نزلت هذه الآية علينا : لاتّخـذْنا يومها عيداً . فقال ابن عباس : فإنها نزلت في يوم عيدين اثنين : يوم عيد ، ويوم جمعة . اهـ. حكاه ابن كثير (٢ / ١٤). ط الحلبي بالقاهرة ، ثم ذكر آراء العلماء في تحديد اليوم الذي أنزلت فيه الآية الكريمة ، وعقّب عليها بقوله : بل الصواب ، الذي لاشـك فيه ولا مرية ؛ أنهـا أنـزلت يوم عرفة (وكان يوم جمعة) ، كما روى ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وعلي ابن أبي طالب ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس ، وسمرة بن جندب ، وأرسله الشعبي ، وقتادة بن دعامة ، وشهر بن حوشب ، وغير واحد من الأئمة والعلماء ، واختاره ابن جرير الطبري. اهـ .المحقق .

(٢) رواه مالك في موطئه ، كتاب الحدود ، (١٠) . المحقق .

(٣) (وأنه) أي الرأي : (ليس من الدين) . أي أن قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم. . إلخ» كافٍ في دفع الرأي ، وأنه ليس من الدين . المحقق .

إن كان من الدّين في اعتقادهم : فهو لم يكمل عندهم ، إلا برأيهم . وهذا فيه رَدٌّ لِلقرآن . وإن لم يكن من الدّين : فأيّ فائدة في الاشتغال بما ليس منه ، وما ليس سنة ؟ فهو ردّ بنص السنة المطهرة ، كما ثبت في الصحيح .

و هذه حجة قاهرة ، ودليل باهر ، لا يمكن أهل الرأي أن يدفعوه بدافع أبداً . فاجعل هذه الآية الشريفة ، أول ماتصكّ به : وجوه أهل الرأي ، وترغم به آنافهم[1] ، وتدحض به حجتهم . فقد أخبرنا الله تعالى - في محكم كتابه - أنه أكمل دينه . ولم يمت رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : إلا بعد أن أخبرنا بهذا الخبر عن الله عزّ وجل . فمن جاء بشيء[2] من عند نفسه ، وزعم أنه من ديننا : قلنا له : إن الله أصدق منك « وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ؟ »[3] اذهب لا حاجة لنا في رأيك . وليت المقلّدة للمذاهب ، والمتّبعة للفروع ، والمتمسكة بآراء الرجال : فهموا هذه الآية حقّ الفهم ، حتى يستريحوا ويريحوا .

والكلام في هذا المقام يطول جدّا ، إن شئت أن تطّلع عليه ، وتسكن إليه : فعليك (بفتح البيان) في هذا الموضع ، وفي غيره من المواضع ، التي لها دلالة واضحة : على ردّ التقليدات .

سُورَةُ الأَنْعَامِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ »[4]

وذكره النووي ، في الجزء الأول ، في : (باب صدق الإيمان ، وإخلاصه) .

(١) (آناف) جمع « أنف » ، ويجمع أيضاً على : « أنوف » و « آنُف » . المحقق .

(٢) (بشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) جزء من الآية : (١٢٢) من سورة النساء . المحقق .

(٤) الآية : (٨٢) من سورة الأنعام . المحقق .

حَدِيثُ البَابِ

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٣ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ »(١) : شَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، وَقَالُوا : أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ هُوَ كَمَا تَظُنُّونَ ، إِنَّمَا هُوَ كَمَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَابُنَيَّ ! لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »)(٢) .

الشَّرح

(عن عبد الله بن مسعود)(٣) رضي الله عنه ؛ (قال : لما نزلت « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ »(١) : شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقالوا(٤) : أينا لا يظلم نفسهُ ؟) هكذا وقع هنا .

ووقـع في صحيح البخـاري : « أَيُّنَـا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَـهُ ؟ » فهـاتـان الـروايتـان ، إحـداهما تبيّن الأخرىٰ . فيكون لما شقّ عليهم : أنزل الله عز وجـل : « إِنَّ الشِّـرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » وأعلم النبي ، صلى الله عليه وآله

(١) الآية : (٨٢) من سورة الأنعام . المحقق .

(٢) الآية : (١٣) من سورة لقمان . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث « ابن مسعود » ، لأنه معلوم لعلماء الحديث ، أنه إذا قيل : « عبد الله » فالمقصود به ابن مسعود . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « وقالوا » بالواو ، لا بالفاء . المحقق .

وسلم : أن الظلم المطلق هناك ، المراد به : هذا المقيَّد ، وهو الشرك[1] .

(فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ليس هو كما تظنون . إنما هو كما قال لقمان لابنه : يَابُنَيّ ! لَا تُشْرِكْ بِاللّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ »)[2] أي : ليس الظلم على إطلاقه وعمومه ، كما زعمتم . إنما هو الشرك . كما قال لقمان لابنه .

فالصحابة رضي الله عنهم : حملوا الظلم على عمومه ، وهو المتبادر إلى الأفهام منه ، وهو[3] وضع الشيء في غير موضعه . وهو مخالفة الشرع . فشقّ عليهم ، إلى أن أعلمهم النبيّ صَلَّى اللّهُ عليه وآله وسلم : بالمراد بهذا الظلم .

قال الخطابي : إنما شقّ عليهم ، لأن ظاهر الظلم : الافتيات بحقوق الناس ، وما ظلموا به أنفسهم من ارتكاب المعاصي . فظنوا أن المراد : معناه الظاهر .

وأصل الظلم : وضع الشيء[4] في غير موضعه . ومن جعل العبادة لغير الله : فهو أظلم الظالمين .

قال النووي : في هذا الحديث جمل من العلم ؛

---

(١) هكذا عبارة الأصل ، وعبارة النووي أوضح ونصها - بعد ذكر حديث الباب - قال : هكذا وقع الحديث هنا - في صحيح مسلم - ، ووقع في صحيح البخاري : لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ : قَالَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَيُّنَا لَمْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ؟ » ، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . فهاتان الروايتان ؛ إحداهما تبيّن الأخرى ، فيكون لما شقّ . . . إلى قوله :(أن الظلم المطلق هناك)- أي في رواية مسلم ، والتي هي حديث الباب - المراد به : (هذا المقيد) - أي الظلم المقيد - وهو « الشرك »،كما في رواية البخاري . المحقق .

(٢) الآية : (١٣) من سورة لقمان . المحقق .

(٣) (وهو) أي : الظلم . هذ ؛وكلمة :(الشيء) في الأصل :وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (الشيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

منها : أن المعاصي لا تكون كفراً . والله أعلم[1] .

واختلف العلماء في نبوته : (أي نبوة لقمان الحكيم) ؛ قال الثعالبي : اتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبيّاً ، إلا عكرمة ، فإنه قال : كان نبيّاً ، وتفرّد بهذا القول .

وأما ابن لقمان الذي قال له[2] : لا تشرك بالله . فقيل : اسمه « أنعم »، وقيل: « مشكم » . والله أعلم . انتهى[3] .

قال[4] في (فتح البيان) : هذه الآية ، قيل : من تمام قول إبراهيم عليه السلام[5] .

وقيل : من قول قومه .

وقيل : من قول الله . ثلاثة[6] أقوال للعلماء .

والمراد بالظلم : « الشرك » . وقد فسّره به أبو بكر الصديق ، وعمر ، وحذيفة ، وسلمان الفارسي ، وأبيّ بن كعب ، وابن عباس . وقد روي عن جماعة من التابعين : مثل ذلك .

ويغني عن الجميع في تفسير الآية : ما ثبت في الصحيحين وغيرهما ، من حديث « ابن مسعود ».يعني : حديث الباب .

(١) إلى هنا انتهى كلام النووي ، وهو في:ص ١٤٣،المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) (الذي قال له) أي : الذي قال له أبوه . المحقق .

(٣) (انتهى) أي:كلام « الثعالبي » . المحقق .

(٤) (قال) أي المؤلف في تفسيره (فتح البيان) . المحقق .

(٥) الإشارة في قوله : « هذه الآية » لآية الأنعام رقم (٨٢) . وهي قوله تعالى : « الَّذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » الآية . فمن قال : إنها من تمام قول إبراهيم : نظر إلى السياق الذي ذكرت فيه هذه الآية ، ويبدأ من قوله تعالى في الآية (٨٠) : « وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ » - والضمير لإبراهيم - « قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ » إلى قوله : « فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ » وهو في الآية (٨١) ثم جاء بعدها : « الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ » الآية.ومن ثمّ قيل : إن هذه الآية من تمام قول إبراهيم . المحقق .

(٦) (ثلاثة) . في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

والعجب من « صاحب الكشاف » ، حيث يقول في تفسير هذه الآية : وأبىٰ تفسير الظلم بالكفر : لفظ « اللّبس » . وهو لا يدري أن الصادق المصدوق : قد فسّرها بهذا . وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل . وزاد في زاده على البيضاوي .

وذهب المعتزلة إلى أن المراد بالظلم في هذه الآية : المعصية لا الشرك ، بناءً على أن خلط أحد الشيئين بالآخر : يقتضي اجتماعهما ، ولا يتصور خلط الإيمان بالشرك ، لأنهما ضدّان لا يجتمعان .

وهذه الشبهة تردّ عليهم ؛ بأن يقال : كما أن الإيمان لا يجامع الكفر ، فكذلك المعصية لا تجامع الإيمان عندكم ، لكونه اسما لفعل الطاعات واجتناب المعاصي ، فلا يكون مرتكب الكبيرة مؤمناً عندكم . انتهى[١] .

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ"[٢]

وقال النووي - في الجزء الأول - : (باب[٣] بيان الزمن ، الذي لا يقبل فيه الإيمان) .

---

(١) قال الزمخشري في الكشاف (٢/٤٣) : « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم » أي لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم ، وأبىٰ تفسير الظلم بالكفر : لفظ « اللبس » . وعقب أحمد بن المنيّر الاسكندري ، على هذا التفسير ، فقال : وقد ورد أن الآية ، لما نزلتْ : عظمت على الصحابة ، وقالوا : أيّنا لم يظلم نفسه ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « إنما هو الظلم في قول لقمان : « إنَّ الشّرك لظلمٌ عظيمٌ » . قال أحمد : وإنما هو (والضمير للزمخشري) يروم بذلك تنزيله على معتقده (في وجوب وعيد العصاة) ، وأنهم لاحظّ لهم في الأمن [أي في قوله تعالى في آخر الآية : « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون »] كالكفار . ويجعل هذه الآية تقتضي تخصيص الأمر بالجامعين الأمرين : الإيمان ، والبراءة من المعاصي . قال أحمد : ونحن نسلّم ذلك ، ولا يلزم أن يكون الخوف اللاحق للعصاة (هو الخوف اللاحق للكفار) ، لأنّ العصاة من المؤمنين ، إنما يخافون العذاب المؤقت (وهم آمنون من الخلود) ، وأما الكفار : فغير آمنين بوجهٍ ما . والله الموفق . اهـ . المحقق .

(٢) جزء من الآية : (١٥٨) من سورة الأنعام . المحقق .

(٣) في الأصل (في باب) بزيادة كلمة « في » ، فحذفنا كلمة « في » ، حيث لا محلّ لها هنا . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٥ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُــولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « ثَلاثٌ إِذَا خَرَجْنَ ، لاَ يَنْفَـعُ نَفْسـاً إِيمَانُها ، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِها خَيْراً ؛

طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا ، وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الأَرْضِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : ثلاث)[1] أي : ثلاث[1] آيات ، (إذا خرجن ، لا ينفع نفساً إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبتْ في إيمانها خيراً ؛

طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض) .

قال[2] في (فتح البيان) : « يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ »[3] قيل : هي علامات القيامة ، المذكورة في الأحاديث الثابتة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فهي التي إذا جاءت : « لا ينفع نفساً إيمانها » .

قال[2] : والكبرى منها عشرة : الدجّال ، والدابّة ، وخسف بالمشرق ، وخسف بالمغرب ، وخسف بجزيرة العرب ، والدخان ، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى ، ونار تخرج من عدن : تسوق الناس إلى المحشر . انتهى .

---

(١) (ثلاث) في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٢) (قال) يعني المؤلف نفسه . المحقق .

(٣) الآية : (١٥٨) من سورة الأنعام . المحقق .

ومعنى « لم تكن آمنت من قبل » أي : قبل إتيان بعض الآيات .

فأمّا التي قد كانت آمنتْ من قبل مجيء[1] بعضها : فإيمانها ينفعها .

ومعنى « أو كسبت في إيمانها خيراً » أي : لا ينفع نفساً إيمانها - عند حضور الآيات - : متصفة بأنها لم تكن آمنت من قبل ، أو آمنت من قبل - ولكن لم تكسب في إيمانها خيراً - .

وفي (فتح البيان) : فحصل من هذا : أنه لا ينفع إلا الجمع بين الإيمان - من قبل مجيء بعض الآيات - مع كسب الخير في الإيمان ؛ فمن آمن من قبل فقط ، ولم يكسب خيراً في إيمانه . أو كسب خيراً ولم يؤمن : فإن ذلك غير نافع .

قال السدّي : يقول : كسبت في تصديقها عملاً صالحاً . فهؤلاء أهل القبلة ، وإن كانت مصدقة : لم تعمل قبل ذلك خيراً ، فعملت بعد أن رأت الآية : لم يقبل منها . وإن عملت قبل الآية خيراً ، ثم عملت بعد الآية خيراً : قبل منها .

وقال مقاتل : يعني : المسلم الذي لم يعمل في إيمانه خيراً ، وكان قبل الآية مقيماً على الكبائر . والله أعلم .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (الباب السابق) .

---

(١) (مجيء) . في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٥ ، ١٩٦ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ - يَوْماً - : « أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَـٰذِهِ الشَّمْسُ ؟ » قَالُوا : اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ .

قَالَ : « إِنَّ هَـٰذِهِ تَجْرِي ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِـرُّ سَاجِدَةً ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ ، حَتَّىٰ يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي ، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ . فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا .

ثُمَّ تَجْرِي ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً . وَلَا تَزَالُ كَذَلِـكَ ، حَتَّىٰ يُقَـالَ لَهَـا : ارْتَفِعِي ، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ . فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجْرِي ، لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئاً ، حَتَّىٰ تَنْتَهِيَ إِلَىٰ مُسْتَقَـرِّهَـا ذَاكَ تَحْتَ الْعَـرْشِ ، فَيُقَـالُ لَهَـا : ارْتَفِعِي ، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا .

فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « أَتَدْرُونَ مَتَىٰ ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا ، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً ») .

(الشَّرح)

(عن أبي ذر) رضي الله عنـه ؛ (أن النبي ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، قال - يوماً - : « أَتَدْرُونَ أين تذهب هذه الشمس ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : إنّ هذه تجري ، حتى تنتهي إلى مستقرّها تحت العرش ، فتخر ساجـدة ، فلا تزال كذلك ، حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت . فترجع فتصبح طالعة من مطلعها .

ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرّها تحت العرش ، فتخرّ ساجدة . فلا تزال[1] كذلك ، حتى يقال لها : ارتفعي ، ارجعي من حيث جئت . فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها .

ثم تجـري ، لايستنكـر الناس منها شيئاً ، حتى تنتهي إلى مستقرّها ذلـك[2] تحت العرش ، فيقال لها : ارتفعي ، أصبحي طالعةً من مغربك تحت العرش[3] ، فتصبح طالعة من مغربها .

فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين لا ينفـع نفسـاً إيمانها ، لم تكن آمنتْ من قبل ، أو كسبت في إيمانها خيراً ») .

قال عياض : هذا الحديث على ظاهره - عند أهل الحديث ، والفقه ، والمتكلمين من أهل السنة - خلافاً لما تأولته الباطنية .

وأما كون مستقرّها تحت العرش ، وخرورها ساجدة : فهذا مما اختلف المفسرون فيه ؛

فقال جماعة بظاهر الحديث . قال الواحدي : وعلى هذا القول ، إذا غربت كلّ يوم : استقرتْ تحت العرش ، إلى أن تطلع من مغربها .

---

(١) (فلا تزال) في مصدر الحديث : « ولا تزال » بالواو . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « ذاك » ، مكان : « ذلك » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث ، لم يذكر هنا : « تحت العرش » . ولعلها ذكرت في الأصل خطأ . المحقق .

وقال قتادة ، ومقاتل : معناه : تجري إلى وقت لها ، وأجل لا تتعدّاه .

قال[1] : وعلى هذا ؛ مستقرها : انتهاء سيرها ، عند انقضاء الدنيا . وهذا اختيار الزجّاج .

وقال الكلبي : تسير في منازلها ، حتى تنتهي إلى آخر مستقرّها الذي لا تجاوزه ، ثم ترجع إلى أول منازلها . واختار ابن قتيبة هذا القول .

وأما سجود الشمس ؛ فهو بتمييز وإدراك : بخلق الله تعالى فيها . والله أعلم بالصواب[2] .

سُورَةُ الأَعْرَافِ : بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ"[3]

وأورده النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ : كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَطُوفُ بِالْبَيْتِ ، وَهِيَ عُرْيَانَةٌ ، فَتَقُولُ : مَنْ يُعِيرُنِي تِطْوَافاً ، تَجْعَلُهُ عَلَىٰ فَرْجِهَا وَتَقُولُ :

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ ، أَوْ كُلُّهُ   فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ

فَنَزَلَتْ هَـٰذِهِ الْآيَةُ : « خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ »)[3] .

---

(١) (قال) أي : الواحدي ، كما صرح به النووي بص ١٩٦ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) جزء من الآية : (٣١) من سورة الأعراف . المحقق .

(الشرح)

(عن ابن عباس رضي الله عنهما[1] ؛ قال : كانت المرأة تطوف بالبيت ، وهي عريانة ، فتقول : من يعيرني تطوافاً) بكسر التاء . وهو ثوب تلبسه المرأة ، تطوف به .

وكان أهل الجاهليّة : يطوفون عراة ، ويرمون ثيابهم ، ويتركونها ملقاة على الأرض ، ولا يأخذونها أبداً ، ويتركونها تداس بالأرجل حتى تَبْلىٰ . ويسمى : « الإلقاء » . حتى جاء الإسلام، فأمر الله تعالى بستر العورة .

(تجعله على فرجها ،وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كلّه   فما بدا منه فلا أحله[2]

فنزلت هذه الآية : « خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ[3] ») .

أمر الله تعالى : بستر العورة ، وقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ »[4] .

قال[5] في (فتح البيان) : هذا خطاب لجميع بني آدم ، وإن كان وارداً على سبب خاص . فالاعتبار بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

« والزينة » : ما يتزيّن به الناس ، من الملبوس .

أُمِروا بالتزيّن عند الحضور إلى المساجد : للصلاة[6] ، والطواف .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) هذا بيت منظوم ، وقد ذكر قبله – في الأصل – العلامة : (ﺻﮯ) ، فحذفناها تصرّفاً . المحقق .

(٣) « يَابَنِي آدَمَ ! خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ » الآية (٣١) من سورة الأعراف . المحقق .

(٤) ذكره النووي ، بص ١٦٣ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (قال) أي :المؤلف نفسه ، في تفسيره (فتح البيان) . وقد طبع على نفقة إحياء التراث الإسلامي ، بدولة قطر . المحقق .

(٦) (للصلاة) . في الأصل : « للصلوة » . المحقق .

قال[1] : وقد استدلّ بالآية على : وجوب ستر العورة في الصلاة[2] ، وإليه ذهب جمهور أهل العلم ، بل سترها واجب : في كل حال من الأحوال ، وإن كان الرجل خالياً ، كما دلّت عليه الأحاديث الصحيحة . انتهى[3] .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"[4]

وهو في النووي ، في:(كتاب الجنة ، وصفة نعيمها ، وأهلها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٧٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ ؛ عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَداً ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَداً ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَداً ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَداً .

فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ ، أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ »)[4] .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد الخدريّ ، وأبي هريرة) رضي الله عنهما ؛ (عن النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : ينادي مناد : إنّ لكم أن

(١) (قال) أي :المؤلف نفسه ، في تفسيره (فتح البيان) . وقد طبع على نفقة إحياء التراث الإسلامي ، بدولة قطر . المحقق .

(٢) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام المؤلف ، في تفسيره (فتح البيان) . المحقق .

(٤) آخر الآية : (٤٣) من سورة الأعراف . المحقق .

تصحّوا فلا تسقموا أبداً ، وإنّ لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً ، وإنّ لكم أن تشبّوا فلا تهرموا أبداً ، وإنّ لكم أن تنعموا) أي : يدوم لكم النعيم (فلا تبأسوا[1] أبداً) أي : لا يصيبكم بأس . وهو[2] شدّة الحال .

والبأس ، والبؤس ، والبأساء ، والبُؤْساء : بمعنى .

(فذلك قوله عز وجلّ : وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)[3] .

قال النـووي - في هذا الحديث وغيره - : إنّ نعيم الجنة دائم ، لا انقطاع له أبداً . انتهى .

وفي (فتـح البيان)[4] : وقـع النـداء لهؤلاء الـذين آمنـوا وعملوا الصالحات ؛ فقيل لهم ذلك .

والمنادي : هو الله . وقيل : الملائكة .

وقيل : هذا النّداء يكون في الجنة .

ومعنى « أورثتموها » : أعطيتموها بدلاً من أهل النار[5] . وهو[6] حال

(١) (تبأسوا) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « تبتئسوا » . المحقق .

(٢) (وهو) أي : « البأس » . المحقق .

(٣) (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا ، أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ . وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، وَقَالُوا : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ، لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ، وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) الآيتان (٤٢ ، ٤٣) من سورة الأعراف . المحقق .

(٤) (فتح البيان) كتاب تفسير للمؤلف . وقد طبع على نفقه إحياء التراث الإسلامي ، بدولة قطر . المحقق .

(٥) وذلك لأن أهل النار تركوا منازلهم في الجنة - التي كانوا سيظفرون بها ، لو لم يفعلوا في الدنيا ماأوجب لهم النار - فورث أهل الجنة تلك المنازل إضافة إلى منازلهم فيها . فكأنّ أهل النار استبدلوا النعيم بالعذاب ، والخير بالشر - وذلك بشؤم كفرهم . وهذا هو التغابن ، الذي أشار إليه ربّ العزة ، في الآية التاسعة من سورة التغابن ، بقوله : « ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ » . المحقق .

(٦) (وهو) أي لفظ : « أورثتموها » . المحقق .

من الجنة . وسماها « ميراثاً » : لأنها لا تستحقّ بالعمل ، بل هي محض فضل الله ، وعده على الطاعات : كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء[1] ، بل هو صلة خالصة ، حصلت لكم بلا تعب ، « بما كنتم تعملون » أي : أورثتم منازلها بعملكم .

قال في الكشاف : بسبب أعمالكم ، لا بالتفضّل كما تقول المبطلة (يعني أهل السنة) . انتهى .

وأقول : يامسكين! هذا قاله رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما صحّ عنه : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ أَحَدُ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ » قَالُوا : وَلَا أَنْتَ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! قَالَ : « وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ بِرَحْمَتِهِ »[2] .

والتصريح بسبب لا يستلزم نفي سبب آخر . ولولا التفضّل من الله سبحانه وتعالى على العامل : بإقداره على العمل : لم يكن عمل أصلاً .

فلو لم يكن التفضّل إلا بهذا الإقدار : لكان القائلون به محقّة لا مبطلة . وفي التنزيل : « ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ »[3] . وفيه : « فَسَيُدْخِلُهُمْ

---

(١) « شيء » في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) نصّ هذا الحديث - كما في صحيح مسلم ، المجلد (٤) ، ص ٢١٧١ ، باب « ١٧ » ، حديث رقم ٧٨ - (٢٨١٨) ط دار الفكر ببيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي :

(عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يُحدّث عن عائشة - زوج النبي ، صلى الله عليه وسلم - ؛ أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « سَدِّدُوا وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَداً عَمَلُهُ » .

قَالُوا : وَلَا أَنْتَ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ !

قَالَ : « وَلَا أَنَا . إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ . وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَى اللّهِ : أَدْوَمُهُ ، وَإِنْ قَلَّ » .

هذا وفي الباب أحاديث أخرى ، في هذا المعنى بألفاظ مختلفة . المحقق .

(٣) (ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً) الآية : (٧٠) من سورة النساء . المحقق .

فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ »[1] .

وفي فتح الباري : المنفي في الحديث : دخولها بالعمل المجرّد عن القبول . والمثبت في الآية : دخولها بالعمل المتقبّل ، والقبول إنما يحصل من الله تفضلاً .

وقال القرطبي : وبالجملة ؛ فالجنة ومنازلها ، لا تنال إلا برحمته . فإذا دخلوها بأعمالهم : فقد ورثوها برحمته ، إذ أعمالهم رحمة منه لهم ، وتفضّل منه عليهم . انتهى كلام (فتح البيان) .

فحيَّ على جنات عدن فإنها   منازلك الأولىٰ وفيها المخيّم
ولكننا سَبْي العدوِّ فهل لنا   نعود إلى أوطاننا ونسلم ؟[2]

اللهم ! تفضّل علينا برحمتك ، واجعل آخر أعمارنا خيراً من أولها .

سُورَةُ الْأَنْفَالِ : " بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ "[3]

وهو في النووي ، في:(باب صفة القيامة ، والجنة والنار)[4] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِالْحَمِيدِ الزِّيَادِيِّ ؛ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ : قَالَ أَبُو جَهْلٍ : اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ : فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً

(١) الآية : (١٧٥) من سورة النساء . المحقق .

(٢) ذكر المؤلف العلامة (ﷺ) قبل هذين البيتين ، فحذفناها تصرّفاً . المحقق .

(٣) جزء من الآية : (٣٣) من سورة الأنفال . المحقق .

(٤) الذي في النووي ، في ص ١٢٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية، هو (كتاب صفة القيامة ، والجنة والنار) ، واسم الباب الذي ذكر فيه الحديث : (باب قوله تعالى : « إنّ الإنسان ليطغىٰ ، أن رآه استغنىٰ ») وهو بص ١٣٩ ، المصدر المذكور . المحقق .

مِّنَ السَّمَاءِ ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ؛ فَنَزَلَتْ : « وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ، وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ ، وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » . . . إلى آخر الآية)[1] .

(الشرح)

(عن أنس بن مالك)[2] رضي الله عنه ؛ (قال : قال أبو جهل : اللهم ! إن كان هـٰذا) أي القرآن ، الذي جاء به محمد ، صلى الله عليه وآله وسلم (هو الحقّ من عندك : فأمطر علينا حجارة من السماء) المراد بالحجارة : السّجيل . وهو حجارة مسوّمة ، أي : معلّمة معدّة ، لتعذيب قوم من العصاة . (أو ائتنا بعذاب أليم) .

قالوا : « هذه المقالة » مبالغة في الجحود والإنكار . وسألوا أن يُعذّبوا بالرجم بالحجارة من السماء ، أو بغيرها من أنواع العذاب الشديد : (فنزلت : وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ) يامحمد ! موجود . فإنك مادمتَ فيهم بأرض مكة ، فهم في مهلة من العذاب ، الذي هو الاستيصال[3] .

قال السيوطي : لأن العذاب ، إذا نزل : عمّ . ولم تعذّب أمّة إلا بعد خروج نبيها والمؤمنين منها : (وَمَا كَانَ اللّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ . وَمَا لَهُمْ أن لاَّ يُعَذِّبَهُمُ اللّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ . إلى آخر الآية)

(١) الآيات من قوله تعالى : « وإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ » إلى قوله : « وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » : أرقامها (٣٢، ٣٣، ٣٤) من سورة الأنفال . المحقق .

(٢) ذكرنا من السند ، من أول : « عن عبد الحميد الزياديّ » . المحقق .

(٣) (الاستيصال) أصلها : « الاستئصال » ، ولكن المؤلف - دائماً في مثل هذا - يسهّل الهمزة بإبدالها ياء . المحقق .

وهي[1] : « وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَه إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » .

وعن أبي سعيد : أنها نزلت في « النّضر بن الحارث » . وعن مجاهد وعطاء : نحوه .

قال عطاء : لقـد نزل فيه بضـع عشـرة آية[2] ، فحاق به ما سأل من العذاب (يوم بدر) .

وفيه[3] نزل : « سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ »[4] .

قال ابن عباس : كان فيهم أمانان : النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والاستغفار . فذهب النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، وبقي الاستغفار[5] .

روي أنهم كانوا يقولون - في الطواف - : « غفرانك » ، فنزلت . أي « وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ »[6] في حال كونهم مستغفرين .

وقيل : معناه : وفيهم من يستغفر من المسلمين . فلما خرجوا من بين أظهرهم : عذّبهم بيوم بدر ، وما بعده .

وقيل : المعنى : وفي أصلابهم من يستغفر الله .

وقيل : هذا دعاء لهم إلى الإسلام والاستغفار : بهذه الكلمة .

(١) (وهي) أي آخر الآية . هذا ؛ والآيات من قوله تعالى : « وَإِذْ قَالُوا : اللَّهُمَّ ! إِنْ كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ » ، إلى : « وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ » أرقامها : (٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤) من سورة الأنفال . المحقق .

(٢) ذكر نحوه « ابن كثير » عند تفسير هذه الآية . وممن قال أيضاً : إنها نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة : ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، والسّدي . أفاده ابن كثير . المحقق .

(٣) (وفيه) أي : في النضر . أفاده ابن كثير أيضاً ، منسوباً إلى عطاء . المحقق .

(٤) أول سورة المعارج . المحقق .

(٥) أفاده أيضاً ابن كثير ، عند تفسير الآيات المذكورة . المحقق .

(٦) أفاد نحوه (ابن كثير) ، عن « ابن أبي حاتم » بسنده « عن ابن عباس » ، وعن « ابن جرير » بسنده « عن يزيد بن رومان ، ومحمد بن قيس » . المحقق .

وقال مجاهد ، وعكرمة : « يستغفرون » أي يسلمون . يعني لو أسلموا لما عُذّبوا .

قال أهل المعاني : دلّت هذه الآية ، على أن الاستغفار : أمان وسلامة من العذاب[1] .

والأحـاديث عن رسـول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم - في مطلق الاستغفـار - كثيرة جدّاً ، معـروفة في كتب الأحاديث . وتمام تفسير هذه الآيات في (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) فراجعه .

سُورَةُ بَرَاءَة : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ "[2]

وقال النووي : (باب من فضائل عمر ، رضي الله عنه) .

فيه : حديث « ابن عمر » وقد تقدم ، في فضائل عمر رضي الله عنه .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٧ جـ ١٥ ، المطبعة المصرية

أوّله:« لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللّهِ » . إِلَى قوله : « فَأَنْزَلَ اللّهُ : وَلاَ تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّاتَ أَبَداً ، وَلاَ تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ »[2] .

وقد تقدم شرحه هناك[3] .

---

(١) وذكر ابن كثير - عن « ابن أبي حاتم » بسنده - عن ابن عباس ، أنه قال : إنّ الله جعل في هذه الأمة أمانين ، لايزالون معصومين ، مجارين : من قوارع العذاب ، ماداما بين أظهرهم ؛ فأمانٌ قبضه الله إليه ، وأمانٌ بقي فيكم ، ثم تلا الآية . المحقق .

(٢) الآية : (٨٤) من سورة براءة . المحقق .

(٣) هذا الحديث وشرحه ، في الجزءالتاسع ،من ص (٣٠٩) إلى ص(٣١٢)،من (السراج) . المحقق .

(الشرح)

وفي (فتح البيان)[1] قال : الزجاج : معناه : أن رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ كان إذا دُفن الميت : وقف على قبره ، ودعا[2] له ، فمُنع هٰهنا منه[3] .

وقيل : معناه : لا تقم بمهمات إصلاح قبره ، ولا تتولّ دَفْنَه .

ولما نزلت هذه الآية : ما صلّى رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : على منافق ، ولا قام على قبره بعدها .

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما ؛ عن « ابن عمر » ، وذكر[4] حديث الباب ، وقال : له ألفاظ في الصحاح والسنن .

وكان « ابن أبيّ » رئيس الخزرج ، وينسب لأبيه وأمه ؛ فأبوه « أبيّ » ، وأمه « سلول » . وكان اسمه « عبدالله » . والمراد بقوله « لَاتُصَلِّ » : صلاة الجنازة . انتهى[5]

باب في سورة براءة والأنفال والحشر

وهو في النووي ، في آخر (كتاب التفسير) .

---

(١) (فتح البيان) للمؤلف نفسه . المحقق .

(٢) (ودعا) في الأصل : « ودعى » . والصواب ماأثبتناه ، طبقاً لقواعد الإملاء ، لأن الألف في « دعا » أصلها واو . المحقق .

(٣) (منه) أي : من الدعاء للمنافقين . المحقق .

(٤) الضمير في (ذكر - قال) للمؤلف ، في (فتح البيان) . المحقق .

(٥) (انتهى) أي : كلام المؤلف ، في كتابه (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) هذا ؛ وكلمة : « صلاة » ، في الأصل : « صلوة » . المحقق .

حَدِيثُ البَابِ

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٥ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ؛ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : سُورَةُ التَّوْبَةِ ؛ قَالَ : آلتَّوْبَةِ ؟

قَالَ :بَلْ هِيَ الْفَاضِحَةُ ، مَازَالَتْ تَنْزِلُ : « وَمِنْهُمْ » وَ « مِنْهُمْ » ، حَتَّىٰ ظَنُّوا أَنْ لَا يَبْقَىٰ مِنَّا أَحَدٌ ، إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا .

قَالَ : قُلْتُ : سُورَةُ الْأَنْفَالِ . قَالَ : تِلْكَ سُورَةُ بَدْرٍ .

قَالَ : قُلْتُ : فَالْحَشْرُ . قَالَ : نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ) .

الشَّرح

(عن سعيد بن جبير ؛ قال : قلت لابن عباس : سورة التوبة . قال : التوبة[1] ؟ قال : بل هي الفاضحة ، مازالت تنزل : « ومنهم » « ومنهم »[2] ، حتى ظنوا أن لا يبقى منّا أحد ، إلا ذكر فيها[3] .

قال : قلت : سورة الأنفال . قال : تلك سورة بدر .

قال : قلت : فالحشر . قال : نزلت في بني النضير) .

---

(١) (التوبة) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « آلتوبة ؟ » بذكر همزة الاستفهام . المحقق .

(٢) الضمير في « ومنهم » للمنافقين ، وتكرير هذا اللفظ في الحديث : إشارة إلى تعدده في سورة « التوبة » ، كقوله تعالى : « وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ : ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي » الآية (٤٩) . وقوله : « وَمِنْهُم مَّنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ » الآية (٥٨) . وقوله : « وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ ، وَيَقُولُونَ : هُوَ أُذُنٌ » الآية (٦١) . وقوله : « وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ » الآية (٧٥) . وقوله : « وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ » الآية (١٠١) . المحقق .

(٣) (فيها) أي : في سورة التوبة . المحقق .

قال في (فتح البيان)[١] : سورة براءة (مائة وثلاثون[٢] آية) . وقيل : (مائة وسبع وعشرون آية) .

ولها أسماء ؛ منها : سورة « التوبة » ، لأن فيها ذكر التوبة على المؤمنين .

وتسمى : (الفاضحة) .

وتسمى : (البَحُوث) ، لأنها تبحث عن أسرار المنافقين .

وتسمى : (المبْعْثرة) . « والبعثرة » : البحث .

وتسمى أيضاً بأسماء أخر ، كلها بصيغة اسم الفاعل ، إلا « البحوث » بفتح الباء : صيغه مبالغة .

وهي مدنية . قال القرطبي : باتفاق .

قال : وسورة الأنفال ، صرّح كثير من المفسرين بأنها : مدنية .

قال ابن عباس : تلك سورة بدر . وفي لفظ : « نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ » .

وجملة آياتها : خمس - أو ست - أو سبع : وسبعون آية .

وقد « كان النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : يقرؤها في صلاة[٣] المغرب » كما أخرجه الطبراني ، بسند صحيح : عن « أبي أيوب » .

قال : وسورة الحشر أربع وعشرون آية ، وهي مدنية . قال القرطبي : في قول الجميع[٤] .

---

(١) (فتح البيان) للمؤلف نفسه . المحقق .

(٢) (وثلاثون) في الأصل : « وثلثون » . المحقق .

(٣) (يقرؤها - صلاة) . في الأصل : « يقرأها - صلوة » . المحقق .

(٤) أي : مدنية في قول الجميع . المحقق .

قال ابن عباس : نزلت بالمدينة . وعن ابن الزبير مثله .

وأخرج الشيخان ؛ عن سعيد بن جبير ؛ قَالَ : قُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ : سُورَةُ الْحَشْرِ . قَالَ « سُورَةُ النَّضِيرِ » يعني : أنها نزلت في بني النضير ، كما صرّح بذلك ، في بعض الروايات[1] .

سُورَةُ هُودٍ : "بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ"[2]

ولفظ النووي : (باب قوله تعالى : إن الحسنات . . إلخ)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٨٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا : مَادُونَ أَنْ أَمَسَّهَا .

فَأَنَا هَـٰذَا ؛ فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ .

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَقَدْ سَتَرَكَ اللّهُ ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ .

قَالَ : فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، شَيْئاً . فَقَامَ الرَّجُلُ ، فَانْطَلَقَ ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : رَجُلًا ، دَعَاهُ . وَتَلَا عَلَيْهِ هَـٰذِهِ الْآيَةَ : « أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ ، وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ، ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ »[2] .

---

(١) منها حديث الباب . المحقق .

(٢) الآية : (١١٤) من سورة هود . المحقق .

(٣) ذكر النووي هذا الباب ، في (كتاب التوبة) ، (١٧/ ٧٩) ، المطبعة المصرية . المحقق .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ : يَانَبِيَّ اللّهِ ! هَـٰذَا لَهُ خَاصَّةً ؟
قَالَ : « بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً ») .

الشرح

(عن عبد الله بن مسعود)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : جاء رجل إلى النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ فقال : يارسول الله ! إني عالجت امـرأة في أقصى المـدينة ، وإني أصبت منها : مادون أن أمسّها) أي : أتناولها ، وأستمتع بها .

والمـراد بالمـس : الجمـاع . ومعنـاه : استمتعتُ بهـا : بالقبلة والمعانقة ، وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع ، إلا الجماع .

(وأنا[2] هذا ، فاقض فيّ بما[3] شئت . فقال له عمر : لقد سترك الله ، لو سترت نفسـك . قال : فلم يردّ النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ، شيئـاً . فقـام الـرجـل ، فانـطلق . فأتبعـه النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : رجلاً دعاه . وتلا عليه هذه الآية : أَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهارِ)[4] وهما[5] الفجر والظهر . وقيل : الصبح والمغرب . وقيل : الظهر والعصر . وقيل : الفجر والظهر والعصر جميعاً .

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » ، لأنه إذا أطلق اسم « عبد الله » ، فالمقصود به : « عبد الله بن مسعود » . المحقق .

(٢) (وأنا) هكذا بالواو ، وفي مصدر الحديث : « فأنا » بالفاء . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنها في بعض النسخ : « بالفاء » . المحقق .

(٣) (بما) في مصدر الحديث : « ما » بدون باء . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنها في بعض النسخ ، وردت بدون باء . المحقق .

(٤) الآية : (١١٤) من سورة هود . المحقق .

(٥) الضمير في قوله : « وهما » عائد إلى « طرفي النهار » . المحقق .

ورجح « ابن جرير » : أنهما الصبح والمغرب .

قال الرازي : كثرت المذاهب ، في تفسير طرفي النهار . والأشهر : أنهما الفجر والعصر . وصلاة[1] المغرب داخلة تحت قوله : (وزلفاً من الليل) .

« والزلف » : الساعات القريبة ؛ بعضها من بعض . قال الأخفش : هي صلاة[1] الليل .

وقال ابن عباس : صلاة العتمة[2] .

وقال الحسن : صلاة[1] المغرب ، وصلاة[1] العشاء .

(إن الحسنات) أي : الواجبة ، والمندوبة ، وغيرها على العموم . ومن جملتها ، بل عمادها : الصلوات الخمس . قاله ابن مسعود . وزاد ابن عباس : والباقيات الصالحات : (يذهبن السّيئات) على العموم .

وقيل المراد بها : الصغائر . أي : يكفّرنها ، حتى كأنها لم تكن .

(ذلك ذكرى للذاكرين) أي : موعظة للمتّعظين . قال الحسن : هم[3] الذين يذكرون الله ، في السراء والضراء ، والشدة والرخاء ، والعافية والبلاء .

(فقال رجل من القوم : يانبي الله ! هذا له خاصّة ؟ قال : « بل للناس كافة ») .

وفي رواية أخرى عند أهل السنن ؛ قال : « هِيَ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا،مِنْ أُمَّتِي » .

(١) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .
(٢) (صلاة العتمة)هي :« صلاة العشاء » . المحقق .
(٣) (هم) أي : « الذاكرين » . المحقق .

وفي الباب : أحاديث كثيرة ، بألفاظ مختلفة .

قال النووي : هذا تصريح بأن الحسنات تكفّر السيئات . واختلفوا في المراد بالحسنات هنا ؛

فنقل الثعالبي[1] : أن أكثر المفسّرين على أنها : الصلوات الخمس ، واختاره « ابن جرير » ، وغيره من الأئمة .

وقال مجاهد : هي قول العبد : « سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر » .

ويحتمل أن المراد بالحسنات : الحسنات[2] مطلقاً .

قال[3] : وقد سبق في (كتاب الطهارة والصلاة[4]) : ما يكفَّر من المعاصي : بالصلاة[4] وسبق في مواضع .

قال[3] : وزلف الليل : هي ساعته[5] .

ويدخل في صلاة[4] طرفي النهار : الصبح ، والظهر ، والعصر . وفي « زلفا من الليل » : المغرب ، والعشاء .

قال[3] : وهكذا تستعمل « كافّة » حالاً . أي : كلّهم . ولا يضاف ؛ فيقال : « كافة الناس » ، ولا « الكافة » بالألف واللام . و هو معدود في تصحيف العوام ، ومن أشبههم . انتهى[6] .

---

(١) في النووي ، (١٧/ ٧٩) : « الثعلبي » مكان : « الثعالبي » . المحقق .

(٢) (المراد بالحسنات : الحسنات مطلقاً) . في الأصل : سقطت كلمة : « الحسنات » الثانية من الناسخ . المحقق .

(٣) (قال) أي : النووي ، في المصدر المتقدم . فمازال الكلام له . المحقق .

(٤) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .

(٥) لعل الصواب : « ساعاته » بالجمع . المحقق .

(٦) (انتهى)أي :كلام النووي ، في نفس المصدر . المحقق .

سُورَةُ "سُبْحَانَ" : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ"

وهو في النووي ، في:(باب صفة القيامة ، والجنة والنار)[1] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم - فِي حَرْثٍ - ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلَىٰ عَسِيبٍ ، إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ الْيَهُودِ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : سَلُوهُ عَنِ الرُّوحِ .

فَقَالُوا : مَارَابَكُمْ إِلَيْهِ ؟ لاَ يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ .

فَقَالُوا : سَلُوهُ . فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ .

قَالَ : فَأَسْكَتَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئاً . فَعَلِمْتُ : أَنَّهُ يُوحَىٰ إِلَيْهِ .

قَالَ : فَقُمْتُ مَكَانِي . فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ ، قَالَ : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ؟ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ العِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً »)[2] .

(الشَّرح)

(عن عبد الله بن مسعود)[3] رضي الله عنه ؛ (قال : بينما أنا أمشي ، مع النبيّ صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في حرث) : بالثاء المثلثة . وكذا

---

(١) الذي في النووي :(كتاب صفة القيامة . . . إلخ).وليس : « باب » . واسم الباب الذي ذكر فيه الحديث : « باب سؤال اليهود النبيّ ، صلى الله عليه وسلم » عن الرّوح (١٧ / ١٣٦) . المحقق .

(٢) الآية : (٨٥) من سورة الإسراء . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » لشهرة « عبد الله » بين المحدّثين : أنه « ابن مسعود » . المحقق .

رواه البخاري في مواضع . ورواه في أول الكتاب[1] : « خَرِب » بالباء والخاء « جمع : خراب » . قال العلماء : الأول أصوب . وللآخر وجه . ويجوز أن يكون الموضع ، فيه الوصفان[2] .

(وهو متكئ) أي : معتمد (على عسيب) ، هو جريد النخل (إذ مرّ بنفر من اليهود ، فقال بعضهم لبعض : سلوه ، عن الروح . فقالوا : ما رابكم إليه ؟) هكذا في جميع النسخ .

أي : مادعاكم إلى سؤاله ؟ أو ما شكّككم فيه ، حتى احتجتم إلى سؤاله ؟ أو ما دعاكم إلى سؤال تخشون سوء عقباه ؟

(لا يستقبلكم بشيء[3] تكرهونه . فقالوا : سلوه . فقام إليه بعضهم ؛ فسأله عن الروح ؟ قال : فأسكت النبيُّ . صلى الله عليه) وآله (وسلم) أي : سكت . وقيل : أطوق[4] . وقيل : أعرض عنه (فلم يرد عليه[5] شيئاً . فعلمت : أنه يوحىٰ إليه . قال : فقمت مكاني . فلما نزل الوحي ، قال : « وَيَسْأَلُونَكَ[6] عَنِ الرُّوحِ ») وكذا ذكره البخاري في أكثر أبوابه .

قال عياض : وهو وهم . وصوابه : ما في رواية « ابن ماهان » : (فَلَمَّا انْجَلَىٰ عَنْهُ). وكذا رواه البخاري في موضع .

---

(١) (في أول الكتاب) ، في « باب : وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً » ، كما أفاده النووي بص ١٣٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، بنفس المصدر . المحقق .

(٣) (بشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (أطوق) هكذا في الأصل ، والصواب : « أطرق » بالراء ، لا بالواو . المحقق .

(٥) أشار المؤلف – في الهامش – إلى أنه في بعض النسخ « إليه » ، مكان : « عليه » . وهما سواء . المحقق .

(٦) (ويسألونك) في الأصل : « يسألونك » بدون واو ، والتصحيح من كتاب الله ، الآية (٨٥) من سورة الإسراء . هذا ؛ وكلمة « يسألونك » رسمت في الأصل : « يسئلونك » . المحقق .

وفي موضع : « فَلَمَّا صَعِدَ الْوَحْيُ » . قال : وهذا وجه الكلام ، لأنه قد ذكر قبل ذلك نزول الوحي عليه[1] .

قال النووي : قلت : وكل الروايات صحيحة . ومعنى رواية مسلم : أنه لما نزل الوحي ، وتم : نزل قوله تعالى[2] : (قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاّ قَلِيلاً)[3] . هكذا هو في بعض النسخ : « أوتيتم » على وفق القراءة المشهورة . وفي أكثر نسخ البخاري ، ومسلم : « وَمَا أُوتُوا » .

قال المازريّ : الكلام (في الروح والنفس) : مما يغمض ويدِقّ ، ومع هذا : فأكْثَر الناسُ فيه الكلامَ ، وألَّفُوا فيه التآليف ؛

قال أبو الحسن الأشعريّ : هو النّفَس الدّاخل والخارج .

وقال ابن الباقلاني : هو متردّد بين هذا الذي قاله الأشعري ، وبين الحياة .

وقيل : هو جسم لطيف ، مشارك للأجسام الظاهرة ، والأعضاء الظاهرة .

وقال بعضهم : لا يعلم الرّوح إلا الله تعالى ، لقوله : « مِنْ أَمْرِ رَبِّي »[3] .

---

(١) أفاده النووي ، بالمصدر المتقدم ، ص ١٣٧ . المحقق .

(٢) (نزل قوله تعالى) : في الأصل : « نزوله » ، والصواب : ماأثبتناه ، تصحيحاً من النووي ، ص ١٣٧ . المحقق .

(٣) الآية : « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ، وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً » (٨٥) من سورة الإسراء . المحقق .

وقال الجمهور : هي معلومة ، واختلفوا فيها على هذه الأقوال .

وقيل : هي الدم . وقيل غير ذلك .

وليس في الآية دليل على أنها لا تعلم ، ولا أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، لم يكن يعلمها .

وإنما أجاب بما في الآية الكريمة ، لأنه كان عندهم : أنه إن أجاب بتفسير الروح ، فليس بنبي .

وفي « الروح » لغتان ؛ التذكير والتأنيث . انتهى ما ذكره النووي[1] .

وفي (فتح البيان) - بعد ما حكى[2] أقوال أهل العلم ، في معنى الروح وتفسيره - : هو من جنس ما استأثر الله بعلمه : من الأشياء التي لم يعلم بها عباده ، وأبهم أمر الروح ، وهو مبهم في التوراة أيضاً .

قال[3] : والخطاب عامّ لجميع الخلق ، ومن جملتهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم . وقيل : هو خطاب لليهود خاصّة .

والأول أولى ، ويدخل فيه اليهود دخولا أوليّا .

قال[3] : وفي هذه الآية : ما يزجر الخائضين في شأن الروح ، المتكلمين لبيان ماهيّته وإيضاح حقيقته : أبلغ زجر ، ويردعهم أعظم ردع . وقد أطالوا المقال في هذا البحث : مالا يتّسع له المقام . وغالبه ، بل كله : من الفضول ، الذي لا يأتي بنفع في دين ولا في دنيا .

وقد حكى بعض المحققين : أن أقوال المختلفين في الروح : بلغت

---

(١) وتجده في (١٧/١٣٨ ، ١٣٩) . المحقق .

(٢) الحاكي هو نفس المؤلف ، في كتابه (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) . المحقق .

(٣) (قال) أي المؤلف نفسه ، في كتابه المذكور . المحقق .

إلى ثمانية عشر مائة قول . فانظر إلى هذا الفضول الفارغ ، والتعب العاطل عن النفع ، بعد أن علموا أنّ الله سبحانه ، قد استأثر بعلمه ، ولم يطلع عليه أنبياءَه ، ولا أذن لهم بالسؤال عنه ، ولا البحث عن حقيقته - فضلاً عن أممهم المقتدين بهم - فيالله العجب ، حيث تبلغ أقوال أهل الفضول والقانعين بالمعقول عن المنقول : إلى هذا الحدّ الذي لم تبلغه ولا بعضه -فيغير هذه المسألة - مما أذن الله : بالكلام فيه ، ولم يستأثر بعلمه ! وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته، بعدإنفاق الأعمار الطويلة : على الخوض فيه .

والحكمة في ذلك : تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ، ليدلّ على أنه عن إدراك خالقه أعجز . ولذا ردّ ما قيل في حدّه قديماً وحديثاً ، وختم الآية بقوله سبحانه : « وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا »[1] أي : إنّ علمكم الذي ليس إلا المقدار القليل - بالنسبة إلى علم الخالق سبحانه - وإن أوتي حظًا من العلم وافراً ، بل علم الأنبياء عليهم السلام : ليس هو بالنسبة إلى علم الله ، إلا كما يأخذ الطائر في منقاره من البحر ، كما في حديث موسى والخضر .

هذا آخر كلام تفسيرنا (فتح البيان) ، وعليه من أنوار الحق لمعَان ، لا يخفىٰ على إنسان له عينان .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : " أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ "[2]

وهو في النووي،في آخر (كتاب التفسير) .

---

(١) الآية : (٨٥) من سورة الإسراء . المحقق .

(٢) الآية : (٥٧) من سورة الإسراء . المحقق .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ « أُولَئِكَ الَّذين يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ »[1] ؛ قَالَ : كَانَ نَفَـرٌ مِنَ الإِنْسِ ، يَعْبُـدُونَ نَفَـراً مِنَ الْجِنِّ ؛ فَأَسْلَمَ النَّفَـرُ مِنَ الْجِنِّ ، وَاسْتَمْسَـكَ الإِنْسُ بِعِبَـادَتِهِمْ ، فَنَـزَلَتْ : « أُولَـئِكَ الَّذينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ »)[1] .

(الشرح)

(عن عبد الله بن مسعود)[2] رضي الله عنه ؛ («أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُـونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ[1]» قال : كان نفر من الإنس ، يعبدون نفراً من الجنّ ، فأسلم النّفـر من الجن ، واستمسـك الإنس بعبـادتهم ، فنـزلت « أُولَـئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ »)[1] .

وفي رواية أخرى ، بلفظ : « نَزَلَتْ فِي نَفَرٍ مِنَ الْعَرَبِ ، كَانُوا يَعْبُدُونَ نَفَــراً مِنَ الْجِنِّ ، فَأَسْلَمَ الْجِنِّيُّونَ ، وَالإِنْسُ الَّـذِينَ كَانُـوا يَعْبُـدُونَهُمْ ، لَا يَشْعُرُونَ ، فَنَزَلَتْ »[3] .

قال في (فتح البيان) : « الوسيلة » هي القربة بالطاعة والعبادة . أي : يتضرّعون إلى الله ، في طلب ما يقرّبهم إلى ربّهم .

---

(١) الآية : (٥٧) من سورة الإسراء . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » ، اكتفاء بشهرة « عبد الله » . المحقق .

(٣) (فنـزلت) أي : « أولئـك الـذين يدعـون » الآية . وهـذه الـرواية ، هي رواية « عبد الله بن عتبة»، عن ابن مسعود ، أما حديث الباب ، فهو من رواية أبي معمر عن ابن مسعود . المحقق .

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا"[1]

وذكره النووي ، في الجزء الثاني ، في:(باب التوسّط في القرآن في الصلاة[2] الجهرية ، والإسرار : إذا خاف من الجهر مفسدة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٤ جـ ٤ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ - فِي قَوْلِـهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ ، وَلَا تُخَافِتْ بِهَا »[1] ؛ قَالَ : نَزَلَتْ وَرَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، مُتَوَارٍ بِمَكَّـةَ ، فَكَـانَ إِذَا صَلَّىٰ بِأَصْحَابِهِ : رَفَعَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ . فَإِذَا سَمِعَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ : سَبُّوا الْقُرْآنَ ، وَمَنْ أَنْزَلَهُ ، وَمَنْ جَاءَ بِهِ . فَقَالَ اللّهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ »،فَيَسْمَعَ الْمُشْرِكُونَ قِرَاءَتَكَ . « وَلَا تُخَـافِتْ بِهَـا » عَنْ أَصْحَـابِـكَ . أَسْمِعْهُمُ الْقُـرْآنَ ، وَلَا تَجْهَرْ ذَلِكَ الْجَهْرَ ، « وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً »[1]، يَقُولُ : بَيْنَ الْجَهْرِ ، وَالْمُخَافَتَةِ) .

(الشَّرح)

(عن ابن عباس ، رضي الله عنهما[3] - في قوله تعالى [4] « وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ[5] وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ، وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً[6] » قال : نزلت ورسول

(١) الآية : (١١٠) من سورة الإسراء . المحقق .

(٢) (الصلاة) . في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٤) (تعالى) في مصدر الحديث : « عز وجلّ » . المحقق .

(٥) (بصلاتك) . في الأصل : « بصلاتل ». المحقق .

(٦) لم يذكر بمصدر الحديث : « وابتغ بين ذلك سبيلاً » . المحقق .

الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، متوارٍ بمكة ، فكان إذا صلى بأصحابه : رفع صوته بالقرآن . فإذا سمع ذلك المشركون : سبّوا القرآن ، ومن أنزله ، ومن جاء به . فقال الله عز وجل[1] لنبيه ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « ولا تجهر بصلاتك »،فيسمع المشركون قراءتك . « ولا تخافت بها » عن أصحابك . أسمعهم القرآن ، ولا تجهر ذلك الجهر ، « وابتغ بين ذلك سبيلاً » يقول : بين الجهر ، والمخافتة) .

قال النووي : ذكر مسلم في الباب « حديث ابن عباس » ، وهو ظاهر فيما ترجمنا له . وهو مراد مسلم بإدخال هذا الحديث هنا . وذكر تفسير عائشة : أن الآية نزلت في الدُّعاء ، واختاره الطبري وغيره ، لكن المختار الأظهر : ما قاله ابن عباس . انتهى[2] .

وفي (فتح البيان) ، عن محمد بن سيرين ، (قَالَ : نُبِّئْتُ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ ، كَانَ إِذَا قَرَأَ : خَفَضَ . وَكَانَ عُمَرُ إِذَا قَرَأَ : جَهَرَ ؛ فَقِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ : لِمَ تَصْنَعُ هَـٰذَا ؟ فَقَالَ : أَنَا أُنَاجِي رَبِّي ، وَقَدْ عَرَفَ حَاجَتِي . وَقِيلَ لِعُمَرَ : لِمَ تَصْنَعُ هَـٰذَا ؟ قَالَ : أَطْرُدُ الشَّيْطَانَ ، وَأُوقِظُ الْوَسْنَانَ . فَلَمَّا نَزَلَ - يَعْنِي هَـٰذِهِ الْآيَةَ - قِيلَ لِأَبِي بَكْرٍ : ارْفَعْ شَيْئاً . وَقِيلَ لِعُمَرَ : اخْفِضْ شَيْئاً) .

قال[3] : وعلى التفسير الثاني ، معنى ذلك : النّهي عن الجهر بقراءة الصلوات كلّها ، والنّهي عن المخافتة بقراءة الصلوات كلّها . والأمر :

---

(١) هنا في مصدر الحديث : « تعالى » مكان : « عز وجل » . المحقق .

(٢) (انتهى) ماذكره النووي ، وهو بص ١٦٤ ، ١٦٥ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (قال) أي : المؤلف ، في تفسيره (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) ، « ٤٧٠/٧ » ، المطبوع على نفقة « إحياء التراث الإسلامي ، بدولة قطر » . المحقق .

بجعل بعض منها مجهوراً به ، وهو صلاة[1] الليل . والمخافتة بصلاة[1] النهار .

وذهب قوم إلى أن هذه الآية : منسوخة بقوله : « ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً »[2] . انتهى[3] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في:(الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٥ جـ ٤ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ - فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاَتِكَ ، وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا - ، قَالَتْ : أُنْزِلَ هَـٰذَا فِي الدُّعَاءِ) .

(الشَّرح)

(عن عائشة رضي الله عنها[4] - في قوله تعالى[5] : « وَلاَ تَجْهَرْ بِصَلاٰتِكَ وَلاَ تُخَافِتْ بِهَا[6] - ؛ قالت : أنزلت هـٰذه[7] في الدعاء) .

---

(١) (صلاة) . في الأصل : « صلوة » . المحقق .

(٢) الآية : (٥٥) من سورة الأعراف . المحقق .

(٣) (انتهى) ماذكره المؤلف ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٤) لم يذكر بمصدر الحديث : «رضي الله عنها» ، كما يفيد صنيع المؤلف . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث : « عز وجل » مكان : « تعالى » . المحقق .

(٦) الآية : (١١٠) من سورة الإسراء . المحقق .

(٧) في مصدر الحديث : « أنزل هذا » ، بدل : « أنزلت هذه » ، وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

وروي عنها ، أنها قالت : « إنها أنزلتْ في التّشهد »، كما في (فتح البيان)[1] .

سُورَةِ الكَهْفِ: بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا "[2]

وهو في النووي ، في:(باب[3] صفة القيامة ، والجنة والنار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ قَالَ : « إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ : جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ؛ اقْرَأُوا : فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً »)[2] .

---

(١) ذكر ذلك : المؤلف ، في كتابه : فتح البيان (٤٦٩/٧) ، وعبارته ، توهم : أنهما روايتان اثنتان ، عن عائشة ؛ وليس كذلك . وإليك التوضيح ، من إرشاد الساري (٢١٣/٧) ط المطبعة الكبرى / ببولاق ؛ قال القسطلاني مانصه : (عن عائشة ، أنها قالت : أنزل) أي قوله: «ولا تجهر. . . إلخ»(في الدعاء) : من باب « إطلاق الكل على الجزء » ، إذ الدعاء من بعض أجزاء الصلاة .
قال : وأخرج الطبري ، وابن خزيمة ، والحاكم : من طريق « حفص بن غياث » ، عن هشام : (الحديث) ، وزاد فيه : « في التَّشَهُّدِ » وهو[أي : لفظ : في التشهد] مخصص لحديث « عائشة » ، إذ ظاهره[أي : ظاهر حديث عائشة] أعمّ من أن يكون : داخل الصلاة وخارجها .
قال : وعند « ابن مردويه » من حديث « أبي هريرة » : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، إِذَا صَلَّىٰ - عِنْدَ الْبَيْتِ - رَفَعَ صَوْتَهُ بِالدُّعَاءِ ، فَنَزَلَتْ) . انتهى كلام القسطلاني بالمصدر المتقدم ، وبه يتّضح المقام ، ويزول الإبهام الذي في كلام المؤلف . المحقق .

(٢) الآية : (١٠٥) من سورة الكهف . المحقق .

(٣) الذي في النووي ، (١٢٩/١٧) ، المصدر المتقدم هو : (كتاب صفة القيامة . . إلخ) ، بلفظ : « كتاب » ، وليس : « باب » ، كما ذكر المؤلف . المحقق .

الشرح

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (عن النبي[1] صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ قال : « إنه ليأتي الرّجُل العظيم السمين - يوم القيامة - لا يزن عند الله جناح بعوضة ؛ اقرأوا[2] : فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً »)[3] .

وقال النووي : معناه : أي لا يعدل - في القدر والمنزلة - جناحها . أي : لا قدر له .

وفيه : ذمّ السمن . انتهى[4] .

وتمام الآية هكذا : « الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً . أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً[5] » . أي : لا يكون لهم عندنا قدر ولا منزلة ، ولا نعبأ بهم ، بل نزدريهم ونستذلّهم .

وقيل : لا يقام لهم ميزان توزن به أعمالهم ، لأن ذلك إنما يكون : لأهل الحسنات ، والسيئات : من الموحّدين . وهؤلاء : لا حسنات لهم .

قال ابن الأعرابي : العرب تقول : ما لفلان عندنا وزن - أي : قدر - لخسّته . ويوصف الرجل بأنه لاوزن له : لخفّته ، وسرعة طيشه ، وقلة تثبته .

والمعنى على هذا : أنهم لا يعتدّ بهم ، ولا يكون لهم عند الله قدر ولا منزلة . كذا في (فتح البيان) .

(١) في مصدر الحديث : « رسول الله » ، مكان : « النبي » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ ، كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٢) (اقرأوا) رسمت في الأصل : « اقرؤا » . المحقق .

(٣) الآية : (١٠٥) من سورة الكهف . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، وهو في ص١٢٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) هما آيتان ، ورقمهما (١٠٤ ، ١٠٥) من سورة الكهف . المحقق .

سُورَةُ مَرْيَمَ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ"[1]

وهو في النووي ، في:(باب جهنم ، أعاذنا الله منها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٤ ، ١٨٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَأَبُو كُرَيْبٍ - وَتَقَارَبَا فِي اللَّفْظِ - ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا أَبُومُعَاوِيَةَ عَنِ الأَعْمَشِ ؛ عَنْ أَبِي صَالِحٍ ؛ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ؛ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يُجَاءُ بِالْمَوْتِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ ، - زَادَ أَبُو كُرَيْبٍ : فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، وَاتَّفَقَا فِي بَاقِي الْحَدِيثِ - فَيُقَالُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا ؟ فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ . هَـٰذَا الْمَوْتُ . قَالَ : وَيُقَالُ : يَاأَهْلَ النَّارِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا ؟ قَالَ : فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ . هَـٰذَا الْمَوْتُ . قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ ، فَيُذْبَحُ .

قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! خُلُودٌ ، فَلاَ مَوْتَ .

وَيَاأَهْلَ النَّارِ ! خُلُودٌ ، فَلاَ مَوْتَ . قَالَ : ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ، إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ »[1]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الدُّنْيَا) .

(الشَّرح)

(عن أبي سعيد)[2] رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى

(١) الآية : (٣٩) من سورة مريم . المحقق .

(٢) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلّق بعض رجاله : ببعض ألفاظ الحديث . المحقق .

الله عليه) وآله (وسلم : يُجَاء بالموت - يوم القيامة - كأنه كبش أملح) قيل : هو الأبيض الخالص . قاله ابن الأعرابي .

وقال الكسائي : هو الذي فيه بياض وسواد ، وبياضه أكثر . (-زاد أبو كريب : فيوقف بين الجنة والنار ، واتفقا في باقي الحديث - فيقال : ياأهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون) بالهمز ، أي : يرفعون رؤوسهم[1] إلى المنادي (وينظرون ، ويقولون : نعم . هذا الموت . قال : ثم يقال[2] : ياأهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ قال : فيشرئبون وينظرون ، ويقولون : نعم . هذا الموت . قال : فيؤمر به ، فيذبح) .

قال المازري : « الموت » - عند أهل السنة - عرض ، يضادّ الحياة .

وقال بعض المعتزلة : ليس بعرض ، بل معناه : عدم الحياة . وهذا خطأ لقوله تعالى : « خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ »[3] . فأثبت الموت مخلوقاً .

وعلى المذهبين[4] : ليس الموت بجسم (في صورة كبش ، أو غيره) فيتأوّل الحديث : على أن الله يخلق هذا الجسم ، ثم يذبح مثالاً ، لأنّ الموت لا يطرأ على أهل[5] الآخرة .

(قال : ثم يقال : ياأهل الجنة ! خلود ، فلا موت . وياأهل النار ! خلود ، فلا موت) .

---

(١) (رؤوسهم) : في الأصل : « رؤسهم » ، والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « ويقال » بالواو هنا ، لا بـ « ثم » . المحقق .

(٣) « الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ » الآية رقم (٢) بسورة الملك . المحقق .

(٤) (وعلى المذهبين) : مذهب أهل السنّة ، ومذهب بعض المعتزلة . المحقق .

(٥) يلاحظ - هنا - أن المؤلف سكت على هذا التأويل ، دون أن يعترض - كعادته - فلا ندري : هل سكوته - هنا - إقرار بما ذكره النووي ؟ المحقق .

فيه : تصريح ببقاء الجنة والنار ، وأنهما لا تفنيان أبداً ، وأصحابهما[1] خالدون فيهما أبداً .

والحديث يردّ : قول من قال بفناء النار ، من أهل العلم والسلوك ، ويدفعه .

وهذا الحديث ، وما وافقه من آيات الكتاب العزيز : نصوص محكمة ، صريحة في عدم فنائها وفناء أصحابها . والله أعلم .

ويؤيده[2] : الرواية الأخرى بلفظ : « يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! لَا مَوْتَ ، وَيَاأَهْلَ النَّارِ ! لَا مَوْتَ ، كُلٌّ خَالِدٌ فِيمَا هُوَ فِيهِ »[3] . وزاد في رواية : « فَيَزْدَادُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَرَحاً إِلَىٰ فَرَحِهِمْ ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْناً إِلَىٰ حُزْنِهِمْ »[4] .

(قال : ثم قرأ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ »[5] وأشار بيده إلى الدنيا) .

وفي رواية عند غير مسلم : (أَشَارَ بِيَدِهِ ، فَقَالَ : « أَهْلُ الدُّنْيَا فِي غَفْلَةٍ »)[6] .

---

(١) (وأصحابهما) أي : أصحاب الجنة ، وأصحاب النار . المحقق .

(٢) (ويؤيّده) أي : ويؤيّد أن الجنة والنار ، لا تفنيان أبداً : الرواية الأخرى . المحقق .

(٣) هي رواية : نافع ، عن عبد الله بن مسعود ، وهي في (١٧/ ١٨٥ ، ١٨٦)، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) هذه الزيادة ، في رواية أخرى - وهي « عن عبد الله بن عمر » -،وهي بنفس المصدر ص ١٨٦ . المحقق .

(٥) الآية : (٣٩) من سورة مريم . المحقق .

(٦) قال ابن كثير (٣/١٢٢) - عند تفسير الآية « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ » - : قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن عُبيد ، حدثنا الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ؛ قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ : الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ : النَّارَ ، يُجَاءُ بِالْمَوْتِ كَأَنَّهُ كَبْشٌ أَمْلَحُ ، فَيُوقَفُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ ، فَيُقَالُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا ؟ قَالَ : فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ . هَـٰذَا الْمَوْتُ - قَالَ - : فَيُقَال : يَاأَهْلَ النَّارِ ! هَلْ تَعْرِفُونَ هَـٰذَا ؟ قَالَ : فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ ، وَيَقُولُونَ : نَعَمْ . هَـٰذَا =

وأخـرج النسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه - عن أبي هريرة مرفوعاً -: نحوه .[1]

قال في (فتح البيان) : عن ابن عباس ؛ قَالَ : « يَوْمُ الْحَسْرَةِ ، هُوَ مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . وَقَرَأَ : « أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ »[2] . وفي سنده « علي بن أبي طلحة » ، وهو ضعيف .

قال الشوكاني في (فتح القدير): والآية التي استدلّ بها «ابن عباس»، رضي الله عنهما : لا تدلّ على المطلوب : لا بمطابقة ، ولا تضمّن ، ولا التزام . انتهى[3] .

ومعنى الآية الشريفة : « يوم يتحسّرون جميعاً ؛ فالمسيء يتحسّر على إساءته ، والمحسن على عدم استكثاره من الخير : « إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ » من الحساب ، وطويت الصحف ، وصار أهل الجنة في الجنة ، وأهل النار في النار ، وهم غافلون عما يعمل بهم ، « وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » به ، والله أعلم .

= الْمَوْتُ - قَالَ - : فَيُؤْمَرُ بِهِ ، فَيُذْبَحُ . قَالَ : وَيُقَالُ : يَاأَهْلَ الْجَنَّةِ ! خُلُودٌ ، وَلَا مَوْتَ . وَيَاأَهْلَ النَّارِ ! خُلُودٌ ، وَلَا مَوْتَ » ثم قرأ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : « وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ » وَأَشَارَ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : « أَهْلُ الدُّنْيَا فِي غَفْلَةِ الدُّنْيَا » بزيادة « الدنيا » بعد كلمة « غفلة » . قال ابن كثير : هكذا رواه الإمام أحمد . المحقق .

(١) ذكر الشوكاني في « فتح القدير » (٣/٣٣٥) بعد ذكر الحديث المتقدم ، ذكر الزيادة التي ذكرها المؤلف وهي : وأشار بيده ، قال : « أهل الدنيا في غفلة » . وليس في « غفلة الدنيا » كما في ابن كثير . ثم قال - كما قال المؤلف -:وأخرج النسائي ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه : عن أبي هريرة مرفوعاً نحوه . المحقق .

(٢) ذكره المؤلف - في تفسيره : فتح البيان (٨/١٦٢) - هذا ؛ والآية بسورة الزمر ، رقم (٥٦) . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام صاحب (فتح القدير) . المحقق .

بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: "أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا"[1]

وهو في النووي ، في:(باب[2] صفة القيامة ، والجنة والنار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَبُوبَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ الْأَشَـجُّ - وَاللَّفْظُ لِعَبْدِ اللَّهِ - ؛ قَالاَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ عَنْ أَبِي الضُّحَىٰ ، عَنْ مَسْرُوقٍ ، عَنْ خَبَّابٍ ؛ قَالَ : كَانَ لِي عَلَى « الْعَاصِ ابْنِ وَائِلٍ » دَيْنٌ ، فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ .

فَقَالَ لِي : لَنْ أَقْضِيَكَ ، حَتَّىٰ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ .

قَالَ : فَقُلْتُ لَهُ : إِنِّي لَنْ أَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ ، حَتَّىٰ تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ .

قَالَ : وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ؟ فَسَوْفَ أَقْضِيكَ ، إِذَا رَجَعْتُ إِلَىٰ مَالٍ وَوَلَدٍ .

قَالَ وَكِيعٌ : كَذَا قَالَ الْأَعْمَشُ . قَالَ : فَنَزَلَتْ هَـٰذِهِ الْآيَةُ : « أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا .

وَقَالَ : لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً » إِلَىٰ قَوْلِهِ : « وَيَأْتِينَا فَرْداً »)[3] .

(الشَّرح)

(عن خباب[4] ؛ قال : كان لي على « العاص بن وائل » دين ، فأتيته

(١) الآية : (٧٧) من سورة مريم . المحقق .

(٢) تقدم أكثر من مرة أن بيّنا : أن الذي في النووي ، ص ١٢٩ : (كتاب صفة القيامة .. إلخ) « كتاب » ، وليس : « باب » . والحديث مذكور في النووي ، في (باب سؤال اليهود النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم عن الروح ، وقوله تعالى : يسألونك عن الروح) . انظر ص ١٣٨ ، المصدر المذكور . المحقق .

(٣) الآيات : (٧٧) إلى (٨٠) من سورة مريم . المحقق .

(٤) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله ، ببعض ألفاظ الحديث . المحقق .

أتقاضاه . فقال لي : لن أقضيك ، حتى تكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم[1] قال : فقلت له : إني لن أكفر بمحمد) ، حتى تموت ثم تبعث .

قال : وإني لمبعوث من بعد الموت ؟ فسوف أقضيك ، إذا رجعت إلى مال وولد . قال وكيع : كذا قال الأعمش . قال : فنزلت هذه الآية : « أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا ، وَقَالَ : لَأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً » إلى قوله : « وَيأْتِينا فَرْداً » تمام الآية الشريفة - بعد قوله ولداً - هكذا : « أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَم اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَـٰنِ عَهْداً ؟ كَلَّا ! سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً . وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْداً »[2] . أي : لا مال له ، ولا ولد ، ولا عشيرة ، بل نسلبه ذلك . فكيف يطمع في أن نعطيه . والله أعلم . وانظر تفسير هذه الآية في (فتح البيان) ، فإن المقام لا يتسع لذكره على التمام .

سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ"[3]

وهو في النووي ، في:(باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٣ ، ١٩٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ . ح

---

(١) (صلى الله عليه وسلم) هذه الجملة رمز إليها المؤلف : بالحرف « ص » . وهي ليست مذكورة في مصدر الحديث . وليست من مقول « العاص » قطعاً . المحقق .

(٢) الآيات : (٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠) من سورة مريم . المحقق .

(٣) الآية : (١٠٤) من سورة الأنبياء . المحقق .

وَحدَّثَنَا عُبَيْدُ اللّهِ بْنُ مُعَاذٍ ، حَدَّثَنَا أَبِي - كِلاَهُمَا عَنْ شُعْبَةَ - . ح وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ - وَاللَّفْظُ لاِبْنِ الْمُثَنَّىٰ - ؛ قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّـدُ بْنُ جَعْفَـرٍ ، حَدَّثَنَـا شُعْبَةُ : عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ النُّعْمَانِ ، عَنْ سَعِيدِ ابْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّـاسٍ ؛ قَالَ : قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، خَطِيبـاً بِمَوْعِظَةٍ ؛ فَقَالَ : « يَاأَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ - إِلَى اللّهِ - حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً ، - كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا . إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ[1] - .

أَلَا ! وَإِنَّ أَوَّلَ الْخَلاَئِقِ يُكْسَىٰ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - : إِبْرَاهِيمُ « عَلَيْهِ السَّلاَمُ » .

أَلَا ! وَإِنَّـهُ سَيُجَـاءُ بِرِجَـالٍ مِنْ أُمَّتِي ، فَيُؤْخَـذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ . فَأَقُولُ : يَارَبِّ ! أُصَيْحَابِي .

فَيُقَالُ : إِنَّكَ لاَ تَدْرِي : مَاأَحْدَثُوا بَعْدَكَ .

فَأَقُولُ - كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ - : وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[2] .

قَالَ : فَيُقَالُ لِي : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ ، مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ » .

وَفِي حَدِيثِ وَكِيعٍ ، وَمُعَاذٍ : « فَيُقَالُ : إِنَّكَ لاَ تَدْرِي : مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ »)[3] .

---

(١) الآية : (١٠٤) من سورة الأنبياء . المحقق .

(٢) الآيتان : (١١٧، ١١٨) من سورة المائدة . المحقق .

(٣) (وفي حديث وكيع ، ومعاذ : « فيقال : إنك لا تدري : ماأحدثوا بعدك ») لم يذكر هذا في الأصل ، وقد أثبتناه من مصدر الحديث . المحقق .

الشرح

(عن ابن عباس رضي الله عنهما[١] ؛ قال : قام فينا رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، خطيبا بمـوعظة ؛ فقال : ياأيها الناس ! إنكم محشورون[٢] إلى الله ، عز وجل حُفاة) جمع حافٍ . (عُراة) : جمع عارٍ (غُرلا) بضم الغين وإسكـان الراء : غير مختونين . جمع « أغرل » وهو الذي لم يختن ، وبقيت معه غرلته ، وهي قلفته : وهي الجلدة التي تقطع في الختـان . قال الأزهـري وغيره : هو الأغرل ، والأرغل ، والأغلف ، والأقلف ، والأعرم[٣] . وجمعه : (غرل ، ورغل ، وغلف ، وقلف ، وعرم) .

(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)[٤] المقصود : أنهم يحشرون كما خلقوا ، لا شيء[٥] معهم ، ولا يفقد منهم شيء[٥] ، حتى الغرلة تكون معهم .

قال في (فتح البيان) أي : نعيده بعـد إعـدامـه ، تشبيهـاً للإعادة بالابتداء : في تناول القدرة لهما على السواء . أي : كما بدأناهم في بطون أمهـاتهم ، وأخـرجنـاهم إلى الأرض - حفـاة ، عراة ، غرلا - ؛ كذلـك نعيدهم يوم القيامة . وإنما خصّ أول الخلق بالذّكر : تصويراً للإيجاد عن العدم .

---

(١) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله بآخر الحديث ، هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) (محشورون) هكذا في الأصل ، وهو في مصدر حديث الباب : « تُحشرون » هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٣) (والأعرم) : بالعين المهملة . وهو في الأصل : بالغين المعجمة . والصواب : ماأثبتناه ، تصحيحا من النووي (١٨/١٩٣) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) الآية : (١٠٤) من سورة الأنبياء . المحقق .

(٥) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

والمقصـود : بيان صحّـة الإعـادة ، بالقياس على المبـدأ ، لشمول الإمكان الذي لهما (وَعْداً عَلَيْنا) : إنجازُه ، والوفاء به ، وهو البعث والإعادة .

(إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)[1] أي : محقّقين هذا الوعد ، فاستعدّوا له ، وقدّموا صالح الأعمال : للخلاص من هذه الأهوال .

قال الزجاج : معناه : إنا كنّا قادرين على ما نشاء .

وقيل : فاعلين ماوعدناكم . ومثله قوله : « وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً »[2] .

(ألا ؛ وإن أول الخـلائق يكسى - يوم القيامـة - : إبـراهيم عليه السلام)[3] لأنه أول من ألقي في النار عرياناً في سبيل الله ، فيكسى ، قبل الخـلائق كلهم : في الآخـرة . (ألا ؛ وإنه سيجاء[4] برجال من أمتي ، فيؤخذ بهم : ذات الشمال ، فأقول : ياربّ ! أصحابي . فيقال : إنك لا تدري : ما أحدثوا بعدك)[5] .

قال النووي : هذا الحديث ، سبق شرحه في كتاب الطهارة . وهذه الرواية : تؤيّد قول من قال - هناك - المراد به : الذين ارتدّوا عن الإسلام . انتهى[6] .

وحـاصـل ما شرح - في الجزء الأول - في كتاب الطهارة : اختلف

---

(١) الآية بتمامها : « يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ، كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ، كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ، وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ » (١٠٤) الأنبياء . المحقق .

(٢) الآية : (٥) من سورة الإسراء . المحقق .

(٣) صنيع المؤلف ، يدل على أنه ، في بعض النسخ ، لم يذكر : « عليه السلام » . المحقق .

(٤) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « ليجاء » مكان : « سيجاء » . المحقق .

(٥) صنيع المؤلف ، يدل على أنه في بعض النسخ ، لم يذكر كلمة : « بعدك » . المحقق .

(٦) (انتهى) كلام النووي ، و هو في (١٧/ ١٩٤) المصدر المتقدم . المحقق .

العلماء في المراد به على أقوال ؛

أحدها : أن المراد به : المنافقون والمرتدّون ، فيجوز : أن يحشروا بالغرّة والتحجيل ، فيناديهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : بالسيماء التي عليهم ، فيقال : ليس هؤلاء مما وعدت بهم . إنّ هؤلاء بدّلوا بعدك . أي : لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم .

والثاني : أن المراد : من كان في زمن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتدّ بعده . فيناديهم النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن لم يكن عليهم سيماء الوضوء ، لما كان يعرفه صلى الله عليه وآله وسلم في حياته : من إسلامهم . فيقال : ارتدّوا بعدك .

الثالث : أن المراد به : أصحاب المعاصي والكبائر ، الذين ماتوا على التوحيد ، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام . (وعلى هذا القول ، لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون:بالنار) بل يجوز : أن يذادوا عقوبة لهم ، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى ، فيدخلهم الجنة بغير عذاب .

وقال الإمام الحافظ « أبو عمرو بن عبد البر » : كلّ من أحدث في الدين ، فهو من المطرودين عن الحوض : كالخوارج ، والروافض ، وسائر أصحاب الهواء[1] . قال : وكذلك الظلمة ، المسرفون في الجور وطمس الحق ، والمعلنون بالكبائر .

قال : وكل هؤلاء يخاف عليهم : أن يكونوا ممن عُنوا بهذا الخبر . والله أعلم . انتهى[2] .

---

(١) (الهواء) هكذا في الأصل . والصواب : « الأهواء » . المحقق .

(٢) (انتهى) أي : كلام « ابن عبد البر » . المحقق .

(فأقول - كما قال العبد الصالح) يعني : عيسى عليه السلام : (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّادُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ[1] شَهِيدٌ . إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[2] قاله على وجه الاستعطاف ، كما يُستعطف السيّد بعبده . ولهذا لم يقل : « إن تعذبهم ، فإنهم عصوك » .

وقيل : قاله على وجه التسليم لأمر الله ، والانقياد له . والأول : أشبه . والله أعلم .

(قال : فيقال لي : إنهم لم يزالوا مرتدين[3] على أعقابهم ، مذ فارقتهم)[4] . تقدم الكلام على هذه الجملة قريباً ، ويدخل في ذلك : كل من ارتدّ على عقبه من أهل البدعات والمحدثات : (في العقائد ، والأعمال) ومن هؤلاء : المقلّدة ، الذين يرجّحون أقوال الرجال : على أقوال الله ، وأقوال رسوله ، صلى الله عليه وآله وسلم . ويذرون النصوص ، ويتمسكون بالقياسات (في مقابلتها)[5] ، ويأخذون العقائد : من كتب المتكلّمين ، ولا يأخذونها : من دواوين السنة ، ولا من كتاب ربّ العالمينَ .

---

(١) (شيء) : في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) الآيتان : (١١٧ ، ١١٨) من سورة المائدة . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - . بما يفيد أنه في بعض النسخ : « مُدْبِرِين » مكان : « مرتدّين » . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « منذ » مكان : « مذ » . المحقق .

(٥) (في مقابلتها) أي : في مقابلة النصوص . أقول : وهذا ليس على إطلاقه ، بل ينبغي أن يخصّ به : أصحاب الأهواء ، الذين يلوون النصوص عن وجهها ، حتى توافق أهواءهم . المحقق .

سُورَةُ الْحَجِّ : بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ"[1]

وهو في النووي ، في: آخر (كتاب التفسير) ، وعليه ختم مسلمٌ صحيحَه .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٦ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَاذَرٍّ يُقْسِمُ قَسَماً : إِنَّ « هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ »[1] إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الَّذِين بَرَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ : « حَمْزَةُ ، وَعَلِيٌّ ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ ، وَعُتْبَةُ وَشَيْبَةُ - ابْنَا رَبِيعَةَ - ، وَالْوَلِيدُ بْنُ عُتْبَةَ ») .

(الشَّرح)

(عن قيس بن عباد ؛ قال : سمعت أباذرّ يقسم قسماً : إنّ « هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ »[1] إنها نزلت في الذين برزوا يوم بدر : حمزة وعليّ ، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة وشيبة - ابنا ربيعة - ، والوليد بن عتبة) . وقال بمثل هذا : جماعة من الصحابة والتابعين - وهم أعرف من غيرهم بأسباب النزول - . وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أيضاً ، عن علي ؛ أَنَّهُ قَالَ :« فِينَا نَزَلَتْ هَٰذِهِ الْآيَةُ ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو فِي الْخُصُومَةِ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ ، بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ »[2] .

---

(١) الآية : (١٩) من سورة الحج . المحقق .

(٢) قال النووي ، في (١٨/١٦٦) المصدر المتقدم - بعد ذكر الحديث - قال مانصّه : وهذا الحديث ، مما استدركه الدارقطني ؛ فقال : أخرجه البخاري ، عن أبي مجلز ، عن قيس ، عن عليّ ، رضي الله عنه : « أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَجْثُو لِلْخُصُومَةِ » قَالَ قَيْسٌ : وفيهم نزلت الآية . قال النووي : ولم يجاوز به قيساً . المحقق .

وقيل : الخصمان ، أحدهما : أنْجَسُ الْفِرَقِ « اليهود ، والنصارى ، والصابئون ، والمجوس ، والذين أشركوا » ، والخصم الآخر : المسلمون . فهما فريقان يختصمان . قاله الفراء وغيره .

وقيل : المراد بالخصمين : « الجنة والنار » ؛ قالت الجنة : خلقتني لرحمة ، وقالت النار : خلقتني لعقوبة . وهو ضعيف . والأول أولى .

قال أبوحيان : الظاهر أن الاختصام ، هو في الآخرة ، بدليل التقسيم : بالفاء الدالة على التعقيب ، في قوله : « فَالَّذِينَ كَفَرُوا »(١) . وإن قلنا هذا في الدنيا ، فالجواب : أنه لما كان تحقيق مضمونه في ذلك اليوم : صحّ جَعْلُ يوم القيامة ظرفاً له ، بهذا الاعتبار . والله أعلم .

سُورَةُ النُّورِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا(٢) بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ "(٣)

وقال النووي : (باب في حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٢ - ١١٤ ، جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا حِبَّانُ بْنُ مُوسَىٰ ؛ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ الْمُبَارَكِ ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ الْأَيْلِيُّ . ح وَحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ : - قَالَ ابْنُ رَافِعٍ : حَدَّثَنَا . وَقَالَ الْآخَرَانِ : أَخْبَرَنَا - عَبْدُ الرَّزَّاقِ ؛ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ .

(١) « فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ » نفس الآية رقم (١٩) من سورة الحج . المحقق .

(٢) (جاءوا) : في الأصل : وضعت الهمزة فوق الواو . المحقق .

(٣) الآية : (١١) من سورة النور . المحقق .

وَالسِّيَاقُ : حَديثُ مَعْمَرٍ ، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدٍ وَابْنِ رَافِعٍ .

قَالَ يُونُسُ وَمَعْمَرٌ (جَميعاً) عَنِ الزُّهْرِيِّ ؛ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ، وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ ، وَعُبَيْدُ اللّهِ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ؛ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ - زَوْجِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم - حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا ، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا . وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا . وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَىٰ لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ ، وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصاً . وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ : الْحَدِيثَ الَّذي حَدَّثَنِي . وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضاً ؛ ذَكَرُوا : أَنَّ عَائِشَةَ - زَوْجَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم - قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَراً : أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا : خرَجَ بِهَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، مَعَهُ .

قَالَتْ عَائِشَةُ : فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا - فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا - فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي ، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، - وَذَلِكَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ - فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي ، وَأُنْزَلُ فِيهِ : مَسِيرَنَا ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، مِنْ غَزْوِهِ وَقَفَلَ ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ : آذَنَ - لَيْلَةً - بِالرَّحِيلِ ، فَقُمْتُ - حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ - فَمَشَيْتُ ، حَتَّىٰ جَاوَزْتُ الْجَيْشَ . فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي : أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي ، فَإِذَا عِقْدِي - مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ - قَدِ انْقَطَعَ ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي ، فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ . وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي ، فَحَمَلُوا هَوْدَجِي ، فَرَحَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ - وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيهِ - .

قَالَتْ : وَكَـانَتِ النِّسَـاءُ - إِذْذَاكَ - خِفَـافاً ، لَمْ يُهَبَّلْنَ ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ . إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ : ثِقَلَ الْهَوْدَجِ ، حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُـوهُ . وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا ، وَوَجَدْتُ عِقْدِي - بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ - ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ ، وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ ، فَتَيَمَّـمْتُ مَنْـزِلِي الَّـذِي كُنْتُ فِيهِ . وَظَنَنْتُ : أَنَّ الْقَـوْمَ سَيَفْقِدُونِي ، فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ .

فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي : غَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَنِمْتُ ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَـطَّلِ السُّلَمِيُّ ، ثُمَّ الـذَّكْـوَانِيُّ : قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ ، فَادَّلَجَ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي : فَرَأَىٰ سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي - حِينَ رَآنِي - وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ ، حِينَ عَرَفَنِي ، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي ، وَوَاللَّهِ ! مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْـهُ كَلِمَـةً : غَيْرَ اسْتِـرْجَـاعِـهِ ، حَتَّىٰ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ ، فَوَطِئَ عَلَىٰ يَدِهَا ، فَرَكِبْتُهَا ، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ ، حَتَّىٰ أَتَيْنَا الْجَيْشَ ، بَعْدَ مَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْـرِ الـظَّهِيرَةِ ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ : عَبْـدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ ، فَقَـدِمْنَـا الْمَدِينَةَ ، فَاشْتَكَيْتُ - حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ - شَهْراً ، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ ، وَلاَ أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي : أَنِّي لاَ أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : اللُّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَىٰ مِنْهُ - حِينَ أَشْتَكِي - إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَيُسَلِّمُ ، ثُمَّ يَقُولُ : « كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » فَذَاكَ يَرِيبُنِي ، وَلاَ أَشْعُرُ بِالشَّرِّ ، حَتَّىٰ خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقِهْتُ ، وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ ، قِبَلَ الْمَنَاصِعِ - وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا - وَلاَ نَخْرُجُ إِلاَّ لَيْلاً إِلَى لَيْلٍ ، وَذَلِكَ

قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيباً مِنْ بُيُوتِنَا ، وَأَمْرُنَا : أَمْرُ الْعَرَبِ الأُوَلِ ، فِي التَّنَزُّهِ . وكُنَّا نَتَأَذَّىٰ بِالْكُنُفِ : أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا .

فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ - وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ ، وَأُمُّهَا : ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ، وَابْنُهَا : مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ -

فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ : قِبَلَ بَيْتِي ، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا ، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا ، فَقَالَتْ : تَعِسَ مِسْطَحٌ . فَقُلْتُ لَهَا : بِئْسَ مَا قُلْتِ ، أَتَسُبِّينَ رَجُلاً قَدْ شَهِدَ بَدْراً ؟

قَالَتْ : أَيْ هَنْتَاهُ ! أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ ؟ قُلْتُ : وَمَا الَّذِي قَالَ ؟

قَالَتْ : فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ ، فَازْدَدْتُ مَرَضاً إِلَىٰ مَرَضِي .

فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَىٰ بَيْتِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : « كَيْفَ تِيكُمْ ؟ » .

قُلْتُ : أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ ؟ - قَالَتْ : وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا - فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ ، فَقُلْتُ لِأُمِّي : يَاأُمَّتَاهُ ! مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ ؟

فَقَالَتْ : يَابُنَيَّةُ ! هَوِّنِي عَلَيْكِ ، فَوَاللّٰهِ ! لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ - قَطُّ - وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا ، وَلَهَا ضَرَائِرُ : إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا .

قَالَتْ : قُلْتُ : سُبْحَانَ اللّٰهِ ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَـٰذَا ؟

قَالَتْ : فَبَكَيْتُ - تِلْكَ اللَّيْلَةَ - حَتَّىٰ أَصْبَحْتُ ، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي . وَدَعَا رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه

وسلم : عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ - حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ - يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ ؛

قَالَتْ : فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، فَأَشَارَ عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ : مِنَ الْوُدِّ ؛ فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! هُمْ أَهْلُكَ ، وَلاَ نَعْلَمُ إِلَّا خَيْراً .

وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، فَقَالَ : لَمْ يُضَيِّقِ اللّهُ عَلَيْكَ ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ : تَصْدُقْكَ .

قَالَتْ : فَدَعَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : بَرِيرَةَ ، فَقَالَ : « أَيْ بَرِيرَةُ ! هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ ؟ » .

قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ! إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً - قَطُّ - أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا : أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا ، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ .

قَالَتْ : فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، عَلَى الْمِنْبَرِ ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ أُبَيٍّ ، ابْنِ سَلُولَ ؛

قَالَتْ : فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ - : « يَامَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ! مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ ، قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي . فَوَاللّهِ ! مَا عَلِمْتُ عَلَىٰ أَهْلِي إِلَّا خَيْراً . وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلاً ، مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْراً ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَىٰ أَهْلِي : إِلَّا مَعِي » ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ ؛ فَقَالَ : أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ ، يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ : ضَرَبْنَا عُنُقَهُ . وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ : أَمَرْتَنَا ، فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ . قَالَتْ :

فَقَـامَ سَعْـدُ بْنُ عُبَـادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ - وَكَانَ رَجُلاً صَالِحاً ، وَلَـٰكِن اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْن مُعَاذٍ : كَذَبْتَ ، لَعَمْرُ اللّهِ ! لَا تَقْتُلُهُ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَىٰ قَتْلِهِ ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْن مُعَاذٍ - ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنُ عُبَادَةَ : كَذَبْتَ ، لَعَمْرُ اللّهِ ! لَنَقْتُلَنَّهُ ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ ، تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ .

فَثَـارَ الْحَيَّانِ « الأَوْسُ ، وَالْخَزْرَجُ » ، حَتَّىٰ هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا ، وَرَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، قَائِمٌ عَلَى الْمِنبَرِ . فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يُخَفِّضُهُمْ حَتَّىٰ سَكَتُوا ، وَسَكَتَ .

قَالَتْ : وَبَكَيْتُ - يَوْمِي ذَلِكَ - لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، ثُمَّ بَكَيْتُ - لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ - لَا يَرْقَـأُ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ : أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي .

فَبَيْنَمـا هُمَـا جَالِسَانِ عِنْدِي - وَأَنَا أَبْكِي - ، اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، فَأَذِنْتُ لَهَا ؛ فَجَلَسَتْ تَبْكِي .

قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَىٰ ذَلِكَ : دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ .

قَالَتْ : وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي ، مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ - وَقَدْ لَبِثَ شَهْراً ، لَا يُوحَىٰ إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ - ،

قَالَتْ : فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - حِينَ جَلَسَ - ثُمَّ قَالَ : « أَمَّا بَعْدُ ! يَاعَائِشَةُ ! فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ : كَذَا ، وَكَذَا . فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً : فَسَيُبَرِّئُكِ اللّهُ . وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ : فَاسْتَغْفِرِي اللّهَ ، وَتُوبِي إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْعَبْدَ ، إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ ، ثُمَّ تَابَ : تَابَ اللّهُ عَلَيْهِ » .

قَالَتْ : فَلَمَّا قَضَىٰ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، مَقَالَتَهُ : قَلَصَ دَمْعِي ، حَتَّىٰ مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً ،

فَقُلْتُ لِأَبِي : أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِيمَا قَالَ .

فَقَالَ : وَاللّهِ ! مَا أَدْرِي : مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَقُلْتُ لِأُمِّي : أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَقَالَتْ : وَاللّهِ ! مَا أَدْرِي : مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَقُلْتُ - وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ ، لَا أَقْرَأُ كَثِيراً مِنَ الْقُرْآنِ - : إِنِّي وَاللّهِ ! لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَٰذَا ، حَتَّىٰ اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ ؛

فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ : إِنِّي بَرِيئَةٌ (وَاللّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ) : لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ .

وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ (وَاللّهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ) : لَتُصَدِّقُونَنِي .

وَإِنِّي - وَاللّهِ ! - مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً ، إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ : « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَ اللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ » . قَالَتْ : ثُمَّ تَحَوَّلْتُ ، فَاضْطَجَعْتُ عَلَىٰ فِرَاشِي .

قَالَتْ : وَأَنَا - وَاللّهِ ! - حِينَئِذٍ ، أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ ، وَأَنَّ اللّهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي . وَلَٰكِنْ - وَاللّهِ !- مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ - فِي شَأْنِي - وَحْيٌ يُتْلَىٰ . وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ - فِي نَفْسِي - مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ :

بِأَمْرٍ يُتْلَىٰ . وَلَـٰكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَىٰ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم - فِي النَّوْمِ - رُؤْيَا ، يُبَرِّئُنِي اللّٰهُ بِهَا .

قَالَتْ : فَوَاللّٰهِ ! مَارَامَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم : مَجْلِسَهُ ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ ، حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ ، عَلَىٰ نَبِيِّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَأَخَذَهُ : مَا كَانَ يَأْخُذُهُ ، مِنَ الْبُرَحَاءِ - عِنْدَ الْوَحْيِ - حَتَّىٰ إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ : مِثْلُ الْجُمَانِ ، مِنَ الْعَرَقِ ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ - مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ -

قَالَتْ - فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ، . صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ يَضْحَكُ - ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا ؛ أَنْ قَالَ : « أَبْشِرِي ، يَاعَائِشَةُ ! أَمَّا اللّٰهُ فَقَدْ بَرَّأَكِ » .

فَقَالَتْ لِي أُمِّي : قُومِي إِلَيْهِ . فَقُلْتُ : وَاللّٰهِ ! لَا أَقُومُ إِلَيْهِ ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللّٰهَ ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي .

قَالَتْ : فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ » : عَشْرَ آيَاتٍ .

فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : هَـٰؤُلَاءِ الْآيَاتِ ، بَرَاءَتِي .

قَالَتْ : فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَىٰ مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ ، وَفَقْرِهِ - : وَاللّٰهِ ! لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ : شَيْئاً أَبَداً - بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ - ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ : أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ » إِلَىٰ قَوْلِهِ : « أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّٰهُ لَكُمْ ؟ » .

- قَالَ حِبَّانُ بْنُ مُوسَىٰ : قَالَ عَبْدُ اللّٰهِ بْنُ الْمُبَارَكِ : هَـٰذِهِ أَرْجَىٰ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللّٰهِ -

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ ! إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ؛ فَرَجَعَ إِلَىٰ مِسْطَحٍ : النَّفَقَةَ ، الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَداً .

قَالَتْ عَائِشَةُ : وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ (زَوْجَ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم) عَنْ أَمْرِي : مَا عَلِمْتِ ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ ؟

فَقَالَتْ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! أَحْمِي سَمْعِي ، وَبَصَرِي . وَاللَّهِ ! مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْراً . قَالَتْ عَائِشَةُ : وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي - مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم - ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ . وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا « حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ » تُحَارِبُ لَهَا ، فَهَلَكَتْ - فِيمَنْ هَلَكَ -

- قَالَ الزُّهْرِيُّ : فَهَـٰذا مَا انْتَهَىٰ إِلَيْنَا ، مِنْ أَمْرِ هَـٰؤُلَاءِ الرَّهْطِ - .

وَقَالَ - فِي حَدِيثِ يُونُسَ - : احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ)[1] .

الشرح

(عن الزهري[2] قال : أخبرني سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ؛ عن حديث عائشة ، رضي الله عنها[3] - زوج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم - عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم[4] ، حين قال لها أهل الإفك ماقالوا ، فبرأها

---

(١) (وقال في حديث يونس : احتملته الحمية) ، لم يذكر هذا في الأصل ، وقد أثبتناه من مصدر الحديث . المحقق .

(٢) ذكرنا السند كاملاً ، لتعلق بعض رجاله ، ببعض ألفاظ الحديث . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٤) (عن النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم) لم يذكر هذا ، بمصدر الحديث ، وصنيع المؤلف يدل على أنه لم يذكر في بعض النسخ . المحقق .

الله مما قالوا . وكلهم حدثني طائفةً من حديثها ، وكان بعضهم[1] أوعىٰ لحديثها من بعض ، وأثبت اقتصاصاً) أي : أحفظ ، وأحسن : إيراداً ، وسرداً للحديث .

(وقد وعيت عن كل واحد منهم : الحديث الذي حدثني . وبعض حديثهم يصدّق بعضاً) . هذا الذي ذكره الزهري ، من جمعه الحديث عنهم : جائز لا منع منه ، ولا كراهة فيه ، لأنه قد بيّن بعض الحديث عن بعضهم ، وبعضه عن بعضهم . وهؤلاء الأربعة[2] : أئمة حفاظ ثقات ، من أجلّ التابعين . فإذا تردّدت اللفظة من هذا الحديث (بين كونها عن هذا ، أو ذاك) : لم يضرّ ، وجاز الاحتجاج بها ، لأنهما ثقتان . وقد اتّفق العلماء على أنه ، لو قال : حدّثني زيد ، أو عمرو - وهما ثقتان ، معروفان بالثقة عند المخاطب - : جاز الاحتجاج به[3] .

(ذكروا : أن عائشة - زوج النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم - قالت : كان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، إذا أراد أن يخرج سفراً : أقرع بين نسائه ، فأيتهنّ خرج سهمها : خرج بها رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم معه) .

قال النووي : هذا دليل لمالك ، والشافعي ، وأحمد ، وجماهير العلماء : في العمل بالقرعة : في القسم بين الزوجات ، وفي العتق ،

---

(١) (وكان بعضهم)، في مصدر الحديث : « وبعضهم كان » . المحقق .

(٢) (الأربعة) هم شيوخ الزّهري ، في هذا الحديث ، وهم : (سعيد بن المسيّب ، وعروة بن الزبير ، وعلقمة ابن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة) . المحقق .

(٣) ذكر ذلك النووي في (١٠٢/١٧ ، ١٠٣) ، المصدر المتقدم . المحقق .

والوصايا ، والقسمة ، ونحو ذلك - . وقد جاءت فيها أحاديث كثيرة (في الصحيح) مشهورة . قال أبو عبيد[1] : عمل بها[2] ثلاثة من الأنبياء « عليهم السلام » : يونس ، وزكريا ، ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قال ابن المنذر : استعمالها كالإجماع[3] قال[4] : ولا معنى لقول من ردّها .

والمشهور عن أبي حنيفة : إبطالها . وحكي عنه : إجازتها .

قال ابن المنذر وغيره : القياس تَرْكها ، لكن عملنا بها للآثار .

وفيه : القرعة بين النساء ، عند إرادة السفر ببعضهن . ولا يجوز : أَخْذ بعضهن بغير قرعة ، هذا مذهبنا[5] . وبه قال أبو حنيفة ، وآخرون . وهو رواية عن مالك .

وعنه ؛ رواية : أن له السفر بمن شاء منهنّ بلا قرعة ، لأنها قد تكون : أنفع له في طريقه ، والأخرى : أنفع له في بيته وماله ، انتهى كلام النووي .

وقد بسطت القول على مسألة[6] القرعة ، في كتابي (الظفر اللاضي) ورجّحت العمل بها ، لورود السنّة الصحيحة . ومالنا وللقياس ، وللتعليل : في مقابلة النصّ الثابت الصحيح ؟ ولا قول لأحد ولا رأي له : عند قول

---

(١) (أبو عبيد) . في الأصل : « أبو عبيدة » ، والتصحيح من المصدر المتقدم ، ص ١٠٣ . المحقق .

(٢) (عمل بها) أي : بالقرعة . هذا ؛ وكلمة : « ثلاثة » ، رسمت في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) (كالإجماع) في الأصل : « كاالإجماع » بزيادة ألف . المحقق .

(٤) (قال) أي : ابن المنذر ، كما حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٥) الضمير في (مذهبنا) للنووي . المحقق .

(٦) (مسألة) . في الأصل : « مسئلة » . المحقق .

محمـد ، صلى الله عليه وآلـه وسلم . ولعـل من أنكـرها[1] : أنكر لعدم الاطلاع على الأحاديث الواردة في هذا الباب . ومن بلغه الحديث فيه - ثم جحدها ، أو عللها ، أو ترك القول بها -: فهو مأزور ، أيّ مأزور[2] .

(قالت عائشـة : فأقـرع بيننا في غزوة غزاها ، فخرج فيها سهمي ، فخرجت مع رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، فأنا أحمل في هودجي) بفتح الهاء : مركب من مراكب النساء (وأنـزل فيه : مسيرنـا ، حتى إذا فرغ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، من غزْوِه وقفَل ، ودنونا من المدينة : آذن ليلة ، بالرحيل) روي[3] بالمدّ وتخفيف الذال ، وبالقصر وتشديدها . أي : أعلم (فقمت - حين آذنـوا بالـرحيل - فمشيت ، حتى جاوزت الجيش . فلمـا قضيت من شأني[4] : أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدري ، فإذا عقدي - من جزع ظفار - قد انقطع) .

أما « العقد » : فمعروف ، نحو القلادة .

« والجزْع » بفتح الجيم وإسكان الزاي ، هو خرز يمانيّ : في سواد وبياض ، كالعروق .

« وظفار » بفتح الظاء وكسر الراء ، هي مبنية على الكسر . تقول : هذه ظفارِ وإلى ظفار : بكسر الراء بلا تنوين ، في الأحوال كلها . وهي قرية في اليمن . قال التيفاشي : لا يتيمّن بلبسه . ومن تقلّده : كثرت همومه ، ورأى

---

(١) (أنكرها) أي : القرعة . المحقق .

(٢) (مأزوز ، أيّ مأزور) ، في الأصل : بدون همزة ، فوق ألف « مأزور » . المحقق .

(٣) (روي) أي لفظ : « آذن » . المحقق .

(٤) (شأني) في الأصل : « شاني » . المحقق .

منـامـات رديئه . وإذا علّق على طفل : سال لعابه . وإذا لف على شعر المطلقة[١] : سهلت ولادتها .

(فرجعت فالتمست عقـدي ، فحبسني ابتغاؤه . وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فحملوا هودجي ، فرحلوه[٢] على بعيري) هكذا وقع في أكثر النسخ « لي »[٣] باللام - وفي بعضها : « بي » بالباء - واللام أجود .

« ويرحلون » : بفتـح الياء ، وإسكان الراء ، وفتح الحاء المخففة . أي : يجعلون الرّحل على البعير . وهو معنى قولها : « فرحلوه » بالتخفيف .

« والرهط » : هم جماعة دون العشرة .

(الذي كنت أركب ، وهم يحسبون أني فيه . قالت : وكانت النساء - إذ ذاك - خفافاً ، لم يهبّلن) ضبطوه على أوجه ؛

أشهرها : ضم الياء ، وفتح الهاء ، والباء مشدّدة . أي : يثقلن باللحم والشحم .

والثاني : بفتح الياء والباء ، وإسكان الهاء بينهما .

والثـالث : بفتـح الياء وضم الموحدة . ويجوز : بضم أوله وإسكان الهاء ، وكسر الموحدة .

قال أهل اللغة : يقال : هبله اللحم ، وأهبله : إذا أثقله ، وكثر لحمه وشحمه .

---

(١) (المطلقة) : التي أصابها وجع الولادة . المحقق .

(٢) (فرحَلوه) . في الأصل : « وحلوه » . والصواب : ما أثبتناه ، تصحيحاً من مصدر الحديث . المحقق .

(٣) (لي) أي في قوله : « يرحلون لي » . المحقق .

وفي رواية البخاري : « لَمْ يُثَقَّلْنَ »[1] وهو بمعناه . وهو أيضاً المراد بقولها : (ولم يغشهنّ اللحم ، إنما يأكلن العلقة) بضم العين . أي : القليل . ويقال لها[2] أيضاً : « البُلْغة » (من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثِقْل الهودج ، حين رحلوه ورفعوه . وكنت جارية حديثة السنّ ، فبعثوا الجمل وساروا ، ووجدت عقدي - بعد ما استمرّ الجيش - فجئت منازلهم ، وليس بها داعٍ ولا مجيب ، فتيممت منزلي) أي : قصدته (الذي كنت فيه . وظننت : أن القوم سيفقدونني[3] ، فيرجعون إليّ . فبينا أنا جالسة في منزلي : غلبت[4] عيني فنمت . وكان صفوان بن المعطل السلميّ) : بفتح الطاء[5] ، بلا خلاف . كذا ضبطه أبو هلال العسكري ، والقاضي في « المشارق » ، وآخرون .

(ثم الذكواني) منسوب إلى « ذكوان بن ثعلبة » ، وكان صحابياً فاضلاً .

(قد عرّس من وراء الجيش) .

« التعريس » : النزول آخر الليل - في السفر - لنوم ، أو استراحة .

وقال أبو زيد : هو النزول أيَّ وقت كان .

والمشهور : الأول .

---

(١) رواية البخاري ، في الفتح (٨/٤٥٢) ، باب « ٦ » حديث رقم (٤٧٥٠) ، تصحيح وتحقيق الشيخ ابن باز ، الوارد بها : « لَمْ يُثْقِلْهُنَّ اللَّحْمُ » . المحقق .

(٢) (لها) أي : للعُلْقة . المحقق .

(٣) (سيفقدونني) ، في مصدر الحديث : « سيفقدوني » ، بنون واحدة . المحقق .

(٤) (غلبت) هكذا في الأصل . وفي مصدر الحديث : « غلبتني » . وهو الأشبه . المحقق .

(٥) (بفتح الطاء) أي : في كلمة : « المعطّل » . المحقق .

(فادّلـج) بتشـديد الـدال ، وهـو سير آخر الليل . . (فأصبح عند منـزلي ، فرأى سواد إنسـان) أي شخص (نائم ، فأتاني فعرفني - حين رآني - وقـد كان يراني قبـل أن يضـرب الحجـاب عليَّ ، فاستيقـظت باستـرجـاعـه) أي : انتبهت من نومي ، بقـولـه : « إنّـا لله ، وإنـا إليه راجعـون » ، حين عرفني (فخمّـرت وجهي) أي : غطيتـه (بجلبابي . والله ! ما تكلمني[1] كلمة ، ولا سمعت منه كلمة : غير استرجاعه ، حتى أنـاخ راحلته ، فوطئ على يدها[2] ، فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش ، بعد مانزلوا موغرين) .

« الموغر » بالغين المعجمة : النازل في وقت « الوغرة » : بفتح الواو ، وإسكـان الغين . وهي شدّة الحـرّ ، كمـا فسّـرها في الكتاب - في آخر الحديث - وذكر هناك أن منهم من رواه : « مُوعِرِينَ »[3] بالمهملة ، وهو ضعيف .

(في نحر الظهيرة) حين بلغت الشمس منتهاها من الارتفاع ، وكأنها وصلت إلى النحر ، وهو « أعلى الصدر » ، أو أولها[4] ، وهو وقت القائلة ، وشدّة الحر .

---

(١) (تكلمني) هكذا - في الأصل - بالتاء المثناة ، فوق . والذي في مصدر الحديث : بالياء المثناة تحت . وهو الصواب . المحقق .

(٢) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « يديها » ، مكان : « يدها » . المحقق .

(٣) (موعـرين) ، في الأصـل : « موعـر » ، والصـواب : ما أثبتناه ، تصحيحا من النووي (١٧/١٠٥) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٤) (أو أولها) أي : « أو أول الظهيرة » . وهو تفسير آخر لكلمة : « نحر الظهيرة » . المحقق .

(فهلك من هلك في شأني[1] وكان الذي تولّى كبره) أي : معظمه . وهو بكسر الكاف ، على القراءة المشهورة . وقرئ - في الشواذ - بضمها ، وهي لغة .

(عبد الله بن أبيّ ابنُ سلول) هكذا صوابه « ابن سلول » : برفع « ابن » وكتابته بالألف : صفة لعبد الله[2] . وقد سبق بيانه بمرات .

(فقدمنا المدينة ، فاشتكيت - حين قدمنا المدينة - شهراً ، والناس يُفيضون في قول أهل الإفك) أي : يخوضون فيه .

« والإفك » : بكسر الهمزة ، وإسكان الفاء.« هذا هو المشهور » . وحكى القاضي : فتحهما[3] جميعاً . قال : هما لغتان « كنجس ونجس » . وهو[4] الكذب .

(ولا أشعر بشيء[5] من ذلك ، وهو يريبني في وجعي : أني لا أعرف من رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : اللطف الذي كنت أعرف[6] منه ، حين أشتكي) .

« يريبني » : بفتح أوله وضمه[7] . يقال : « رابه ، وأرابه » : إذا أوهمه وشكّكه .

---

(١) (شأني) في الأصل : « شاني » بدون همزة فوق الألف . المحقق .

(٢) (صفة لعبد الله) ، لا « لأبيّ » ، لأن « سلول » اسم لأم عبد الله . المحقق .

(٣) (فتحهما) أي : فتح الهمزة والفاء ، فيقال : « الأَفَك » . المحقق .

(٤) (وهو) أي : « الإفك » . المحقق .

(٥) (بشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٦) في مصدر الحديث : « أرى » مكان : « أعرف » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « أرى » . المحقق .

(٧) (بفتح أوله) من « راب » الثلاثي . (وضمه) أي : ضم أوله من « أراب » . المحقق .

« واللطف » : بضم اللام ، وإسكان الطاء . ويقال بفتحهما[1] معاً لغتان . وهو[2] البرّ والرفق .

(إنما يدخل رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فيسلم ثم يقول : كيف تيكم ؟) هي إشارة إلى المؤنث، « كذاكم »[3] في المذكّر .

(فذاك يريبني ، ولا أشعر بالشرّ ، حتى خرجت بعدما نقهتُ) : بفتح القاف ، وكسرها . لغتان حكاهما الجوهري في (الصحاح) ، وغيره[4] . والفتح : أشهر . واقتصر عليه جماعة . يقال : نَقه يَنْقَه نقوهاً ، « فهو ناقه » ككلَح يكْلَح كلوحاً ، « فهو كالح » . ونَقِه يَنْقَه نَقَهاً « فهو ناقه » ، كفرِحَ يفْرَح فرحاً « فهو فارح » . والجمع : « نُقَّه » بضم النون وتشديد القاف .

« والنّاقِه » : هو الذي أفاق من المرض ويبرأ منه - وهو قريب عهد به - ، لم يتراجع إليه كمال صحّته[5] .

(وخرجت معي أم مسطح) بكسر الميم : (قِبَل المناصع) بفتح الميم . وهي مواضع خارج المدينة ، كانوا يتبرّزون فيها . (وهو متبرّزنا) أي : موضع قضاء حاجتنا .

(ولا نخرج إلا ليلاً إلى ليل . وذلك قبل أن نتّخذ الكنف) هي جمع : « كنيف » . قال أهل اللغة : « الكنيف » السّاتر مطلقاً .

(قريباً من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول ، في التنزه)[6] .

(١) (بفتحهما) أي : بفتح اللام والطاء . فيقال : « اللَّطَف » . المحقق .

(٢) (وهو) أي : اللطف . المحقق .

(٣) أي يقال - في المذكّر - : « كيف ذَاكُمْ ؟ » . المحقق .

(٤) (وغيره) أي : وحكاهما غير الجوهري . المحقق .

(٥) ذكره النووي في (١٧ / ١٠٦)، المطبعة المصرية . المحقق .

(٦) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « التبرّز » ، مكان : « التنزّه » . المحقق .

ضبطوا « الأُوَل » بوجهين ؛

أحدهما : ضم الهمزة ، وتخفيف الواو .

والثاني : بفتح الهمزة وتشديد الواو . وكلاهما صحيح[1] .

« والتنزّه » : طلب النّزاهة ، بالخروج إلى الصحراء .

(وكنا نتأذى بالكنف : أن نتّخذها عند بيوتنا .

فانطلقت أنا وأم مسطح : وهي بنت أبي رهم) بضم الراء وإسكان الهاء (بن المطلب بن عبد مناف . وأمها : بنت[2] صخر بن عامر - خالةُ أبي بكر الصديق - وابنها : مسطح) : هو لقب . واسمه : « عامر » . وقيل : « عوف » . كنيته : « أبو عباد » . وقيل : « أبو عبد الله » . تُوفّي سنة « سبع وثلاثين »[3] . وقيل : أربع وثلاثين[3] . واسم أم مسطح : « سلمىٰ » .

(بن أُثاثة) بهمزة مضمومة ، وثاء مكررة . (بن عبّاد بن المطّلب . فأقبلتُ أنا وبنت أبي رهم : قبل بيتي ، حين فرغنا من شأننا ، فعثرت) : بفتح الثاء (أم مسطح في مرطها) : هو كساء من صوف ، وقد يكون من غيره . (فقالت : تعس مسطح) .

« تعس » بفتح العين وكسرها - لغتان مشهورتان - . واقتصر الجوهري : على الفتح . والقاضي[4] : على الكسر . ورجّح بعضهم : الكسر ، وبعضهم : الفتح .

---

(١) قلت : فعلى الوجه الأول ، وهو « الأُوَل » : وصف للعرب . وعلى الوجه الثاني ، وهو « الأَوَّل » : وصف لـ « أمْر » في قوله : « أمْر العرب » . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث - في هذا الموضع - : « ابنة » مكان : « بنت » . المحقق .

(٣) (وثلاثين) . في الأصل : « وثلثين » . المحقق .

(٤) أي : واقتصر القاضي على الكسر . المحقق .

ومعنـاه[1] : « عثـر » . وقيل : « هلك » . وقيل : « لزمـه الشـر » . وقيل : « بعد » . وقيل : « سقط بوجهه خاصة »[2] .

(فقلت لها : بئس ما قلت . أتسبّين رجلًا ، قد شهد بدراً ؟ قالت : أي هنتاه ! أو لم تسمعي ما قال ؟) .

« هنتاه » : بإسكان النون وفتحها ، والإسكان : أشهر . قال صاحب (نهاية الغريب) : وتضم الهاء الأخيرة ، وتسكن . ويقال - في التثنية - : « هنتان » ، وفي الجمع : « هنات ، وهنوات » . وفي المذكّر : « هن ، وهنـان ، وهنـون » . ولـك أن تلحقهـا الهـاء لبيان الحـركـة ، فتقـول : « ياهنه ! » ، وأن تشبع حركة النون فتصير ألفاً ، فتقول : « ياهناه » . ولك ضم الهاء ، فتقول : « ياهناه ! أقبل » .

قالـوا : وهـذه اللفـظة « تختصّ بالنداء » . ومعناها : « ياهذه ! » . وقيل : « ياامـرأة » . وقيل : « يابلهاء ! » كأنها نسبت إلى قلّة المعرفة : بمكائد الناس وشرورهم .

ومن المـذكـر ؛ حديث « الصبي بن معبد » ؛ قلت : « ياهناه ! إنّي حريصٌ على الجهاد » . والله أعلم[3] .

(قلت : وماذا قال ؟ قالت : فأخبرتني[4] بقول أهل الإفك ، فازددتُ مرضاً إلى مرضي .

---

(١) أي : ومعنى « تعس » . المحقق .

(٢) أفاد كل ذلك ، النووي ، ص ١٠٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) أفاد ذلك النووي ، في ص ١٠٧ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (فأخبرتني) . في الأصل : النون تاء مثناة . والياء مهملة من النقطتين . المحقق .

فلما رجعت إلى بيتي ، فدخل عليّ رسولُ الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فسلّم ثم قال : « كيف تيكم ؟ » قلت : أتأذن لي أن آتي أبويّ ؟ - قالت : وأنا حينئذ أريد أن أتيقّن الخبر من قبلهما - فأذن لي رسول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، فجئتُ أبويَّ ، فقلت لأمي : يأمّتاه ! ما يتحـدّث النـاس ؟ قالت : يابنية ! هوّني عليك ، فوالله ! لقلّ ما[1] كانت امرأة - قطّ - وضيئة عند رجل يحبّها ، ولها ضرائر : إلّا كثّرن عليها) .

« الـوضيئـة » مهمـوزة ممدودة : على زنة « عظيمة » ، هي الجميلة الحسنة . « والوضاءة » : الحسن . وكانت عائشة كذلك .

ووقع في رواية : « حَظِيّة »[2] من الحظ[3] وهي الوجاهة ، وارتفاع المنزلة .

« والضرائر » : جمع « ضرة » . وزوجات الرجل « ضرائر » ، لأن كلّ واحدة تتضرر بالأخرى : بالغيرة ، والقسم ، وغيره . والاسم منه : « الضر » بكسر الضاد ، وحكي ضمها .

« وكثّرن » بالثاء المشدّدة ، بمعنى : أكثرن القول في عيبها ، ونقصها .

(قالت : قلت : سبحـان الله ! وقـد تحـدّث الناس بهذا ؟ قالت : فبكيت - تلك الليلة - حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع) بالهمزة[4] . أي : لا ينقطع .

---

(١) (لقلّ ما) في مصدر الحديث : اللام موصولة بالميم ؛ هكذا : « لقلّما » . المحقق .

(٢) هي رواية « ابن ماهان » ، كما قال النووي بص ١٠٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (الحظ) في النووي ، « الحظوة » . وهو الصواب ، لقوله - بعدها - : وهي الوجاهة . . إلخ . المحقق .

(٤) (بالهمزة)أي :كلمة « يرقأ » . المحقق .

(ولا أكتحل بنوم) أي : لا أنام ، لأن الهموم موجبة للسهر وسيلان الدموع .

(ثم أصبحت أبكي . ودعا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : علي بن أبي طالب[1] وأسامة بن زيد ، رضي الله عنهما[2] - حين استلبث الوحي -) أي : أبطأ ولبث ، ولم ينزل . (يستشيرهما في فراق أهله . قالت : فأما أسامة بن زيد ، فأشار على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الود . فقال : يارسول الله ! هم أهلك)[3] : العفائف ، اللائقات بك . وعبرّ بالجمع ، إشارة إلى تعميم أمهات المؤمنين : بالوصف المذكور . أو أراد : تعظيم عائشة[4] .

(ولا نعلم إلا خيراً . وأما علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه[5] ؛ فقال : لم يضيّق الله عليك ، والنساء سواها كثير) .

قال النووي : هذا الذي قاله علي رضي الله عنه ، هو الصواب في حقّه ، لأنه رآه مصلحة ونصيحة للنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم - في اعتقاده - ، ولم يكن ذلك في نفس الأمر . لأنه رأى انزعاج النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : بهذا الأمر ، وتقلّقه ، فأراد : راحة خاطره ، وكان ذلك

---

(١) (أبي طالب) : في الأصل رسمت : « أبيطالب » هكذا . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٣) وضع المؤلف إشارة فوق كلمة « هم » : دلالة على أنه في بعض النسخ : « أهلك » بدون كلمة : « هم » . المحقق .

(٤) قلت : وهذا الثاني ، هو الأشبه ، بدليل قول عائشة : « بالذي يعلم » إلخ . المحقق .

(٥) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

أهم من غيره[1] (وإن تسأل الجارية : تصدقك . قالت : فدعا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم بريرة) . إطلاق « الجارية » عليها - وإن كانت معتقة - : إطلاق مجازي ، باعتبار ما كانت عليه .

(فقال : « أي بريرة ! هل رأيت من شيء[2] يريبك ، من عائشة ؟ » قالت له بريرة : والـذي بعثك بالحق ! إن رأيت عليها أمراً قط ، أغمصه عليها) بفتح الهمزة وكسر الميم[3] : أي أعيبها (أكثر من أنها جارية حديثة السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأتي الداجن فتأكله)[4] .

« الـداجن » : الشاة التي تألف البيت ، ولا تخرج للمرعىٰ . ومعنى الكلام : أنه ليس فيها شيء[2] مما تسألون عنه أصلا ، ولا فيها شيء[2] من غيره : إلّا نومها عن العجين .

(قالت : فقـام رسـول الله ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم ، على المنبر ، فاستعذر من عبد الله بن أبيّ ، ابن سلول) « أبيّ » منون . « وابن سلول » بالألف[5] . وسبق بيانه .

ومعنى « استعذر » : أنه قال : « من يعذرني » .

(قالت : فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - وهو على المنبر - : يامعشر المسلمين ! من يعذرني من رجل ، قد بلغني أذاه في

---

(١) أفاده النووي ، في ص ١٠٨ ، المصدر المتقدم . المحقق .
(٢) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .
(٣) أي في كلمة : « أغمصه » . المحقق .
(٤) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه ، في بعض النسخ : « فيأتي الداجن فيأكله » ، بالياء المثناة تحت في الكلمتين : « فيأتي - فيأكله » . المحقق .
(٥) (بالألف) في كلمة « ابن » الثانية ، لأن « سلول » هي « أم عبد الله » . المحقق .

أهل بيتي ؟) : أي : من يعذرني فيمن آذاني في أهلي ، كما بينه في هذا الحديث .

ومعنى « من يعـذرني » . من يقـوم بعـذري - إن كافـأته على قبيح فعاله - ولا يلومني[1] .

وقيل : معناه « من ينصرني ؟ » . والعذير : « الناصر » .

(فوالله ! ما علمت على أهلي إلا خيراً . ولقد ذكروا رجلاً ، ما علمت عليه إلا خيراً . وما كان يدخل على أهلي ، إلا معي . فقام سعد بن معاذ الأنصاري) رضي الله عنه ؛ (فقال : أنا أعذرك منه ، يارسول الله !) .

قال عياض : هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد ، وكانت هذه القصة ، في غزوة مريسيع ، - وهي غزوة بني المصـطلق - سنـة ستّ ، فيمـا ذكـره ابن إسحاق[2] ومعلوم أن « سعد بن معاذ » ، مات في إثر غزاة الخندق : من الرمية التي أصابته ، وذلك سنة « أربع » بإجماع أهل السير ، إلا شيئاً قاله الواقدي وحده .

قال عياض : قال بعض شيوخنا : ذِكْر « سعد بن معاذ » في هذا ، وهم . والأشبه : أنه غيره . ولهذا لم يذكره ابن إسحاق[2] في السير ، وإنما قال : إن المتكلم - أولاً وآخراً - « أسيد بن حضير » .

قال عياض : وقد ذكر « موسى بن عقبة » : أن غزوة المريسيع ، كانت سنة أربع ، وهي سنة الخندق . وقد ذكر البخاري اختلاف ابن اسحاق[2] وابن عقبة .

---

(١) (ولا يلومني) . في الأصل : « ولا يلمني » ، والصواب : ماأثبتناه ، لأن « لا » هنا ، لا تصلح إلا نافية . المحقق .

(٢) (إسحاق) في الأصل : « إسحق » . المحقق .

قال عياض : فيحتمل أن « غزاة المريسيع » ، وحديث الإفك : كانا في سنة أربع ، قبل قصة الخندق .

قال : وقد ذكر الطبري - عن الواقدي - : أن « المريسيع » كانت سنة خمس .

قال : وكانت الخندق وقريظة بعدها . وذكر القاضي « إسماعيل »[1] الخلاف في ذلك ، وقال : الأَولىٰ : أن يكون « المريسيع » قبل « الخندق » .

قال عياض : وهـذا ، لذكـر « سعـد » في قصة الإفك ، وكانت في المريسيع . فعلى هذا : يستقيم فيه ذكر « سعد بن معاذ » - وهو الذي في الصحيحين - وقول غير ابن إسحاق[2] « في غير وقت المريسيع » : أصح .

قال النووي : هذا آخر كلام القاضي ، وهو صحيح[3] .

(إن كان من الأوس : ضربنا عنقه . وإن كان من إخواننا الخزرج : أمرتنا ، ففعلنا أمرك . قالت : فقام سعد بن عبادة[4] - وهو سيّد الخزرج - وكان رجلاً صالحاً ، ولكن اجتهلته الحميّة) هكذا هو - هنا - لمعظم رواة صحيح مسلم : « بالجيم والهاء » . أي : استخفّته ، وأغضبته ، وحملته على الجهل .

(١) (إسماعيل) في الأصل : « إسمعيل » . المحقق .

(٢) (إسحاق) في الأصل : « إسحق » . المحقق .

(٣) ذكره النووي ، بص ١٠٩ ، ١١٠ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٤) أشار المؤلف - في الهامش - أنه في بعض النسخ ، بزيادة : « رضي الله عنه » - بعد : « سعد بن عبادة » . المحقق .

وفي رواية : « احتملته »[1] بالحاء والميم . وكذا رواه مسلم بعد هذا من رواية « يونس » ، و « صالح » . وكذا رواه البخاري . ومعناه : أغضبته . فالروايتان صحيحتان[2] .

(فقال لسعد بن معاذ : كذبت ، لعمر الله ! لا تقتله ، ولا تقدر على قتله . فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله ! لنقتلنّه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين) .

قال المازري : لم يُرد نفاق الكفْر ، إنما أرادَ : أنه يُظهر الودّ للأوس ، ثم ظهر منه في هذه القضية ضد ذلك ، فأشبه حال المنافقين . لأن حقيقته[3] : إظهار شيء[4] وإخفاء غيره .

وقال « ابن أبي جمرة » : وإنما صدر ذلك منهم ، لأجل قوة حال الحميّة التي غطّت على قلوبهم - حين سمعوا ماقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم - فلم يتمالك أحد منهم ، إلاّ قام في نصرته[5] ، لأن الحال إذا ورد على القلب : ملكه ، فلا يرى غير ماهو لسبيله . فلما غلبهم حال الحمية : لم يراعوا الألفاظ ، فوقع منهم : السباب والتشاجر ، لشدة انزعاجهم في النصرة (فثار الحيان : الأوس والخزرج) أي : تناهضوا للنزاع والعصبية ، كما قالت : (حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ، صلى

(١) ذكرنا هذا ، في آخر حديث الباب . وقال النووي في ص ١١٠ ، المصدر المتقدم ، قال : هي رواية « ابن ماهان » . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٣) (حقيقته) أي : حقيقة النفاق . المحقق .

(٤) (شيء) في الأصل : الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٥) لعلّ المراد : « إلاّ قام في نصرة أخيه » ، مدفوعاً بقوة حال الحمية ، التي غطت على قلوبهم . المحقق .

الله عليه) وآله (وسلم ، قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يخفّضهم حتى سكتوا ، وسكت .

قالت : وبكيت يومي ذلك ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم . ثم بكيت ليلتي المقبلة ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، وأبواي يظنان : أن البكاء فالق كبدي . فبينا هما جالسان عندي وأنا أبكي : استأذنتْ عليّ امرأة من الأنصار ، فأذنتُ لها . فجلست تبكي .

قالت : فبينا نحن على ذلك : دخل علينا رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي ، منذ قيل لي ما قيل . وقد لبث شهراً لا يوحىٰ إليه في شأني بشيء[1] . قالت : فتشهّد رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - حين جلس - ثم قال : أما بعد ، ياعائشة ! فإنه قد بلغني عنك : كذا وكذا) كناية : عما رميت به من الإفك.(فإن كنت بريئة : فسيبرئك الله) أي : بوحي ينزله . (وإن كنت ألممت بذنب : فاستغفري الله) .

معناه : إن كنت فعلت ذنباً - وليس ذلك لك بعادة - وهذا أصل اللمم[2] .

(وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب)أي : منه، إلى الله عزوجل : (تاب الله عليه) .

فيه : تصريح لقبول[3] التوبة ، من الله تعالى ، - إذا اعترف الإنسان

---

(١) (بشيء) في الأصل :وضعت الهمزة فوق الياء - كالمعتاد - . المحقق .

(٢) أي أنّ معنى « اللمم » : أن يقترف العبد ذنباً ، ليس من عادته أن يفعله . المحقق .

(٣) لو قال : « بقبول » بالباء بدل اللام : لكان أوضح . المحقق .

بذنبه ، وندم على فعله ،وتاب-مع العزم على عدم الإتيان به - ولا شك في قبول مثل هذه التوبة : من الرحمن الرحيم .

و من[1] الذي ماساء قط ومن له الحسنى فقط .

(قالت : فلما قضى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم مقالته : قلص دمعي) بفتح القاف واللام ، أي : ارتفع لاستعظام ما يعييني من الكلام ، (حتى ماأُحسّ منه قطرة . فقلت لأبي : أجب عنّي رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فيما قال) .

فيه : تفويض الكلام إلى الكبار ، لأنهم أعرف بمقاصده ، واللائق بالمواطن منه . وأبواها يعرفان حالها .

(فقال : والله ! ما أدري : ما أقول لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . فقلت لأمّي : أجيبي عنّي رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . فقالت : والله ! ما أدري : ما أقول لرسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم) .

معناه : أن الأمر الذي سألها عنه : لا يقفان منه على زائد ، على ما عند رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم - قبل نزول الوحي - : من حسن الظنّ بها . والسرائر إلى الله تعالى .

(فقلت - وأنا جارية حديثة السنّ ، لا أقرأ كثيراً من القرآن - : إني والله ! لقد عرفت أنكم قد سمعتم بهذا ، حتى استقرّ في أنفسكم[2] ، وصدّقتم به . فإن قلت لكم : إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - : لا

---

(١) (ومن الذي) في الأصل رسمت العلامة « ـــ » بين الواو وكلمة « من » ، فحذفناها تصرفاً . المحقق .

(٢) (أنفسكم) في مصدر الحديث : « نفوسكم » . أما « أنفسكم » ففي رواية البخاري . المحقق .

تصـدقـوني بذلـك . ولئن اعتـرفت لكم بأمـر - والله يعلم أني بريئة - : لتصدقوني[1] . وإني والله ! ما أجد لي ولكم مثلاً ، إلا كما قال أبو يوسف : فصبر جميل) أي : أمري صبر جميل ، لا جزع فيه على هذا الأمر .

وفي مرسل « حبان بن أبي جبلة »[2] ؛ قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ . صلى الله عليه وآله وسلم ، عَنْ قَوْلِهِ : « فَصَبْرٌ جَمِيلٌ » ؟ فَقَالَ : « صَبْرٌ لَا شَكْوَىٰ فِيهِ »[3] أي : إلى الخلق .

(والله المستعان على ماتصفون) أي : على ما تذكرون عني ، مما يعلم الله براءتي منه .

(قالت : ثم تحـولت ، واضـطجعت[4] على فراشي . قالت : وأنـا والله ! حينئـذ أعلم أني بريئة ، وأن الله عز وجل[5] مبرئي ببراءتي . ولكن والله ! ماكنت أظنّ أن يُنزل في شأني وحي يتلىٰ ؛ ولشأني كان أحقر في نفسي : من أن يتكلّم الله عزّ وجل فيّ بأمر يتلى . ولكن[6] كنت أرجو أن يرى رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - في النوم[7] - رؤيا يبرئني الله بها . قالت : فو الله ! مارام رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم :

---

(١) (لتصدقوني) في مصدر الحديث : « لتصدقونني » . المحقق .

(٢) الصواب : « ابن أبي حبلة » بالحاء المهملة ، لا بالجيم كما ذكر في الأصل . المحقق .

(٣) أفاده ابن كثير عند تفسير قوله : « فصبر جميل » من الآية رقم (١٨) من سورة يوسف . المحقق .

(٤) (واضطجعت) هكذا في الأصل : بالواو .
وفي مصدر الحديث ، وكذلك « فتح الباري » : « فاضطجعت » بالفاء . المحقق .

(٥) لم يذكر - هنا - في مصدر الحديث ، ولا في رواية البخاري (في الفتح) لفظ : « عز وجلّ » . المحقق .

(٦) (ولكن) هكذا في الأصل ، وفي رواية البخاري ، في الفتح . أما في مصدر الحديث فهي : « ولكني » . المحقق .

(٧) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « في المنام » ، بدل : « في النوم » . المحقق .

مجلسه) أي : مافارقه (ولا خرج من أهل[1] البيت أحد ، حتى أنزل الله عزّ وجل على نبيه ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فأخذه ماكان يأخذه : من البرحاء) : بضم الباء ، وفتح الراء ، وبالحاء ، والمدّ : هي الشدّة (عند الوحي ، حتى إنه ليتحدّر منه) أي : لينصبّ (مثل الجمان) : بضم الجيم ، وتخفيف الميم . وهو « الدرّ » . شبهت قطرات عرقه ، صلى الله عليه وآله وسلم : « بحبّات اللؤلؤ » في الصفاء ، والحسن (من العرق في اليوم الشاتي)[2] أي : البارد (من ثقل القول الذي أنزل عليه . قالت : فلما سرّي) أي : كشف وأزيل (عن رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - وهو يضحك - فكان أول كلمة تكلم بها ؛ أن قال : « أبشري ، ياعائشة ! أمّا الله فقد برأك » . فقالت لي أمّي : قومي إليه . فقلت : والله ! لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذي أنزل براءتي) .

قال النووي : معناه ، قالت لها أمها : قومي ، فاحمديه وقبّلي رأسه ، واشكريه لنعمة الله تعالى ، التي بشّرك . فقالت عائشة ماقالت - إدلالاً عليه ، وعتبا - لكونهم شكّوا في حالها ، مع علمهم بحسن طرائقها ، وجميل أحوالها ، وارتفاعها عن هذا الباطل الذي أفتراه قوم ظالمون : مما لا حجّة له ولا شبهة فيه .

قالت : وإنما أحمد ربّي سبحانه وتعالى ، الذي أنزل براءتي ، وأنعم عليّ بما لم أكن أتوقّعه ، كما قالت : ولشأني كان أحقر - في نفسي - من أن يتكلّم الله فيّ بأمر يُتلىٰ .

(١) وضع المؤلف فوق كلمة « أهل » إشارة ، للدلالة على أنها لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٢) (في اليوم الشاتي) هكذا في الأصل ، وفي مصدر الحديث : « في اليوم الشات » بحذف الياء . وفي رواية البخاري - في الفتح : « وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ » . المحقق .

(قالت : فأنزل الله عز وجل : إنّ الَّذِينَ جَاؤا بِالإِفْكِ) هذا شروع في الآيات المتعلّقة بالإفك ، وهي ثمانية عشر ، تنتهي بقوله : « أُولَـئِكَ مُبَرَّءُونَ مِماَّ يَقُولُونَ »[١] .

« والإفـك » : أسـوأ[٢] الكذب ، وأفحشه ، وأقبحه . وهو مأخوذ من « أفَـكَ الشيء »[٣] إذا قلبـه عن وجهـه . « فالإفـك » : هو الحـديث المقلوب ، لكونه مصروفاً عن الحق . وقيل : هو البهتان .

قال[٤] في (فتـح البيان) : أجمع المسلمون على أن المراد بما في الآية : ما وقع من الآفات ، على عائشة « أم المؤمنين » . وإنما وصفه الله بأنه : « إفك » ، لأن المعروف من حالها : خلاف ذلك .

(عصبة منكم) . « العصبة » : الجماعة من العشرة إلى الأربعين . والمراد بهم - هنا - : « عبد الله بن أبيّ رأس المنافقين ، وزيد بن رفاعة ، وحسان بن ثابت ، ومسطح بن أثاثة ، وحمنة بنت جحش » ، ومن ساعدهم .

وقيل : « العصبة » : من الثلاثة[٥] إلى العشرة .

وقيل : من عشرة إلى خمسة عشر .

---

(١) تمام الآية : « لَهُمْ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » والآيات - من أول قوله : « إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ » ، إلى : « وَرِزْقٌ كَرِيمٌ » - أرقامها في سورة النور ، من (١١) إلى (٢٦) . هذا ؛ وكلمة « مُبَرّءون » في الأصل : « مبرؤن » . المحقق .

(٢) (أسوأ) في الأصل : « اسوء » . المحقق .

(٣) (الشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٤) (قال) يعني المؤلف نفسه ، قاله في تفسيره (فتح البيان) . المحقق .

(٥) (الثلاثة) في الأصل : « الثلثة » . المحقق .

وأصلها[1] - في اللغة - : الجماعة الذين يتعصّب بعضهم لبعض .

(لا تحسَبُوه شرّاً لكم) خوطب به النبّي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وعائشة ، وأبو بكر ، وصفوان بن المعطّل .

وفيه تسلية لهم .

(بل هو خير لكم).« الخير » : مازاد نفعه على ضرّه . وأما الخير الذي لا شرّ فيه : فهو الجنّة ، والشرّ الذي لا خير فيه : فهو النار .

ووجه كونه خيراً لهم : أنه يحصل لهم به الثواب العظيم ، مع بيان براءة عائشة الصدّيقة بنت الصديق ، وصيرورة قصّتها هذه شرعاً عاماً ، وهذا غاية الشرف والفضل .

وفيه : تهويل الوعيد لمن تكلّم فيهم ، والثناء على من ظنّ بهم خيراً .

وتمام الآية : « لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ » أي : من العصبة الكاذبة : « مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ »[2] بسبب تكلّمه بالإفك .

« وَالَّذِي تَوَلَّىٰ » . أي : تحمل « كِبْرَهُ » أي : معظمه « مِنْهُمْ » : فبدأ بالخوض فيه ، وأشاعه:« لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » في الدنيا ، أو في الآخرة ، أو فيهما .

(عشر آيات ؛ فأنزل الله عزّ وجل : هذه[3] الآيات ببراءتي .

قالت : فقال أبو بكر رضي الله عنه[4] - وكان ينفق على مسطح لقرابته منـه ، وفقره - : والله ! لا أنفق عليه شيئاً أبداً - بعد الذي قال لعائشة -

---

(١) (وأصلها) أي :« العصبة » . المحقق .

(٢) وختام الآية : « وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ » الآية (١١) من سورة النور . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « هؤلاء » مكان : « هذه » . المحقق .

(٤) (رضي الله عنه) في الأصل : « رض » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

فأنـزل الله عز وجـل : « وَلاَ يَأْتَـلِ) أي : لا يحلف (أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا) أي : أن لا يؤتوا[1] (أولي القربى » إلى قوله : « أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللّهُ لَكُمْ » ؟) أي : بسبب عفـوكم وصفحكم عن الفـاعلين : للإساءة عليكم . فإن الجزاء من جنس العمل . فكما تَغفِر يُغفر لك ، وكما تَصْفَح يُصْفَح عنك .

قال حبان بن موسى : قال عبد الله بن المبارك : هذه أرجى آية في كتاب الله[2] .

(فقال أبو بكر : والله ! إني لأحبّ أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح : النفقة التي كان ينفق عليه . وقال : لا أنزعها منه أبداً .

قالت عائشة : وكان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ سأل زينب بنت جحش - « زوج النبي » ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - عن أمـري : ما علمت ؟ أو ما رأيت ؟ فقالت : يارسول الله ! أحمي سمعي وبصـري) أي : أصـونهمـا من أن أقـول :« سمعت »، ولم أسمـع . « وأبصرت » ، ولم أبصر .

والله ! ما علمت إلا خيراً . قالت عائشة : وهي التي كانت تساميني - من أزواج النبيّ ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم -) أي : تفاخرني ، وتضاهيني : بجمالها ومكانها عند النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم . وهي مفاعلة من « السمو » ، وهو[3] الارتفاع .

---

(١) (أن لا يؤتوا) في الأصل : « لا يأتوا » . والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(٢) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ بزيادة : « عز وجل » ، بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٣) (وهو) في الأصل : « هو » - بدون واو - والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(فعصمها الله بالورع) أي : حفظها ومنعها - بالمحافظة على دينها - عن أن تقول بقول أهل الإفك .

(وطفقت أختها « حمنة بنت جحش » : تحارب لها) أي : جعلت تتعصّب لها ، فتحكي ما يقوله أهل الإفك .

« وطفق » : بكسر الفاء على المشهور ، وحكي فتحها .

(فهلكت فيمن هلك .

قال الزهري : فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط)[1] .

قال الصلاح الصفدي : رأيت بخط « ابن خلّكان » ؛ أن مسلماً ناظر نصرانيّاً ، فقال له النصراني في خلال كلامه - محتقنا[2] في خطابه بقبيح آثامه - : يامسلم ! كيف كان وجه زوجة نبيّكم عائشة ، في تخلّفها عن الركب عند نبيكم - معتذرة بضياع عِقدها - ؟ فقال له المسلم : يانصراني ! كان وجهها ، كوجه « بنت عمران » لما أتت بعيسى تحمله ، من غير زوج . فمهما اعتقدت في دينك « من براءة مريم » ، اعتقدنا مثله في ديننا من « براءة زوج نبينا » صلى الله عليه وآله وسلم ، فانقطع النصرانيّ ، ولم يُحر جواباً . انتهى .

قلت : ولهذه المناظرة ألفاظ ، بعضها أبلغ من بعض .

(هلك الرافضة)[3]

وقد (هلك الرافضة) - في هذا الموضع - بسبّهم عائشة ، وإفكهم

---

(١) زدنا بعد كلمة « الرهط » : العبارة التالية : وقال - في حديث يونس - : « احتملته الحمية » . زدناها من مصدر الحديث ، كما في حديث الباب . المحقق .

(٢) (محتقناً) أي : منتفخاً مغروراً في نفسه . المحقق .

(٣) (هلك الرافضة) هذا العنوان ، ذكره المؤلف - في الهامش - مرموزاً فوقه بالحرف (ف) . ونقلناه إلى الصلب ، تصرفاً . المحقق .

إياها[1] ، كما وقع من أهل الإفك السالفة . وهذا إنكار منهم للقرآن الناطق بالحق ، المبرّئ لها مما رموها به ، وجحود لصريح نصوص الكتاب . أقماهم[2] الله تعالى . فما أصبرهم على النار !

وفي الحديث : مباحث ، وفوائد كثيرة : ذكرها الحافظ في (الفتح) لا نطوّل بذكرها . ولنقتصر هنا على ما ذكره النووي : من فوائد هذا الحديث ؛

قال رحمه الله تعالى : اعلم أن في « حديث الإفك[3] » فوائد كثيرة ؛

إحداها : جواز رواية الحديث الواحد ، عن جماعة - عن كل واحد قطعة مبهمة منه - وهذا وإن كان فِعْلَ الزهريِّ وحده ، فقد أجمع المسلمون على قبوله منه ، والاحتجاج به .

الثانية : صحّة القرعة بين النساء ، وفي العتق ، وغيره مما تقدّم في أول الحديث « مع خلاف العلماء » .

الثالثة : وجوب الإقراع بين النساء ، - عند إرادة السفر ببعضهن - .

الرابعة : أنه لا يجب قضاء مدة السفر : للنسوة المقيمات . وهذا مجمع عليه ، - إذا كان السفر طويلاً - وحكم القصير حكم الطويل ، على المذهب الصحيح . وخالف فيه بعض الشافعية .

الخامسة : جواز سفر الرجل ، بزوجته .

---

(١) (وإفكهم إياها) ، لو قال - مكانه - : « وإفكهم في شأنها » أو في حقها : لكان أوضح . المحقق .

(٢) (أقماهم) أي : أضلهم ، من « قَمِه يَقْمَه » : إذا ذهب في الأرض على وجهه ، لا يدري أين يذهب المحقق .

(٣) (حديث الإفك) ، في الأصل : « الحديث الإفك » وهو خطأ في النسخ . المحقق .

السادسة : جواز غزوهنّ .

السابعة : جواز ركوب النساء ، في « الهوادج » .

الثامنة : جواز خدمة الرجال لهنّ ، في تلك الأسفار .

التاسعة : أن ارتحال العسكر يتوقف على أمر الأمير .

العاشرة : جواز خروج المرأة لحاجة الإنسان ، بغير إذن الزوج . وهذا من الأمور المستثناة .

الحادية عشر[1] : جواز لبس النساء ، القلائد - في السفر - كالحضر .

الثانية عشر[2] : أن من يركّب المرأة - على البعير وغيره - لا يكلّمها ، إذا لم يكن محرماً : إلا لحاجة ، لأنهم حملوا الهودج ، ولم يكلموا من يظنونها فيه .

الثالثة عشر[3] : فضيلة الاقتصاد في الأكل : للنساء وغيرهن ، وأن لا يكثر منه بحيث يهبّله[4] اللحم ، لأن هذا كان حالهنّ - في زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - وما كان في زمانه ، صلى الله عليه وآله وسلم : فهو الكامل الفاضل المختار .

الرابعة عشر[5] : جواز تأخّر بعض الجيش - ساعة ونحوها ، لحاجة تعرض له - عن الجيش ، إذا لم يكن ضرورة إلى الاجتماع .

---

(١) (الحادية عشر) هكذا ؛ في الأصل ، كما في النووي ، والأولى أن يقال : « الحادية عشرة » ، بتأنيث الجزأين . المحقق .

(٢) (الثانية عشر) الحكم فيها كالحكم في : « الحادية عشرة » . أي أن يقال : « الثانية عشرة » . المحقق .

(٣) (الثالثة عشر) كسابقتيها ؛ فالأولى : « الثالثة عشرة » . المحقق .

(٤) (يهبّله) أي : يُثقِّله . وقد تقدم تفسيره . المحقق .

(٥) (الرابعة عشر) : الأولىٰ : « الرابعة عشرة » . المحقق .

الخامسة عشر[1] : إعانة الملهوف ، وعون المنقطع ، وإنقاذ الضائع ، وإكرام ذوي الأقدار - كما فعل صفوان ، رضي الله عنه - في هذا كله .

السادسة عشر[2] : حسن الأدب مع الأجنبيات - لاسيما في الخلوة بهن ، عند الضرورة - في برية أو غيرها ، كما فعل صفوان : من إبراكه الجمل من (غير كلام ، ولا سؤال) ، وأنه ينبغي أن يمشي قدّامها ، لا بجنبها ولا وراءها .

السابعة عشر[3] : استحباب الإيثار - بالركوب ونحوه - كما فعل صفوان .

الثامنة عشر[4] : استحباب الاسترجاع عند المصائب : (سواء كانت في الدين أو الدنيا ، وسواء كانت في نفسه أو من يعزّ عليه) .

التاسعة عشر[5] : تغطية المرأة وجهها عن نظر الأجنبي ، (سواء كان صالحاً ، أو غيره) .

العشرون : جواز الحلف ، من غير استحلاف[6] .

الحادية والعشرون : أنه يستحب أن يُسْتَر عن الإنسان « ما يُقال فيه » ، إذا لم يكن في ذكره فائدة ، كما كتموا عن عائشة « رضي الله عنها » : هذا

---

(١) (الخامسة عشر) : الأولىٰ : « الخامسة عشرة » . المحقق .
(٢) (السادسة عشر) : الأولىٰ : « السادسة عشرة » . المحقق .
(٣) (السابعة عشر) . الأولىٰ : « السابعة عشرة » . المحقق .
(٤) (الثامنة عشر) . الأولىٰ : « الثامنة عشرة » . المحقق .
(٥) (التاسعة عشر) . الأولىٰ : « التاسعة عشرة » . المحقق .
(٦) هذا ليس على إطلاقه ، ولكنه يجوز ، إذا كان الموقف يقتضيه . قال تعالى : « وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ » . المحقق .

الأمـر ، شهـراً ، ولم تسمع بعد ذلك : إلا بعارض عرض ، وهو قول أم مسطح : « تعس مسطح » .

الثانية والعشرون : استحباب ملاطفة الرجل زوجته ، وحسن المعاشرة .

الثالثة والعشرون : أنه إذا عرض عارض - بأن سمع عنها شيئاً ، أو نحو ذلك - يقلّل من اللطف ونحوه ، لتفطن هي أن ذلك لعارض ، فتسأل عن سببه ، فتزيله .

الرابعة والعشرون : استحباب السؤال عن المريض .

الخامسة والعشرون : أنه يستحبّ للمرأة - إذا أرادت الخروج لحاجة - أن تكون معها رفيقة ، تستأنس بها ولا يتعرض لها أحد[1] .

السادسة والعشرون : كراهة الإنسان صاحبه أو قريبه - إذا آذى أهل الفضل ، أو فعل غير ذلك من القبائح - كما فعلت « أم مسطح » في دعائها عليه .

السابعة والعشرون : فضيلة أهل بدر ، والذبّ[2] عنهم - كما فعلت عائشة ، في ذبّها عن مسطح - .

الثامنة والعشرون : أن الزوجة لا تذهب إلى بيت أبويها ، إلا بإذن زوجها .

التاسعة والعشرون : جواز التعجّب بلفظ « التسبيح » ، وقد تكرّر في هذا الحديث وغيره .

(١) (لها أحد) لم يذكر بالأصل كلمة « أحد » . وماأثبتناه هو الأوضح ، تصحيحا من النووي / مسلم ، ص ١١٧ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (الذبّ) أي : الدّفاع . المحقق .

الثلاثون[1] : استحباب مشاورة الرجل (بطانته ، وأهله ، وأصدقاءه) فيما ينوبه من الأمور .

الحادية والثلاثون[1] : جواز البحث والسؤال (عن الأمور المسموعة ، عمّن له به تعلق) . أما غيره[2] فهو منهيّ عنه ، وهو تجسس وفضول .

الثانية والثلاثون[1] : خطبة الإمام[3] الناس (عند نزول أمرٍ مهم) .

الثالثة والثلاثون[1] : اشتكاء ولي الأمر إلى المسلمين : من تعرض له بأذى في نفسه ، أو أهله ، أو غيره . واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به .

الرابعة والثلاثون[1] : فضائل ظاهرة : لصفوان بن المعطل ، « رضي الله عنه » : بشهادة النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم له ، بما شهد . وبفعله الجميل (في إركاب عائشة ، وحسن أدبه في جملة القضية) .

الخامسة والثلاثون[1] : فضيلة لسعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير « رضي الله عنهما » .

السادسة والثلاثون[1] : المبادرة إلى قطع الفتن والخصومات والمنازعات ، وتسكين الغضب .

السابعة والثلاثون[1] : قبول التوبة والحثّ عليها .

الثامنة والثلاثون[1] : تفويض الكلام إلى الكبار - دون الصغار - ، لأنهم أعرف .

التاسعة والثلاثون[1] : جواز الاستشهاد بآيات القرآن العزيز ، ولا خلاف أنه جائز .

---

(١) (الثلاثون) في الأصل : « الثلثون » . المحقق .

(٢) (غيره) أي الذي ، لا تعلّق له به . المحقق .

(٣) (الإمام) في الأصل : « الانام » وهو خطأ في النسخ . المحقق .

الأربعون : استحباب المبادرة : بتبشير من تجددت له نعمة ظاهرة ، أو اندفعت عنه بليّة ظاهرة .

الحادية والأربعون : براءة « عائشة » من الإفك ، وهي براءة قطعيّة بنص القرآن العزيز . فلو تشكّك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافراً مرتدّاً ، بإجماع المسلمين .

قال ابن عباس وغيره : « لم تَزْنِ امْرَأَةُ نَبِيٍّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ ، عليهم السلام » وهذا إكرام من الله تعالى لهم .

الثانية والأربعون : تجديد شكر الله تعالى ، عند تجدّد النعم .

الثالثة والأربعون : : فضائل لأبي بكر رضي الله عنه ، في قوله تعالى : « وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ » الآية[1] .

الرابعة والأربعون : استحباب صلة الأرحام - وإن كانوا مسيئين - .

الخامسة والأربعون : العفو والصفح عن المسيء[2] .

السادسة والأربعون : استحباب الصّدقة والإنفاق ، في سبيل الخيرات .

السابعة والأربعون : أنه يستحبّ لمن حلف على يمين - ورأى غيرها خيراً منها - : أن يأتي الذي هو خير ، ويكفّر عن يمينه .

الثامنة والأربعون : فضيلة زينب[3] أم المؤمنين ، « رضي الله عنها » .

---

(١) الآية : (٢٢) من سورة النور . المحقق .

(٢) (المسيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (زينب بنت جحش) رضي الله عنها ، وتتجلّى - في هذا الموقف - أمانتها ، واعتصامها بدينها : أن تقول في ضرّتها عائشة مالا تعلم عنها إلا خلافه . المحقق .

التاسعة والأربعون : التثبيت[1] في الشهادة .

الخمسون : إكرام المحبوب : بمراعاة أصحابه ، ومن خدمه ، أو أطاعه ، كما فعلت عائشة : (بمراعاة حسان ، وإكرامه) : إكراماً للنبي ، صلى الله عليه وآله وسلم .

الحادية والخمسون : أن « الخطبة » تُبتدأ : بحمد الله تعالى ، والثناء عليه بما هو أهله .

الثانية والخمسون : أنه يستحب في الخطب أن يقول - بعد الحمد والثناء ، والصلاة[2] على النبي ، صلى الله عليه وآله ، والشهادتين - : « أما بعد » . وقد كثرت فيه[3] الأحاديث الصحيحة .

الثالثة والخمسون : غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم ، واهتمامهم بدفع ذلك .

الرابعة والخمسون : جواز سبّ المتعصب لمبطل ، كما سبّ أسيد بن حضير « سعد بن عبادة » لتعصبه للمنافق . وقال : إنك منافق ، تجادل عن المنافقين . وأراد : إنك تفعل فعل المنافقين ، ولم يرد النفاق الحقيقي .

هذا آخر كلام النووي[4] .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في:(باب براءة حرم النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، من الرِّيبة) .

(١) (التثبيت) هكذا في الأصل ، كما في النووي ، ولعل الصواب : « التثبّت » . المحقق .

(٢) (والصلاة) في الأصل : « والصلوة » . المحقق .

(٣) (فيه) أي : في قول : « أما بعد » - في الخطب -.المحقق .

(٤) وهو في (١٧ / ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١١٨ ، ١١٩ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسٍ ؛ أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُتَّهَمُ : بِأُمِّ وَلَدِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم - لِعَلِيٍّ - : « اذْهَبْ ، فَاضْرِبْ عُنُقَهُ » ، فَأَتَاهُ عَلِيٌّ - فَإِذَا هُوَ فِي رَكِيٍّ ، يَتَبَرَّدُ فِيهَا - فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ : اخْرُجْ . فَنَاوَلَهُ يَدَهُ فَأَخْرَجَهُ ، فَإِذَا هُوَ مَجْبُوبٌ « لَيْسَ لَهُ ذَكَرٌ » ، فَكَفَّ عَلِيٌّ عَنْهُ ، ثُمَّ أَتَى النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ : يَارَسُولَ اللّهِ ! إِنَّهُ لَمَجْبُوبٌ ، مَالَهُ ذَكَرٌ) .

(الشَّرح)

(عن أنس رضي الله عنه[1] ؛ أن رجلاً كان يتّهم : بأم ولد رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه) وآله (وسلم - لعليّ : اذهب فاضرب عنقه » ، فأتاه عليّ - فإذا هو في ركيّ يتبرد فيها) وهو[2] البئر . (فقال له عليّ : اخرج . فناوله يده فأخرجه ، فإذا هو مجبوب « ليس له ذكر » ، فكفّ عليّ عنه)[3] أي : رآه مجبوباً فتركه (ثم أتى النبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال : يارسول الله ! إنه لمجبوب ، ماله ذكر) .

قيل : لعلّه كان منافقاً ، ومستحقّا للقتل بطريق آخر . وجعل هذا

(١) لم يذكر في مصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (وهو) أي « الرّكيّ » . المحقق .

(٣) اشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ ، بزيادة : « رضي الله عنه » . المحقق .

محرّكاً لقتله : بنفاقه وغيره ، لا بالزنا . وكفّ عنه عليّ رضي الله عنه - اعتماداً على أن القتل بالزنا - وقد علم انتفاء الزنا . والله أعلم .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ"[1]

وهو في النووي ، في:آخر (كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ جَابِرٍ ؛ أَنَّ جَارِيَةً لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ ، ابْنِ سَلُولَ : يُقَالُ لَهَا : « مُسَيْكَةُ » ، وَأُخْرَىٰ يُقَالُ لَهَا : « أُمَيْمَةُ » ، فَكَانَ يُكْرِهُهُمَا عَلَى الزِّنَا . فَشَكَتَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ : « وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ » ، إِلَىٰ قَوْلِهِ : « غَفُورٌ رَّحِيمٌ ») .

(الشرح)

(عن جابر) رضي الله عنه ؛ (أن جارية لعبد الله بن أبيّ ، ابن سلول ؛ يقال لها : « مسيكة » .وأخرى يقال لها : « أميمة »[2] . فكان يكرههما[3] على الزنا) .

قال النووي : « مسيكة » بضم الميم .

(١) الآية : (٣٣) من سورة النور . المحقق .

(٢) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه جاء في بعض النسخ : « أميّة » مكان : « أميمة » . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه جاء في بعض النسخ : « يريدهما » مكان : « يكرههما » . المحقق .

وقيل : إنهما « معاذة » ، « وزينب » .

(فشكتا ذلك إلى النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فأنزل الله تعـالى[1] : « وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً » إلى قوله : « غَفُورٌ رَّحِيمٌ »)[2] .

وقيل : نزلت في ستّ جوارٍ له ، كان يكرههنّ على الزنا : (معاذة ، ومسيكة ، وأميمة ، وعمرة ، وأروىٰ ، وقتيلة) والله أعلم .

قال[3] في (فتح البيان) : المراد بالفتيات - هنا - : الإماء ، وإن كان الفتى والفتاة ، قد يطلقان على الأحرار - في مواضع أخر -

« والفتى » : الشابّ . « والفتاة » : الشابّة .

« والبغاء » بالكسر والمد : مصدر « بغت المرأة تبغي بغاء » إذا زنت ، وفجـرت . وهـذا مختص بزنا النساء . فلا يقال للرجل - إذا زنى - « إنه بغيّ » قاله الأزهريّ ، والجمع : « البغايا » .

سُورَةُ الْفُرْقَانِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ"[4]

وهـو في النووي ، في الجزء الأول ، في :(باب كون الإسلام يهدم ماقبله ، وكذا الحج والهجرة) .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « تعالى » . المحقق .

(٢) الآية : (٣٣) من سورة النور . المحقق .

(٣) (قال)أي :المؤلف ، في كتابه : (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) . المحقق .

(٤) الآية : (٦٨) من سورة الفرقان . المحقق .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ أَنَّ نَاساً مِنْ أَهْلِ الشِّرْكِ : قَتَلُوا ، فَأَكْثَرُوا . وَزَنَوْا ، فَأَكْثَرُوا . ثُمَّ أَتَوْا مُحَمَّداً ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالُوا : إِنَّ الَّذِي تَقُولُ وَتَدْعُو ، لَحَسَنٌ .

وَلَوْ تُخْبِرُنَا : أَنَّ لِمَا عَمِلْنَا ، كَفَّارَةً ! فَنَزَلَ : « وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً »[1] .

وَنَزَلَ : « يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ، لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ »)[2] .

(الشرح)

(عن ابن عباس) رضي الله عنهما ، (أن ناساً من أهل الشرك : قتلوا ، فأكثروا . وزنوا : فأكثروا . وأتوا[3] محمداً ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقالوا : إنّ الذي تقول ، وتدعو إليه[4] : لحسن . ولو تخبرنا : أن لما عملنا ، كفارة !) .

فيه محذوف ، وهو جواب « لو » . أي « لو تخبرنا ، لأسلمنا » . وحذفه كثير في القرآن العزيز ، وكلام العرب . كقوله تعالى : « وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ

---

(١) الآية : (٦٨) من سورة الفرقان . المحقق .

(٢) الآية : (٥٣) من سورة الزمر . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « ثُمَّ أَتَوا » . المحقق .

(٤) (وتدعو إليه) لم يذكر بمصدر الحديث كلمة : « إليه » . المحقق .

الظَّالِمُونَ »[1] وأشباهه . (فنزلت[2]:« وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّٰهِ إِلٰهاً آخَرَ ، وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّٰهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ، وَلَا يَزْنُونَ ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً »)[3] .

قيل : معناه[4] : عقوبة .

وقيل : هو واد في جهنم .

وقيل : بئر فيها .

وقيل : « جزاء إثمه » .

قاله النووي .

قال الفرّاء : « آثمه الله ، يؤثمه : آثاماً وأثاماً » أي : جازاه جزاء الإثم ، فهو مأثوم . أي : مجزيّ جزاء الإثم .

وقال السدي : هو جبل في النار .

(ونزل: «قُلْ[5] يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللّٰهِ » الآية[6] « إِنَّ اللّٰهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »[6]).

وفي هذه الآية ، من أنواع المعاني والبيان : أشياء حسنة ، ذكرتها في (فتح البيان) ، وأطلت في معنى هذه الآية ، فراجعه .

(١) جزء من الآية (٣١) من سورة سبأ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « فنزل » بدون تاء . وقد أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنها في بعض النسخ « فنزل » . المحقق .

(٣) الآية : (٦٨) من سورة الفرقان . المحقق .

(٤) (معناه) أي معنى : « أثاماً » . المحقق .

(٥) لم يذكر بمصدر الحديث : « قل » . وقد أشار المؤلف بعدم ذكره في بعض النسخ . ولكنه مذكور في كتاب الله . المحقق .

(٦) الآية : (٥٣) من سورة الزمر . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث كلمة « الآية » . المحقق .

سُورَةُ "الٓمٓ تَنزِيلُ" السَّجدة : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : "فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ" [1]

وهو في النووي ، في :(كتاب الجنة ، وصفة نعيمها ، وأهلها) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٦ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؛ قَالَ : قَالَ : رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ : مَالَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ : ذُخْراً . بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللّهُ عَلَيْهِ » .

ثُمَّ قَرَأَ : فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ)[1] .

(الشَّرح)

(عن أبي هريرة) رضي الله عنه ؛ (قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « يقول الله[2] : أعددت لعباديَ الصالحين : مالا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر : ذخراً ، بله ما أطلعكم عليه)[3] .

وفي بعض النسخ : « أَطْلَعْتُكُمْ عَلَيْهِ »[4] .

هكذا هو في رواية « أبي بكر بن أبي شيبة » : « ذخراً » ، في جميع النسخ .

« وبله » بفتح الباء ، وإسكان اللام ، معناها : « دع عنك ما أطلعكم

---

(١) الآية : (١٧) من سورة السجدة . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : بزيادة « عز وجل » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « أطلعكم الله عليه » ، بزيادة لفظ الجلالة . المحقق .

(٤) ذكره النووي في (١٧ / ١٦٦)، المطبعة المصرية . المحقق .

عليه » . فالذي لم يطلعكم عليه : أعظم . وكأنه أضرب استقلالاً له ، في جنب مالم يطلع عليه .

وقيل : معناها[1] : غير . وقيل : كيف .

(ثم قرأ : فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[2] .

وفي رواية أخرى : « مِصْدَاقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللّهِ . فَلَا تَعْلَمُ[3] » إلخ .

وفي رواية : عن سهل بن ساعد ؛ قال :(شَهِدْتُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : مَجْلِساً ، وَصَفَ فِيهِ الْجَنَّةَ ، حَتَّىٰ انْتَهَىٰ ، ثُمَّ قَالَ[4] فِي آخِرِ حَدِيثِهِ : « فِيهَا مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، وَلَا عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ خَطَرَ ، ثُمَّ قَرَأَ هَـٰذِهِ الْآيَةَ : تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ، وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنْفِقُونَ . فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ . . ») إلخ .

قال[5] في (فتح البيان) - في قوله سبحانه « فلا تعلم نفس . . »إلخ- : النكرة في سياق النفي ، تفيد العموم . أيْ لا تعلم نفس من النفوس - أيّ

---

(١) (معناها) أي : معنى « بَلْهَ » . المحقق .

(٢) الآية : (١٧) من سورة السجدة . المحقق .

(٣) هي رواية (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة) . وهي بنفس مصدر حديث الباب . أما حديث الباب ، فهو رواية (الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة) . المحقق .

(٤) هذه الرواية في صحيح مسلم / النووي (١٦٧/١٧) ، المطبعة المصرية . ولكن ورد بها : « صلى الله عليه وسلم » بعد قوله : « قال » . وورد بها : « ولا خطر على قلب بشر » ، مكان : « وَلَا على قلب بشر خطر » ، وورد بها : « اقترأ » مكان : « قرأ » وذكر فيها : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » . المحقق .

(٥) (قال) يعني المؤلف نفسه ، و (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) من تفسيره ، وقد طبع على نفقة « إحياء التراث » بدولة قطر . المحقق .

نفس كانت - · ماأخفاه الله سبحانه ، لأولـئك الذين تقدّم ذكرهم : مما تقرّ به أعينهم . قال أبو السعود : أي لا ملكٌ مقرَّب ، ولا نبيّ مرسل (فضلا عما عداهم).انتهى[١] .

وقيل : معناه: لا تعلم علما تفصيليّاً ، وإلا فنحن نعلم ماأعدّ للمؤمنين من النعيم إجمـالاً : من حيث إنه غرف في الجنة ، وقصور ، وأشجار ، وأنهار ، وملابس ، ومآكل ، وغير ذلك . انتهى[٢] .

بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ"[٣]

وهو في النووي ، في:(باب[٤] صفة القيامة ، والجنة والنار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ شُعْبَةَ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَزْرَةَ ، عَنِ الْحَسَنِ الْعُرَنِيِّ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ الْجَزَّارِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَـٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَىٰ ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ - فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَـلَّ : « وَلَنُـذِيقَنَّهُمْ مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ »[٣] - ؛ قَالَ : مَصَائِبُ الدُّنْيَا ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْشَةُ أَوِ الدُّخَانُ . « شُعْبَةُ » : الشَّاكُّ فِي الْبَطْشَةِ ، أَوِ الدُّخَانِ) .

---

(١) (انتهى) كلام أبي السعود ، الذي حكاه عنه المؤلف ، في تفسيره المذكور . المحقق .

(٢) (انتهى) ماذكره المؤلف ، في (فتح البيان) . المحقق .

(٣) الآية : (٢١) من سورة السجدة . المحقق .

(٤) في النووي : « كتاب » ، مكان : « باب » . انظر (١٧ / ١٢٩) ، المطبعة المصرية . أما اسم الباب الذي ذكر فيه الحديث ، فهو (باب الدخان) ، وهو بص ١٤٠ ، المصدر المذكور . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أبيّ بن كعب ، رضي الله عنه[1] ؛ - في قوله تعالى : وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ) وهو عذابُ الدنيا . وقيل : الحدود . وقيل : القتل بالسيف يوم بدر . وقيل : سنين الجوع بمكة « سبع سنين » ، حتى أكلوا فيها الجيف والعظام ، وقيل : عذاب القبر .

قال الشوكاني : ولا مانع من الحمل على الجميع .

والذوق : حسيّ ومعنوي

(دون العـذاب الأكبر) ، وهو عذاب الآخرة ، « لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »[2] مما هم فيه : (من الشرك والمعاصي) - بسبب ما ينزل بهم من العذاب - إلى الإيمان والطاعة[3] ، ويتوبون عما كانوا فيه .

وفـي هذا الـتعليل : دليل على ضعف قول من قال : إن العــذاب الأدنىٰ ، هو عذاب القبر[4] .

(قال : مصائب الدنيا ، والروم ، والبطشة أو الدخان .

« شعبة » : الشاكّ في البطشة أو الدخان) .

قال ابن مسعــود : العـذاب الأدنى : « يوم بدر » ، والأكبـر : « يوم القيامة » . لعل من بقي منهم أن يتوب فيرجع[5] .

وقيل غير ذلك : مما تقدم ، ومما لم يتقدم .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . هذا ؛ وقد ذكرنا من السند ، من أول : « عن شعبة » . المحقق .

(٢) الآية : (٢١) من سورة السجدة . المحقق .

(٣) (إلى الإيمـان والـطاعة .. إلخ) الجار والمجرور هنا متعلق بقوله : « يرجعون » . أي : ولنذيقنهم من العذاب إلخ . لعلهم يرجعون من الشرك والمعاصي : إلى الإيمان والطاعة .. إلخ . المحقق .

(٤) أفاده صاحب (فتح القدير) ، ٢٥٤/٤ . المحقق .

(٥) (فيرجع) في الأصل كتبت الفاء قافاً ، خطأ في النسخ . المحقق .

سُورَةُ الأَحْزَابِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ "[1]

وهو في النووي ، في: (كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٧ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ - فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : « إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ »[1] - ؛ قَالَتْ : كَانَ ذَلِكَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ) .

(الشَّرح)

(عن عائشة) رضي الله عنها ؛ (- في قوله تعالى[2] : إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ) أي : من أعلى الوادي ، وهو من جهة المشرق .

(وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ[1] - قالت : كان ذلك يوم الخندق) .

قال في (فتح البيان)[3] : الذين جاءوا[4] من هذه الجهة - جهة الفوق - هم غطفان ، وسيّدهم:« عيينة بن حصن » . وهوازن ، وسيدهم :« عوف بن مالك » . وأهل نجد ، وسيدهم:« طليحة بن خويلد الأسدي » . وانضمّ إليهم : « بنو النضير » .

---

(١) (جاءوكم) في الأصل : الهمزة فوق الواو . وهذه الآية رقمها (١٠) في سورة الأحزاب . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « عز وجل » ، مكان : « تعالى » . المحقق .

(٣) (فتح البيان) كتاب تفسير للمؤلف ، وقد طبع على نفقة « إحياء التراث الإسلامي » بقطر . المحقق .

(٤) (جاءوا) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الواو . المحقق .

والذين جاءوا[1] من جهة المغرب - من ناحية مكة - هم قريش ومن معهم : من الأحابيش ، وسيدهم:« أبو سفيان بن حرب » .

وجاء أبو الأعور السلمي ، ومعه « حيي بن أخطب » اليهودي ، في يهود « بني قريظة » من وجه الخندق ومعهم : « عامر بن الطفيل » .

ومعنى « زاغت » : مالت وعدلت عن كل شيء[2] ، فلم تنظر إلا إلى عدوّها (مقبلاً من كل جانب) .

وقيل : شَخِصت : دهشاً من فرط الهول والحيرة .

« وحناجر » : جمع « حنجرة » ، وهي جوف الحلقوم .

وقيل : رأس الغلصمة[3] « والغلصمة » : هي رأس الحلقوم[4] .

وقيل : هي منتهى الحلقوم[5] .

« والحلقوم » : مجرى الطعام والشراب . وقيل : مجرى النفس .

« والمريّ »[6] : مجرى الطعام والشراب . وهو تحت الحلقوم .

والمعنى : ارتفعت القلوب عن مكانها ، ووصلت من الفزع والخوف : إلى الحناجر . فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها (وهو الذي نهايته الحنجرة)، لخرجت . كذا قال قتادة[7] .

---

(١) (جاءوا) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الواو . المحقق .

(٢) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) « رأس الغلصمة » : تفسير للحنجرة . المحقق .

(٤) (رأس الغلصمة . « والغلصمة » هي رأس الحلقوم) هذه الكلمات كتبت في الأصل كما يلي : « رأس الغلصمة وهي رأس الحلقوم » : فحذفنا رقم (٣) من تحت الكلمتين (الغلصمة - وهي) وكررنا كلمة : « الغلصمة » : تصرفاً . المحقق .

(٥) تفسير آخر للحنجرة . المحقق .

(٦) (والمري) يقصد : « المريء » . المحقق .

(٧) أفاده صاحب (فتح القدير) ، عند تفسير الآية المذكورة . المحقق .

سُورَةُ يسٓ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا "[1]

وهو في النووي ، في الجزء الأول ، في:(باب بيان الزمن ، الذي لا يقبل فيه الإيمان) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٦ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَبِي ذَرٍّ ؛ قَالَ : سَأَلْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، عَنْ قَوْلِ اللّهِ تَعَالَىٰ : وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا[1] ؟ قَالَ : « مُسْتَقَرُّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ ») .

(الشَّرح)

(عن أبي ذر) رضي الله عنه ؛ (قال : سألت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، عن قول الله جل وعَلاَ[2] : وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا[3] ؟ قال : « مستقرّها تحت العرش »). اختلف المفسرون فيه ؛

فقال جماعة بظاهر الحديث . قال الواحدي : وعلى هذا القول ، إذا غربت كل يوم : استقرّت تحت العرش ، إلى أن تطلع من مغربها .

وقال قتادة ، ومقاتل : معناه : تجري إلى وقت لها ، وأجل لا تتعداه .

قال[4] : وعلى هذا ؛ مستقرّها : انتهاء سيرها - عند انقضاء الدنيا - وهذا اختيار الزجاج .

---

(١) الآية : (٣٨) من سورة يسٓ . المحقق .

(٢) في مصدر الحديث : « تعالى » مكان : « جلّ وعلا » . المحقق .

(٣) تمام الآية : « ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ » .الآية (٣٨) من سورة يسٓ . المحقق .

(٤) (قال) أي : الواحدي . المحقق .

وقال الكلبي : تسير في منازلها ، حتى تنتهي إلى آخر مستقرّها ، الذي لا تجاوزه . ثم ترجع إلى أول منازلها . واختار ابن قتيبة هذا القول .

وقيل غير ذلك ، مما هو مذكور في (فتح البيان) . ورجّح فيه[1] : القول بظاهر الحديث .

سُورَةُ الزُّمَرِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ"[2]

وهو في النووي ، في:(باب[3] صفة القيامة ، والجنة والنار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٩ - ١٣٠ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ؛ قَالَ : جَاءَ حَبْرٌ إِلَى النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ؛ فَقَالَ : يَامُحَمَّدُ ! - أَوْ يَاأَبَا الْقَاسِمِ ! - إِنَّ اللّهَ تَعَالَىٰ ، يُمْسِكُ السَّمَـٰوَاتِ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْأَرَضِينَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْجِبَالَ وَالشَّجَرَ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَىٰ عَلَىٰ إِصْبَعٍ ، وَسَائِرَ الْخَلْقِ عَلَىٰ إِصْبَعٍ . ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ ، فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَنَا الْمَلِكُ .

فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : تَعَجُّباً مِمَّا قَالَ الْحَبْرُ - تَصْدِيقاً لَهُ - ، ثُمَّ قَرَأَ : « وَمَا قَدَرُوا اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَـٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ »)[2] .

---

(١) (فيه) أي في (فتح البيان) ، للمؤلف . المحقق .

(٢) الآية : (٦٧) من سورة الزمر . المحقق .

(٣) في النووي (١٧ / ١٢٩) : « كتاب » مكان : « باب » . المحقق .

(الشرح)

(عن عبد الله بن مسعود) رضي الله عنه ؛ (قال : جاء حبر) بفتح الحاء وكسرها ، والفتح أفصح . « وهو العالم » (إلى النبي[1] صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال : يامحمد ! - أويا أبا القاسم ![2] - : إنَّ الله[3] يمسك السمٰوات - يوم القيامة - على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال والشجر على إصبع ، والماء والثرىٰ على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، ثم يهزّهن) .

قال النووي : هذا من أحاديث الصفات ، وفيه مذهبان ؛ التأويل ، والإمساك عنه - مع الإيمان بها ، مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد - ؛

فعلى قول المتأولين : يتأوَّلون الأصابع - هنا - على الاقتدار . أي : خلقها مع عظمها ، بلا تعب ولا ملل . والناس يذكرون الأصابع في مثل هذا : للمبالغة والاحتقار . فيقول أحدهم : « بإصبعي أقتل زيداً » . أي لا كلفة عليّ في قتله .

وقيل : يحتمل أن المراد : أصابع بعض مخلوقاته . « وهذا غير ممتنع » .

والمقصود : أن « يد الجارحة » مستحيلة . انتهى[4] .

وأقول : مذهب الإمساك أوفَقُ بظاهر الحديث ، وعليه درج السلف الصالح (من الصحابة ، والتابعين) ومن بعدهم : من الأئمة المجتهدين .

---

(١) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « رسول الله » مكان : « النبي » . المحقق .

(٢) شكّ من الراوي : هل قال : يامحمد ! أو قال : ياأبا القاسم ! . المحقق .

(٣) (إن الله) في مصدر الحديث : بزيادة : « تعالى » بعد لفظ الجلالة . المحقق .

(٤) (انتهى) كلام النووي ، وهو في (١٧/١٢٩ ، ١٣٠) ، المصدر المتقدم . المحقق .

وأما مذهب التأويل : فمن محدثات المتكلّمين ، الخائضين في أمورٍ لم يأذن الله لهم به فيها .

وفيه[1] : نوع من تكـذيب الكتـاب ، والسنّـة الصـريحـة التي ليلهـا كنهارها . وإياك أن تغترّ بما نحته الذين ليس لهم حلاوة الإيمان ، ولم يشرح صدرهم للإسلام : بالإخلاص .

والذي يجب على كل من يؤمن بالله ، ورسله ، وكتبه ، واليوم الآخر : أن يؤمِنَ بأحاديث الصفات ، وبآياتها - على حدّ سواء - بلا كيف ، ولا عطلة ، ولا شبهة ، ولا مثال . وهذا القدر : يكفي في تحقيق التنزيه له سبحانه .

(فيقول : أنا الملك ، أنا الملك . فضحك رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : تعجباً مما قال الحبر - تصديقاً له -) .

ظاهر الحديث ؛ أن النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : صدّق الحَبْر في قولـه : إن الله يقبض ما ذكـر بالأصـابـع . (ثم قرأ) الآية التي فيهـا الإشـارة : إلى نحو ما يقول ، وهو قوله سبحانه : (« وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ، وَالْأَرْضُ جَمِيعـاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَالسَّمَـٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ »)[2] .

قال عياض : قال بعض المتكلمين : ليس ضحكه صلى الله عليه وآله وسلم وتعجّبه ، وتلاوته للآية : (تصديقاً لحبر) بل هو ردّ لقوله ، وإنكار وتعجّب : من سوء اعتقـاده ؛ فإن مذهب اليهـود : التجسيم . ففهم منه

(١) (وفيه) أي:في « مذهب التأويل » . المحقق .

(٢) الآية : (٦٧) من سورة الزمر . المحقق .

ذلك . وقوله : « تصديقاً له » إنما هو من كلام الراوي ، على مافهم . والأول أظهر . انتهى[1] .

وأقول : هذا الذي قاله بعض المتكلمين:« يأباه النظم السنيّ ، ويخالفه واضح هذا الكلام ، الذي لاسترة عليه » . وإنما يفهم منه التجسيم : من لا يفهم كلام الله ، ولا كلام رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

وإلا ، فمالنا وللتجسيم ، الذي هو من أمارات الحدوث والإمكان ، « والله سبحانه وتعالى : منزّه عن الزمان ، ومقدّس عن المكان ، ومطهّر من الجثمان » ؟

وليس في إجراء الصفات الثابتة في القرآن والحديث : ما يستلزم التجسيم والتشبيه والتمثيل ، مع قوله تعالى : « لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ »[2] ، « وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ »[3] .

نعم ؛ في تأويل الصفات ، وتوجيهها على المحامل البعيدة ، والمنازل الشاسعة ، والاحتمالات الباردة : تعطيل لأوصافه سبحانه ، وتكذيب لصفاته ، وجحد لأسمائه وسماته ، « أعاذنا الله منها »

قال في (فتح البيان)[4] معنى الآية : ما عرفوه حق معرفته .

« والقبضة » في اللغة : ما قبضت عليه بجميع كفك .

---

(١) (انتهى) كلام عياض ، وقد حكاه النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٢) الآية : (١١) من سورة الشورى . المحقق .

(٣) آخر سورة الإخلاص . المحقق .

(٤) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) كتاب تفسير للمؤلف ، وهو مطبوع على نفقة (إحياء التراث الإسلامي) بدولة قطر . المحقق .

والمراد بالأرض : الأرضون السبع .

قال الخازن : « اليمين » ليست - عندنا - بمعنى الجارحة . وإنما هي صفة جاء بها التوقيف ، فنحن نطلقها على ماجاءت ، ولا نكيّفها . وننتهي إلى حيث انتهى بنا الكتاب ، والأخبار المأثورة الصحيحة . وهذا مذهب أهل السنة والجماعة .

وقال سفيان بن عيينة : كل ماوصف الله به نفسه - في كتابه - فتفسيره : تلاوته ، والسكوت عنه . انتهى[1] .

سُورَةُ "حم" السَّجْدة : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : "وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ"[2]

وهو في النووي ، في:(كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٢ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ؛ قَالَ : اجْتَمَعَ عِنْدَ الْبَيْتِ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ : قُرَشِيَّانِ وَثَقَفِيٌّ - أَوْ ثَقَفِيَّانِ وَقُرَشِيٌّ - ، قَلِيلٌ فِقْهُ قُلُوبِهِمْ ، كَثِيرٌ شَحْمُ بُطُونِهِمْ .

فَقَالَ أَحَدُهُمْ : أَتَرَوْنَ اللَّهَ ، يَسْمَعُ مَا نَقُولُ ؟

وَقَالَ الْآخَرُ : يَسْمَعُ إِنْ جَهَرْنَا ، وَلاَ يَسْمَعُ إِنْ أَخْفَيْنَا .

وَقَالَ الْآخَرُ : إِنْ كَانَ يَسْمَعُ إِذَا جَهَرْنَا ، فَهُوَ يَسْمَعُ إِذَا أَخْفَيْنَا .

فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ، وَلاَ أَبْصَارُكُمْ ، وَلاَ جُلُودُكُمْ » الآية)[2] .

---

(١) (انتهى) أي : كلام الخازن . المحقق .

(٢) الآية : (٢٢) من سورة فصلت . المحقق .

الشرح

(عن ابن مسعود رضي الله عنه[1] ؛ قال : اجتمع عند البيت ثلاثة[2] نفر : قرشيَّان وثقفيّ - أو ثقفيان وقرشيّ[3] - قليلٌ فقه قلوبهم ، كثيرٌ شحم بطونهم ؛

فقال أحدهم : أترون أن الله [4] يسمع ما نقول ؟

وقال الآخر : يسمع إن جهرنا ، ولا يسمع إن أخفينا .

وقال الآخر : إن كان يسمع إذا جهرنا ، فهو يسمع إذا أخفينا .

فأنزل الله عز وجل : « وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ، وَلَا أَبْصَارُكُمْ ، وَلَا جُلُودُكُمْ » الآية)[5] .

فيه : بيان سبب نزول هذه الآية الشريفة .

وفيه : تقريع لهم وتوبيخ ، من جهة الله سبحانه ، أو من « كلام الجلود »[6] وهو قول أكثر العلماء .

وأخرج عبد الرزاق ، وأحمد ، والنسائي ، وابن أبي حاتم ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في (البعث) ؛ عن معاوية بن حيدة ، قَالَ : قَالَ

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (ثلاثة) في الأصل : « ثلثة » . المحقق .

(٣) (أو ثقفيان وقرشيّ) ، شك من الراوي . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « أترون الله » ، بدون : « أنّ » ، وقد وضع المؤلف إشارة ، فوق « أنّ » : للدلالة على عدم ورودها ، في بعض النسخ . المحقق .

(٥) تمام الآية : « وَلَـٰكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ » وهي رقم (٢٢) من سورة (حمٓ السجدة) المشهورة : بسورة فصّلت . المحقق .

(٦) أي أخذاً من قوله تعالى - في الآية (٢١) من نفس السورة : « وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ : لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ؟ قَالُوا : أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ » الآية . وهذا سيكون يوم القيامة ، كما صرحت به الآيات . المحقق .

رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : (« تُحْشَرُونَ هٰهُنَا - وَأَوْمَىٰ بِيَدِهِ إِلَى الشَّـام - مُشَـاةً وَرُكْبَـاناً ، وَعَلَىٰ وُجُوهِكُمْ . وَتُعْرَضُونَ عَلَى اللّهِ - وَعَلَىٰ أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ - وَأَوَّلُ مَا يُعْرِبُ عَنْ أَحَدِكُمْ : فَخِذُهُ ، وَكَفُّهُ » وَتَلَا رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ . . إلخ)[1] .

سُورَةُ الدُّخَانِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ"[2]

وهو في النووي ، في:(باب[3] صفة القيامة ، والجنة والنار) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٠ ، ١٤١ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مَسْرُوقٍ ؛ قَالَ : كُنَّا ، عِنْدَ عَبْدِاللّهِ ، جُلُوساً - وَهُوَ مُضْطَجِعٌ بَيْنَنَـا - ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَاأَبَا عَبْدِالرَّحْمَـٰنِ ! إِنَّ قَاصّاً - عِنْدَ أَبْوابِ كِنْدَةَ - يَقُصُّ ، وَيَزْعُمُ : أَنَّ آيَةَ الدُّخَانِ ، تَجِيءُ فَتَأْخُذُ بِأَنْفَاسِ الْكُفَّارِ ، وَيَأْخُذُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ : كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ .

---

(١) ذكـره بنفس اللفظ : الشـوكاني في « فتح القدير » (٤/٥١٣) عند تفسير الآية الكريمة : إلا أنه قال : « وكتفـه » مكـان : « وكفّه » . ويبدو أن كلا اللفظين وارد ؛ فعند ابن كثير (٣/٥٧٧) ، في تفسير قوله تعالى : « الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ » . الآية (٦٥) من سورة يٓس ؛ عن بهز بن حكيم ، عن أبيه عن جده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ مُفَدَّماً عَلَىٰ أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَام ؛ فَأَوَّلُ مَا يُسْأَلُ عَنْ أَحَدِكُمْ : فَخِذُهُ وَكَتِفُهُ » رواه النسائي . وعنده (٤/٩٧) ، في تفسير : « وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ » . الآية (٢٢) من سورة فصلت ، قال صلى الله عليه وسلم : « إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ - يَوْمَ الْقِيَامَةِ - مُفَدَّماً عَلَىٰ أَفْوَاهِكُمْ بِالْفِدَامِ ؛ فَأَوَّلُ شَيْءٍ يُبِينُ عَنْ أَحَدِكُمْ : فَخِذُهُ . وَكَفُّهُ » . المحقق .

(٢) الآية : (١٠) من سورة الدخان . المحقق .

(٣) الذي في النووي ، ص ١٢٩ : (كتاب) مكان : « باب » . واسم الباب الذي ذكر فيه الحديث : « باب الدخان » . المحقق .

فَقَالَ عَبْدُ اللّهِ - وَجَلَسَ ، وَهُوَ غَضْبَانُ - يَاأَيُّهَا النَّاسُ ! اتَّقُوا اللّهَ ، مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ شَيْئاً : فَلْيَقُلْ بِمَا يَعْلَمُ . وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ : فَلْيَقُلْ : اللّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّهُ أَعْلَمُ لِأَحَدِكُمْ : أَنْ يَقُولَ لِمَا يَعْلَمُ : اللّهُ أَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِنَبِيِّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ » .

إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ لَمَّا رَأَىٰ مِنَ النَّاسِ إِدْبَاراً ، فَقَالَ : « اللّهُمَّ ! سَبْعٌ كَسَبْعِ يُوسُفَ » . قَالَ : فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ ، حَصَّتْ كُلَّ شَيْءٍ ، حَتَّىٰ أَكَلُوا الْجُلُودَ وَالْمَيْتَةَ : مِنَ الْجُوعِ ، وَيَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ أَحَدُهُمْ ، فَيَرَىٰ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ .

فَأَتَاهُ أَبُو سُفْيَانَ ، فَقَالَ : يَامُحَمَّدُ ! إِنَّكَ جِئْتَ تَأْمُرُ : بِطَاعَةِ اللّهِ ، وَبِصِلَةِ الرَّحِمِ . وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا ، فَادْعُ اللّهَ لَهُمْ .

قَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَغْشَى النَّاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ » إِلَىٰ قَوْلِهِ : « إِنَّكُمْ عَائِدُونَ »[1] .

قَالَ : أَفَيُكْشَفُ عَذَابُ الْآخِرَةِ ؟ « يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ »[2] .

فَالْبَطْشَةُ : يَوْمَ بَدْرٍ . وَقَدْ مَضَتْ آيَةُ الدُّخَانِ ، وَالْبَطْشَةُ ، وَاللِّزَامُ ، وَآيَةُ الرُّومِ) .

(الشرح)

(عن مسروق ؛ قال : كنا عند عبد الله جلوساً - وهو مضطجعٌ بيننا -

---

(١) الآيات من (١٠) إلى (١٥) من سورة الدخان . المحقق .

(٢) الآية : (١٦) من سورة الدخان . المحقق .

فأتاه رجل ، فقال : ياأبا عبد الرحمن ! إنّ قاصّاً عند أبواب كِنْدة) هو باب بالكوفة (يقصّ ويزعم : أن آية الدّخان تجيء[1] فتأخذ بأنفاس[2] الكفار ، ويأخذ المؤمنين منه[3] : كهيئة الزكام . فقال عبد الله – وجلس وهو غضبان – : ياأيها الناس ! اتقوا الله ؛ من علم منكم شيئاً : فليقل بما يعلم . ومن لم يعلم : فليقل : الله أعلم . فإنه أعلم لأحد كم ، أن يقول – لما لا يعلم – : الله أعلم . فإن الله عز وجل ، قال لنبيه صلى الله عليه) وآله (وسلم : « قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ »[4] . إنّ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، لما رأى من الناس إدباراً ، فقال : « اللهم ! سبعٌ كسبع يوسف » . قال : فأخذتهم سنة) .

« السنة » القحط ، والجدب . ومنه قوله تعالى : « وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ »[5] .

(حصت كل شيء)[6] أي استأصلته ، (حتى أكلوا الجلود والميتة . من الجوع . وينظر إلى السماء أحدهم : فيرى كهيئة الدخان . فأتاه أبو سفيان ، فقال : يامحمد ! إنك جئت تأمر : بطاعة الله ، وبصلة الرحم . وإن قومك قد هلكوا ، فادع الله لهم .

قال الله عز وجلّ : « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ . يَغْشَى

---

(١) (تجيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنه في بعض النسخ : « أنفاس » بدون باء . المحقق .

(٣) وضع المؤلف فوق كلمة « منه » إشارة ، للدلالة على أنها لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٤) الآية : (٨٦) من سورة صّ . المحقق .

(٥) الآية : (١٣٠) من سورة الأعراف . المحقق .

(٦) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

النَّـاسَ هَـٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ » إلى قوله : « إِنَّكُمْ عَائِدُونَ »[1] قال : أفيُكْشَف عذاب الآخرة ؟) هذا استفهام إنكار ، على من يقول : إن الدّخان يكون يوم القيامة ، كما صرّح به في الرواية الثانية[2] . فقال ابن مسعود : هذا قول باطل ، لأن الله تعالى قال : « إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ »[3] . ومعلوم : أن كشف العذاب ، ثم عَودهمْ : لا يكون في الآخرة . وإنما هو في الدنيا .

« يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنْتَقِمُونَ »[4] . فالبطشة : يوم بدر . وقد مضت آية الـدخـان ، والبـطشـة ، واللزام ، وآية الروم) وفسّرها كلها في الكتاب ، إلا اللزام ، والمراد به[5] قوله سبحانه : « فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً »[6] أي يكـون عذابهم لازمـاً ، قالوا : وهو ما جرى عليهم « يوم بدر » : من القتل ، والأسر . وهي البطشة الكبرى .

وقـد روي هذا الحـديث عنه رضي الله عنه ؛ من غير وجه . وروي نحوه : عن جماعة من التابعين ؛ كمقاتل ، ومجاهد .

قال الشوكاني في (فتح القدير) : ولا منافاة بين كون هذه الآية نازلة في الدخان ، الذي كان يتراءى[7] لقريش من الجوع ، وبين كون الدخان :

---

(١) الآيات من (١٠) إلى (١٥) الدخان . المحقق .

(٢) هي رواية « مسلم بن صبيح » ، عن « مسروق » . وهي بص ١٤١ ، ١٤٢ نفس المصدر ، وأما حديث الباب ، فهو من رواية « أبي الضحىٰ » ، عن « مسروق » . المحقق .

(٣) الآية : (١٥) من سورة الدخان . المحقق .

(٤) الآية : (١٦) من سورة الدخان . المحقق .

(٥) (به) أي : باللزام . المحقق .

(٦) الآية : (٧٧) سورة الفرقان . المحقق .

(٧) (يتراءىٰ) في الأصل : « يترأأى » . المحقق .

من آيات الساعة ، وعلاماتها ، وأشراطها . فقد وردت أحاديث صحاح وحسان وضعاف : بذلك . وليس فيها : أنه سبب نزول الآية . فلا حاجة بنا إلى التطويل بذكرها .

قال[1] : والواجب التمسّك بما ثبت في الصحيحين وغيرهما : أن دخان قريش - عند الجهد والجوع - هو سبب النزول . وبهذا تعرف اندفاع ترجيح من رجّح أنه الدخان الذي من أشراط الساعة : « كابن كثير » في تفسيره ، وغيره في غيره . وهكذا يندفع قول من قال : إنه الدخان الكائن « يوم فتح مكة » ، متمسكاً بما أخرجه ابن سعد عن أبي هريرة ؛ قَالَ : كَانَ - يَوْم فَتْحِ مَكَّةَ - دُخَانٌ ، وَهُوَ قَوْلُ اللّهِ تَعَالَىٰ : « فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ إلخ »[2] . فإن هذا لا يعارض ما في الصحيحين - على تقدير صحة إسناده - مع احتمال أن يكون أبو هريرة ، ظنّ من وقوع ذلك الدخان يوم الفتح : أنه المراد بالآية . ولهذا لم يصرّح بأنه سبب نزولها[3] . والله أعلم .

(بَابُ مِنْهُ)

وهو في النووي ، في (الباب المتقدم) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٤٣ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَبْدِ اللّهِ ؛ قَالَ : خَمْسٌ قَدْ مَضَيْنَ : « الدُّخَانُ ، وَاللِّزَامُ ، وَالرُّومُ ، وَالْبَطْشَةُ ، وَالْقَمَرُ ») .

---

(١) (قال) أي : الشوكاني ، في (فتح القدير) . المحقق .

(٢) الآية : (١٠) من سورة الدخان . المحقق .

(٣) انظر (فتح القدير) للشوكاني ، (٥٧٢/٤ ، ٥٧٣) ، دار الفكر ببيروت . المحقق .

(الشرح)

(عن عبد الله بن مسعود)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : خمس قد مضين : « الدخان ، واللزام ، والروم ، والبطشة ، والقمر ») .

تقدم الكلام : على معنى هذا الحديث .

والمراد « بالقمر » : انشقاقه عند قرب الساعة . قال ابن مسعود : « انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم : بِشِقَّتَيْنِ . فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « اشْهَدُوا »[2] .

سُورَةُ الْفَتْحِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ"[3]

وهو في النووي ، في الجزء الرابع[4] ، في:(باب قول الله تعالى : وهو الذي . . إلخ) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٧ جـ ١٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا - مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ - هَبَطُوا عَلَىٰ رَسُولِ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ ، مُتَسَلِّحِينَ - يُرِيدُونَ : غِرَّةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ، وَأَصْحَابِهِ - فَأَخَذَهُمْ سِلْماً ، فَاسْتَحْيَاهُمْ . فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّوَجَلَّ : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ - بِبَطْنِ مَكَّةَ - مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ »)[3] .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « ابن مسعود » ، لشهرته بين العبادلة الأربعة . المحقق .

(٢) هذا الحديث بصحيح مسلم / النووي (١٤٣/١٧ ، ١٤٤) المطبعة المصرية ، في (باب انشقاق القمر) . المحقق .

(٣) الآية : (٢٤) من سورة الفتح . المحقق .

(٤) (وهو في النووي ، في الجزء الرابع) ، في (كتاب الجهاد والسير) ، الباب الذي ذكره المؤلف . المحقق .

(الشَّرح)

(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ؛ (أنّ ثمانين رجلاً من أهل مكة ، هبطوا على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - من جبل التنعيم - متسلحين ، يريدون : غرّة النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، وأصحابه . فأخذهم سلماً) : ضبطوه بوجهين ؛

أحدهما : بفتح السين واللام .

والثاني : بإسكان اللام ، مع كسر السين وفتحها .

قال الحميدي : ومعناه « الصلح » .

قال القاضي (في المشارق) : هكذا ضبطه الأكثرون .

قال (فيه ، وفي الشرح)[1] : الرواية الأولى أظهر . ومعناه[2] : أسرهم . « والسلم » : الأسر . وجزم الخطابي : بفتح اللام والسين . قال : والمراد به : الاستسلام ، والإذعان . كقوله تعالى : « وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ »[3]، أي الانقياد . وهو[4] مصدر (يقع على الواحد ، والاثنين ، والجمع) قال ابن الأثير : هذا هو الأشبه بالقصة ، فإنهم لم يؤخذوا صلحاً ، وإنما أخذوا قهراً ، وأسلموا أنفسهم عجزاً .

قال[5] : وللقول الآخر وجه ؛ وهو أنه لما لم يجر معهم قتال ، بل

---

(١) (قال فيه وفي الشرح) أي : قال القاضي (فيه) أي في « المشارق » ، (وفي الشرح) أي في (شرح المشارق) . المحقق .

(٢) (ومعناه) أي : معنى « سلماً » . المحقق .

(٣) جزء من الآية : (٩٠) من سورة النساء . المحقق .

(٤) (وهو) أي « السَّلَم » . المحقق .

(٥) (قال) أي « ابن الأثير » . المحقق .

عجزوا عن دَفْعهم والنجاة منهم : (فرضوا بالأسر) ، فكأنهم قد صولحوا على ذلك . والله أعلم .

(فاستحياهم . فأنزل الله عز وجل : « وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ، وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ »[1] .

قال[2] في (فتح البيان) - في معنى الآية - : كفّ أيدي المشركين عن المسلمين ، وأيدي المسلمين عن المشركين : (لما جاءوا يصدّون رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن معه : عن البيت ، عام الحديبية . وهي المراد بقوله : « بِبَطْنِ مَكَّةَ » ، لأن أكثرها من الحرم) بعد أن أقدركم ، وسلّطكم عليهم .

روي أنَّ « عكرمة بن أبي جهل » ، خرج في خمسمائة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من هزمه ، وأدخله حيطان مكة .

وعن ابن عباس : أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة ، حتى أدخلوهم البيوت .

وقيل : المعنى : هو الذي قضى - بينكم وبينهم - المكافّة والمحاجزة ، بعدما خوّلكم : الظفر عليهم ، والغلبة . وذلك « يوم الفتح » وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله[3] : على أن مكة فتحت عنوة ، لا صلحاً . والمراد - على هذا - ببطن مكة : مكة . والله أعلم .

---

(١) الآية : (٢٤) سورة الفتح . المحقق .

(٢) (قال) أي المؤلف ، في كتابه (فتح البيان) . المحقق .

(٣) (رحمه الله) . في الأصل : « رح » . المحقق .

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ" - الآية -[1]: صلى الله عليه وآله وسلم

وأورده النووي ، في الجزء الأول[2] في: (باب مخافة المؤمن : أن يحبط عمله) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٣٤ جـ ٢ ، المطبعة المصرية

(عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ؛ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَـٰذِهِ الْآيَةُ : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُـوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ » إِلَىٰ آخِرِ الْآيَةِ[1] : جَلَسَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ ، فِي بَيْتِهِ ، وَقَالَ : أَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ . وَاحْتَبَسَ عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَسَأَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم : سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ ؛ فَقَالَ : « يَاأَبَا عَمْرٍو ! مَا شَأْنُ ثَابِتٍ ؟ أَشْتَكَىٰ ؟ » .

قَالَ سَعْدٌ : إِنَّهُ لَجَارِي ، وَمَا عَلِمْتُ لَهُ : بِشَكْوَىٰ .

قَالَ : فَأَتَاهُ سَعْدٌ ، فَذَكَرَ لَهُ قَوْلَ رَسُولِ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم .

فَقَالَ ثَابِتٌ : أُنْزِلَتْ هَـٰذِهِ الْآيَةُ ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ : أَنِّي مِنْ أَرْفَعِكُمْ صَوْتاً عَلَىٰ رَسُولِ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَأَنَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ .

فَذَكَـرَ ذَلِـكَ سَعْدٌ لِلنَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم : « بَلْ هُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ ») .

---

(١) الآية : (٢) من سورة الحجرات . المحقق .

(٢) (في الجزء الأول) ، في (كتاب الإيمان) ، في الباب الذي ذكره المؤلف . المحقق .

(الشرح)

(عن أنس بن مالك) رضي الله عنه ؛ (قال : لما نزلت[1] هذه الآية : « يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ » إلى آخر الآية)[2] وهو[3] « وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ ، كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ : أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ »[2] : (جلس ثابت بن قيس ، في بيته ، وقال : أنا من أهل النار . واحتبس عن النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فسأل النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : سعد بن معاذ ، فقال : «ياأبا عمرو! ما شأن ثابت ؟ أشتكىٰ ؟ » فقال سعد : إنه لجاري ، وما علمت له بشكوىٰ . قال : فأتاه سعد ، فذكر له قول رسول الله[4] ، صلى الله عليه) وآله (وسلم . فقال ثابت : أنزلت هذه الآية ، ولقد علمتم : أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فأنا من أهل النار . فذكر ذلك سعد للنبي ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « بل هو من أهل الجنة ») .

قال النووي : كان ثابت « رضي الله عنه » جهير الصوت ، وكان يرفع صوته ، وكان خطيب الأنصار . ولذلك اشتدّ حذره أكثر من غيره .

قال[5] : وفي هذا الحديث : منقبة عظيمة لثابت بن قيس (وهي أن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أخبر أنه من أهل الجنة) .

---

(١) (قال : لما نزلت) : في مصدر الحديث : « أنه لما نزلت » بذكر « أنه » مكان : « قال » . المحقق .

(٢) الآية رقم (٢) من سورة الحجرات . المحقق .

(٣) (وهو) أي : آخر الآية . المحقق .

(٤) أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنه في بعض النسخ : « النبي » مكان : « رسول الله » . المحقق .

(٥) (قال) أي :النووي ، وهو بص ١٣٤ ، المصدر المتقدم . المحقق .

وفيه : أنه ينبغي « للعالم ، وكبير القوم » أن يتفقد أصحابه ، ويسأل عمّن غاب منهم . انتهى .

وفي تفسير (فتح البيان)[1] - في معنى الآية - : يحتمل : أن المراد : حقيقة رفع الصوت ، لأن ذلك يدلّ على قلّة الاحتشام ، وترك الاحترام ؛ لأن خفض الصوت وعدم رفعه : من لوازم التعظيم والتوقير .

ويحتمل : أن يكون المراد : المنع من كثرة الكلام ، ومزيد اللغط . قال : والأول أولى .

قلت : ولا مانع من الحمل على الجميع . وراجع التفسير المذكور (في معرفة ما يتعلّق بتمام هذه الآية الشريفة) ، وبالله التوفيق .

سُورَةُ قٓ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : "يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ؟"[2]

وهو في النووي ، في (باب جهنم ، أعاذنا الله منها : بفضله وكرمه)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٨٤ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الرُّزِّيُّ ؛ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ عَطَاءٍ - فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ : هَلِ

---

(١) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) للمؤلف . المحقق .

(٢) الآية : (٣٠) من سورة قٓ . المحقق .

(٣) (باب جهنم . . إلخ) هذا الباب ، في النووي ، في (كتاب الجنة وصفة نعيمها ، وأهلها) . المحقق .

امْتَلأْتِ ؟ وَتَقُولُ : هَلْ مِن مَّزِيدٍ ؟ - ؛ فَأَخْبَرَنَا عَنْ سَعِيدٍ ؛ عَنْ قَتَادَةَ ؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ؛ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ؛ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَىٰ فِيهَا ، وَتَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؟ حَتَّىٰ يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا : قَدَمَهُ ، فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ ، وَتَقُولُ : قَطْ ، قَطْ ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ !

وَلَا يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ ، حَتَّىٰ يُنْشِئَ اللَّهُ لَهَا : خَلْقاً ، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ ») .

(الشرح)

(عن عبد الوهاب بن عطاء[1] - في قوله عز وجل : يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ : هَلِ امْتَلأْتِ ؟ وَتَقُولُ : هَلْ مِن مَّزِيدٍ ؟ -)[2] .

قال الـزمخشري : هذا الكلام على طريقة : التمثيل والتخييل ، ولا سؤال ولا جواب . انتهى .

وهذا من أنفاسه الاعتزالية . والأولىٰ أنه على طريقة التحقيق . ولا يمنع من ذلك : عقل ، ولا شرع .

قال الكرخي : جَعْلُ الزمخشريّ[3] هذا من باب المجاز : مردود ، لما ورد : « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ » ، « وَاشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا »[4] . ولا مانع

---

(١) ذكرنا السند من أوله ، ليستقيم الكلام ، مع قوله : « فأخبرنا » . . . إلخ . المحقق .

(٢) الآية : (٣٠) من سورة قٓ . المحقق .

(٣) (جَعْلُ الزمخشري) : من إضافة المصدر إلى فاعله . المحقق .

(٤) حديث : « تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ؛ فَقَالَتِ النَّارُ : أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ . وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : فَمَالِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ ، وَسَقَطُهُمْ ، وَغِرَّتُهُمْ ؟ قَالَ اللَّهُ لِلْجَنَّةِ : . . . وَقَالَ لِلنَّارِ : . . . إلى آخر الحديث رقم (٣٦) بصحيح مسلم (٢١٨٦/٤) ، باب (١٣) دار الفكـر ببيروت . وبـالبـاب أحاديث =

من ذلك ، فقد سبّح الحصىٰ ، وسلّم الحجر على النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم . ولو فتح باب المجاز فيه : لا تّسع الخرق .

وقال النسفي : هذا على تحقيق القول من جهنّم ، وهو غير مستنكر : كإنطاق الجوارح ، والسؤال[1] : لتوبيخ الكفار ، لعلمه تعالى : أنها قد امتلأت أم لا .

(فأخبرنا عن سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ أنه قال : « لا تزال جهنم يُلقىٰ فيها ، وتقول : هل من مزيد ؟ حتي يضع ربّ العزة فيها : قدمه ، فينزوي بعضها إلى بعض ، وتقول : قط . قط . بعزّتك وكرمك !

ولا يزال في الجنة فضل ، حتى ينشئ الله لها : خلقاً فيسكنهم فضل الجنة ») .

فيه : بيان صفة الله ، (وهي وضع القدم في النار) .

قال في (فتح البيان) : مذهب جمهور السلف فيها : الإيمان بها ، من غير تأويل ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تحريف ، ولا تمثيل . وإمرارها على ظاهرها - وهذا هو الحق ، الذي لا محيد عنه - انتهى[2] .

= أخرى ، في نفس الموضوع . أما حديث : « اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَىٰ رَبِّهَا ، فَقَالَتْ : رَبِّ ! أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً ، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ : نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ . فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ » . فهو في الفتح (٦/ ٣٣٠) باب (١٠) حديث رقم (٣٢٦٠) ، تصحيح وتحقيق الشيخ ابن باز . المحقق .

(١) لعل المؤلف يقصد بقوله : « والسؤال » : سؤال الكفار لجوارحهم - يوم القيامة - : « لم شهدتم علينا ؟ » . المحقق .

(٢) (انتهى) كلام المؤلف ، في كتابه (فتح البيان) . المحقق .

وفيه : دليل لأهل السنة ، على أن الثواب ليس متوقّفاً على الأعمال ، فإن هؤلاء يخلقون حينئذ ، ويعطون في الجنة مايعطون : بغير عمل . ومثله : أمر الأطفال والمجانين ، الذين لم يعملوا طاعةً قطّ . فكلهم في الجنة : برحمة الله تعالى وفضله .

وفي هذا الحديث : دليل[1] على عظم سعة الجنة ؛ فقد جاء في الصحيح : « أَنَّ لِلْوَاحِدِ فِيهَا : مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةِ أَمْثَالِهَا[2] ، ثُمَّ يَبْقَىٰ فِيهَا شَيْءٌ لِخَلْقٍ يُنْشِئُهُمُ اللَّهُ تَعَالَىٰ » .

سورة "اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ" : باب في قوله تعالى: "فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ؟"[3]

وهو في النووي ، في الجزء الثاني ، في (باب ما يتعلّق بالقراءات)[4] .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٨ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

---

(١) (دليل) . في الأصل : « م ليل » بإبدال الدال ميما مفردة . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

(٢) وجدت في صحيح مسلم (١/١٧٧ ، ١٧٨) ، بكتاب الإيمان ، حديثاً طويلاً برقم (٣١٦) ، عن جابر بن عبد الله ، يصف ورود الناس على الصراط - يوم القيامة - إلى أن قال : « ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ . وَيَشْفَعُونَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ ، مَنْ قَالَ : لَا إِلَـٰهَ إِلَّا اللَّهُ - وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ : مَا يَزِنُ شَعِيرَةً - فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ ، حَتَّىٰ يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ ، فِي السَّيْلِ ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ . ثُمَّ يَسْأَلُ ، حَتَّىٰ تُجْعَلَ لَهُ : الدُّنْيَا ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا » .
وفي الباب أحاديث تصرّح بأضعاف أضعاف ذلك ، لأهل الجنة . ومصداقه في كتاب الله عزّ وجلّ : « فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ » الآية (١٧) من سورة السجدة . المحقق .

(٣) (فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ) هذا اللفظ : مكرّر في سورة القمر . المحقق .

(٤) (بالقراءات) : في الأصل : « بالقرأات » . وهذا الباب في النووي ، في (كتاب صلاة المسافرين ، وقصرها) . المحقق .

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ بْنِ يُونُسَ ؛ حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ ؛ حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ ؛ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلاً سَأَلَ الأَسْوَدَ بْنَ يَزِيدَ - وَهُوَ يُعَلِّمُ الْقُرْآنَ ، فِي الْمَسْجِدِ - . فَقَالَ : كَيْفَ تَقْرَأُ هَـٰذِهِ الْآيَةَ : « فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ » ؟أَدَالاً أَمْ ذَالاً ؟ قَالَ : بَلْ دَالاً ؛ سَمِعْتُ عَبْدَ اللّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ؛ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ؛ يَقُولُ : « مُدَّكِرٍ » دَالاً) .

(الشرح)

(عن أبي إسحق[1] ؛ قال : رأيت رجلا سأل الأسود بن يزيد - وهو يعلّم القرآن في المسجد - فقال : كيف تقرأ هذه الآية : « فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ »[2] أدالاً أم ذالاً ؟ فقال[3] : بل دالاً ؛ سمعت عبد الله بن مسعود ؛ يقول : سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ؛ يقول : « مدّكر » دالا) يعني بالمهملة ، وأصله : « مذتكر » فأبدلت التاء دالاً مهملة ، ثم أدغمت المعجمة في المهملة (فصار النطق بدال مهملة) .

والمعنى : هل من متّعظ ومعتبر ، يتّعظ بهذه الآية[4] ؟

---

(١) ذكرنا السند كاملاً ، محافظة على صورة ألفاظه . المحقق .

(٢) (فَهَلْ مِّنْ مُّدَّكِرٍ ؟) هذا اللفظ ، مكرّر ، في سورة القمر . المحقق .

(٣) (فقال) في مصدر الحديث : « قال » هنا بدون فاء . المحقق .

(٤) المقصود بقوله (الآية) - هنا - : هو ما ورد عليه التعقيب بقوله عزّ وجلّ :. « فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ »، مثل سفينة نوح وإهلاك عاد بالريح الصرصر ، وإهلاك ثمود بالصيحة الواحدة . الخ ما ذكر في سورة القمر . المحقق .

سُورَةُ "الرَّحْمَٰنِ" : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ"[1]

وهو في النووي ، في (باب في أحاديث متفرقة) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٢٣ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَـنْ عَائِشَــةَ ؛ قَالَتْ : قَالَ رَسُـولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « خُلِقَتِ الْمَلاٰئِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ ») .

(الشَّرح)

(عن عائشـة رضي الله عنها[2] ؛ قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : خلقت الملائكة من نور . وخلق الجانّ من مارج من نار)

« الجان » : الجنّ . « والمارج » : اللهب المختلط بسواد النار .

قال في (فتح البيان) : خلق « أبا الجن » ، قيل : وهو « إبليس » أو جنس الجن[3] .

---

(١) الآية : (١٥) من سورة الرحمن . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٣) (قال) أي المؤلف ، في كتـابه : (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) - عند تفسير كلمة « الجانّ » قوله تعالى : « وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّنْ نارٍ » الآية (١٥) من سورة الرحمن - قال : (خلق أبا الجانّ) ، أو (خلق جنس الجان) . المحقق .

« والمارج » : اللهب الصافي « من النار » . وقيل : الخالص منها . وقيل : لسانها الذي يكون في طرفها ، إذا التهبت .

وقال الليث : « المارج » : الشعلة الصادعة[1] ، ذات اللهب الشديد .

وقال المبرد : « المارج »:النار المرسلة ، التي لا تمنع .

وقيل غير ذلك ، مما لايسعه المقام ، فراجعه .

(وخُلق آدم) صلى الله عليه وسلم ؛ (ممـا وصف لكم) أي : من الطين . قال تعالى : « خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ . وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّنْ نَارٍ »[2]

معنى « صلصال » : طين يابس ، يسمع له صلصلة - أي : صوت إذا نقر - « والفخار » : الخزف الذي طبخ بالنار .

واختلفت العبارات : في صفة خلق الإنسان الذي هو « آدم » ؛

فقال تعالى في آل عمران : « مِنْ تُرَابٍ »[3] .

وقال في الحجر : « مِنْ حَمَإٍمَّسْنُونٍ »[4] .

وقال في الصافات : « مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ »[5] .

---

(١) (الصادعة) هكذا في الأصل ، نقلا حرفيا من (فتح القدير) للشوكاني . ولعل الصواب : « الصاعدة » بتقديم العين على الدال ، من الصعود بمعنى الارتفاع .
وفي (المعجم الوسيط) : « مرج اللّهب » مروجاً : ارتفع . وفيه أيضاً : « المارج » : الشعلة الساطعة ، ذات اللهب الشديد . أو هو اللهب المختلط بسواد النار . المحقق .

(٢) الآيتان (١٤ ، ١٥) من سورة الرحمن . المحقق .

(٣) في قوله تعالى : « إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ : خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ » الآية (٥٩) آل عمران . المحقق .

(٤) « مِنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ » الآية (٣٣) من سورة الحجر . المحقق .

(٥) « إِنَّـا خَلَقْنَاهُم مِّنْ طِينٍ لَّازِبٍ » الآية (١١) من سورة الصافات . ويلاحظ أن هذه الآية ، لا تخص آدم وحده . المحقق .

وزاد الخازن : « مِن مَّاءٍ مَّهِينٍ »[1] .

وليس في هذه : اختلاف ، في الحقيقة ، بل المعنى متفق . وذلك أن الله خلقه ، أولاً : من تراب ، ثم جعله طيناً لا زباً لما اختلط بالماء . ثم جعله حمأً مسنوناً (وهو الطين الأسود المنتن) . فلما يبس : صار صلصالاً كالفخار .

سُورَةُ الحَدِيدِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ؟ "[2]

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٢ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ قَالَ : مَا كَانَ بَيْنَ إِسْلَامِنَا ، وَبَيْنَ أَنْ عَاتَبَنَا اللَّهُ بِهَـٰذِهِ الْآيَةِ : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ »[2] : إِلَّا أَرْبَعُ سِنِينَ ») .

---

(١) « ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ » الآية (٨) السجدة . وهذه أيضاً تخص سلالة آدم . وإلا فالآيات التي تتحدث عن خلق الإنسان – سواء آدم أو ذريته – من تراب : كثيرة . منها – غير آية آل عمران – قوله تعالى : « فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ » الآية (٥) من سورة الحج ، وقوله : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ » الآية (٢٠) من سورة الروم . وقوله : « وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ » (١١) فاطر . وقوله : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ » (٦٧) غافر . ذكرنا ذلك ، لأن المؤلف : خص آدم بالذكر بقوله : « الذي هو آدم » . المحقق .

(٢) الآية : (١٦) من سورة الحديد . المحقق .

الشرح

(عن ابن مسعود)[1] رضي الله عنه ؛ (قال : ما كان بين إسلامنا ، وبين أن عاتبنا الله عز وجل[2] بهذه الآية : « أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ »[3] : إلا أربع سنين ؛ .

قال[4] في (فتح البيان) : هذه الآية نزلت في المؤمنين ، قال الحسن : يستبطئهم ، وهم أحبّ خلقه إليه .

وقيل : إن الخطاب لمن آمن بموسى وعيسى « عليهما السلام » ، دون محمد صلى الله عليه وآله وسلم . والأول أولى .

قال الزجاج : نزلت في طائفة من المؤمنين ، حُثُّوا على الرقّة والخشوع . فأما من وصفهم الله تعالى بالرقّة[5] والخشوع : فطبقة فوق هؤلاء .

وقال السدي ، وغيره : المعنى : ألم يأن للذين آمنوا - في الظاهر - وأسرّوا الكفر : أن تخشع ، وتلين ، وتسكن ، وتخضع ، وتذلّ وتطمئن : قلوبهم لذكر الله ؟

« وحديث الباب » يقوي قول من قال : إنها نزلت في المسلمين .

« والخشوع » : لين القلب ، ورقّته .

والمعنى : أنه ينبغي أن يُورِثَهم الذّكرُ خشوعاً ورقّة ، ولا يكونوا كمن لا يلين قلبه للذكر ولا يخشع له .

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن عون بن عبد الله » . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(٣) الآية : (١٦) من سورة الحديد . المحقق .

(٤) (قال) أي : المؤلف نفسه ، في تفسيره (فتح البيان) . المحقق .

(٥) (بالرقة) . في الأصل : رسمت اللام ألفا . وهو خطأ في النسخ . المحقق .

وعن أنس ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ : « اسْتَبْطَأَ اللّٰهُ قُلُوبَ الْمُهَاجِرِينَ - بَعْدَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، مِنْ نُزُولِ الْقُرآنِ - فَأَنْزَلَ اللّٰهُ : أَلَمْ يَأْنِ . . إلخ» أخرجه ابن مردويه[1] .

وقال ابن عباس : « على رأس ثلاث عشرة سنة »[2] . انتهى .

سُورَةُ الْحَشْرِ: بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ"[3]

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٨ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ هِشَـامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : قَالَتْ لِي عَائِشَـةُ : يَاابْنَ أُخْتِي ! أُمِرُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم : فَسَبُّوهُمْ) .

(الشرح)

(عن عروة[4] ، قال : قالت لي عائشـة ، رضي الله عنهـا[5] : ياابن

---

(١) ذكره بنفس اللفظ : الشوكاني ، في كتاب تفسيره (فتح القدير ١٧٤/٥) عند تفسير الآية الكريمة . المحقق .

(٢) (ثلاث عشرة سنة). في الأصل : « عشرة سنة » . والصواب ما أثبتناه . ويبدو أن لفظ « ثلاث » سقط خطأ أثناء النسخ . والتصحيح من (فتح البيان) للمؤلف ، و(فتح القدير) للشوكاني . المحقق .

(٣) الآية : (١٠) من سورة الحشر . المحقق .

(٤) ذكرنا من السند ، من أول : « عن هشام بن عروة » . المحقق .

(٥) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

أختي ! أُمِروا أن يستغفروا لأصحاب النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : فسبّوهم) .

قال عياض : الظاهر أنها قالت هذا ، عندما سمعت أهل مصر : يقولون في عثمان ماقالوا . وأهل الشام : في علي ما قالوا . والحرورية : في الجميع ماقالوا .

وأما الأمر بالاستغفار ، الذي أشارت إليه[١] ، فهو قوله تعالى : « وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ »[٢] . وبهذا احتجّ مالك ؛ في أنه لاحقّ في الفيء[٣] لمن سبّ الصحابة ، رضي الله عنهم أجمعين ، لأن الله تعالى : إنما جعله لمن جاء بعدهم : ممن يستغفر لهم . والله أعلم . انتهى[٤] .

قال[٥] في (فتح البيان) : الذين جاءوا[٦] من بعدهم : هم التابعون بإحسان ، إلى يوم القيامة . وقيل : هم الذين هاجروا - بعدما قوي الإسلام - والظاهر : شمول الآية لمن جاء بعد السابقين « من الصحابة » المتأخر إسلامهم في عصر النبوة ، ومن تبعهم من المسلمين بعد عصر النبوة ، إلى يوم القيامة ، لأنه يصدق على الكل : أنهم جاءوا[٦] بعد المهاجرين الأولين ، والأنصار .

---

(١) (أشارت إليه) أي :عائشة . المحقق .
(٢) الآية : (١٠) من سورة الحشر . المحقق .
(٣) (الفيء) رسمت في الأصل : « الفيئ » . المحقق .
(٤) (انتهى) كلام عياض ، وتجده في النووي (١٨/١٥٨) ، المطبعة المصرية . المحقق .
(٥) (قال) أي :المؤلف في تفسيره (فتح البيان) . المحقق .
(٦) (جاءوا) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الواو . المحقق .

قال « سعد بن أبي وقاص » : الناس على ثلاث[1] منازل ، قد مضت منـزلتـان ، وبقيت منـزلـة . فأحسن ماأنتم كائنون عليه : أن تكونوا بهذه المنزلة ، التي بقيت . ثم قرأ : « وَالَّذِينَ جَاءُوا »[2] الآية . قال : فمن لم يستغفر للصحابة - على العموم - ، ويطلب رضوان الله لهم : فقد خالف ما أمره الله به - في هذه الآية - .

وهذا الداء العضال ، إنما يصاب به : من ابتلي بمعلّم ، أو أمير ، أو وال « من الرافضة » ، أو صاحب من أعداء خير الأمة : (من أهل الشرك ، والتقليد) .

قيل لابن المسيب : ما تقول في عثمان ، وطلحة ، والزبير ؟ قال : أقول ما قوّلنيه الله تعالى ، وتلا هذه الآية الآية . انتهى[3] .

قلت : وتدلّ هذه الآية - بإشارة النّص - على كون الرافضة : رافضة لكتاب الله تعالى ، ومخالفة لما أمر الله به .

وقـد وجـد مصداق « حديث الباب » منذ زمن طويل ، وزاد كل زمن مصـداقـه : إلى أن لعن آخـر هذه الأمـة أولهـا - مكان الاستغفار لهم - أقمـاهم[4] الله وأبـادهم ، وصـان أهـل السنـة عن صنيع هؤلاء الأبـالسـة الخبائث ، ورفع عمادهم ، وكثّر سوادهم .

---

(١) (ثلاث) في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٢) (جاءوا) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الواو . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام المؤلف ، في تفسيره (فتح البيان) . هذا؛ والآية المشار إليها ، هي الآية رقم (١٠) من سورة الحشر التي تقدم ذكرها . المحقق .

(٤) (أقماهم الله) دعاء عليهم بالضلال ، من (قَمِه يَقْمَه) إذا ذهب في الأرض على وجهه ، لا يدري : أين يذهب . المحقق .

سُورَةُ الْجِنِّ : بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : " قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ "[1]

وقاله النووي ، في الجزء الثاني ، في (باب الجهر بالقراءة في الصبح ، والقراءة على الجن)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ جـ ٤ ، المطبعة المصرية

(عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ؛ قَالَ : مَا قَرَأَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم : عَلَى الْجِنِّ ، وَمَا رَآهُمْ . انْطَلَقَ رَسُولُ اللّٰهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فِي طَائِفَةٍ - مِنْ أَصْحَابِهِ - عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ ، وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ ، فَرَجَعَتِ الشَّيَاطِينُ إِلَىٰ قَوْمِهِمْ . فَقَالُوا : مَالَكُمْ ؟ قَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ، وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ . قَالُوا : مَاذَاكَ إِلَّا مِنْ شَيْءٍ حَدَثَ . فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ ، وَمَغَارِبَهَا ؛ فَانْظُرُوا : مَا هَـٰذَا الَّـذِي حَالَ بَيْنَنَا ، وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ ؟ . فَانْطَلَقُوا : يَضْرِبُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ ، وَمَغَارِبَهَا .

فَمَرَّ النَّفَرُ الَّذِينَ أَخَذُوا نَحْوَ تِهَامَةَ - وَهُوَ بِنَخْلٍ - عَامِدِينَ إِلَىٰ سُوقِ عُكَاظٍ - وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ : صَلَاةَ الْفَجْرِ - فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ : اسْتَمَعُوا لَهُ ، وَقَالُوا : هَـٰذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبَرِ السَّمَاءِ .

فَرَجَعُوا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا : يَاقَوْمَنَا ! « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ ، فَآمَنَّا بِهِ ، وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً »[3] ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ

---

(١) أول سورة الجن . المحقق .

(٢) هذا الباب ، في النووي ، في (كتاب الصلاة) . المحقق .

(٣) الآيتان (١ ، ٢) من سورة الجن . المحقق .

نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ، صلى الله عليه وسلم : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ »)[1] .

(الشَّرح)

(عن ابن عباس ، رضي الله عنهما[2] ؛ قال : ماقرأ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم على الجن ، وما رآهم)[3] .

وفي حديث « ابن مسعود » يرفعه : « قَالَ : أَتَانِي دَاعِي الْجِنِّ ، فَذَهَبْتُ مَعَهُ ، فَقَرَأْتُ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ »[4] إلخ . وقد تقدم في الكتاب ، فراجعه .

قال العلماء : هما قضيتان ؛

فحديث « ابن عباس » في أول الأمر ، وأول النبوة حين أتوا فسمعوا : قراءة قل أوحي[5] .

واختلف المفسّرون : هل علم النبيّ ، صلى الله عليه وآله وسلم استماعهم - حال استماعهم - : بوحي أوحي إليه ؟ أم لم يعلم بهم إلا بعد ذلك ؟

(١) الآية : (١) من سورة الجن . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « ولا رآهم » : « ولا » مكان : « وما » . المحقق .

(٤) هذا الحديث تجده في صحيح مسلم (٣٣٢/١) كتاب الصلاة ، باب (٢٢) ، حديث رقم (١٥٠) . المحقق .

(٥) وهل الجن ، حين استمعوا إلى قراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، - وهو بنخلة - كان يقرأ « قل أوحي » ؟ المفهوم من حديث « ابن عباس » ، أن « قل أوحي » أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، بعد استماع الجن إلى قراءته صلى الله عليه وسلم ، وقولهم لقومهم - حين رجعوا إليهم - بعد استماعهم القرآن : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عجباً . . إلخ » ، فأنزل الله على نبيه : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ » . إذن فقول المؤلف - على لسان العلماء - : أن الجنّ سمعوا - حين مروا بالنبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهو يصلى بأصحابه ، بنخلة - سمعوا قراءة « قل أوحي » ، قول المؤلف هذا : خطأ بيّن ، ومن الغريب : أن النووي =

وأما حديث ابن مسعود فقضية أخرى ، جرت بعد ذلك بزمان ، « والله أعلم بقدره »[1] . وكان بعد اشتهار الإسلام .

(انـطلق رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، في طائفة من أصحابه : عامدين إلى سوق عكاظ) : بضم العين ، وبالظاء المعجمة - يصرف ، ولا يصرف[2] - .

« والسوق » : تؤنثّ ، وتذكّر . لغتان .

قيل : سميت بذلك : لقيام الناس فيها على سوقهم .

ذكر ابن إسحاق ، وابن سعد : أن ذلك كان في « ذي القعدة » ، سنة عشر من المبعث ، لمّا خرج النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف ، ثم رجع منهـا . فتكـون القصـة قبـل الإسـراء . ولكن لم يكن معـه من أصحابه : إلا « زيد بن حارثة » . وهنا قال : « في طائفة من أصحابه » . فلعلها كانت وجهة أخرى . ويمكن الجمع : بأنه لما رجع ، لاقاه بعض

= قال هذا القول أيضاً في (٤/١٦٧) المطبعة المصرية . ولا شك أنه غفلة ؛ لأن الجن حين استمعوا لقراءة النبي ، صلى الله عليه وسلم - في تلك الليلة - لم تكن سورة الجن ، قد أنزلت . ثم أنزلت بعد ذلك ، لإخبار النبي ، صلى الله عليه وسلم باستماع الجن إليه ، وهو يقرأ القرآن بنخلة . وهذا أمر بديهيّ ، فسورة الجن تحكي كلام الجن أنفسهم . فهل كان النبي صلى الله عليه وسلم ، يقرأ كلامهم ، حين استمعوا إليه بنخلة ؟! . وابن كثير - عند تفسيره لقوله تعالى : « وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن » الآيات (٢٩) إلى (٣٢) من سورة الأحقاف - : ذكر أحاديث قصة استماع الجن ، ثم رجوعهم إلى قومهم وقولهم : « إنا سمعنا قرآنا عجبا » الخ . قال : وأنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم : « قل أوحي إليّ أنه استمع نفر من الجن » وإنما أوحي إليه قول الجن .

قال ابن كثير : رواه البخاري ، وأخرجه مسلم الخ ما ذكره . وهذا واضح في أن سورة الجن أنزلت على النبي صلى الله عليه وسلم لإعلامه باستماع الجن ، إلى قراءته بنخلة وبما قالوه . فالعجب من قول النووي ، وتابعه (المؤلف) : إن الجن سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم بنخلة : « قل أوحي » . المحقق .

(١) أي : هو سبحانه أعلم بقدر هذا الزمان . المحقق .

(٢) أي : فيه الـوجهان : التنوين ، فيقال : هذه عكاظٌ ، وعدمه ، فيقال : عكاظُ . ويجرّ حينئذ بالفتحة . هذا ؛ وسميت « عُكـاظ » ، لأن قبائل العرب ، كانوا يجتمعون فيها ، « عشرين يوماً من ذي القعدة » ، « يتعـاكـظون » أي : يتفـاخـرون ، ويتنـاشـدون الأشعار . كما قال « الفيروز أبادي » بكتابه (القاموس المحيط) . المحقق .

أصحابه في أثناء الطريق ، فوافقوه[1] . قاله الحافظ في (الفتح) ، وبسط الكلام عليه ، فراجعه .

(وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب) .

ظاهر هذا الكلام : أنّ هذا حدث بعد نبوة نبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يكن قبلها . ولهذا أنكرته الشياطين ، وارتاعت له ، وضربوا مشارق الأرض ومغاربها : ليعرفوا خبره . ولهذا كانت الكهانة فاشيةً في العرب ، حتى قطع بين الشياطين ، وبين صعود السماء واستراق السمع . كما أخبر الله تعالى عنهم : أنهم قالوا : « وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ ، فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً »[2] . وقد جاءت أشعار العرب باستغرابهم رَمْيها[3] : لكونهم لم يعهدوه قبل النبوة . وكان رميها من دلائل النبوة .

وقال جماعة من العلماء : مازالت الشهب - منذ كانت الدنيا - . وهو قول ابن عباس ، والزهري ، وغيرهما . وقد جاء ذلك في أشعار العرب ، وروىٰ فيه ابن عباس حديثاً .

قيل للزهري : فقد قال الله تعالى : « فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً » فقال : كانت الشهب قليلة ، فغلظ أمرها وكثرت - حين بُعث نبينا ،

---

(١) (فوافقوه) هكذا في الأصل . ولعل الصواب : « فرافقوه » بالراء ، لا بالواو . المحقق .

(٢) الأيتان (٨ ، ٩) من سورة الجنّ . هذا ؛ ولم يذكر بالأصل كلمة : « وَشُهُباً » . ولعلها سقطت من الناسخ . المحقق .

(٣) (رميها) . في الأصل : « رمياً » . والصواب ما أثبتناه : تصحيحاً من النووي ، المصدر المتقدم . أي باستغراب الجنّ رميها بالشهب . المحقق .

صلى الله عليه وآله وسلم - وقال المفسرون نحو هذا ، وذكروا : أن الرّمي بها ، وحراسة السماء : كانت موجودة قبل النبوة ، ومعلومة . ولكن إنما كانت تقع عند حدوث أمر عظيم : (من عذاب ينزل بأهل الأرض ، أو إرسال رسول إليهم) وعليه تأولوا قوله تعالى : « وَأَنَّا لَا نَدْرِي : أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ؟ »[1] .

وقيل كانت الشهب - قبل - مرئيّة ومعلومة ، لكن رجم الشياطين وإحراقهم ، لم يكن إلا بعد نبوة نبينا ، صلى الله عليه وآله وسلم .

واختلفوا في إعراب قوله تعالى : « رجوماً » ، وفي معناه ؛

فقيل : هو « مصدر » فتكون الكواكب هي الراجمة المحرقة - بشهبها ، لا بأنفسها - .

وقيل : هو « اسم » فتكون هي بأنفسها التي يرجم بها ، ويكون « رجوم » : جمع « رَجْم » بفتح الراء . والله أعلم . هذا آخر كلام النووي رحمه الله[2] .

(فرجعت الشياطين إلى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا[3] الشهب . قالوا : ماذاك إلا من شيء[4] حدث . فاضربوا مشارق الأرض ، ومغاربها) معناه : سيروا فيها كلها .

---

(١) الآية : (١٠) من سورة الجنّ . المحقق .

(٢) (رحمه الله) في الأصل : « رح » . المحقق .

(٣) أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ : « عليهم » مكان : « علينا » . المحقق .

(٤) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « لَا يَخْرُجِ الرَّجُلَانِ : يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ » إلخ[1] .

(فانظروا : ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء ؟ فانطلقوا : يضربون مشارق الأرض ، ومغاربها . فمرّ النفر الذين أخذوا نحو تهامة ، وهو بنخل) هكذا وقع في مسلم . وصوابه : « بنخلة » بالهاء . وهو موضع معروف هناك . كذا جاء صوابه في (صحيح البخاري) . ويحتمل أنه يقال فيه : « نخل ونخلة » .

وأما « تهامة » : فبكسر التاء . هو اسم لكلّ ما نزل عن نجد - من بلاد الحجاز - ومكة : من تهامة .

قال ابن فارس في « المجمل » : سميت « تهامة » من « التّهَم » بفتح التاء والهاء : وهو شدّة الحر ، وركود الريح .

وقال صاحب « المطالع » : سميت بذلك : لتغير هوائها . يقال : « تهم الدهن » : إذا تغيّر .

وذكر الحازمي ، أنه يقال في أرض تهامة : « تهائم »[2] .

(عامدين إلى سوق عكاظ ، وهو يصلي بأصحابه صلاة[3] الفجر . فلما سمعوا القرآن : استمعوا له ، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء) .

---

(١) تمام الحديث - كما في النووي (٤/١٦٨ ، ١٦٩) ، المطبعة المصرية - : « كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَاتِهِمَا ، يَتَحَدَّثَانِ . فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَمْقُتُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ » . المحقق .

(٢) أفاده النووي ، (٤/١٦٩) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٣) (صلاة) في الأصل : « صلوة » . المحقق .

فيه : الجهر بالقراءة « في الصبح » .

وفيه : إثبات صلاة[1] الجماعة ، وأنها مشروعة في السفر ، وأنها كانت مشروعةً من أول النبوة .

(فرجعوا إلى قومهم ، فقالوا : ياقومنا ! « إِنَّا سَمِعْنَا قُرآناً عَجَباً . يَهْدِي إِلَى الْرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً »[2]) .

قال المازري : ظاهر الحديث : أنهم آمنوا - عند سماع القرآن - ولابدّ لمن آمن عند سماعه : أن يعلم حقيقة الإعجاز ، وشروط المعجزة ، وبعد ذلك : يقع له العلم بصدق الرسول . فيكون الجن علموا ذلك : من كتب الرسل المتقدّمين قبلهم - على أنه هو النبيّ الصادق ، المبشّر به - .

قال النووي : واتفق العلماء على أن الجنّ : يعذّبون في الآخرة - على المعاصي - قال الله تعالى : « لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ »[3] .

واختلفوا أن مؤمنهم ومطيعهم : هل يدخل الجنة وينعم بها (« ثواباً ومجازاة » له على طاعته) ، أم لا يدخلون ويكون ثوابهم أن ينجوا من النار ، ثم يقال : كونوا تراباً كالبهائم ؟ وهذا مذهب ابن أبي سليم ، وجماعة .

والصحيح : أنهم يدخلونها ، وينعمون فيها : بالأكل والشرب ، وغيرهما . وهذا قول الحسن البصري ، والضحاك ، ومالك بن أنس ، وابن أبي ليلى ، وغيرهم .

---

(١) (صلاة) في الأصل : « صلوة » . المحقق .

(٢) الآيتان (١ ، ٢) من سورة الجن . المحقق .

(٣) الآية : (١٣) من سورة السجدة . المحقق .

(فأنــزل الله عز وجــل على نبيه محمـد[1] ، صلى الله عليه) وآلـه (وسلم : « قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ)[2] .

قال[3] في (فتح البيان) : سورة « الجن » نزلت بمكة ، وهي ثمان وعشرون آية - في قول الجميع - وتسمى : « سورة قل أوحي » .

قال[3] واختلف : هل رآهم النبي ، صلى الله عليه وآله وسلم ، أم لم يرهم ؟ وظاهر القرآن : أنه لم يرهم .

وروى « ابن مسعود » أنه رآهم . ورجّحه العلماء .

والحق : صحتهما . وأن الأول : وقع أولاً ، ثم نزلت « السورة »[4] ، ثم أمر بالخروج إليهم .

وقد اختلف الناس (قديماً وحديثاً) : في ثبوت وجود الجن ؛

فأنكـر وجـودهم : معـظم الفـلاسفـة . واعتـرف به : جمع منهم ، وسموهم بالأرواح السفلية . وزعموا أنهم أسرع إجابةً من الأرواح الفلكية ، إلا أنهم أضعف .

وأمـا جمهـور « أربـاب الملل » ، وهـم أتبـاع الرسل والشرائع : فقد اعترفوا بوجودهم ، لكن اختلفوا في ماهيتهم .

وقد نطق « الكتاب العزيز » ، والسنة المطهرة : بوجودهم . فلا اعتداد بمنكريهم .

---

(١) وضع المؤلف فوق لفظ « محمد » إشارة : تدل على أنه لم يذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٢) أول سورة الجن . وهذا يؤكد أن الذي أوحي إليه ، صلى الله عليه وسلم ، هو استماع الجنّ لقراءته القرآن بوادي نخلة ، وقـولهم لقـومهم ، بعـد استماعهم : « إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً » . وليس كما ذكر المؤلف ، والنووي : أنه كان يقرأ سورة الجن ، حين استمعوا إليه بنخلة . المحقق .

(٣) (قال) أي : المؤلف ، في كتابه (فتح البيان) . المحقق .

(٤) (ثم نزلت السورة) أي : سورة الجن . المحقق .

وإذا جاء نهر الله : بطل نهر معقل . انتهى[١] .

ومن جهلة الدّهرية - في زماننا الحاضر هذا - : الفرقة المسماة « بالنيفرية » . وهي تنكر وجود الجن ، ووجود الملائكة ، بل وجود كل شيء[٢] غير محسوس . وهم كالأنعام ، بل هم أضل سبيلاً . أقماهم الله[٣] ، وبدّد شملهم . فقد تجاوز ضرارهم بدين الإسلام وأهله : الحدود .

سُورَةُ الْقِيامَةِ : بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ"[٤]

وهو في الجزء الثاني ، من النووي ، في (باب الاستماع للقراءة) .

(حَدِيثُ الْبَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٦ جـ ٤ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عَائِشَةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - فِي قَوْلِهِ : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ »[٤]- ؛ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ، صلى الله عليه وسلم : يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً ؛ كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ . فَقَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ : أَنَا أُحَرِّكُهُمَا ، كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يُحَرِّكُهُمَا .

فَقَالَ سَعِيدٌ : أَنَا أُحَرِّكُهُمَا ، كَمَا كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ ، يُحَرِّكُهُمَا .

فَحَرَّكَ شَفَتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ ، لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ »[٤] .

---

(١) (انتهى) ماقاله المؤلف في (فتح البيان) . المحقق .

(٢) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) (أقماهم الله) دعاء عليهم بالضلال والتيه ، من (قمه يقمه) : إذا أخذ في الأرض ، على وجهه ، لا يدري أين يتّجه . المحقق .

(٤) الآيتان (١٦ ، ١٧) من سورة القيامة . المحقق .

قَالَ : (جَمْعَهُ) فِي صَدْرِكَ ، ثُمَّ تَقْرَؤُهُ . (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) ؛ قَالَ : فَاسْتَمِعْ وَأَنْصِتْ .

ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَـا : أَنْ تَقْـرَأَهُ . قَالَ : فَكَـانَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ : اسْتَمَعَ . فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ : قَرَأَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ، كَمَا أَقْرَأَهُ) .

(الشرح)

(عن ابن عبـاس ، رضي الله عنهمـا[1] - في قوله عزّ وجل[2] : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ »[3] - ؛ قال : كان النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم : يعالج من التنزيل شدّة) .

سبب الشـدّة : هيبـة المَلَك ، ومـاجـاء به ، وثقل الوحي . قال الله تعالى : « إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا »[4] .

« والمعـالجـة » : المحاولة للشيء[5]، والمشقّة في تحصيله . وكان ذلـك يعـرفـه من رآه ، لما يظهر على وجهه وبدنه : من أثره ، كما قالت عائشة : « وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ - فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ - فَيَفْصِمُ عَنْهُ ، وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً »[6] .

---

(١) ذكرنا من السند ، من أول : « عن موسى بن أبي عائشة » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « عز وجل » . المحقق .

(٣) الآية : (١٦) من سورة القيامة . المحقق .

(٤) الآية : (٥) من سورة المزمل . المحقق .

(٥) (للشيء) في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٦) ذكره النووي في (٤/١٦٦) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(كان يحرك شفتيه) معناه : هذا شأنه ودأبه . قال سعيد[١] : (فقال لي ابن عباس : أنا أحرّكهما لك[٢] ، كما كان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، يحركهما : فحرك شفتيه[٣] .

فقال سعيد : أنا أحركهما ، كما كان ابن عباس يحركهما ، فحرك شفتيه[٤] ، فأنزل الله تعالى : « لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ، إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ »[٥] . قال : جمعه في صدرك ، ثم تقرؤه[٦] . فإذا قرأناه) أي : قرأه جبريل عليه السلام . وفيه : إضافة ما يكون عن أمر الله تعالى إليه[٧] .

(فاتبع قرآنه ؛ قال : فاستمع له[٨] وأنصت) .

« الاستماع » : الإصغاء له . « والإنصات » : السكوت . فقد يستمع ولا ينصت . فلهذا جمع بينهما كما قال تعالى : « فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا »[٩] .

---

(١) هو « سعيد بن جبير » ، راوي هذا الحديث : عن ابن عباس . المحقق .

(٢) (أحركهما) في الأصل غير واضحة ، لصغر بعض حروفها جداً . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث كلمة : « لك » . المحقق .

(٣) (فحرك شفتيه) لم يذكر – هنا – في مصدر الحديث : هذا اللفظ . المحقق .

(٤) (فحرك شفتيه) الضمير – هنا – للنبي ، صلى الله عليه وسلم . ولم تذكر هذه الجملة – في مصدر الحديث – إلا في هذا الموضع . خلافاً لما في الأصل ، فإنها ذكرت هنا، وفي الموضع المتقدم. المحقق.

(٥) الآيتان (١٦ ، ١٧) من سورة القيامة . المحقق .

(٦) (تقرؤه) ، في الأصل : « تقرأه » . المحقق .

(٧) (إليه) أي : إلى الله . المحقق .

(٨) لم يذكر – في مصدر الحديث – كلمة : « له » . وقد وضع المؤلف ، إشارة فوق هذه الكلمة : للدلالة على أنها لم تذكر ، في بعض النسخ . المحقق .

(٩) الآية : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ ، فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » رقم (٢٠٤) الأعراف . المحقق .

قال الأزهـري : يقـال : « أنْـصَت ، ونَصتَ ، وانْتصَتَ » ثلاث[1] لغات : أفصحهنّ : « أنصت » . وبها جاء القرآن العزيز[2] .

(ثم إنّ علينا أن تقرأه . قال : فكان رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، إذا أتاه جبريل) عليه السلام : (استمع . فإذا انطلق جبريل : قرأه النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، كما أقرأه)[3] .

قال في (فتح البيان)[4] - في معنى الآية - : أي : لا تحرك بالقرآن لسانك - عند إلقاء الوحي - لتأخذه على عجل ، مخافة أن يتفلّت منك .

ومثل هذا قوله : « وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ »[5] (إنّ علينا جمعه) في صدرك ، حتى لا يذهب عليك منه شيء[6] (وقرآنه) أي : إثبات قراءته في لسانك ، وهو تعليل للنّهي .

(فإذا قرأناه) أي : أتممنا قراءته عليك - بلسان جبريل عليه السلام - وبيّناه : (فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) أي : فاستمع قراءته ، وكرّرها حتى يرسخ في ذهنك .

(ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) أي : تفسير مافيه - من الحلال والحرام - ، وبيان ماأشكل من معانيه .

---

(١) (ثلاث) في الأصل : « ثلث » . المحقق .
(٢) أي : كما في آية « الاعراف » . فإن قوله : « وَأَنْصِتُوا » فعل أمر من : « أَنْصَتَ » . المحقق .
(٣) (كما أقْرأه) أي : كما أقرأه إياه جبريل . المحقق .
(٤) أي : قال المؤلف ، في كتابه (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) . المحقق .
(٥) تمام الآية : « وَقُل رَّبِّ ! زِدْنِي عِلْماً » رقم (١١٤) من سورة طه . المحقق .
(٦) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة . فوق الياء . المحقق .

قيل : المعنى : إنّ علينا أن نبيّنه بلسانك ، وهو دليل على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب[1] . انتهى .

وهذا يرشدك : إلى أن السنة مبيّنة للكتاب ، وأنها تلوه في البيان : « وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ : إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ »[2] .

فمن تمسك بالقرآن وحده ، ولا يعتصم بالسنة[3] : فهو مخالف لما جاء به الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

سُورَةُ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"[4]

وهو في النووي ، في (باب صفة يوم القيامة ، أعاننا الله على أهواله)[5] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٩٥ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّىٰ ، وَعُبَيْدُ اللّهِ بْنُ سَعِيدٍ ؛ قَالُوا : حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ « يَعْنُونَ : ابْنَ سَعِيدٍ » ، عَنْ

---

(١) لأنّ وقت الخطاب (هو وقت التنزيل) ، والبيان يكون بعده ، على لسان المنزّل عليه ، صلى الله عليه وسلم . المحقق .

(٢) الآيتان (٣ ، ٤) من سورة النجم . المحقق .

(٣) كيف يتأتّى التمسّك بالقرآن ، بدون السنّة وهي المبينة له ؟ قال تعالى : « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيهِمْ » (٤٤) سورة النحل . بل كيف يتأتّى التمسّك بالقرآن مع مخالفة القرآن ، في قوله تعالى : « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ، وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » ؟ الآية (٧) من سورة الحشر . المحقق .

(٤) الآية : (٦) من سورة المطففين . المحقق .

(٥) هذا الباب ، ذكره النووي ، في (كتاب الجنة ، وصفة نعيمها وأهلها) . المحقق .

عُبَيْدِ اللّهِ ؛ أَخْبَرَنِي نَافِعٌ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وسلم : - يَوْمَ يَقُـومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ[1]- قَالَ : « يَقُومُ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ » .

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ الْمُثَنَّىٰ : قَالَ : يَقُومُ النَّاسُ . لَمْ يَذْكُرْ : يَوْمَ)[2] .

(الشَّرح)

(عن ابن عمـر رضي الله عنهما[3] ؛ عن النبي صلى الله عليه) وآله (وسلم - يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ[1] - قال : « حتى[4] يقوم أحدهم في رشحه : إلى أنصاف أذنيه ») .

وفي رواية : « فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ ، فِي الْعَرَقِ »[5] .

وقـال عياض : ويحتمـل أن المراد : عرق نفسه وغيره . ويحتمل : عرق نفســه خاصّة . وسبب كثرة العرق : تراكم الأهوال ودنوّ الشمس من رؤوسهم[6]، وزحمة بعضهم بعضاً . انتهى[7] .

---

(١) الآية : (٦) من سورة المطففين . المحقق .

(٢) من أول : وفي رواية « ابن المثنّى » . . إلى « لم يذكر : يوم » ، غير مذكور في الأصل ، وقد أثبتناه من مصدر الحديث . المحقق .

(٣) ذكرنا السند كاملاً . هذا؛ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٤) لم يذكر في مصدر الحديث كلمة : « حتى » . وقد وضع المؤلف فوقها : إشارة للدلالة على أنها : لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٥) هذه رواية « المقداد بن الأسود »،وهي في صحيح مسلم / النووي (١٧/١٩٦) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٦) (رؤوسهم) في الأصل : « رؤسهم » . المحقق .

(٧) (انتهى) كلام عياض ، كما حكاه عنه النووي ، بالمصدر المتقدم ، ص ١٩٥ . المحقق .

قال في (فتح البيان)[1] - في معنى الآية - : أي يوم يقومون من قبورهم : لأمر رب العالمين ، أو لجزائه ، أو لحسابه ، أو لحكمه وقضائه .

وقيل : المراد : قيامهم في رشحهم ، إلى أنصاف آذانهم ، وذكر حديث الباب .

قال[2] : وقيل المراد : قيامهم بما عليهم ، من حقوق العباد .

وقيل : المراد : قيام الرسل بين يدي الله للقضاء . والأول أولى .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ : بِمِقْدَارِ نِصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ، فَيَهُونُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِ : كَتَدَلِّي الشَّمْسِ إِلَى الْغُرُوبِ ، إِلَى أَنْ تَغْرُبَ »[3] أخرجه أبو يعلى ، وابن حبان ، وابن مردويه . انتهى[4] .

قلت : ولا مانع من الحمل على الجميع . ويدخل فيه : مافي حديث الباب ، دخولاً أوليّاً .

---

(١) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) ، كتاب تفسير للمؤلف ، وقد طبع على نفقة (إحياء التراث الإسلامي) بدولة قطر . المحقق .

(٢) (قال) أي نفس المؤلف ، في كتابه المذكور . المحقق .

(٣) هذا الحديث تجده في (المنتقى : من كتاب الترغيب والترهيب) ، للدكتور القرضاوي (٢/ ٩٢٨) ط دار الوفاء بمصر . برقم (٢٢٥٣) : عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ بنفس اللفظ المذكور في الأصل ، إلا أنه قال : « مقدار » بدون باء . وقال : « للغروب » باللام بدل « إلى » . قال المنذري (صاحب الترغيب والترهيب) : رواه أبو يعلى « بإسناد صحيح ، وابن حبان في « صحيحه » . وعلّق القرضاوي - في الهامش - علّق على الأول بقوله : وقال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح - غير إسماعيل بن عبد الله بن خالد - وهو ثقة (١٠ / ٣٣٧) .

وعلق القرضاوي على الثاني بقوله : وهو في الموارد برقم (٢٥٧٨) . المحقق .

(٤) (انتهى) أي كلام المؤلف ، في كتابه (فتح البيان) ، الذي تقدم ذكره آنفا . المحقق .

سُورَةُ الانْشِقَاقِ : " بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : " فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا " [1]

وهو في النووي ، في (باب إثبات الحساب)[2] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٢٠٨ جـ ١٧ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَائِشَةَ ؛ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ – صلى الله عليه وسلم : « مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَـةِ ، عُذِّبَ » ، فَقُلْتُ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللّهُ ، عَزَّ وَجَلَّ : فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً ؟[1]

فَقَـالَ : « لَيْسَ ذَاكِ الْحِسَـابُ ، إِنَّمَـا ذَاكِ الْعَـرْضُ . مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ – يَوْمَ الْقِيَامَةِ – عُذِّبَ ») .

(الشَّرح)

(عن عائشـة رضي الله عنها[3] ؛ قالت : قال رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم : « من حوسب يوم القيامة ، عذب » فقلت[4] : أليس[5] قال الله تعـالى[6]: فسـوف يحاسب حساباً يسيراً[1] ؟ فقال : ليس ذلك[7] الحساب ، إنما ذاك العرض . من نوقش الحساب – يوم القيامة – عذّب ») .

(١) الآية : (٨) من سورة الانشقاق . المحقق .

(٢) هذا الباب ، ذكره النووي ، في الكتاب المتقدم . المحقق .

(٣) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنها » . المحقق .

(٤) أشار المؤلف – في الهامش – بما يفيد أنه في بعض النسخ : « فقلنا » مكان : « فقلت » . المحقق .

(٥) في مصدر الحديث : « أليس قد » بزيادة : « قد » . المحقق .

(٦) في مصدر الحديث : « عز وجل » مكان : « تعالى » . المحقق .

(٧) في مصدر الحديث : « ذاك » بدون « لام » في الموضعين . المحقق .

معنى نوقش : استُقْصِيَ عليه .

قال عياض : « عذب » له معنيان ؛

أحدهما : أن نفس المناقشة ، وعرض الذنوب ، والتوقيف عليها : هو التعذيب . لما فيه من التوبيخ .

والثاني : أنه مفضٍ إلى العذاب بالنار . ويؤيده : قوله - في الرواية الأخرى - : « هلك »[1] مكان « عذّب » . قال النووي : وهذا الثاني هو الصحيح .

ومعناه : أن التقصير ، غالب في العباد ؛ فمن استُقْصِيَ عليه ، ولم يسامح : هلك ، ودخل النار . ولكن الله تعالى : يعفو ويغفر - ما دون الشرك - لمن يشاء .

قال[2] : وفي إسناد هذا الحديث : « عبد الله بن أبي مليكة » عن عائشة . هذا[3] مما استدركه « الدار قطني » على البخاري ، ومسلم .

وقال[2] : اختلف العلماء « عن ابن أبي مليكه » : فروي عنه ، عن

---

(١) هما روايتان - في صحيح مسلم / النووي (١٧/ ٢٠٨) - فيهما لفظ : « هَلَكَ » مكان : « عُذِّبَ » ؛ أولاهما : رواية « القاسم » ، عن عائشة ، بلفظ ؛ قَالَ : لَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ ، إِلَّا هَلَكَ » . قُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! أَلَيْسَ اللّهُ يَقُولُ : حِسَاباً يَسِيراً ؟ . قَالَ : ذَاكِ الْعَرْضُ . وَلَـكِنْ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ ، هَلَكَ » .
وثانيتهما : رواية « ابن أبي مليكة » عن عائشة ؛ ولفظها ؛ قَالَ : « مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ ، هَلَكَ » ثم ذكر بمثل رواية « القاسم » . هذا ؛ وشيخ مسلم - في هذه الرواية الأخيرة - : « عبد الرحمن بن بشر » .
أما في حديث الباب ؛ فشيخا مسلم فيه : أبو بكر بن أبي شيبة ، وعلي بن حُجْر . وكلا الروايتين ؛ عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة . المحقق .

(٢) (قال) أي النووي ، في ص ٢٠٩ ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٣) لو قال : « وهذا » بالواو ، لكان أوضح . المحقق .

عائشة . وروي عنه ، عن القاسم ، عنها[1] . وهذا استدراك ضعيف ؛ لأنه محمول على أنه سمعه[2] : « من القاسم ، عن عائشة » . وسمعه أيضاً : منها بلا واسطة ؛ فرواه بالوجهين . وقد سبقت نظائر هذا . انتهى[3] .

وفي (فتح البيان) : « حساباً يسيراً » أي : سهلاً هيّنا ، لا مناقشة فيه . قال[4] : لأنها تغفر ذنوبه ، ولا يحاسب عليها . وقال المفسرون : هو أن تعرض عليه سيئاته ، ثم يغفرها الله « فهو الحساب اليسير » .

وعن عائشة رضي الله عنها[5] ؛ قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ، يَقُولُ - فِي بَعْضِ صَلاَتِهِ - : « اللَّهُمَّ ! حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً » فَلَمَّا انْصَرَفَ ، قُلْتُ : يَارَسُولَ اللّهِ ! مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ ؟ قَالَ : « أَنْ يُنْظَرَ فِي كِتَابِهِ ، فَيُتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهُ . إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ : هَلَكَ »[6] . أخرجه : أحمد ، وعبد بن حميد ، وابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه .

---

(١) فحديث الباب -ومثله الرواية الثانية ، في الهامش رقم (١) بالصفحة المتقدمة- : عن « ابن أبي مليكة » ، عن عائشة . أما الرواية الأولى ، في الهامش المذكور ، فهي عن « ابن أبي مليكة » ، عن القاسم ، عن عائشة . المحقق .

(٢) الضمير في « سمعه » : لابن أبي مليكة . المحقق .

(٣) (انتهى) كلام النووي ، بالمصدر المتقدم . المحقق .

(٤) (قال) أي : المؤلف ، في تفسيره : (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) ، وهو مطبوع على نفقة : « إحياء التراث الإسلامي » بدولة قطر . المحقق .

(٥) (رضي الله عنها) في الأصل : رمز إلى هذه الجملة بـ « رض » . المحقق .

(٦) ذكر هذا الحديث « ابن كثير » - عند تفسير قوله تعالى : « فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً » ، ذكره بإسناد أحمد ، عن « عائشة » بنفس اللفظ ، المذكور في الأصل ، إلا أنه قال - بعد قوله : مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ - : « يَاعَائِشَةُ ! يَوْمَئِذٍ هَلَكَ » ، بزيادة : « ياعائشة ! يومئذ » .
قال ابن كثير : صحيح على شرط مسلم . المحقق .

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « ثَلاثٌ[1] مَنْ كُنَّ فِيهِ : يُحَاسِبُهُ اللّهُ حِسَاباً يَسِيراً ، وَيُدْخِلُهُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ : تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ »[2] أخرجه البزار ، والطبراني في (الأوسط) ، والبيهقي ، والحاكم . انتهى[3] .

سُورَةُ وَاللَّيْلِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : "وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى"

وهو في النووي ، في الجزء الثاني ، في : (باب ما يتعلّق بالقراءات)[4] .

(حديث الباب)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٠٨ ، ١٠٩ جـ ٦ ، المطبعة المصرية

(عَنْ عَلْقَمَةَ ؛ قَالَ : قَدِمْنَا الشَّامَ ، فَأَتَانَا أَبُو الدَّرْدَاءِ ؛ فَقَالَ : أَفِيكُمْ أَحَدٌ ، يَقْرَأُ عَلَىٰ قِرَاءَةِ عَبْدِ اللّهِ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ . أَنَا .

---

(١) (ثلاث) : في الأصل : « ثلث » . المحقق .

(٢) هذا الحديث بمجمع الزوائد (٨/١٥٤) ، عن أبي هريرة ، رفعه : بنفس اللفظ المذكور في الأصل ؛ إلا أنه قال : « حاسبه » مكان : « يحاسبه » ، « وأدخله » مكان : « يدخله » . وزاد – بعد قوله : « برحمته » – زاد : قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ يَارَسُولَ اللّهِ ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي . قَالَ : « تُعْطِي .. إلخ » غير أنه قدّم : « وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ » على قوله : « وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ » . وزاد : « فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ : يُدْخِلُكَ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ » .
قال الهيثمي : رواه البزار ، والطبراني في (الأوسط) . وفيه « سليمان بن داود اليمامي » . وهو متروك . المحقق .

(٣) (انتهى) أي:كلام المؤلف ، في كتابه (فتح البيان) . المحقق .

(٤) هذا الباب ذكره النووي ، في (كتاب صلاة المسافرين ، وقصرها) . هذا ؛ وكلمة : « القراءات » : كتبت في الأصل : « القرأت » . المحقق .

قَالَ : فَكَيْفَ سَمِعْتَ عَبْدَ اللّهِ يَقْرَأُ هَـٰذِهِ الْآيَةَ : « وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ » ؟

قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقْرَأُ : « وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ » .

قَالَ : وَأَنَا . وَاللّهِ ! هَـٰكَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، يَقْرَؤُهَا . وَلَـٰكِنْ هَـٰؤُلَاءِ يُرِيدُونَ : أَنْ أَقْرَأَ : « وَمَا خَلَقَ » ، فَلَا أُتَابِعُهُمْ) .

الشرح

(عن علقمة ؛ قال : قدمنا الشام ، فأتانا أبو الدرداء رضي الله عنه[1] ؛ فقال : أفيكم أحد يقرأ على قراءة عبد الله ؟ فقلت : نعم . أنا . قال : فكيف سمعت عبد الله يقرأ هذه الآية : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ »[2] قال : سمعته يقرأ : « وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ . وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ » . قال : وأنا.والله ! هكذا سمعت رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم يقرؤها[3] . ولكنْ هؤلاء يريدون : أن أقرأ : « وما خلق الذكر والأنثى »[4] فلا أتابعهم) .

قال المازري : يجب أن يعتقد - في هذا الخبر ، وما في معناه - أن ذلك كان قرآناً ، ثم نسخ . ولم يعلم من خالف النسخ ، فبقي على النسخ .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) أول سورة الليل . المحقق .

(٣) (يقرؤها) : في الأصل : « يقرأها » . المحقق .

(٤) في مصدر الحديث : « وماخلق » بدون : « الذكر والأنثى » . وهي الآية : (٣) من سورة الليل . المحقق .

قال[١] : ولعل هذا وقع من بعضهم ، قبل أن يبلغهم مصحف « عثمان » المجمع عليه ، المحذوف منه كل منسوخ .

وأما بعد ظهور « مصحف عثمان » ، فلا يظنّ بأحد منهم : أنه خالف فيه .

وأما ابن مسعود ؛ فرويت عنه روايات كثيرة ؛ منها ما ليس بثابت - عند أهل النقل - . وما ثبت منها - مخالفاً لما قلناه - : فهو محمول على أنه كان يكتب في مصحفه : بعض الأحكام والتفاسير ؛ مما يعتقد أنه ليس بقرآن ، وكان لا يعتقد تحريم ذلك ، وكان يراه.كصحيفة يثبت فيها ما يشاء . وكان رأي عثمان والجماعة : منع ذلك ، لئلّا يتطاول الزمان ، ويُظن ذلك « قرآناً » .

قال[١] : فعاد الخلاف إلى مسألة[٢] فقهية ، (وهي أنه : هل يجوز إلحاق بعض التفاسير - في أثناء المصحف - ؟

قال[١] : ويحتمل ماروي « من إسقاط المعوذتين ، من مصحف ابن مسعود » أنه اعتقد أنه لا يلزمه : كتب كل القرآن ، وكتب ما سواهما ، وتركهما لشهرتهما عنده وعند الناس . والله أعلم . انتهى[٣] .

قال[٤] في (فتح البيان) : قرأ الجمهور : « وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ »[٥]

---

(١) (قال) أي : المازري ، كما حكاه النووي عن القاضي عياض ، في (٦/١٠٩) ، المطبعة المصرية . المحقق .

(٢) (مسألة) في الأصل : « مسئلة » . المحقق .

(٣) (انتهى) قول المازري ، الذي حكاه النووي ، عن عياض . المحقق .

(٤) (قال) أي المؤلف ، في كتابه (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) ، وهو مطبوع على نفقة : (إحياء التراث الإسلامي) بدولة قطر . المحقق .

(٥) الآية : (٣) من سورة الليل . المحقق .

وقرأ ابن مسعود : « وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ » ، بدون « وما خلق »[1] .

قال[2] : وقال المحلي « والخنثى المشكل » - عندنا - : ذكر أو أنثى عند الله تعالى ، فيحنث بتكليمه : من حلف لا يكلم ذكراً ، ولا أنثى[3] . انتهى[4] .

وعبارة الخطيب : « الخنثى » - وإن أشكل أمره عندنا - فهو عند الله غير مشكل ، معلوم بالذكورة أو الأنوثة . انتهت[5] .

وقال الكرخي : يحنث بتكليمه ، لأن الله تعالى لم يخلق من ذوي الأرواح : من ليس ذكراً ولا أنثى[6] . « والخنثى » إنما هو مشكل بالنسبة إلينا ، خلافاً لأبي الفضل الهمداني فيما حكاه وجهاً : أنه نوع ثالث . ويدفعه[7] قوله : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ »[8] . ونحو ذلك قال الأسنوي . انتهى كلام (فتح البيان) .

قلت : ويمكن أن يقال : إن قوله تعالى : « أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً »[9] : يشمل الخنثى ، أو يشير إليه ، لأنه يصدق عليه : التزويج

---

(١) (بدون وما خلق) في الأصل : « بدون ماخلق » من غير واو قبل « ما » . وما أثبتناه هو الموافق للآية الكريمة ، في سورة « والليل إذا يغشى » . المحقق .

(٢) (قال) أي المؤلف ، في كتابه « فتح البيان » . المحقق .

(٣) أي : لأنه - عند الله تعالى - إما ذكر ، وإما أنثى . ومن هنا يكون الحنث . المحقق .

(٤) (انتهى) ماذكره المؤلف في كتابه : (فتح البيان) عن المحلي . المحقق .

(٥) (انتهت) أي : عبارة الخطيب . المحقق .

(٦) قلت : بل خلق الملائكة ، وليس لهم أعضاء ذكورة ، ولا أعضاء أنوثة . المحقق .

(٧) (ويدفعه) أي : ويدفع هذا القول . المحقق .

(٨) الآية : (٤٩) من سورة الشورىٰ . المحقق .

(٩) الآية : (٥٠) من سورة الشورىٰ . المحقق .

بالذكورة والأنوثة[1] . والله أعلم .

سُورَةُ وَالضُّحَىٰ: بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: "مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ"[2]

وهو في النووي ، في الجزء الرابع ، في:(باب مالقي النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم : من أذى المشركين ، والمنافقين)[3] .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٥٦ جـ ١٢ ، المطبعة المصرية

(عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ قَيْسٍ ؛ قَالَ : سَمِعْتُ جُنْدُبَ بْنَ سُفْيَانَ ، يَقُولُ : اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللّهِ ، صلى الله عليه وسلم ، فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ ، أَوْ ثَلاثاً : فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ ، فَقَالَتْ : يَامُحَمَّدُ ! إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ ، قَدْ تَرَكَكَ ؛ لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ ، أَوْ ثَلاثٍ . قَالَ : فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ . مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ») .

---

(١) لا يخفىٰ ما في قول المؤلف هذا ، فإن الآية الكريمة صريحة : في أن الله تعالى يهب لمن يشاء الإناث فقط ، ولمن يشاء الذكور فقط ، ولمن يشاء ذكوراً وإناثاً - كما هو الواقع بين الناس - ثم إنه قد ثبت علمياً ؛ أن الخنثى : لا يخلو حاله ؛ إما أن يكون ذكراً : ضمرت فيه أعضاء التذكير . وإما أن يكون أنثى : تضخّمت فيها أعضاء التأنيث . وبإجراء عملية جراحية : تظهر ذكورته ، إن كان قد خلق ذكراً ، أو أنوثتها ، إن كانت قد خلقت أنثى . وتبقى الآية الكريمة : « يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ » على ظاهرها . والله أعلم . المحقق .

(٢) الآية : (٣) من سورة الضحىٰ . المحقق .

(٣) هذا الباب ، ذكره النووي في :(كتاب الجهاد) . المحقق .

الشرح

(عن الأسود بن قيس ؛ قال : سمعت جندب بن سفيان رضي الله عنه[1] ؛ يقول : اشتكىٰ رسول الله ، صلى الله عليه) وآله (وسلم ، فلم يقم ليلتين ، أو ثلاثاً[2] : فجاءته امرأة ، فقالت : يامحمد ! إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ؛ لم أره قربك) : بكسر الراء . والمضارع « يَقْرَبُك » بفتحها .

(منذ ليلتين . أو ثلاث . فأنزل[3] الله عزّ وجل : « وَالضُّحَىٰ . وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ : مَاوَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلىٰ »)[4] .

قال ابن عباس : أي ماقطعك منذ أرسلك ، وما أبغضك[5] .

وسمي الوداع : « وداعاً » ، لأنه فراق ومتاركة . « ودّعك » بتشديد الدال ، على القراءات[6] الفصيحة المشهورة ، التي قرأ بها القراء السبعة .

وقرئ في الشاذّ : بتخفيفها[7] . قال أبو عبيد : هو من « وَدَعه يَدَعُه » . معناه : ما تركك .

---

(١) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) (ثلاثاً) في الأصل : « ثلثاً » . المحقق .

(٣) (فأنزل) في مصدر الحديث : « قال : فأنزل » بزيادة « قال » . وقد أشار المؤلف - في الهامش - بما يفيد أنه في بعض النسخ بهذه الزيادة . المحقق .

(٤) الآيات الثلاث الأول ، من سورة « الضحىٰ » . المحقق .

(٥) (ما قطعك منذ أرسلك) : تفسير لقوله : « مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ » ، (وما أبغضك) تفسير لقوله : « وما قلى » . المحقق .

(٦) (القراءات) في الأصل : « القرأات » . المحقق .

(٧) (بتخفيفها) أي : بتخفيف الدال . المحقق .

قال عياض : النحـويون ينكـرون أن يأتي منـه ماضٍ ، أو مصدر . قالوا : وإنما جاء منه : المستقبل ، والأمر ، لا غير . وكذلك « يذر » .

قال عياض : وقد جاء الماضي والمستقبل منهما جميعاً[1] ، كما قال الشاعر :

وكأنّ[2] ماقدموا لأنفسهم أكثر نفعاً من الذي ودَعُوا

وقال :

ما الذي غاله في الواد ، حتى يَدَعه[3]

« غاله » : بالغين المعجمة ، أي : أخذه . انتهى[4] .

زاد في (فتح البيان)[5] : « التوديع » : أبلغ من « الوداع » : لأن من ودّعـك مفـارقاً ، فقد بالغ في تركك . قال المبرد : لا يكادون يقولون : « وَدَعَ » ، ولا « وَذَرَ » : لضعف الـواو - إذا قدمت - واستغنـوا عنهـا : بترك[6] . قال أبو عبيدة[7] : « ودّعك » من « التوديع » ، كما يودّع المفارق .

وقال الزجاج : لم يقطع الوحي . « والتوديع » استعارة تبعيّة للتّرك .

---

(١) أي : خلافاً للنحويين . المحقق .

(٢) (وكأنّ . . . إلخ) هذا بيت من الشعر ، وقد ذكر المؤلف قبله هذه العلامة (ــ) ، فحذفناها تصرفاً . هذا ؛ وكلمة « وكأنّ » في الأصل : « وكان » . والتصحيح من النووي ص ١٥٧ . المحقق .

(٣) بعد أن ذكر شاهداً لمجيء الماضي ، من : « ودع » ، ذكر شاهداً لمجيء المضارع منه . المحقق .

(٤) (انتهى) ماذكره القاضي ، كما حكاه عنه النووي ، في المصدر المتقدم . المحقق .

(٥) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) للمؤلف . هذا ؛ و « التوديع » مصدر : « ودّع » بتشديد الدال . و « الوداع » مصدر : « ودع يدع » بتخفيف الدال . المحقق .

(٦) الصواب : (واستغنوا عنهما) أي : عن « ودع » ، و « وذر » : (بترك » أي بالفعل : « ترك » . المحقق .

(٧) الصواب : « أبو عبيد » ، لا « أبو عبيدة » . المحقق .

فإن الوداع ، إنما يكون بين الأحباب ، ومن تعزّ مفارقته . هذه الحقيقة : لا تتصور هنا .

« والقلىٰ »[1] : البغض . يقال : « قلاه يقليه قَلىً »[2] .

وقال : « ومَا قَلىٰ » ولم يقل : « وَمَا قَلاَكَ » : لموافقة رؤوس الآي . انتهى[3] .

سُورَةُ التَّكَاثُرِ : بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ : "أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ"[4]

وأورده النووي ، في :(كتاب الزهد) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ٩٤ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

(عَنْ مُطَرِّفٍ ، عَنْ أَبِيهِ ؛ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ ، صلى الله عليه وسلم - وَهُوَ يَقْرَأُ : أَلْهَىٰكُمُ التَّكَاثُرُ - ؛ قَالَ : يَقُولُ ابْنُ آدَمَ : مَالِي . مَالِي . - قَالَ - : وَهَلْ لَكَ ، يَاابْنَ آدَمَ ! مِنْ مَالِكَ : إِلَّا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ ، أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ ؟ ») .

---

(١) (والقلىٰ) في الأصل : « والقلا » . والصواب ما أثبتناه ، لأن الألف فيه أصلها ياء . المحقق .

(٢) (قلًى) في الأصل : « قلًا » . المحقق .

(٣) (انتهى) ماذكره المؤلف ، في كتابه (فتح البيان) . هذا ؛ وكلمة : « رؤوس » في الأصل : « رؤس » . المحقق .

(٤) الآية : (١) من سورة التكاثر . المحقق .

الشرح

(عن عبد الله بن الشخّير رضي الله عنه)[1] ، وهو عند مسلم بلفظ : « عن مطرف عن أبيه » (قال : أتيت النبيّ ، صلى الله عليه) وآله (وسلم - وهو يقرأ : أَلْهَـٰكُمُ التَّكَاثُرُ[2] - قال : « يقول ابن آدم : مالي . مالي . - قال[3] - : وهـل لك ، يابن آدم ! من مالك : إلا ماأكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأمضيت ؟ ») .

وفي حديث أبي هريرة - عند مسلم - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم ؛ قَالَ : « يَقُولُ الْعَبْدُ : مَالِي . مَالِي . إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ[4] : ما أكـل وأفنىٰ[5] ، أو لبس فأبلىٰ ، أو أعطى فاقتنىٰ . ماسوى[6] ذلك : فهو ذاهب ، وتاركه للناس »[7] .

قال في (فتح البيان)[8] - في معنى الآية الشريفة - : أي : شغلكم التمادي في التكاثر : بالأموال ، والأولاد ، والتباهي ، والتفاخر بكثرتها : عن طاعة الله تعالىٰ ، والتغالب فيها . يقال « ألهاه عن كذا ، وأقهاه » : إذا شغله .

وقال الحسن : معناه أنساكم حتى أدرككم الموت - وأنتم على تلك الحال - .

---

(١) في مصدر الحديث : « عن مطرف ، عن أبيه » . ولعل « عبد الله بن الشِّخِّير » هو « أبو مطرف » . هذا ؛ ولم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنه » . المحقق .

(٢) أول سورة التكاثر . المحقق .

(٣) وضع المؤلف ، إشارة فوق كلمة : « قال » - هنا - للدلالة على أنها لم تذكر في بعض النسخ . المحقق .

(٤) (من مالـه) في مصـدر الحديث : « من ماله ثلاث » ، بزيادة كلمة : « ثلاث » ، ولعلها سقطت - في الأصل - من الناسخ . المحقق .

(٥) الصواب : « فأفنىٰ » بالفاء ، لا بالواو . كما في مصدر الحديث . المحقق .

(٦) في مصدر الحديث : « وما سوى » بواو قبل « ما » . المحقق .

(٧) هذا الحديث ، في صحيح مسلم / النووي (١٨/ ٩٤) ، المصدر المتقدم . المحقق .

(٨) (فتح البيان ، في مقاصد القرآن) كتاب تفسير للمؤلف . المحقق .

وقال قتادة : « التكاثر » : التفاخر بالقبائل ، والعشائر .

وقال الضحاك : ألهاكم التشاغل بالمعاش . وقيل : المعنى : متّم ، ودفنتم في المقابر .

قال مقاتل ، وقتادة ، وغيرهما : نزلت في اليهود ، حين قالوا : نحن أكثر من بني فلان ، وبنو فلان أكثر من بني فلان . ألهاهم ذلك حتى ماتوا .

وقال الكلبي : نزلت في حيَّيْن من قريش (بني عبد مناف ، وبني سهم) تعادوا وتكاثروا : بالسيادة ، والأشراف - في الإسلام - ؛ فقال كل حيّ منهم : نحن أكثر سيّداً ، وأعزّ عزيزاً ، وأعظم نفراً ، وأكثر قائداً . فكثَر بنو مناف بني سهم . ثم تكاثروا بالأموات : فكثرتهم بهم . فنزلت : « أَلْهَـٰكُمُ التَّكَاثُرُ »[1] فلم ترضوا ، حتى زرتم المقابر (مفتخرين بالأموات) .

وعن أبي بردة ؛ قال : نزلت في قبيلتين من قبائل الأنصار (بني حارثة ، وبني الحارث) . تفاخروا وتكاثروا .

وبالجملة : ظاهر الآية : الشمول والعموم ، ويدخل فيه : من نزلت فيهم ، دخولاً أوليّاً .

وفيه : دليل على أن الاشتغال بالدنيا ، والمكاثرة بها ، والمفاخرة فيها : « من الخصال المذمومة » .

والشرع دلّ : على أن التكاثر والتفاخر « في السعادات الحقيقة » : غير مذموم ؛ فيجوز للإنسان : أن يفتخر بطاعاته ، وحسن أخلاقه - إذا كان يظنّ : أن غيره ، يقتدي به -.

---

(١) أول سورة التكاثر . المحقق .

وقال سبحانه وتعالى : « أَلْهَـٰكُمُ التَّكَاثُرُ »[1] ولم يقل : عن كذا ، بل أطلقه ، لأن الإطلاق أبلغ في الذّم،لأنه يذهب فيه الوهم كُلَّ مذهب ؛ فيدخل فيه : جميع مايحتمله المقام . ولأن حذف المتعلّق : مشعر بالتعميم ، كما تقرر في علم البيان .

سُورَةُ الْفَتْحِ[2]: بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ"

وهو في النووي ، في:(كتاب التفسير) .

(حَدِيثُ البَابِ)

وهو بصحيح مسلم / النووي ، ص ١٦٠ ، ١٦١ جـ ١٨ ، المطبعة المصرية

قال الإمام مسلم : (حَدَّثَنَا أَبُوبَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، وَهَـٰرُونُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ ، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ - قَالَ عَبْدٌ : أَخْبَرَنَا . وَقَالَ الْآخَرَانِ : حَدَّثَنَا - جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، أَخْبَرَنَا أَبُو عُمَيْسٍ ، عَنْ عَبْدِالْمَجِيدِ بْنِ سُهَيْلٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللّهِ بْنِ عَبْدِ اللّهِ بْنِ عُتْبَةَ ؛ قَالَ : قَالَ لِيَ ابْنُ عَبّاسٍ : تَعْلَمُ - وَقَالَ هَـٰرُونُ : تَدْرِي - آخِرَ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ : نَزَلَتْ جَمِيعاً ؟

قُلْتُ : نَعَمْ . « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ »[2]. قَالَ : صَدَقْتَ .

وَفِي رِوَايَةِ « ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ » : تَعْلَمُ : أَيُّ سُورَةٍ ؟ وَلَمْ يَقُلْ : آخِرَ) .

---

(١) أول سورة التكاثر . المحقق .

(٢) اسمها في المصحف : « سورة النصر » ، أما « سورة الفتح » فهي سورة أخرى ، وهي التي تقع في المصحف بين سورتي (محمد ، والحجرات) ومطلعها : « إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً » . هذا ؛ والآية المذكورة في الحديث ، هي الآية : (١) من سورة النصر . المحقق .

(الشرح)

(عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة[(١)] ؛ قال : قال لي ابن عباس ، رضي الله عنهما[(٢)] ؛ تعلم - وقال هارون تدري - آخر سورة من القرآن[(٣)] ، نزلت جميعاً ؟ قلت : نعم . « إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ »[(٤)] قال : صدقت) .

وفي رواية « ابن أبي شيبة » : تعلم أيُّ سورة ؟ ولم يقل : آخر) .

وفي رواية أخرى : قال : « آخِرَ سُورَةٍ »[(٥)] .

لم يشرح النووي : هذا الحديث ، بشيء[(٦)] .

وفي (فتح البيان)[(٧)] : قال ابن عباس : أنزل[(٨)] بالمدينة .

وعن « ابن عمر » : نزلت على رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : في أوسط أيام التشريق بمنى -.وهو في حجة الوداع - حتى ختمها ، فعرف رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : أنها الوداع[(٩)] .

---

(١) ذكرنا سند الحديث كاملاً ، لتعلق بعض رجاله : ببعض ألفاظ الحديث . المحقق .

(٢) لم يذكر بمصدر الحديث : « رضي الله عنهما » . المحقق .

(٣) في مصدر الحديث : « آخر سورة نزلت من القرآن » بزيادة : « نزلت » بعد « سورة » ، وقبل « من القرآن » . المحقق .

(٤) أول سورة النصر . المحقق .

(٥) (آخِرَ سُورَةٍ) هذا اللفظ في حديث الباب ، أيضاً ، أما الرواية الأخرى التي يشير إليها المؤلف ، فشيخ مسلم فيها : « إسحاق بن إبراهيم ، عن أبي معاوية ، عن أبي عميس - بنفس الإسناد الذي ساق به حديث الباب - قال مسلم : وقال : آخِرَ سُورَةٍ . وقال : « عَبْدِ الْمَجِيدِ » ولم يقل : « ابْنِ سُهَيْلٍ » . انظر صحيح مسلم / النووي (١٨ / ١٦١) ، المطبعة المصرية . المحقق ،

(٦) (بشيء) في الأصل : وضعت الهمزة ، فوق الياء . المحقق .

(٧) (فتح البيان) كتاب تفسير للمؤلف ، وقد طبع على نفقة دولة قطر . المحقق .

(٨) لو قال : « أنزلت » لكان أوضح ، لأن الضمير لسورة النّصر . المحقق .

(٩) ذكره « ابن كثير » - عند تفسير سورة النصر - ذكره عن البزار والبيهقي - بسندهما - عن « ابن عمر » . وزاد - بعد قوله : فعرف أنه الوداع - « فَأَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ ، فَرُحِّلَتْ ثُمَّ قَامَ ، فَخَطَبَ النَّاسَ ، قال ابن كثير : فذكر خطبته المشهورة . المحقق .

وعن « ابن عباس » أيضاً : نزلت ، فقال رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم : « نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي »[1] وفي لفظ : « قَرُبَ إِلَيَّ أَجَلِي » .

وفي لفظ : لَمَّا نَزَلَتْ، نُعِيَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : نَفْسُهُ - حِينَ أُنْزِلَتْ - فَأَخَذَ فِي أَشَدِّ مَا كَانَ - قَطُّ - اجْتَهاداً فِي أَمْرِ الْآخِرَةِ »[2] .

وعن أم حبيبة رضي الله عنها ؛ قَالَتْ : لَمَّا أُنْزِلَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وآله وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيّاً إِلَّا عَمَّرَ فِي أُمَّتِهِ : شَطْرَ مَا عَمَّرَ النَّبِيُّ الْمَاضِي قَبْلَهُ ؛ فَإِنَّ عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ : كَانَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَهَـٰذِهِ لِي أَرْبَعُونَ[3] سَنَةً ،

---

(١) ذكر ابن كثير - في نفس المصدر المتقدم - عن البيهقي - بسنده - ؛ عن ابن عباس ؛ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) : دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : فَاطِمَةَ ، وَقَالَ : « إِنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي » فَبَكَتْ ، ثُمَّ ضَحِكَتْ . وَقَالَتْ : أَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ : فَبَكَيْتُ . ثُمَّ قَالَ : « اصْبِرِي ، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي ، لِحاقاً بي » : فَضَحِكْتُ . قال ابن كثير : وقد رواه النسائي (بدون ذكر فاطمة) .
وذكر ابن كثير ، حديثاً آخر ، عن أحمد (بسنده) ، عن ابن عباس ؛ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم : « نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي » فَإِنَّهُ مَقْبُوضٌ ، فِي تِلْكَ السَّنَةِ . قال ابن كثير : تفرّد به أحمد ، وروى العوفي عن ابن عباس مثله . المحقق .

(٢) ذكره ابن كثير (عن الطبراني : بسنده) عن ابن عباس ، لكنه زاد - بعد قوله : لمّا نزلت - : (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ) حَتَّىٰ خَتَمَ السُّورَةَ ، قَالَ : نُعِيَتْ . . إلخ . وقال : « حِينَ نَزَلَتْ » - مكان : « حين أنزلت » - . وقال : « بِأَشَدِّ » بالباء بدل « في » . وزاد - بعد قوله : في أمر الآخرة - : وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ، صلى الله عليه وسلم - بَعْدَ ذَلِكَ - : « جَاءَ الْفَتْحُ وَنَصْرُ اللَّهِ ، وَجَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ » فَقَالَ رَجُلٌ : يَارَسُولَ اللَّهِ ! وَمَا أَهْلُ الْيَمَنِ ؟ قَالَ : « قَوْمٌ رَقِيقَةٌ قُلُوبُهُمْ ، لَيِّنَةٌ طِبَاعُهُمْ ، الْإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ » . وذكر ابن كثير أحاديث كثيرة ، في هذا الباب ، فليرجع إليه من شاء . المحقق .

(٣) (أربعون) الصواب : « عِشْرُونَ » ، لقوله في الحديث : « إن الله لم يبعث نبيّاً ، إلا عمّر في أمته شَطْر ما عمّر النبيّ الماضي قبله » وقوله : « فإن عيسى كان أربعون سنة . . . إلخ» . وشطر الأربعين : «عشرون » . وأيضاً فإن المدّة التي مكثها محمد صلى الله عليه وسلم في قومه (رسولاً) ، لم تكن أربعين ، بل كانت (على المشهور) ثلاثاً وعشرين سنة . فلعل الذي وقع في الأصل خطأً من الناسخ . ولكن يبقى إشكال ، وهو أنّ المشهور في مدة الرسالة : « ثلاث وعشرون سنة » كما قدمنا . والذي ورد في هذا الحديث : « عشرون » . ويجاب عن هذا بأحد جوابين :
« أ » إما أنّ السنوات الثلاث الأولىٰ ، من مدّة الرسالة ، لم تحسب ، لأن الدعوة فيها كانت سرّية . =

وَأَنا الْمَيِّتُ[1] فِي هَـٰذِهِ السَّنَةِ». فَبَكَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها، فَقَالَ: «أَنْتِ أَوَّلُ أَهْلِي بِي لُحُوقاً: فَتَبَسَّمَتْ». أخرجه: ابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وعن ابن عباس؛ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ) : دَعَا رسولُ الله، صلى الله عليه وآله وسلم: فَاطِمَةَ، وَقَال: «إِنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي» فَبَكَتْ، ثُمَّ ضَحِكَتْ. وَقَـالَتْ: أَخْبَرَنِي أَنَّهُ نُعِيَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ؛ فَبَكَيْتُ. فَقَالَ: «اصْبِرِي، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لِحَاقاً بِي»: فَضَحِكْتُ[2]، أخرجه البيهقي.

وجاء أنّ هذه السورة: «تَعْدِلُ رُبُعَ الْقُرْآن»[3]، وهي آخر سورة نزلت جميعاً. انتهى كلام (فتح البيان).

قلت: وهي آخر ماتمّ عليه تلخيص الحافظ - الإمام أبي محمد:

= «ب» الجواب الثاني: أنّ من عادة العرب، أن يسقطوا من الحساب: الكسور التي تكون بين العقدين، هذا؛ وقد ذكر الشوكاني هذا الحديث في كتابه (فتح القدير ٥/٥٠٨) عند تفسير سورة النصر، بنفس اللفظ الذي ساقه المؤلف، غير أنه قال: «عشرون» - على الصواب -، وقال: «وأنا ميت» مكان: «وأنا الميت». وزاد ـ بعد قوله: فقال -: «النبّي، صلى الله عليه وسلم: أنت أول أهلي بي لحوقاً.. إلخ». المحقق.

(١) (الميت) في الأصل: «ميت» بدون (ال). المحقق.

(٢) تقدم ذكر هذا الحديث، في الهامش رقم (١) بالصفحة المتقدمة. المحقق.

(٣) ذكر ابن كثير - عند تفسير سورة الزلزلة - حديثاً للترمذي، عن أنس بن مالك؛ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ، صلى الله عليه وسلم، قَالَ لِرَجُلٍ - مِنْ أَصْحَابِه -: «هَلْ تَزَوَّجْتَ؟ يَافُلاَنُ!».
قَالَ: لاَ. وَاللّهِ! يَارَسُولَ اللّه! وَلاَ عِنْدِي مَا أَتَزَوَّجُ.
قَالَ: أَلَيْسَ مَعَكَ: قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ؟» قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: «ثُلُثُ الْقُرْآنِ».
قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللّهِ وَالْفَتْحُ؟» قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: «رُبُعُ الْقُرْآنِ».
قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ: قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ؟» قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: «رُبُعُ. الْقُرْآنِ».
قَالَ: «أَلَيْسَ مَعَكَ: إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ؟» قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: «رُبُعُ الْقُرْآنِ. تَزَوَّجْ».
ثُمَّ قَالَ (أي: الترمذي): هذا حديث حسن.
وعقّب ابن كثير على هذا الحديث، وحديثين قبله للترمذي - أيضاً -، فقال: تفرّد بهنّ - ثلاثتِهنّ - الترمذي، لم يروهنّ غيره، من أصحاب الكتب. المحقق.

« عبـد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله : محيي[1] السنة ، زكي الدين « المنذري » ، رحمه الله تعالى وإيانا جميعاً - لصحيح مسلم[2] .

قال رضي الله عنـه[3] : (هذا آخـر ما اختصرته ، من صحيح الإمام أبي الحسين : « مسلم بن الحجـاج » رضي الله عنـه ، والـرغبة إلى الله سبحانه : أن ينفعني به ، وحافظه ، وكاتبه ، والناظر فيه[4] : بكرمه) .

والمرجو « من سعة رحمة الله تعالى » : استجابة هذا الدّعاء .

وقد كتب هذا العبد الفاني[5] هذا التلخيص الشريف ، وكتب عليه : هذا الشرح المختصر اللطيف ، ونظر فيه راجياً للنفع العاجل والآجل ، داعياً لأخـلافـه[6] : إلى العمـل بما فيهما[7] ، ولمن يصلح لذلك (من العالم والعامل) والله الموفق ، وهو المستعان .

(واتّفق نجاز[8] إملائه على الجماعة) من أهل السنة المطهرة ، الّذين أخلصهم الله « بِخَـالِصَـةٍ ذِكْـرَى الدَّارِ »[9] (نفعهم الله تعالى) بإملائه ، وحفـظه ، وكتابته ، والنّظر فيه : بكرمه ، ومنّه وَلُطفه ، ورحمته . (ونفع بهم) كثيراً من الناس الصالحين ، العالمين[10] العاملين : بالكتاب العزيز ،

---

(١) (محيي) في الأصل : « محي » بياء واحدة . والصواب : ماأثبتناه . المحقق .

(٢) (لصحيح مسلم) متعلق بقوله : « تلخيص » أي : تلخيص المنذري ، لصحيح مسلم . المحقق .

(٣) (قال رضي الله عنه) : الضمير للمنذري . المحقق .

(٤) (وحـافـظه ، وكاتبه . والناظرَ فيه) معطوف على ياء المتكلم في « ينفعني » . أي : وينفع به حافظه ، وكاتبه ، والناظرَ فيه . المحقق .

(٥) يقصد المؤلف بقوله : « العبد الفاني » . يقصد نفسه . المحقق .

(٦) (لأخلافه) أي لمن يأتي بعده ، من المسلمين . المحقق .

(٧) الضمير في (فيهما) عائد إلى : التلخيص وشرحه . المحقق .

(٨) (نجاز) بمعنى : « إنجاز » يقال في فعله : « نجزه ، وأنجزه » أي : قضاه وأتمّه . المحقق .

(٩) مقتبس من قوله تعالى : « إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ » الآية (٤٦) من سورة صٓ . المحقق .

(١٠) (العالمين) بكسر اللام ، أي : العلماء . المحقق .

والسنة المطهرة ، التي ليلها كنهارها ، (وبلّغهم من خيرات الدنيا والآخرة : منتهى طلبهم !) .

وهم[1] القائلون : « رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ، وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ »[2] .

(في يوم الاثنين)[3] . وهو اليوم الذي بعث فيه رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، وتوفّي فيه (الثامن والعشرين : من شعبان المكرم) وكرامته : كون « ليلة[4] مباركة ، فيها ينزل[5] كل أمر حكيم (سنة تسع وثلاثين[6] وستمائة من سني الهجرة القدسيّة ، على صاحبها الصلاة[7] والتحية .

« وشرحنا هذا » : اتفق نجازه - على يدي الضعيفة ، قواها الله تعالى فيما يحب ويرضىٰ - في يوم السبت المبارك فيه : على لسان رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، في قوله : « بَارَكَ اللَّهُ فِي يَوْمِ السَّبْتِ وَالْخَمِيسِ »[8] السادس عشر من ذي القعدة[9] ، من سنة : « تسع وتسعين ، ومائتين ، وألف » الهجرية ، وقت الإشراق في أول النهار .

(بدار الحديث الكاملية)[10] .

---

(١) الضمير لأهل السنة والجماعة . المحقق .

(٢) الآية : (٢٠١) من سورة البقرة . المحقق .

(٣) (في يوم الاثنين) متعلق بقوله : « واتّفق نجاز إملائه » . المحقق .

(٤) الصواب : « كون فيه ليلة . . إلخ» .ويبدو أن كلمة « فيه » سقطت من الناسخ . المحقق .

(٥) لو قال : « يفرق » مكان : « ينزل » ، لكان موافقاً لقوله تعالى : « إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ، إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ . فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » الآيتان (٣ ، ٤) من سورة الدخان . المحقق .

(٦) (سنة تسع وثلاثين وستمائة ،من سني الهجرة . . إلخ)هذا كلام المنذري ، صاحب التلخيص . أي تم إنجاز إملائه ، في التاريخ المذكور . هذا ؛ وكلمة : (وثلاثين) في الأصل : « وثلثين » . المحقق .

(٧) (الصلاة) في الأصل : « الصلوة » . المحقق .

(٨) هذا الحديث لم أعثر عليه ، فيما تحت يدي من المراجع . المحقق .

(٩) أي في يوم السبت ، الموافق : السادس عشر من ذي القعدة . . إلخ.هذا تاريخ إنجاز « شرح التلخيص » للمؤلف . وهذا كلامه . المحقق .

(١٠) (بدار الحديث الكاملية) هذا من كلام « المنذري » أي تم إنجاز تلخيصه ، في يوم الاثنين ، الثامن والعشرين من شعبان ، سنة تسع وثلاثين ، وستمائة ، بدار الحديث الكاملية . المحقق .

« وشـرحنـا هذا » [1] : بدار السيدة نيّرة الهنـد : « نواب شاهجــان بيكم » أصلح الله شأنهـا ، وبكـل نعمـة وعـافية وحسن عافية ، - عليها وعلينا - : أنعم . الواقعة[2] في البلدة المحمية « بهوپال » ، التي هي من ثغـور مملكـة « مالوة الدكن » . وهذه السيدة هي « أهل بيتي ، وكرشي ، وعيبتي ، وسكني - في حضرتي وغيبتي - » .

(عمـرهـا الله تعـالى : بذكـره . وتغمد واقفها : برحمته ورضوانه ، وأسكنه غرف جنانه)[3] .

وهكـذا « بارك ، وتفضـل ، وتلطف : في أعمال السيدة وبعلها[4] » وتغمـدهمـا : بسابغ كرمه ، وتمام رضائه ، وبَوَّأهما[5] بعد الممات - مع حسن الختـام - في دار السـلام : بالعافية الكاملة ، وكامل السلام. (إنه سميع الدعاء)[6] ، لا يخفى عليه شيء[7] في الأرض ، ولا في السماء ، (فعـال لمـا يشـاء)[6] : من الـرضـوان والغفـران ، على عبـاده أهل الآثام والعصيان . ومـا ذلـك عليه بعـزيز . (والحمـد لله وحـده) ؛ لأن مرجع

(١) (وشرحنا هذا . . إلخ) هذا من كلام المؤلف . أي : وتم إنجاز شرحنا هذا : في يوم السبت السادس عشر من ذي القعدة، سنة تسع وتسعين ومائتين وألف الهجرية :بدار السيدة « نواب شاهجان بيكَم » ملكة الهند ، آنذاك ، وهي زوج المؤلف. المحقق.

(٢) (الواقعة . . . إلخ) صفة لدار السيدة المذكورة. المحقق .

(٣) هذا من كلام المنذري ، والضمير في « عمرها » و « واقفها » : لدار الحديث الكاملية . وليت المؤلف ذكر حديثه عن إنجاز شرحه : بعد أن انتهى من كلام المنذري ، عن إنجاز تلخيصه ، حتى لا يتداخل كلام كل منهما في كلام الآخر . المحقق .

(٤) هذا كلام المؤلف ، ويقصد بالسيدة : زوجه الملكة ، وببعلها : نفسه . المحقق .

(٥) (وبوأهما) الضمير للمؤلف وزوجه . المحقق .

(٦) (سميع الدعاء . فعال لما يشاء) هذا كلام المنذري . ذكره المؤلف عقب دعائه السالف الذكر . وكل كلام بين قوسين كبيرين ، فهو من كلام المنذري . المحقق .

(٧) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

المحامد كلها – من أيّ شيء[1] كان ، ولأيّه[2] كان – : إليه سبحانه[3] وتعالى .

وفيه[4] : إشارة إلى أنّ آخر دعوانا : « أن الحمد لله رب العالمين » .

(وصلواته على سيدنا محمد : نبيه) ورسوله (وآله وصحبه وسلم) .

فيه : امتثال[5] لقوله تعالى : « إِنَّ اللّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ياأَيُّهاَ الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً »

قال[6] : « في الأمّ » المنقول عنه : (وافق الفراغ منه ، في يوم السبت « الخامس والعشرين » من ربيع الأول ، سنة ثمان وسبعين وستمائة) .

فيه : أنَّ هذا الفراغ من كتابته ، كان بعد تسع وثلاثين[7] سنة : من زمن جمع الأصل الذي ألفه الحافظ المتقن الضابط ، جمال الحفاظ وعمدة المحدّثين : « المنذري ، رحمه الله »[8]. وذلك يدلّ : على صحة النّقل ، وقرب عهده « بالأم » المنسوخة منها . وهو كذلك . وقد أنعم الله بهذه النسخة الشريفة عليّ،– عند أخذي في تحرير هذا الشرح – .

(كتبه : العبد الفقير ، المعترف بالتقصير)[9] ، في الذي يجب عليه

(١) (شيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٢) (ولأيّه) أي : ولأيّ شيء . المحقق .

(٣) (وقوله : « إليه سبحانه » الجار والمجرور « إليه » متعلق بقوله : « مرجع المحامد كلها » . المحقق .

(٤) (وفيه) أي : وفي قول المنذري : (والحمد لله وحده) . هذا ؛ وكلمة : « العالمين » كتبت في الأصل : « العلمين » . المحقق .

(٥) الضمير في قول المؤلف : (فيه امتثال .. إلخ) : عائد إلى قول المنذري : « وصلواته على سيدنا محمد .. إلخ » . هذا ؛ والآية التي ذكرها المؤلف : رقمها (٥٦) بسورة الأحزاب . المحقق .

(٦) (قال) أي : المنذريّ . المحقق .

(٧) (وثلاثين) في الأصل : « وثلثين » . المحقق .

(٨) (رحمه الله) في الأصل : « رح » . المحقق .

(٩) هذا من كلام كاتب التلخيص : « خضر بن عيسى » . المحقق .

« من الإتيان والترك » : (الراجي من ربه : غفران ذنبه) ، لأنه ليس عبد من عباد الله تعالى - غير أنبيائه ورسله - : من لم يُلمّ بذنب . ومن ألمّ فقد احتاج إلى مغفرته ، ولا يغفر الذنوب إلا هو . فاستحسن : رجاء الغفران ، وسؤال الرضوان (من كل واحد منهم ؛ من الله غافر الذنب ، وقابل التوب : (« خضر بن عيسى بن رضوان » ، المعروف بابن الخيمي . غفر الله له ، ولوالديه ، ولجميع المسلمين) ، خص في ذلك وعَمَّ .

(وصلى الله على محمد وآله وسلم) .

وأما أنا[1]، فهو العبد الضعيف ، المكلف الحنيف ، أبو الطيب « صديق بن حسن بن علي » الحسيني ، البخاري ، القنوجي . ختم الله له بالحسنى ، وأذاقه حلاوة رضوانه الأسنىٰ .

وهذا العبد [2] له مؤلفات ، فيما يتعلّق بالعلوم المتداولة وغيرها ؛ وأحسنها : تفسير كتاب الله العزيز ، المسمى (بفتح البيان ، في مقاصد القرآن) وهو اسم له ، تاريخي[3] .

وكتاب (عون الباري ، لحلّ أدلة البخاري) . وهو شرح « تلخيص الجامع الصحيح » للإمام محمد بن إسماعيل[4] ، رضي الله عنه . وهذا أيضاً : اسم له ، فيه تاريخ زمن تأليفه[5] ألفته أولاً . « لنفع نفسي » . ثم

---

(١) (وأما أنا) هذا من كلام المؤلف « رحمه الله » . المحقق .

(٢) (وهذا العبد) يقصد المؤلف : نفسه . المحقق .

(٣) أي : حروف (فتح البيان في مقاصد القرآن) : إذا جمعنا قيمة كل حرف منها : تكون النتيجة (١٢٩٠) هـ وهو تاريخ تأليف هذا الكتاب بالهجري . المحقق .

(٤) (إسماعيل) في الأصل كتبت : « إسمعيل » . المحقق .

(٥) وكذلك مجموع حروف : « عون الباري ، لحل أدلة البخاري) بالحساب الأبجدي ، يساوي (١٣٢٢) بالسنة الهجرية . المحقق .

ثانياً : « لإفادة ولدي الصالح » : أبي الخير نور الحسن الطيب ، ثم لكل من يصلح للاستفادة منه : حبّا للسنة المطهرة ، وكرامة لها .

وهـذا الشـرح المسمى : (بالسـراج الوهاج) ، وهو أيضاً علم له : تاريخي[1] . ألفتـه : لأدخـل في خدم السنة ، وشارحي صحيح مسلم : لأتيح لي : « خدمـة القـرآن والصحيحين » جمـيعـاً ، وينتفـع بـه ولـدي الصغـير « أبو النصر علي حسن الطاهر » ، ثم الناس جميعاً .

والله أسـأل : أن يجعـل هذه المؤلفـات ، خالصـةً لوجهه الكريم . ويسامحني فيها ، إن زلّ بشيء[2] القلم ، أو دحضت به القدم . ويجعلها من أسباب الغفران ، ومواد الرضوان ، ولا يحرمني من واسع رحمته : التي وسعت كل شيء[2] : من نبات ، وجماد ، وحيوان . وإني وإن كنت لست أهلاً للمغفرة والعفو والصفح - لذنوب أتيتها سرّاً وعلانية - لكنه سبحانه أهل لكل ذلك . وهو القائل في كتابه المبين : « قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوامِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »[3] والله تعالى لا يخلف الميعاد . ومن أصدق من الله قيلاً ؟

وأنا القائل : اللهم ! أنتَ ربي ، لا إلـه إلا أنت . خلقتني وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ، أعوذ بك من شرّ ماصنعت ، أبوء لك بنعمتك عليّ ، وأبوء بذنبي : فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذّنوب إلا أنت .

وأيضـاً[4] ، القـائـل : اللهم ! اهـدني فيمن هديت ، وعافني فيمن

(١) وذلك أن مجموع حروف : (السراج الوهاج ، من كشف مطالب صحيح مسلم ابن الحجاج) بالحساب الأبجدي : (١٢٩٩)هـ . المحقق .

(٢) (بشيء) في الأصل : وضعت الهمزة فوق الياء . المحقق .

(٣) الآية : (٥٣) من سورة الزمر . المحقق .

(٤) أي : وأنا أيضاً ، القائل . . إلخ . المحقق .

عافيت ، وتــولنّي فيمن تولّيت ، وبــارك لي فيمــا أعــطيت ، وقني شرّ ما قضيت : فإنك تقضي ولا يُقضىٰ عليك ، إنه لا يذلّ من واليت ، ولا يعزّ من عاديت ، تباركت ربّنا ! وتعاليت ، نستغفرك ونتوب إليك . وصلى الله على النبي ، وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين . وآخر دعوانا : « أن الحمد لله ربّ العلمين » .

تم بحمد الله وتوفيقه: تحقيق وتصحيح هذا الكتاب في شهر ربيع الأول سنة ١٤١٧ هـ بدولة قطر ، وبه تم كتاب السراج الوهاج لمؤلفه الشيخ العلامة ابي الطيب صديق بن حسن خان رحمه الله في أحد عشر مجلدا.

الفهـــرس

البــــاب	رقم الصفحة

الباب	رقم الصفحة
باب في نبذ الأرض المنافق المرتد وتركه منبوذا	١٢١
كتاب صفة القيامة	١٢٢
باب يقبض الله الأرض يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه	١٢٢
باب في صفة الأرض يوم القيامة	١٢٩
باب يبعث كل عبد على ما مات عليه	١٣٠
باب البعث على الأعمال	١٣١
باب يحشر الناس حفاة عراة غرلا	١٣٢
باب يحشر الناس على طرائق	١٣٤
باب حشر الكافر على وجهه يوم القيامة	١٣٥
باب دنو الشمس من الخلق يوم القيامة	١٣٦
باب في كثرة العرق يوم القيامة	١٣٧
باب طلب الكافر الفداء يوم القيامة	١٣٩
كتاب صفة الجنة	١٤٢
باب في أول زمرة تدخل الجنة	١٤٢
باب منه	١٤٧
باب من يدخل الجنة على صورة آدم	١٥٣
باب يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير	١٥٦
باب إحلال الرضوان على أهل الجنة	١٥٧
باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف	١٥٨
باب أكل أهل الجنة فيها	١٦٢
باب تحفة أهل الجنة	١٦٤
باب في دوام نعيم أهل الجنة	١٧١
باب في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها	١٧٢
باب في صفة خيام الجنة	١٧٥
باب في سوق الجنة	١٧٦
باب ما في الدنيا من أنهار الجنة	١٧٨
باب حفت الجنة بالمكاره	١٩٠
باب أقل ساكني الجنة النساء	١٩١
باب في أهل الجنة وأهل النار وعلاماتهم في الدنيا	١٩٣
باب منه	١٩٦
باب منه	١٩٧
باب خلود أهل الجنة وأهل النار فيما هم فيه	٢٠٥

الباب	رقم الصفحة

الباب	رقم الصفحة

الباب	رقم الصفحة

الباب	رقم الصفحة

الباب	رقم الصفحة

البـــــــاب **رقم الصفحة**

الباب	رقم الصفحة

كلمـــة خـــتاميّة
بمناسبة انتهاء طباعة الكتاب

الحمد لله الذي بنعمه تتم الصالحات، والصلاة والسلام على رسوله سيدنا ونبينا محمد الذي أكرمه ربه بالمعجزات، وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان . أما بعد،

فيسر إدارة الشؤون الإسلامية، بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية / بدولة قطر، إصدار الجزء الحادي عشر والأخير من هذا السفر المبارك . . وحقًّا إنه (سراج وهاج) – كما ينطق عنوانه – يتوهج نور النبوة من بين صحائفه في (أحد عشر كوكبا) يُضيء للسالكين الطريق، ويزودهم بالعلم النافع، المتدفق من معين السنة النبوية الصحيحة المطهرة، مشروحة موضحة، مطبوعة بحروف كبيرة، وطباعة أنيقة منسقة، تعين القارئ على حسن التدبر في قراءته، والتبصر في مدارسته وفهم معانيه .

هذا، إلى ما أضافه محقق الكتاب فضيلة الشيخ عبد التواب هيكل - حفظه الله - من إضافات، لم يكن لها وجود في الأصل، وقد بذل في ذلك جهداً كبيراً تجشمه منشرح الصدر خدمة للعلم والدين، رغم تقدم السن به، نلخصها فيما يلي :

أولا : ذكر متن كل حديث – قبل شروع المؤلف في شرحه – تحت عنوان : (حديث الباب) .

ثانيا : التعليق حيث يقتضي المقام، وجعل ذلك في هوامش الصفحات، توضيحا لمبهم، أو تصحيحا لخطأ، أو تفصيلا لمجمل، ويشمل عزو الآيات لسورها مع أرقامها، وتخريج الأحاديث التي استدل بها الشارح في كلامه .

ومن ثم جاء الكتاب في هذه الضخامة، علماً بأن الأصل لم يتجاوز جزءين اثنين في مجلدين . . لا يزيد .

وإن إدارة الشؤون الإسلامية بدولة قطر، إذ تقوم بإصدار هذا السفر القيّم، إنما تفعل ذلك خدمة لسنة المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، وللإسلام العظيم الذي تشكل السنة مصدره الثاني بعد كتاب الله تعالى، ثم لأهل العلم وطلابه من المسلمين في داخل قطر وخارجها، ليكون لهم مرجعا حافلا بِحِكَمِ النبوة الرشيدة، وعلومها المفيدة، ويستضيئون بما فيه من هدى ونور، والله عز وجل من وراء القصد، يقول الحق وهو يهدي السبيل .

إدارة الشؤون الإسلامية
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدوحة / دولة قطر

٩ / ١١ / ١٤١٧ هـ .
الموافق ١٨ / ٣ / ١٩٩٧م .